

حَاشِيَةٌ

العارف بالله تعالى المغفور له
أحمد بن محمد الصّاوي المالكي الحنّو في
١١٧٥ - ١٢٤١ هـ
على

نَفْسِ الْجَلَالَيْنِ

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّي والجلال السيوطي
رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الأول

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها
فضيلة الشيخ علي محمد الضباع
شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية

دار الجيل
بيروت

خطبة صاحب الحاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل الفرقان مصدقا لما بين يديه هدى وبشرى للمتقين ، قرآنا عربيا غير ذي عوج موعظة وذكري للمؤمنين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخل بها الفردوس آمنين ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين ، المنزل عليه الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابها ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أوتوا العلم درجات .

وبعد ، فيقول العبد الفقير الدليل «أحمد بن محمد الصاوي المالكي الخالقي» : لما كان علم التفسير أعظم العلوم مقدارا وأرفعها عمرفا ومنارا إذ هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ، وبقي قواعد الشرع وأساسها ، وكان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير ، وأجمع على الاعتناء به الجمة الغفير من أهل البصائر والتنوير ، وجاءني الداعي الإلهي بقراءته فاشتغلت به على حسب عجزى ووضعت عليه كتابة مخصصة من حاشية شيخنا العلامة المحقق المدقق الورع الشيخ «سليمان الجمل» مع زوائد وفوائد فتح بها مولانا من نور كتابه ، ولأنما اقتصرنا على تاختيص تلك الحاشية لسكوني وجدتها مخصصة من جميع كتب التفسير التي بأيدينا تنسب لنحو عشرين كتابا : منها البيضاوي وحواشيه وحواشي هذا الكتاب . ومنها الحزن والخطيب والسمين وأبو السعود والكواشي والبحر والزهرة والساقية والقرطبي والكشاف وابن عطية والتجوير والاتقان ، ولم أنسب العبارات لأصحابها غالبا اكتفاء بنسبة الأصل ، والله على ما أقول وكيل وهو حسبي وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وقد تلقيت هذا الكتاب من أوله إلى آخره مرتين عن العلامة الصوفي سيدي الشيخ سليمان الجمل وعن الامام أبي البركات العارف بالله تعالى أستاذنا الشيخ أحمد الدردير وعن أستاذنا العلامة الشيخ الأمير ، وكل من هؤلاء الأئمة تلقاه عن تاج العارفين شمس الدين سيدي محمد بن سالم الحفناوي ، وعن الامام أبي الحسن سيدي الشيخ علي الصعيدي العدوي ، والشيخ الحفناوي تلقاه عن العلامة سيدي محمد بن محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميث ، وهو عن نور الدين سيدي علي الشبرايملي ، وهو عن الشيخ الحجابي صاحب السيرة ، وهو عن خاتمة المحققين سيدي علي لأجهوري ، وهو عن البرهان العلقمي ، وهو عن أخيه شمس الدين محمد العلقمي ، عن الجلال عبد الرحمن السيوطي . وأما سندنا للجلال الحلي فهو بعينه إلى الامام الحجابي ، وهو عن الامام الزيادي عن الشيخ الرملي ، وهو عن شيخ الاسلام زكريا الأنصاري عن الجلال محمد بن أحمد الحلي ، رضى الله عنهم ونفعنا بهم . ولد السيوطي سنة ثمانمائة وتسع وأربعين وتوفي سنة تسعمائة وثلاث عشرة ، فعاش أربعين وستين .

مقدمة

يلبغى لكل شارح في فن أن يعرف مبادئ العشرة ليكون على بصيرة فيه ، وهي : حده وموضوعه ووضعه واستمداده وسمه وحكمه ومسائله ونسبته وفائده وغايته ، فحد هذا الفن علم بأصول يعرف بها معاني كلام الله على حسب الطاقة البشرية ، وأما معناه لغة فمأخوذ من الفسر وهو الكشف ، وموضوعه آيات القرآن من حيث فهم معانيها ، ووضعه الراسخون في العلم . من عهد النبي إلى هنا على التحقيق كما شهد الله بذلك ، واستمداده من الكتاب والسنة والآثار والفصحاء من العرب العرباء ، واسمه : علم التفسير ، وحكمه : الوجوب الكفائي ، ومسائله : قضاياها من حيث الأمر والنهي والموعظة إلى غير ذلك ، ونسبته : أنه أفضل العلوم الشرعية وأصلها ، وفائده المعرفة بمعاني كلام الله على الوجه الأكمل ، وغايته : الفوز بسعادة الدارين أما الدنيا فبامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وأما الآخرة فبالجنة ونعيمها ولذلك يقال له اقرأ وارق .

واعلم أن القرآن نزل ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا في مكان يقال له بيت العزة على هذا الترتيب الذي نقرؤه فانه نورة في ، ثم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع لقوله تعالى - ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحد ن تفسيراً - لكن لأعلى هذا الترتيب فانه نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة أي قبل الهجرة ، وبالمدينة

أحدى ، فالتون على التحقيق ، فأول ما نزل بمكة اقرأ . وآخر ما نزل بها قيل الفسكوت وقيل المؤمنون وقيل ويل للطففين
وأول سورة نزلت بالمدينة البقرة وآخر سورة نزلت بها المائدة وهناك بعض سور اختلف فيها منها الفاتحة ويمكن تكرار
نزولها . وأما أول آية نزلت على الإطلاق فاقرا باسم ربك وآخرة على الإطلاق . واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله .
وأعلم أيضا أن القرآن ينقسم إلى أربعة أقسام : قسم فيه الناسخ والنسخ وهو خمسة وعشرون سورة ، وقسم فيه المنسوخ
فقط وهو أربعون سورة ، وقسم فيه الناسخ فقط وهو ست سور ، وقسم لا ناسخ فيه ولا منسوخ وهو ثلاث وأربعون سورة
وأغلبها من الربع الأخير ، وعدة حروف القرآن ألف ألف وخمسة وعشرون ألفا ودرج الجنة على قدر ذلك وبين الدرجتين
خمسمائة عام ، وعدة آياته ستة آلاف وستة وستون ، ونصفه بحسب الآيات قوله تعالى في سورة الشعراء - فألقى موسى
عصاه فإذا هي ناقص ما يافكون - ، ونصفه بحسب الحروف قوله تعالى - لقد جئت شيئا نكرا - فالتون من النصف الأول
والكاف من الثاني ، ونصفه بحسب السور الجديد والمجادلة من النصف الثاني ، وعدة كلماته سبعة وسبعون ألفا وأربع مائة
وخمسون كلمة وكل كلمة لها أربعة علوم : علم بحسب ظاهرها وعلم بحسب باطنها وعلم بحسب حداثتها وعلم بحسب مقطعها ، وإن
نظرت إلى تناسبها مع ما قبلها وما بعدها زادت كثيرا ، وترتيب السور هكذا توقيفي . وأما وضع أسمائها في المصاحف وتقسيمها إلى
أعشار وأرباع وثلاث وأجزاء وأحزاب فمن الحجاج الثقف بأخذ عن الصحابة في وضع أسماء السور وباجتهاد منه في تقسيمه
إلى ما ذكر ولذلك تجد ابتداء الربع وسط قصة (قوله الحمد لله الخ) اقتتح رحمه الله كتابه بهذه الصيغة لأنها أفضل الحمد
كما ورد وهي مقبسة من قوله صلى الله عليه وسلم « الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده » وقد غير المصنف الحديث
بعض تغيير وهو مقتصر في الاقتباس (قوله موافيا لنعمه) أى مقابلا لها بحيث يكون بقدرها فلا تقع نعمة لإمالة بهذا الحمد
وهذا على سبيل المبالغة بحسب ما ترجمه والإسكل نعمة تحتاج لحمد مستقل (٣) (قوله مكافئا لمزيده) أى مماثلا

ومساويا له والمزيد مصدر
ميمى من زاده الله النعم
والزيادة النمو وبابه باع
ويستعمل متعديا ولازما
يقال زاده الله خيرا وزاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدا موافيا لنعمه مكافئا لمزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وآله وصحبه
وجنوده . هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم ،

الشيء ، والمعنى أنه ترجى أن يكون الحمد الذى أتى به موفيا بحق النعم الحاصلة بالفعل وما يزيد منها في المستقبل (قوله على محمد)
في نسخة على سيدنا محمد وعليها فعطف وآله وما بعده على سيدنا لاعلى محمد لما يلزم عليه من إبدال محمد وماعطف عليه
من السيد وهو في نفس الأمر محمد فقط (قوله وجنوده) جمع جند اسم جنس جمى يفرق بينه وبين واحده بالاء على خلاف
الغالب فالياء في المفرد ، والمراد بجنوده كل من يعين على الدين بالقتال في سبيل الله أو بتقرير العلم وضبطه أو بتعمير المساجد
أو بغير ذلك من عصره صلى الله عليه وسلم إلى آخر الزمان (قوله هذا) هي بمنزلة أما بعد وبمنزلة أيضا في أن كلا منهما اقتضاب
مشوب بتخلص لأن الكلام الثانى وهو المقود مقتطع عن الكلام الأول الذى هو الخطبة لكن فيه نوع مناسبة من حيث
إن سبب التأليف والمقصود أمر ذوبال وقد ندب الشارع للابتداء فيه بالبسملة والمجدة والصلاة على النبي فحصلت المناسبة
ولكنها ليست كناية وآثرها على أما بعد وإن كانت الإرادة لاختصارها واسم الإشارة عائد إما على المعانى أو الألفاظ أو النقول
أو المعانى والألفاظ أو النقول والمعانى أو الألفاظ أو الثلاثة احتمالات سبعة المختار منها عوده على المعانى المستحضرة ذهبا
سواء قلنا إن الخطبة مقدمة على التأليف أو متأخرة وفي الكلام استعارة نصريحية أصلية حيث شبه المعقول بالمحسوس واستعار
اسم المشبه به وهو اسم الإشارة للشبه (قوله ما اشتدت) ماواقعة على المعنى الدهنية كما هو المختار من الاحتمالات المقدمة وعبر
باشتدت نون دعت إشارة إلى أن حاجتهم بلغت حد الضرورة لمزيد احتياجهم إلى هذه التكملة وذلك أن تفسير النصف الثانى
قد احتوى على المعنى العزيز وانطوى على اللفظ الوجيز فلم ينسج أحد على منواله (قوله الراغبين) أى المهيين وشريدين
لتكميل هذا الكتاب بالتأليف وتستعمل الرغبة متعدية بنفسها وبني في المحبة والميل ومتعدية بعن للزهد في شيء والكراهية
له (قوله تفسير القرآن) المراد منه ما يعمد إلى أول ، والفرق بينهما أن التفسير هو التوضيح للكلام الله أو رسوله أو آثاره والقواعد
الأدبية العقلية . وأما التأويل فهو أن يكون السلام محتملا لمعان فتقصره على بعضها كما في - ويبقى وجه ربك - والقرآن

في اللغة مأخوذ من القرء وهو الجمع وفي الاصطلاح اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم التعبد بجلالته ووصفه بالكريم لأن نفعه كس قاصرا بل عم الخلق جميعا في الدنيا والآخرة . واعلم أن المدرسين وان تباينت مراتبهم في العلم ثلاثة أصناف : الأول من إذا درس آية قصر على ما فيها من المنقول وأقوال المفسرين وأسباب النزول والناسبة وأوجه الإعراب ومعاني الحروف . والثاني من يأخذ في وجوه الاستنباط منها ويستعمل فكره بمقدار ما آناه الله من الفهم ولا يشتغل بأقوال السابقين اعتمادا على كونها موجودة في بطون الأوراق لا معنى لذكرها . والثالث من يرى الجمع بين الأمرين والتحلي بالوصفين ولا يخفى أنه أرفع الأصناف ومن هذا الصنف الجلال المحلى والجلال السيوطى رضى الله عنهما وعناهما (قوله الذى ألفه) صفة للتفسير محصنة له (قوله الامام) هو أئمة المقدم واصطلاحا من بلغ رتبة أهل الفضل (قوله العلامة) مبالغة في العلم ومعناه الجامع بين المعقول والمنقول بأفع وجه (قوله الحق) أى الآتى بأدلة على الوجه الحق (قوله جلال الدين) لقب له ومعناه ذوجلاله في الدين أو مجلته ومعظم له لأنه شيدته وأظهر قواعده (قوله محمد) هو اسم وقوله ابن أحمد هو اسم أبيه (قوله المحلى) بفتح الحاء نسبة للحلة الكبرى مدينة من مدن مصر مشهورة ، ولد سنة سبع مائة وإحدى وتسعين وتوفى سنة ثمان مائة وأربعة وستين فعمره ثلاث وسبعون وقبره قبالة باب النصر مشهور (قوله الشافعى) نسبة للإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس (قوله وتقيم) بالرفع عطف على ما فى قوله ما اشتمت عليه حاجة الراغبين أو بالجر عطف على قوله في تكملة تفسير القرآن وذكره وإن علم بمقابله توطئة للأوصاف التى ذكرها بقوله على نمطه الخ وفى التعبير بالتتميم تسمح من حيث إن ما أتى به السيوطى تقيم لما أتى به المحلى لا لمافاته إذ الذى فاته هو نفس ما أتى به السيوطى وقوله وهو من أول الخ الضمير راجع لمافاته أول التتميم لما علمت أن مافاته والتتميم مصدوقهما واحد وهو تفسير السيوطى وقوله من أول (٤) سورة البقرة الخ أى وأما الفاتحة ففسرها المحلى فجعلها السيوطى فى آخر تفسير المحلى لتكون منضمة لتفسيره وابتدأ هو من أول البقرة (قوله بتممة) متعلق بتتميم والباء بمعنى مع أى هذا التتميم الذى أتى به السيوطى تفسيراً للأنصف الأول مصاحب

لتممة والمراد بها ما ذكره بعد فراغه من سورة الاسراء بقوله

الذى ألفه الإمام العلامة الحق جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى رحمه الله ، وتقيم مافاته ، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء بتممة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى ، والاعتماد على أرجح الأقوال ، وإعراب ما يحتاج إليه وتنبية على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف ، وتعبير وجيز ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية ، وأعاريب محلها كتب العربية ، والله أسأل النفع به في الدنيا ، وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمنه وكرمه .

سورة

لتممة والمراد بها ما ذكره بعد فراغه من سورة الاسراء بقوله

هذا آخر ما كتبت به تفسير القرآن الكريم الخ (قوله على نمطه) حال من التتميم أى حال كون هذا التتميم كأننا على نمط تفسير المحلى أى طريقته وأسلوبه (قوله من ذكر ما يفهم الخ) بيان للنمط (قوله والاعتماد) بالجر عطف على ذكر رأى والاقتران على أرجح الأقوال وكذا قوله وإعراب وتنبية الخ (قوله وتنبية الخ) نكر هذا المصدر دون ما قبله إشارة إلى قلة التنبية المذكور وأنه لم ينبه على جميع القراءات المختلفة (قوله المختلفة) أى المتنوعة وتذوعها من سبعة أوجه لأنه إما من حيث الشكل فقط كالبلخل والخل قرئ بهما والمعنى واحد وإما حيث المعنى فقط نحو - فتلقى آدم من ربه كلمات - برفع آدم ونصب كلمات وعكسه قرئ بهما أيضا . وإما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف واحدة نحو تباوكل نفس وتباو قرئ بهما وصورة الباء والتاء رحدة بقطع النظر عن النقط ، وإما أن يكون الاختلاف في صورة الحرف لاقى المعنى كسراط وصرط ، وإما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف نحو فاسجوا وافسجوا قرئ بهما ، وإما من حيث الزيادة والنقص كأوصى ووصى ، وإما من حيث التقديم والتأخير كيقولون ويقتلون بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول وبالعكس (قوله على وجه لطيف) متعلق بالمصادر الأربعة قبله ، والمراد باللطيف هنا القصير فعطف قوله وتعبير وجيز للتفسير (قوله وترك التطويل) معطوف على وجه لطيف وهو تصريح بما علم من قوله وتعبير وجيز إذ يلزم من كونه وجيزا أن لا يكون طويلا (قوله بذكر أقوال) متعلق بتطويل وقوله غير مرضية أى عند المفسرين وقوله وأعاريب معطوف على أقوال (قوله والله أسأل النفع به) أى بالتتميم المذكور (قوله بمنه وكرمه) الباء فيه للتوسل أى أتوسل إليه بصفتيه العظيمتين وهما منه الذى هو تفضله على عباده بالعطايا وكرمه الذى هو إصال فضله للبار والفاجر .

(قوله سورة البقرة الح) مبتدأ ومدينة خبر أول ومائتان الح خبر ثان و يؤخذ من هذا أن نسميتها بما ذكر غير مكروه خلافاً لمن قال بذلك وادعى أنه إنما يقل السورة التي تذكر فيها البقرة وأسماء السور توقيفية وكذا ترتيبها على التحقيق كاتقدم والسورة مأخوذة من سور البلد لارتفاع رتبها وإحاطتها وهي طائفة من القرآن لها أول وآخر وترجمة باسم خاص بها بتوقيف كما سبق . والراجح أن المكي منازل قبل الهجرة ولو في غير مكة والمدني منازل بعد الهجرة ولو في غير المدينة (قوله وثمانون آية) قيل أصلها آية قلبت عنها ألفاً على غير قياس وهي في الدرف طائفة من كلمات القرآن متميزة بفصل وقد تكون كلمة مثل والفجر والضحي والعصر وكذا المّ وطه ويس ونحوها عند الكوفيين وغيرهم لا يسميها آيات بل يقول هي فواتح السور وعن أبي عمرو الداني لأعلم كلمة هي وحدها آية لإقوله تعالى - مدهامتان - . [فائدة] قال ابن العربي سورة البقرة فيها ألف أمر وألف نهى وألف حكم وألف خبر أخذها بركة وتركها حسرة لا تستطيعها البطلة وهم السحرة إذا قرئت في بيت لم تدخله مردة الشياطين ثلاثة أيام اه وروى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» وعنه في رواية «لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة» وفي رواية «سيدة آي القرآن آية الكرسي» [قائدة أخرى] في الكلام على الاستعاذة ولنظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند مالك وأبي حنيفة والشافعي لقوله تعالى - فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم - وقال أحمد : الأولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وآية فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم . وقال الثوري والأوزاعي الأولى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم ، فاتفق الجمهور على أنه يستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ . وحكى عن عطاء وجوبها . وقال ابن سيرين إذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفي في إسقاط الوجوب ، ووقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور وحكى عن النخعي أنه بعد القراءة وهو قول داود وأحد الروایتين عن ابن سيرين (٥) ومعنى أعوذ بالله ألتجئ إليه واتحصن به مما أخشاه

والشيطان أصله من شطن أي بعد عن الرحمة وقيل من شاط بمعنى احترق

سورة البقرة مدنية مائتان وست أو سبع وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المّ) الله أعلم بمراده بذلك ،

وهو اسم لكل عات من الجن والانس والرحيم فعيل بمعنى فاعل أي راجع بالسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالشبه عند استراق السمع أو بالعذاب أو مطرود عن الرحمة والخبرات فحكمة الاستعاذة تطهير القلب من كل شيء يشغل عن الله تعالى فان في تعوذ العبد بالله إقراراً بالعجز والضعف واعترافاً بقدرته الباري وأنه الغني القادر على دفع المضرات وأن الشيطان عدو مبين وقد دخل منه في الحصن الحصين (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) اختاف الأئمة في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى سورة براءة وقال به جماعة من الصحابة وذهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة وزاد أبو داود ولا من غيرها من السور وإنما هي بعض آية في سورة النمل وإنما كتبت للفصل والتبرك . قال مالك ويكره استفتاح صلاة الفرض بها واختلفت الرواية عن أحمد في كونها من الفاتحة أولاً والأحسن أن يقدر متعلق الجار هنا قولوا لأن هذا المقام مقام تعليم صادر عن حضرة الرب تعالى (قوله المّ) اعلم أن مجموع الأحرف المنزل في أوائل السور أربعة عشر حرفاً وهي نصف حروف الهجاء وقد تفرقت في تسع وعشرين سورة المبدوء بالألف واللام منها ثلاثة عشر وبالحاء والميم سبعة وبالطاء أربعة وبالياء واحدة وبالصاد واحدة وبالقاف واحدة وبالنون واحدة وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادى وبعضها ثنائى وبعضها ثلاثى وبعضها رباعى وبعضها خماسى ولا تزيد (قوله الله أعلم بمراده بذلك) أشار بهذا إلى أرجح الأقوال في هذه الأحرف التي ابتدأ بها تلك السور وهو أنها من المتشابه جرياً على مذهب السلف القائلين باختصاص الله تعالى بعلم المراد منه وعلى هذا فلا محل لها من الاعراب لأنه فرع إدراك المعنى فلا يحكم عليها بأعراب ولا بناء ولا تركيب مع عامل ومقابل هذا أقوال قيل إنها أسماء للسور التي ابتدئت بها ، وقيل أسماء للقرآن ، وقيل لله تعالى ، وقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء تعالى : أي جزء من اسم فالألف مفتاح لفظ الجلالة واللام مفتاح اسم لطيف والميم مفتاح اسم مجيد وهكذا ، وقيل كل حرف منها يشير إلى نعمة من نعم الله ، وقيل إلى ملك ، وقيل إلى نبي ، وقيل الألف تشير إلى آلاء الله واللام إلى لطف الله والميم إلى ملك الله وعلى هذه الأقوال فلها

عمل من الاعراب فقيل الرفع وقيل النصب وقيل الجر فالرفع على أحد وجهين إما بكونها مبتدأ وإما بكونها خبراً والنصب على أحد وجهين أيضاً إما باضمار فعل لائق تقديره اقرؤا مثلاً وإما باسقاط حرف القسم كقول الشاعر :

إذا ما الحيز تأدبه بلحم فذاك أمانة لله التريد يريد وأمانة الله والجر بوجه واحد وهو أنها مقسم بها حذف حرف القسم وبقى عمله أجاز ذلك الزحشرى وإن كان ضعيفاً لأن ذلك من خصائص الجلالة العظيمة لا يشاركها فيه غيرها (قوله ذلك) اسم الإشارة مبتدأ واللام للبعد والكاف حرف خطاب والكتاب نعت لاسم الإشارة أو عطف بيان وجملة لا ريب فيه خبر كما قال المفسر (قوله أى هذا) أشار بذلك إلى أن حق الإشارة أن يؤتى بها للقريب وسيأتى الجواب عنه (قوله الكتاب) بمعنى المكتوب وهو القرآن . إن قلت إن القرآن قريب فلا يشار له بإشارة البعيد . أجاب المفسر بقوله والإشارة به للتعظيم أى فالقرآن وإن كان قريباً منا إلا أنه مرفوع الرتبة وعظيم القدر من حيث إنه منزّه عن كلام الحوادث وذلك كمناداة المولى سبحانه وتعالى يا اقبى نادى بها البعيد مع كونه أقرب إلينا من جبل الوريد لكونه سبحانه منزهاً عن صفات الحوادث فنزل تنزهه عن الحوادث منزلة بعدنا عنه والكتاب فى الأصل مصدر يطلق بمعنى الجمع (قوله الذى يقرؤه محمد) أى وهو القرآن احتراز بذلك عن باقى الكتب السماوية (قوله لاشك) هذا أحد معان ثلاثة والثانى التهمة والثالث القلق والاضطراب وكلها منزّه عنها القرآن لخروجه عن طاقة البشر قال تعالى - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله - الآية . إن قلت إن قوله تعالى لا ريب فيه خبر وهو لا يتخاف مع أن بعض الكفار ارتاب فيه حيث قالوا سحر وكهانة وأساطير الأولين إلى غير ذلك . أجيب بأجوبة أحسنها أن قوله لا ريب فيه أى لمن أذعن وأقام البرهان وتأمل فلا ريب فيه للعارفين المنصفين وأما من عاند فلا يعتد به إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل ومنها أن معنى قوله لا ريب فيه أى لا يبنى أن يرتاب فيه لقيام الأدلة الواضحة على كونه من عند الله ومنها (٦) أن المعنى لا ريب فيه أى للمؤمنين وأما الكافرون فلا يعتد بهم فالجواب الأول

عام فمن تأمل لا يحصل له ريب مسلماً أو كافراً وجعده بعد ذلك عناد والجواب الثانى أنه نفي بمعنى التهنى والثالث خاص

(ذَلِكَ) أى هذا (الْكِتَابُ) الذى يقرؤه محمد (لَا رَيْبَ) شك (فيه) أنه من عند الله وجملة النفى خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به للتعظيم (هُدًى) خبر ثان أى هاد (لِلْمُتَّقِينَ) الصائرين إلى التقوى بامثال الأوامر واجتناب النواهي لا تقايمهم بذلك النار (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ) يصدقون

بالسلم (قوله أنه من عند الله) بفتح الهمزة بدل من الضمير فى قوله فيه ويدل عليه قوله تعالى فى الآية (بالغيب)

الأخرى - لا ريب فيه من رب العالمين - (قوله والإشارة به للتعظيم) تقدم أن هذا جواب عن سؤال مقدر . إن قلت إنه لا يشار إلا للحمسوس والقرآن الفاظ تنقضى بمجرد النطق بها . أجيب بأنه نزل المعقول منزلة المحسوس أو الإشارة لما فى المصاحف أو الواح المحفوظ (قوله هدى) أى رشاد وبيان وهو مصدر إما بمعنى اسم الفاعل وهو الذى اقتصر عليه المفسر أى مرشد ومبين والاسناد له مجاز عطف من الاسناد للسبب أو ذو هدى أو بولغ فيه حق جعل نفس الهدى على حد زيد عدل (قوله للمتقين) إن قلت إن القرآن هدى بمعنى مبين طريق الحق من الباطل للناس مؤمنهم وكافرهم فلم خص المتقين . أجيب بأنه خصهم بالذكر لكونهم اتفقوا بثمرته عاجلاً وآجلاً وهذا إن أريد به البيان حصل وصول للقصود أم لا وأما إن أريد به الوصول للقصود فالتخصيص ظاهر وأصل متقين متقين استثقات الكسرة على الباء الأولى لحذف فالتقى ساكتان حذفت الباء لالتقاء الساكنين (قوله الصائرين للتقوى) أشار بذلك إلى أن فى الكلام مجاز الأول أى المتقين فى علم الله أو من يؤول إلى كونهم متقين فهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أنهم إذا كانوا متقين فهم مهتدون فلا حاجة له (قوله بامثال الأوامر) يصح أن تكون الباء سببية أو للتصوير وقوله واجتناب النواهي عطف عليه والمعنى أن امتثال الأوامر على حسب الطاقة واجتناب النواهي جميعاً يجب للتقوى أو هى مصورة بذلك (قوله لا تقايمهم) علة لتسميتهم متقين وقوله بذلك أى المذكور وهو امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وهذا إشارة إلى تقوى الخواص وتحتها تقوى العوام وهى تقوى الشرك وفوقها تقوى خواص الخواص وهى تقوى ما يشغل عن الله ، قال العارف :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى يوماً حكمت بردتى

والآية فى حد ذاتها شاملة للتراتب الثلاث (قوله الذين يؤمنون) هذا تفصيل لبعض صفات المتقين وخصها لأمها أعلى الأوصاف وهو فى محل جر صفة للمتقين أو رفع خبر المحذوف أو نصب مفعول للمحذوف ويصح أن يكون مستأنفاً مبتدأ خبر.

لعله أولئك على هدى وطى هذا فالوقف على المتقين ثم لعدم ارتباطه بما بعده على الاعراب الأول فهو حسن لأنه رأس آية وإن كان له ارتباط بما بعده (قوله بما غاب) أشار بذلك إلى إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل وما غاب عنا قسبان ما دل عليه دليل عقلى أو سمعى كالجنة والنار والملائكة والعرش والكرسى واللوحي والقلم والمولى سبحانه وتعالى وصفاته وما لم يدل عليه دليل بالساعة ووقت نزول المطر وما فى الأرحام وباقي الخمسة المذكورة فى الآية وأما الشهادة فهى ما ظهر لنا حسا أو عقلا ببدهة العقل كالأول نصف الاثنين وأن الجرم متحيز (قوله من البعث الخ) بيان لما وقوله والجنة والنار عطف عليه أى ونحو ذلك مما لم لنا الدليل عليه ويحتمل أن يبقى الغيب على مصدريته والباء متعلقة بمحذوف حال أى إيماننا ملتبسا بحالة النية فيها بيان لحال المؤمنين الخالصين وتعريض لحال المنافقين فانهم كانوا يؤمنون ظاهرا فقط فمدح الله من يؤمن فى حال غيبته عن كل أحد كما يؤمن ظاهرا ويحتمل أن المراد بالغيب القلب سمى بذلك لحفائه أى يؤمنون بحالة السر وهو الإيمان القلبى فالمصدر باق على حاله وفيه رد على المنافقين أيضا حيث قالوا بالسقمتهم ما ليس فى قلوبهم (قوله وقيمون الصلاة) إما مأخوذة من الصلاة اللغوية بمعنى الدعاء لأنها مشتملة عليه فى الركوع والسجود وعليه فأصلها صلوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وقيل من الوصلة لأنها صلة بين العبد وبين ربه وعليه فأصلها وصلة قلبت قلبا مكانيا فصارت صلوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وقوله يقيمون من قومت العود عدلته (قوله أى يأتون بها بحقوقها) أى الظاهرية كالشروط والآداب والأركان والباطنية كالخشوع والخضوع والاخلاص (قوله وما رزقناهم) فيه حذف نون من التبعية لفظا وخطا لادغامها فى ما الموصولة ورزقناهم صلة للموصول ونا فاعل والماء مفعول أول وحذف المفعول الثانى فيصح (٧) تقديره متصلا أى رزقناهموه

أو منفصلا أى رزقناهم إياه على حد قول ابن مالك : وصل أو فصل هاء سلتيه (قوله أعطيناهم) أشار بذلك إلى أن الرزق معناه الملك وليس المراد به الرزق الحقيقى إذ لا يتأتى تعديده

(بِالْغَيْبِ) بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) أى يأتون بها بحقوقها (وَمَا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) أى القرآن (وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) أى التوراة والإنجيل وغيرها (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يملكون (أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر (عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون بالجنة الناجون من النار (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) كأتى جهل وأبى لهب ،

أغيره وقدم الجار والمجرور للاهتمام (قوله ينفقون) أى إنفاقا واجبا كالزكاة والنفقة على الوالدين والعيال أو مندوبا كالتوسعة على العيال وهواصاة الأقارب والفقراء (قوله فى طاعة الله) فى تعاليمه أى من أجل طاعة الله لارياح ولا سمعة قال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله - (قوله والذين يؤمنون) معطوف على الموصول الأول وهونوع آخر للثنتين فانها نزلت فيمن كان آمن بعيسى وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وعمار بن ياسر وسلمان والنجاشى وغيرهم . وأما النوع الأول فهم مشركو العرب الذين لم يرسل لهم غيره صلى الله عليه وسلم فنزلت فيهم الآية الأولى (قوله بما أنزل إليك) نزل المستقبل منزلة الماضى لتحقيق الوقوع لأنه لم يكن تم نزوله (قوله وما أنزل من قبلك) أى فلم يفرقوا بين الأنبياء بحيث يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض (قوله وبالآخرة هم يوقنون) قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر واتى بالجملة اسمية لأنه أعلى من الاتفاق (قوله يعلمون) أى علما لاشك فيه ولا ريب ولذا انصف مولانا بالعلم ولم يتصف باليقين وفيه رد على من أنكر الآخرة ممن لم يؤمن بمحمد (قوله أولئك الموصوفون بما ذكر) إن قلنا إن قوله الذين يؤمنون الخ وصف للثنتين كان ما هنا مبتدأ وخبرنا بيان لعاقبة اللتين وإن قلنا إنه مستأنف مبتدأ كان ما هنا خبره (قوله على هدى) عبر على إشارة إلى إمكانهم من الهدى كتمكن الراكب من المركوب (قوله الناجون من النار) أى ابتداء وانتهاء وعطف لثنتين إشارة إلى تأثيرهما وأن كلا غاية فى الشرف وأن الثانية مسببة عن الأولى (قوله إن الذين كفروا) جرت عادة الله سبحانه وتعالى فى كتابه أنه إذا ذكر بشرى المؤمنين يذكر بصدقها وعيد الكافرين فذكر حال الكافرين ظاهرا وباطنا ثم ذكر حال الكافرين باطنا وهم المنافقون وأنهم أسوأ حالا من الكافرين ظاهرا وباطنا وإن حرف تأكيد ونصب والذين كفروا اسمها وجملة لا يؤمنون خبرها وجملة - سواء عليهم ما أذنتهم أم لم تنذرهم - معترضة بين اسم إن وخبرها وإعرابها أن تقول على المشهور سواء اسم مصدر مبتدأ بمعنى مستو وسوق الابتداء به تعلق الجار والمجرور به وهما نذرهم أم لم تنذرهم مؤول بمفرد خبر تقديره مستو عليهم

إلذارك وعدمه وهو فعل مسبوكة بلاسبك . إن قلت إن خبر المبتدا إذا وقع جملة لا بد له من رابط . أجب بأن الخبر عين البشعا في المعنى وهو يكفى في الرابط . وأجب أيضا بأن محل الاحتياج للرابط مالم يؤول الخبر بمفرد وإلا فلا يحتاج للرابط وقولهم لا بد للفعل من سائب أغلبي ويصح العكس وهو أن الجملة مبتدأ مؤخر وسواء خبر مقدم (قوله ونحوها) أى من كفار مكة الذين سبق علم الله بعدم إيمانهم والحكمة في إخبار الله نبيه بذلك ليرى قلبه من تعلقه بإيمانهم فلا يشتغل بهدايتهم ولا تأليفهم ويحتمل أن ذلك إعلام من الله لنبيه بمن كفر من أول الزمان إلى آخره لأنه أطلع على النار وعلى من أعد لها من الكفار والحكمة في عدم الدعاء منه عليهم مع علمه بأنه يستحيل إيمانهم أنه يرجو الإيمان من ذريتهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع مدة بينهما مدتا طبيعيا وتركه فهما قراءتان وقوله وإبدال الثانية ألفا : أى مدأ لازما وقدره ست حركات وقوله وتسهيلها : أى بأن تكون بين الهمزة والهاء وقوله وإدخال ألف الواو بمعنى مع فاصله أن القراءات خمس قراءتان مع التحقيق وقراءتان مع التسهيل وقراءة مع الإبدال وكلها سبعية على التحقيق خلافا للبيضاوى حيث قال إن قراءة الإبدال لحن لوجهين الأول أن الهمزة المتحركة لا تبدل ألفا والثانى أن فيه التقاء الساكنين على غير حده ، وردت عليه ملا على قارى بأن القراءة متواترة عن رسول الله ومن أنكرها كفر فيستدل بها لاهها ، وأما قوله إن الهمزة المتحركة لا تبدل ألفا محله في القياس ، وأما السماعى فلا لحن فيه لأنه يقتصر فيه على السماع . وقوله فيه التقاء الساكنين على غير حده نقول منه طول المد والسماع ، وأما قولهم كل ما فوق وجه النحو الخ محله في قراءة الأحاد لا في المتواترة وإلا فالتواتر نفسه حجة على غيره لا يحتج له (قوله إعلام مع تخويف) أى في وقت يسع التحرز من الأمر الخوف وإلا فيسمى (٨) إخبارا بالعذاب (قوله ختم الله على قلوبهم) هذا وما بعده كالعلة والدليل لما قبله

ونحوها (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَلَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في إيمانهم والإنذار إعلام مع تخويف (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) أى مواضعه فلا ينفثون بما يسمعون من الحق (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) غطاء فلا يبصرون الحق (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قوى دائم . ونزل في المنافقين (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

وإنراد بالقلوب العقول وهي اللطيفة الربانية القائمة بالشكل الصنوبرى قيام العرض بالجواهر أو قيام حرارة النار بالفهم (قوله طبع عليها) هذا إشارة إلى المعنى الأصلي فأطلقه وأراد لازمه وهو عدم

تغيير ما في قلوبهم بدليل قوله فلا يدخلها خير وفي القلوب استعارة بالسكنية حيث شبه قلوب الكفار بمحل فيه شيء محتوم عليه وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الختم فإثباته تخييل (قوله أى مواضعه) إنما قدر ذلك المضاف لأن السمع معنى من المعاني لا يصح إسناد الختم لها وأفرده إمالأته مصدر لا يثنى ولا يجمع أولكون السمع واحدا وتم الوقف على قوله وعلى سمعهم ، وقوله وعلى أبصارهم خبر مقدم وغشاة مبتدأ مؤخر جملة مستأنفة نظير قوله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هوا - الآية والراد من الغشاة عدم وصول النور المعنوى لهم فأطلق اللازم وأراد اللزوم وخص الثلاثة لأنها طرق العلم بالله (قوله ولهم عذاب عظيم) العذاب هو إيصال الآلام للحيوان على وجه الموان (قوله قوى دائم) إنما فسره بذلك لأن الأصل في العظم أن يكون وصفا للأجسام فذلك حول العبارة (قوله ونزل في المنافقين) أى في أحوالهم وهوانهم واستهزاء الله بهم وضرب الأمثال فيهم وعاقبة أمرهم وجملة ذلك ثلاث عشرة آية آخرها إن الله على كل شيء قدير ، وأخبرهم عن المؤمنين والكافرين ظاهرا وباطنا إشارة إلى أنهم أسوأ حالا من الكفار (قوله ومن الناس من يقول) يحتمل أن الجار والمجرور خبر مقدم ومن اسم موصول أو نسكرة موصوفة مبتدأ مؤخر وجملة يقول إمالة أوصفة ، والمعنى الذى يقول أو فريق يقول ماذكر كائن من الناس ورد ذلك بأنه لا فائدة في ذلك الإخبار ، والحق أن يقال إن من اسم بمعنى بعض مبتدأ وجر بها لأنها على صورة الحرف أو صفة المحذوف مبتدأ تقديره فريق من الناس وخبره قوله من يقول الخ وعهد جعل الظرف مبتدأ حيث كان تمام الفائدة بما بعده كقوله تعالى - ومنا دون ذلك - وقوله تعالى - ومنهم الذين يؤذون النبي - وأصل ناس أناس أتى بأل بدل الهمزة مشتق من التانس لتانس بعضهم ببعض ونسمة الانس به حقيقة والجن به مجاز ، وقيل مشتق من ناس إذا تحرك وعليه قسمية الجن به حقيقة أيضا والحق الأول ، ولذا قيل لم يوجد منافق أو مشرك إلا في نبي آدم فقط وكفر الجن غير الأشراك

والنفاق ، وهو جمع إنسان أو إنسى ، والراد من المنافقين هنا بعض سكان البوادي وبعض أهل المدينة في زمنه صلى الله عليه وسلم وخبر ما نشرته بالوارد ، قال تعالى - وعن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة - الآية (قوله) (باليوم الآخر) أعل الجار لافادة تأكيد دعواهم الايمان بكل ما جاء به رسول الله فرد عليهم اللولى بأبلغ رد بقوله - وما هم بمؤمنين - حيث أتى بالجملة اسمية وزاد الجار في الخبر (قوله) (لأنه آخر الأيام) علة لتسميته اليوم الآخر والمراد بالأيام الأوقات وهل المراد الأوقات المحدودة وهو بناء على أن أوله النفخة وآخره الاستقرار في الدارين أو الأوقات غير المحدودة بناء على أنه لانهاية له (قوله) (وما هم بمؤمنين) جملة اسمية تفيد الدوام والاستمرار : أى لم يتصفوا بالايمان في حال من الأحوال لافى الماضى ولا فى الحال ولا فى المستقبل (قوله) (يخادعون الله) هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره ما الحامل لهم على إظهار الايمان وإخفاء الكفر وحقيقة الخادعة أن يظهر لصاحبه أنه موافق ومساعد له على مراده والواقع أنه ساع فى إبطال مراده فإظهار خلاف ما يبطن إن كان فى الدين سعى نفاقا وخديعة ومكرا وإن كان فى الدنيا بأن يصانع أهل الدنيا لأجل حماية الدين ووقايته يسمى مداراة وهى ممدوحة (قوله) (من الكفر) بيان لما أبطنوه وقوله ليدفعوا علة للاظهار (قوله) (أحكامه) أى الكفر وقوله الدينوية : أى السكائنة فى الدنيا وذلك كالقتل والسبي والجزية والذل ولو قصدوا دفع أحكامه الأخروية من إخلاد فى النار وغضب الجبار لأخلصوا فى إيمانهم (قوله) (لأن وبال خداعهم) أى عذابه وعاقبة أمره (قوله) (راجع إليهم) قال تعالى - ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله - (قوله) (فيفتضحون) تفريع على قوله لأن وبال خداعهم الخ (قوله) (باطلاع الله نبيه) أى وأمره (٩) باخراجهم من المسجد ونزل فيهم -

ولاتصل على أحد منهم -
الآيات (قوله) (يعاقبون فى الآخرة) أى بالعذاب الدائم المؤبد فى الدرك الأسفل (قوله) (يعلمون) سعى العلم شعورا لأنه يكون بأحد المشاعر الخمس وهى الشم والتذوق واللمس والسمع والبصر (قوله) (والخادعة هنا من

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى يوم القيامة لأنه آخر الأيام (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) روعى فيه معنى من وفى ضمير يقول لفظها (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا) بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدينوية (وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون فى الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون فى الآخرة (وَمَا يَشْعُرُونَ) يعلمون أن خداعهم لأنفسهم والخادعة هنا من واحد كما قبلت اللص وذكر الله فيها تحسين وفى قراءة وما يخدعون (فى قلوبهم مرض) شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أى يضعفها (فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) بما أنزله من القرآن لكفرهم به (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ) بالتشديد

واحد) أى فليست على بابها وهو جواب عن سؤال تقديره إن المفاعلة تكون من الجانبين وفعل الله لا يقال فيه خادعة فأجاب بما ذكر ، وقد ورد سؤال آخر حاصله أن الخداع لا يكون إلا لمن تخفى عليه الأمور فما معنى إسناد الخادعة إلى الله ؟ . أجب بأن فى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم مع ربهم فى إيمانهم ظاهرا لا باطنا بحال رعية تخادع سلطانها ، واستعمل اسم الشبه به للشبه ، أو مجاز عقلى : أى يخادعون رسول الله من إسناد الشيء إلى غير من هوله أو مجاز بالحذف أو فى الكلام تورية ، وهى أن يكون للكلام معنى قريب وبعيد فيطلق القريب ويراد البعيد ، وهو مطلق الخروج عن الطاعة باطنا وإن كان العامل لا تخفى عليه خافية ، وأشار المفسر لذلك كله بقوله : وذكر الله فيها تحسين : أى بذكر الجواز لأنه أبان من الحقيقة (قوله) (فى قلوبهم مرض) يطلق على الحسى وهو الحرقعة وعلى المعنوى وهو الشك والنفاق ، ولا شك أن فى قلوبهم المرضين ، والمعنوى سبب فى الحسى فقوله شك ونفاق إشارة للمرض المعنوى ، وقوله فهو يمرض قلوبهم بيان لما يسبب عنه وهو إشارة للحسى وهى فى محل التعليل لما قبلها (قوله) (بما أنزله من القرآن) أشار بذلك الى أن نزل القرآن يزيد الكافر والمنافق مرضا بمعنى كفرا وشكا فينشأ عنه المرض الحسى كما يزيد المؤمن إيمانا فينشأ عنه البهجة والسرور . قال تعالى - وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أئكم زادته هذه إيمانا - الآيات ، ويحتمل أن المراد بما أنزله : أى فى حقهم من فضيحتهم خصوصا بسورة التوبة فانها تسمى الفاضحة (قوله) (مؤلم) يقرأ اسم مفعول : أى العذاب يتألم من شدته فسكانه لشدة كأن للألم قائم به ، هم أبلغ ويصح قراءته اسم فاعل ، لا ملاحظة فيه .

(قوله أي نبى الله) إشارة إلى المفعول وقوله أي في قولهم إشارة إلى المتعلق على القراءة الثانية (قوله وإذا قيل لهم) شروع في ذكر قبائحهم وأحوالهم الشنيعة وفي الحقيقة هو تفصيل للخادعة الحاصلة منهم وهذه الجملة يحتمل أنها استثنائية ويحتمل أنها معطوفة على يكذبون أو على صلة من وهي يقول التقدير من صفاتهم أنهم يقولون آمنا الخ ومن صفاتهم أنهم إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض الخ وأصل قيل قول استثقات الكسرة على الواو فنقلت إلى ما قبلها بعد سلب حركتها ثم وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء وفاعل القول قيل الله سبحانه وتعالى وقيل النبي والصحابة ومقول القول جملة لا تفسدوا في الأرض في محل نصب وهي نائب الفاعل باعتبار لفظها (قوله بالكفر) الباء سببية بيان لسبب الفساد وقوله والتعويق هن الإيمان معطوف عليه أي تعويق الغير من الإيمان وصدّهم عنه (قوله إنما نحن مصلحون) أي ليس شأننا الفساد أبدا بل نحن محصورون في الإصلاح ولا نخرج عنه إلى غيره فهو من حصر للبند في الخبر وأكدوا ذلك بأنما المفيدة الحصر وبالجملة الاسمية المفيدة الدوام والاستمرار فرد عليهم سبحانه وتعالى بجملة مؤكدة بأربعة تأكيدات : ألا للى للتنبيه وإن وضمير الفصل وتعريف الخبر (قوله للتنبيه) وتأتى أيضا للاستفتاح وللعرض والتحضيض وفي الحقيقة الاستفتاح والتنبيه شئ واحد وتدخل إذا كانت لهما على الجملة الاسمية والفعلية وأما إذا كانت للعرض أو التحضيض فانها تختص بالأفعال وهي بسيطة على التحقيق لامركية من همزة الاستفهام ولا النافية (قوله ولكن لا يشعرون بذلك) أي ليس عندهم شعور بالافساد لطمس بصيرتهم وعبر بالشعور دون العلم إشارة إلى أنهم لم يصلوا (١٠) إلى رتبة البهائم فان البهائم تمتنع من الضار فلا تقر بها لشعورها بخلاف هؤلاء

(قوله وإذا قيل لهم) مقول القول قوله آمنوا وهو نائب الفاعل وفاعل القول قيل الله وقيل النبي وأصحابه كما تقدم (قوله أصحاب النبي) أشار بذلك إلى أن أئمة في الناس للعهد العلمي الخارجي ويحتمل أن تكون أئمة الكمال أي الناس الكامون (قوله

أي نبى الله وبالتخفيف أي في قولهم آمنا (وإذا قيل لهم) أي هؤلاء (لا تفسدوا في الأرض) بالكفر والتعويق عن الإيمان (قائلوا إنما نحن مصلحون) وليس مانحن فيه بفساد، قال الله تعالى ردّا عليهم (ألا) للتنبيه (إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) بذلك (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) أصحاب النبي (قائلوا أنؤمن كما آمن السفهاء) الجهال أي لا نفعل كفعلمهم، قال تعالى ردّا عليهم (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) ذلك (وإذا أقوا) أصله لقيوا حذف الضمة للاستتقال ثم الياء لالتقاء ساكنة مع الواو (الذين آمنوا قائلوا آمنا وإذا خلوا) منهم ورجعوا (إلى شياطينهم) رؤسائهم (قائلوا إنا معكم) في الدين (إنما نحن مستهزؤن) بهم بإظهار الإيمان (الله يستهزئ بهم)

يجاز بهم

قالوا) أي فيما بينهم وإلا فلو قالوا ذلك جهارا لظهر كفرهم وقتلوا (قوله الجهال) أي

بناء على أن السفة ما قابل العلم ويصح أن المراد به نقص العقل بناء على أنه ما قابل الحلم فان الصحابة أنفقوا أموالهم في سبيل الله حتى افتقروا وتحملوا المشاق فسموهم سفهاء لذلك (قوله ردّا عليهم) أي بجملة مؤكدة بأربع تأكيدات كالأولى (قوله ولكن لا يعلمون ذلك) أي السفة أو علم النبي بسفاههم وعبر هنا بالعلم إشارة إلى أن السفة معقول بخلاف الفساد فانه مشاهد فذلك عبرنا بالعلم وهناك بالشعور (قوله وإذا لقوا) سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر وعمر وعلياً توجهوا لعبد الله ابن سلال لعنه الله فقال له أبو بكر هم أنت وأصحابك وأخلص معنا فقال له مرحبا بالشيخ والصديق ، ولعمركم مرحبا بالفاروق القوى في دينه، ولعلّ مرحبا بابن عم النبي فقال له على آق الله ولا تنافق فقال ما قلت ذلك إلا لكون إيماني كمايمانكم فلما توجهوا قال لجماعته إذا لقوكم فقولوا مثل ما قلت فقالوا لم نزل بخير ما عشت فينا . وإذا ظرف منصوب بقولوا (قوله أصله لقيوا) أي على وزن شربوا (قوله حذف الضمة) لم يكمل التصريف وتماه ثم ضمت القاف للناسبة (قوله منهم) أشار بذلك إلى أن متعلق خلا محذوف وقوله إلى شياطينهم متعلق بمحذوف أيضا قدره المفسر بقوله ورجعوا ويحتمل كما قال البيضاوى أن خلا بمعنى انفرد وإلى بمعنى مع أي انفردوا مع شياطينهم ولا حذف فيه وأصل خلوا خلوا وبواين الأولى لام الكلمة والثانية علامة الاعراب قلبت لام الكلمة ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فبقيت ساكنة وبعدها واو الضمير ساكنة فحذفت لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة دالة عليها (قوله رؤسائهم) إنما سموا شياطين لأن كل رئيس منهم معه شيطان يوسوس له ويعلمه السكر وقيل لأنهم كالشياطين

في الاغواء ، ورؤساؤهم في ذلك الوقت خمسة كعب بن الأشرف في المدينة وعبدالدار في جهينة وأبو بردة في بني أسلم وعوف بن عامر في بني أسد وعبدالله بن الأسود في الشام (قوله يجازيهم باستهزائهم) إنما سمي المجازاة استهزاء من باب المشاكلة والاستهزاء الاستخفاف بالشيء (قوله يمهلهم) أتى بذلك دفعا لما يتوهم من أن المجازاة واقعة حالا وحكمة الامهال مذكورة في قوله تعالى - إنما نعليهم ليزدادوا إثما - إلى غير ذلك من الآيات (قوله بالكفر) الباء سيئية أى تجاوزهم الغاية بسبب الكفر (قوله حال) أى جملة يعمهون وهى إما حال من الهاء في يمدحهم أو من الهاء في طغيانهم والمراد بالعمه عدم معرفة الحق من الباطل فمنهم من يظهر له وجه الحق ويكفر عنادا ومنهم من يشك في الحق ويقال له عمى أيضا فبين العمه والعمى هموم وخصوص مطلق مجتمعان في طمس القلب ويفرد العمى بفقد البصر وقوله تحيرا إما مفعول لأجله أو تمييز (قوله استبدلوا بها) أشار بذلك إلى أن المراد بالشراء مطلق الاستبدال والباء داخل على الثمن والمراد بالضلالة الكفر والهدى الايمان وكلامه يقتضى أن الهدى كان موجودا عندهم ثم دفعوه وأخذوا الضلالة وهو كذلك لقوله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة حتى يهودانه أو يمجسانه » الحديث ولأنهم في العهد يوم ألت بر بكم أجابوا بالايمان جميعا (قوله أى مار بجوا فيها) أشار بذلك إلى أن إسناد الربح للتجارة مجاز عقلى وحقه أن يسند للتاجر (قوله بل خسروا) أى الربح ورأس المال جميعا خسروا دائما فقوله لمصيرهم علة له فنهلهم كمثل من عنده كنز عظيم ينفع في الدنيا والآخرة استبدله بالنار لأن الضلالة سبب للنار (قوله مثلهم) لما بين قبائحهم وعاقبة أمرهم شرع بضرب أمثالهم وبيّن فيها وصفهم ومأم عليه (قوله صفتهم) أشار بذلك إلى أن المثل بالتحريك هنا معناه الصفة وليس المراد به المثل السائر وهو كلام شبه مضربه بمورده لغرابته كقولهم الصيف (١١٦) ضيعت الابن وقوله تعالى - ضرب

يجازيهم باستهزائهم (وَيَمْدُهُمْ) يمهلهم (في طغيانهم) بتجاوزهم الحد بالكفر (يَمْعُهُونَ) يترددون تحيرا حال (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) أى استبدلوا بها (فَمَا رَجَحَتْ تِجَارَتُهُمْ) أى مار بجوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (وَمَا كَانُوا مُتَبَدِّلِينَ) فيما فعلوا (مِثْلَهُمْ) صفتهم في نفاقهم (كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ) أو قد (نَارًا) في ظلمة (فَلَمَّا أَضَاءَتْ) أنارت (مَا حَوْلَهُ) فأبصر واستدفأ وأمن مما يخافه (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) أطفأه وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذى (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء أمنوا بإظهار كلمة الايمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب ،

استوفد نارا ويصح في هذه الكاف أن تكون اسماء وهى نفسها هى الخبر وإنما جرّ بها لأنها على صورة الحرف وأن تكون حرفا متعلّقة بمحذوف وعلى كل معناها مثل (قوله استوفد) راعى في الافراد لفظ الذى وفى قوله ذهب الله بنورهم معناه (قوله أو قد) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لا للطلب لأنه لا يلزم من الطلب الايقاد بالفعل (قوله في ظلمة) أى شديدة وهى ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر (قوله فلما أضاءت) الاضاءة النور القوى قال تعالى - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا - فقوله أنارت أى نورا قويا والفاء للترتيب والتعقيب لأن الاضاءة تعقب الايقاد (قوله ماحوله) يحتمل أن مانكرة موصوفة وحوله صفة والضمير عائذ على الموقد للنار وفاعل أضاءت ضمير يعود على النار ويحتمل أن ما اسم موصول وحوله صلة وهو صفة لموصوف محذوف تقديره المكان الذى حوله (قوله واستدفأ) أى امتنع عنه ألم البرد (قوله وأمن مما يخافه) أى من عدو وسباع وحيات وغير ذلك مما يضر وحينئذ فقد تم له النفع بالنار (قوله بنورهم) الضمير عائذ على متقدم ضمنا في قوله فلما أضاءت إذ المعنى أنارت على حد - اعدلوا هو أقرب للقوى - ولم يقل بضوئهم إشارة إلى انعدام النور بالكيفية بخلاف مالو عبر بالضوء لأنه لا يلزم من نفي الاخص نفي الأعم والباء للتعدية كالمهزمة فلذلك دخلت على المفعول ولا تستلزم الباء المصاحبة كالمهزمة فذهبت بزيد مثل اذهبت زيدا خلافا للبرد حيث جعلها تفيد المصاحبة ورد عليه بهذه الآية لاستحالة المصاحبة فيها (قوله وتركهم) عطف على ذهب (قوله في ظلمات) أى ثلاث ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر (قوله ماحولهم) هذا هو مفعول يبصرون وقوله متحيرين حال من الضمير فى تركهم (قوله فكذلك) أشار بذلك إلى حال المشبه وهم المنافقون وقوله أمنوا بالقصر ضد الخوف أى حيث أسلموا بأنسنتهم ولم تؤمن قلوبهم فقد أمنوا من القتل والسي واتقوا بأخلاقهم

الغنائم والزكاة فاذا ماتوا فقد ذهب الله بنورهم فلم يأمنوا من النار ولم ينتفعوا بالجنة وتركهم في ظلمات ثلاث : ظلمة الكفر والنفاق والقبر والجماع بينهما أن الانتفاع ودفع المضار في كل شئ قليل ثم يذهب (قوله صم) خبر لمحذوف قتره المفسر بقوله هم (قوله فهم لا يرجعون) أى لقد هذت الادراكات الثلاثة من قلوبهم (قوله أو مثلهم) يصح أن تكون أول التنوين أو الإبهام أو الشك أو الإباحة أو التخيير أو لا ضرب أو بمعنى الواو وأحسنها الأول (قوله أى كأصحاب مطر) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والمثل هنا بمعنى الصفة كما تقدم (قوله وأصله صيوب) أى اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالساكنون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله السحاب) أشار بذلك إلى أن المراد بالسحاب السماء اللغوية وهى كل ما ارتفع وأصل سماء سماء وقعت الواو متطرفة فقلبت همزة (قوله أى السحاب) المناسب عود الضمير على الصيب (قوله ظلمات) أى ظلمة الريح والسحاب والليل (قوله (قوله هو الملك) أى وعليه قوله تعالى - ويسبح الرعد بحمده - (قوله وقيل صوته) أى فقوله تعالى : يسبح الرعد أى ذوار الرعد (قوله لمان صوته) أى الآلة التى يسوق بها وهى من نار (قوله أى أصحاب الصيب) أى فهو بيان للواو فى يجعلون (قوله أى أناملها) أشار بذلك إلى أن فى الأصابع مجازاً من باب تسمية الجزء باسم الكل مبالغة فى شدة الحرص فى إدخال رأس الأصبع فكأنه مدخل لها كلها (قوله شدة (١٢) صوت الرعد) الإضافة بيانية إن كان المراد بالرعد صوت الملك وحقائقه

هم (صم) عن الحق فلا يسمونه سماع قبول (بكم) خرس عن الخير فلا يقولونه (عنى) عن طريق الهدى فلا يرونه (فهم لا يرجعون) عن الضلالة (أو) مثلهم (كصيب) أى كأصحاب مطر وأصله صيوب من صاب يصوب أى ينزل (من السماء) السحاب (فيه) أى السحاب (ظلمات) متكاثفة (ورعد) هو الملك الموكل به وقيل صوته (وبرق) لمان سوطه الذى يزجره به (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابهم) أى أناملها (فى آذانهم من) أجل (الصواعق) شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها (حذر) خوف (الموت) من سماعها كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم لئلا يسموه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت (والله محيط بالكافرين) علما وقدرة فلا يفوتونه (بكد) يقرب (البرق يخطف أبصارهم) يأخذها بسرعة (كلما أضاء لهم مشوا فيه) أى فى ضوئه (وإذا أظلم عليهم قاموا) وقفوا ، تمثيل لإزعاج ما فى القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون ،

إن كان المراد به ذاته (قوله كذلك هؤلاء) أى المنافقون (قوله علما وقدرة) تمييزان محمولان عن الفاعل والاحاطة الاحتواء على الشئ كاحتواء الظرف على المظروف وهى محالة فى حقه تعالى فأشار المفسر إلى دفع ذلك بقوله علما وقدرة أى فالمراد الاحاطة المعنوية وهى كونهم مقهورين فلا يتأتى منهم فوات ولا فلات قال تعالى - وما كان الله ليعجزه

(ولو)

من شئ فى السموات ولا فى الأرض إنه كان علما قديرا -

(قوله يكاد البرق) هذا من تمام المثل . وأما قوله - والله محيط بالكافرين - جملة معترضة بين أجزاء الشبه به جىء بها نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصل يكاد يكود بفتح الواو نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وأصل ماضيها كود بكسر الواو تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا وهذا التصريف فى النقص ، وما التامة ففعلها يأتى وهى بمعنى المكسر قال تعالى - إنهم يكيدون كيدا - وأصل مضارعها يكيده بسكون الكاف وكسر الياء نقلت كسرة الياء إلى الكاف فصحت الياء (قوله يخطف) بفتح الطاء مضارع خطف بفتح الطاء وكسرهما (قوله كلما أضاء لهم) كل بحسب ما نضاف إليه وهى مكسرة بمعنى وقت فكل ظرفية والعامل فيها مشوا وفاعل أضاء يعود على البرق وأضاء يحتمل أن يكون متعتيا والمفعول محذوف التقدير كل وقت أضاء لهم البرق طريقا مشوا فيه فالضمير فى فيه عائذ على الطريق ويحتمل أن يكون لازما والضمير عائذ على الضوء (قوله تمثيل) أى من باب تمثيل الجزئيات بالجزئيات فقوله من الحجج أى المشبهة بالرعد والبرق الخطف وقوله وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون أى من الآيات الموافقة لطبعهم كالقسم لهم من الغنائم وعدم التعرض لهم وأموالهم وأشار لذلك بقوله - كلما أضاء لهم مشوا فيه - فكذلك هؤلاء وقوله ووقوفهم عما يكرهون أى من التكاليف كالصلاة

والصوم والحج والحكم عليهم قال تعالى - وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين - وأشار إلى ذلك بقوله - وإذا أظلم عليهم قاموا - (قوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم) يحتمل أن هذا من تعلقات التشبه به الذي هو محابب الصيب التقدير لولا مشيئة الله سبقت لحطف البرق أبصارهم ولأذهب الرعد أسمعهم فان ما ذكر سبب عاды لإذهاب السمع والبصر ولكن قد يوجد السبب ولا يوجد المسبب لتخاف المشيئة والمقصود من ذلك زيادة القوة في التشبه به ويلزم منه القوة في التشبه وهذا ما عليه أبو حيان والبيضاوي ويحتمل أنه من تعلقات التشبه وهم المنافقون وعليه المفسر حيث أشار لذلك بقوله كما ذهب بالباطنة (قوله بمعنى أسماعهم) أشار بذلك إلى أن السمع بمعنى الأسماع (قوله إن الله على كل شيء) هذا دليل لما قبله (قوله شاء) دفع بذلك ما يقال إن الشيء هو الوجود ومن ذلك ذات الله وصفاته وكل للاستفراق فيقتضى أن القدرة تتعاقب بالواجبات فدفع ذلك بقوله شاء أى أرادته والارادة لاتتعلق إلا بالممكن فكذا القدرة فخرجت ذات الله وصفاته فلا تتعاقب بهما القدرة والإلزام إما تحصيل الحاصل أو قلب الحقائق (قوله قدیر) من القدرة وهى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعاقب بالممكنات إيجادا أو إعداما على وفق الإرادة والعلم (قوله ومنه إذهاب ما ذكر) أى من جملة الشيء الذى شاء وقوله ما ذكر أى السمع والبصر (قوله يأبىها الناس) لم يناد فى القرآن إلا بيا سواء كان النداء من الله لعباده أو منهم لله وهى لنداء البعيد ، ولما كان الله لا يشبه شيئا من الحوادث وهو منزّه عنهم ذاتا وصفات وأفعالا نودى بيا تنزيلا للبعد المعنوى منزلة البعد الحسى ولما كان البعد قائما بالحوادث للحجب الموجودة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ناداهم بيا أيضا ويأخرف نداء وأى منادى مبنى على الضم والناس نعت لأى باعتبار اللفظ وهو مرفوع (١٣) بضمة ظاهرة واستشكل ذلك بأن

العامل إنما طلب النصب
للابناء على الضم وإنما
هو اصطلاح للنحاة فما
وجه رفع الناس مع أن
القاعدة أن النعت تابع
للنعت في الاعراب وهذا
إشكال قديم لا جواب له .
واعلم أن النداء على سبعة
أقسام نداء تنبيه مع مدح

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ) بمعنى أسماعهم (وَأَبْصَارِهِمْ) الظاهرة كما ذهب بالباطنة (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَاعِدٌ) شاءه (قَدِيرٌ) ومنه إذهاب ما ذكر (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (اعْبُدُوا) وحدوا (رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ) أنشأكم ولم تكونوا شيئا (وَ) خلق (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) بعبادته عقابه ، وأصل فى الأصل للترجى وفى كلامه تعالى للتحقيق (الَّذِي جَعَلَ) خلق (لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا) حال بساطا يفرش لأغاية فى الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفاً (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ

كيايها النبي أومع ذم كيايها الذين هادوا أوتنبيه محض كيايها الانسان أو إضافة كيا عبادى أونسبة كيانساء النبي أوتسمية كيا داود أوتخصيص كيا أهل الكتاب (قوله أى أهل مكة) يصح رفع أهل نظرا للفظ الناس ونصبه نظرا لحل أى لأن لما بعد أى فى الاعراب حكم ما فسرته (قوله وحدوا) هذا تفسير للعبادة والمفسر قد تبع فى تفسير الناس بأهل مكة والعبادة بالتوحيد ابن عباس وقال جمهور المفسرين إن المراد بالناس جميع المكافين والعبادة جميع أنواعها أصولا وفروعا وهو شمل واستبدل المفسر بقاعدة أن ما قيل فى القرآن بيايها الناس كان خطابا لأهل مكة وبيايها الذين آمنوا كان خطابا لأهل المدينة وهى قاعدة أغلبية فان السورة مدنية (قوله الذى خلقكم) صفة لرب وتعلق بالحكم بمشتق يؤذن بالعلية أى اعبدوه لخالقه إياكم فانه هو الذى يعبد لا غيره (قوله عقابه) إشارة إلى مفعول تتقون (قوله ولعل فى الأصل للترجى) أى أصل اللغة والترجى هو توقع الأمر المحبب على سبيل الظن (قوله وفى كلامه تعالى للتحقيق) أى ومثالها عسى كما قال سيبويه ودفع بذلك ما يتوهم من معنى لعل كون المولى سبحانه وتعالى جاهلا بالأمور المستقبلية وأتى به على صورة الترجى بالنسبة لحال الخطابين لا لخبر الله فانه من قبيل الوعد وهو لا يتخاف (قوله خلق) أى فتنصب مفعولا واحدا وهو الأرض وقوله فراشا حال كما قال المفسر ويحتمل أنها على بابها بمعنى صير فيكون فراشا مفعولا ثانيا والمراد على الثانى التصيير من عدم (قوله فلا يمكن الاستقرار عليها) مفرع على المنفى بشقيه (قوله سقفا) أى وقد صرح به فى آية - وجعلنا السماء سقفا محفوظا - (قوله من السماء) أى اللغوية وهى ماعلا وارفع والمراد السحاب (قوله ماء) هو من الجنة فينزل بمقدار على السحب وهو كالغبار ثم يساق حيث شاء الله على مختار أهل السنة، وقالت المعتزلة : إن السحاب له خراطيم كالابل فينزل يشرب من البحر المالح بمقدار ويرتفع فى الجو فتسفه الرياح فيحلونم يساق حيث شاء الله .

(قوله التورات) أى المأكولات لجميع الحيوانات بدليل قول المفسر وتعلقون به دوابكم والمراد بها مادبة على وجه الأرض غير الآدمي (قوله فلا تجعلوا لله أندادا) لانهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل وأندادا مفعول أول مؤخر والله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم واجب التقديم لأن المفعول الأول فى الأصل نكرة ولم يوجد له مسوق إلا تقديم الجار والمجرور ومعنى تجعلوا نصيروا أو تسموا وعلى كل فهى متعدية لمفعولين والفاء سببية والأنداد جمع ندّ معناه المقام المضاهى سواء كان مثلا أو ضدًا أو خلافاً (قوله وأتمتعوا بهم) جملة من مبتدأ وخبر فى محل نصب على الحال وقوله أنه الخالق بفتح الهمزة فى تأويل مصدر سدت مسد مفعولى تعلمون أى تعلمونه خالفاً (قوله ولا يكون إلهاً إلا من يخلق) هذا هو تمام الدليل قال تعالى - أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون - (قوله وإن كنتم فى ريب) استشكلت هذه الآية بوجوه ثلاثة : الأول أن إن تقلب المضى إلى الاستقبال ولو كان الفعل كان خلافاً للبرد القائل بأنها لا تقلبه إذا كان الفعل كان واحتج بهذه الآية فيقتضى أن الريب مستقبل وليس حاصلًا الآن مع أنه حاصل . أوجب عنه بأن الاستقبال بالنسبة للدوام والمضى إن دتم على الريب . الوجه الثانى أن إن للشك فيفيد أن ريبهم مشكوك فيه مع أنه محقق . أوجب بأنه أتى بان إشارة للائق أى اللائق والمناسب أن لا يكون عندكم ريب . الوجه الثالث (١٤) أن قوله وإن كنتم فى ريب أى شك فى أنه من عند الله أو من عند محمد فليس عندهم جزم بأنه من عند محمد وقوله إن كنتم صادقين يفيد أن عندهم جزمًا بأنه من عند محمد فبين أول الآية وآخرها تناف . أوجب بأنه أشار فى أول الآية إلى عقيدتهم الباطنية وفى آخرها إلى عنادهم لإظهار الاغاظة له صلى الله عليه وسلم فلا يخلو حالهم الباطنى إما أن يكون عندهم شك فى أنه من عند الله أو تحقيق (١٤) بأنه من عند الله وإنما إظهارهم الجزم بأنه ليس من عند الله عناد (قوله شك)

(التَّوْرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) تَأْكُلُونَهُ وَتَعْلِفُونَ بِهِ دَوَابَكُمْ (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) شُرَكَاءَ فِي الْعِبَادَةِ (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أَنَّهُ الْخَالِقُ وَلَا يَخْلُقُونَ وَلَا يَكُونُ إِلَهًا إِلَّا مَنْ يَخْلُقُ (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) شَكٍّ (مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) مُحَمَّدٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) أَيْ الْمَنْزِلِ وَمِنْ اللَّيْثِ أَيْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ وَحَسَنِ النِّظْمِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ . وَالسُّورَةُ قِطْعَةٌ لَهَا أَوَّلٌ وَآخِرٌ أَقْلَهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ) آلِهَتَكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَيْ غَيْرِهِ لِتَعْيُنَكُمْ (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فِي أَنَّ مُحَمَّدًا قَالَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ فافْعَلُوا ذَلِكَ ،

جعل الشك ظرفاً لهم إشارة إلى أنه تمكن منهم تمكن الظرف من المظروف (قوله مما نزلنا) من حرف جر وما اسم موصول أو نكرة موصوفة والعائد محذوف والجملة صلة أو صفة الجار والمجرور صفة

فانكم

لريب والتقدير فى ريب كائن من الذى نزلناه أو فى ريب كائن من كلام نزلناه

(قوله على عبدنا) الاضافة للتحريف وقرى على عبدنا فعلى هذه القراءة المراد بالجمع محمد وأمه لأن المكذب محمد مكذب لأمه (قوله من القرآن) بيان لما (قوله أنه من عند الله) الكلام على حذف الجار أى بأنه (قوله فأتوا) أصله أتوا بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء الكلمة وقعت الثانية ساكنة بعد كسرة قلبت ياء واستثقلت الضمة على الياء التى هى لام الكلمة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين وضمت التاء للتجانس وفى الدرج تحذف همزة الوصل وتعود الهمزة التى قلبت ياء كما هنا فأتوا على وزن فاعلوا (قوله أى المنزل) أى وهو القرآن ويشهد لهذا التفسير ما فى سورة يونس - قل فأتوا بسورة مثله - ويحتمل أن الضمير عائد على سبنا الذى هو محمد : أى فأتوا بسورة من رجل مثل محمد فى كونه أمياً بهراً عربياً فانكم مثله وحيث كان كذلك فلا بعد فى مناظرته (قوله ومن للبيان) ويحتمل أن تكون للتبويض والأول أقرب (قوله فى البلاغة) هذا بيان لوجه المائلة (قوله أقامها ثلاث آيات) ليس من تمام التعريف بل هو بيان لواقع فان أمراً سورة ثلاث آيات ولو فرض أنها آيتان لجزوا أيضاً (قوله أى آلهتكم) إنما ادعوا شهداء لهم يوم القيامة (قوله أى غيره) أشار بذلك إلى أن دون بمعنى غير ، والمعنى ادعوا شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء أو آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة فقوله من دون الله وصف لشهداء أو حال منه وهو على زيادة من إذ تقديره شهداءكم التى هى غير الله أو حال كونها مغايرة لله وقوله لتعينكم علة لقوله ادعوا (قوله فافعلوا) إشارة إلى جواب الشرط الثانى وأما جواب الأول فهو مذكور بقوله فأتوا هكذا قال المفسر ولكن سيأتى له فى قوله تعالى - قل إن كانت لكم الدار الآخرة - الآية ولله فى تفسير قوله تعالى - قل

(١) (قوله الثالث الخ) كلام خال عن الخبر والظاهر أن يقال الثالث أن قوله وإن كنتم الخ يفيد أنه ليس عندهم جزم الخ

يا أيها الذين هادوا - الآية أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان للأخير والأول قيد فيه ولا يحتاج لجواب ثان والتقدير في الآية إن كنتم صادقين في دعواكم أنه من عند محمد ودمتم على الريب فأتوا بسورة من مثله وهو أولى لعدم التقدير (قوله فانكم عرييون) علة لقوله فافعلوا (قوله فان لم تفعلوا) إن حرف شرط ولم حرف نفي وجزم وقلب وتفعلوا مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والجملة من الجازم والمجزوم في محل جزم فعل الشرط وقوله فأتوا جواب الشرط وقرن بالفاء لأنه فعل طائي (قوله أبدا) أخذ التأييد من قرينة خارجية لامن لن خلافا للزعمشري (اعتراض) أي جملة معترضة بين فعلى الشرط وجوابه قصد بها تأكيد العجز وليس يعطوفا على جملة لم تفعلوا (قوله وأنه) بفتح الهمزة على حذف الجار أي وبأنه (قوله التي وقودها) بفتح الواو ما توقد به وأما بالضم فهو الفعل ، وقيل بالعكس على حد ما قيل في الوضوء والطهور والصور (قوله كأصنامهم منها) إنما خصص الأصنام بكونها من الحجارة مسيرة للآية وإلا فالأصنام مطلقا تدخل في النار قال تعالى - إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم - ويستثنى من ذلك عيسى والعزير وكل معبود من الصالحين وإنما دخلت الأصنام النار وإن كانت غير مكافئة إهانة لعبادها وليعذبوا بها لا لتعذيبها (قوله بما ذكر) أي بالناس الكفار والحجارة (قوله لا كنار الدنيا) أي كما ورد إن نار الدنيا قطعة من جهنم غمست في البحر سبع مرات ثم بعد أخذها أوقد على جهنم ثلاثة آلاف سنة ألف حتى ابيضت وألف حتى احمرت وألف حتى اسودت فهي الآن سوداء مظلمة (قوله جملة مستأنفة الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة لا ارتباط لها بما قبلها وقعت في جواب سؤال مقتر تقديره هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن ؟ (قوله أو حال لازمة) أي والتقدير فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة (١٥) للكافرين ودفع بقوله لازمة ما قيل

لأنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا (قوله وبشر) جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر ما يتعلق بالكافرين وأحوالهم وعاقبة أمرهم يذكر باصقة ما يتعلق بالمؤمنين وأحوالهم وعاقبة أمرهم فان القرآن نزل لهذين الفريقين . والبشارة هي

فانكم عرييون فصحاء مثله ، ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا) ما ذكر لعجزكم (وَلَنْ تَفْعَلُوا) ذلك أبداً لظهور إعجازه اعتراض (فَأَتَقُوا) بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر (النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ) الكفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذكر لا كنار الدنيا تنقد بالخطب ونحوه (أُعِدَّتْ) هيئت (لِلْكَافِرِينَ) يعذبون بها جملة مستأنفة أو حال لازمة (وَبَشِّرِ) أخبر (الَّذِينَ آمَنُوا) صدقوا بالله (وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (أَنْ) أي بأن (لَهُمْ جَنَّاتٌ) حدائق ذات أشجار ومسكن (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا) أي تحت أشجارها وقصورها (الْأَنْهَارُ)

الخبر السار ممي الخبر بذلك لطلاقة البشارة والفرح والسرور عنده والأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو للوجوب لأن البشارة من جملة ما أمر بتبليغه ويحتمل أن الأمر عام له ولكل من تحمل شرعه كالعلماء (قوله أخبر) مثنى المفسر على أن معنى البشارة الخبر مطلقا لكن غلب في الخبر وضده على التذكرة وأما قوله تعالى - فبشرهم بعذاب أليم - فمن باب التشبيه بجامع أن كلا صادر من المولى وهو لا يتخلف (قوله صدقوا بالله) إنما اقتصر على ذلك لأنه يلزم من التصديق بالله التصديق بما أخبر به على لسان رسوله (قوله الصالحات) وصف جرى مجرى الأسماء فلذلك صح إسناد العوامل له فلا يقال إنه صفة لموصوف محذوف أي الأعمال الصالحات (قوله من الفروض) أي كالصلوات الخمس وصيام رمضان والحج في العمر مرة وزكاة الأموال والجهاد إذا جفا العدو وقوله والنوافل أي صلاة التطوع وصومه ومواساة الفقراء وغير ذلك من أنواع البر والمراد عملوا الصالحات على حسب الطاقة قال تعالى - فاتقوا الله ما استطعتم - (قوله أي بأن) أشار بذلك إلى حذف الجار وهو مطرد مع أن ، قال ابن مالك : تقلا وفي أن وأن يطرد مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

(قوله لهم جنات) جمع جنة واختلف في عددها ف قيل أربع وهو ما يؤخذ من سورة الرحمن وقيل سبع وعليه ابن عباس : جنة عدن وجنة المأوى والفردوس ودار السلام ودار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد (قوله حدائق) جمع حديقة وهي الروضة الحسنة (قوله ذات أشجار ومسكن) أي موجودات فيها الآن ومع ذلك تقبل الزيادة ، فالجنة تامة فيها ما تشتهي الأنفس وتلق الأعين ، ومع ذلك أرضها واسعة طيبة تقبل الزيادة (قوله أي تحت أشجارها) أي على وجه الأرض بقدره الله فلا تيلي فرشاً ، ولا تهدم بناء ، ولا تقطع شجراً (قوله الأنهار) يحتمل أن تكون أل للعهد ، والمراد بها ما ذكر في سورة

النَّال بقوله تعالى - فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من خمر رقيقة للشاربين وأنهار من عسل مصفى - (قوله أى المياه فيها) أى الأنهار وأشار بذلك إلى أن فى الجنة حفرا كأنهار الدنيا ، وقيل لم يوجد فى الجنة حفر تجري فيها المياه بل تجري على وجه الأرض (قوله والنهر للوضع) أى بحسب الأصل اللغوى (قوله وإسناد الجرى إليه مجاز) أى عقلى أو الإسناد حذيق وإنما التجوز فى السكامة من إطلاق المحل وإرادة الحال فيه (قوله كلما رزقوا) ظرف لقوله قالوا (قوله من ثمرة) أى نوعها (قوله أى مثل ما) الأولى حذف ما وتقديم مثل على الذى وآتى بمنل دفعا لما يتوهم من قولهم هذا الذى رزقنا من قبل أنه عينه وذلك مستحيل لأنه قد أكل والمعنى أن الله قادر على صنع طعام متحد اللون مختلف الطعم واللذة فإذا رأوه قالوا هذا الذى رزقنا من قبل بحسب ما رأوا من اتحاد اللون فإذا أكلوه علموا بدم الاتحاد (قوله أى قبله فى الجنة) أشار بذلك إلى رد ما قيل إن المراد بقوله من قبل فى الدنيا وقوله وآتوا به متشابه أى يشبه ثمر الدنيا فى الصورة (قوله جيئوا بالرزق) أى يأتى به الولدان والملائكة والمراد بالرزق الرزوق أى اللأكول (قوله وغيرها) أى نساء الدنيا فقد ورد إن نساء الدنيا يكنن أجمل من الحور العين ، وقد ورد أن كل رجل يزوج بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء (قوله وكل قادر) أى كل نفاس والبصاق والخطاط وليس فى الجنة إزال ولا حمل ولا ولادة ، وليس الأكل والشرب عن جوع وظمأ (قوله لا يفنون) (١٦) أى ولا يمرضون ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم (قوله ولا يخرجون) أى

لقوله تعالى - وما هم منها بمخرجين - (قوله ونزل رداً) فاعل نزل جملة إن الله لا يستحي قصد إظهار ورداً بمعنى جواباً مفعول لأجله أحوال من فاعل نزل وقوله لما ضرب الله المثل ظرف للقول ومقول القول قوله ما أراد الله الخ وقوله بالذباب الباء للتصوير وهو متعلق بضرب وجواب استفهامهم قوله تعالى - يضل به كثيراً

أى المياه فيها . والنهر الموضع الذى يجرى فيه الماء لأن الماء ينهر أى يحفره وإسناد الجرى إليه مجاز (كَلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا) أطعموا من تلك الجنات (مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالَوا هَذَا الَّذِى) أى مثل ما (رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) أى قبله فى الجنة لتشابه ثمارها بقرينة (وَأَتُوا بِهِ) أى جيئوا بالرزق (مُتَشَابِهًا) شمه بعضه بعضاً لونا وبخلاف طعماً (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ) من الحور وغيرها (مُطَهَّرَةٌ) من الحيض وكل قدر (وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ما كئون أبدا لا يفنون ولا يخرجون * ونزل ردا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب فى قوله وإن يسلبهم الذباب شيئا والنعكبات فى قوله كمثل النعكبات ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ) يجعل (مَثَلًا) مفعول أول (مَا) نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أى أى مثل كان أو زائدة لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول الثانى (بِعَوْصَةٍ) مفرد البعوض وهو صغار البق (فَمَا فَوْقَهَا) أى أكبر منها أى لا يترك بيانه لما فيه من الحكم (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا

فيعلمون

ويهدى به كثيراً - (قوله فى قوله) أى تعالى وحذفها للاختصار وكذا بقية

الثلثين (قوله بذكر هذه الأشياء الخسيسة) أى مع أنه عظيم وقالوا أيضا : إن الواحد منا يستحي أن يضرب المثل بالثىء الخسيس فالله أولى وجمالوا ذلك ذريعة لإنكار كونه من عند الله (قوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ) مضارع استحيا ومصدره استحياء وقرئ بحذف إحدى اليامين فاختلف هل المحذوف اللام أو العين فعلى الأول وزنه يستفع وعلى الثانى وزنه يستغل وعلى كل قلقت حركة ما بعد الساكن إليه حذفت إما اللام أو العين . والمياه فى حق الحوادث تغيير وإنكسار يعترى الإنسان من فعل ما يعاب ولازمه الترك فاطلق فى حق الله وأريد لازمه وهو الترك وإنما أتى به مشاكلة لقولهم الله عظيم يستحي أن يضرب المثل بالثىء الخسيسة (قوله أن يضرب) فيه حذف الجار أى من أن يضرب وقوله يجعل أى فينصب مفعولين (قوله أو زائدة) أى وهو الأقرب والمعنى على الأول إن الله لا يستحي أن يجعل مثلاً شبيهاً موصوفاً بكونه بعوضة فما فوقها وعلى الثانى إن الله لا يستحي أن يجعل مثلاً بعوضة فما فوقها (قوله لتأكيد الخسة) أى فليست زيادة محضة وهكذا كل زائد فى القرآن (قوله وهو صغار البق) يطلق البق على الناموس وعلى الأحرار لمتن الرائحة والأقرب الأول لأنه عجيب فى الحلقة فله ستة أرجل وأربعة أجنحة وخرطوم طويل وذنب ومع ضعفه وصغره يقتل الجمل العظيم بمقارنه وهو القاتل للسمود (قوله أى أكبر منها) أى فى الجسم كالجمل مثلاً ويحتمل أن المراد بقوله فما فوقها أى فى الخسة كالتدرة (قوله أى لا يترك بيانه) هذا هو معنى الاستحياء فى حق الله وتقدم أنه مجاز من إطلاق المازوم وإرادة اللازم (قوله لما فيه من الحكم) علة لعدم الترك (قوله فأما الذين آمنوا) خروج فى بيان الحكمة المترتبة على ضرب المثل

(قوله الواقع موقعه) صادق بالأفعال الصائبة والذات الثابتة والأقوال الصادقة (قوله تميز) أى محوّل عن المفعول على حدسه وغفرتنا الأرض عيوننا - (قوله استفهام إنكار) أى بمعنى النفي (قوله بمعنى الذى) أى والعائد محذوف أى أرادته (قوله أى أى فائدة) هذا زبدة معنى التركيب وقصدهم بهذا الاستفهام نفي الفائدة فيتوصلون بذلك إلى إنكار كونه - من عند الله - (قوله به) الباء سببية وقوله لكفرهم به علة لضلّالهم (قوله لتصديقهم به) علة لهدايتهم (قوله إلا الفاسقين) يطلق لفظ الفاسقين على من فعل الكبائر فى بعض الأحيان وعلى من فعلها فى كل الأحيان غير مستحل لها وعلى من استحلتها وهو المراد هنا فقول المفسر الخارجين عن طاعته أى بالكفاية وهم الكفار (قوله نعمت) أى للفاسقين (قوله ما عهده إليهم) إنما فسر المصدر باسم المفعول لأن العهد الذى هو أمر الله بالإيمان بالنبي قد حصل فلا ينقض وإنما الذى ينقض الأمور به والمراد العهد الواقع على ألسنة أنبيائهم فى كتبهم فإن الله عاهد كل نبي مع أمته من آدم إلى عيسى أنه إذا ظهر محمد ليؤمن به ولينصره قال تعالى - وإذا أخذ الله منه فى النبين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه - الآية ومن جملة العهد أوصافه المذكورة فى كتبهم فنقضوا ذلك بتبديلهم إياها وإنكارها وعدم الإيمان بها وفى قوله تعالى - ينقضون عهد الله استعارة بالكناية حيث شبه العهد بالحبل وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو ينقضون قائبته تخييل والنقض فى الأصل مك طاقات الحبل المراد منه هنا الإبطال ففيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه (١٧) الإبطال بالنقض واستعير النقص

للإبطال واشتق من النقص ينقضون بمعنى يبطلون والعهود ثلاثة عهد عام وهو عهد الله فى الأزل لجميع الخلق على التوحيد واتباع الرسل وعهد خاص بالأنبياء وهو تبليغ الشرائع والأحكام وعهد خاص بالعلماء وهو تبليغ ما تلقوه عن الأنبياء والكفار قد نقضوها (قوله من لايمان) بيان لما وقوله

فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ) أى المثل (الحق) الثابت الواقع موقعه (مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) تمييز أى بهذا المثل وما استفهام إنكار مبتدأ وذاب معنى الذى بصلته خبره أى أى فائدة فيه قال تعالى فى جوابهم (يُضِلُّ بِهِ) أى بهذا المثل (كثيراً) عن الحق لكفرهم به (وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) من المؤمنين لتصديقهم به (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) الخارجين عن طاعته (الَّذِينَ) نعمت (يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) ما عهده إليهم فى الكتب من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) توكيده عليهم (وَيَقَطُّونَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ) من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك وأن بدل من ضمير به (وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصى والتعويق عن الإيمان (أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر (هُمُ الْخَاسِرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (كَيْفَ تَكْفُرُونَ) يا أهل مكة (بِاللَّهِ وَ) قد (كُنْتُمْ أَمْوَاتًا) نطقاً فى الأصلاب (فَأَحْيَاكُمْ) فى الأرحام ، والدنيا بنفخ الروح فيكم ؟ والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أولتو بيخ

بالنبي أى من توفيره ونصره والإيمان به ومتابعته وقوله والرحم أى ومن وصل ذى الرحم أى القرابة من الاحسان إليهم ومواساتهم والبر بهم (قوله وأن بدل من ضمير به) أى فإن والفعل بعدها فى تأويل مصدر فى محل جر على البدلية للضمير فى به التقدير ، الأمر الله بوصله ويصح أن يكون أن بوصل بدلا من ما فهو فى محل نصب والأول أقرب (قوله والتعويق عن الإيمان) عطف خاص على عام فإن التعويق من أكبر المعاصى (قوله أولئك) مبتدأ أول وهم مبتدأ ثان والخامسون خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول ويحتمل أن هم ضمير فصل لا محل له من الاعراب والخامسون خبر أولئك (قوله لمصيرهم) علة لكونهم خاسرين (قوله يا أهل مكة) الأحسن العموم سواء كان مخاطب جنا أو إنسا من أهل مكة أو غيرها (قوله وقد كنتم) قدر المفسر لفظ قد إشارة إلى أن الجملة حالية مع كونها ماضوية والجملة الماضوية إذا وقعت حالا وجب اقترانها بقدر إما لفظاً أو تقدير (قوله فى الأصلاب) إنما قدره لأجل أقصاره على النطق وإلا فى حالة كونهم فى الرحم علة ومضغة أموات أيضا (قوله فأحياكم) مرتب على محذوف تقديره وكنتم علة فمضنة فأحياكم وإنما قلنا ذلك لأن الإحياء لا يكون عقب كونهم نطقا بسرعة بل بعد مضي زمن كونهم علة وكونهم مضنة ولو قال المفسر وقد كنتم أمواتا نطقا أو مضغا فأحياكم لحسن الترتيب (قوله بنفخ الروح) الباء سببية (قوله والاستفهام للتعجب) التعجب استعظام أمر خفى سببه وهو بالنسبة للخلق لا للخلق فهو مستحيل والأحسن أن يكون الاستفهام للتعجب والتوبيخ

(قوله ثم يمتكم) الترتيب في هذا وما بعده ظاهر فان بين نفع الروح واللوت زمانا طويلا وبين اللوت والاحياء بالبعث زمن طويل وبين الاحياء والمجازاة على الأعمال كذلك (قوله لما أنكروه) أى استغرابا واستبعادا قال تعالى - أنذا متنا وكنا ترابا ذلك مرجع بعيد - (قوله أى الأرض وما فيها) أى فواده العالم السفلى بجميع أجزائه وأل في الأرض للجنس فيشمل الأرضين السبع (قوله وتعتبروا) أى إذا تأملت الأرض وتغير الأحوال فيها وما حوته علمتم أن ذلك صنع حكيم قادر فينشأ عن ذلك الاعتبار كمال التوحيد وقوله لتنتفعوا به أى ظاهرا وباطنا وهو جميع المخلوقات ماعدا المؤذيات وأما المؤذيات كالحيات والعقارب والسباع وغير ذلك فنفعها من حيث العبرة بها فما من شئ مخلوق إلا وفي خلقه حكمة تبهر العقول سبحانه ما خلقت هذا عبثا ولما شئ الامام الشافعي رضى الله عنه عن حكمة خلق الدباب أجاب بقوله مثله للولك (قوله ثم استوى) الاستواء في الأصل الاعتدال والاستقامة وهذا للعين مستحيل على الله تعالى فالمراد منه هنا في حق الله القصد والارادة فقوله قصد أى تعلقت إرادته التعاقب التنجري الحادث بخاق السموات وتم للترتيب مع الانفصال لأنه خلق الأرض في يومين وخلق الجبال والأنواء وما في الأرض في يومين فتكون الجملة أربعة أيام فالترتيب الربني ظاهر ويشهد لذلك قوله تعالى - قل أنتم تكفرون بالذى خلق الأرض في يومين - الآيات وعلى ذلك درج المفسر حيث قال أى الأرض وما فيها ويحتمل أن تم للترتيب الذى كرى بناء على أن الأرض خلقت مكورة فبعد ذلك خلقت السماء ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وخلق جميع ما فيها ويشهد لذلك قوله تعالى - ما أتم أشد خلقا أم السماء بناها - ثم قال (١٨) - والأرض بعد ذلك دحاها - وعلى ذلك درج القرطبي وغيره وهو الحق

(قوله إلى السماء) أى جهة العلو وأل للجنس (قوله فقضاهن) بدل من آية فسوى وصبر وقضى بمعنى واحد وكل واحد ينصب مفعولين (قوله سبع سموات) أى طباقا بالاجماع للآية وبين كل سماء خمسائة عام وممكنها كذلك والأولى من موج

(ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عند انتهاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) بالبعث (ثُمَّ إِلَيْنَا رُجْعُونَ) تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم . وقال دليلا على البعث لما أنكروه (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ) أى الأرض وما فيها (جَمِيعًا) لتنتفعوا به وتعتبروا (ثُمَّ أَسْتَوَى) بعد خلق الأرض أى قصد (إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ) الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآية إليه أى صيرها كما في آية أخرى فقضاهن (سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) مجعلا ومفصلا أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم (وَ) اذكريا محمد (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم

(قالوا)

مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء

والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من زمردة خضراء (قوله مجعلا ومفصلا) هذا هو مذهب أهل السنة خلافا لمن ينكر علم الله بالأشياء تفصيلا فإنه كافر (قوله على خلق ذلك) أى الأرض وما فيها والسموات وما فيها بقوله وهو الضمير عائد على اسم الإشارة (قوله وهو أعظم منكم) أى لقوله تعالى - لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس - (قوله قادر على إعادتكم) هذا هو روح الدليل (قوله وإذ قال ربك) إذ ظرف في محل نصب معمول لمخبر قدره المفسر بقوله اذ كر أى اذ كرى يا محمد قصة قول ربك الخ والأحسن أنه معمول لقوله بعد قالوا التقدير قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وقت قول ربك للملائكة الخ لأن إذ إذا وقعت ظرفا لانكون إلا للزمان (قوله للملائكة) جمع ملك مخفف ملائكة وأصله مألوك على وزن مفعول مشتق من الألوكة وهى الارسل دخله القلب المسكان فأخبرت الهمزة عن اللام فنقلت حركة الهمزة للسكان قبلها وهو اللام فسقطت الهمزة (قوله إني جاعل) يصح أن يكون بمعنى مصير خليفة مفعول أول وفي الأرض مفعول ثان قدم لأنه السوغة للابتداء بالنكرة في الأصل ويصح أن يكون بمعنى خالق خليفة مفعول وفي الأرض متعلق به (قوله خليفة) فعيلة بمعنى مفعول أى مخلف أو بمعنى فاعل أى خالف بمعنى أنه قائم بالخلافة وحكمة جعله خليفة الرحمة بالعباد لا لاقتدار الله له وذلك أن العباد لا طاقة لهم على تلقى الأوامر والنهي من الله فلا واسطة بل ولا بواسطة ملك فمن رحمته ولطفه وإحسانه لإرسال الرسل من البشر (قوله وهو آدم) أى هو أبو البشر والخليفة الأول باعتبار عام الأجساد وأما باعتبار عالم الأرواح فهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال العارف :

فأني وإني كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوني وهو مأخوذ من أديم الأرض لخلقته من جميع أجزائها
وكانت ستين جزأ ولذلك كانت طباع بنيه ستين طبعا وكفارة الظهار والصوم ستين وعاش من العمر تسعمائة وستين وماتت حق
رأى من أولاده مائة ألف عمروا الأرض بأنواع الصنائع والملائكة الخطاطيون يحتمل أنهم النوع المسمى بالجان ورئيسهم إبليس
فإن الله خلق خلقا وأسكنهم الأرض يسمون بنى الجان فأفسدوا في لأرض فسلط الله عليهم هؤلاء الملائكة فطردوهم وسكنوا
موضعهم ويحتمل أن الخطاب لعموم الملائكة (قوله من يفسد فيها) أى بمقتضى القوة الشهوية وقوله ويسفك الدماء أى بمقتضى
القوة الغضبية فإن فى الانسان ثلاثة أشياء قوة شهوية وقوة غضبية وقوة عقلية فبالأولين يحصل النقص وبالأخيرة يحصل
الكمال والنضل وقد نظر الملائكة للأولين ولم ينظروا للثالثة (قوله كما فعل بنو الجان) قيل الجان إبليس وقيل مخلوق آخر
وإبليس أبو الشياطين (قوله أرسل الله عليهم الملائكة) أى المسمين بالجان ورئيسهم إبليس وفى هذه الآية أمور: منها مشاورة
العظيم للحقير ولا بأس بها لتأليف الحقير قال تعالى - وشاورهم فى الأمر - ومنها إظهار عجز الملائكة عن علم الغيب ومنها إظهار
فضل آدم للملائكة ومنها أنه لا ينبغي ترك الخبر الكثير من أجل شر قليل فإن بنى آدم خيرهم غالب شرهم فإن منهم الأنبياء والرسل
والأولياء وإن لم يكن منهم إلا سيدنا محمد لكنى (قوله ملتبسين) أشار بذلك إلى أن الباء للباسة والجملة من قبيل الحال
المتداخلة (قوله ونفدس لك) التقديس فى اللغة يرجع لمعنى التسبيح وهو (١٩) التنزيه عما لا يليق وأما هنا

فالتسبيح يرجع للعبادة
الظاهرة والتقديس
يرجع للاعتقادات
الباطنية (قوله فاللام
زائدة) أى لتأكيد
التخصيص ويحتمل أنها
للتعدي والتعليق أى
تنزهك لك لاطمئنا على عاجل
ولا أجل ولا خوف من عاجل
ولا أجل فتنزهنا لذلك
فقط (قوله أى فنحن
أحق بالاستخلاف) ليس

(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا) بالمعاصى (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) يريقها بالقتل كما فعل بنو
الجان ، وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال (وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ) ملتبسين (بِحَمْدِكَ) أى نقول سبحان الله وبحمده (وَنَقْدُسُ لَكَ) تنزهك عما لا يليق
بك فاللام زائدة والجملة حال أى فنحن أحق بالاستخلاف (قَالَ) تعالى (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ) من المصلحة فى استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصى فيظهر العدل بينهم
فقالوا لن يخلق ربنا خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره نخلق تعالى آدم من
أديم الأرض أى وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ
فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد أن كان جمادا (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ) أى أسماء المسميات
(كُلَّهَا) حتى القصعة والقصعة والفسوة والفسية والغرفة

المقصود من ذلك الاعتراض على الله ولا احتقار آدم وإعاد ذلك اطاب جواب يريحهم من العناء حيث وقعت المشورة من الله لهم
(قوله فيظهر العدل بينهم) أى فالطائع المؤمن له الجنة والعاصى الكافر له النار (قوله فقالوا) أى سرا فى أنفسهم (قوله
لسبقنا له) أى للخلق وهو راجع لقوله أكرم وقوله ورؤيتنا راجع لقوله ولا أعلم فهو لى ونشر مرتب (قوله جميع
ألوانها) تقدم أنها ستون وورد أن الله لما أراد خلق آدم أوحى إلى الأرض إني خالق منك خلقا من أطاعنى أدخلته الجنة ومن
عصانى أدخلته النار فقلت ياربنا اتحاق منى خلقا يدخل النار فقال نعم فيبكت فنبعت العيون من بكائها فهى تجرى إلى يوم القيامة
(قوله بالمياه المختلفة) أى على حسب الألوان (قوله وعلم آدم) الحق أن آدم ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة فليس منصرفا
ولامشتقا على التحقيق (قوله أى أسماء المسميات) أشار بذلك إلى أن أل عوض عن المضاف إليه والمراد بالمسميات مدلولات الأسماء
سواء كانت جواهر أو أعراضا أو معانى أو معنوية فالخاص أن الله أطاع آدم على المسميات جميعها وعلمه أسمائها وأطاع الملائكة
على المسميات ولم يعلمهم أسمائها فاشترك آدم مع الملائكة فى معرفة المسميات واختص آدم بمعرفة الأسماء بجميع اللغات وتلك
اللغات تفرقت فى أولاده (قوله حتى القصعة) غاية فى الحسنة إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء شريفة أو خسيسة وحكمتها أيضا
كما يأتى والقصعة هى الاناء الكبير من الخشب والقصعة الاناء الصغير منه أيضا المسمى بالزويل (قوله والفسوة) من باب عتا
والمصدر فسوا والاسم الفساد بالمد واوى هو الريح الخارج من الثبر بلا صوت فإن كان شديدا سمى فسوة وإن كان خفيفا سمى فسية
وإن كان صوت سمى ضراطا وهو من باب تع وضرب والمصدر ضرطا بفتح الزاء وسكونها فالمسكة للشديد والمضفر للخفيف

(قوله بأن أتى في قلبه علمه) أى الأسماء - وكنتها حين صور الله السميات كاللتر - وذلك قبل دخوله الجنة وهو ظاهر في الأشياء المحسوسة ، وأما العقولة كالحياة والقدرة والفرح وغير ذلك فبالقاء الله الدال والمدلول في قلبه (قوله وفيه تغليب العقلاء) أى في لائتان يتم الجمع التى لله تلاء الذكور وإلا فلو لم يغاب لقال عرضها أو عرضهم وبهما قرىء شاذاً (قوله على الملائكة) يحتمل عموم الملائكة ويحتمل خصوص الملائكة السمين بالجنان الذين كانوا في الأرض (قوله أنبئوني) الإنباء هو الإخبار بالشئ العظيم فهو أخص من الخبر (قوله أخبروني) أى أجيبوني ليظهر علمكم وذلك تعجيز لهم لأنهم ليسوا بعلمين ذلك لا لاستفادته العلم منهم (قوله فى أتى لأتق أعلم منكم) متعلق بصادقين (قوله دلّ عليه ما قبله) أى قوله أنبئوني فهو دليل الجواب والجواب محذوف تقديره إن كنتم صادقين فأنبئوني (قوله سبحانه) مصدر ، وقيل اسم مصدر منصوب بعامل محذوف وجوبا : أى أصبح وهى كلمة يقال مقدّمة للأمر العظيم كان توبة واستغفاراً أم لا والقصود منها توبتهم واستغفارهم كقول موسى عليه السلام - سبحانه ثبت إليك - وقول يونس - سبحانه إن كنت من الظالمين - والغالب عليه الإضافة ، وأما سبحة من علقمة الفاخر * فهو قول أو شاذ أو من غير الغالب (قوله إياه) أشار بذلك إلى أن المقول الثانى محذوف (قوله إنك) كالدليل لما قبله (قوله تأكيد للكاف) أى فهو ضمير فصل لاهل له من الاعراب أوفى محل نصب كالتموكد والعلم الحكيم خبر لأن أول الحكيم صفة للعالم ويحتمل أن أنت مبتدأ والعلم (قوله العليم) قدم العلم على الحكمة لمنااسبة علم آدم ولا علم (٣٠) خبره والجملة خبر إن

بأن أتى في قلبه علمها (ثم عرّضهم) أى السميات وفيه تغليب العقلاء (على الملائكة فقال) لهم تبكيتاً (أنبئوني) أخبروني (بأسماء هو الآء) السميات (إن كنتم صادقين) فى أتى لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافه وجواب الشرط دل عليه ما قبله (قأوا سبحانه) تنزيها لك عن الاعتراض عليك (لا أعلم لنا إلا ما علمتنا) إياه (إنك أنت) تأكيد للكاف (العليم الحكيم) الذى لا يخرج شئ عن علمه وحكمته (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أى الملائكة (بأسماءهم) أى السميات فسمى كل شئ باسمه وذكر حكمته التى خلق لها (قلنا) أنبأهم بأسمائهم قال تعالى لهم توبيخاً (ألم أقل أنكم إنى أعلم غيب السموات والأرض) ما غاب فيها (وأعلم ما تبدون) تظهرون من قولكم أنجمل فيها الخ (وما كنتم تكتمون) تسرون من قواكم لن يخفى الله أكرم عليه منا ولا أعلم (و) اذكر (إذ قلنا للملائكة أنجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء

لنا ولأن الحكمة تنشأ عن العلم والعلم فى حق الله صفة أزلية تدهاق بجميع أقسام الحكم العقلى الواجب والمستحيل والجائز تعلق إحاطة واكتشاف (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة : أى الاقنان فهو صفة فعل أو العلم فيكون صفة ذات (قوله فسمى) أى آدم (قوله توبيخ) أى أى توبيخوا ما لهم على مامضى منهم فالهمزة فى

(فسجدوا)

ألم أقل للاستفهام التوبيخى فالقصد منه توبيخهم على ما مضى منهم وإست الانكار

ولا للتقرير (قوله ما غاب فيهما) أى عنا (قوله أنجمل فيها الخ) أى من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . بقى شئ آخر وهو أن مقتضى الآية أن آدم علم الأسماء والسميات ومقتضى قول البوصيرى فى الهمزية

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء أن آدم علم الأسماء دون السميات فيكون بينه وبين الآية محابقة والحق أنه لا محابقة لأنه يلزم من علم الأسماء علم السميات اعرض السميات عليه أولاً ، فعنى قول البوصيرى لك ذات العلوم أى أصابها فعلم آدم مأخوذ من تبييننا لأن رسول الله أعطى أصل العلوم بل وأصل كل كمال ، يشهد لذلك قول ابن مشيش ونزلت علوم آدم : أى صل على من منه نزلت علوم آدم فعلم آدم كائنه منه فأعجز بها الملائكة خاصة ، وأما علوم رسول الله فأعجز بها الخلاق جميعاً ، هذا هو الحق ولا تغتر بما قيل إن آدم علم الأسماء فقط ومحمد علم الأسماء والسميات (قوله واذا كر إذ قلنا) أشار المفسر بذلك إلى أن إذ ظرف عاملها محذوف ، والتقدير واذا كر وقت قولنا الخ إن قات إن المقصود ذكر القصة لا ذكر الوقت . أوجب بأن التقدير ذكر انقصة الواقعة فى ذلك الوقت ، ومحصل ذلك أنه بعد خلق آدم ونفخ الروح فيه وعرض السميات على الملائكة وإنشاء آدم لهم بالأسماء أمرهم الله بالسجود له لأنه صار شيخهم ، ومن حق الشيخ التعظيم والتوقير وكان ذلك كله خارج لجنة (قوله بالانحناء) أشار بذلك إلى أن المراد السجود لا سوى وهو الانحناء كسجود إخوة يوسف وأبويه له

وهو نحية الأمم الماضية ، وأما نحننا فهي السلام وعليه فلا إشكال ، وقال بعض المفسرين : إن السجود شرعى بوضع الجبهة على الأرض وآدم قبله كالسكبة فالسجود لله وإعلاء آدم قبله والآية محتملة للمنيين ولا نص يبين أحدهما وعلى الثاني فاللام بمعنى إلى : أى اسجدوا إلى جهة آدم فاجعلوه قبلتكم (قوله فسجدوا) أى الملائكة كلهم أجمعون بدليل الآية الأخرى فالخطاب بالسجود لجميع الملائكة على التحقيق لا الملائكة الذين طردوا بنى الجآن (قوله إلا إبليس) قيل مشتق من أبلس إبلاسا بمعنى يئس وهذا هو رسمه فى اللوح المحفوظ [وعدة] قال كعب الأحبار : إن إبليس اللعين كان خازن الجنة أربعين ألف سنة ومع الملائكة ثمانين ألف سنة ووعظ الملائكة عشرين ألف سنة وسيد الكروبيين ثلاثين ألف سنة وسيد الروحانيين ألف سنة وطاف حول العرش أربعة عشر ألف سنة ، وكان اسمه فى سما الدنيا العابد ، وفى الثانية الزاهد ، وفى الثالثة العارف ، وفى الرابعة الولي ، وفى الخامسة التقى ، وفى السادسة الخازن ، وفى السابعة عزازيل ، وفى اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل عن عاقبة أمره (قوله هو أبو الجآن) هذا أحد قولين والثانى هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وأنه ليس من الملائكة . قال فى الكشف : لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم فى الآية واحتيج إلى استثنائه ويدل على ذلك قوله تعالى - إلا إبليس كان من الجن - وكررت قصة إبليس فى سبعة مواضع فى البقرة والأعراف والحجر والاسراء والكهف وطه رص - تسلياً له صلى الله عليه وسلم وعبرة لبني آدم فلا يفتخر العابد ولا يقنط العاصي ويحتمل أن الاستثناء متصل ، وقوله تعالى - كان من الجن - أى فى الفعل والأقرب الأول (قوله واستكبر) من عطف العلة على المعلول : أى أبى وامتنع لكبره والسين لتأكيد (قوله وقال أنا خير منه) هذا وجه تكبره وبين وجه الخبرية فى الآية الأخرى . قال تعالى - خلقتنى من نار وخلقته من طين - . قال بعض المفسرين : وذلك مردود (٢١) بأمور منها أن آدم مركب

من العناصر الأربع بخلاف إبليس فلا وجه للخبرية ومنها أن الله هو الخلق لكل ولا يعلم الفضل إلا هو فله أن يفضل من شاء على من يشاء ومنها

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة (أبى) امتنع من السجود (وَأَسْتَكْبَرَتْ) تكبر وقال أنا خير منه (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فى علم الله (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَالْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا) أكل

غير ذلك (قوله فى علم الله) دفع بذلك ما قيل أنه لم يكن كافراً بل كان عابداً وإلا كفر الآن ويحجب أيضاً بأن كان بمعنى صار (قوله وقُلْنَا يَا آدَمُ) هذه الجملة معطوفة على جملة وإدقلنا للملائكة من عطف قصة على قصة وإنما عطف عليها لوقوعها بعده فانه بعد أمر الملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس منه أمر آدم بسكنى الجنة (قوله ليعطف عليه وزوجك) إن قات إن فعل الأمر لا يعمل فى الظاهر والمعطوف على الفاعل فاعل فيقتضى عمله فى الظاهر . أوجب بأنه يفتقر فى التابع مالا يفتقر فى التبوي وفصل بالضمير المنفصل لقول ابن مالك : وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل (قوله وكان خلقها) أى الله وقوله من خلقه : أى آدم فلذلك كان كل ذكر ناقصاً ضاعاً من الجانب الأيسر فجبهة لعين ثمانية عشر واليسار سبعة عشر وقد خلقت بعد دخوله الجنة تام فلما استيقظ وجدها فأراد أن يمد يده إليها ، فقالت له الملائكة مه يا آدم حق تؤذى مهرها ، فقار ومأمرها ؟ فقالوا ثلاث صلات وأعوشر صلات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقال إن شرط الصدق عود منفعة للزوج لأننا نقول ليس المتصود منه حقيقة المهر وإنما هو ليظهر قدر محمد لآدم من أول قدم إذولاً . ما تمتع بزوجة فهو الواسطة لكل واسطة حتى آدم وقوله من خلقه الأيسر : أى وهو التصير ووضع الله مكانه لحماً من غير أن يحس آدم بذلك ولم يجد له إلماً ولو وجهه لما عطف رجل على امرأة والنون فى قلنا للعظمة ، وقوله اسكن : أى دم على السكى فانه كان ساكناً فيها قبل خلق حواء ، وانكشف كل شىء بالإسلام هذه الآية بأنه أتى فى هذه الآية بالواو فى قوله وكلا وفى آية لأعراف بالفاء هل لذلك من حكم أجب بأن الأمر هنا فى هذه الآية كان داخل الجنة فلا ترتيب بين السكى والأكل وفى آية لأعراف كان خارجها فحسن الترتيب بين السكى والأكل . والحق أن يقال إن ذلك ظرهر إن دل دليل على اختلاف القصة ولم يوجد فالقصة واحدة والأمر فى لموضعين يحتمل أن يكون داخل الجنة أو خارجها فعلى الأول معنى اسكن دم على السكى والفاء فى آية لأعراف بمعنى الواو وهو الثانى . هذا أدخل على سبيل السكى فتكون الواو بمعنى الفاء .

(قوله رغداً) يقال رغد بالضم رغادة من باب ظرف ورغد رغداً من باب تعب اتسع عيشه (قوله حيث شئتما) أى فى أى مكان أردتما (قوله أو غيرهما) قيل شجر التين أو البلح أو الأترج والأقرب أنها الخنطة والحقيقة لا يعلمها إلا الله (قوله فتكونا) مسبب عن قوله لا تقربا وتعيره بعدم التقرب منها كناية عن عدم الأكل كقوله تعالى - ولا تقربوا الزنا - فالتبى عن القرب يستلزم النهى عن الفعل بالأولى (قوله العاصين) أى الذين تعدوا حدود الله (قوله فأزلهما الشيطان) أتى بالفاء إشارة إلى أن ذلك عقب السكفي والشيطان مأخوذ من شاط بمعنى احترق لأنه محروق بالنار أو من شطن بمعنى بعد لأنه بعيد عن رحمة الله والزلل الزلق وهو العثرة فى الطين مثلا فأطلق وأريد لازمه وهو الإذهاب (قوله وفى قراءة) أى سبعة لحزة (قوله أى الجنة) ويحتمل أن الضمير عائد على الشجرة وعن بمعنى الباء أى أوقعهما فى الزلة بسبب أكل الشجرة (قوله بأن قال لهما) أى وهو خارج الجنة وهما داخلها لكن أتيا على ما بها فقال لهما ذلك ويحتمل أنه دخل الجنة على صورة دابة من دوابها وخزتها فغفلوا عنه ويحتمل أنه دخلها فى فم الحية ويحتمل أنه وسوس فى الأرض فوصلت وسوسته لهما إن قلت إن ذلك ظاهر فى حواء لعدم عصمتها وما الحكم فى آدم أجيب، بأنه اجتهد فأخطأ فسمى الله خطاه معصية فلم يقع منه صغيرة ولا كبيرة وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فلم يتعمد المخالفة ومن نسب التعمد والعصيان له بمعنى فعل الكبيرة أو الصغيرة فقد كفر كما أن من نفى اسم العصيان (٢٢) عنه فقد كفر أيضا لنص الآية (قوله مما كانا فيه) يحتمل أن ما اسم

موصول وما بعده صاته
أو نكرة موصوفة
ومابعدھا صفة وقوله من
النعم بيان لما (قوله أى
أتما الخ) أشار بذلك إلى
إلى حكمة الإتيان بالوار
فى اهبطوا أى الجمع
باهتبار ما اشتملا عليه
من الذرية ويحتمل
أن الأمر لآدم وحواء
وإبليس والحية فهبط
آدم بالهند مكان يقال

(رَغَدًا) واسمًا لا حجر فيه (حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) بالأكل منها وهى الخنطة
أو الكرم أو غيرها (فَتَكُونَا) فتصيرا (مِنَ الظَّالِمِينَ) العاصين (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ) إبليس
أذهبهما وفى قراءة فأزلهما نحاها (عَنَّا) أى الجنة بأن قال لهما هل أدلكما على شجرة الخلد
وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فأكلا منها (فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) من النعم (وَقُلْنَا اهْبِطُوا)
إلى الأرض أى أتما بما اشتملا عليه من ذريتهما (بَعْضُكُمْ) بعض الذرية (لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)
من ظلم بعضهم بعضاً (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) موضع قرار (وَمَتَاعٌ) ما تتمتعون به من
نباتها (إِلَى حِينٍ) وقت انقضاء آجالكم (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) ألهمه إياها وفى قراءة
بنصب آدم ورفع كلمات أى جاءه وهى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية فدعا بها

(قالب

له سرديب وحواء بمجدة وإبليس بالأبلة والحية بأصهبان (قوله بعض الذرية)

أشار بذلك إلى أن العداوة فى الذرية لا فى الأصول ويحتمل أن يكون ذلك فى بعض الأصول كالحية وإبليس وأفرد عدوا
إما مراعاة للفظ بعض أو لأنه يستعمل بلفظ واحد للثنى والجمع . بقى شيء آخر وهو أنه تقدم لنا أن حواء خلقت داخل
الجنة حين ألقى على آدم النوم كيف ذلك مع أن الجنة لا نوم فيها ولا يخرج أهلها منها ولا تكليف فيها والثلاثة قد حصلت
أجيب بأن ذلك فى الدخول يوم القيامة وأما الدخول الأول فلا يمتنع فيه شيء من ذلك (قوله ألهمه إياها) أى نهم آدم من
ربه تلك الكلمات (قوله وفى قراءة) أى سبعة لابن كثير (قوله بنصب آدم) أى على المفعولية وقوله ورفع كلمات أى
على الفاعلية تحصل أن التلقى نسبة تصلح للجانيين يقال تلقيت زيدا وتلقانى زيد فالمنى على القراءة الأولى تعلم آدم الكلمات
فقط بسببها من الممالك وعلى الثانية الكلمات تلقت آدم من السقوط فى الهاوى إذ لولاها لسطط فهى الدواء له وأما إبليس
فلم يجعل الله له دواء فالكلمات جاءت بالاسعاف وهو جاءها بالقبول والتسليم ومن هنا أن الذاكرا لا يتفجع بالذكور ولا يتور باطنه
إلا إذا كان الشيخ عارفا وأذنه فى ذلك والذاكر مشتاق كتلقى آدم الكلمات (قوله وهى ربنا ظلمنا أنفسنا الخ) مشى
المفسر على أن المراد بالكلمات المذكورة فى سورة الأعراف وهو أحد أقوال ولا يقال إن التلقى كان لآدم فقط والدعاء بها
صغر منها لأنه يقال إن الخطاب لآدم والمراد هو معها وكمن خطاب فى القرآن يقصد به الرجال والمراد ما يشمل الرجال والنساء

وقيل إن المراد بالكلمات سبحانهك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت غلظت نفسي فأغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتقدم أن معصية آدم ليست كالعاصي بل من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين والحق أن يقال إن ذلك من صر القدر فهي منهي عنه ظاهراً لا باطناً فإنه في الباطن مأثور بالأولى من قصة الخضر مع موسى وإخوة يوسف معه على أنهم أنبياء فإن الله حين قال لللائكة إني جاعل في الأرض خليفة كان قبل خلقه وهذا الأمر مبهم يستحيل تخلفه فلما خلقه وأسكنه الجنة أعلمه بالنهي عن الشجرة صورة فهذا النهي صوري وأكله من الشجرة جبري لعله أن الصلابة مترتبة على أكله وإنما سمي معصية نظراً للنهي الظاهري فمن حيث الحقيقة لم يقع منه عصيان ومن حيث الشريعة وقعت منه المخالفة ومن ذلك قول ابن العربي: لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة بتمامها لما ترتب على أكله من الخير العظيم وإن لم يكن من ذلك إلا وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكنني ومن هذا المقام قول الجليلي:

ولي نكتة غرا هنا سأقولها وحق لها أن ترعوها للمسامح هي الفرق ما بين الولي وفاسق

تنبه لها فالأمر فيه بدائع وما هو إلا أنه قبل وقعه يخبر قلبي بالذي هو واقع

فأجنى الذي يقضيه في مرادها وعيني لها قبل الفعل تطالع فكنت أرى منها الإرادة قبل ما

أرى الفعل مني والأسير مطاوع إذا كنت في أمر الشريعة عاصياً فاني في حكم الحقيقة طائع اه

(قوله التَّوَابُ) أي كثير التوبة بمعنى أن العبد كلما أذنب وتاب قبله فهو كثير التوبة من تاب ويسمى العبد تواباً بمعنى أنه كلما أذنب ندم واستغفر ولا يصبر بشرط توبة العبد الندم والاقلاع والعزم على أن لا يعود فإن كانت المعصية متعلقة بمخلوق اشترط إماردة المظالم لأهلها أو مسامحتهم له فكل من العبد والرب يسمى تواباً بالوجه المتقدم لكن لا يقال في الرب تائب لأن أسماءه توقيفية وقد قيل إن آدم لما نزل الأرض مكث ثلثمائة سنة لإبراع رأسه إلى السماء (٣٣) حياء من الله تعالى وقد قيل لو

أن دموع أهل الأرض

جمعت لكات دموع داود

أكثر ولو أن دموع

داود مع أهل الأرض

جمعت لكات دموع آدم

أكثر (قوله قلنا) أتى

بنون العظيمة لأنها حقيقة

(فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توبته (إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ) على عباده (الرَّحِيمُ) بهم (قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا) من الجنة (جَمِيعًا) كرزه ليعطف عليه (قَالِمًا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) كتاب ورسول (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ) فمَنْ بِي وعمل بطاعتي (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في الآخرة بأن يدخلوا الجنة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) كتبنا (أُولَئِكَ أَنحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ما كثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون (يَأْتِيَنَّ إِسْرَائِيلَ)

ومن أذاعها غير مولانا قصم (قوله اهبطوا) جمع باعتبار الذرية التي في صلب آدم (قوله جميعاً) حال من فاعل اهبطوا أي مجتمعين إما في زمان واحد أو في أزمنة متفرقة لأن المراد الاشتراك في أصل الفعل فإن جاءوا جميعاً لاستلزم الصعوبة بخلاف جاءوا معاً (قوله ليعطف عليه) أي فهذه حكمة التكرار فالأول أفاد الأمر بالمهبط مع ثبوت العداوة والثاني أفاد الأمر بالمهبط والتسكليف وترتب السعادة والشقاوة على الامتثال وعدمه فالشيء مع غيره غيره في نفسه (قوله كتاب ورسول) أي أو رسول فقط فالمراد بالهدى مطلق دال على الله والمراد أي رسول وأي كتاب من آدم إلى محمد والرسول صادق بكونه من الملك أو البشر فيشمل الأمم والأنبياء فتأمل (قوله إن الشرطية) أي فاعلموا يا بنيكم مبني على الفتح لانصاله بنون التوكيد الثقيلة وجوابه جملة فمن اتبع هداي وجملة والذين كفروا الآية إذ التقدير ومن لم يتبع هداي فأولئك أصحاب النار (قوله يا بني إسرائيل) ذكر سبحانه وتعالى خطاب المكلفين عموماً في أول السورة ثم ثنى بمبدأ خلق آدم وقصته مع إبليس وثلاث بذكر بني إسرائيل سواء كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم أو قبله وما يتعلق بهم من هنا إلى سيقول السفهاء فعدد عليهم نعماً عشرة وقبائح عشرة واتقانات عشرة والحكمة في ذكر بني إسرائيل الذين تقدموا قبل رسول الله مع أنهم لم يخاطبوا بالإيمان برسول الله أن من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم يدعى أنه على قدمهم وأنه متبع لهم وأن أصولهم كانوا على شيء ثلاث تبيهم فينبين سبحانه وتعالى النعم التي أنعم بها على أصولهم وبين لهم أنهم قابلوا تلك النعم بالقبائح وبين أنه أنزل عليهم العذاب لاعتبارهم بآتي بعدهم وحكمة تخصيصهم بالخطاب أن السورة أول منازل بالمدينة وأهل المدينة كانوا غالبهم يهود وهم أصحاب كتاب وشوكة فاذا أسلموا وانقادوا انقاد جميع أتباعهم فلذلك توجه الخطاب لهم وبني منادى مضاف منصوب بآلية لأنه ملحق بجمع المذكور السالم لكونه ليس علماً ولا صفة لمذكر عاقل وبني مضاف وإسرائيل مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف وللانح له من الصرف العلمية والعجبة وبني جمع ابن وأصله قيل بنو فهو واوى وقيل بني فهو يأتي فعلى الأول هو من البنوة كالأبوة

وهي الثاني هو من البناء إسرائيل قبل معناه عبد الله وقيل التوى بالله لأن إسرائيل قبل معناه عبد أو القوي وإل معناه الله وقيل مأخوذ من الاسراء لأنه أمرى بالليل مهاجرا إلى الله تعالى وإسرائيل فيه لغات سبع الأولى بالألف ثم همزة ثم ياء ثم لام وبها جاءت القراآت السبع الثانية قلب الهمزة ياء بعد الألف الثالثة باسقاط الياء مع بقاء الهمزة والألف . الرابعة والخامسة باسقاط الألف والياء مع بقاء الهمزة مفتوحة أو مكسورة . السادسة باسقاط الهمزة والياء مع بقاء الألف . السابعة إبدال اللام الأخيرة بالنون مع بقاء الألف والهمزة والياء وجمعه أساريل وأسارلة وأسارل (قوله أولاد يعقوب) أي ابن إسحق بن إبراهيم الخليل (قوله اذكروا نعمتي) الله ذكر بكسر الدال وضمها بمعنى واحد وهو ما كان باللسان أو بالحنان وقال الكسائي : ما كان باللسان فهو بالكسر وما كان بالقلب فهو بالضم وضد الأول صمت والثاني نسيان والنعمة اسم لما ينعم به وهي شبهة بفعل بمعنى مفعول والمراد بها الجمع لأنها اسم جنس قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وقوله - التي أنعمت عليكم - جملة الصلة والموصول صفة للنعمة والعائد محذوف تقديره أنعمتها بالنصب على نزع الحائض ولا يتدر أنعمت بها لثلاث يلزم حذف العائد من غير وجود شرطه لقول ابن مالك * كذا الذي جرّ بما الموصول جر * وليس الموصول مجرورا فتأمل (قوله وغير ذلك) أي من بقية العشرة وهي العزوة عنهم وغفران خطاياهم وإتيان موسى الكتاب والحجر الذي تفجرت منه اثنتا عشرة عينا والبعث بعد الموت وإزالة اللث واللموى عليهم . [تنبيه] بقي ذكر قبائحهم العشرة وهي قولهم سمعنا وعصينا واتخذهم العجل وقولهم : أرنا الله جهرة ، وتبديل القول الذي أمروا به وقولهم : لن نصبر على طعام واحد ، وتحريف السكام وتوليهم عن الحق بعد ظهوره وقسوة قلوبهم (٢٤) وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق . وأما عقوباتهم العشرة فهي

أولاد يعقوب (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي على آبائكم من الانجاء من فرعون	ضرب القلة والمسكنة
وفلق البحر وتظليل النعمام وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي (وأوفوا بعهدي) الذي عهدته إليكم	عليهم والنضب من الله
من الإيمان بمحمد (أوف بعهديكم) الذي عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة (وإياي	وإعطاء الجزية وأمرهم
فأرهبون) خافون في ترك الوفاء به دون غيري (وآمنوا بما أزلت) من القرآن (مصدقا لما	بقتل أنفسهم ومسخهم
معكم) من التوراة بموافقة له في التوحيد والنبوة (ولا تكفروا أول كافرين) من أهل	قردة وخنازير وإزالة
الكتاب لأن خلفكم تبع لكم فإنهم عليكم (ولا تشكروا) تستبدلوا (بآياتي) التي في كتابكم	الرجز عليهم من السماء
	وأخذ الساعة لهم
	وتحريم طيبات أكلت

لهم وهذه العشرات في أصولهم . وقد روي الله المانحين لحمد صلى الله عليه وسلم بعشرة أخرى : من كتابهم أمر محمد وتحريف السكام وقولهم هذا من عند الله وقتلهم أنفسهم وإخراجهم فرقا من ديارهم وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم السحر وقولهم نحن أبناء الله وقولهم يد الله مغولة قال تعالى - غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا - (قوله بأن تشكروها) أي تصرفوها فيما يرضى ربكم (قوله وأوفوا) يقال أوفى ووفى مشدداً وخففاً (قوله من الإيمان بمحمد) أي في قوله تعالى - ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم ثني عشر نقيبا . الآيات (قوله بدخول الجنة) أي في قوله تعالى : الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآيات وقوله تعالى : لا كفرن عنهم سيئاتهم الآيات (قوله دون غيري) أخذ الخصر من تقديم المعمول وإيائى مفعول محذوف يفسره قوله فأرهبون وهذا في الحصر أبلغ من إياك نعبد لأن إياك معمول لنعبد . وأما هنا فهو معمول محذوف لاستيفاء الفعل المذكور معموله وهو الياء المذكورة أو المحذوفة تخفيفا فهو في قوة تكرار الفعل مرتين (قوله وآمنوا) من عطف السبب على السبب (قوله من القرآن) بيان لما (قوله مصدقا) حال من الضمير المحذوف في أنزلت أو من ما (قوله بموافقة) الباء سببية ولا يلزم من موافقة لتوراة أنه لم يزد عليها بل القرآن جمع الكتب السماوية ، زاد عليها (قوله من أهل الكتاب) هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره أن أول بعثة النبي في مكة وأول كافر أهلها ولم يأت للدينة إلا بعد ثلاث عشرة سنة فليس كفار أهل الكتاب بأول كافر أجاب المفسر بأن المراد الذي في أيديهم الكتب بالنسبة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة فليس المراد الأولية الحقيقية بل النسبية (قوله فأنهم عليكم) أي لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها إلى يوم القيامة (قوله تستبدلوا) حقل المفسر العبارة لأن الشراء ليس حقيقيا بل هو مطلق استبدال ومعاوضة

(قوله من نعمت محمد) أى أوصافه وأخلاقه التى ذكرت في التوراة والإنجيل (قوله من سفلتكم) أى عادتكم (قوله وإياي فانقون) يقول فيه ما قول في وإياي فارهبون (قوله ولا تلبسوا) من لبس بالفتح من باب ضرب . وأما اللبس وهو سلك الثوب في العنق فن باب تعب (قوله الذى تفترونه) أى من تغيير صفات محمد (قوله صلوا مع الصالحين) أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الكل باسم جزئه وآثر الركوع على غيره لأنه لم يكن في شريعته فكأنه قال صلوا الصلاة ذات الركوع في جماعة (قوله ونزل في علمائهم) فاعل نزل جملة تأمرون الناس والضمير في علمائهم عائد على اليهود ومثل ذلك يقال في علماء المسلمين لأن كل آية وردت في الكفارة رذيلها على عصاة المؤمنين فالخصل أن العالم إن كان كافراً فهو معذب من قبل عباد الوثن لأن وزر من كفر في عنقه ، وأما إن كان مسلماً ولكنه فرط في العمل بالعلم فهو أقبح العصاة عذاباً هذا هو الحق فقولهم : وعالم بعلومه لن يعامل معذب من قبل عباد الوثن محمول على العالم الكافر كعلماء اليهود والنصارى (قوله لأقر بأئمتهم المسلمين) إنما فضحوا معهم ليأسهم من دنياهم (قوله أناأمرون) سيأتي للفسر أن الهمزة للاستفهام الإنكارى ومحط الاستفهام قوله وتنسون أنفسكم أى لا يلبق منكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كونكم ناسين أنفسكم ، قال الشاعر : يا أيها الرجل الملعون غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم إلى أن قال : لانتنه عن خلق وتأتى مثله عار عايك إذا فعات عظيم وقال الشاعر أيضاً : (٢٥) أنتهى الناس ولا تنتهى

حتى تلحق القوم بالسكع
وياحجر السن ما تستحي
تسن الحديد ولا تقطع
(قوله بالإيمان بمحمد)
الاخضر حذف بالإيمان
فالبر اسم جامع لكل خير
كما أن الإيمان اسم جامع لكل
شر وما كان الإيمان
بمحمد يستلزم كل خير
أسره به وسياق تفسيره
في قوله تعالى : ولكن البر
من آمن بالله الآية (قوله
تتركونها) أشار بذلك إلى
أنه من باب استعمال اللزوم
في اللزوم أو السبب في السبب

من نعمت محمد (ثُمَّ قَلِيلًا) عوضاً يسيراً من الدنيا أى لا تسكتوها خوف فوات ما تأخذونها من سفلتكم (وَإِيَّايَ فَانْقُونِ) خافون في ذلك دون غيري (وَلَا تَلْبِسُوا) تخلطوا (الْحَقَّ) الذى أنزل عليكم (بِالْبَاطِلِ) الذى تفترونه (وَ) لا (تَسْكُنُوا الْحَقَّ) نعمت محمد (وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أنه حق (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) صلوا مع الصالحين محمد وأصحابه . ونزل في علمائهم وكانوا يقولون لأقر بأئمتهم المسلمين اثبتوا على دين محمد فإنه حق (أَنَاأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ) بالإيمان بمحمد (وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) تتركونها فلا تأمرونها به (وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ) التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول بالعمل (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) سوء فعلكم فترجعون لجملة النسيان محل الاستفهام الإنكارى (وَأَسْمِعِينَا) اطلبوا المعونة على أموركم (بِالصَّبْرِ) الحبس للنفس على ما تكره (وَالصَّلَاةَ) أفردا بالذكر تعظيماً لشأنها وفي الحديث «كان صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ أمر بادر إلى الصلاة» وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم ؛

لأنه يلزم من نسيان الشيء تركه وسبب الترك النسيان والحكمة في ارتكاب المجاز الإشارة إلى أن الشأن أن العالم لا يقع منه ذلك إلا نسياناً (قوله أفلا تعقلون) قال بعض المفسرين إن البناء في مثل هذا الموضع مؤخر من تقديم جملة تعقلون معطوفة على جملة تتلون والمستفهم عنه ما بعد الفاء التقدير فأى شيء لا تعاقونه وقال الزمخشري إن الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف التقدير أنتعمون ذلك فلا تعقلون (قوله واستمعينا) قيل إن هذا الخطاب للمسلمين وقيل لليهود فعلى الأول تكون الجملة معترضة بين أجزاء النص وعلى الثانى لا اعتراض (قوله الحبس للنفس على ما تكره) أى من المصائب والطاعات وترك المعاصى فأقسام الصبر ثلاثة : صبر على المصيبة وصبر على دوام الطاعة وصبر عن المعاصى فلا يفعلها والكامل من تحقق بجميعها (قوله أفردا بالذكر) أى مع أنها داخلية في الصبر فذكر الخاص بعد العام لا بد له من نكتة أجاب عن ذلك بقوله تعظيماً لشأنها (قوله تعظيماً لشأنها) أى من حيث إن الصلاة جامعة لأنواع العبادة من تسبيح وتهليل وتكبير وذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وركوع وسجود وفي الحديث لما أمرى به ورأى الملائكة منهم القائم لاغير والراكع لاغير وهكذا تسمى عبادة تجمع عبادات الملائكة فأعطى الصلاة (قوله إذا حَزَبَهُ) بالباء والنون ومنهأهمه وشق عليه وهذا يؤيد أن الخطاب لمحمد وأصحابه (قوله الشره) أى الشهوة فالمناع لهم من الإيمان بمحمد الشهوات والكبر ولكن قد يقال إن الكافر لا يصح منه صوم ولا صلاة حتى يدخل في الاسلام فما معنى أمرهم بذلك ؟

(قوله لأنه يكسر الشهوة) أى يضعفها (قوله تورث الخشوع) هو خضوع النفس وسكونها تحت المقادير (قوله ثقيلة) قال تعالى : وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى الآية (قوله إلا على الخاشعين) استثناء مفرغ مضمن معنى النفي أى لا تسهل إلا على الخاشعين (قوله الساكنين) أى السائلين المحبين للطاعة الذين اطمانت قلوبهم لها وفي الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» وفي الحديث «وجعت قرعة عيني في الصلاة» هكذا مشى المفسر على أن الضمير عائد على الصلاة ويحتمل عوده على الاستعانة بالصبر والصلاة ويحتمل عوده على ما تقدم من قوله - اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم - أى وإن ما أمر به بنو إسرائيل لكبيرة (قوله يوقنون) : شار بذلك إلى أن الظن يستعمل بمعنى اليقين وقد يستعمل اليقين بمعنى الظن قال تعالى - فإن علمتموهن مؤمنات - أى ظننتموهن (قوله أنهم ملاقوا ربهم) أى يعتقدون أنهم يبعثون ويرون ربهم فقوله بالبعث الباء سببية (قوله وأنهم إليه راجعون) أى صاثرون فيحاسبهم على أعمالهم فيدخلهم إما الجنة أو النار وبهذا التفسير فلا تكرار بين قوله أنهم ملاقوا ربهم وبين قوله وأنهم إليه راجعون (قوله يا بني إسرائيل) كرر هذا النداء لطول الفصل بناء على أن الخطاب في واستمعنوا بالصبر والصلاة لغير بنو إسرائيل ولتعداد النعم عليهم وللتأكيد لبلادهم فإن الذكى يفهم بالمثال الواحد مالا يفهمه النبي بألف شاهد (قوله بالشكر عليها) أى باتباع محمد والدخول في دينه ولا ينفعهم الانتساب لغيره مع وجوده (قوله وأتى فضلتكم) فى تأويل مصدر معطوف على نعمتى أى اذكروا نعمتى وتفضيلى إياكم (قوله أى آباءكم) إشارة إلى أنه على حذف مضاف فالفضل ثابت لأبائهم المتقدمين لا لمن وجد (٢٦١) فى زمنه صلى الله عليه وسلم فإن النصر منهم على الكفر من هجج المهج

(قوله على زمانهم) دفع بذلك ما يقال إن المراد بالعالمين ماسوى الله فيقتضى أن فى إسرائيل أفضل مما سواهم من الأولين والآخرين فأجاب بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم وهذا هو المرتضى وهناك أجوبة أخر منها أن المراد بأبائهم الأنبياء وهو

لأنه يكسر الشهوة، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفى الكبر (وإنها) أى الصلاة (لكبيرة) ثقيلة (إلا على الخاشعين) الساكنين إلى الطاعة (الذين يظنون) يوقنون (أنهم ملاقوا ربهم) بالبعث (وأنهم إليه راجعون) فى الآخرة فيجازيهم (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) بالشكر عليها بطاعتى (وأتى فضلتكم) أى آباءكم (على العالمين) على زمانهم (واتقوا) خافوا (يوما لا تجزى) فيه (نفس عن نفس شيئا) هو يوم القيامة (ولا تقبل) بالتاء والياء (منها شفاعت) أى ليس لها شفاعت فتقبل فإنا من شافعين (ولا يؤخذ منها عدل) فداء (ولا هم ينصرون) يمتعون من عذاب الله (و) اذكروا

(إذ)

مخدوش بأن إبراهيم أفضل من أنبياء بنو إسرائيل ومحمد أفضل الخلق

جميعا ومنها أن المراد تفضيل أم بنى إسرائيل على جميع الأمم وهو مخدوش أيضا بأن أمة محمد أفضل الامم جميعا باتفاق لقوله تعالى - كنتم خير أمة أخرجت للناس - ولذلك طلب موسى أن يكون منهم فلم يتم إلا الأول (قوله واتقوا) أصله اوتقوا، قلبت الواو تاء وأدغمت فى التاء وقوله يوما مفعول به وليس ظرفا لأن الخوف واقع على اليوم لافى اليوم (قوله لا تجزى فيه) صفة ليوما وقد رفسر قوله فيه إشارة للرباط وحذف لأنه يتوسع فى الظروف مالا يتوسع فى غيرها (قوله عن نفس) متعلق بتجزى ونفس فاعل تجزى وهو بمعنى تقى أى لا تقى نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئا من عذاب الله وأما قولهم يحضر الرء مع من أحب أى إذا كان الحب مؤمنا والأصول لا تنفع الفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان قال تعالى - بإيمان أحقناهم ذرياتهم - (قوله بالتاء والياء) قراءة ثان سبعتان فعلى التاء الأمر ظاهر وعلى الياء لأنه مجازى التأنيث فيصح تذكير الفعل وتأنيثه (قوله منها شفاعت) أى النفس المؤمنة لا تقبل شفاعتها فى النفس الكافرة (قوله ليس لها شفاعت فتقبل) أى لم يؤذن لها فى أصل الشفاعت حتى يتسبب عنها القبول وليس المراد أنها تشفع ولكن لا يقبل منها تلك الشفاعت لقوله تعالى فإنا لنا من شافعين وخير ما فسرت بالوارد كما أشار لذلك المفسر (قوله ولا يؤخذ منها عدل) الضمير عائد على النفس الكافرة والعدل بالفتح الفداء ويطلق على للمائل فى القدر لافى الجنس وأما للمائل فى الجنس بالكسر (قوله ولا هم ينصرون) جمع باعتبار أفراد النفس لأن المراد بها جنس الأنفس وآتى بالجملة اسمية لتأكيد والمعنى ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله .

(قوله إذ نجيناكم) معطوف على نبتى مسلط عليه اذ كروا الأول أى اذكروا نعمى وتفضيلى إياكم وقت إنجائى لكم والمقصود ذكر الانجاء أو معطوف على جملة اذ كروا فقول المفسر اذكروا ليس تقديرا للعامل الأول بل هو عامل بمآله وهكذا يقال فيما يأتى مما فيه إذ من جميع ما يتعلق ببنى إسرائيل (قوله أى آباءكم) ويصح أن النجاة لهم إذ لو غرقت أصولهم ما وجدوا والنجاة مأخوذة من النجوة وهى الأرض المرتفعة والوضع عليها ليسلم من الآفات يسمى إنجاء لهم ثم أطلق على كل خلوص من ضيق إلى سعة فالله خلصناهم من الهلكات (قوله بما أنعم على آبائهم) أى وعدد عليهم نعماً عشرة نهايتها وإذ استسقى (قوله من آل فرعون) لا يرد أن الآل لا يضاف إلا لآلئ شرف لأن فرعون ذو شرف دنيوى والمراد أعوانه وكانوا يوم الفرق ألف ألف وسبعمائة ألف غير المتخلفين بمصر وكانت الحيل الدم سبعين ألفاً وبنو إسرائيل كانوا ستمائة ألف وعشرين ألفاً وعند دخول يعقوب مصر كانوا سبعين نفساً ذكورا وإناثا وبين موسى ويعقوب أربع مائة سنة فكل فيها ذلك العدد مع كثرة قتل الأطفال وموت الشيوخ فسبحان الخلاق العظيم. وفرعون اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وفرعون لقب له من الفرعنة وهى العتو والتمرد ومدة ادعائه الألوهية أربع مائة سنة وكان يأكل كل يوم فصيلا وكان لا يتغوط إلا كل أربعين يوما مرة وفرعون اسم لكل من ملك العمالقة كما أن قيصر اسم لمن ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس والنجاشى لمن ملك الحبشة وتبع لمن ملك اليمن وخاقان لمن ملك الترك (قوله يذيقونكم) أى على سبيل الدوام (قوله سوء العذاب) اسم جامع لكل ما ينف النفس كالشر وهو ضد الخير. إن قلت إن العذاب سىء أجاب المفسر بأن المراد أشده (قوله بيان لما قبله) أى (٢٧) لبعض ما قبله فانهم كانوا يعذبون بأنواع العذاب فكانوا

(إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ) أى آباءكم والخطاب به وما بعده للموجودين فى زمن نبينا بما أنعم على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ) يذيقونكم (سُوءَ الْعَذَابِ) أشده والجملة حال من ضمير نجيناكم (يَذْبَحُونَ) بيان لما قبله (أَبْنَاءَكُمْ) المولودين (وَيَسْتَحْيُونَ) يستبقون (نِسَاءَكُمْ) تقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد فى بنى إسرائيل يكون سبياً لذهب ملكك (وَفِي ذَلِكُمْ) العذاب أو الانجاء (بَلَاءٌ) ابتلاء أو إضعاف (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) (وَ) اذكروا (إِذْ فَرَقْنَا) فلقنا (بَيْنَكُمْ) بسببكم (الْبَحْرَ) حتى دخلتموه هارين من عدوكم (فَأَنجَيْنَاكُمْ) من الفرق (وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) قومه معه (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) إلى انطباق البحر عليهم (وَإِذْ وَعَدْنَا)

عين أشد العذاب بل بعضه بدليل سورة إبراهيم فانها بالعطف وهو يقتضى المقابلة (قوله ويستحيون) أصله يستحيون يباين الأولى عين الكرامة والثانية لامها استنقلت الكسرة على الياء الأولى حذف التاني ساكنان حذف الياء لالتقاء الساكنين وقيل حذف الياء الثانية تخفيفاً وضمت الأولى لمناسبة الواو فعلى الأول وزنه يستفلون وعلى الثانى وزنه يستفنون (قوله لقول بعض الكهنة) أى حين دعاهم ليقص عليهم مآزى فى النوم وهو أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وترك بنى إسرائيل فشق عليه ذلك ودعا الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا له ماذا كرم (قوله أو الانجاء) أى من حيث عدم الشكر عليه فصار الانجاء بلاء فالبراء يطلق على الخبر والشر قال تعالى - ونبلوكم بالشر والخبر فتنة - (قوله ابتلاء) راجع للعذاب وقوله أو إضعاف راجع للانجاء فهو لف ونشر مرتب (قوله واذكروا إذ فرقنا) هذا من جملة المعطوف على نعمى أو على اذكروا فالمقصود تعداد النعم عليهم وخلق من باب قتل ميز الشئ من الشئ قال تعالى - وقرأ، فرقناه - أى ميزنا به الحق من الباطل (قوله فلقنا) الفلق والفرق بمعنى واحد قال تعالى - فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم - (قوله البحر) هو الماء الكثير عذبا أو ملحا لكن المراد هنا الملح والمراد به بحر القلزم (قوله آل فرعون) يطلق آل الرجل عليه وعلى آله قال تعالى - إنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت - والمراد محمد وآله - ولقد كرمنا بنى آدم - المراد آدم وبنوه (قوله إلى انطباق البحر) إشارة إلى أن المتعلق محذوف .

(قوله بألف ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الألف الواحدة من الله باعطاء التوراة ومن موسى برياضته الأربعين يوما وإتيانه جبل الطور لأخذ التوراة وعلى عدمها فالأمر ظاهر (قوله موسى) هو اسم أعجمي غير منصرف وهو فى الأصل مركب والأصل موسى بالشين لأن الماء بالعبرانية له يقال موش والشجر يقال له شى فغيرته العرب وقالوه بالسين سى بذلك لأن فرعون أخذ من بين الماء والشجر حين وضعته أمه فى الصندوق وألقته فى اليم كما سيأتى فى سورة القصص وهذا بخلاف موسى الحديد فانه عربى مشتق من أوسيت رأسه إذا حلقتة ، وعاش موسى مائة وعشرين سنة (قوله أر بعين ليلة) إشارة إلى غاية المدة وأما فى سورة الأعراف فبين المبدأ والمنتهى قال تعالى - وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعمناها بعشر فتم ميقات ربه أر بعين ليلة - وهى ذوالقعدة وعشر ذى الحجة واقتصر على ذكر الليالى مع أن النهار تسع لها لأن الليل محل الصفاء والأنس والعطايا الربانية (قوله عند انقضائها) أى فراغها فبعد تمام الخدمة من العبد العطايا من الرب قال عليه الصلاة والسلام «تمام الرباط أربعون يوما» (قوله التوراة) أى فى ألواح من زبرجد فيها الأحكام التكميلية من خرج عنها فهو ضال مضل لقوله تعالى - إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور - الآية وأعطاه أيضا ألواحا أخرى فيها مواعظ وأسرار ومعارف قال تعالى - وكتبنا فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ - يخص بها من شاء فلما رجع بها ووجدهم قد عبدوا العجل ألقى الألواح فتكسر ماعدا التوراة كلها قالوا هنا وسيأتى (٢٨) تحقيق ذلك فى الأعراف (قوله السامرى) واسمه موسى وكان ابن زنا

ولدت أمه فى الجبل وتركته لحوفها من قومها فرباه جبريل وكان يسقيه من أصدفه لبنا فصار يعرف جبريل ويعرف أن أثر حافر فرس جبريل إذا وضع على ميت يحيا فاستعار حليا منهم وصاغه عجلا ووضع التراب فى أنفه وفمه فصار له خوار وكان السامرى منافقا من بنى إسرائيل فعكفوا على عبادته جميعا إلا اثنى عشر ألفا

بألف ودونها (موسى أر بعين ليلة) نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها (ثم اتخذتم العجل) الذى صاغه لكم السامرى إله (من بعده) أى بعد ذهابه إلى ميعادنا (وأنتم ظالمون) باتخاذهم لوضعكم العبادة فى غير محلها (ثم عَفَوْنَا عَنْكُمْ) محونا ذنوبكم (من بعد ذلك) الاتخاذ (لعلكم تشكرون) نعمتنا عليكم (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَالْفُرْقَانَ) عطف تفسير أى الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام (لعلكم تهتدون) به من الضلال (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) الذين عبدوا العجل (يَا قَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) إله (فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) خالقكم من عبادته (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أى ليقتل البرىء منكم الجرم (ذَلِكَ) القتل (خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ) فوقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضهم بعضا فيرحمه حتى قتل منهم نحو سبعين ألفا (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) قبل توبكم (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ولِإِذْ قُلْتُمْ) وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعت كلامه ،

(ياموسى)

فقد خاب من ربى وخاب المؤمل

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل

موسى الذى رباه جبريل كافر وموسى الذى رباه فرعون مرسل (قوله إله) قدره إشارة للانعول الثانى لاتخاذ هذا إذا كانت بمعنى جعل وأما إن كانت بمعنى عمل نصبت مفعولا واحدا (قوله لعلكم تهتدون) أى تتدبرون فى معانيه فتعلموا الحق من الباطل (قوله باتخاذكم) من اضافة المصدر لفاعله والعجل مفعول أول وإله مفعول ثان (قوله إلى بارئكم) البارئ هو الخالق للشيء على غير مثال سابق (قوله فاقتلوا أنفسكم) هذا بيان لتوبتهم (قوله أى ليقتل البرىء الخ) ورد أنهم أمروا جميعا بالاحتباء فصار الواحد منهم يقتل أخاه أو ابنه فشق عليهم ذلك فشكوا لموسى ذلك فتضرع موسى لربه فأرسل عليهم سحابة سوداء مظلمة كما قال المفسر (قوله فتاب عليكم) أى لما تضرع موسى وهرون وبكيا فأرسل الله جبريل يأمرهم بالكف عن الباقي وأخبرهم أن الله قبل توبة من قتل ومن لم يقتل وقوله فتاب عليكم الفاء سببية مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فوقكم لفعل ذلك الخ وقوله حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا أى فى يوم واحد (قوله التواب) أى الذى يقبل التوبة كثيرا (قوله الرحيم) أى ألتمم المحسن (قوله وقد خرجتم الخ) بيان للسبب . وحاصل ذلك أنه بعد قبول توبتهم أوحى الله إلى موسى أن خذ من قومك سبعين رجلا ممن لم يعبدوا العجل ورمم بطهارة الثياب والأبدان والذهاب معك إلى جبل الطور ليعتذروا عن عبدوا العجل ويستغفروا . توبوا فاخترهم وذهبوا معه إلى جبل الطور فسمعوا

كلام الله ، ورد أن الله قال لهم إني أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدون ولا تعبدوا
غيري فقالوا ياموسى لن نؤمن لك الآية (قوله لن نؤمن لك) أى لن نصدقك فى أن الخاطب لنا ربنا (قوله الصيحة)
قيل صاح عليهم ملك وقيل نزلت عليهم نار فأحرقتهم وجمع بأنه أصابهم كل منهما (قوله وأنتم تنظرون) أى لماتوا مرتين
واحدا بعد واحد ومكثوا ميتين يوما وليلة والحى بنظر لبيت (قوله ما حلّ بكم) إشارة إلى مفعول تنظرون (قوله ثم
بعثناكم) أى واحدا بعد واحد لتعتبروا وهذا اللوث حقيقى وإنما أحيوا بشفاعه موسى ليستوفوا آجالهم المقدرة لهم ، وما ذكره
للمفسر من أن السائل لرؤية الله جهرة هم السبعون المختارون للنجاة أحد طريقتين والثانية أن السائل غيبرهم وأما المختارون
فصعدوا من هبة الله ولم يسألوا رؤية ولم يكن منهم إنكار فتصرع موسى لربه وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى
أهلكنا بما فعل السفهاء منا فأحيام الله بعد ذلك ويشهد لذلك ما فى آية النساء فإن ما فيها يدل على أن طلب الرؤية كان
قبل عبادة العجل وأما السبعون المختارون للنجاة فكانوا بعد عبادة العجل قال تعالى فى سورة النساء - فقالوا أرنا الله
جهرة - الآية وأما ما هنا فالواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فإن ما هنا بصدد تعداد ما قالوا ويشهد لذلك أيضا أنه عبر فى جانب
من طلب الرؤية بالصعقة وهى أخذة غضب وفى جانب من يسمع الكلام بالرجفة وهى أخذة هيبة ولا تقتضى الغضب إذا علمت
ذلك فما شئ عاينه المفسر مشكل من وجوه والأقرب الطريقة الثانية (قوله سترناكم بالسحاب) حاصله أن الله أوحى
إلى موسى أن فى أريحا قوما جبارين فتجهز لقتالهم فخرج فى ستمائة ألف فلما وصل التيه واد بين الشام ومصر وقدره تسعة
فراسخ مكثوا فيه أربعين سنة متحيرين وكانوا يتدثرون السير من أول (٢٩) النهار فإذا جاء الليل وجدوا

أنفسهم فى المبدأ وهكذا
وسياتى بسطه فى المائدة .
ومات هرون قبل موسى
بسنة وكان بالتية ولما
توفى هرون وذهب موسى
لدفعه أشاعوا أنه قتل
أخاه فذهب إلى قبره
ودعاهم وسأله عن مبيب
موته فبرأه ، ولما حضرت

(يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) عيانا (فَأَخَذْنَاكُمْ الصَّاعِقَةُ) الصيحة فتم
(وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) ما حلّ بكم (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ) أحييناكم (مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ) نعمتنا بذلك (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ) سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس
فى التيه (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ) فيه (الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى) هما الترنجيبين والطير السمانى بتخفيف الميم
والقصر وقلنا (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع
عنهم (وَمَا ظَلَمُونَا) بذلك (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) لأن وباله عليهم (وَإِذْ قُلْنَا)
لهم بعد خروجهم من التيه (ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) بيت المقدس أو أريحا ،

موسى الوفاة تبنى أن يدفن بجبل قريب من الأرض المقدسة قدر رمية الحجر فأجابه الله ثم لما مات ومات كبارهم نبي يوشع
ابن نون عليهم فوقفوا بعد تمام الأربعين سنة لقتال الجبارين فتوجه مع من بقى من بنى اسرائيل فكان النصر على يديه
(قوله الترنجيبين) شئ يشبه العسل الأبيض ، وقيل هو هو (قوله والطير السمانى) أى بارسال ربح الجنوب به قيل
كان يأتيهم مطبوخا وقيل كانوا يطبخونه بأيديهم ، قيل هو الطير المعروف وقيل طير يشبهه (قوله كلوا من طيبات
ما رزقناكم) أى مستلذات الذى رزقناكموه فلما اسم موصول وما بعدها صلة والعائد محذوف ويصح أن تكون نكرة
والجمله بعدها صفة وأن تكون مصدرية والجمله صلتها ولم تحتاج إلى عائد ويكون المصدر راقعا موقع المفعول أى من طيبات
مرزوقنا (قوله فقطع عنهم) هذا أحد تفسيرين أن القطع بسبب الادخار وقيل إن القطع بسبب تمنى غيره كما يأتى فى قوله تعالى
- وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد - (قوله ولكن كانوا) جمع فى هذه الآية وآية الاعراف بين لكن وكانوا
واقصر على لكن ولم يذكر كانوا فى آل عمران لأن ما هنا والاعراف حكاية عن بنى اسرائيل وأما آل عمران فنزل ضربه
الله فهو مستمر إلى الآن فناسب عدم التعبير بكان (قوله قلناهم) القائل الله سبحانه وتعالى على لسان موسى وهم فى التيه بطريق
الكشف والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضى الأربعين سنة فادخلوا الخ وأما إن كان بعد الخروج من التيه فيكون ذلك على
لسان يوشع وهو المعتمد (قوله هذه القرية) هذه منصوبة عند سبويه على الظرف وعند الأخفش على المفعولية والقرية نعت
لهذه أو عطف بيان وهى مشتقة من قرئت أى جمعت لجمعها لأهلها وهى فى الأصل اسم للسكان الذى يجتمع فيه القوم وقد تطلق
عليهم مجازا وقوله تعالى - واسأل القرية - يحتمل الوجهين (قوله بيت المقدس) هو قول مجاهد وقوله أريحا هو قول ابن عباس

وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء المهملة قرية بالنور ضمن معجزة مكان منخفض بين بيت المقدس وحوارن وعبرة الحازن قال ابن عباس القرية هي أريحا قرية الجبارين قيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق (قوله فكلوا) أتى بالفاء لأن الأكل منها إنما يكون بعد الدخول فحسن الترتيب ولم يأت بالفاء في الأعراف بل أتى بالواو لتعبيره هناك بإسكنوا وهو يجمع الأكل فلم يحصل بينهما ترتيب فقد أتى بالواو بخلاف الدخول فيعقبه الأكل عادة لذلك أتى بالفاء (قوله أي بابها) أي أريحا وهو المعتمد ، والمراد أي باب من أبوابها وكان لها سبعة أبواب أو بيت المقدس ومن قال بذلك فالمراد باب من أبواب المسجد يسمى الآن بباب حطة (قوله منحني) أي على صورة الراكع وقيل إن السجود حقيقة وهو وضع الجبهة على الأرض ، وقيل المراد بالسجود التواضع والذل لله والأمر بالسجود قيل لصغر الباب وقيل تعبدى (قوله مسألنا) إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف قدره المفسر والجملة في محل نصب مقول القول وحطة بوزن قعدة أو جلسة ومعناها حطيطة الذنوب عنا (قوله خطايانا) جمع خطيئة وهي الذنوب التي ارتكبوها من عبادة العجل وقولهم - أرنا الله جهرة - إلى غير ذلك وفي قراءة شاذة بنصب حطة إما مفعول مطابق أي حط عنا الذنوب حطة أو مفعول لمحذوف : أي نسألك حطة ومعنى حطها إزالتها وعوها (قوله نفقر) هذه القراءة تناسب ما قبلها وما بعدها لأنه تكلم (قوله وفي قراءة بالياء والتاء) أي وهما مناسبان لمعنى الخطايا والخطايا مجازى التأنيث فذلك جاز تذكر الفعل وتأنيثه (قوله خطاياكم) جمع خطيئة وأصله خطيائي ييا قبل الهمزة فقلبت تلك الياء همزة مكسورة فأجتمع هزتان فقلبت الثانية ياء وقلبت كسرة الهمزة الأولى فتحة ثم يقال تحركت الياء التي بعد الهمزة وانفتح ما قبلها (٣٠) فقلبت ألفا فصار خطاءا بألفين بينهما همزة فاستثقل ذلك لأن الهمزة تشبه

(فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا) وَاسْعًا لَا حِجْرَ فِيهِ (وَأَدْخُلُوا الْبَابَ) أَيْ بَابَهَا (سُجَّدًا) مُنْحَنِينَ (وَقُولُوا) مَسْأَلْنَا (حِطَّةً) أَيْ أَنْ تَحِطَ عَنَا خَطَايَانَا (نَفْقِرْ) وَفِي قِرَاءَةِ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ فِيهِمَا (لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَرِيدُ الْمُخْسِنِينَ) بِالطَّاعَةِ ثَوَابًا (قَبْدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا) مِنْهُمْ (قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) فَقَالُوا حَبَّةً فِي شَعْرَةٍ وَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِمِمْ (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) فِيهِ وَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ مِبَالِغَةً فِي تَقْبِيحِ شَأْنِهِمْ (رِجْزًا) عَذَابًا طَاعُونًا (مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) بِسَبَبِ فَسَقِهِمْ أَيْ خُرُوجِهِمْ عَنِ الطَّاعَةِ ،

الألف فكأنه اجتمع ثلاث ألفات متواليات فقلبت الهمزة ياء للخفة هنا ففيه خمس إعمالات قلب الياء التي قبل الهمزة همزة ثم قلب الهمزة الثانية ياء ثم قلب كسرة الأولى فتحة ثم قلب الثانية ألفا ثم قلب الأولى ياء تأمل وخطايا هنا باتفاق القراء وأما في

الأعراف فيقرأ خطيئات وحكمة ذلك أنه هنا أسند القول لنفسه فهو يغفر الذنوب وإن عظمت فناسب التعبير بخطايا الذي هو جمع كثرة وفي الأعراف بنى الفعل للجهول فعبر بجمع القلة وقوله نفقر مجزوم في جواب قوله ادخلوا المقيد بالسجود والقول (قوله وسنريد) عبر بالسین والمضارع إشارة إلى أن المحسن لا ينقطع ثوابه بل دائماً يتجدد شيئاً فشيئاً (قوله الذين ظلموا) حكمة الاتيان بذلك الزيادة في التقبيح عليهم (قوله منهم) قدرها هنا لأنه ذكرها في الأعراف والتصة واحدة فما تركها هنا قدره هناك وبالعكس (قوله قولاً) أي وفلا ففيه اكتفاء على حد سراييل تقيكم الحر : أي والبرد أو المراد بالقول الأمر الإلهي وهو يشمل القول والفعل كأنه قال فبدل الذين ظلموا أمراً غير الذي أمروا به (قوله فقلوا حبة في شعرة الخ) لفظة ونشر مشوش لأن هذا راجع إلى حطة وقوله ودخلوا الخ راجع لقوله سجداً وما فسر به المفسر هو الصحيح لأنه حديث البخاري وقيل قالوا حنطة في شعرة وشعيرة أو حنطة حمراء في شعرة سوداء أو حنطة بيضاء في شعرة سوداء ومعنى حبة في شعرة جنس الحب وجنس الشعر أي نسألك حبا في زكائب من شعر (قوله ودخلوا يرحفون) وقيل إنهم دخلوا مستلقين على ظهورهم (قوله على أستاذهم) جمع سته وهو الدبر أي أدبارهم (قوله رجزا) هو في الأصل فداء ينزل بالابل أطلق وأريد منه مطابق الفناء (قوله بسبب فسقهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر ومشي المفسر على أن كان لا تصرف فسبك من الخبر وقيل إن كان متصرفة يأتى منها المصدر لقول الشاعر :

بئذ ولحم ساد في قومه الفتى وكونك إياه عايك يسير

فعلية أن ما تسبك بها بمصدر : أي بكونهم فاسقين وهو المعتمد .

(قوله فهلك منهم الخ) أى فالتايعون عذاب لهم بخلاف الأمة الحمدية فانه رحمة لهم من مات به أو في زمنه كان شهيدا . وقلا
ذكروا أن في الآية سؤالات : الأول قوله هنا وإذ قلنا وفي الأعراف وإذ قيل . وأجيب بأنه صرح هنا بالفاعل لأزائمه الإيهام
وحذفه في الأعراف للمطربة مما هنا . الثاني قال هنا ادخلوا وهناك اسكنوا . وأجيب بأن الدخول مقدم على السكنى فذكر الدخول
في السورة المتقدمة والسكنى في للتأخرة على حسب الترتيب الطبيعي . الثالث قال هنا خطاياكم باتفاق السبعة وهذا خطيئاتكم في بعضها
وتقدم جوابه . الرابع ذكر هنا رغدا وحذفه من هناك . والجواب أن القصة ذكرت هنا مبسطة وهناك مختصرة . الخامس
قدم هنا دخول الباب على قولوا حطة وعكس هناك . وأجيب بأن ما هنا هو الأصل في الترتيب وعكس فيما يأتي اعتناء بحط الذنوب .
السادس إثبات الواو في وسنزيد هنا وحذفها هناك . وأجيب بأنه لما تقدم أمران كان المحيىء بالواو مؤذنا بأن مجموع الغفران
والزيادة جزء واحد لمجموع الأمرين وحيث تركت الواو أفاد توزيع كل واحد على كل واحد من الأمرين فالغفران في مقابلة
القول والزيادة في مقابلة ادخلوا . السابع لم يذكر هنا منهم وذكرها هناك . وأجيب بأن أول القصة في الأعراف مبنى على
التخصيص بلفظ من حيث قال ومن قوم موسى أمة فذكر لفظ منهم آخر ليطلق الآخر الأول . الثامن ذكر هنا أنزلنا وهناك
أرسلنا . وأجيب بأن الانزال يفيد حدوثه في أول الأمر والارسل يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية وهذا إنما يحدث في
في آخر الأمر . التاسع هنا يفسقون وهناك يظلمون . وأجيب بأنه لما بين هنا كون ذلك الظلم فسقا اكتفى بذكر الظلم هناك
لأجل ما تقدم من البيان هنا . العاشر قوله تعالى - فبدل الدين ظلموا قولا - فيه إخبار بالمجازاة عن المخافة في القول دون الفعل
وجوابه ما تقدم فتحفظ (قوله واذكر) أى يا محمد والناسب لما تقدم وما يأتي أن يقدر اذكروا ويكون خطابا لبني إسرائيل
تعداد النعم عليهم والأول وإن كان صحيحا إلا أنه خلاف النسخ (قوله أى طاب (٣١) السقيا) أشار بذلك إلى أن

السقيا والتاء للطلب والفعل
إما رباعى أو ثلاثى يقال
سقى وأسقى قال تعالى
- وسقاهم ربهم شرابا
طهورا . وأسقيناهم ماء
فراثا - والمصدر سقيا

فهلك منهم في ساعة سبعون ألفا أو أقل (و) اذكر (إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى) أى طلب السقيا (لِقَوْمِهِ)
وقد عطشوا في التيه (فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) وهو الذى فَرَّ بثوبه خفيف مربع كرأس الرجل
رخام أو كذان فضربه (فَأَنْفَجَرَتْ) انشقت وسالت (مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) بعدد الأسباط
(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) سبط منهم (مَشْرَبُهُمْ) موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم وقلنا لهم

والاسم اسقيا (قوله وقد عطشوا في التيه) أشار بذلك إلى أن المراد بقومه من كان معه في التيه لاجمعيهم وتقدم أنهم ستمائة
ألف غير دوابهم وقدر مسافة الأرض التى تكفيهم اثنا عشر ميلا وعطش من باب ضرب وعلم (قوله فقلنا) القائل الله على لسان
جبريل أو غيره (قوله بعصاك) كانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع وطول موسم كذلك وكان لها شعبتان قضيتان له في الظلام
وتظلاؤه في الحر وكانت نسوق له النعم وتطرد عنها الدباب (قوله وهو الذى فَرَّ بثوبه) أى حين رموه بالأدرة وهى اتفاح الحصى
وكان بنو إسرائيل لا يبالون بكشف العورة فأراد موسى الفصل فوضع ثوبه على ذلك الحجر ففرّ بذلك الثوب فخرج موسى من
الماء وقال توبى حجر توبى حجر فنظر بنو إسرائيل لعورته فلم يروه كما ظنوا قال تعالى - فبرأه الله عما قالوا - وهذا الحجر قيل
أخذه هو والعصا من شعيب ، وقيل إن الحجر أخذه من وقت فراره بثوبه وكان طوله ذراعا وعرضه كذلك وله جهات أربع
في كل جهة ثلاثة أعين فكان يضربه بالعصا عند طلب السقيا فتخرج منه اثنتا عشرة عينا بعدد فرق بنى إسرائيل وتلك العصا
كانت من الجنة خرجت مع آدم مع عدة أشياء نظمها سيدى على الأجهورى بقوله :

وآدم معه آزل العود والعصا لموسى من الآس النبات الكرم
وأوراق نين واليمين بمكة وختم سليمان النسي للعظم

(قوله أو كذان) جفتح الكاف وتشديد اللال المعجمة الحجر اللين (قوله فضربه) أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله فانفجرت
عاطفة على محذوف (قوله فانفجرت) عبر هنا بالانفجار وفي الأعراف بالانجاس إشارة إلى أن ما هنا بيان للناية وما في الأعراف
بيان للبدأ فان مبدأ خروج الماء الرشح الذى هو الانجاس ثم إذا قوى سعى انفجارا وقيل معناها واحد (قوله انثا) فاعل
انفجرت مرفوع بالالف لأنه ملحق بالثنى وعشرة بمنزلة النون في الثنى (قوله قد علم كل أناس) أى فكانت كل عين تانى
لقليلة وأعظم من هذه للمعجزة نبيع الماء من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(أفوله من رَزَقَ الله) تنارعه كل من كانوا وأشر بوا فأعمل الأخير وأضمر في الأول وحذف والمراد بالرزق الرزوقي وهو بالنسبة للأكل للنَّ والسلوى (قوله مؤكدة لعاملها) وحكمة ذلك عظم بلادهم فزولوا منزلة الساهى والغال (قوله من عني) أي والمصدر عشيا بضم العين وكسرها (قوله وإذ قائم) أي واذكروا إذ قالت أصولكم (قوله أي نوع منه) جواب عن سؤال كيف يقولون واحد مع أنهما اثنان فأجاب بأن الراد وحدة النوع لئلا هو الطعام المستقلة (قوله شيئا) قدره إشارة إلى أن مفعول يخرج محذوف (قوله مما تنبت الأرض) بيان لذلك الشيء (قوله للبيان) أي بيان ما تنبت الأرض (قوله بقائها) هو ما لا ساق له كالسكرات والفجل والملوخية وشبهها (قوله وقثائها) هي الخضراوات كالبطيخ والخيار وغير ذلك (قوله حنطتها) وقيل هو النوم لأن الثاء قلب فاء في اللغة والأقرب ما تأله المفسر (قوله قال لهم موسى) وقيل القائل الله على لسان موسى (قوله بالذي هو خير) الباء داخلة على المتروك (قوله للإنكار) أي التوبيخ (قوله فدعا الله) أشار بذلك إلى أن قوله أهبطوا مرتب على محذوف (قوله أهبطوا) يطلق المهبوط على النزول من أعلى لأسفل وعلى الانتقال من مكان لمكان وهو المراد . إن قلت ظاهر الآية أنهم متمكنون من الانتقال مع أن الأمر ليس كذلك . أجيب بأن ذلك على سبيل التوبيخ واللوم عليهم في ذلك تقدير الكلام (٣٢) إن مطلوبكم يكون في الأمصار فإن كنتم متمكنين منها فلكم ما سألتم

(كُلُوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عني بكسر المثلثة أفسد (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ) أي نوع منه (وَاحِدٍ) وهو المن والسلوى (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا) شيئا (مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ) للبيان (بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا) حنطتها (وَعَدْسِهَا) ، وَبَصَلِهَا قَالَ لهم موسى (أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى) أخس (بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) أشرف أي أناخذونه بدله والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى (أَهْبِطُوا) انزلوا (مِصْرًا) من الأمصار (فَإِنْ لَكُمْ) فيه (مَا سَأَلْتُمْ) من الثبات (وَضُرِبَتْ) جملة (عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ) الذل والهوان (وَالْمَسْكَنَةُ) أي أثر الفقر من السكون والخزى فهي لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته (وَبَاؤُوا) رجعوا (بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ) أي الضرب والغضب (بِأَنَّهُمْ) أي بسبب أنهم (كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ) كزكريا ويحيى (بَغْيِ الْحَقِّ) أي ظلما (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) يتجاوزون الحد في المعاصي وكرره للتأكيد (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالأنبياء من قبل ،

وإلا فاصبروا على حكم الله (قوله مصرا) بالتثنية جمهور القراء ولم يقرأ بعده إلا الحسن وأبو العلمية والتأنيث ونظيرها يجوز فيه الصرف وعدمه لأنه اسم ثلاثي ساكن الوسط (قوله عليهم) أي على ذرياتهم إلى يوم القيامة وكل من نحاحوم (قوله أي أثر الفقر) أي القلبى ولو كثرت أمواله قال عليه الصلاة والسلام «الفقر سواد الوجه في

الدارين» (قوله لزوم الدرهم الخ) الكلام على القلب أي لزوم السكة لا درهم والمراد بالسكة أثرها (والذين لأن السكة اسم للحديدة المنقوشة يضرب عليها الدراهم فكذلك لا يخلو يهودى من آثار الفقر قال المفسرون مبدأ زيادة اللثة والغضب من وقت إشاعتهم قتل عيسى (قوله بآيات الله) أي المعجزات التي آتى بها موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم (قوله كزكريا) أي بالشر حين أوى إلى شجرة الأمل فافتحت له فدخلها ففشروها معه (قوله ويحيى) أي قتلوه على كلمة الحق ورد أنهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا وأقاموا سوقهم (قوله بغير الحق) من المعلوم أن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق وإنما ذكره إشارة إلى أن اعتقادهم موافق للواقع فهم يعتقدون أنه بغير الحق كما هو الواقع (قوله بما عصوا) أصله عصوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لانتفاء الساكنين وبقيت الفتحة لتدل عليها (قوله وكرره) أي اسم الإشارة وهو لفظ ذلك قال بعضهم وفي تكرير الإشارة قولان : أحدهما أنه مشار به إلى ما أشير إليه بالأول على سبيل التأكيد . والثاني أنه مشار به إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيها ومصدرية والباء للسببية وأصل يعتقدون يعتدون استقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الياء لالتقاءهما وضمت الدال لمناسبة الواو (قوله إن الذين آمنوا) هذه الآية معترضة بين قصص بني إسرائيل (قوله من قبل) أي قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كجبرائيل الراهب وأبي ذر الغفاري وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وقس بن ساعدة وغيرهم ممن آمن بعيسى

الطور) في الأصل اسم لكل جبل لكن المراد به هنا جبل معروف بفلسطين (قوله وقلناخذوا) قدره المفسر إشارة إلى أنخذوا مقول لقول محذوف . وحاصل ذلك أن الله لما آتى موسى التوراة وأمرهم بالسجود شكرا لله أبوا من قبول التوراة ومن السجود فرفع الله جبل الطور فوق رؤوسهم كأنه حجابة قدرقامتهم وكان على

قد برهم فسجدوا على نصف الجبهة اليسرى صار ذلك فيهم إلى الآن ثم لما رجع عنهم أبوا (قوله لعلكم تتقون) التزى بالنسبة
للخطابين (قوله الميثاق) أشار بذلك إلى مرجع اسم الإشارة وقال البيضاوى إنه راجع لرفع الجبل وإتياء التوراة (قوله فولاً
فضل الله) لوحرف امتناع لوجود أى امتنع خسرانكم لوجود فضل الله ورحمته وجوابها يقترب باللام غالبا إن كان مثبتا فإن
كان منقيا بما فالغالب الحذف أو بغيرها فالواجب الحذف وتختص بالجلل الاحمية ومدخولها المبتدأ يجب حذف خبره لاغناء
جوابها عنه، قال ابن مالك * وبعد لولا غالبا حذف الخبر * حتم (قوله بالتوبة) هذا في حق المؤمنين وقوله أو تأخرا العذاب
في حق الكافرين (قوله المالكين) أى في الدنيا والآخرة (قوله عرفتم) أى فتنصب مفعولا واحدا والعلم والمعرفة قيل مترادفان
ولكن يقال في الله عالم لا عارف لأن أسماء توقيفية وقيل العلم أوسع دائرة من المعرفة لتعلقه بالجزئيات والسكريات والبسائط
والمركبات بخلاف المعرفة فذلك يقال في الله عالم لعموم ما تعلق به علمه لا عارف لأنه يوم القصور والمعتمد الأول وقوله لا م قسم
أى محذوف تقديره والله لقد عرفتم (قوله الذين) مفعول، علمتم واعتدوا صلته وأصله اعتدوا تحركت الياء وافتتح ما قبلها
قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله منكم) جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل اعتدوا (قوله في السبت)
هو لغة القطع وهو أصل وضعه لأنه ورد أن الدنيا ابتدئت بالأحد وختمت بالجمعة فكان يوم السبت يوم انقطاع عمل خست
[٥ - صاوى - أول] اليهود به لقطعهم عن رحمة الله أو مأخوذ من السبوت وهو السكون لأن بانقطاع العمل السكون

(قوله وهم أهل أيلة) حاصله أن سبعين ألفاً من قوم داود هلكوا بغيره نسى أيلة عند العقبة في أرغد عيش فأنشعهم الله بأن حرم عليهم اصطيد السمك يوم السبت وأحل لهم باقي الجمعة فإذا كان يوم السبت وجدوا السمك بكثرة على وجه الماء وفي باقيها لم يجدوا شيئاً، ثم إن إبليس علمهم حيلة يصطادون بها فقال لهم اصنعوا جداول حول البحر فإذا جاء السمك نزل في الجداول فسدوا عليه وخذره في غير يوم السبت فافترقوا ثلاث فرق فأتوا عشر ألفاً فعادوا ذلك واصطادوا وأكلوا ففسخوا قردة ومكنوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ثم ماتوا، وأما ما وجد من القردة الآن فلم يكونوا من ذرية بل خلق آخر، وقيل مسخت شباههم قردة وشيوخهم خنازير. وقيل الذين مسخوا خنازير أهل المائدة وفرقة نهوم وجعلوا بينهم سدا وفرقة أنكروا بينهم ولم يتراضوا لهم فمن نهى نجا وكذا من لم ينه على العتد (قوله قتلنا) المراد بالقول تعلق الإرادة (قوله مبعدين) أى عن رحمة الله (قوله نكالا) هو في الأصل القيد الحديد أطلق وأريد لازمه وهو النع لأن القيد منع فكذا تلك العقوبة مانعة (قوله مثل ما عملوا) المائلة في مطلق المخالفة (قوله) (٣٤) واذكروا) أى يائى إسرائيل (قوله قتل) اسمه عاميل (قوله بقرة) واحدة البقر

يفرق بين مذكوره ومؤنه بالوصف تقول بقرة أى وبقرة ذكر فالتاء للوحدة وقيل للتأنيث فالأشئ بقرة والدكر نور وصحى البقر بقراً لأنه يبقر الأرض بحافره: أى يشقها. وأول القصة قوله فيما يأتى - وإذ قتلتم نفساً - الآية (قوله مهزواً بنا) أشار بذلك إلى أنه مصدر بمعنى اسم للفعول ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة أوطى حذف مضاف: أى ذوى هزم على حد ما قيل في زيد عدل والمهزؤ هو الكلام الساقط الذى لا معنى له (قوله من الجاهلين) أى للبلانيين عن الله الكذب

وهم أهل أيلة (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) مبعدين فكانوا هلكوا بعد ثلاثة أيام (فَجَعَلْنَاهَا) أى تلك العقوبة (نَكَالًا) عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا) أى للأثم التى فى زمانها وبعدها (وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) الله وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) وقد قتل لهم قتيلاً لا يدري قاتله وسأله أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا) مهزواً بنا حيث تخبينا بمثل ذلك (قَالَ أَعُودُ) أمتنع (بِاللَّهِ) من (أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) المستهزئين فلما علموا أنه عزم (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) أى ماسنها (قَالَ) موسى (إِنَّهُ) أى الله (يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ) مسنة (وَلَا يَكْرَهُ) صغيرة (عَوَانٌ) نصف (يَنْ ذَٰلِكَ) المذكور من السنين (فَأَقْصُوا مَا تُولَمُونَ) به من ذبحها (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا) شديد الصفرة (تَسُرُّ النََّاظِرِينَ) إليها بحسنها أى تعجبهم (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) أسامة أم عاملة (إِنَّ الْبَقَرَ) أى جنسه المنعوت به اذكر (تَشَابَهَ عَلَيْنَا) لكثرة ظم نهتد إلى المقصودة (وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) إليها فى الحديث «لو لم يستنوا لما بينت لهم آخر الأبد (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ) غير مذلة بالعمل (تُثِيرُ الْأَرْضَ) تقلبها للزراعة والجملة صفة ذلول ،

داخلية

(قوله أنه عزم) أى مفروض وحق لا هزل فيه (قوله أى ماسنها) أى فساوقة

على الأوصاف وقولهم إن ما يستل بها عن الهامية والحقيقة أغابى (قوله لا فارض) من الفرض وهو القطع سميت بذلك لقطعها عمرها (قوله نصف) بالتحريك يقال للمرأة والبقرة. قال الشاعر :

وإن أتوك وقالوا إنها نصف قل إن أحسن نصفها الذى ذهباً وكرراً لوقوع النعت بعدها وكذا إذا وقع بعدها الحال والخبر (قوله به) هو عائد للوصول وقوله من ذبحها بيان لما (قوله قال) أى موسى وقوله إنه: أى الله (قوله فاقع) صفة لصفراء وهو مبالغة فى الصفرة يقال أحمر قاتى وأسود حالك وأبيض ناصع وأصفراً قاع (قوله بحسنها) أى لجمال خلقها وحيث شددوا شدد عليهم إذ ذلوا أتوا أولاً بأى بقرة لكفت ثم لو أتوا بما فى السؤال الثانى لكفت ثم ما فى الثالث لكفت ولكن شددوا فشدت عليهم (قوله أسامة) أى معروكة فى الجبال ترمى من كلها (قوله أم عاملة) أى يعلفها ربها ويشغلها (قوله إن البقر) تعليل للأشلة الثلاثة (قوله لو لم يستنوا) أى بالمنبئة (قوله آخر الأبد) أى إلى انقضاء الدنيا (قوله لا ذلول) من القلة وهى السهولة بل فيها الصعوبة

(قوله داخله في النبي) أي قاله لست مغفلة لعمل ولا متبرية للأرض (قوله الأرض المهيأة الخ) التاسب أن يقول الحرف : هي الزرع لأن الحرف يطلق على الزرع (قوله الآن) ظرف زمان للوقت الحاضر (قوله جئت بالحق) أي صفات البقرة التي لا تحق ولا تلتبس فلا تنافي بين الآية وقول المفسر فطلبوها (قوله نطق بالبيان التام) جواب عن سؤال ورد على الآية وهو أن ظاهر مفهوم الآية يقتضي أنهم كفار ، فأجاب المفسر بأن فيه حذف النعت مع بقاء المنعوت وهو جائز لقول ابن مالك :
وما من المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه وفي النعت يقل

(قوله فطلبوها) أي بحثوا عنها (قوله عند الفتى البار بأمه) وحاصل ذلك أن أبا الفتى المذكور كان رجلا صالحا من بني إسرائيل قد حضرته الوفاة وكانت عنده بقرة قد ولدت أثنى فأخذ تلك الأثنى ووضعها في غيضة وأوصى أم الغلام أن تعطيه تلك البقرة حين يكبر ومات ، ثم إن الولد صار يحتطب ويبيع الخطب ويقسم ثمنه أثلاثا يصرف ثلثه على نفسه والثلث الآخر على أمه والثلث الآخر يتصدق به ويقسم ليله أثلاثا ينام ثلثه ويخدم أمه ثلثه ويقوم لطاعة الله ثلثه ، فلما كبر الغلام قالت له أمه اذهب إلى الفيضة الغلانية فإن فيها بقرة تركها لك أبوك وأوصاني إذا كبرت أن أعطيها لك وأقسم عليها بآراءيم الخليل واسحاق ويعقوب فإنها تأتي لك طائعة ففعل كما أمرته ، فجاءت له طائعة وقالت له اركب على ظهري ، فقال لها إن أمي لم تأمرني بالركوب ، فقالت له لو ركبتي على ظهري ما قدرتي إلى الأبد ، فأخذها وذهب إلى أمه فقالت له (٣٥) اذهب إلى السوق فبعا بثلاثة

دنانير على مشورتى فذهب ثأناه ملك على صورة رجل وقال له بكم تبيعها فقال بثلاثة دنانير على مشورة أمي فقال له بعها لي بستة دنانير من غير مشورة فقال لا ثم ذهب إلى أمه أخبرها بذلك فقالت له بعها بستة على مشورتى فذهب ثأناه ثانيا وأعطاه فيها اثني عشر على خبر مشورة فأني فذهب إلى أمه وأخبرها فقالت له

داخله في النبي (وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ) الأرض المهيأة للزراعة (مُسَلَّمَةً) من العيوب وآثار العمل (لَاشِيَّةً) لون (فِيهَا) غير لونها (قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بثلث مسكها ذهباً (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) لفلاء ثمنها وفي الحديث «لو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم» (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ) فيه إدغام التاء في الأصل في الدال أي تخصم وتدافعتم (فِيهَا) وَاللَّهُ مُخْرِجٌ) مظهر (مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة (قَتَلْنَا أَسْرَبُوهُ) أي القتل (بِبَعْضِهَا) فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فخي وقال قتلنا فلان وفلان لابني عمه ومات لحرما الميراث وقتلا قال تعالى (كَذَلِكَ) الإحياء (يُحْيِي اللَّهُ الْوَتَى وَيَرِيكُمْ آيَاتِهِ) دلائل قدرته (لَسَلَّكُمْ تَعْمَلُونَ) تدبرون فتملكون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء قوس كثيرة فتؤمنون .

إن هذا ملك من عند الله فذهب إليه وقره السلام وقل له أنبيع البقرة أم لا فذهب إليه وأخبره بذلك ، فقال له إن بني إسرائيل يقتل لم قتل ويتوقف بيان قاتله على تلك البقرة فلا تبعا إلا بثلث مسكها ذهباً ففعل ما أمر به والفتى هو الشاب السخي ، ولا شك أنه كان كذلك (قوله مسكها) بفتح اليم الجله (قوله فذبحوها) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فطلبوها الخ (قوله وما كادوا يفعلون) أي ما قاربوا الفعل (قوله لفلاء ثمنها) أي أو لتعتني أوصافها (قوله فيه إدغام التاء في الأصل الخ) أي أصله تدارأتم قلاد أثناء الدال وأدغمت فيها واتي بهمزة الوصل توصل للنطق بالسالك (قوله أي تخصمتم) أي اتهم بعضهم بعضا (قوله وهذا اعتراض) أي جملة منترضة بين المعطوف وهو قتلنا أسربوه الخ والمعطوف عليه وهو فذبحوها (قوله وهو أول القصة) وإنما أخره ليوصل قبائح بني إسرائيل بعضها ببعض (قوله قتلنا) معطوف على فذبحوها والقائل الله على لسان موسى (قوله بلسانها) أي لأنه محل الكلام (قوله أوعجب ذنبها) إشارة لتنويع الخلاف والحكمة في ذلك أنه محل حياة ابن آدم ، وقيل ضربوه بضربها الخني ، وقيل بقطعة لحم منها (قوله فخي) ورد أنه قام وأوداجه نشخب دما (قوله ومات) أي سريعا بلا مهلة (قوله لحرما الميراث) أي لأن القاتل لا يرث من تركه للقتول شيئا حتى في شرع موسى وسبب قتله إياه أن المقتول كان غنيا والقاتل كان فقيرا فلما طال عمر المقتول قتله ليرثه ، وقيل غير ذلك (قوله كذلك) هذه الجملة معترضة بين قصص بني إسرائيل ردا على منكري البعث فان بني إسرائيل لم يكونوا منكرين له ، فالخطاب لشركي العرب بالكرين للبعث .

(قوله ثم قست قلوبكم) نزل استبعاد قسوة قلوبهم لظهور الحوارق لعادات العظيمة منزلة التراخي فأتى بهم وأكده بالظرف جد . (قوله أيها اليهود) دفع بذلك ما يقال إنه خطاب لعير بنى إسرائيل كالذى قبله (قوله صابت عن قبول الحق) أشار بذلك إلى أن في قست استعارة نصريحية تبعية حيث شبه عدم الازعان بالقسوة بجامع عدم قبول التأثير في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من القساوة قست بمعنى لم تدعن فلم تقبل المواعظ ولم تؤثر فيها (قوله فهي كالحجارة) لم يشبههم بالحديد لوجود الدين فيه في الجملة (قوله أشد) هذا ترق في ذكر قسوتهم فأو بمعنى بل (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى فأصله يشقق أبدلت التاء شينا ثم أدغمت فيها (قوله فيخرج منه الماء) أى أنهارا أو غيرها كالعيون فهو من عطف العام على الخاص (قوله ينزل من علو إلى سفلى) أى كجبل الطور وورد ما من حجر يسقط من علو إلى سفلى إلا من خشية الله (قوله من خشية الله) أخذ أهل السنة من ذلك ومن قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - ومن قوله تعالى - ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض - الآية أن كل شيء يعرف الله ويسبحه ويخشاه إلا الكافر من الانس والجن (قوله وما الله بغافل) مانافية ولفظ الجلالة اسمها وبغافل خبرها وقوله عما تعملون يحتمل أن ما اسم موصول وتعملون صلته والعائد محذوف أى عن الذى تعملونه ويحتمل أنها مصدرية (٣٦) نسبك مع ما بعدها بمصدر أى عن عملكم (قوله أفتطمعون) سيأتى للفسر

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ) أيها اليهود صلبت عن قبول الحق (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) فى القسوة (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) منها (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْشَقُّ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الشين (فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْهِيْطُ) ينزل من علو إلى أسفل (مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) وقلوبكم لا تتأثر ولا تلتين ولا تخشع (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وإنما يؤخركم لوقتكم وفى قراءة بالتحتمانية وفيه التفات عن الخطاب (أَفَتَطْمَعُونَ) أيها المؤمنون (أَنْ يُؤْمِنُوا) أى اليهود (لَكُمْ) وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) أحبارهم (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ) فى التوراة (ثُمَّ يُخَرِّقُونَهُ) يغيرونه (مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) فهموه (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم مفترون والهمزة للانكار أى لا تطعموا فلهم سابقة فى الكفر (وَإِذَا لَقُوا) أى مناقو اليهود (الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) بأن محمداً نبي وهو البشر به فى كتابنا (وَإِذَا خَلَا) دمج (بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا) أى رؤسائهم الذين لم يناقوا لمن ناق (أَتُحَدِّثُوهُمْ) أى المؤمنين ،

أن الهمزة للانكار فيحتمل أنها مقدمة من تأخير والأصل فأنطمعون قدمت لأن لها الصدارة وهو مذهب الجمهور وقال الزمخشري إن الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف التقدير أنسمعون كلامهم ونصرفون أحوالهم فطمعون الخ أى لا يكون منكم ذلك. واعلم أن الهمزة لا تدخل إلا على ثلاثة من حروف العطف الواو

والفاء وثم (قوله أن يؤمنوا) أى يستبعد ذلك منهم لافتراقهم أربع فرق فى كل فرقة صفة مانعة له (بما من الإيمان : الأول كونهم يحرفون كلام الله . الثانى النفاق . الثالث التوبيخ من غير النفاق للنفاق على ملاطفة المسلمين . الرابع كونهم أميين لا يعلمون الكتاب إلا أماني فهذه يستبعد معها الإيمان لرسوخ الكفر فى قلوبهم (قوله وقد كان فريق فى الجملة حالية وقد قربت المضى من الحال والمراد من كان بالنسبة لأن هذا الكلام فيمن كان موجودا زمن النبي لافيمن كان قبلهم (أحبارهم) لماؤم جمع حبر بالكسر ويقال بالفتح وجمعه حبور كفلس وفلوس (قوله من بعد ما عقلوه) أى من بعد تعقلهم إياه وتحريفهم فى الكلام كأوصاف النبي من كونه أكل العينين جمع الشعر فغيروه إلى أزرق العينين سبط الشعر وآية الرجم غيرها إلى الجلة وغير ذلك (قوله وهم يعلمون) الجملة حالية من فاعل يحرفون (قوله أنهم مفترون) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف والاقتراء هو الكذب الذى لا شك فيه (قوله للانكار) أى الاستبعاد (قوله أى لا تطعموا) عبر بالطمع د ن الرجاء إشارة إلى فتند أسباب الإيمان منهم وعدم قابليتهم له (قوله فلهم سابقة فى الكفر) أى كفر سابق قبل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لإيمان وهذه الجملة علة لقوله لا تطعموا (قوله وإذا لقوا) شروع فى ذكر الفرقة الثانية وهم للنفاقون ورئيسهم عبد الله بن سلول (قوله وإذا خلا) شروع فى الفرقة الثالثة وهم للوحنون للنفاقين .

(قوله بما فتح الله عليكم) ما اسم موصول جملة فتح منه وما حذف والتقدير بالذي فتح الله عليكم به وما واقعة على اوصاف محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من نعت محمد) بيان لما (قوله واللام للضرورة) أى عاقبة أمرهم أنهم يحاجونكم عند ربكم والفعل منصوب بأن مضمر بعدها (قوله فى الآخرة) إشارة إلى معنى العندية وهو متعلق يحاجوكم (قوله أنهم يحاجونكم) أشار بذلك إلى مفعول تعقلون وأنه من كلام الرؤساء الذين لم ينافقوا (قوله الاستفهام للتقرير) أى على سبيل التوبيخ حيث اعتقدوا أن المنافق يؤاخذ والكافر الأصل لاجبة عليه وله عذر قائم عند ربه وهذه الجملة حالية (قوله الداخل) نعت سبى للواو فكان عليه أن يظهر فاعله ويقول والواو الداخل الاستفهام عليها للعطف لوجود اللبس (قوله للعطف) أى على محذوف تقديره أيا لمؤمنهم ولا يعلمون وتقدم أن هذا مذهب الرعشى (قوله أن الله يعلم) هذه الجملة سدت مسد مفعولى يعلمون إن كانت على بابها أو مفعولها إن كانت بمعنى يعرفون (قوله فيرعو) أى فينكفوا وينزجروا وهو مرتب على قوله أو لا يعلمون كما أن قوله فتنهوا مرتب على قوله أفلا تعقلون (قوله ومنهم) شروع فى ذكر الفرقة الرابعة (قوله أميون) أى منسوبون للأمم لعدم اتقائهم عن حقيقة الأصلية التي ولدتهم عليها قال تعالى - والله أخ جكم من بطون (٣٧) أمهاتكم لا تعلمون شيئا - والآخرة

هو من لا يقرأ ولا يكتب (قوله إلا لكن أمانى) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والأمانى جمع أمنية وهو ما يتناهى الشخص ويطلق على القراءة وعلى الأكاذيب وهو المراد هنا (قوله فاعتمدها) أى ثبتوا عليها ورسخت فى قلوبهم (قوله مام) أشار بذلك إلى أن إن تافيه بمعنى ما والغالب وقوعها بعد إلا التي بمعنى لكن وهل نعمل عمل ما الحجازية فنصب الاسم وترفع الخبر أو لا عمل لها فلا

(بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) أى عرفكم فى التوراة من نعت محمد (لِيُحَاجُّوكُمْ) ليخاصمكم واللام للضرورة (بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ) فى الآخرة وقيموا عليكم الحجة فى ترك اتباعه مع علمكم بصدقه (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فتنهوا قال تعالى (أَوَلَا يَعْلَمُونَ) الاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرعو عن ذلك (وَمِنْهُمْ) أى اليهود (أُمِّيُونَ) عوام (لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ) التوراة (إِلَّا) لكن (أَمَانِي) أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدها (وَإِنْ) ما (هُمْ) فى جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه (إِلَّا يَظُنُّونَ) ظناً ولا علم لهم (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ) أى مختلقاً من عندهم (ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ شَيْءٌ بِدِينِ قَائِلٍ) من الدنيا وهم اليهود غير واصفة النبي فى التوراة وآية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف ما أنزل (فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ) من المخلوق (وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) من الرشا (وَقَالُوا) لما وعدم النبي النار (لَنْ نَمْسَا) نصيبنا (النَّارَ إِلَّا آيَاتًا مَعْدُودَةً) قليلة أربعين يوماً مدة عبادة آياتهم العجل ثم نزول (قُلْ) لهم يا محمد (أَتُحَدِّثُكُمْ) حذف منه همزة الوصل ،

بعدد مبتدأ وخبر خلاف بين الجمهور وسبويه فاختار سبويه الأول مستدلاً بقول الشاعر :

إن هو مسئولياً على أحد إلا على أضعف المجانين واختار الجمهور الثانى (قوله ولا لهم) أى ليس عندهم جزم مطابق للواقع وإنما أخر لأميون لأنهم أقرب للإيمان بخلاف من قباهم قاتهم ضلوا وأضلوا أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على غير (قوله فويل) شروع فى ذكر ما يستحقونه (قوله شدة عذاب) وقيل واد فى جهنم لو سبوت فيه جبل الدنيا لا غاعت من حره (قوله الكتاب) أى المكتوب (قوله بأيديهم) دفع بذلك ما يتوهم أن المراد أملاؤهم لغيرهم (قوله ليشترؤا) علة لقوله يكتبون (قوله وغيره) صفة النبي (قوله وغيره) أى كقولهم إن تمسنا النار إلا أياماً معدودة وكدعواهم أنهم من أهل الجنة (قوله من الرشا) بكسر الراء وضم جمع رشوة بتثنية الراء وهو من باب تقديم السبب على السبب لأن أخذ الرشوة سبب للتبديل وقوله مما كتبت يحتمل أن ما اسم موصول وكتبت صلتها والعائد محذوف أى كتبت ويحتمل أن ما صدرية التقدير من كتبهم وكذا قوله مما يكسبون (قوله أربعين يوماً) وقبل سبعة أيام وقوله قليلة تفسير باللازم لمعدودة لأن معنى المعدودة التي يسهل عدّها رشاّن النبللة سهولة عدّها

(قوله استغناء بهمزة الاستفهام) أى لأنه يحصل بها التوصل للنطق بالسالكين مع إعادة المراد من الاستفهام وفى اتخذتم قراء سبعتان الأولى بالنك والثانية بالادغام وطريقته أن تقلب الدال دالاً ثم تاء وتدغمها فى التاء وهذا الاستفهام يحتمل أن يكون تقريرياً فتكون الجملة إنشائية وأم متصلة بمعادلة الهمزة التى لطلب التعيين التقدير اتخذتم عند الله عهداً أم لم تتخذوا ويحتمل أن يكون إنكارياً بمعنى الذى فتكون الجملة خبرية وأم منقطعة بمعنى بل التقدير لم تتخذوا عند الله عهداً بل تقولون على الله مالا تعلمون وهذا هو الأقرب ولذا اختاره المفسر (قوله فلن يخلف الله عهده) هذه الجملة فى محل جزم جواب الاستفهام وقيل إنها جواب شرط مقترن تقديره ان اتخذتم فلن يخلف الله عهده وقرن بالفاء لوجود لن فى حيزه (قوله بل تقولون) أشار بذلك إلى أنها منقطعة والاضراب اتقالي (قوله بلى) هو حرف جواب للنفي لكنه يصير إثباتاً . وأما نعم وجير وأجل وأى فلتقرير ما قبلها إثباتاً أو نفياً (قوله تمسكم) رد لقولهم لن تمسنا وقوله وتخلدون فيها رد لقولهم إلا أياماً معدودة (قوله من كسب) يحتمل أن تكون من شرطية وكسب فعل الشرط وجوابه فأولئك أصحاب النار وأن تكون موصولة وكسب صلتها وقرن خبرها بالفاء لما فى الوصول من معنى العموم ولم يقرن خبر الذى بعدها بالفاء إشارة إلى أن خلود النار مسبب عن الكفر بخلاف خلود الجنة فلا يتسبب عن الإيمان بل بمحض فضل الله كذا قاله بعض الأشياخ (قوله سيده) أصلها سيوثة اجتمعت الوار والياء وسبت إحداها بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء على حد ما قبل فى سيد وميت (قوله بالافراد) أى باعتبار ذات الشرك وقوله والجمع أى باعتبار أنواعه (قوله وأحدثت به من كل جانب) أى فلم يجد ملجأ للجنة لكفره (قوله وعملوا الصالحات) أى وأما من آمن ولم يعمل (٣٨) صالحا غير الإيمان فخلد فى الجنة أيضاً وتحت المشيئة فى الابتداء وقد جرت

عادة الله فى كتابه أنه إذا ذكر آية الكفار وعاقبة أمرهم يتبعها بذكر آية المؤمنين وعاقبة أمرهم (قوله واذكر) أى يا محمد والناسب للسياق اذكروا ويكون خطاباً للبنى إسرائيل الفروع تذكيراً لهم فبأنح أصولهم (قوله

استغناء بهمزة الاستفهام (عند الله عهداً) ميثاقاً منه بذلك (فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ) به ؟ لا (أَمْ) بل (تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ . بَلَى) تمسكم وتخلدون فيها (مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً) شركاً (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) بالافراد والجمع أى استولت عليه وأحدثت به من كل جانب بأن مات مشركاً (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) روعى فيه معنى من (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَ) اذكر (إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ) فى التوراة وقلنا (لَا تَعْبُدُونَ) بالتاء والياء (إِلَّا اللَّهَ) خبر بمعنى النهى وقرئ لا تعبدوا (وَ) أحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) برأ (وَذِي الْقُرْبَى) القرابة عطف على الوالدين (وَالْيَتَامَى) والمساكين

وقلنا لا تعبدون) قدر ذلك إشارة إلى أن جملة لا تعبدون فى محل نصب وقولوا يقول لقول محذوف وذلك القول فى محل نصب على الحال من فاعل أخذنا التقدير وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل حال كونهما قائلين لا تعبدون الخ ويحتمل من جملة لا تعبدون إلا الله مفسرة للميثاق لا محل لها من الاعراب ولا حذف وهو الأقرب (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعتان ولا التفات فى ذلك على ما قرره المفسر من تقدير القول وعلى الاحتمال الثانى ففيه التفات على قراءة التاء من الغيبة إلى الخطاب فإن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله خبر بمعنى النهى) أى فهى جملة خبرية لفظاً لعدم جزم العمل إنشائية معنى لأن القصد النهى عن عبادة غير الله لا الاخبار عنهم بأنهم لا يعبدون غير الله والحكمة فى التعبير عن الانشاء بالخبر استبعاد ذلك منهم وتقوية للانشاء كأنه قيل لا ينبغي أن تعبدوا غير الله حتى تنهاكم عنه بل أخبر عنهم بأنهم لا يعبدون إلا الله كأنه لم يقع منهم عبادة لغيره أبداً (قوله وقرئ) أى قراءة شاذة لأن قاعدة المفسر يشير للشاذة بقرئ والسببية فى قراءة غالباً (قوله وأحسنوا) قدر ذلك إشارة إلى أنه من عطف الجمل على جملة لا تعبدون وأتى بحق الوالدين عقب حق الله إشارة إلى أنه أكد الحقوق بعد عبادة الله قال تعالى - أن اشكرلى ولوالديك - فانهما السبب فى وجود الشخص ويجب برهما ولو كافرين ، وبالجملة فلم يشدد الله على أمر كتشديده على برهما (قوله عطف على الوالدين) أى من عطف المفردات وأحسنوا مسلط عليه التقدير وأحسنوا بذى القربى لأن حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان إليهم إنما هو بواسطتهما (قوله واليتامى) جمع يتيم وهو من الآدميين من فقد أباه ومن غيرهم من فقد أمه (قوله والمساكين) المراد ما يشمل الفقراء فإن الفقير والمساكين متى اجتمعا افتقرا ومتى افتقرا اجتمعا .

(قوله وقولوا للناس) أى هموما ومنه الحديث «وخالق الناس بخلق حسن» (قوله قولا حسنا) أشار بذلك إلى أن خطا بهتتين صفة مشبهة لموصوف محذوف (قوله والنهى عن المنكر) أى على حسب مراتبه من النهى باليد ثم اللسان ثم القلب (قوله والرفق بهم) أى بالناس بأن يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم (قوله وفى قراءة) أى سبعة (قوله مصدر) أى على غير قياس إن كان فعله أحسن وهو المتبادر وقياسى إن كان فعله حسن كظرف وكرم (قوله وصف به مبالغة) أى أوطى حذف مضاف على حد ما قيل فى زيد عدل (قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى المفروضات عليهم فى ملبثهم وما نزل بقارون من الخسف به وبداره سببه منع الزكاة (قوله فقبلتم ذلك) قدر ذلك لأجل العطف ثم عليه (قوله فيه التفات) وحكمته الاستدلال للسامع وعدم المال منه فإن الالتفات من المحسنات للكلام (قوله إلا قليلا منكم) أى من أجدادكم وسو من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ أى ومنكم أيضا وهو من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه (قوله وأنتم معرضون) خطاب للفروع ويلاحظ قوله إلا قليلا هنا كاعلمت فتعابير معنى الجملتين فلا تنكرار (قوله وإذا أخذنا ميثاقكم) المقدراذ كروا فهو خطاب لبني إسرائيل وهو معطوف على الجملة الأولى المتعلقة بالله وهذه الجملة متعلقة بحقوق العباد فخانوا كلا من العهدين وهى متضمنة لأربعة عهود: الأول لا يسفك بعضهم دماء بعض. الثانى لا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم. الثالث لا يتظاهر بعضهم على بعض بالاثم والعدوان. الرابع إن وجد بعضهم بعضا أسيرا فداءه ولو بجميع ما يملك (قوله ميثاقكم) (٣٩) أى ميثاق آبائكم فى التوراة فان هذا خطاب لقريظة

و بنى النضير السكانيين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وقلنا لانسفكون) قدر القول إشارة إلى أن الجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف والجملة حالية من فاعل أخذنا التقدير أخذنا ميثاقكم حال كوننا قائلين ويحتمل أن الجملة لاجل لها من الاعراب تفسير للميثاق

وَقُولُوا لِلنَّاسِ (قولا حسنا) من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى شأن محمد والرفق بهم، وفى قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) فقبلتم ذلك (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة والمراد آبؤهم (إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) عنه كآبائكم (وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) وقلنا (لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) تريقونها بقتل بعضكم بعضا (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) لا يخرج بعضكم بعضا من داره (ثُمَّ أَفْرَرْتُمْ) قبلتم ذلك الميثاق (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) على أنفسكم (ثُمَّ أَنْتُمْ) يا هؤلاء تقتلون أنفسكم (يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) وَتُخْرِجُونَ قَرَبًا مِنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الظاء، وفى قراءة بالتخفيف على حذفها: تَتَعَاوَنُونَ (عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ) بالمعصية (وَالْعُدْوَانِ) الظلم (وَأَنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَى) وفى قراءة أُسْرَى (تَقْدُوهُمْ)

وتقدم ذلك فى نظيره (قوله لانسفكون) مضارع سفك من باب ضرب وقتل: أراق الدم أو الدمع (قوله يقتل بعضكم بعضا) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق المألوم وإرادة اللازم لأنه يلزم من القتل إراقة الدم غالبا والاضافة فى دماءكم لأدنى ملاسة فان دم الأخ كدم النفس أو باعتبار أن من قتل يقتل أى فلا تنسبوا فى قتل أنفسكم بقصاصكم غيركم وهنا حذف يعلم مما يأتى أى ظلمنا وعدوانا (قوله من دياركم) أسيرله دوار وقعت الواو إثر كسرة قلبت ياء وأسند الإخراج لأنفسهم مع أنهم يخرجون غيرهم لأن للسكر السيى لا يحق إلا بأهله (قوله ثم أفررتم) لم يذكر هنا بقية العهود لأن عهد عدم التظاهر بالاثم والعدوان ملاحظ فى العهدين الأولين، وأما الرابع فقد وفوا به فلم يعاتبهم الرب عليه (قوله على أنفسكم) أشار بذلك إلى أن الجملة مؤكدة لجملة ثم أفررتم لأن الشهادة على النفس هى الإفراز بعينه ويحتمل أن قوله ثم أفررتم خطاب لبني إسرائيل الأصول وقوله وأنتم تشهدون خطاب للفروع فتعابير معنى الجملتين ولأن كيد (قوله ثم أتم هؤلاء) أتم مبتدأ وجملة تقتلون خبره وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف والجملة ممتدة بين المبتدأ والخبر (قوله تظاهرون) فى محل نصب على الحال من فاعل تخرجون وهو من باب الحذف من الأوائل لدلائل الأواخر التقدير تقتلون أنفسكم متظاهرين وتخرجون فريقا كذلك (قوله فى الأصل) أى بعد قلبها ظاء (قوله بالتخفيف) أى بحذف التاء الثانية التى ليست للضارعة ولم تحذف. فى للضارعة لأنه أتى بها لئلا (قوله بالإثم) يجمع على آثام (قوله وفى قراءة أسرى) أى بالامالة وهى لجزء وكل منهما جمع لأسير.

(قوله وفي قراءة تفادوم) الحاصل أن القراءات خمس أسرى بالأماله مع تفادوم فقط أسارى بالأماله وعدمها مع تفادوم وتفادوم (قوله أي الشأن) ويقال ضمير القصة يفسره ما بعده . قال ابن هشام ويختص بخمسة أشياء كونه مفردا ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعا وتأخير مرجعه وكونه جملة ولا يعمل فيه إلا الابتداء والناسخ ولا يتبع (قوله محرم عليكم إخراجهم) مبتدأ وخبر والجملة خبر ضمير الشأن ولم تحتج لربط لأنها عين المبتدأ في المعنى (قوله والنضير) معطوف على قريظة والعامل فيه كانت وقوله الخزرج معطوف على الأوس والعامل فيه حالقوا ففيه العطف على معمولي عاملين مختلفين قصدا للاختصار ويحتمل أن الخزرج معمول المحذوف التقدير حالقوا . والحاصل أن الأوس والخزرج فرقان في المدينة وهم الأنصار وكان بينهما عداوة ولم يرسل لهم نبي غير رسول الله ، وأما قريظة وبنو النضير فكانوا مكلفين بشرية موسى وكانوا أذلاء فاستعز قريظة بالأوس وبنو النضير بالخزرج فكان إذا اقتتل الأوس مع الخزرج قاتل مع كل حلفاؤه فإذا أسر حلفاء قريظة أسيرا من بني النضير اقتداء قريظة وبالعكس فإذا سلبوا عن القتال أجابوا بأنهم قاتلوا خشية أن يستدل من استعزوا به ، وعن الفداء أجابوا بأننا أمرنا به (قوله أفئومنون) أي تصدقون بالعمل به (قوله وقد خزوا) أصله خزيوا استنقلت الضمة على الياء حذفت فالتقى ساكنان الياء والواو وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وقلبت (٤٠) كسرة الزاي ضمة لمناسبة الواو (قوله بقتل قريظة) أي حين دخل النبي

في قراءة تفادوم : تفادوم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم (وهو) أي الشأن (مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) متصل بقوله وتخرجون والجملة بينهما اعتراض أي كما حرم ترك الفداء، وكانت قريظة حالقوا الأوس والنضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويحرب ديارهم ويخرجهم فإذا أسروا فدوم وكانوا إذا سلبوا لم تقتلونهم وتقدونهم قالوا أمرنا بالفداء فيقال فلم تقتلونهم فيقولون حياء أن تستدل حلفاؤنا ، قال تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ) وهو الفداء (وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ) هو أن وذلك (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقد خزوا بقتل قريظة ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) بأن آثروها عليها (فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون منه (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَقَفَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ) أي أتبعناهم رسولا في أثر رسول (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ،

المدينة وأسلم الأوس والخزرج ففزام النبي وأصحابه إلى أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل سبعائهم وسبي ذراريهم ونسائهم فقتل منهم سبعمائهم وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة (قوله ونفي النضير إلى الشام) أي مع كل واحد حمل بعير من طعام لا غير (قوله وضرب الجزية) أي على من بقي من قريظة وسكن خيبر وعلى بني النضير بعد هاجبهم إلى

الشام (قوله يردون) وقرى شاذا بالتاء (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان . البينات (قوله بأن آثروها) بالماء بمعنى قدموها (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع في ذكر نعم أخرى لبني إسرائيل قابلوها بقبائح عظيمة وصدر الجملة بالقسم زيادة في الرد عليهم (قوله وقفينا) من التقفية وهي المشي خاف القفا أطلق وأريد به مطلق الاتباع (قوله من بعده) يحتمل أن الضمير عائذ على موسى أو الكتاب (قوله أي أتبعناهم رسولا في أثر رسول) ظاهره أنه لا يجتمع رسولان في زمن واحد وليس كذلك فإن زكريا ويحيى وكافا في زمن واحد وكذا داود وسليمان وورد أنهم قتلوا سبعين نبيا في يوم واحد وأقاموا سوقهم . وأجيب بأن المراد التبسيع في العمل بالتوراة فكل الأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة بوحى من الله لاتقليد المولى إذا علمت ذلك فالمناسب للفسر أن يقول أي أتبعنا بعضهم بعضا في العمل بالتوراة كانوا في زمن واحد أولا وقوله بالرسول مراده ما يشمل الأنبياء . وعدة الأنبياء والرسول الذي بين موسى وعيسى سبعون ألفا وقيل أربعة آلاف (قوله وآتينا عيسى) معطوف على آتينا موسى وخصه بالذكر وإن كان داخلا في قوله وقفينا من بعده بالرسول لعظم شرفه ومنزته ولكونه رسولا مستقلا بشرع يخصصه لأنه نسخ بعض ما في التوراة ولرد على اليهود حيث ادعوا أنهم قتلوه . وعيسى لغة عبرانية معناه السبوح (قوله ابن مريم) معنى مريم خادمة الله وفي اصطلاح العرب المرأة التي تسكره مخالطة الرجال .

(قوله البينات) أَلْ "مهّد أى اللّجّزات الممهّدة له (قوله وإبراء الأكمّه) هو من ولد أعمى (قوله أى الروح المقدّسة) أى الطهّرة (قوله جبريل) وجه تسميته روحا أَل الروح جسم نورانى به حياة الأبدان وجبريل جسم نورانى به حياة القلوب (قوله لطهارته) أى من العاصى والمخالفات والأقذار وقد مدحه الله بقوله تعالى - إنه لقول رسول كريم - الآية (قوله يسير معه حيث سار) أى ولم يزل معه حتى رفعه إلى السماء (قوله فلم تستقيموا) قدره المفسر لعطف قوله أفكلما جاءكم رسول عليه (قوله بما لاتهنوى) ماضيه هوى من باب تب وضرب سعى بذلك لأنه يهوى بصاحبه فى النار وهو تذكير للفروع بقبايح أصولهم (قوله استكبرتم) السين زائدة والتقدير تكبرتم كلما جاءكم رسول بالذى لاتعجه أنفسكم (قوله والمراد به التوبيخ) أى اللوم والتقريع عليهم (قوله فقريقا) معمول لكذبهم وقدم مراعاة للفواصل وقدم التكذيب على القتل مع أن القتل أشنع لأن التكذيب مبدأ القتل (قوله كعبسى) أى كذبوه ولم يمتكنوا من قتله بل رفعه الله إلى السماء (قوله المضارع لحكاية الحال الماضية) أى فنزل وقوعه منهم فبماضى منزلة وقوعه الآن استعظاما له (قوله كزكريا) أى حيث نشروه حين (٤١) هرب منهم وأوى إلى شجرة

أثّل فانفتحت له ودخلها (قوله ويحيى) أى قتله من أجل امرأة فاجرة أراد عرحمها الزوج بها ففهمه من ذلك (قوله وقالوا) أى الموجودون فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم (قوله أى مفضة بأغطية) أى حسية (قوله فقليل ما يؤمنون) المراد بالقلّة الاستبعاد أى فإيمانهم مستبعد لطرد الله إياهم عن رحمته وسبق شقاوتهم ويحتمل أن تبقى القلّة على بابها أى فمن آمن منهم قليل كعبد الله ابن سلام وأضرابه ويحتمل أن القلّة باعتبار

الْبَيِّنَاتِ) المّجّزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمّه والأبرص (وَأَيِّدْنَاهُ) قويناه (رُوحِ الْقُدُسِ) من إضافة الموصوف إلى الصفة أى الروح المقدّسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ) تحب (أَنفُسُكُمْ) من الحق (أَسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم عن اتباعه جواب كلّما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (فقريقاً) منهم (كَذَّبْتُمْ) كعبسى (وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) المضارع لحكاية الحال الماضية أى قتلتم كزكريا ويحيى (وَقَالُوا) للنبي استهزاء (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) جمع أغلف أى مفضة بأغطية فلا تى ما تقول قال تعالى (بَلْ) للإضراب (لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول (بِكُفْرِهِمْ) وليس عدم قبولهم لخلل فى قلوبهم (فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) ما زائدة لتأكيد القلّة أى إيمانهم قليل جداً (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ) من التوراة هو القرآن (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئه (يَسْتَفْتِحُونَ) يستنصرون (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا) من الحق وهو بعثة النبي (كَفَرُوا بِهِ) حسداً وخوفاً على الرياسة وجواب لما الأولى دل عليه جواب الثانية (فَلَمَنَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا) باعوا (بِهِ أَنفُسَهُمْ) أى حظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئاً تميز لفاعل بئس والخصوص بالذم (أَن يَكْفُرُوا) أى كفرهم (بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ) من القرآن

الرمز أى أن الزمن الذى يؤمنون فيه قليل جداً قال تعالى - وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره - (قوله ولما جاءهم كتاب) هذه الجملة من تعلقات الجملة التى قبلها وكل منهما حكاية عن اليهود الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم وقوله من عند الله صفة أولى لكتاب وقوله مصدق صفة ثانية له وجملة وكانوا من قبل حال من الضمير فى جاءهم (قوله من قبل) مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله يستنصرون) السين والتاء للطلب (قوله وهو بعثة النبي) فى الحقيقة بعثة النبي والكتاب (قوله دل عليه جواب الثانية) أى والأصل ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كفروا بذلك الكتاب وكانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا وهو النبي الكريم كفروا به بين الجملةين تظاهراً لفظاً وإن كان بينهما تلازم معنى (قوله بئسما اشتروا الخ) بئس فعل ماض لا نشاء الأتم وقاعلها مستتر فيه وجوبا تقديره هو يعود على الشئ يفسره قوله ما اشتروا فمما يميز لذلك الفاعل وما بعدها صفة لها وأن يكفروا فى تأويل مصدر المخصوص بالذم وهو يعرب مبتدأ والجملة التى قبله خبر عنه أو خبر لبتدأ محذوف قال ابن مالك : ويعرب المخصوص بعد مبتدأ أو خبر اسم ليس يبدو أبداً (قوله من القرآن) بيان لما [٦ - مائى - أول]

(قوله مفعول له ليكفروا) أى. فمفعول لأجله والعامل فيه يكفروا (قوله على أن ينزل الله) المعنى كفروا بما أنزل الله حسداً على أنزال الله من فضله وذلك بمعنى قوله تعالى - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - (قوله الوحي) قدره إشارة إلى أن مفعول ينزل محذوف (قوله على من يشاء) مفعول يشاء محذوف التقدير يشاؤه (قوله بكفروهم) الباء يصح أن تكون للتعذية والسببية (قوله والتذكير للتعظيم) أى فى قوله غضب على حد شر أهردا ناب (قوله والكفر بعيسى) أى ثم الكفر بمحمد وما جاء به فقد آمنوا بموسى ثم كفروا به وضيعوا التوراة فلما جاءهم عيسى آمنوا به ثم كفروا به فلما جاءهم محمد كفروا به وازدادوا كفراً (قوله عذاب مهين) أصله مهون نقات كسرة الواو إلى الهاء فوقفت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء (قوله ذو إهانة) أى هوان وذلل ولا يوصف بذلك إلا عذاب الكافرين وأما يقع للعصاة فى الدنيا من المصائب وفى الآخرة من دخول النار فهو تطهير لهم (قوله بما ورأه) يطلق بمعنى سوى وبمعنى بعد و بمعنى أمام اقتصر المفسر على الأولين (قوله من القرآن) أى والانجيل (قوله وهو الحق) حال من ما (قوله مؤكدة) أى لضمون الجملة قبلها على حد زيد أبوك عطوفا وقوله ثانية أى فى التأكييد والإفهام ثالثة (قوله فلم تقتلون) ما سمع استفهام حذف فئتها لجرها باللام والفاء واقعة فى جواب شرط (٤٣) مقدر تقديره إن كنتم صادقين فى دعواكم الإيمان بالتوراة فلائى شئ تقتلون أنبياء.

الله (قوله أى قتلتم) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الضى. وإنما عبر بالمضارع لكتابة الحال الماضية (قوله بن كنتم مؤمنين) جواب إن محذوف دل عليه المذكور فقد حذف من الجملة الأولى أداة الشرط ورفعها ومن النافية الجواب فهو احتباك وقيل إن إن نافية بمعنى ما نتيجة الشرط المقدر (قوله بما فعل آبائهم) الحاصل أنه أقامت الحجة عليهم مرتين الأولى دعواكم الإيمان بالتوراة كذب لكفركم بالقرآن فان الكافر بأى كتاب كافر

(بَقِيًّا) مفعول له ليكفروا أى حسداً على (أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ فَضْلِهِ) الوحي (عَلَى مَنْ يَشَاءُ) للرسالة (مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا) رجعوا (بِغَضَبٍ) من الله بكفركم بما أنزل والتذكير للتعظيم (عَلَى غَضَبٍ) استحقوه من قبل بنضبيع التوراة والكفر بعيسى (وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) القرآن وغيره (قَالُوا تَوْفِئْنَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا) أى التوراة، قال تعالى (وَيَكْفُرُونَ) الواو للحال (بِمَا وَرَّأَهُ) سواء أو بعده من القرآن (وَهُوَ الْحَقُّ) حال (مُصَدِّقًا) حال ثانية مؤكدة (لِمَا مَعَهُمْ قُلْ) لهم (فَلِمَ تَقْتُلُونَ) أى قتلتم (أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) بالتوراة وقد نهيت فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين فى زمن نبينا بما فعل آبائهم لرضاهم به (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات كالصاواليد وقلق البحر (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ) إلهاً (مِنْ بَعْدِهِ) من بعد ذهابه إلى الميقات (وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) باتخاذهم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) على العمل بما فى التوراة (وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ) الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) بحذر واجتهاد (وَأَتَمُّعُوا) ماتؤمرون به سماع قبول (قَالُوا سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك (وَأَشْرَبُوا) قُلُوبُهُمُ الْعِجْلَ) أى خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب (يَكْفُرْهُمْ قُلْ) لهم (نَسِئًا) شيئاً

بالجميع وعلى تسامح هذه الدعوى فهى كذب من جهة أخرى وهى قتل الأنبياء فلو كنتم مؤمنين بالتوراة لا تهتيم عما نهاكم أى عنه فانه نهاكم فيها عن قتل الأنبياء (قوله لرضاهم به) جواب عما يقال إن ذلك فيمن قتل الأنبياء وأما هؤلاء فمن يقع منهم ذلك. فأجاب بأن الرضا بالكفر كفر وقد يقال إنهم مصررون على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تسببوا فى ذلك مراراً (قوله ولقد جاءكم موسى) هذا أيضاً من جملة قبائح بنى إسرائيل (قونه كالصا) دخل تحت الكاف باقى التسع وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين والطمس (قوله إلهاً) قدره إشارة إلى مفعول اتخذتم (قوله وأتم ظالمون) أى كافرون (قوله ليسقط عليكم) علة لقوله رفعنا أى رفعناه لأجل السقوط عليكم إن لم تمتثلوا (قوله وأشربوا فى قلوبهم العجل) الجملة حالية على حذف مضافين أى حب عبادة العجل وفى الكلام استعارة بالكناية وتقديرها أن تقول شبه حب عبادة العجل بمشروب لذىذ سائح بجامع الاتزاج فى كل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو الاشرب فائباته تخييل ولم يعبر بالأكل لأنه ليس فيه شدة مخالطة (قوله كما يخالط الشراب) أى خلال القلوب والأبدان فمفعول يخالط محذوف (قوله شيئاً) أشار بذلك إلى أن مانكرة بمعنى شئ مفسرة لفاعل بئس وقوله يأمركم صفة لما وإيمانكم فاعل يأمر وقوله عبادة العجل هو المخصوص بالذم قدره المفسر وهذا من جملة التشنيع عليهم أى أتم ادعيتهم الإيمان بالتوراة ثم رأيناكم قد عبدتم العجل فان كان لإيمانكم بها أمركم وحملكم على عبادته

فليس إيمانكم وما يأمركم به فانه كفر بالإيمان ، وقوله بالتوراة إن قلت إن عبادة العجل متقدمة على التوراة . أجب بأن موسى كان يأمرهم بالتوحيد وهو موافق لما في التوراة (قوله إن كنتم مؤمنين) يحتمل أن إن شرطية وكنتم فعل الشرط وجوابه محذوف دل عليه قوله بئسما يأمركم به إيمانكم ويحتمل أنها نافية نتيجة قوله بئسما يأمركم به إيمانكم وكلام التفسير يحتملها (قوله المعنى الخ) إشارة إلى قياس حملى من الشكل الأول ، وتقديره أن تقول اعتقادكم بأمركم بعبادة العجل وكل اعتقاد يأمر بعبادة العجل فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر (قوله أى فكذلك أتم الخ) أشار بذلك إلى قياس آخر تقريره أن تقول اعتقادكم بأمركم بتكذيب محمد وكل اعتقاد يأمر بذلك فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر (قوله إن كانت لكم الدار الآخرة الخ) في هذه الآية أغريب منها أن الدار اسم كانت ولكم جار ومجرور خبرها وعند الله ظرف وخاصة حال ، ومنها أن الخبر قوله خاصة وعند الله ظرف على كل حال ، ومنها أن الخبر هو الظرف وخاصة حال (قوله تعالى بئنيه الشرطان) في العبارة قلب والأصل تعلق بئنيه بالشرطين لأن تمنوا هو الجواب وهو متعلق بالشرطين (قوله قيد في الثانى) حاصله أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيذا في الثانى بمعنى أنه من تمام معناه ويكون الجواب لذلك الثانى (٤٣) فتقدير الآية إن كنتم صادقين

في زعمكم أن الدار الآخرة لكم خاصة فتمنوا الموت وقيل إن الجواب للأول وجواب الثانى محذوف دل عليه جواب الأول (قوله أى إن صدقتم) إشارة إلى الشرط الثانى وقوله أنها لكم إشارة الأول (قوله يؤزها) أى يقدمها ويختارها (قوله بما قدمت الباء سببية وما يحتمل أنها اسم موصول وقدمت صلته والعائد محذوف : أى قدمته ويحتمل أنها نكرة موصوفة والعائد محذوف على كل حال

(يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ) بالتوراة : عبادة العجل (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) بها كما زعمتم ، المعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد آباؤهم أى فكذلك أتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً والإيمان بها لا يأمركم بتكذيبه (قُلْ) لهم (إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ) أى الجنة (عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً) خاصة (مِنْ دُونِ النَّاسِ) كما زعمتم (فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) تعلق بئنيه الشرطان على أن الأول قيد في الثانى ، أى إن صدقتم في زعمكم أنها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصول إليها الموت فتمنوه (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ) من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) الكافرين فيجازيهم (وَلَتَجِدَنَّهِنَّ) لام قسم (أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ) أحرص (مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) المنكرين البعث عليها لعلهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لأنكارهم له (يَدُّ) يتنى (أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ) لو مصدرية بمعنى أن وهى بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يود (وَمَا هُوَ) أى أحدهم (بِمَزْخَرٍ) مبعده (مِنَ الْعَذَابِ) النار (أَنْ يَمُوتَ) فاعل مزحزحه أى تميره (وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَمْعَلُونَ) بالياء والتاء فيجازيهم . وسأل ابن سوريا النبي أو عمر عن بآنى بالوحى من الملائكة ،

والحكمة في الاتيان هنا بلن وفي الجمعة بلا أن ادعاهم هنا أعظم من ادعائهم هناك فاتهم ادعوا هنا اختصاصهم بالجنة وهذا كونهم أولياء لله من دون الناس فلا تغيد اختصاصهم بالجنة فناسب هنا التوكيد بلن وهناك بلا (قوله ولتجدنهم) عطف على قوله ولن يتمنوه من عطف اللازم على الملزوم (قوله أحرص) مفعول ثان لتجدنهم حيث كانت بمعنى علم ، وأما إن كانت بمعنى أصاب أو صادف نصبت مفعولا واحدا فيكون أحرص حالا (قوله وأحرص من الذين أشركوا) من عطف الخاص على العام زيادة في التقييد عليهم ودفعالتهم أن الشركين أحرص منهم (قوله لو مصدرية) أى ولا تنصب الفعل فهى سا بكة فقط (قوله وما هو) يحتمل أن ما حجازية وهو اسمها وبمزحزحه خبرها وأن يعمر فاعل مزحزحه وأنها تميمية وهو مبتدأ وبمزحزحه خبره وأن يعمر فاعله على كل حال (قوله أى أحدهم الخ) وقيل إن هو ضمير شأن ورد بأن ضمير الشأن يفسر بجملة وهنالك كذلك (قوله بالياء والتاء) ظاهره أنها سبعيتان وليس كذلك بل التاء عشرية واختلاف فيما زاد على السبعة هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها أم بالشواذ فيمتنعان والعمد لأول (قوله وسأل ابن سوريا الخ) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية وابن سوريا اسمه عبد الله وكان من أحبار اليهود (قوله أو عمر) أشار بذلك إلى تنوع الخلاف فإن عمر كان له أرض بالعوالى وكان يمر على مدارسهم ليختبر صفات محمد من كتبهم فقالوا يا عمر لقد أحييناك فقال والله ما أحبكم وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ، فسأله ابن سوريا عن بآنى بالوحى

لحمد ، فقال جبريل ، فقال هو عدوه الخ ، فأخبر النبي بذلك فزلت الآية (قوله فقال) أي المستول وهو النبي أو عمر (قوله يأتي بالعذاب) أي كالصواعق والحسف والمسخ (قوله بالخصب) بكسر الخاء : أي الرخاء (قوله والسم) أي الصلح (قوله فليمت غيظاً) جواب لاسم الشرط الذي هو من وهو مبتدأ خبره قيل فعل الشرط ، وقيل جوابه ، وقيل هما ، وأما قوله تعالى - فانه نزله - فلا يصح أن يكون جواباً للشرط لما عني : الأول عدم الرابط . والثاني عدم تسبب الجواب عن الشرط ، وقوله لجبريل الصحيح أنه اسم أعجمي علم على رئيس الملائكة فلا اشتقاق فيه ولا تصرف ، وقيل مشتق من الجبروت وهو عالم الأسرار وقيل مركب إضافي وقيل مزجي والصحيح الأول ، وورد عن ابن عباس أن جبر منناه عبد وإيل معناه الله وميكاه معناه عبد وذيل معناه الله (قوله فانه) أي جبريل (قوله أي القرآن) وقيل الوحي أعم من أن يكون قرآناً أو غيره (قوله على قلبك) عبر بعل إشارة لتمكنه وانصبابه ورسوخه فان الشيء إذا صب من أعلى لأسفل رسخ وثبت (قوله بأمر الله) أشار بذلك إلى أن المراد بالاذن الأمر لا العلم (قوله صدقاً) حال من الضمير في نزله وكذلك قوله هدى وبشرى (قوله بالجنة) أي وما فيها من النعيم ورؤية وجه الله الكريم (قوله للمؤمنين) أي ونذيراً للكافرين بالنار ، وهذا رد أول لكلام ابن صوريا حاصله أن جبريل لا اختياره في إزالة العذاب ولا في إزالة القرآن (قوله من كان عدواً لله) قدم لأنه المنشيء للاثبات جميعها ونفى بالملائكة لأنهم المرسلون من حضرته وثبت بالرسول لغزول الملائكة عليهم (قوله وجبريل) (٤٤) خص هو وميكائيل زيادة في التشجيع عليهم ولأن حياة الأرحام والأشباح

فقال جبريل فقال هو عدونا يأتي بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنّا لأنه يأتي بالخصب والسم فنزل (قُلْ) لهم (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ) فليمت غيظاً (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ) أي القرآن (عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ) بأمر (اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب (وَهُدًى) من الضلالة (وَبُشْرَى) بالجنة (لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ) بكسر الجيم وفتحها بلا همز وبه ياء ودونها (وَمِيكَالَ) عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفي قراءة ميكائيل بهمز وياء وفي أخرى بلا ياء (فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) أوقعه موقع لهم بياناً لحالهم (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات حال رد لقول ابن صوريا للنبي ما جئتنا بشيء (وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ أ) كفروا بها (وَكُلَّمَا عَاهَدُوا) الله (عَهْدًا) على الإيمان بالنبي إن خرج ، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ،

بواسطتهما وتنبيهها على أن عداوتهما خسران وضلال (قوله بكسر الجيم) أي على وزن قنديل (قوله وفتحها) أي على وزن شمویل (قوله) وبه ياء ودونها (هذا في الفتوح وهو على وزن مسيليل وجحمرش جملة القراءات السبعية أربعة وهي من جملة لغات أنهاها بعضهم لثلاثة عشر خامسها

فتح الجيم مع الهمزة واللام مشددة على أنها اسم من أسماء الله وفي بعض التفاسير لا يرقبون في مؤمن (نبذه) إلا: أي الله سادسها فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة مكسورة بعدها سابعها مثلها إلا أنها ياء بعد الهمزة . ثامنها فتح الجيم ويا آن بعد الألف من غير همزة . تاسعها فتح الجيم وألف بعد الراء ولام . عاشرها فتح الجيم ويا بعد الراء مكسورة ولام . حادي عشرها فتح الجيم ويا بعد الراء ونون . ثاني عشرها كذلك إلا أنها بكسر الجيم . ثالث عشرها فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة ويا ونون وأكثرها قرى به شاذاً (قوله سن عطف الخاص على العام) والنسكتة شرفهما وعظمتها وكون النزاع فيهما (قوله وفي أخرى بلا ياء) فتكون القراءات السبعية ثلاثاً بالهمزة والياء معا وباسقاط الياء فقط وباسقاطهما وهي من جملة لغاته السبع . رابعها مثل بيكعل . خامسها كذلك إلا أنه لاياء بعد الهمزة مثل بيكعل . سادسها ياءين بعد الألف . سابعها بهمزة مفتوحة بعد الألف وقرى بالجيم شاذاً (قوله فان الله عدو للكافرين) هذا هو جواب الشرط والرابط . موجود وهو الاسم الظاهر لقيامه مقام الضمير ، وقيل الرابط العموم (قوله ييا . لحلم) أي ولزيادة التقييد عليهم ، والمراد بعداوتهم لله خروجهم عن طاعته وعدم امتثالهم أمره (قوله حال) المناسب أن يقول صفة لأن الحال لا يكون من النكرة إلا إذا وجد لها مسوغ (قوله إلا الفاسقون) أي الكافرون (قوله أ كفروا بها) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف وهو أحد احتمالين تقدما (قوله عاهدوا الله) قدر المفسر لفظ الجلالة إشارة إلى أن عاهدوا بمعنى أعطوا فأنه مفعول أول وعهدا مفعول ثان (قوله على الإيمان بالنبي) أي فالعهد مأخوذ عليهم قديما في كتبهم وعلى أنبيائهم (قوله أو النبي) إشارة إلى تفسير ثان فقد كانوا

يأتون النبي ويقولون له إن كنت نبياً فأتنا بكذا فيقيم عليهم الحجة فيعاهدونه أن لا يعاونوا عليه المشركين ثم ينقضونه (قوله بنقضه) الباء سببية (قوله أكثرهم لا يؤمنون) دفع بذلك ما يتوهم من قوله فريق أن الفريق يصدق بالقليل والكثير فينوم أن المراد القليل فدفع ذلك بقوله بل أكثرهم الخ وهو إيمان عطف الجمل أو الأفراد فعلى الأول جملة أكثرهم لا يؤمنون معطوفة على جملة نبذ فريق منهم وعلى الثاني أكثرهم معطوف على فريق إشارة إلى أن التنايد للعهد أكثرهم وقوله لا يؤمنون إخبار عنهم بعدم الإيمان لرسوخ الشرك في قلوبهم (قوله ولما جاءهم رسول) هذا من جملة التشنيع على بني إسرائيل (قوله لما معهم) أي التوراة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بآيات التوراة وأنها من عند الله فكان مقتضى ذلك اتباعه والعمل بشريعته ولكن الله طمس على قلوبهم ومعههم وأبصارهم (قوله من الذين أوتوا الكتاب) صفة لفريق وأوتوا ينصب مفعولين نائب الفاعل الذي هو الواو مفعول أول والكتاب مفعول ثان وقوله كتاب الله مفعول لنبذ وهو بمعنى طرح (قوله أي لم يعملوا بما فيها) أشار بذلك إلى أن قوله وراء ظهورهم ليس على حقيقته بل هو كناية عن عدم العمل بما في التوراة وإلا فهم يعظمونها إلى الآن (قوله من أنه نبي حقا) إشارة إلى مفعول يعلمون والمعنى أنهم أنكروا صفة رسول الله وبدلوها ولم يدعوا للأحكام التي في التوراة كأنهم جاهلون بها مع أنهم عالمون بها (قوله عطف على نبذ) (٤٥) اشتشكل بأن المعطوف على

الجواب جواب وقوله اتبعوا لا يصلح أن يكون جوابا لعدم ترتيبه على الشرط لأنه سابق على بعثة رسول الله فالأحسن عطفه على جملة ولما جاءهم رسول بيان لسوء حالهم (قوله أي تلت) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي لأن السناء محفوفة من استراقهم السمع من بعثة رسول الله وتلت بمعنى قرأت أو كذبت (قوله على عهد) على بمعنى في وعهد بمعنى زمن التقدير واتبعوا

(نَبَذَهُ) طرحه (فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) بنقضه جواب كمال وهو محل الاستفهام الانكاري (بَلْ) للانتقال (أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ) محمد صلى الله عليه وسلم (مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ) أي التوراة (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) أي لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره (كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله (وَاتَّبَعُوا) عطف على نبذ (مَا تَقُولُوا) أي تلت (الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ) عهد (مُلْكِ سُلَيْمَانَ) من السحر وكانت دفتته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتاقية إلى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفعها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا إنما ملككم بهذا ففعلوه ورفضوا كتب أنبيائهم . قال تعالى تبرئة لسليمان وردا على اليهود في قولهم انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحرا (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) أي لم يعمل السحر لأنه كفر (وَلَكِنَّ) بالتشديد والتخفيف (الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا

ماتت الشياطين في زمن ملك سليمان ويحتمل أن تتلوا بمعنى تقول وعلى بابها ومتعلتها محذوف تقديره على الله فيصير المعنى واتبعوا ما تنقله الشياطين على الله زمن ملك سليمان وقوله من السحر بيان لما وعائد الموصول محذوف تقديره تتلوه (قوله أو كانت تسترق السمع) أول تنويع الخلاف لأنه اختلف في الذي اتبعته اليهود فقيل هو السحر الذي وضعته الشياطين تحت كرسيه لما نزع ملكه وسبب ذلك أن امرأة من نساء سليمان سجدت لصنم أر بعين يومافعابه الله بنزع ملكه تلك المدة وسبب عزله أنه كان خاتمه الذي نزل به آدم من الجنة يضعه إذا دخل الحلاء عند امرأة من نساؤه تسمى الأمانة وكان كل من لبسه يملك الدنيا بما فيها فوضعه عندها مرة فجاءها شيطان يسمى دخرا المارد وتشكل بشكل سليمان وطلب الخاتم فأعطته له ثم أتى الكرسي وجلس عليه أر بعين يوما فجملت الشياطين كتب السحر ودفتتها تحت كرسيه ثم لما انقضت المدة وجاء الأمر بتولية سليمان ثانيا طار الشيطان فوق الخاتم في البحر فحملته دابة من دواب الماء وأتته به فأمر سليمان الشياطين أن يأتوا بصخر المارد فأتوه به فأمرهم أن يفتحو صخرة ففعلوا ثم أمرهم أن يضعوه فيها ويسدوا عليه بالرصاص والنحاس ويرموه في قعر البحر للملح ففعلوا فلما مات سليمان دلت الشياطين على تلك الكتب المدفونة الناس وقيل إنه ما استرقته الشياطين من السماء فكان الشيطان يسمع الكلمة الصدق ويضع عليها تسعة وتسعين كذبة ويلقيها إلى الكهنة إلى آخر ما قال المفسر (قوله دلت الشياطين) المراد الجنس لأن الذي دل شيطان منهم (قوله لأنه كفر)

أى فى شرعه وأما فى شرعنا ففیه تفصیل فان اعتقد صحته وأنه يؤثر بنفسه فهو كفر وأما إن تعلمه لیسحر به الناس فهو حرام وإن كان لا شیء فمكروه وإن كان لیبطل به السحر فإثره وعرفه ابن العربی بأنه كلام مؤلف یعظم به غیر الله وتنسب له المقادیر فعليه هو كفر حتى فى شرعنا وعبارة الفزالی نفید ما قاله ابن العربی (قوله یعلمون الناس) إمام بدل من كفروا بدل فعل من فعل على حد إن تصل تسجد لله یرحمك أواخر بعد خبر أو جملة مستأنفة أو حال من الشیاطین أو حال من الواو فى كفروا فهذه خمس احتمالات اختار المفسر آخرها (قوله ویعلمونهم ما أنزل) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول معطوف على السحر من عطف الخاص على العام والنسبة قوة ما أنزل على للمکین وصعوبته ویحتمل أنه مغایر وأن ما أنزل على للمکین وإن كان سحرا إلا أنه نوع آخر منه غیر متعارف بین الناس (قوله وقرئ) أى قراءة شاذة وفیها دلیل لمن یقول إنهما لیسامکین حقیقین وإنما هما رجلان صالحان وصحبا بذلك لحسنهما وصلحهما على حد ما قبل فی یوسف ما هذا بشرا إن هذا إلا ملک کریم (قوله الکائنین) قدره إشارة إلى أن بیابل جار ومجرور متعلق بحذوف صفة للمکین (قوله بیابل) ممنوع من الصرف للعلمیة والتأنیث أو العجمة مأخوذة من البلبلة لأن أهلها كانوا یسکمون فجاءین لغة وأول من اختطها نوح وسمها ثمانین (قوله هاروت وماروت) هما ممنوعان من الصرف للعلمیة والعجمة ویجمعان على هواریت ومواریت أو على هواریة ومواریة مأخوذان من المهرت والمهرت وهو الکسر ولكن حيث قلنا إنهما أعجمیان (٤٦) فلا یصرف فیهما ولا یعلم لهما اشتقاق (قوله هما ساحران) قدم هذا القول

یُعلمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ) الجملة حال من ضمیر كفروا (و) یعلمونهم (ما أنزلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) أى ألهما من السحر وقرئ بكسر اللام الکائنین (بیابل) بلد فى سواد العراق (هاروت وماروت) بدل أو عطف بیان للمکین . قال ابن عباس هما ساحران كانا یعلمان السحر ، وقيل ملکان أنزلا لتعلیمه ابتلاء من الله للناس (وما یُعلمانِ مِنْ) زائدة (أحدِ حَتَّى یَقُولَا) له نصحا (إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ) بلیة من الله للناس لیتجنهم بتعلیمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن (فَلَا تَكْفُرْ) بتعلمه فإن أبى إلا التعلیم علماء (فَیَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا یُفَرِّقُونَ بِهِ بَیْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) بأن یفرض كلا إلى الآخر (وما هم) أى السحرة (بضارینِ به) بالسحر (مِنْ) زائدة (أحدِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وِیَتَعَلَّمُونَ مَا یَضُرُّهُمْ) فى الآخرة (وَلَا یَنْفَعُهُمْ) وهو السحر (وَلَقَدْ) لام قسم (عَلِمُوا) ،

إشارة لقوته وأنهما رجلان ساحران ولیسا یملکین (قوله ابتلاء من الله) أى اختبارا وامتحانا وقصة هاروت وماروت على القول بثبوتها أن الملائكة لما رأوا أعمال بنی آدم الحیثیة تصعد إلى السماء قالوا سبحانک یا ربنا خلقت خلقا وأکرمهم وهم یصنونك فقال الله تعالى لهم لو ركبتم فیکم

مارکبت فیهم لعلتم ففعلهم فقلوا سبحانک لانهصیک أبدأ قال اختاروا لکم ملکین فاختاروا هاروت وماروت أى وكانا من أصلهم فركب الله فیهما الشهوة وأمرهما بالهبوط إلى الأرض والحکم بین الناس بالحق ونهاهما عن الشریک والقتل والزنا وشرب الخمر وعلمهما الله الاسم الأعظم فكان إذا أمسى الوقت صعدا به إلى السماء ثم إنه جاءت إلیهما امرأة تسمى الزهرة وكانت جمیلة جدا فلما وقع نظرها علیها أخذت بقلوبهما فراوداهما عن نفسها فأبیت إلا أن یقتلاه فعلا ثم راوداهما فأبیت إلا أن یسجدا للصنم فعلا ثم راوداهما فأبیت إلا أن یعلماها الاسم الذى یصعدان به إلى السماء فعلا فقلته فصعدت به إلى السماء فمسحها الله کوکبا فهى الزهرة المعروفة فلما علم ذلك أراد أن تلاوة الاسم الأعظم فلم تطاوعهما أجنحتهما فذهبا إلى إدريس وساملا أن یشفع لهما عند الله ففعل ذلك فغیرهما الله بین عذاب الدنیا والآخرة فاختار عذاب الدنیا لهما لهما بانقطاعهما فهما بیابل معلقان بشعورهما یضربان بسياط من حديد إلى یوم القیامة مزرقة أعینهما مسودة جلودهما ومازالا یعلمان الناس السحر وقد اختاف فی صفة هذه القصة وعدمها فاختر الحافظ ابن حجر الأول لورودها ن عدة طرق عن الامام أحمد بن حنبل واختار البیضاوی ومن تبعه الثانی لأنه لم تثبت روايتها إلا عن الیهود (قوله فمن تعلمه كفر) أى إن اعتقد صحته وتأثيره (قوله فیتعلمون منهم) معطوف على وما یعلمان من أحد إن قاتل الأول منى والثانی مذنب وكيف یصح عطف الثبوت على النفی أعجب بأنه فى المعنى مثبت التقدير ویعلمون الناس السحر قائلین لهم إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُوا (قوله وما هم الخ) یحتمل أن ما حجازیه وهم اسمها و بشار بن خیرها والباء زائدة فى خبرها و یحتمل أنها تمیمیة وما بعدها مبتدأ وخبر والباء زائدة فى خبر مبتدأ

(قوله أى اليهود) أى جميعهم لأنهم علموا ذلك فى التوراه ونحوه ومن موصولة (أى وحى مبتدأ واشترائه وجملة ماله فى الآخرة الخ خبرها والجملة منها ومن خبرها سادة مسد مفعولى علم (قوله باعوا) أشار بذلك إلى أنه يطلق الشراء على البيع قال تعالى - وشروه بنخن بنحس - (قوله أن تعلموه) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر هو المخصوص بالهم وقوله حيث أوجب لهم النار حيث تعليلية (قوله لو كانوا يعلمون) لامتانة بينه وبين قوله ولقد علموا الخ لأنهم علموا أنهم ليس لهم نصيب فى الآخرة ولكن لم يعلموا أنهم لا يفلتون من العذاب الدائم (قوله من عند الله) صفة لثبوت وأصلها مثوبة بوزن مفعلة نقلت ضمة الواو إلى الثاء (قوله لما آثروه عليه) أى لما قدموا السحر على ما عند الله وهو إشارة إلى جواب لو (قوله راعنا) أى اشتملنا بنظرك ليفتح الله علينا لأنهم كانوا يقولونها عند معاصهم الوحى منه (قوله أمر من المراءة) أى وهى البالغة فى الرعى وحفظ الغير (قوله صب من الرعونة) أى الحق والجهل وقلة العقل أو معناها اسمع لاسمعت وعليه فهى عبرانية أو سريانية وحى مقاله التفسير فهى عربية . روى أن سعد بن معاذ رضى الله عنه سمع اليهود يقولونها لرسول الله فقال (٤٧) يا أعداء الله عليكم لعنة الله لأن سمعتموها

من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه قالوا أولستم تقولونها نزلت الآية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعاً لأسنة اليهود عن التدليس وأمرها بما فى معناها ولا يقبل التدليس الذى هو انظرنا (قوله أى انظر إلينا) أشار بذلك إلى أنه من باب الحذف والإيصال حذف الجار فاقصص الضمير (قوله سماع قبول) أى بحضور قلب عند تلقى الأحكام فإنه إذا وجدت القابلية من الطالب مع نظر المعلم حصل الفتح العظيم (قوله ما يود) من المودة

أى اليهود (لَنَ) لام ابتداء معلقة لما قبلها ومن موصولة (اشترأه) اختاره أو استبدله بكتاب الله (ماله فى الآخرة من خلاق) نصيب فى الجنة (وَلَيَبْئَسَ) شيبا (شَرَوْا) باعوا (يَوْمَ أَنْفُسَهُمْ) أى الشارين أى حظاً من الآخرة أن تعلموه حيث أوجب لهم النار (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه (وَلَوْ أَنَّهُمْ) أى اليهود (آمَنُوا) بالنبى والقرآن (وَاتَّقَوْا) عقاب الله بترك معاصيه كالسحر وجواب لو محذوف أى لأنبئوا ذلك عليه (لَمْ تَوْبَ) تواب وهو مبتدأ واللام فيه للقسمة (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ) خبره مما شروا به أنفسهم (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أنه خير لما آثروه عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا) للنبى (رَاعِنَا) أمر من المراءة وكانوا يقولون له ذلك وهى بلفظ اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبى فنهى المؤمنين عنها (وَقُولُوا) بدلها (أَنْظِرْنَا) أى انظر إلينا (وَاتَّقُوا) ما تومنون به سماع قبول (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ) من العرب عطف على أهل الكتاب ومن لليبان (أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ) زائدة (خَيْرٍ) وحى (مِنْ رَبِّكُمْ) حسداً لكم (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ) نبوته (مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) . ولما طعن الكفار فى النسخ وقالوا إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر ويشمى عنه غدا نزل (مَا) شرطية ،

وهى المحبة أى ما يحب وقوله الذين كفروا فاعل يود ومن أهل الكتاب الخ بيان للذين كفروا (قوله ولا المشركين) معطوف على أهل الكتاب ولا زائدة لتوكيد النفى (قوله أن ينزل عليكم) فى تأويل مصدر مفعول يود ومن زائدة وخير نائب فاعل ينزل والتقدير ما يحبهم كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون إزال خبر من ربكم عليكم (قوله حسداً لكم) تعليل للنفى وحسد اليهود بسبب زعمهم أن النبوة لا تليق إلا بهم لكونهم أبناء الأنبياء وحسد مشركى العرب بسبب ما عندهم من الرياسة والفضر فقالوا لا تليق النبوة إلا بنا (قوله والله يختص) يستعمل متعدداً ولازماً فاعل الأول فاعله ضمير مستتر فيه والموصول بصلته فى محل نصب على الفعولية والمعنى والله يختص الخ وعلى الثانى الفاعل هو الموصول بصلته والمعنى والله يميز برحمته من يشاؤه (قوله العظيم) أى الواسع (قوله ولما طعن الكفار الخ) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية ولما قصد من ذلك بيان حكمة النسخ والرد على الكفار حيث قالوا إن القرآن افتراء من محمد فلا كان من عند الله لما بدل فيه وغير ورد عليهم أيضاً بقوله تعالى - وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل - الآية وقوله تعالى - قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى - (قوله شرطية) أى وهى نكرة بمعنى شئ معمول لتفسخ وقوله من آية بيان لما .

(قوله نذخ) من الذخ وهو لغة الازالة والنقل يقال سحت الشيء الظل ازالته وسحت الكتاب ثقلت مافيه وام ملاحا بيان انتهاء حكم التمسيد إما باللفظ أو بالحكم أو بهما فنسخ اللفظ والحكم كعشر رضعات محرمن ونسخ اللفظ دون الحكم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما آتية ونسخ الحكم دون اللفظ كقوله تعالى - كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين - الآية نسخت بآية الموارث وقوله عليه السلام «لا وصية لوارث» وقوله تعالى - والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول - الآية فنسخت بقوله تعالى - يترصدن أنفسهن أربعة أشهر وعشرا - إلى غير ذلك (قوله إما مع لفظها) أى كعشر رضعات الخ (قوله أولا) أى بان نزل حكمها فقط (قوله أوجبريل) فى الحقيقة بينهما تلازم (قوله فلا نزل حكمها) أى لانسخه بل نبقية وقوله وترف ثلاثتها أى نفسه على هذا التفسير دخل تحت قوله مانسخ من آية حكان من أحكام النسخ وهما نسخ الحكم واللفظ أو الحكم فقط وتحت قوله أو نفساها الحكم الثالث وهو نسخ اللفظ دون الحكم (قوله أو تؤخرها فى اللوح المحفوظ) أى لانظلمكم عليها ولا نعلمكم بها وعلى هذا التفسير فقد دخل تحت قوله مانسخ الأحكام الثلاثة (قوله وفى قراءة بلا همز) المناسب أن يقول وفى قراءة بضم النون من غير همز (قوله من النسيان) الأولى أن يقول من الانساء لأنه مصدر الرباعى (قوله (٤٨) أى نحتها من قلبك) أى وقلب أمثلك بأن يبقى الحكم دون اللفظ

(نَسَخَ مِنْ آيَةٍ) أى نزل حكمها إما مع لفظها أولا وفى قراءة بضم النون من أنسخ أى تأمرك أوجبريل بنسخها (أو نَسَاها) تؤخرها فلا نزل حكمها وترفع ثلاثتها أو تؤخرها فى اللوح المحفوظ وفى قراءة بلا همز من النسيان أى ننسكها أى نغصها من قلبك وجواب الشرط (نات بخير منها) أنفع للعباد فى السهولة أو كثرة الأجر (أو مثلاً) فى التكليف والثواب (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) يفعل فيها ما يشاء (وما لكم من دون الله) أى غيره (من) زائدة (ولم) يحفظكم (ولا نصير) يمنع عذابه عنكم إن أتاكم ونزل لما سألهم أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهابا (أم) بل أ (تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى) أى سألهم قومه (من قبل) من قولهم أرنا الله جهرة وغير ذلك (ومن يبدل الكفر بالإيمان) أى يأخذه بدله بترك النظر فى الآيات البينات واقتراح غيرها (فقد ضل سوا السبيل) أخطأ الطريق الحق ، والسواء فى الأصل الوسط .

و يحيان (قوله فى السهولة) أى كقوله تعالى - الآن خفف الله عنكم - الآية (قوله أو كثرة الأجر) أى كقوله تعالى - فمن شهد منكم الشهر فليصمه - بعد قوله تعالى - وعلى الذين يطيقونه فدية - فليس ثواب من خير بين الأمرين كثواب من تحتم عليه الصوم (قوله أو مثلاً) أى كنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة

فانه لامشقة فى كل وليس أحدهما أكثر نوالا من الآخر (قوله والاستفهام للتقرير) أى أقر واعترف تكون (و) الله قديرا على كل شيء (قوله وما لكم من دون الله) ما حجازية ولستم خبرها مقدم ومن دون الله حال من ولى ومن زائدة وولى اسمها مؤخر ولا نصير معطوف على ولى ولا زائدة لتأكيد النفي ويحتمل أنها تيمية وما بعدها مبتدأ وخبر ويحتمل أن من فى قوله من دون الله زائدة أو أصلية متعلقة بما يتعلق به الخبر (قوله من ولى ولا نصير) الفرق بين الولى والنصير أن الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيًا من النصور فينبغيهما معهما بخصوص من وجه (قوله أن يوسعها) أى باز الله الجبلين الهيطين بها (قوله ويجعل الصفا ذهابا) أى وغير ذلك مما ذكره الله فى سورة الإسراء فى قوله تعالى - وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا - الآية هكذا ذكر المفسر واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية والسؤال من أهل مكة كان قبل الهجرة فالحق أن يقال إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إنزال كتاب من السماء بدليل أن السورة مدنية وأن السياق فى خطاب اليهود ووجود أمم التى معنى بل التى للاضراب الاتقالي المفيد أن له تعلقا بما قبله (قوله رسولكم) أى محمد صلى الله عليه وسلم لأنه رسول الخلق أجمعين (قوله كما سئل موسى) بنى الفعل للجبهول لعل بالفاعل (قوله وغير ذلك) أى من قولهم ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض ومن قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ونحو ذلك (قوله ومن يبدل الكفر) استئناف لبيان حال من تعنت على نبيه (قوله سواء السبيل) من إضافة الصفة للوصف أى السبيل السراء بمعنى المستوى (قوله أخطأ الطريق الحق) أى فقد شبه الدين الحق بالطريق المستوى بجامع أن كلا يوصل للقصد

(قوله ود كثير) سبب نزولها أن عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان لما رجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد اجتماعا برهط من اليهود فقالوا لهما ألم نقتل لكما إن دين اليهودية هو الحق وغيره باطل فلو كان ما عايناه محمد حقا ماقتلت أصحابه مع دعواه أنه يقاتل والله معه يقول عمار بن ياسر ما حكم نقض العهد عنكم فقاتلوا فظيع جدا فقال إني عاهدت محمدا على اتباعه إلى أن أموت فلا أنقضه أبدا فقالوا قد صبا فقال حذيفة رضي الله عنه يا ويا بالاسلام ديننا والسكينة قبله والقرآن إماما والمؤمنين اخوانا فلما رجا أخبرا رسول الله بذلك فقال أصبنا الخبر وأفلحتما فنزلت (قوله ود كثير) من المودة وهي المحبة (قوله من أهل الكتاب) ثي وهم اليهود (قوله لومصدرية) ففسبك مع ما بعدها بمصدر مفعول ود التقدير ود كثير ردكم الخ ورد تنصب مفعولين لأنها بمعنى صير مفعولها الأول الكاف والثاني كفارا وبصح أن تكون لوشريطية وجوابها محذوف تقديره فيسرون ويفرحون بذلك (قوله كائنا) أشار بذلك إلى أن قوله من عند أنفسهم متعلق بمحذوف صفة لحدا ومن ابتدائية (قوله من بعد ما تبين لهم) متعلق بود وما مصدرية أي من بعد تبين الحق لهم وهذا أبغ قبح منهم لأنهم هرفوا الحق فلم يهتدوا ومع ذلك وقعت المرافعة لغيرهم على الضلال فقد ضلوا وأضلوا (٤٩) (قوله فاعفوا) أي لا تؤاخذوهم بهذه المقالة وقوله واصفحوا أي لا تؤاخذوهم فينبها مغيرة وقيل متحدان وعليه مشى المفسرون معناه عدم المؤاخضة ولم يؤمر النبي وأصحابه بقتالهم مع أنهم ناقضون للعهد بتلك المقالة لأن الواقعة كانت بعد غزوة أحد فكان الاذن في القتال حاصل فالجواب أن القتال المأذون فيه كان للشركين وأما أهل الكتاب فلم يؤمروا بقتالهم إلا في غزوة الأحزاب قيل قبلها وقيل بعدها فقتل قريظة وأجلى بن النضير وغزا

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ) مصدرية (يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا) مفعول له كائنا (مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ) أي حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة (مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ) في التوراة (الْحَقُّ) في شأن النبي (فَاعْفُوا) عنهم أي اتركوهم (وَأَصْفَحُوا) أعرضوا فلا تجازوهم (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) فيهم من القتال (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وَأَتَمُّوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ طاعة كسلة وصدق (تَجِدُوهُ) أي ثوابه (عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يميز بكم به (وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا) جمع هائد (أَوْ نَصَارَى) قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظرورا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أي قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود وقال النصارى لن يدخلها إلا النصارى (تِلْكَ) القولة (أَمَانِيَهُمْ) شهواتهم الباطلة (قُلْ) لهم (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجبتكم على ذلك (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (بَلَى) يدخل الجنة غيرهم (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أي انقاد لأمره وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء ففيه أولى (وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد (قُلْ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّي) أي ثواب عمله الجنة (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في الآخرة (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ) معتد به وكفرت بعيسى (وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ) معتد به وكفرت بموسى (وَهُمْ) أي الفريقان

خير (قوله من القتال) أي الخاص بهم (قوله عند الله) العندية معنوية على حد: أي عند زيد أي مصون ومحفوظ مدخر (قوله قال ذلك يهود المدينة الخ) لف ونشر مرتب (قوله لما تناظرورا) لما حيفة ظرف لقالوا (قوله لن يدخلها إلا اليهود) صحت اليهود بذلك لأنهم هادوا بمعنى رجعوا من عبادة العجل وصحبت النصارى بذلك لأنهم نصروا عيسى وهو جمع نصران أو نصري (قوله تلك أمانيتهم) مبتدأ وخبر وجمع الخبر مع كون المبتدأ مفردا لأنه جمع في المعنى لأنه عائد على القولة وهي بمعنى اللغات (قوله هاتوا) قيل هو اسم فعل أمر وقيل اسم صوت والحق الوسط للحوق العلامة لها والمعنى أحضروا (قوله برهانكم) قيل مأخوذ من البرهة أي القطعة لأن به قطع حجة الخصم وقيل من البرهة أي الكيان فعلى الأول ممنوع من الصرف وعلى الثاني مصروف (قوله بلى) أي لا يدخلها أحد منكم (قوله من أسلم وجهه) أي دخل الاسلام بوجهه أي بذاته ومعناه انقاد بظاهره وقوله موحد أي بباطنه لا منافق بل منقاد بظاهره مؤمن موحد بباطنه (قوله معتد به) أي بل هم على باطل وقدره المفسر إشارة إلى أن صفة شيء محذوفة وهذه أصدق مقالة قالتها اليهود والنصارى (قوله وكفرت بعيسى) أي وزعمت أنها قتلت

(قوله يتلون الكتاب) المراد به بالنسبة لليهود التوراة وبالنسبة للنصارى الانجيل (قوله المشركون من العرب الخ) أي المراد من ذلك تسلية رسول الله على ما وقع من المشركين فان اليهود والنصارى كفروا وضلوا مع علمهم بالحق فكيف بمن لاعلم عنده فلا يستغرب ذلك منهم (قوله والله يحكم بينهم) أي الفرق المذكورة اليهود والنصارى ومشركي العرب ومن أسلم وجهه لله وهو محسن (قوله ومن أظلم) من اسم استفهام مبتدأ وأظلم خبره (قوله أي لأحد أظلم) استشكل بأنه يقتضي أن من منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها لم يساوه أحد في الظلم فكيف ذلك مع قوله تعالى - ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا - ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه، فمن أظلم ممن كذب على الله - الآية المقتضية كل آية منها أنه لا أحد أظلم ممن ذكر فيها . وأجيب بأن هؤلاء الموجودين في الآيات ظلمهم زائد عن غيرهم وكون الظلم الواقع من بعضهم مساويا للبعض الآخر أم لا شيء آخر تأمل وأشار المفسر بقوله أي لأحد أظلم إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله من منع) يتعدى للفعولين الأول بنفسه وهو مساجد والثاني قوله أن يذكر فهو في تأويل مصدر مجرور بمن التقدير لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها والمنع إما بقلعها أو تعطيل الناس عنها أو تخريبها أو أكل ريعها أو التفريط في حقوقها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله مساجد الله) جمع مسجد سمي باسم السجود لانه أشرف أركان الصلاة لقوله عليه الصلاة والسلام «أقرب ما يكون العبد (٥٠) من ربه وهو ساجد» ولانه محل غاية الدل والخضوع لله عز وجل وإن

كان القياس فتح عينه في المفرد لكنه لم يسمع إلا الكسر فالقراءة سنة متبعة (قوله بالصلاة والتسبيح) أشار بذلك إلى أن المراد بذكر اسم الله فيها ما يميم الصلاة وغيرها (قوله نزلت الخ) هذا إشارة إلى بيان سبب نزولها (قوله إخبارا عن الروم) أي قبل بعثة الرسول حين توجهت

(يَتْلُونَ الْكِتَابَ) المنزل عليهم وفي كتاب اليهود تصديق عيسى وفي كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال (كَذَلِكَ) كما قال هؤلاء (قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أي المشركون من العرب وغيرهم (مِثْلَ قَوْلِهِمْ) بيان لمعنى ذلك أي قالوا لكل ذى دين ليسوا على شيء (قَالَهُ يَحْكُمُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين فيدخل الحق الجنة والمبطل النار (وَمَنْ أَظْلَمُ) أي لا أحد أظلم (مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ) بالصلاة والتسبيح (وَسُمِّيَ فِي خَرَابِهَا) بالهدم أو التعطيل . نزلت إخبارا عن الروم الذين خربوا بيت المقدس أو في المشركين لما صدوا النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عن البيت (أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) خبر بمعنى الأمر أي أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمنا (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) هوان بالقتل والسبي والجزية (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

هو

جيوش يختصر مع نصارى الروم لتخريب بيت المقدس وكان يختصر

مجوسيا من أهل بابل وذلك حين قتل بنو إسرائيل يحيى بن زكريا ولم يزل كذلك حتى بناء المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب (قوله عام الحديبية) أي وهو عام ست من الهجرة حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف رار بعامة بقصد العمرة فصدته المشركون وهو بالحديبية فتحلل ورجع (قوله أن يدخلوها إلا خائفين) المعنى ليس لهم دخولها يعني البيت أو بيت المقدس في حال من الأحوال إلا في حال كونهم خائفين (قوله خبر بمعنى الأمر) أي فالجملة خبرية لفظا إنشائية معنى وقوله أي أخيفوهم بالجهاد أي فالمراد من الآية أن الله كفنا بقتالهم ومنعهم عن المسجد الحرام وبيت المقدس قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا - فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بعد الفتح ينادى في الناس أن لا يطوف بالبيت عريان وأن لا يصح بعد هذا العام مشرك وفي خلافة عمر فتح الشام ومدينة بيت المقدس ومنع المشركين من دخول بيت المقدس ويحتمل أنه خبر لفظا ومعنى فهو إخبار من الله بما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم ومن عمر وهو الأقرب كما قال المفسرون ويصح أن يكون المعنى ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع فضلا عن أن يجترؤا على تخريبها وقيل غير ذلك (قوله فلا يدخلها أحد أيضا) من ذلك اختلفت المذاهب في دخول الكافر المسجد فمنه المالكية إلا الحاجة وفصل الشافعية فقالوا إن أذن له مسلم في غير المساجد الثلاثة جاز وإلا فلا وجوزة الحنفية مطلقا (قوله لهم في الدنيا خزي) هذا عام لكل من منع مساجد الله من ذكر اسم الله فيها كان مسلما أو كافرا غزى المسلم في الدنيا بالمصائب والفقر والعبي والموت على غير حالة مرضية وذكر المفسر خزي الكافر

(قوله هو النار) أى على سبيل الخلود إن مات كافرا أو على سبيل التطهير إن مات مسلما فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل آية وردت في الكفار فأنها تجر ذيلها على عصاة المؤمنين (قوله لما طعن اليهود في نسخ القبلة) أى التى هى بيت المقدس فإن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أمر بالصلاة لجهة بيت المقدس تأليفا لليهود فأشاعوا أن محمدا تابع لهم في دينهم وشريعتهم ثم بعد مدة أمره الله بالانتقال إلى الكعبة فقالوا إن محمدا يفعل على مقتضى هواه وليس مأمورا بشرع فنزلت الآية (قوله أو في الصلاة النافلة) أى نزلت في شأن اعتراض اليهود على النبي حين شرعت صلاة النافلة على الهداية في السفر حينما توجهت (قوله والله الشرق والغرب) أى مكان الشروق والغروب وهذا ظاهر وأما آية رب الشرقين ورب المغربين فباعتبار مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما وأما آية - فلا أقسم برب المشارق والمغارب - فباعتبار مشرق كل يوم ومغربيه لأن الشمس طرقت في الشروق والغروب على قدر أيام السنة (قوله أى الأرض كلها) جواب عن سؤال مقتركا أنه قيل ما وجه الاختصار على المشرق والمغرب ويحتمل أن فيه حذف الواو مع ما عطف أى وما بينهما (قوله فأينما تولوا) أينما اسم شرط جازم ظرف مكان وتولوا فعل الشرط وقوله ثم وجه الله جواب الشرط وثم إشارة للكان خبر مقدم ووجه الله مبتدأ مؤخر (قوله ثم وجه الله) أى جهته يعنى جهة رضاه وليس المراد بوجهه ذاته بل المراد أينما تولوا وجوهكم في جهة أمركم الله بها تعبدوا جهة رضاه والصوفية يريدون بالوجه الذات وهو دليل على تنزه الله عن التخصيص بالجهة ومن هنا (٥١) قال ابن العربي مقتضى التوحيد أن الصلاة لأى جهة

تصح وإنما أمرنا بجهة مخصوصة تعبدنا ولم نقل له معنى (قوله يسع فضله كل شيء) أى فضحة الصلاة ليست متوقفة على جهة بيت المقدس فقط كما زعمت اليهود بل خصنا الله بمزايا على حسب مزيد فضله لم تكن فيهم فلها أمر القبلة ومنها جعل الأرض كلها مسجدا

هو النار . ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حينما توجهت (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أى الأرض كلها لأنهما ناحيتاها (فَأَيْنَمَا تُولُوا) وجوهكم في الصلاة بأمره (فَسَمَّ) هناك (وَجْهَ اللَّهِ) قبلته التى رضىها (إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ) يسع فضله كل شيء (عَلِيمٌ) بتدبير خلقه (وَقَالُوا) بواو ودونها أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) قال تعالى (سُبْحَانَهُ) تنزيهاً له عنه (بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا وخلقاً وعبيداً والملاكية تنافى الولادة وعبر بما تغليباً لما لا يعقل (كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ) مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) موجدما لأعلى مثال سبق (وَإِذَا قَضَى) أراد (أَجْرًا) أى لإيجاده ،

وترتبها طهورا وغير ذلك (قوله وقالوا) هذا من جملة قبائح اليهود ومشركى العرب حيث قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (قوله بواو ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على منع مساجد الله التقدير ومن أظلم ممن قال اتخذ الله ولدا وعلى عدمها هو مستأنف لبيان حال الكفرة وأما آية يونس فبترك الواو لا غير لعدم ما يناسب العطف (قوله سبحانه) أى تنزه عنه لأن الولدية تقتضى النوعية والجنسية والافتقار والتشبيه والحدوث وهو سبحانه منزّه عن ذلك كله (قوله لما لا يعقل) أى غير العاقل لكثرة وإنما غلبه لأنه في سياق القهر وهو مناسب لغير العاقل بخلاف قاتون فإنه في سياق الطاعة (قوله مطيعون) أى نافذ فيهم مراده فالمراد بالطاعة هنا الانقياد ونفوذ المراد (قوله وفيه تغليب العاقل) أى حيث جمعه بالواو والنون وإنما غلب العاقل هنا لشرفه ولأن شأن الطاعة أن تكون للعاقل وفيه مراعاة معنى كل ولو راعى لفظها لأفرد (قوله بديع) خبر لمبتدأ محذوف أى هو وقرئ بالجر بدل من الضمير فى له وبالنصب على المدح أى أمدح بديع (قوله لأعلى مثال سبق) أى فهما في غاية الإتيان قال تعالى - أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها - الآيات (قوله وإذا قضى) يطلق القضاء على الوفاء يقال قضى دينه بمعنى وفاه ويطلق على الإرادة وهو المراد هنا (قوله أراد) أى تعلقت إرادته به وفسر القضاء بالإرادة للآية الأخرى وهى قوله تعالى - إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون - وخبر ما فسرته بالوارد .

(قوله قائما يقول له كن فيكون) ليس المراد أنه إذا حلفت إرادته بإيجاد أمر أنى بالكاف والنون بل ذلك كناية عن سرعة الإيجاد فراده نافذ ولا يتخلف بل ماعلمه أزلا تعلقت به الإرادة تعاقبا تنجيزيا حادثا وأبرزه بالقدرة مريعا (قوله أى فهو يكون) أشار بذلك إلى أنه مستأنف مرفوع خبر مبتدأ محذوف (قوله بالنصب) أى بأن مضمرة بعد فاء السببية أى يحصل ويوجد في الخارج (قوله وقال الدين لا يعلمون) أى الجاهلون الذين هم كالبهايم أو أضل (قوله أى كفار مكة) تقدم الاشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة ويمكن أن يجاب هنا بأن هذه الآية بخصوصها مكية وهو بعيد وأجاب أستاذنا الشيخ الدردير بأنه لا مانع أن كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة (قوله هلا) أشار بذلك إلى أنها تحضيضية وهى بذلك المعنى فى غالب القرآن (قوله يكلمنا الله) أى مشافهة أو على لسان جبريل فينزل علينا كما ينزل عليك (قوله مما اقترحناء) أى طماناء والمقترح هو الشيء الذى لم يسبق إليه (قوله من التعت الخ) هذا هو وجه المائلة لأن ما وقع من الأمم الماضية ليس عين ما وقع من كفار مكة (قوله فيه تسلية للنبي) أى من قوله كذلك (قوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أى فلا تحزن على من كفر فانا قد وضعنا آياتنا لقوم يؤمنون بك ولا تعتنون عليك قال تعالى تسلية له - يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (قوله تعنت) أى بمن كفر وعاند فلا تحزرو (٥٣) عليه ويكفيك من آمن (قوله نا أرسلناك) الخطاب له صلى الله

عليه وسلم أى أرسلناك للناس كافة (قوله بالحق) الباء للابسة أو للساحبة أو السببية والأقرب الأولان (قوله بالهدى) أى دين الاسلام أو القرآن (قوله بشيرا) هو ونذيرا حالان إيمان الكفار فى أرسلناك أو من الحق (قوله من) اسم موصول معمول بشيرا وقوله أجاب إليه صلتها والمعنى إقاده وقوله من لم يجب إليه أى من لم ينقد إليه ولم يغفره ديننا (قوله النار)

(قَائِمًا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أى فهو يكون . وفى قراءة بالنصب جوابا للأمر (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم (لَوْلَا) هلا (يُكَلِّمُنَا اللَّهُ) أنك رسوله (أَوْ تَأْتِينَا آيَةً) مما اقترحناء على صدقك (كَذَلِكَ) كما قال هؤلاء (قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم (مِثْلَ قَوْلِهِمْ) من التعت وطلب الآيات (تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) فى الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يعلمون أنها آيات فيؤمنون فاقترح آية معها تعنت (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ) بالهدى (بَشِيرًا) من أجاب إليه بالجنة (وَنَذِيرًا) من لم يجب إليه بالنار (وَلَا تُنْزِلُ عَنْ أَفْخَافِ الْجَحِيمِ) النار أى الكفار ما لهم لم يؤمنوا وإنما عليك البلاغ . وفى قراءة يجزم تسئل نهيا (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) دينهم (قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ) أى الإسلام (هُوَ الْهُدَى) وما عداه ضلال (وَلَكِنْ) لام قسم (اتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ) التى يدعوونك إليها فرضا (بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الوحى من الله (مَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ) يحفظك (وَلَا نَصِيرٍ) يمنعك منه

سميت النار جحما لجمعها أى اضطرابها بأهلها من شدة لهيبها كاضطراب موج البحر (قوله ما لهم لم يؤمنوا) (الدين هذه هو صورة السؤال أى حيث باقت الرسالة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وجايت الظلمة فلا تخف من كفرهم ولا يسألك الله عنه (قوله إنما عليك البلاغ) علة لاني (قوله يجزم تسأل) أى مع فتح التاء مبني للفاعل وهما قراءتان سبعيتان والمعنى على هذه القراءة لا تسألنا يا محمد عن صفاتهم وأحوالهم فانها شذيفة فظيعة لا يسبك السؤال عنها لموطنها أو المعنى لا تسألنا الشفاعة فيهم لأن كلمة العذاب حقت عليهم (قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى) هذه مقالة قالها الله له حين قالت اليهود لارضى عنك حتى تتبع ما نحن عايه وكذلك قالت النصارى (قوله وما عداه ضلال) أخذ ذلك من الجملة المعرفة الطرفين فانها تنفيذ الحصر (قوله لام قسم) أى محذوف تقديره وعزتي أو والله وعلامة كونها لام قسم وقوعها قبل إن الشرطية (قوله فرضا) أى على فرض وقوعه أو ذلك تخويف لأنه على حد ما قيل فى ثلث أشركت ليحبطن عملك (قوله مالك من الله من ولي) هذا جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور لتأخر الشرط عن القسم لقول ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم - جسواب ما أخرت فهو ملزم

ولو كان جوابا للشرط لا قترن بالفاء لكونه منفيما بما (قوله من ولي) من زائدة لتأكيد النفي

(قوله الذين آتيناهم الكتاب) أى القرآن وآتيناهم الدين والماء مفعول أول والكتاب . مفعول ثان (قوله والجملة حال) أى إما مؤولة باسم الفاعل أول والمفعول فعلى الأول هى حال من مفعول آتيناهم الأول الذى هو الضمير . على الثانى هى حال من الكتاب (قوله نصب على المصدر) فى الحقيقة صفة لمصدر محذوف تقديره تلاوة حق التلاوة والمعنى يقرئ به مجودا مرتلا بخشوع وخضوع كما نزل من جبريل لا ينقصون عما ورد ولا يزيدون عليه يأتمرون بأمره ويتقنون بنبيه ويصدقون وعده ووعدته ويتدبرون معانيه يعملون بحكمه ويفوضون علم . متشابهة إلى الله (قوله أولئك يؤمنون) مبتدأ وخبر والجملة خبر المبتدأ (قوله نزلت فى جماعة) أى أربعين اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب مقدمهم جعفر بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وأسلموا) أى وصاروا يتلون القرآن حق التلاوة ، هكذا ذكر المفسر سبب نزولها وقيل نزلت فى كل من اتصف بهذا الوصف وقيل فى عبد الله بن سلام وأضرابه (قوله بأن يحرقه) أى متعمدا بأن يتلاعب بمعانيه وأفظاه ويأخذ بظاهره والضمير عائد على القرآن وذلك كالخوارج الذين يأخذون بظاهره ولا يعرفون معانيه فضلوا وأضلوا فان من جملة أبواب الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة (قوله يابى إسرائيل) تقدمت هذه الآية وكررها لمزيد التوبيخ عليهم (قوله اذكروا نعمتى) أى بالشكر عليها والمراد بها الجنس (قوله تقدم مثله) أى من أن المراد على زمانهم أو أن المراد آباؤهم الأنبياء أو المراد بالفضل الزايا ففهم مزايا لم توجد فى غيرهم كخلق البحر وتغيير الماء من الحجر واللز والسوى (قوله يوما) أى عذاب يوم (قوله نفى نفس) أى مؤمنة وقوله عن نفس أى كافرة وهذه الجملة صفة ليوما وهو نسكرة والجملة إذا وقعت صفة لنكرة فلا بد لها من رابط وقد قدره المفسر (٥٣) بقوله فيه (قوله ولا تنفعها شفاعة) أى لا شفاعة لها حتى يترتب عليها الفع قال تعالى - فالتنا من شافعين ولا صديق حميم -

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) مبتدأ (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَةٍ) أى يقرءونه كما أنزل والجملة حال وحق نصب على المصدر والخبر (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) نزلت فى جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ) أى بالكتاب المؤتى بأن يحرقه (فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) لمحيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلَّى فَضَلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) تقدم مثله (وَاتَّقُوا) خافوا (يَوْمًا لَا تَجْزَى) تنفى (نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ) فيه (شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ) فداء (وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله (وَ) اذكر (إِذْ أُتْبِلَى) اختبر (إِبْرَاهِيمَ) وفى قراءة إبراهيم (رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) بأوامر ونواه كلفهها قيل هى

ان نظرف المحذوف قدره بقونه اذ كر والخطاب لمحمد أى اذ كر يا محمد لقومك وقت ابتلاء إبراهيم ويصح تقدير اذكروا ويكون خطابا لبني إسرائيل . والقصود من ذكر قصة إبراهيم إقامة الحجة على المخالف من اليهود والنصارى ومشركي العرب لأن الرق جميعها يعترفون بفضل إبراهيم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول انظروا التكليف الذى كلف الله بها إبراهيم هل هى موافقة لما جئت به أو مخالفة (قوله وفى قراءة إبراهيم) هما قراءتان سبعيتان وهذان لغتان من سبع والثالثة والرابعة والخامسة بغير ياء والماء مثلثة والسادسة بغير ياء وألف مع فتح المياء والسابعة إبراهيم وهو اسم أعجمى وتعريبه أب رحيم وهو ابن تارخ بن آر بن ناخور بن شاروخ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارغشذ بن سام بن نوح وإبراهيم مفعول مقدم وربه فاعل مؤخر وتقديم المفعول هنا واجب لاتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول فاقدم الفاعل لزم عليه عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة . قال ابن مالك :

وشاع نحو خاف ربه هم وشذ نحو زان نوره الشجر

والاختبار فى الأصل الامتحان بالشئ . يعلم صدق ذلك الشخص أو كذبه وهو مستحيل على الله لأنه علم بذلك قبل الاختبار وإنما المراد عامله معاملة المختبر ليظهر ذلك للخلق فاختبر إبراهيم فظهر صدقه وإبليس فظهر كذبه (قوله بكلمات) قيل ثلاثون من شريعتنا : عشرة فى براءة وهى التائبون العابدون إلى وبشر المؤمنين ، وعشرة فى الأحزاب وهى : إن السنين والسمات إلى قوله : أعد الله لهم مغفرة الآية ، ونسمة فى المؤمنين من أولها إلى أولئك هم الوارثون وواحدة فى سأل وهى : والذين هم بشهادتهم قائمون . وقيل هى التكليف بخدمة البيت . وقيل ذبح ولده والرحى فى النار وهجرته من الشام إلى مكة

والنظر في الشمس والقمر والكواكب لإقامة الحجة على قومه وبجميعة ما ذكره للفسر تكون أقوالا خمسة ولا مانع من إرادة جميعها (قوله مناسك الحج) أي واجباته وسنته (قوله وقيل المضمضة الخ) هذه عشرة أشياء الخمسة الأول في الوجه والرأس وما عداها في باقي الجسد (قوله والختان) ورد أنه أول من اختن وأول من قص الشارب وأول من قلم الأظفار وأول من رأى الشيب فلما رآه يارب قال يارب هذا قال الوار قال يارب زدني وقارا ، وقوله والاستنجاء أي بالماء وأما بالحجر فهو من خصائص هذه الأمة (قوله فأتمهن) أي لم يفرط في شيء منها (قوله قال تعالى له) هذا كلام مستأنف واقع في جواب سؤال كأنه قيل ما فعل الله به بعد ذلك أجاب بقوله قال له إني جاعلك للناس إماما ومن ذلك أن العطايا الربانية تكون بعد التخلي عن الأغيار بالاختبار (قوله للناس) يحتمل أن يكون ظرفا لغوا متعلقا بجاعلك ويحتمل أنه حال من إماما لأنه نفت نكرة تقدم عليها وجاعل بمعنى مصير فينصب مفعولين الكاف مفعول أول وإماما مفعول ثان (قوله قال ومن ذريتي) هذا كطف الثقلين كما يقال لك سأمرك فتقول وزيدا ومن للتبويض وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق (قوله اجعل أئمة) أي أنبياء أو ملوكا عدولا أو علماء وقد اجتمع ذلك في ذريته (قوله عهدي) فاعل ينال فهو مرفوع بضمه متدرة على ما قبل ياء التكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والظالمين من قوله . والمعنى إن عهدي لا يدرك الظالمين وقرئ بالعكس شذوذا لأنه إذا دار الأمر بين الاسناد للمعنى والذات فالاسناد للمعنى أولى (قوله وإذ جعلنا) (٥٤) معطوف على وإذ ابتلى وما قدر هناك يقدر هنا وجعل إن كانت

بمعنى خافى نصبت مفعولا واحدا وهو البيت ومثابة حال منه وإن كانت بمعنى صير نصبت مفعولين البيت مفعول أول ومثابة مفعول ثان وللناس جار ومجرور متعلق بجعلنا أو بمحذوف صفة لمثابة (قوله الكعبة) أشار بذلك إلى أن آل في البيت

مناسك الحج وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وقلم الأظفار وتنف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء (فَأَتَمَّهْنَ) أداهن تامات (قَالَ) تعالى له (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) قدوة في الدين (قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) أولادى اجعل أئمة (قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي) بالامامة (الظَّالِمِينَ) الكافرين منهم دل على أنه ينال غير الظالم (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ) الكعبة (مَثَابَةً لِّلنَّاسِ) مرجعا يشوبون إليه من كل جانب (وَأَمَّا) مأمنا لهم من الظلم والافات الواقعة في غيره كان الرجل يلقي قاتل أبيه فيه فلا يهيج (وَاتَّخَذُوا) أيها الناس (مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ) هو الحجر الذي قام عليه ،

منه

العهد (قوله مثابة) يحتمل أن يكون مصدرا ميميا وهو الذي درج عليه الفسر

بقوله مرجعا ويحتمل أن يكون ظرف مكان أي محل رجوع يرجع إليه المرة بعد المرة أو المراد محل ثواب أي أن من لا ذبه حصل له من الثواب ما لا يحصل له في غيره لما ورد « ينزل من السماء مائة وعشرون رحمة على البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين » وأصل مثابة مثوبة تحركت الواو وانتح ماقبلها قلبت ألفا (قوله وأمنا) إما مصدر باق على مصدرية أو بمعنى اسم الفاعل أو ظرف مكان أي محل أمن وعليه درج للفسر وعلى كونه اسم فاعل فالاسناد مجاز أي آمنا من دخله ، وخبر ما فسرته بالوارد ، قال تعالى - ومن دخله كان آمنا - (قوله فلا يهيج) أي لا يزعجه ولا يؤاخذ به فعل ، وكان البيت معظما في الجاهلية في الإسلام أولى ولذا قال ابن عباس إن معصيته تناعف لأنه يشدد على من في الحضرة ما لا يشدد على غيره . قال بعضهم :

لقد أسرّك من رضىك ظاهره وقد أبرّك من بعصيك مستترا

(قوله واتخذوا) أمر إما معطوف على ما تضمنه قوله مثابة تقديره فتوبوا واتخذوا أو مستأنف مقول لقول محذوف تقديره وقال الله لهم اتخذوا (قوله أيها الناس) فيه حذف حرف النداء وهذا على قراءة الأمر (قوله من مقام إبراهيم) يحتمل أن من تبعية أوزائدة في الإثبات على مذهب الأخفش أو بمعنى في وكل بعيد والأقرب أنها بمعنى عند ، والسنة بينت أن الصلاة خلفه بأن يكون الحجر بين المصلي والكعبة (قوله هو الحجر) ورد أن طوله ذراع وعرضه كذلك وقد قيل هو الحجر الأسود مع آدم من الجنة وهما باقوتان من يواقيتها ولولا مسحة الكفا لما لأضاء ما بين المشرق والمغرب .

(قوله عند بناء البيت) أى و بناؤه كان متأخرا عن بناء مكة فجزم بنوا مكة أولا وإبراهيم بنى البيت ثانيا وذلك أن إبراهيم لما جاء بأمر إسماعيل وابنها وهى ترضعه وضعهما عند مكان البيت وليس هناك يومئذ بناء ولا أحد فغطت واشتد عليها الأصر فجاءها جبريل فبحث بعقبه أو بجناحه فى موضع زمزم حتى ظهر الماء فصارت تشرب منه فاستمرت كذلك هى وولدها حتى مرت بهم طائفة من جرم فقالوا لها أأأذنين أن نزل عندك؟ قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم فنزلوا عندها وبنوا مكة فلما شب إسماعيل وأعجبهم زوجوه امرأة منهم (قوله بأن تصلوا خلفه) هذا تخصيص لكون الصلاة عنده ومعنى كون الصلاة خلفه باعتبار مقصوده وإلا فهو مريب لا خلف له ولا أمام وهذا بحسب ما سبق من الزمان فإنه كان على الحجر مقصورة بابها لجهة البيت وأما الآن فقد حوّل الباب فالمصلى لأن يصلى لجهة الباب فهو قبائله لاخلفه (قوله وفى قراءة) هما سبعيتان (قوله خبر) أى جملة خبرية معطوفة على جعلنا مساط عليها إذ أى اذكر إذ جعلنا واذا كذا إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى (قوله وإسماعيل) فيه لفتان باللام والنون ويجمع على سماعل وسماعلة وأسمع قيل مى بذلك لأن إبراهيم لما دعا الله أن يرزقه ولدا صار يقول اسمع ابل أى استجب يا الله (قوله أن) يحتمل أنها تفسيرية وهو الأقرب لوجود ضابطها وهو أن تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وصحة حلول أى محلها ويحتمل أنها مصدرية وكلام المفسر يحتملها (٥٥) (قوله من الأوثان) إن قلت إنه لم يكن

حين بناء البيت أوثان قلت أجيب بأن المراد طهره فيما يستقبل من الزمان لعلم الله أن المشركين ستخذ أوثانا وليس المراد أن الأوثان كانت موجودة حينئذ وأمر بطهارته منها (قوله ولطافين) جمع طائف وهو لئى يطوف حوله الأشواط (قوله والعاكفين) جمع عاكف وهو عرقا للملازم للسجدة للعبادة على وجه مخصوص ولكن المراد به هنا المقيم

عند بناء البيت (مُصَلَّى) مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف وفى قراءة بفتح الخاء خبر (وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ) أمرناهما (أَنْ) أى بأن (طَهَّرْنَا بَيْنَهُمَا) من الأوثان (لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ) المقيمين فيه (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) جمع راكم وساجد المصلين (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا) المكان (بَلَدًا آمِنًا) ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه (وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه وكان أقفر لازرع فيه ولا ماء (مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) بدل من أهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله لا ينال عهدى الظالمين (قَالَ) تعالى (وَ) أرزق (مَنْ كَفَرَ فَاُتِمَّتْهُ) بالتشديد والتخفيف فى الدنيا بالرزق (قَلِيلًا) مدة حياته (ثُمَّ اضْطَرَّه) أُلْجِئَهُ فى الآخرة (إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ) فلا يجد عنها محيصا (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى (وَ) اذكر (إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ) ،

فيه يفسره قوله فى الآية الأخرى والقائمين فالعاكفون والقائمون والمقيمون بمعنى واحد (قوله المصلين) أخذ ذلك من عدم عطف السجود على الركع فالمراد جمعهما فى عبادة لأن الركع قسم والسجود قسم آخر (قوله وإذ قال إبراهيم) معطوف على وإذ ابتلى (قوله بلدا) نكره هنا وعرفه بأل فى سورة إبراهيم لأنه قيل إن ماهنا كان قبل بنائها وماهناك بعده (قوله آمنا) إن قات إن الله قد امتن به من غير سؤال إبراهيم . أجيب بأن المراد بالذى امتن الله به الأمن من إغارات الأعداء وبالذى طلبه إبراهيم الأمن من القحط والجوع (قوله خلاه) بالقصر أى حبسه (قوله من الثمرات) أى بعضها (قوله إليه) أى إلى قرب به بنحو مرحلتين وقد نقل الموضع الذى كان بالحجاز موضع ما نقل من الشام بمكان يسمى الحرّة أقفر مشهور بالشام كذا قيل (قوله وأرزق من كفر) هذا يسمى عطا تافينيا (قوله وبئس المصير) جملة استثنائية لإنشاء التلميح وليست معطوفة على ثم اضطره (قوله هى) هذا هو المخصوص بالذم . واحصل أن إبراهيم لما قال الله له إني جاعلك للناس إماما طلب أن يكون من ذريته من هو كذلك فأجابه الله بأنه لا ينال عهد الظالمين فلما بنى البيت ودعا لأهله بالرزق من الثمرات خصص دعوته بالؤمن منهم قياسا منه الرزق على الإمامة وخوفا من رد دعوته إذا عمم فلقنه الله قوله ومن كفر أى قائلون والكافر سواء فى الرزق النبوى وأما فى الإمامة فلبسوا سواء (قوله واذا كذا) أى يا محمد وقت رفع إبراهيم القواعد (قوله القواعد) جمع قاعدة

وهي حجارة كبلو كل حجر قدر البعير وللراد برفع القواعد بناء البيت ورفعها عليها (قوله الأسس) جمع أساس وهي القواعد وقوله والجدر جمع جدار وهي الأسس فالعنايف مرادف . وقصة بناء البيت أن الله لما خلق الماء قبل الأرض بألف عام كان ذلك البيت زبدة يضاء على وجه الماء فحدث الأرض وبسطت وامتدت من تلك الزبدة فلما أهبط آدم إلى الأرض استوحش إلى ذكر الله فأنزله الله البيت المعمور وهو من ياقوته حمراء له بابان من زمردة خضراء باب بالشرق وباب بالمغرب ووضع موضع الزبدة فكان يأتيه ماشيا من الهند ورد أنه حجه ماشيا أو بعين عاملا فلما فرغ قالت الملائكة لقد برح حجبك يا آدم فلما جاء الطوفان أمر الله برفعه إلى السماء السابعة فكان وضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم وبث الله جبريل حين رفعه غلبا الحجر الأسود في جبل أبي قيس صيانة له من الفرق هكذا قيل والمشهور أن أول من بناه للملائكة ثم آدم ثم شيث واستمر حتى جاء طوفان نوح فأذهب رسومه الظاهرية لاقواعده لأنها ثابتة متصلة بالأرض السابعة ثم أتى جبريل بالحجر الأسود وألقمه . بل أبي قيس لما أتى إبراهيم وأراد بناءه جاءه جبريل وحدده له وأعلمه بالحجر الأسود فبناه على طبق ما رأى من القواعد ثم بناء بعده العمالة ثم جرم ثم قصى ثم قريش وكان الواضع للحجر الأسود في محله النبي صلى الله عليه وسلم وقصرت بهم النفقة فلم يتمموا بناءه على قواعد إبراهيم بل نقضوه وأخرجوا الحجر منه ثم ابن الزبير وقد رده لقواعد إبراهيم مستدلا بحديث عن عائشة «لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنت البيت على قواعد إبراهيم» ثم لما تولى (٥٦) الحجاج عامله الله بهدمه حارب ابن الزبير وقتله وهدم البيت بالمنجنيق وبناه

كما بنته قريش وهو الآن على بناءه ونظمهم بعضهم فقال :
بنى بيت رب العرش عشر
غفم
ملائكة الله الكرام وآدم
فنبث فابراهيم ثم عمالق
قصى قريش قبل هذين
جرم
وعبد الاله ابن الزبير بنى
كذا
بناء الحجاج وهذا متمم

الأسس أو الجدر (مِنْ الْبَيْتِ) بينيه متعلق يرفع (وَأَسْمِعِيلُ) عطف على إبراهيم يقولان (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) بنائنا (إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ) منقادين (لَكَ وَ) اجعل (مِنْ ذُرِّيَّتِنَا) أولادنا (أُمَّةً) جماعة (مُسْلِمَةً لَكَ) ومن للتبعية وأتى به لتقدم قوله لابنال عهدي الظالمين (وَأَرَنَا) علمنا (مَنَاسِكَنَا) شرائع عبادتنا أو حجنا (وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) سألناه التوبة مع عصمتها تواضعا وتعلما لذريتهما (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ) أى أهل البيت (رَسُولًا مِنْهُمْ) من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد صلى الله عليه وسلم (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِكَ) القرآن (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) أى ما فيه من الأحكام (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الشرك (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) الغالب (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَمَنْ) ،

(قوله يقولان) قدره انفسر ليصح جعل الجملة حالا من إبراهيم وإسماعيل لان الجملة الاشائية لاتتبع أى حالا إلا بتقدير وعبر بالمضارع فيرفع استحضارا للحال الماضية لعظم شأنه كأنه حصل الآن وهو يحدث عنه (قوله لاقول) أى دعائنا (قوله بالفعل) أى بنائنا (قوله منقادين) أى كاملين فى الانقياد لأن الكامل يقبل الكمال وليس المراد طلب أصل الاسلام لأن الأنبياء معصونون من كل معصية سوا الكفر (قوله جماعة) أى وهو الأصل الكثير وتطلق على المقدس به كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة - وتطلق على الأمة ، قال تعالى - إنا وجدنا آباءنا على أمة - (قوله وأرنا) رأى عرفانية تنصب مفعولا واحدا ودخلت عليها لعمزة فتعدت لاثنتين فنا مفعول أول ومناسكنا مفعول ثان (قوله التواب) أى كثير القبول لتوبة من تاب ويوصف العبد بذلك الوصف بمعنى كثير التوبة والرجوع عن القبائح والذائل (قوله الرحيم) أى عظيم الرحمة وهي الانعام أو إرادته (قوله تواضعا) أى أو طلبا للارتقاء من مقام أعلى مما هو فيه (قوله أهل البيت) أى بيت إبراهيم وهم ذريته ولم يأت نبي من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا نبينا صلى الله عليه وسلم وأما غالب الأنبياء فمن ذرية إسحق (قوله والحكمة) هى العلم النافع (قوله الغالب) أى الذى أمره نافذ (قوله الحكيم) هو الذى يضع الشئ فى محله (قوله ومن يرغب عن ملة إبراهيم) سبب نزولها أن عبد الله بن سلام أسلم وكان له ابنا أخ أحدهما اسمه مهاجر والثانى اسمه سلمة فدعاها إلى الاسلام وقال لهما قد علمنا أن الله قال فى التوراة إني باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر فنزلت الآية والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(قوله أى لا يرغب) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي والاستثناء الفرع لا يكون إلا بعد النفي ومالى معناه والرغبة عن السىء الزهد فيه (قوله عن ملة إبراهيم) أى دينه وشريعته فاملة والدين والتشريعة بمعنى واحد وهو الأحكام التى جعلها الله للتعبد بها فمن حيث إملأها يقال لها ملة ومن حيث شرعها يقال لها شريعة ومن حيث الدين بها يقال لها دين (قوله لإمن سفة نفسه) يحتمل أن من اسم موصول والجملة بعدها صلة أو نكرة والجملة بعدها صفة وعلى كل فهو بدل من فاعل يرغب التقدير ولا يرغب عن ملة إبراهيم أحد إلا الذى أو شخص سفة نفسه (قوله جهل أنها مخلوقة) هذا بناء على أنه لا يتعدى بنفسه إلا بتضمينه معنى جهل ومعنى جهله نفسه لم يتأمل ولم ينظر فيها فيستدل على أن لها صانعا أتقن صنعها فيؤمن به (قوله أو استخف بها) هذا بناء على أنه يتعدى بنفسه كالشدد ومعنى استخفافه بها تركه العبادة لله التى بها العز الأبدى (قوله ولقد اصطفتناه) هذا حجة لقوله ومن يرغب وأكدت هذه الجملة باللام فقط وما بعدها بأن واللام لأن هذه الجملة متعلقة بأمر الدنيا وهو فيها ظاهر الحال بخلاف الجملة الثانية فإنها متعلقة بالآخرة وهو أمر مغيب لا يؤمن به إلا من نور الله بصيرته فاحتاجت لزيادة التأكيد (قوله وفى قراءة وأوصى) أى فهما قراءتان سبعتان فالهمز والتضعيف أخوان (قوله إبراهيم بنيه) أى (٥٧) وهم إسماعيل وهومن هاجر وإسحق وهو من سارة وكان له ستة أولاد من امرأة تسمى قنطورا الكنعانية تزوجها بعد وفاة سارة لجملة أولاده ثمانية وقيل أربعة عشر (قوله ويعقوب بنيه) أشار بذلك إلى أن يعقوب بالرفع معطوف على إبراهيم والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله بنيه وهم اثنا عشر روي بيل (١) بنهم لواء وشعمون ولاوى ويهودا ويشبوعون وزبولون ودون وبقيون وكودا وأوشيز وبنيامين ويوسف كذا فى البيضاوى (قوله قال يابنى) هذا هو صورة الوصية

أى لا (يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ) فيتركها (إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتنها (وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ) اخترناه (فِي الدُّنْيَا) بالرسالة والخلة (وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلى . واذكر (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ) اتق الله وأخلص له دينك (قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى) وفى قراءة وأوصى (بِهَا) بالملة (إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ) بنيه قال (يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ) دين الاسلام (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) نهى عن ترك الاسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصافاة الموت . ولما قال اليهود للنبي : ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية نزل (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) حضورا (إِذْ خَضَعَ يَعْقُوبُ الْمَوْتَ إِذْ) بدل من إذ قبله (قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي) بعد موتى (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) عبد إسماعيل من الآباء تغليب ولأن العم بمنزلة الأب (إِلَهُمَا وَاحِدًا) بدل من إلهك (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) وأم بمعنى همزة الانكار أى لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به (تِلْكَ) مبتدأ والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأنت لتأنيث خبره (أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) سلفت

(قوله فلا يموتون) أصله يموتون أكد بالنون فصار يموتون حذف نون الرفع لتوالى الأمثال فالتقى سا كنان الواو والنون حذف الواو لالتقاءهما (قوله نهى عن ترك الاسلام الخ) دفع بذلك ما يقال إن الموت على الاسلام ليس فى طاقة العبد لما معنى التكليف به . فأجاب بأن الراد التكليف بالاسلام والنهى عن تركه كقولك لشخص لا تصل إلا وأنت خاشع فهو نهى عن ترك الخشوع فيها (قوله بدل من إذ قبله) أى بدل اشتغال (قوله مات يعقوب من بعدى) أتى بما دون من امتحاننا لهم لأنه فى زمنه كثرت عبادة غير الله وإنما امتحنهم لتظهر سرأثرهم (قوله إبراهيم الخ) بدل من آبائك وكرر إله لأنه الفصحى مطلقا كما هنا أوحرفا ككررت بك وبزيد . قال ابن مالك :

وعود خافض لى عطف على ضمير خفص لازما قد جعل

(قوله وإسماعيل) قدمه على إسحق وإن كان أبى يعقوب لمزيتين كونه أسن منه وكونه أبى النبي عليه الصلاة والسلام (قوله ولأن العم بمنزلة الأب) أى لما فى الحديث «ملك صنو أبك» (قوله إلهما واحدا) كرره لدفع توهم التعدد من تعدد المضاف (قوله بمعنى همزة الانكار) أى فتارة تفسر بها وحدها كما هنا وتارة تفسر بها وبيل وتارة تفسر بيل وحدها (قوله أمة قد خلت) هذا ردة على اليهود من حيث انقارهم بأبائهم .

(قوله من العمل) أى فلا ينفذ أحدا كسب غيره بل كل امرئ بما كسب رهين خبرا كان أو شرا (قوله استئناف) أى ظهرا خبر متقدم وما مبتدأ مؤخر وكسبت صلتها والعائد محذوف أى كسبته (قوله والجملة تأكيد لما قبلها) أى لأنه إذا كان لها ما كسبت فلا يستأثرون عن عمالكم وإذا كان لكم ما كسبتم فلا تستأثرون عما كانوا يعملون وقوله كما لا يستأثرون عن عمالكم إشارة إلى أن في الكلام اكتفاء (قوله وقالوا كونوا هودا أو نصارى) هذا في المعنى معطوف على قوله في مانسوخ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى (قوله تهتدوا) أى تصلوا للخير وتبلغوا السعادة (قوله أو للتفصيل) أى لا للجمع فإن مقالة يهود المدينة كونوا هودا تهتدوا لأنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا ، ومقالة نصارى نجران كونوا نصارى تهتدوا لأنه لا يدخل الجنة إلا من كان نصارى (قوله تتبع) قدره إشارة إلى أن ملة معمول لمحدوف والجملة قول القول في عمل نصب (قوله حال من إبراهيم) أى والشرط وهو كون المضاف كالجزء من المضاف إليه (قوله وما كان من الشركين) تعريض لهم بأنهم هم المشركون (قوله خطاب للمؤمنين) أى ويصح أن يكون خطابا لليهود والنصارى أى إذا أردتم النجاة فلا تشركو وقولوا آمنا (قوله وما أنزل إلينا) معطوف على لفظ الجلالة (٥٨) وقوله من القرآن بيان لما (قوله من الصحف العشر) قال تعالى - إن هذا

لى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى -- (قوله وإسماعيل الخ) إن قلت إن إسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط لم ينزل عليهم كتاب أجيب بأنه أوحى إليهم بصحف إبراهيم فلم يكن مغايرا لما نزل على إبراهيم (قوله أولاده) أى أولاد يعقوب وهم أسباط بالنسبة لإسحاق وإبراهيم وأولادهم أسباط للجميع ويؤخذ من الآية أن الأسباط أنبياء وهو المعتمد كما ذكره ابن حجر في شرحه على الحمزية إن

(لَمَّا مَا كَسَبْتُمْ) من العمل أى جزاؤه استئناف (وَلَكُمْ) الخطاب لليهود (مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كما لا يسألون عن عملكم ، والجملة تأكيد لما قبلها (وَقَالُوا) كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا) أو للتفصيل ، وقائل الأول يهود المدينة والثانى نصارى نجران (قُلْ) لهم (بَلْ) تتبع (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) حال من إبراهيم مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) قُولُوا) خطاب للمؤمنين (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) من القرآن (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) من الصحف العشر (وَأَنصَارِئِلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ) أولاده (وَمَا أَوْتِيَ مُوسَى) من التوراة (وَعِيسَى) من الانجيل (وَمَا أَوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ) من الكتب والآيات (لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) فتؤمن بيمض وتكفر ببعض كاليهود والنصارى (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) فَإِنْ آمَنُوا) أى اليهود والنصارى (بِمِثْلِ) مثل زائدة (مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الإيمان به (فَأَنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) خلاف معكم (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) يا محمد شقاقهم (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بأحوالهم .

قلت حيث كانوا أنبياء فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها فكيف ذلك مع ما يأتى في سورة يوسف من رمية في الحب وإتيانهم على قبيصة بدم كذب وغير ذلك من الأمور المخافية للنبوة . أجيب بأنهم غير مشرعين بل هم أنبياء فقط فلا يلزمهم إجراء فعلهم على مقتضى الظاهر بل على سرّ القدر فالمدار على خلوصهم في الباطن على حد ما قيل في أفعال الخضر مع موسى وقد شهد الله له بأنه مافعله عن أمره فيكون ماجرى من الأسباط في حق يوسف كما جرى من الخضر أو أولى وسيأتى بسط ذلك في سورة يوسف إن شاء الله تعالى (قوله وما أوتى موسى) عبر أولا : أنزل وثانيا : أوتى تفننا ودفعنا للثقل (قوله وعيسى) لم يكرر ما أوتى لأن مؤدى الانجيل والتوراة واحد وإنما التباين في شئ يسير وعبر تحليل بعض ما حرم (قوله وما أوتى النبيون) هذا من عطف العام على الخاص إشارة إلى أنه يجب علينا الإيمان بجميع أنبياء الله وما أنزل عليهم (قوله كاليهود) أى فأنهم آمنوا بموسى وكفروا بمن عداه وقوله والنصارى أى فأنهم آمنوا بعيسى وكفروا بمن عداه (قوله مثل زائدة) أى لأن المعنى على أصالتها فاسد لأنه بوجه أنهم مأمورون بالإيمان بمثل الله ومثل ما أنزل على محمد الخ وهذا باخر (قوله خلاف) أى مخالفة للدين الحق ويطلق على الضلال وعلى العداوة ويصح إرادة كل منها لأن من تولى عن الإيمان فهو في ضلال ومطاعة لله (قوله شقاقهم) أى ضرر ضلالهم ومخالفتهم ومعاداتهم

(قوله بقتل قريظة) أى فقد قتل منهم في يوم واحد سبعمائة من ضاربهم ورموا في الخندق (قوله وضرب الجزية عليهم) أى اليهود والنصارى (قوله صبغة الله) الصبغ بالكسر أثر الصبغ بالفتح الذى هو اللصدر . وسبب نزول الآية أن النصارى كانوا يفسون أولادهم في ماء أصفر يسمى ماء للعمودية ويقولون حينئذ قد صار نصرانيا حقا ، فزلت رداً عليهم كأن الله يقول لهم صبغى عبيدى لأحسن منها صبغة (قوله أى صبغنا) من باب تقع وضرب ونصر (قوله كالصبغ في الثوب) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تصريحية أصلية حيث شبه آثار الإيمان القائم بالشخص بالصبغ القائم بالثوب بجامع المكث والظهور في كل واستعير اسم الشبه به للشبه وفي هذه الآية بشرى للمؤمنين عظيمة وهى أن الإيمان في القلب كالصبغ المتقن في الثوب فكما لا يزول الصبغ من الثوب كذلك الإيمان لا يزول من القلب لأن صبغة الله لا أحسن منها ولذا قيل إن موت المؤمن على غير الإيمان نادر كالكبريت الأحمر والبراد من الصبغة الأتوار الكائنة في القلب والأعضاء لأن الإيمان لا يكمل إلا إذا صبغ به كصبغة الثوب قال تعالى - سيامهم في وجوههم من أثر السجود - وقال تعالى - نورهم يسرى بين أيديهم وبأيامهم - وفي الحديث «لو كشف عن نور المؤمن العاصى لأضاء ما بين الشرق والغرب وإنما انحجب عنه لئيم وعد (٥٩) الله ووعيده» (قوله قال اليهود)

شروع في ذكر سبب نزول الآية (قوله الأول) أى السابق على الانجيل والقرآن (قوله من العرب) أى بل كانت من بني إسرائيل (قوله قل) أى يا محمد والخطاب لكل عاقل يريد إقامة الحجة عليهم (قوله فله أن يصطفى من عباده من يشاء) أى فلا حرج عليه في أفعاله (قوله ولنا أعمالنا) أى فان كانت النبوة من جهة اصطفاء الله واختياره فربكم هو ربنا فيختص برحمته من يشاء وإن كانت من جهة العمل فكما لكم أعمال تجازون عليها

وقد كفاه إياهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (صِبْغَةَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لآمناء ونصبه بفعل مقدر أى صبغنا الله والمراد بها دينه الذى فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب (وَمَنْ) أى لا أحد (أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً) تمييز (وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) قال اليهود للمسلمين نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبياً لكان منا فقل (قُلْ) لهم (أَتَحَاجُّونَنَا) تحاسنونا (في الله) أن اصطفى نبياً من العرب (وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) فله أن يصطفى من عباده من يشاء (وَلَنَا أَعْمَالُنَا) تجازى بها (وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) تجازون بها فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام (وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء . والهمزة للانكار ، والجل الثلاث أحوال (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ) بالياء والتاء (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ) لهم (أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ) أى الله أعلم وقد برأ منهما إبراهيم بقوله «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً» والمذكورون معه تبع له (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ) أخفى الناس (شَهَادَةَ عِنْدَهُ) كائنة (مِّنَ اللَّهِ) أى لا أحد أظلم وهم اليهود كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

لنا عمل تجازى عليها فنحن مشتركون معكم في العبودية والأعمال (قوله ونحن له مخلصون) أى لم نشرك به أحدا بخلافكم أتم فقد زدنا عليكم صفا وهو الاخلاص فكان الأولى بذلك نحن لأنتم (قوله أحوال) أى إما من الواو أو نا لسن الأظهر في الأخيرة أنها حال من نا وعادل الحال على كل هو الفعل الذى هو أحتاجوننا (قوله بالياء والتاء) أى فهم اقراءتان سبعيتان (قوله أو نصارى) أو للتقسيم والتوزيع فاليهود نسبوا لهم اليهودية والنصارى نسبوا لهم النصرانية (قوله أأنتم أعلم) الهمزة للاستفهام وما بعدها مبتدأ وخبر والمستفهم عنه يجوز توسطه بين الهمزة وأم كاهنا وهو الأحسن ويجوز في غير القرآن أن تقول أعلم أأنتم أم الله أو أأنتم أم الله أعلم (قوله أم الله) أم معادلة للهمزة التى هى لطلب التعيين واسم التفضيل ليس على بابه بل للتكلم والاستهزاء (قوله أى الله أعلم) أشار بذلك إلى أنه جواب الاستفهام وأن خبر المبتدأ محذوف دل عليه المذكور (قوله تبع له) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن الله قد برأ إبراهيم ولم يذكر معه أولاده ومن جملة ما رد عليهم به قوله تعالى - يا أهل الكتاب لم تحتاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون - (قوله كائنة من الله) أشار بذلك إلى أن قوله عنده صفة أولى لشهادة وقوله من الله متعلق بمحذوف صفة ثانية لها (قوله لإبراهيم بالحنيفية) أى ولحمد بالرسالة حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فنبهوها وبادلوا (قوله وما الله بظالم مما تعملون)

الغفلة هي رك الشي مع التحكم من العلم به وذلك مستحيل على الله تعالى فالمراد بها الامهال ليوم القيامة وما يضر تلك الآية قوله تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمين إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - وقوله - وما الله بغافل عما تعملون - أبلغ في التهديد من قوله - والله علم بما تعملون - مثلاً لأن عدم الغفلة يستلزم العلم بحلاف العلم لا يستلزم عدم الغفلة (قوله تلك أمة) أى أنبياء بنى إسرائيل (قوله قد خلت) أى سبقت (قوله لها ما كسبت) أى من خير أو شر (قوله ولا تسئلون عما كانوا يعملون) أى ولا يسئلون عن عماكم (قوله تقدم مثله) أى وإنما كرره الله لمزيد بلادتهم فإن السامع إذا كان بليداً فالأبلغ تكرار الكلام له لإقامة الحجة عليه (قوله سيقول السفهاء) سياتى لفسر أن الآية من الاخبار بالغييب . وحاصل ذلك أن النبي كان يستقبل الكعبة في صلاته وهو بمكة فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس فأرسل الله هذه الآية ليعلمه بأنه سيحوّله للكعبة فيعرض عليه وليكون معجزة له من حيث إخباره بالغييبات ثم نزلت آية تحويل القبلة لقتضاه أن هذه الآية متقدمة في النزول والتلاوة ودرج على ذلك جماعة من المفسرين والذي ورد عن ابن عباس وغيره أنها متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول عن آية التحويل وحكمة الاتيان بالسبين إفاضة الاستمرار على هذه المقالة منهم وعن يأتي بعدم. والسفهاء جمع سفیه وهو من يتجنب للناس ويتعلق بالمضار دنيوية أو دينية ولا شك أن الكافر تعلق بالمضار الدينية فكل كافر سفیه (قوله من الناس) بيان للسفهاء احترازاً عن البهايم فإنها تسمى سفهاء أيضاً (قوله اليهود) أى فاتهم اعترضوا على النبي وأصحابه في تحوّلهم عن جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة وقوله والمشرکین أى (٦٠) فاتهم اعترضوا عليهم في تحوّلهم أولاً ورجوعهم ثانياً (قوله ما ولاهم) ما استفهامية

والجمله بعدها خبر عنها (قوله إلى أى جهة شاء) أى فالأمر باستقبال جهة مخصوصة تعبدى لاعتقل له معنى (قوله هدايته) مفعول يشاء (قوله ومنهم أتم) أى من المهتدين أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) اسم الإشارة عائد على الهداية (قوله أى هاديكم إليه) جعلناكم إليه (قوله ويكون الرسول عليكم شهيداً) أنه بلفكم

والجمله بعدها خبر عنها (قوله إلى أى جهة شاء) أى فالأمر باستقبال جهة مخصوصة تعبدى لاعتقل له معنى (قوله هدايته) مفعول يشاء (قوله ومنهم أتم) أى من المهتدين أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) اسم الإشارة عائد على الهداية (قوله أى هاديكم إليه) جعلناكم إليه (قوله ويكون الرسول عليكم شهيداً) أنه بلفكم

(وما

جعلناكم) أى فمن الله عليهم بنتين الأولى الهداية الثانية جعلهم خياراً عدولاً وجعل بمعنى صبراً والكاف

مفعول أول وأمة مفعول ثان (قوله وسطاً) هو في الأصل المكان الذى استوت إليه الجهات ثم أطلق وأريد منه الحاصل الحميدة فالعنى أصحاب خصال حميدة ولا شك أن من كان كذلك فهم خياراً عدولاً (قوله خياراً عدولاً) أى أصحاب علم وعمل ولا يخلو زمان منهم لما في الحديث «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» ومادام القرآن موجوداً فهم موجودون لقوله تعالى - الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ثانياً تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم - فلولا أن أنا موجودون بهذه المثابة ما بقى القرآن ونزول البلاء ليس دليلاً على عدم وجود الخيار فإن الأنبياء كانوا موجودين مع حصول الخسف والسخ بأهمهم فليسوا أعظم من الأنبياء ولما في الحديث «أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث» (قوله لتكونوا) للام للتعليل وقيل للصيرورة وعلى كل فالعمل منصوب بأن مضرة بعدها جوازا وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل (قوله أن سلمهم بلفهم) هذا بيان لشهود به (قوله أنه بلفكم) هذا بيان لشهادة الرسول . وحاصل ذلك أنه يوم القيامة توقف كفار الأمم السابقة في صعيد واحد ويقول الله لهم لم لم تؤمنوا بي ألم يأتكم نذير فيقولون ياربنا ما جاءنا نذير فيؤتى بأنبيائهم فيقول الله لهم ألم تبصروا أمكم الرسالة فيقولون ياربنا قد بلفنا ما أرسلتنا به فلم يؤمنوا فيقول الله لهم وهو أعلم بهم لإقامة الحجة عليهم ومن يشهد لكم فيقولون أمة محمد فيؤتى بهم فيقول الله لهم أتشهدون أن الرسل بلفت الرسالة لأنهم فكفروا بهم فيقولون نعم تشهد بذلك فتقول الأم كيف يشهدون علينا مع كونهم متأخرين هنا ، فيقولون ياربنا أخبرنا رسولنا بذلك في كتابنا هناك وهو صادق

في خبره فيقول الله لهم ومن يزكم فيقولون نبينا فيوتى به فيقول أشهد أن أمى عدول ، وقوله على الناس إن كان المراد بهم أم الأنبياء السابقة فعلى على بابها وإن كان المراد بهم الأنبياء فعلى بمعنى اللام فهى مستعملة في حقيقتها ومجازها وقوله - عليكم شهيد - أى على كفارك وميت شهادة وإن كانت في الواقع دعوى لعدم ردها ، ويحتمل أن على بمعنى اللام والضمير عائذ على العدول الشاهدين على الأمم السابقة من حيث تزكيتهم لهم (قوله وما جعلنا) اختلف في إعراب هذه الآية فدرج المفسر على أن قوله القبله مفعول ثان لجعلنا مقدم ، وقوله التى صفة لموصوف محذوف مفعول أول ودرج غيره على العكس وهو أن القبله مفعول أول والثى صفة لموصوف محذوف مفعول ثان والأقرب الأول . وحاصل ذلك أن رسول الله وهو بمكة كان يصلى للكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس تأليفا لليهود فعلى لها سبعة عشر أوستة عشر شهرا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتم منهم الكبر فكانوا يقولون إن محمدا يشارك ديننا ويصلى لقبلتنا ، وكان رسول الله يحب أن يصلى للكعبة حتى نزل عليه جبريل يوما ، فقال له يا جبريل أود أن الله يحولنى لقبله أبى إبراهيم فسل ربك ذلك ، فقال له أنت أكرم عليه منى ، ثم صعد إلى السماء فصار رسول الله ينظر لجهتها منتظرا للأذن في ذلك فنزل عليه جبريل بعد ركعتين من صلاة الظهر في رجب بالأمر بالتحويل للكعبة فتحوّل وتحول الناس معه وكان يوما مشهودا (٦١) فافتن اليهود وأهل النفاق

(قوله علم ظهور) جواب عما يقال إن علم الله قديم فلا يتجدد والمعنى ليظهر لكم متعلق علمنا بتميز المؤمن من الكافر (قوله فيصدقه) أى يدوم على صدقه (قوله أى يرجع إلى الكفر) أشار بذلك إلى أن قوله بمن ينقلب على عقبيه ليس على حقيقته لأن الانقلاب على العقب معناه الرجوع لخلف وليس مراد ابل هو كناية عن الرجوع للكفر نظير

(وَمَا جَعَلْنَا) صيرنا (الْقِبْلَةَ) لك الآن الجهة (الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا) أولا وهى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلى إليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تأليفا لليهود فعلى إليه ستة أو سبعة عشر شهرا ثم حوّل (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ) فيصدقه (يَمُنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ) أى يرجع إلى الكفر شكاً في الدين وظنا أن النبي صلى الله عليه وسلم في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة (وَأِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وإنها (كَانَتْ) أى التولية إليها (لِكَبِيرَةٍ) شاقة على الناس (إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) منهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ) أى صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحويل (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ) المؤمنين (لَرَوْفٌ رَحِيمٌ) في عدم إضاعة أعمالهم. والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة (قَدْ) للتحقيق (نَرَى تَقَلُّبَ) تصرف (وَجْهِكَ فِي) جهة (السَّمَاءِ) منتظما إلى الوحي ومتشوقا للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنها قبله إبراهيم ولأنها أدعى إلى إسلام العرب (فَلَنَوَلِّيَنَّكَ) نحولنك

ثم ارتدوا على أديارهم من بعد ما تبين لهم الهدى (قوله وقد ارتد لذلك) أى التحويل ، والمعنى ظهر كفرهم والإمق صبح القلب بالايان فلا يزول لأن الكريم إذا منتم (قوله إلا على الذين هدى الله) أى فكان عيدالمهم حتى صار فضل من صلى مع النبي للقبلتين أعظم من أتى بعد ذلك ، قال صاحب الجوهرة : * والسابقون فضلهم نصا عرف * (قوله أى صلاتكم) عبر بالايان عن الصلاة لأنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين (قوله لأن سبب نزولها الخ) وسبب ذلك شبهة ألقاها حى ابن أخطب للمسلمين ، وهى أن استقبالكم لبيت المقدس لا يخلو إما أن يكون هدى فقد اتقنتم الآن إلى ضلال ، وإما أن يكون ضلالا فلم أقر كم عليه ، وأيضاً من مات قبل التحويل مات على الضلال وضاعت أعماله فنش ذلك على أقارب من مات قبل التحويل فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وتحويل القبله أول نسخ ورد في الشرع (قوله إن الله بالناس) هذا كالدليل لما قبله : أى لم يضيع صلاتكم لكونه رعوفا رحيا (قوله للفاصلة) أى التى هى قوله إلى صراط مستقيم فهى على الميم فيهما (قوله قد نرى) تقدم سبب نزول هذه الآية (قوله للتحقيق) وقيل للتكثير وهو بالنظر لفعل النبي لالرؤية الله وهو خطاب تودد (قوله متطلعا) أى متطلبا ومتشوقا وهو إشارة لحال محذوفة (قوله لأنها قبله إبراهيم) أى وقبلته من قبل (قوله ولأنها أدعى إلى إسلام العرب) أى فانهم قالوا حين استقبل بيت المقدس حيث عدل عن قبله أبيه إبراهيم لاتباعه أبدا (قوله نحولنك) مقتضى هذا التفسير أن قبله منصوب بزع الخافض ولو أبقي نولى على حالها لفسرها بمنعطى لأنها تنصب مفعولين

فالكاف مفعول أول وقبله مفعول ثان (قوله نصبا) أى بحسب الطبع وإلا فهو يجب أو امر الله مطلقا لكن إذا كانت موافقة للطبع كانت أحب وهذا وعد من الله له بما يحب وفي قوله قول إنجاز له (قوله شرط) يطلق على الجهة وهو اللراد هنا ويطلق على النصف ويطلق على البعد يقال شرط فلان بمعنى بعد (قوله أى الكعبة) أشار بذلك إلى أن اللراد بالسجد الحراء خصوص الكعبة ، ولما نزلت هذه الآية تحول لجهة الميزاب وهكذا قبلتنا بمصر فلما لجهة (قوله وحيثا) شرطية لاقترانها بما كنتم فعل الشرط ، وقوله فولوا الخ جوابه وقرن بالقاء لأنه فعل طلي ، وفي هذه الآية إشارة أخرى لحكمة النسخ وهي تطلعه لجهة السماء وعجبه للكعبة وتقدمت الحكمة الأولى كونها فتنة للناس ليميز المؤمن من غيره (قوله خطاب للأمة) ودفع بذلك ما يتوهم أنه من خصائصه عليه الصلاة والسلام (قوله فولوا وجوهكم) أى فى أى مكان وفى أى زمان (قوله وإن الذين أوتوا الكتاب) قيل للزاد بهم اليهود لأنهم هم المعارضون له فى ذلك الوقت والكتاب هو التوراة ، وقيل اليهود والنصارى والكتاب هو التوراة والإنجيل (قوله أى التولى إلى الكعبة) ويصح أنه عائد على التبي أو النسخ لأن كلامه كور فى الآية والمآل واحد (قوله أيها المؤمنون) أى فيه (٦٢) تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام ووعد مسن وبشرى (قوله وبالياء : أى

اليهود) أى ففيه وعيد وزجر وتهديد وهما اقراء ثان سبعينان (قوله ولئن أثبت) هذا أيضا تسلية للنبي وتيؤس من إيمانهم لأنهم ضلوا على علم فلا تمنع فيهم موعظة : وإذ اذلت العقول على عدم ما إذا نقول النصحاء (قوله لام قسم) أى وإن حرف شرط وقوله أثبت فعل الشرط وقوله ماتبعوا جواب القسم ، وأما جواب الشرط فهو محذوف للقاعدة النحوية أنه إذا اجتمع شرط وقسم فانه

(قِبْلَةً تَرْضَاهَا) نصبا (قَوْلَ وَجْهَكَ) استقبل فى الصلاة (شَطْرَ) نحو (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى الكعبة (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ) خطاب للأمة (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ) فى الصلاة (شَطْرَهُ) وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ) أى التولى إلى الكعبة (الْحَقُّ) الثابت (مِنْ رَبِّهِمْ) لما فى كتبهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم من أنه يتحول إليها (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالقاء أيها المؤمنون من امتثال أمره ، وبالياء أى اليهود من إنكار أمر القبلية (وَلَكِنْ) لام قسم (أَثْبَتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ) على صدقك فى أمر القبلية (مَا تَبِعُوا) أى يتبعون (قِبْلَتَكَ) عنادا (وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) قطع لطمعه فى إسلامهم وطمعهم فى عوده إليها (وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) أى اليهود قبلية النصارى وبالعكس (وَلَكِنْ أَتَّبَعَتْ أَفْوَاجُهُمْ) التى بدعونك إليها (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الوحى (إِنَّكَ إِذَا) إن اتبعهم فرضا (لَمَنِ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ) أى محمدا (كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ) بنعته فى كتبهم قال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد (وَأِنْ قَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) نعتهم (وَهُمْ يَكْتُمُونَ) هذا الذى أنت عليه (الْحَقُّ)

كأننا

يحذف جواب المتأخر منها ، وأيضا قوله ماتبعوا لا يصلح أن يكون جوابا للشرط

لأنه فعل منى بما لحقه دخول القاء فيه (قوله قطع لطمعه فى إسلامهم) راجع لقوله ماتبعوا قبلتك وقوله وطمعهم الخ راجع لقوله وما أنت بتابع قبلتهم فهو لف ونشر مرتب . إن قلت كيف يطمعون فى عوده لبيت المقدس مع أنه مذكور فى كتبهم أنه لا يرجع عن الكعبة بعد أن تحول إليها . قلت إن ذلك الطمع واقع من جهلهم الذين لا يعرفون فى التوراة شيئا (قوله أى اليهود قبلية النصارى) هذا مما يؤيد أن اللراد بالدين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى وقبلية اليهود بيت المقدس وقبلية النصارى مطلع الشمس وكانت باختراع منهم لزعم بولس القيس أنه بعد رفع عيسى قال : لقيت عيسى عليه السلام فقال لى إن الشمس كوكب أحبه يبلغ سلامى فى كل يوم فمر قولى ليتوجهوا إليها فى صلاتهم ففعلوا ذلك (قوله إن اتبعهم فرضا) أى على سبيل الفرض والتقدم على حد لئن أشركت ليحبطن عملك ، وقيل الخطاب له ، واللراد غيره لمزيد الزجر (قوله كما يعرفون أبناءهم) ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر : أى كعرفتهم أبناءهم والشبه أقوى من المشبه به (قوله ومعرفتي لمحمد أشد) سئل عن ذلك فقال : لأن معرفتي بابن ظنية لانه محتمل أن يكون من غيرى وأما معرفتي بمحمد فهى عن الله وأنى خبر أصدق من خبر الله ؟

(قوله كائناً) أشار بذلك إلى أن قوله من ربك متعلق بمحذوف حال من الحق وهو خبر لمبتدأ محذوف والأظهر أنه مبتدأ خبره الجارو المجرور بعده أو مبتدأ والخبر محذوف تقديره يعرفونه وأل يحتمل أنها للعهد الذي كرى أو الجنس أو الاستغراق (قوله الشاكين فيه) أي في كونهم يعرفون نعمتك أوفى الحق (قوله فهو أبلغ من لا تتر) أي لكون النهي عاماً فيفيد أن الشك يصرف من قام به ولكونه مؤكداً بالنون ولأن الكناية أبلغ من الحقيقة بخلاف لا تتر فربما يتوهم أن الشك لا يضر إلا هو فقط ولم يكن مؤكداً (قوله ولكل وجهة) هذا كالنتيجة لما قبله كأنه قال فلما تفرقوا صار لكل وجهة (قوله قبله) أشار بذلك إلى أن وجهة اسم للكان ثبوت الواو قياساً وأما إن أريد بها المعنى المصدري فثبوت الواو غير قياسي على حد عدة ورقة وإنما ثبتت الواو تنبيهاً على الأصل (قوله هو) أي الفريق المفهوم من الأمم لأن المراد بهم الفرق ولو عبر به لكان أوضح (قوله مولها) اسم فاعل فاعله ضمير يعود على الفريق والهاء مفعول أول وقول للفسر وجهه مفعول ثان (قوله وفي قراءة مولها) أي بصيغة اسم المفعول فنائب الفاعل مفعول أول والهاء مفعول ثان والمعنى موجه إليها (قوله الخبرات) جمع خير بالتخفيف والتشديد أو جمع خيرة معناه الطاعة على كل (قوله أينما تكونوا) أين اسم شرط جازم يحجزم فعلين تكونوا فعل الشرط مجزوم بمحذوف النون والواو فاعل ويأت جواب (٦٣) الشرط مجزوم بمحذوف الياء والكسرة

دليل عليها وبكم متعلق يأت والله فاعل يأت وجميعاً حال من الكاف في بكم وقوله فيجازيكم يصح فيه الجزم والرفع والنصب ولكن الرسم يأتي الأول وإنما جازت الأوجه الثلاثة فيه لقول ابن مالك:

والفعل من بعد الجز إن يقتصر

بالفا أو الواو بثلاث فبن والمعنى في أي مكان تكونون فيه يجمعهم الله للحساب

كائناً (مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْكِرِينَ) الشاكين فيه أي من هذا النوع فهو أبلغ من لا تتر (وَلِكُلِّ) من الأمم (وَجِهَةٌ) قبله (هُوَ مُوَلِّيًا) وجهه في صلاته وفي قراءة مولها (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) بادروا إلى الطاعات وقبلوها (أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا) يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ (لَسَفَرٌ) قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالناء والياء تقدم مثله وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) كرره للتأكيد (لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ) اليهود والمشركون (عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) أي مجادلة في التولي إلى غيره أي لتنتقي مجادلتهم لكم من قول اليهود يمجحد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركون يدعى مله إبراهيم ويخالف قبلته (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بالعناد فانهم يقولون ما نحول إليها إلا ميلاً إلى دين آباءه

فيقرب عليه الجزاء (قوله إن الله على كل شيء قدير) هذا كالدليل لما قبله أي إنما كان ذلك لأنه قدير على كل شيء قال تعالى - وهو على جميعهم إذا يشاء قدير - (قوله ومن حيث خرجت الخ) حيث هنا ظرف مكان ومن للابتداء وجهة خرجت في محل جر بإضافة حيث إليها وليست شرطية لأنها لا تكون كذلك إلا إذا اقترفت بما (قوله لسفر) ظاهره فرضاً ونفلاً ولكن السنة خصت ذلك بالعريضة وأما الآية فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط مذكورة في الفقه (قوله شطر المسجد الحرام) أي جهة الكعبة (قوله وإنه) أي النسخ أو التولي للكعبة أو النبي (قوله للحق) أي جنسه أو المهود وهو نعت النبي أو كل فرد من أفراد (قوله بالناء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لبيان تساوي حكم السفر الخ) أشار بذلك لدفع ما يتوهم أنه تكرار محض (قوله كره للتأكيد) أي للتثبيت في عقولهم لفرابة الحكم حيثئذ لأنه أول ما ورد من النسخ (قوله لئلا يكون للناس عليكم) هذا هو حكم التولية أي إنما أمرناكم بالتولية لأجل انتفاء حجة الناس عليكم واللام هذه لام كي وأن مصدرية ولاتافية ويكون منصوب بأن والناس خبرها مقدم وحجة اسمها مؤخر وعليكم حال من حجة لأنه نعت فكرة تقدم عليها (قوله أي لتنتقي الخ) هذا حل معنى لاحتل إعراب ولوحله حل إعراب لقال لعدم كون حجة ثابتة للناس عليكم (قوله أي مجادلة) أي جدال في الباطل واعتراض وليس المراد بها المجادلة في الحق وإظهار حجتة (قوله من قول اليهود) هذا بيان للمجادلة (قوله وقول المشركون) أي فقد زال ذلك وأما قولهم ما زال همد في حيرة فباقية لم تزل (قوله فانهم يقولون) أي اليهود والحاصل أن الحجج

أربع لأمم حجتان والمشركون كذلك أمما حجة اليهود فهي ماله صلى لقبيلتنا ولا ينبع ديننا وأما حجة المشركين فهي يدي ماله إبراهيم ومخالف قبلته وهاتان الحجتان قد انقطعتا وبقيت حجة لكل أمما حجة اليهود فقولهم ماتحول إليها الإيملا لدين الجاهلية وأما حجة المشركين نقولهم لم يزل محمد في حيرة (قوله والاستثناء متصل) أي لأن ما قبله ظالمون أيضا (قوله تخافوا جدالهم) أي لأنهم لا يقدرّون على إيصال نفع ولا دفع ضرر (قوله عطف على ثلثا يكون) أي فتحويل القبلة لحكم عظيمة الأولى تمييز المؤمنين من غيره الثانية انقطاع الحجج الثالثة إتمام النعمة الرابعة الاهتداء . إن قلت إن مقتضى هذه الآية أن النعمة تمت الآن ومقتضى ما يأتي في سورة المائدة في قوله تعالى - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي - أنها لم تتم إلا حين نزولها وهو يوم عرفة في حجة الوداع . أجيّب بأن النعمة مقولة بالتشكيك فالمراد بها هنا استقبال الأشراف الذي هو الكعبة والمراد بها هناك الدين (قوله منكم) هذه نعمة أخرى فوق أصل الأرسال لأنه لو كان ملكا لما استطاعوه لأن علة الانضمام الجانبة (قوله القرآن) خصه من دون المعجزات لأنه باق إلى الآن (قوله يطهركم من الشرك) أي حتى صرتم عدولا تشهدون على الناس يوم القيامة ويصح أن يقال معنى يزكّيكم يشهد لكم بالعدالة يوم القيامة (قوله ويعلمكم الكتاب) أي حتى حفظتم لفظه عن ظهر قلب لقوله في «الحديث وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم» (قوله ما فيه من الأحكام) أي المعاني التي لا تحصى قال علي بن أبي طالب لو أردت أن أوفر من الفاتحة حمل سبعين بعيرا ففعلت ومن معناه مقال الخواص مما من الله به على أن أعطاني مائة ألف علم وتسعة وتسعين ألفا من علومه (٦٤) الفاتحة (قوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) عطف عام على خاص (قوله ونحوه)

والاستثناء متصل والمعنى لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء (فَلَا تَخْشَوْهُمْ) تخافوا جدالهم في التولي إليها (وَأَخْشَوْنِي) بأمثال أرى (وَلَا تَمُوتُوا) عطف على. اثلا تكون (نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) بالهداية إلى معالم دينكم (وَلَمَّا كُنْتُمْ هَٰئِلُونَ) إلى الحق (كَمَا أَرْسَلْنَا) بآئمه أي إتماما كإتمامها بإرسالنا (فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ) محمدا صلى الله عليه وسلم (يَتَّقُوا عَلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ) القرآن (وَزُرُّكُمْ) يطهركم من الشرك (وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) فاذ كروني (بالصلاة والتسبيح ونحوه) (أذ كركم) قيل معناه أجازكم . وفي الحديث من الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملائكة ذكرته في ملائكة خير من ملكه .

أي كالتلهيل والتحميد
قال بالصلاة لأن الله ذكر
إما باللسان أو بالجوارح
أو بالجنان ولا شك أن
الصلاة جامعة لكل ذكر
فالقراءة والتسبيح
والتسبيح والدعاء ذكر
لساني والركوع والسجود
ذكر بالجوارح والخشوع
والخضوع والمراقبة ذكر

(واشكروا)

قلبي (قوله أجازكم عليه) أي أنبئكم على ذكركم إياي (قوله

عن الله) أي فهو حديث قدسي (قوله في نفسه) أي خاليا وبعبدا عن الخلق (قوله ذكرته في نفسي) أي أعطيه عطايا لا يعلمها غيري (قوله ومن ذكرني في ملائكة) أي بين الناس (قوله ذكرته في ملائكة) أي أعطيه عطايا ظاهرة لعبادي وأظهر فضله لهم . إن قلت إن الإنسان قد يذكر الله بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم كالصحابة فأى ملائكة خير من النبي قلت أجيّب بأن النبي يشرف بما نسب إليه فإن المجلس ينسب لكبيره وفرق بين حضرة الله وملائكته وبين حضرة النبي وأصحابه وأيضا كون النبي في حضرة الله أشرف من نفسه في حضرة أصحابه فعلى قوله خير من ملكه ذكرته في حضرة النبي والملائكة المقرين في الملا الأعلى ولا شك أن تلك الحضرة لا بعد لها شيء أبدا والملا بالقصر الجمجمة الأشراف (قوله خير) بالجر صفة لملا وقيل معنى اذ كروني تذللوا للجلالي أذ كركم أ كشف الحجب عنكم وأفيض عليكم رحمتي وإحساني وأحبكم وأرفع ذكركم في الملا الأعلى للملا الحديث لما ومن تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا وفي الحديث أيضا إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل فقال له يا جبريل إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى في السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وهذا من جملة الثمرات المعجزة وأما المؤجلة فربوة وجه ربه الكريم ورفع الدرجات وغير ذلك وينبغي للإنسان أن يذكر الله كثيرا لقوله تعالى - والذين كثروا الله كرات أهد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما - ولا يلتفت لؤاش ولا رقيب لقول السيد الحنفى خطايا للعارف بالله تعالى أستاذنا الشيخ السردير :

بامتنى طرق أهل الله والتسنيك دع عنك أهل الهوى نسلم من التشكيك

إن اذ كروني لرد المعترض بحكفيك فاجعل سلافا للجلالة دائما في بيك

ولا تترك الله كره لعدم حضورك مع الله فيه فربما ذكر مع غفلة يجر قد كرم مع حضور لأنهم شبهوا الذكرك بقدح الزناد فلا يترك
الانسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلاً بل يكره حتى يوقد فإذا ولع القلب فارت الأعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته
لقوله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - وخفت العبادة على الأعضاء فلا يكون على الشخص كافة
فيها قال العارف إذا رفع الحجاب فلا ملأه بتكليف الإله ولا مشقة ويكنى الذكرك من الشرف قول
الله تعالى في الحديث القدسي «أنا جليس من ذكرني» وقوله تعالى - واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون - وهل الأفضل الذكرك
مع الناس أو الذكرك في خلوة والحق التفصيل وهو إن كان الانسان ينشط وحده ولم يكن مدعواً من الله لهداية الناس فالخلوة
في حقه أفضل وإلا فذكره مع الناس أفضل إما لينشط أو لتقتدى الناس به نأله الله أن يجعلنا من أهل ذكره (قوله واشكروا لي)
الحق أنه يتعدى بنفسه وباللام والمعنى واحد وهو من عطف الخاص على العام والنسبة في ذلك بيان أعلى المقاصد في الذكرك
فإن المقاصد في الذكرك مختلفة فمن قصد بذكرك الدنيا فقط فهو ذكرك ومن قصد بذكرك دخول الجنة والنجاة من النار فهو أعلى
من الأول ومن قصد بذكرك شكر الله على خلقه إياه وإنعامه عليه ولم يقصد غيره فهو من المقربين لما في الحديث «أفلا أكون
عبداً شكوراً» (قوله ولا تكفرون) أي لأن حقيقة الشكر أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر
فمعنى لا تكفرون لا تصرفوا نعمي في غير ما خلقها له (قوله على الطاعة) أي على دوامها سواء كانت الطاعة فعلاً أو تركاً (قوله
والبلاء) أي المصائب فأقسام الصبر ثلاثة صبر على الطاعة بدوام فعلها وصبر عن المعصية بدوام تركها وصبر على البلاء بحمد الله
وشكركه عليها فيكون شاكراً على السراء والضراء وأعظمها الصبر عن المعاصي وأقل منه الصبر على الطاعة وأقل منهما الصبر
على البلاء لأنه ورد أن الصابر على البلاء يرفعه الله ثلثمائة درجة بين (٦٥) كل درجتين كما بين السماء والأرض

مرة والصابر على دوام
الطاعة يرفعه الله ستمائة
درجة بين كل درجتين
كما بين السماء والأرض
مرتين والصابر عن المعصية
يرفعه الله تسعمائة درجة

(وَأَشْكُرُوا لِي) نعمتي بالطاعة (وَلَا تَكْفُرُونِ) بالمعصية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا) على
الآخرة (بِالصَّبْرِ) على الطاعة والبلاء (وَالصَّلَاةِ) خصها بالذكر لتكررها وعظمتها (إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ) بالعون (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (أَمْوَاتٌ بَلْ) (م) (أَحْيَاءُ) أرواحهم في
حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت لحديث بذلك (وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) تعلمون ما هم فيه

بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ثلاث مرات (قوله إن الله مع الصابرين) خصهم وإن كان الله مع كل أحد لأن المراد
معية محصومة وهي العون والاعانة وأما المعية مع كل أحد فمعية علم وقدرة يتصرف فيهم كيف شاء وأما الصابرون فهم المحبسون
فه لقوله في الحديث «ولا يزال عبيدي يتقرب إليّ بالتواضع حتى أحبه» الحديث (قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) هذه
الآية نزلت في قتلى بدر وكان المقتول من المسلمين أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار لما قال المشركون
والنافقون هؤلاء قد ماتوا وضعوا على أنفسهم الحياة الدنيا ولذاتها وقد ادعوا أنهم ماتوا مرضاة محمد فزلت هذه الآية
(قوله هم أموات) أشار بذلك إلى أن أموات خبر مبتدأ محذوف والجملة في محل نصب مقول القول والمعنى يحرم قول ذلك للشهيد
لأنه ليس بموت حقيقة وإنما هو انتقال من دار الكدر إلى دار الصفا ومن دار الحزن إلى دار السرور (قوله لمن يقتل في سبيل
الله) أي وهم الشهداء وممواً بذلك لأن أرواحهم شهدت دار السلام عند خروجها من البدن أولاً للملائكة تشهد له بنصره
لدين الاسلام (قوله بل هم أحياء) أي حياة أخرى بالجسم والروح ليست حياة أهل الدنيا لا يشاهدوها إلا أهل الآخرة ومن
خصه الله بالاطلاع عليها وهذا هو التحقيق خلافاً لمن قال إنهم أحياء بالروح فقط لأنه يرد بأن كل إنسان حي الروح مسلماً
كان أو كافراً لعدم فناء الروح ولا مزية للشهيد على غيره وهذه الحياة حقيقية وإنما خروج روحه انتقال من دار إلى أخرى
وهي مزية من مزايا الأنبياء فلا يقال إنهم ساوونهم وحكمة عدم تفصيل الشهداء بقاء دمهم ليشهد لهم يوم القيامة لما في الحديث
«زملوهم بقبابهم اللون لون الدم والريح ريح المسك» وأما تفصيل الأنبياء فتعبدى أول التشريع ولأن كل الأرض أجساد الشهداء
(قوله أرواحهم في حواصل طيور الخ) أي فهي كالموجود لها وأما أرواح المؤمنين للطيبين غير الشهداء فتنتقم خارج الجنة
بريحها ومأواها البرزخ وأما أرواح العصاة والكفار فهي مسجونة لا تصرف لها وأما أرواح الأنبياء فورد أنها تأوى إلى قناديل
معلقة بالعرش في الجنة وأما أرواح صفار المؤمنين في الجنة في كفالة إبراهيم وسارة [٩ - صاري - أول]

(قوله وإنبلونكم) اللام موطنه لثمن محذوف أي والله لنبلونكم ونبلون جوابه واقترب باللام والنون لكونه مضارعاً مثبتاً مستقبلاً وللمعنى لنختبرنكم أيها المؤمنون لما في الحديث «لدى سجن المؤمن وجنة الكافر» أي ولو كان المؤمن في غاية نعمتهما والكافر في أشد ضيقهما (قوله القحط) هو في الأصل تخلف المطر وهو سبب في الجوع فقد فسر الشئ بسببه (قوله بالجوائح) أي الآفات المتلفة للزرع ونحوه (قوله أي لنختبرنكم) أي لنظهر ذلك للملائكة ولبعضكم فمن صبر فله الرضا ومن جزع فله السخط (قوله بالجنة) متعلق بيشرو والمعنى بشرهم بالجنة من غير سابقة عذاب (قوله هم الذين) أشار بذلك إلى أن الذين خبر لمبتدأ محذوف واقع في جواب سؤال مقدر قيل نعت مة طوع وقيل إن الذين نعت للصابرين وهو أحسنها وقيل منصوب على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح وقيل مبتدأ خبره قوله أولئك (قوله مصيبة) أي مصيبة كانت سواء كانت فقد مال أو نفس أو جوعاً أو خوفاً أو غير ذلك (قوله إنا لله) أي مملوكون ومخلوقون له يتصرف فينا على ما أراد وهذه المسئلة من خصائص هذه الأمة ولو كانت لهم لمكانت ليعقوب حين فقد يوسف فقال يا أسفاً (قوله وإنا إليه راجعون) أي صارون (قوله من استرجع) أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون (قوله أجره الله فيها) أي بسببها وفي الصباح أجره الله أجراً من باني ضرب وقتل وآجره بالمدة ثالثة إذا أتاه (قوله وأخلف عليه خيراً) أي ٢ (٦٦) منها إما في الآخرة فقط أو فيها وفي الدنيا فمن رضى بأحكام الله وصبر

على ما أصابه فله الرضا من الله ولكل مصيبة دواء إلا الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى قال بعضهم : لكل شئ إذا فارقت هوض

وليس لله إن فارقت من عوض

(قوله إنما هذا مصباح) أي شئ قلبيل (قوله صلوات) جمع صلاة وهي المغفرة كما فسرنا بذلك المفسر ووجهها إشارة إلى أنه لا يبقى عليهم ذنوب

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ) للعدو (وَالْجُوعِ) القحط (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ) بالهلاك (وَالْأَنْفُسِ) بالقتل والموت والأمراض (وَالشَّمَرَاتِ) بالجوائح أي لنختبرنكم فننظر أنصبرون أم لا (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) على البلاء بالجنة هم (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ) بلاء (قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ) ملكاً وعبيداً يفعل بنا ما يشاء (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ) في الآخرة فيجازينا ، في الحديث «من استرجع عند المصيبة أجره الله فيها وأخلف عليه خيراً» وفيه «أن مصباح النبي صلى الله عليه وسلم طوى فاسترجع فقالت عائشة إنما هذا مصباح فقال : كل ماساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسيله (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) نعمة (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) إلى الصواب (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ) جبلان مكة (مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أعلام دينه جمع شعيرة (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ) أي تلبس بالحلم أو العرة وأصلهما القصد والزيارة (فَلَا جُنَاحَ) إثم (عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ) ،

فيه

أبداء بل عليهم مغفرة متكررة (قوله نعمة) دفع بذلك ما يقال

إن الصلاة هي الرحمة فطف الرحمة عليها مرادف فما حكمة التكرار فأجاب المفسر بمنع ذلك وأن العطف مغاير فالصلاة نحو التذوق والرحمة العطايا فهو من باب التحاية بعد التولية وقد ورد إطلاق الصلاة على المغفرة في الحديث اللهم صل على آل أبي أوفى أي اغفر لهم وفي الحديث أيضاً «إن الملائكة تصلي على أحدكم مادام في صلاة» قول اللهم اغفر له اللهم اغفر له وقيل إن الصلاة بمعنى الرحمة والعطف مرادف وحكمة التكرار الإشارة لتوالي الرحمت والتم وإرضاعه حيث رضى بأحكام سيده وحبس نفسه على ما تكره (قوله وأولئك هم المهتدون) أي الكاملون في الهدى فإن الرضا عن الله في كل حال من علامات الهدى الكامل (قوله إن الصفا) جمع صفاة اسم للحجر الأملس والمراد هنا الجبل المعروف الذي يبدأ السعي منه (قوله والمروة) في الأصل اسم للكان الرخو والمراد هنا الجبل الذي ينتهي السعي إليه (قوله جبلان مكة) أي بجوار المسجد الحرام (قوله من شعائر الله) أي من أمور دين الله التي تعبدنا بها فمن أنكر كون السعي من أمور الدين فقد كفر (قوله فمن حج البيت) الحج في اللغة القصد واصطلاحاً عبادة يلزمها طواف بالبيت سبعاً وسعى بين الصفا والمروة كذلك ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة على وجه مخصوص (قوله أو اعتمر) العمرة في اللغة الزيارة واصطلاحاً عبادة يلزمها طواف وسعى على وجه مخصوص (قوله وأصلهما القصد الحج) لف وهو مرتب

(قوله فيه إدغام التاء في الأصل) أى فأصله يتطوّف قلبت التاء طاء ثم أدغمت في الطاء (قوله لما كره المسلمون) أى حين كرهوا ذلك (قوله وعليهما صنمان) أحدهما يسمى إسافاً والثاني يسمى نائلة . قيل كانا على صورة رجل وامرأة وذلك أن رجلاً اسمه إساف وامرأة اسمها نائلة زنيا في السكبة فمسخهما الله حجّرين على صورتهم الأصلية لما تقدم الزمان عبيدتهما الجاهلية فلما جاء الإسلام أبطل ذلك ونسخه (قوله غير فرض) أى ووافقه على ذلك ابن حنبل (قوله من التخيير) ليس المراد أنه مباح بل هو مطلوبٌ بدليل ضم أول الآية لآخرها (قوله وغيره) أى وهو مالك (قوله إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ السَّيِّئَاتِ) فاسموا ، وأصل الحديث «اسموا فإن الله كتب عليكم السيئ» فتحصل أن الآية ليست صريحة في الفرضية ولا في الوجوب وإنما أخذ ذلك من السنة (قوله وفيه إدغام التاء) أى بعد قلبها طاء (قوله أى بخير) أشار بذلك إلى أن خيراً منصوب بنزع الخافض (قوله من طواف وغيره) أى كسى في حج أو عمرة أو طواف مطلقاً لأن عبادة الطواف لا تقيد بالنسك بخلاف السيئ (قوله فإن الله شاكر) هذا دليل الجواب وليس هو الجواب بل هو محذوف تقديره شكره الله لأن الله شاكر عليهم ، والشكر في الأصل مجازاة أصحاب الحقوق عليها وليس ذلك مراداً في حق مولانا وإنما المراد عاماناه معاملة الشاكر بأنه أكرم نفسه الجزاء من فضله لأنه كريم واسع العطاء (قوله ونزل في اليهود) (٦٧) أى في أخبارهم ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف

فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء (بهماً) بأن يسمى بينهما سبماً . نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما . وعن ابن عباس أن السيئ غير فرض لما أفاده رفع الأثم من التخيير . وقال الشافعي وغيره ركن وبين صلى الله عليه وسلم فرضيته بقوله «إن الله كتب عليكم السيئ» رواه البيهقي وغيره وقال «أبدءوا بما بدأ الله به» يعنى الصفا . رواه مسلم (وَمَنْ تَطَوَّعَ) وفي قراءة بالتحية وتشديد الطاء مجزوماً وفيه إدغام التاء فيها (خيراً) أى بخير أى عمل مالم يجب عليه من طواف وغيره (فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ) لعمله بالإنابة عليه (عَلِيمٌ) به . ونزل في اليهود (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) الناس (مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى) كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) التوراة (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ) يعدم من رحمته (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) رجعوا عن ذلك (وَأَصْلَحُوا) عملهم (وَبَيَّنَّا) ما كتبوا ،

أهتدى وعطف الهدى عليها للتفسير (قوله كآية الرجم) أى السكينة في التوراة وهي أن من زنى يرمم فحوها وقالوا لم يكن ذلك عندنا فحصل منهم التكذيب لنبيهم (قوله ونعت محمد) أى صفاته وأخلاقه من مولده إلى انتهاء أجله وهذان مثالان للبينات والهدى معا لأن بالآيات يحصل الهدى (قوله للناس) أى عموماً (قوله أولئك) مبتدأ وجملة يلعنهم الله خبره وآتى بإشارة البعيد إشارة لبعدهم عن رحمة الله (قوله والمؤمنون) أى من غيرهم كالإنس والجن (قوله أوكل شيء) أى حق الجمادات والحيتان في البحر ويشهد له الحديث «العاصي يلعه كل شيء حتى الحيتان في البحر» وأوتسوع الخلاف ثم إن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعيد وإن كان وارداً في شيء خاص إلا أنه لكل من كتم علماً ومنه شاهد الزور والفتى بغير الحق (قوله إلا الذين) استثناء متصل أفاده أن اللعنة معلقة (قوله رجعوا عن ذلك) أى البكتان بأن أنصفوا من أنفسهم وأسلموا فهذا الوعيد خاص بمن مات كافراً . وأما من مات مؤمناً ولو عاصياً فليس له هذا الوعيد ولا يجوز الدعاء باللعنة على المعين ولو كافراً إلا أن ثبت موته على الكفر . وأما غير المعين فيجوز على الكافر والعاصي (قوله وأصاحوا عملهم) أى في المستقبل كعبد الله بن سلام وأضرابه (قوله ما كتبوا) أى من البينات والهدى ويحتمل أن قوله تعالى - وبينوا - أى التوبة .

وعبد الله بن صوريا (قوله الناس) قدره المفسر إشارة إلى أنه مفعول يكتُمون الثاني والمعنى يكتُمون الحق عن الناس بحيث يظهرون الباطل ويخفون الحق من نعت محمد وغيره (قوله ما أنزلنا) أى الشيء أو الذي أنزلناه وقوله من البينات بيان لما والمراد بالبينات الآيات الواضحات التي من أذعن لها فقد

(قوله فأولئك) أتى بإشارة البعيد إشارة رمة رهم عن ربة غيرهم على حد ذلك الكتاب (قوله وأنا التواب) أى الكبر
 القبول لتوبة من تاب ، و جملة حالية من فاعل أتوب (قوله بالمؤمنين) أى ولوعصاة والراد من مات مسلمة (قوله إن الذين
 كذبوا) أى أجازوا أو غيرهم وقوله وماتوا وهم كفار أى استمروا على الكفر حتى ماتوا عليه (قوله أى هم مستحقون ذلك)
 أشار بذلك لدفع التكرار ، قال المراد باللعنة الأولى حصولها بالفعل وبالثانية استحقاقها وفي الحقيقة لا تكرار لأن ماتتقدم
 في الكفار من أجاز اليهود - وهذا في الكفار عموما (قوله قيل عام) أى حتى الكفار لأنه يلحق بعضهم بعضا (قوله وقيل
 للمؤمنون) أى من الاسر ولجن والملائكة (قوله أى اللعنة) أى ويلزم من خلوده في اللعنة خلوده في النار (قوله المدلول
 بها) أى باللعنة وقوله عليها أى النار (قوله طرفة) أى مقدار تغميض العين وتحتها العادي (قوله يهلون) أشار بذلك
 إلى أنه من الانظار بمعنى الامهال والتأخير قال تعالى - كلما نصحت جلودهم بدلتناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب - أجازنا
 الله والسلمين من النار (قوله ونزل) أى بمكة لأن هذه الآية وما بعدها مكية وإن كانت السورة مدنية (قوله لما قالوا)
 أى مشركو العرب وكانوا إذ ذاك يعبدون ثلاثمائة وستين صنما حول الكعبة ونزلت سورة الاخلاص أيضا ردا عليهم
 (قوله وإلهمكم) مبتدأ وإله خبره وواحد صفته وهو محط الفائدة على حد مررت يزيد رجلا صالحا - هى كالحال الموطنة
 وقوله لإله إله هو خبر ثان مؤكدا لما قبله لقصد الايضاح (قوله لا نظير له الخ) فيه نفى الكموم لحمة وتوضيحه أن قوله
 لا نظير له في ذاته أى أن ذاته ليست مركبة من أجزاء وليس لأحد ذات كذاته ولا في صفاته أى ليست صفاته متعددة من
 جنس واحد بمعنى أنه ليس له علمان (٦٨) ولا سمعان إلى آخرها وليس لأحد صفة كصفات مولانا ، فهذه أربعة

(فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) أَقْبِلْ تَوْبَتَهُمْ (وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) بِالْمُؤْمِنِينَ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) حَال (أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) أَيْ هُمْ
 مُسْتَحِقُونَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالنَّاسُ قِيلَ عَامٌ وَقِيلَ الْمُؤْمِنُونَ (خَالِدِينَ فِيهَا) أَيْ اللَّعْنَةُ
 أَوْ النَّارُ الْمُدْلُولُ بِهَا عَلَيْهَا (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ) طَرَفَةُ عَيْنٍ (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يَهْلُونَ
 لِتَوْبَةٍ أَوْ مَعْذَرَةٍ . وَنَزَلَ لَمَّا قَالُوا صَفِّ لَنَا رَبِّكَ (وَإِلَهُكُمْ) الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ مِنْكُمْ (إِلَهُ وَاحِدٌ)
 لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) هُوَ (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وَطَلَبُوا آيَةً عَلَى ذَلِكَ
 فَنَزَلَ (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَجَانِبِ (وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)

كقوم متصلان في الذات
 والصفات ومنفصلان
 فيهما والخامس المنفصل
 في الأفعال بمعنى أنه ليس
 لأحد فعل مع الله . وأما
 المتصل فيها فهو ثابت
 لا ينفى لأن أفعاله على حسب
 شئونه في خلقه (قوله
 لإله إله هو) أى لا معبود

بالذهب

بحق موجود إلا هو أى إلهكم وفي الكلام تغليظ لهم وإعراجه لاثباته للجنس

تعمل عمل إن إله اسمها مبنى على الفتح في محل نصب والخبر محذوف تقديره موجود وإلا أداة حصر وهو ضمير منفصل بدل
 من الضمير المستتر في الخبر والتقدير لإله موجود هو إلا هو وقوله الرحمن الرحيم خبر ثالث ، والمقصود من تعداد الأخبار إيضاح
 أمر الإله لهم وتبكيك لهم لازمامهم الحجة وهذه طريقة ومشى المفسر على أن الرحمن الرحيم خبر لمبتدأ محذوف وكل صحيح
 (قوله وطالبوا آية) أى دليلا على ما تقدم من الدعاوى فإن قوله وإلهكم إله واحد دعوى أولى وقوله لإله إله هو دعوى ثانية
 وقوله الرحمن الرحيم دعوى ثالثة (قوله فتزل إن في خلق السموات) أى إلى قوله لآيات وهي ثمانية أشياء في كل شئ منها
 آيات فهو إجابة لما لطلب وزيادة : وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد وإن حرف توكيد ونصب وفي خلق
 السموات جار مجرور خبر مقدم ولآيات معها مؤخر وحذفه من الأول دلالة الأخير عليه كأنه قال واختلاف الليل والنهار لآيات
 والظلال التي تجري في البحر لآيات وهكذا وقوفه في خلق أطباق الصدر وأراد اسم المفعول أى مخلوق هو السموات والأرض وقد جعل
 الحازن السماء مع الأرض شيئا واحدا من ثمانية أشياء وقوله بما ينفع الناس شئ مستقل (قوله وما فيهما من العجائب)
 أى فعجائب السموات رفعها بلا عمد وكون الشمس في السماء الرابعة مع إضاءتها لأهل الأرض ونفعها لهم النفع التام وإضاءة
 النجوم لأهل الأرض واهتمامهم بها مع كونها نوابت في العرش وهكذا ، وعجائب الأرض مدتها وبسطها وتثبيتها بالجبال الرواسي
 . وهكذا قال تعالى - أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا
 فيها من كل زوج زوج - وأفرد الأرض ولم يجمعها كسموات لا تحت جنسها وهو الماء والقرب واختلاف جنس السموات .

(قوله بالذهب والحصى) أشار بذلك إلى وجه اختلافهما ، ومن جملة عجائب الليل كونه مقمرا أو مظلما وكونه طويلا على أناس دون غيرهم ، ومن جملة عجائب النهار طوله على أناس دون غيرهم فقد يكون الفجر عند قوم هو العصر عند آخرين وغير ذلك وقدم الليل على النهار لأنه صابغ على الأصح لأن الظلمة سابقة على النور ، وقيل بسبق النهار ، وينبئ على هذا الخلاف فائدة وهي أن الليلة تابعة لليوم قبلها أولي يوم بعدها ، فعلى الصحيح تكون الليلة تابعة لليوم بعدها وعلى مقابلة تكون تابعة لليوم قبلها فيوم عرفة مستثنى على القول الأول لأنه تابع لليلة بعده ، ولا يرد قوله تعالى - ولا الليل سابق النهار - لأن المعنى ليس الليل يسبق النهار بحيث يأتي قبل انقضاء النهار بل كل يلزم الحد الذي حدّه الله له (قوله والفلك) يستعمل مفردا وجمعا بوزن واحد والتفكير بالوصف ، يقال فلك مشحونة وفلك مشحونات (قوله التي تجري في البحر) أي يسيرها الله بالريح مقبلة ومدبرة ، قال تعالى - ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (قوله ولا ترسب) أي لا تسقط لأسفل (قوله موقرة) أي حاملة للأثقال أشار به إلى أن قوله بما ينفع الناس متعلق بمحذوف هو الشيء الرابع (قوله بما ينفع الناس) أي ومن جملة منافعهم اتصال الأقطار بعضها ببعض من حيث ارتفاعهم بما في القطر الآخر من الزروع وغيرها فولا تسخير السفن لاستقل كل قطر بما فيه وضاق على الناس معاشهم (قوله من السماء من ماء) من الأولى ابتدائية والثانية يصح أن تكون بيانية أو لتبعض (قوله فأحيا به الأرض) أي أظهر ما فيها من النضارة والبهجة . قال تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لحكي الموقى إنه على كل شيء قدير - (قوله لأنهم يخون بالحبس) أي فاذا كثرت النسل وإذا كثرت

الاقوات شبت الناس فتأتى منهم الدرية (قوله وشمالا) هي ملجأت من جهة القطب والجنوب ما قابلتها والصب ما جاءت من مطلع الشمس والدبور ما قابلتها (قوله حارة وباردة) أي وتأتى بالخبر والسر ، ففي الحديث

بالذهب والحصى والزيادة والنقصان (وَالْفُلْكِ) السفن (الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) ولا ترسب موقرة (بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ) من التجارات والحل (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ) مطر (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ) بالنبات (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها (وَبَثَّ) فرق ونشر به (فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) لأنهم يخون بالحبس الكائن عنه (وَنَضْرِبُ الرِّيَّاحَ) تقلبها جنوبا وشمالا حارة وباردة (وَالسَّحَابَ) الغيم (الْمُسَخَّرَ) المذل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله (يَبْنِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ) بلا علاقة (لآيَاتٍ) دالات على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره ،

« نصرت بالصب وأهلك عاد بالدبور » . والحاصل أن الريح تنقسم إلى قسمين : رحمة وعذاب ، ثم إن كل قسم ينقسم إلى أربعة أقسام ولكل قسم اسم ، فأسماء أقسام الرحمة المبشرات والنشر والمرسلات والرخاء ، وأسماء أقسام العذاب العاصف والقاصف وهما في البحر والعقيم والصرص وهما في البر ، وقد جاء في القرآن بكل هذه الأسماء وقد نزل الأطباء كل ريح على طبيعة من الطبائع الأربع فطبع الصبا الحرارة واليبس وتسميها أهل مصر الشرقية لأن مهبها من الشرق وتسمى قبولا لاستقبالها وجه الكعبة ، وطبع الدبور البرد والرطوبة وتسميها أهل مصر الغربية لأن مهبها من الغرب وهي تأتي من دبر الكعبة ، وطبع الشمال البرد واليبس وتسمى البحرية لأنها يسار بها في البحر على كل حال وقلما تهب ليلا ، وطبع الجنوب الحرارة وتسمى القبالية لأن مهبها من مقابلة القطب وهي عن يمين مستقبل للشرق وتسميها أهل مصر الرئيسية ، وهي من عيوب مصر العديدة فانها إذا هبت عليهم سبع ليال استعدوا للاكذبان (قوله والسحاب) أصله طرح شجرة في الجنة جعله الله محمولا للريح يسير حيث شاء الله فسيده أعجب من سير المراكب على ظهر البحر (قوله بلاعلاقة) أي بلاشيء يتعلق به ويحفظه من السقوط (قوله يتدبرون) أي يتفكرون ويتأملون في عجائب قدرته فيعلمون أنه القادر على كل شيء ، فهذا الدليل من تمسك به وأتقنه كفاء في عقائد إيمانه ، وأما المقلد فهو من لم يحضر العلماء ولم يجاس بين أيديهم ولا يعرف الأرض من السماء كالبهايم (قوله ومن الناس) هذه الآية وردت لاستعظام ما وقع من بعض بني آدم من الكفر بعد ثبوت البراهين القطعية كأن الله يقول اعجبوا الكفر بعض العبيد مع ثبوت الأدلة على وحدانيته تعالى والجوار والمجرور خبر مقدم ومن يتخذ مبتدأ مؤخر وهو اسم موصول وما بعده صلته أو نكرة موصوفة وما بعده صفة (قوله من دون الله) هي في الأصل ظرف مكان للمكان الأدنى يقال جلس فلان في مكان دون مكان زيد يعني أدنى منه ، ثم

أطلق المذنبون وأريد الغيرية من إطلاق اللزوم وإرادة اللازم لكن صار حقيقة عرفية في الغير (قوله أُنَادَا) مفعول يتخذ وقوله يحبونهم صفة لأُنَادَا وفاعل يحبونهم عائد على من باعتبار اللغى وأُفْرِدَ في يتخذ مراعاة للفظ (قوله أى كحبهم له) أى كحب المشركين لله فقد سَوُوا في المحبة بين الله والأُنَادَا ، ويحتمل أن اللغى كحب للمؤمنين لله فحبة المشركين للأصنام كحبة المؤمنين لله وهو الأقرب. واستشكل الأول بأنه لا يتأتى من عاقل التسوية في المحبة بين من يخلق ومن لا يخلق. أجاب المفسر بأن المراد بالحب التعظيم والخضوع وليس المراد الحب الحقيقي فإن كل إنسان جبل على محبة خالقه (قوله أشد حباً لله) أى فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله ، وأما محبة مثل الأنبياء والأولياء فمن المحبة لله . إن قلت إن الكفار كذلك يحبون الأُنَادَا ليقرب بهم إلى الله زلنى فيقتضى أنها أيضاً من المحبة لله . أجيب بأنهم كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ففرق بين المحبة والعبادة فلا يعبد إلا الله لا غيره بخلاف المحبة من أجل كون ذلك المحبوب مقرباً مثلاً من الله كالأنبياء والأولياء ولذلك من عبدهم فقد كفر (قوله لأنهم لا يعبدون عنه بحال) أى فهذا وجه الأشدية . وحاصل ما قرره المفسر أن المشركين سَوُوا الأُنَادَا في المحبة بالله، والمؤمنين انفردوا بمحبة الله ومع ذلك فهي أشد من محبة المشركين للأُنَادَا ، وقرر غيره أن قوله تعالى - أشد حباً لله - أى من جهة أن المحبة من الطرفين فالمؤمنون يحبون الله ويحبهم الله ، وأما المشركون فلا يخلو إما أن يكون معبودهم عاقلاً أم لا فالأول يلغى ولا يحبهم والثانى لا يوصف بحب ولا بغض على أنه يصير حصاً لهم في نار جهنم يعذبون به (٧٠) فحبة الله للعبد سابقة على محبة العبد لله لأن الله هو الخالق للغير والهدى

في القلوب حيث خلق
 الله في قلب الشخص النور
 والمهدي والمحبة وفق
 العبد للرضاعنه ومحبه
 له وامتناله امره ونهيه ،
 ولذا قال بعض العارفين :
 ايها العرض عنا
 إن إعراضك منا
 لو أردناك جعلنا
 كل ما فيك يردنا
 ولما قال أشد حبا ولم
 يقل أحب لأن اسم
 التفضيل لا يصاغ من الفعل

(أُنْدَادًا) أصناما (مُحِبُّوهُمْ) بالتعظيم والخضوع (كَحُبِّ اللَّهِ) أى كحبهم له (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) من حبهم للأنداد لأنهم لا يمدلون عنه بحال ما والكفار يعدلون فى الشدة إلى الله (وَلَوْ تَرَى) تبصري يا محمد (الَّذِينَ ظَلَمُوا) باتخاذ الأنداد (إِذْ يَرْوْنَ) بالبناء للفاعل والمفعول (الْعَذَابَ) لرأيت أمرا عظيما وإذ بمعنى إذا (أَنَّ) أى لأن (الْقُوَّةَ) القدرة والغلبة (لِلَّهِ جَمِيعًا) حال (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) وفى قراءة يرى بالتحثانية والفاعل قيل ضمير السامع وقيل الذين ظلموا فهى بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسد الفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا فى الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له هو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أندادا (إِذْ) بدل من إذ قبله (تَبَرَّأُ الَّذِينَ أُتْبِعُوا) أى الرؤساء (مِنَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا) أى أنكروا إضلالهم (وَ) قد (رَأَوْا الْعَذَابَ وَنَقَطَتِ) عطف على تبرأ (بِهِمْ) عنهم (الْأَسْبَابُ) الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا ،

البنى للجهول وحيث اختلف منه شرط توصل له بأشد أو أشد (قوله الذين ظلموا) اظهر
في محل الاضمار زيادة في التشنيع عليهم والمراد بالظلم الكفر (قوله باتخاذ الأنداد) الباء للسببية ومفعول ظلموا محذوف تقديره
أنفسهم (قوله يبصرون) على القراءة الأولى هو بضم الياء مع سكون الباء وكسر الصاد وعلى الثانية بضم الياء وفتح الباء مع تشديد
الصاد (قوله العذاب) مفعول لقوله يرون (قوله رأيت أمرا عظيما) هذا هو جواب لو الشرطية (قوله وإذ بمعنى إذا) جواب عن
سؤال وهو أن إذ ظرف للماضي ورؤية العذاب مستقبلة فالحل لا إذا ، فأجاب بذلك أو أنه نزل المستقبل منزلة الماضي لتحقق
لحصول (قوله أى لأن) أشار بذلك إلى أنه علة لجواب لو أى رأيت أمرا عظيما لكون القوة جميعها لله فلا تخش من إيهامهم الفوات
بالمهروب (قوله وأن الله شديد العذاب) هذا لدفع توهم الكافر أنه وإن كانت له القوة جميعا يمكن أن يسامح في ذلك فقال
ن لله شديد العذاب (قوله قيل ضمير السامع) أى والذين ظلموا مفعوله والجواب محذوف تقديره لرأى أمرا فظيعا (قوله فهي بمعنى
بعل) أى فتنبص مفعولين (قوله وأن) أى الأولى (قوله سدت سدد المفعولين) أى فهذا موجب فتحها ويوجب فتحها أيضا تأويلها
بصدر (قوله ولاننى) أى على هذا الوجه الأخير (قوله وقت معايتهم) هذا تفسير لا إذ (قوله لما اتخذوا) هذا هو جواب الشرط (قوله
أى الرؤساء) أى كفرعون والفرعون وعبد الله ابن ساول ورجي بن اخطب وغيرهم (قوله أى أنكروا إضالهم) أى قالوا ياربنا لم
ضل هؤلاء بل ضلوا فى أنفسهم وكفروا بإرادتهم (قوله عنهم) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى عن على حد فاسئل به خيرا .

(قوله من الأرحام) قال تعالى - يوم يفر المرء من أخيه وأبيه وصاحبته وبنيه - (قوله وتبترأ جوابه) أى فهو منصوب بأن مضمرة بعد قوله السببية (قوله كذلك) أى يحتاجون ولا تنفهم الحاجة (قوله وتبترأ بعضهم) معطوف على أرحام أى مثل ما أرحم شدة العذاب ومثل ما تبترأ بعضهم يريهم (قوله أعمالهم) أى جزاءها (قوله حال) أى من أعمالهم (قوله ندامات) جمع ندامة (قوله ونزل فيمن حرم السوائب) أى وهم قبائل من العرب حرموا أموراً لم يرد تحريمها من الشرع. والسوائب جمع سائبة. والمراد بها في عرف الجاهلية الناقة أو البعير المندورة للصنم كأن يقول الواحد منهم إن قدمت من سفرى فناقى أو يعبرى سائبة للأصنام قصير لأمك لأحد عليها ولا تؤكل وإن ذكيت (قوله ونحوها) أى كالبحيرة والوصيلة والحام والبحيرة هي المندورة اللبن للأصنام والوصيلة هي التي تكثر بالأنثى ثم تتبعها بالأنثى فإن الأم صارت عتيقة للأصنام لا يحمل عليها ولا يؤكل لبنها ولحمها والحام غل الأبل يضرب مدة في الأبل معلومة فإذا استوفاه صار عتيقاً للأصنام وسيأتى إيضاح ذلك (قوله يأبىها الناس) هذا خطاب لأهل مكة ولا ينافيه كون السورة مدنية فإن ذلك من حيث النزول (قوله بما في الأرض) من التبعية لأن بعض ما في الأرض لا يجوز أكله كاللحجارة والخنزير وما ورد تحريمه (قوله صفة مؤكدة) أى فمعنى الطيب الحلال وقوله أى مستلذا أى لنفس المؤمن وهو ماعدا الحرام هكذا في نسخة وفي نسخة أخرى أو مستلذا وهي أولى فعلها هو صفة محصنة فإن الحلال بعضه غير مستلذ كالصبر والمروءة وبعضه مستلذ كالسمن والعسل. والحاصل أنه إن إريد بالمستلذ الشرعى وهو ماعدا (٧١) الحرام فالصفة مؤكدة ويناسبها نسخة أى مستلذا وإن

من الأرحام والمودة (وَقَالَ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا) فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ (أَيِ الْمَتَّبِعِينَ) (كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا) اليوم ولو للتمنى وتبترأ جوابه (كَذَلِكَ) أى كما أرحم شدة عذابه وتبترأ بعضهم من بعض (يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) السيئة (حَسَرَاتٍ) حال ندامات (عَلَيْهِمْ) وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) بعد دخولها. ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها (يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا) حال (طَيِّبًا) صفة مؤكدة أى مستلذا (وَلَا تَذَيُّعُوا خُطُوبَاتٍ) طرق (الشَّيْطَانِ) أى تزينه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ) الإثم (وَالْفَحْشَاءِ) القبيح شرعاً (وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من تحريم ما لم يحرم وغيره (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) أى الكفار (اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ) من التوحيد وتحليل الطيبات (قَالُوا) لا (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا) وجدنا (عَلَيْهِ آبَاءُنَا) من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر. قال تعالى :

لَكُمْ عَدُوٌّ هَذَا عَدُوٌّ لِّلنَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ تَزْيِينِهِ (قوله بين العداوة) أى للصالحين وأما غيرهم فلا تظهر عداوته لمصاحبتهم له ويقرب ذلك البيت الذي فيه النور فإنه يبين فيه كل مؤذ بخلاف غيره (قوله إنما يأمركم بالسوء) هذا كالعلة لقوله - إنه لكم عدو مبين - والسوء اسم جامع لما يفضب الله كان فيه حد أولاً سمى بذلك لأنه يسوء صاحبه فنعطف الفحشاء عليه من عطف الخاص على العام لأن المراد بها الكبائر وكلام المفسر يفيد أن السوء والفحشاء مترادفان وكل صحيح (قوله وأن تقولوا) معطوف على السوء أى وقولكم فى الله (قوله من تحريم ما لم يحرم) أى كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقوله وغيره أى كاتخاذ أنداد غير الله (قوله من التوحيد) أى فلا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً (قوله وتحليل الطيبات) أى كالبحائر والسوائب والوصيلة والحام وهو لف ونشر مرتب فإن قوله من التوحيد راجع لقوله - ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً - وقوله وتحليل الطيبات راجع لقوله - يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً - (قوله قالوا لا) أى لا نتبع ما أنزل الله وقوله بل نتبع بل للاضراب الإبطالى وهو معطوف على جملة محذوفة أشار لها المفسر بتقدير لا قيل كل إضراب فى القرآن اتقالي أى يفيد الانتقال من قصة إلى قصة إلهذه والإبل فى قوله تعالى - أم يقولون افتراء بل هو الحق من ربك - فمحتمل للأمرين فإن اعتبرت قوله أم يقولون افتراء كان انتقالاً وإن اعتبرت افتراء وحده كان إبطالياً (قوله وجدنا) إن كانت وجد بمعنى أصاب نصت مفعولاً واحداً وهو آبائنا وقوله عليه ظرف لنومتملى بألفينا وإن كانت بمعنى علم نصبت مفعولين عليه وآباءنا (قوله من عبادة الأصنام) راجع للفرق الأول وقوله

نسخة أى مستلذا وإن
أريد به المستلذ الطبيعى أى
لدى لا يمتدح الطبع فالصفة
محصنة ويناسبها نسخة
أو مستلذا (قوله خطوات)
يسكون الطاء وضماً
قراءتان سبعيتان وقرأ
أبو السماك بفتح الحاء
والطاء (قوله أى تزينه)
أى فأطلق الخطوات لله
هى ما بين القدمين وأراد
التزيين والجامع بينهما
الاتباع فى كل - (قوله إنه

ونهرىم السوائب الخ راجع للفريق الثانى فهو لغة ونشر ضرب (قوله أيتبعونهم) أشار بذلك إلى أن الحمزة للانكار داخله على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والجملة حالية قالوا للحال أيضا (قوله ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا) أى فهم تابعون لهم سواء ظهر لهم عقل آبائهم وهداهم أو شكوا فى ذلك بل ولو ظهر لهم عدم عقلهم وعدم هدايتهم (قوله والحمزة للانكار) أى والتوبيخ والتعجب ، والمعنى لا يلبق منكم ذلك (قوله ومثل الذين كفروا) أى المدعويين وقوله ومن يدعوه أى كالأنباء فقد حذف الداعى من هنا وذكر ما يدل عليه بقوله كمثل الذى ينطق والمعنى أن مثل الكفار فى عدم سماع المعاصى والآيات والبراهين القطعية ومثل داعيهم وهو النبي فى تكرار الواعظ والآيات كمثل راع يرشد البهائم الوحشية بصوته إلى مصالحها فكما أن البهائم الوحشية لا تنفع فيها الصوت ولا تفهمه ولا تعقل معناه بل لا يرشدها إلا الضرب مثلا كذلك الكفار لا تنفع فيهم للواعظ والآيات بل جزاؤهم فى الدنيا السيف وفى الآخرة النار وعذابها (قوله بما لا يسمع) الباء بمعنى على (قوله ونداء) عطف مرادف (قوله كالبهائم) أى الوحشية وإلا فالإنسية ربما تسمع صوت راعيها وتزجر به (قوله هم صم) أشار بذلك إلى أن صم وما عطف عليه خبر لمبتدأ محذوف وقوله صم : أى لا يسمعون الواعظ ولا يزجرون بها وقوله بكم أى لا ينطقون بالحق وقوله عمى أى لا ينظرون الهدى ولا يتبعونه وإن كانت صورة الحواس موجودة (قوله فهم لا يعقلون) نتيجة ما قبله .

[تنبيه] ماحل به الفسر هذه الآية هو أظهر التفاسير لأنهم اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مثل ما قال الفسر ومنهم من قال إن اللئى مضروب تشبيه (٧٢) الكفار فى دعائه للأصنام بالناعق على البهائم ومنهم من قال غير ذلك (قوله

(أ) يتبعونهم (وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا) من أمر الدين (وَلَا يَهْتَدُونَ) إلى حق والحمزة للانكار (وَمَثَلُ) صفة (الَّذِينَ كَفَرُوا) ومن يدعوه إلى الهدى (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ) يصوت (بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) أى صوتا ولا يفهم معناه أى هم فى سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه ، هم (صُمُّ بَكْمٌ عَمَى قَهْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) الموعظة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ) حلال (مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ) على ما أحل لكم (إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ) أى أكلها إذ الكلام فيه وكذا ما بعدها وهى ما لم يذك شرعا وألحق بها بالسنة ما أئين من حى وخص منها السمك والجراد (وَاللَّهُمَّ) ،

يأياها الذين آمنوا) جرت عادة الله فى كتابه غالبا مناداة أهل مكة بيايها الناس ومناداة أهل المدينة بيايها الذين آمنوا (قوله حلال) أى مستلذة كانت أولا أو المراد المستلذات وتقدم ذلك ويطلق الطيب فى غير المأكولات على الظاهر

أى

قال تعالى - فقيموا صعيدا طيبا - وقوله من طيبات

من تبعيضية فى موضع المفعول والأمر للوجوب بالنسبة لاقامة البنية وللتدب بالنسبة للاستعانة على أمور مندوبة وللإباحة إن كان تفكها أوتبسطا (قوله مارزقناكم) يصح أن تكون مامصدرية : أى من طيبات رزقنا إياكم أو اسم موصول والجملة صلة أو نكرة موصوفة والجملة صفة : أى من طيبات التى الذى رزقناكموه أو شئ رزقناكموه ، ويؤخذ من ذلك أن الرزق بعضه حلال وبعضه غير سلال وهو مذهب أهل السنة ، قال فى الجوهرة :

فيرزق الله الحلال فاعلموا ويرزق المكروه والمحرم

(قوله واشكروا لله) أى اعتقدوا أن النعم صادرة لكم من الله وهو بذلك المعنى واجب إنكاره كفر أو المعنى راقبوا فى كل لحظة أن كل نعمة من الله وهو بهذا المعنى مندوب لأن هذا مقام الخواص (قوله إن كنتم إياه تعبدون) إن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة تعبدون خبرها وإياه مفعول تعبدون قدم رعاية للقواصل وللحصر وجواب الشرط محذوف دل عليه الأمر : أى فكلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله (قوله إنما حرم عليكم الميتة) المتصود من هذا الحصر ارد على من حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وعلى من أحل بعض المحرمات فالحصر إضافى (قوله وهو ما لم يذك شرعا) أى إما لكونها لا تعمل فيه أصلا كالبعال والحير أو تعمل فيه ولكن لم يذك كالأنعام إجماعا والحيل على مذهب الشافعى (قوله ما أئين من حى) أى فهو ميتة (قوله وخص منها السمك والجراد) أى لما فى الحديث «أحل لنا ميتتان ودم من السمك والجراد والكبد والطحال » وإنما أحل الكبد والطحال المتفصلان من الحيوان بعد دكاته شرعا لكونهما ليسا من الدم المسفوح .

(قوله أى السفوح) أى ولو من سمك خلافا لأبى حنيفة ومن هنا اختلف فى الفسيخ فقال الأئمة الثلاثة بحرمته أسكه وبيعه للشرب بعضه من دم بعض حين تكديسه وقال أبو حنيفة بطهارته لأنه لادمه أصلا وإنما الذى ينزل منه دهن لاقم بدليل أنه لو نشف لصار أبيض لا أحمر وقال أستاذنا العارف بالله تعالى شيخنا الشيخ الردير الذى أدين الله به أن الفسيخ بجميع أجزائه طاهر يجوز أكله وأما لو نشف بحيث لم يسلم منه دم كالمسك السالح فهو طاهر حلال باجماع (قوله كما فى الأنعام) أى فى صورة الأنعام فى قوله تعالى - قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما - الآية هذا يقيد بما هناك (قوله ولحم الخنزير) أى البرى إنسيا أو وحشيا وأما البحرى فهو حلال وكلبه كذلك (قوله وغيره تبع له) ظاهره حتى الشعر ولكن مذهب مالك حل لبسه والارتفاع به (قوله والاهلال رفع الصوت) أى فقد مى الشئ باسم صاحبه ولذلك يقال استهل المولود بمعنى صاح عند الولادة وسمى الهلال بذلك لرفع الصوت عند رؤيته (قوله فمن اضطر) هذا كالا - تدراك على عموم قوله إنما حرم عليكم الميتة (قوله غير باغ) حال من الضمير فى اضطر (قوله لأوليائه) أى الذين أكلوا عن اضطرار (قوله حيث وسع لهم فى ذلك) أى فأباح لهم أكلها والشبع منها حيث كانت الخمصة دائمة وأجمعت الأئمة على ذلك واختلفوا إذا لم تدم الخمصة فرجع مالك الشبع والتزود وذكر غيره قولين وعلى كل فاذا استغنى عنها طرحها ويقدم الميتة ومأهل به لغير الله فى الأكل على لحم الخنزير (٧٣) (قوله وعليه الشافعى) أى لمذهب الشافعى أن العاصى بسفره لا يأكل من الميتة إلا إن تاب وأما مذهب مالك وأبى حنيفة أن العاصى بسفره له الأكل من الميتة وإن لم يتب وفسر قوله غير باغ أى غير طالب للميتة ومأمعه وهو يجد غيرها وغير عاد أى متعد ما حل الله وقيل غير مستحل لها (قوله إن الذين يكتُمون) أى ما أنزل الله من الكتاب (قوله لا يشتركون به) أى الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم (أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) لأنها ماله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) غضبا عليهم (ولا يزكّيهم) يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) مؤلم هو النار (أولئك الذين اشتروا الضلالة

أى السفوح كما فى الأنعام (وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ) خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له (وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغير الله) أى ذبح على اسم غيره والإهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لأنهم (فَمَنْ اضْطُرَّ) أى أُلْجَأُهُ الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فأكله (غَيْرِ بَاغٍ) خارج على المسلمين (وَلَا عَادٍ) متمد عليهم بقطع الطريق (فَلَا إِنَّمِ عَلَيْهِ) فى أكله (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بأهل طاعته حيث وسع لهم فى ذلك وخرج الباغى والعادى ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ) المشتمل على نعت محمد وهم اليهود (وَيَشْتَرُونَ بِهِ نَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم (أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) لأنها ماله (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) غضبا عليهم (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من دنس الذنوب (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ

أى السفوح كما فى الأنعام (وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ) خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له (وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغير الله) أى ذبح على اسم غيره والإهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لأنهم (فَمَنْ اضْطُرَّ) أى أُلْجَأُهُ الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فأكله (غَيْرِ بَاغٍ) خارج على المسلمين (وَلَا عَادٍ) متمد عليهم بقطع الطريق (فَلَا إِنَّمِ عَلَيْهِ) فى أكله (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بأهل طاعته حيث وسع لهم فى ذلك وخرج الباغى والعادى ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ) المشتمل على نعت محمد وهم اليهود (وَيَشْتَرُونَ بِهِ نَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم (أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) لأنها ماله (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) غضبا عليهم (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من دنس الذنوب (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ

علماء اليهود وقد كانوا يأخذون من سفلتهم مالا وكانوا يودّون أن نبى آخر الزمان يكون منهم فلما بعث رسول الله من غيرهم خافوا أن رياستهم تذهب بسبب ظهوره واتباع سفلتهم له فينقطع ما كان يصلهم من سفلتهم فغيروا صفته وصفة أصحابه وبلده حرصا على الرياسة وعلى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم قال تعالى - يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأتى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون - (قوله المشتمل على نعت محمد) أى فالكتاب مشتمل على أمور كثيرة منها نعت محمد ومنها غيره فالغير إنما هو المشتمل على نعت محمد لجميع ما فى الكتاب (قوله يأخذونه بدله) أى يأخذون الثمن بدل الكتاب بمعنى أن الحامل لهم على الكتاب إنما هو العوض الغافى الذى يأخذونه من سفلتهم وليس المراد أنهم قالوا لهم خذوا هذا المال واكتموا وصف محمد (قوله خوف فوته) أى الأمر الدينوى عليهم (قوله إلا النار) أى سببها كما يشير له قول المفسر لأنها ماله أى مأواه وعاقبة أمره فيه عذاب الأول (قوله ولا يكلمهم الله) أى كلام رضا بل يكلمهم كلام غضب (قوله غضبا عليهم) أى من أجل غضبه عليهم أى طرده لهم وإعدام من رضاه (قوله يطهرهم من دنس الذنوب) أو المعنى لا يشهد لهم بالطهارة يوم القيامة (قوله ولهم عذاب أليم) هذا بيان حالهم فى الآخرة وهو عدم كلام الله لهم المترتب على كتمانهم وعدم لمهارة الله لهم المترتب على اشتراطهم غنا قليلا والعذاب الأليم المترتب على أكلهم سبب النار (قوله أولئك الذين اشتروا

(قوله الهدى) الباء داخله على التثنية أى فتدتر كوا الهدى وأخذوا الصلاة بدله (قوله لولم يكتموا) لو شرطية وجوابها محذوف تقديره ما اشتروا العذاب بالمغفرة (قوله فما أصبرهم على النار) الأحسن أن ما نسكرة تامة مبتدأ والجملة بعدها فى محل رفع خبر والمعنى شئ أصبرهم على النار فأصبر فعل تعجب والفاعل مستتر وجوبا والماء فاعول وقيل استفهامية فيها معنى التعجب والاعراب واحد وقيل اسم موصول وما بعده صلتها والخبر محذوف وقيل نسكرة موصوفة وما بعده صفتها والخبر محذوف (قوله أى ما أشد صبرهم) هذا حل معنى لا إعراب (قوله وهو تعجب للمؤمنين) جواب عن سؤال مقدر ، حاصله أن التعجب هو استعظام شئ خفى سببه وذلك مستحيل على الله تعالى لأنه لا يخفى عليه خافية فأجاب بأن التعجب واقع من المؤمنين فالمعنى تعجبوا أيها المؤمنون من صبر هؤلاء على موجبات النار التى من جعلتها الكتمان وأخذهم الثمن القليل وغير ذلك من غير مبالاة (قوله وإلا فأتى صبر لهم) أى وإلا تقدر موجبات بل لو أبقينا الكلام على ظاهره بالإصحح ذلك لأنه ليس لأحد صبر على ذات النار (قوله الذى ذكر) أى وهو أمور ستة أكملهم سبب النار وعدم كلام الله لهم وعدم تركيتهم والعذاب الأليم واشتراؤهم صلاة بالهدى والعذاب بالمغفرة (قوله نزل الكتاب) المراد به التوراة باتفاق المفسرين وإنما الخلاف فى الكتاب الثانى (قوله فاختلفوا فيه) قدره للمفسر لتمام الفائدة وإلا فالسبب ليس نزول الكتاب بالحق فقط (قوله وكفروا ببعضه) أى فما وافق هواهم آمنوا به وما خالفه كتموه وقالوا لم ينزل (٧٤) ربنا (قوله وهم اليهود) أى فالمراد بالكتاب التوراة والآية من تمام ما قبلها

(قوله وقيل المشركون) أى فهو كلام مستأنف والكتاب هو القرآن (قوله حيث قال بعضهم شعر) هذا هو وجه الاختلاف (قوله بعيد عن الحق) أى فمن آمن ببعض وكفر بالبعض لم يصادف الحق بل هو بعيد عنه ومن قال من المشركين إنه شعر أو سحر أو كهانة أو غير ذلك لم يصادف الحق بل هو

بِالْهُدَى) أَخَذُوهَا بِدَلِّهِ فِي الدُّنْيَا (وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) الْمَعْدَةُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَوْلَمْ يَكْتُمُوا (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) أَيْ مَا أَشَدَّ صَبْرَهُمْ وَهُوَ تَعْجِيبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ارْتِكَابِهِمْ مَوْجِبَاتِهَا مِنْ غَيْرِ مِبَالَاةٍ وَإِلَّا فَأَتَى صَبْرَ لَهُمْ (ذَلِكَ) الَّذِى ذَكَرَ مِنْ أَكْلِهِمُ النَّارَ وَمَا بَعْدَهَا (بِأَنَّ) بِسَبَبِ أَنْ (اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) مُتَعَلِّقٌ بِنَزْلِ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ حَيْثُ آمَنُوا بِبَعْضِهِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ بِكُتْمِهِ (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ) بِذَلِكَ وَهُمْ الْيَهُودُ وَقِيلَ لِلْمَشْرُكِينَ فِي الْقُرْآنِ حَيْثُ قَالَ بَعْضُهُمْ شِعْرٌ وَبَعْضُهُمْ سِحْرٌ وَبَعْضُهُمْ كِهَانَةٌ (لَفِي شِقَاقٍ) خِلَافٍ (بَعِيدٍ) عَنِ الْحَقِّ (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ) فِي الصَّلَاةِ (قِيلَ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَيْثُ زَعَمُوا ذَلِكَ (وَلَكِنَّ الْبِرَّ) أَيْ ذَا الْبِرِّ وَقُرَى بِفَتْحِ الْبَاءِ أَيْ الْبَارِ (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ) أَيْ الْكِتَابِ (وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى

فى بعد عنه وبهذه الآية تم الرد على جميع من كفر كان من اليهود أو المشركين (قوله ليس البر أن تولوا وجوهكم) هذا ابتداء نصف السورة الثانى وهو متعلق بتبيين غلب أحكام الدين ، وأما النصف الأول فهو متعلق بأصول الدين وقبائح اليهود والبر بالنصب والرفع قراءة ثان سبعتان فمن نصب جعله خبرا ليس مقدما وأن تولوا فى تأويل مصدر اسمها مؤخر ومن رفع جعله اسمها وأن تولوا خبرها والبر اسم جامع لكل خير كما أن الاتم اسم جامع لكل شر (قوله نزل ردا على اليهود والنصارى) أى فقد زعم النصرارى أن البر فى استقبال جهة طلوع الشمس وزعم اليهود أن البر فى استقبال بيت المقدس فالمراد بالمغرب ماعدا المشرق فى شمل جهة الشمال وقيل بكسر القاف وفتح الباء ظرف مكان معناه جهة وقيل نزل ردا على المسلمين وكانوا فى صدر الاسلام أمروا بالإيمان بالله والصلاة فقط لأى جهة كانت فالمعنى ليس البر كما تعتقدون أنه مقصور على الإيمان والصلاة فقط بل هو من جمع هذه الحاصل والأظهر الأول (قوله أى ذا البر) قدر ذا إشارة إلى أن من اتصف بهذه الحاصل يسمى بارا لا برا وبالجملة يقال فيه ما قيل فى زيد عدل وقيل إن برا اسم فاعل أصله برر نقلت كسرة الراء إلى الباء ثم أدغمت إحدى الراءين فى الأخرى (قوله من آمن بالله) أى صدق قلبه ونطق بلسانه أن الله يجبه كل كمال ويستحيل عليه كل نقص (قوله واليوم الآخر) أى مع ما يتعلق به من الحشر والنشر والصراف واليزان والجنة والنار وما فيهما من الثواب والعقاب (قوله والملائكة) أى بأنهم عباد مكرمون أجسام نورانية لا يوصفون بكورة ولا أنوثة لا يهتدون أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (قوله أى الكتب) أى الملتزمة من عند الله على أنبيائه (قوله والنبيين) أى إجمالا فى الإجمالى وتفصيلا فى التفصيلى فيجب الإيمان بخمسة وعشرين منهم وهم المذكورون فى القرآن

(قوله مع حبه له) أى اللال بأن يعطيه مع كونه يحبه لنفسه ويحتمل أن المعنى مع حبه لله أى يعطى السالم مع كونه يحب وكل صحيح (قوله لأقربة) أى فاعطاء الأقارب مقدم لأن فيه قربتين الصدقة وصلة الرحم (قوله واليتامى) أى الفقراء منهم وهم من مات آباؤهم قبل بلوغهم (قوله والمساكين) المراد ما يشمل الفقراء وهم المحتاجون (قوله المسافر) أى الغريب ولومليابله (قوله الطالبين) أى مطلقا لما فى الحديث « أعطوا السائل ولوجاء على فرس » (قوله للكاثرين) أى ليستعينوا على فك رقابهم من الرق (قوله والامرى) أى ليستعينوا على خلاص أنفسهم من الكفرة (قوله المفروضة) أى ومن المعلوم أن لها أصنافا مذكورة فى الفقه تصرف لها (قوله والوفون بمهدم) أى وهم من إذا وعدوا أتجزوا وإذا نفروا أوفوا وإذا حلفوا لم يحنثوا فى إيمانهم وإذا قالوا صدقوا فى أقوالهم وإذا اتهموا لم يحنثوا والوفون معطوف على من آمن التقدير ولكن البر المؤمنين والوفون (قوله نصب على الدح) أى فضل محذوف تقديره وأمدح الصابرين وخصهم بالذكر لأن الصبر يزين العبادة وتركه يشينها (قوله شدة الفقر) أى فلا يشكون لأحد غير الله لأنه يجب للمحسين فى الدعاء (قوله وقت شدة القتال) أى فلا يفتر من الأعداء (قوله الوصفون بما ذكر) أى بجميع هذه الخصال قال بعضهم لا تكون هذه الخصال جميعها إلا فى الأنبياء وقال بعضهم لا مانع أن تكون فى غيرهم (قوله أودعاء البر) أى فعنى الصدق هنا الصدق فى الأقوال فإذا أخبروا بشئ فهم صادقون فيه (قوله وأولئك هم المتقون الله) أى الكاملون فى التقوى (قوله فرض عليكم) . إن قلت إن مقتضى الفرض أنه متحتم (٧٥) لا يجوز العدول عنه وهو مخالف لما يأتى . أجيب بأن

مع (حبه) له (ذوى القربى) القرابة (واليتامى) والمساكين (وَأَبْنِ السَّبِيلِ) المسافر (وَالطَّالِبِينَ) الطالبين (وَفِي) فك (الرَّقَابِ) المساكين والأمرى (وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ) المفروضة وما قبله فى التطوع (وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) الله أو الناس (وَالصَّابِرِينَ) نصب على المدح (فِي الْبَأْسَاءِ) شدة الفقر (وَالضَّرَاءِ) المرض (وَحِينَ الْبَأْسِ) وقت شدة القتال فى سبيل الله (أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر (الَّذِينَ صَدَقُوا) فى إيمانهم أودعاء البر (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الله (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ) المائلة (فِي الْقَتْلِ) وصفا وفعلا (الْحُرُّ) يقتل (بِالْحَرْ) ولا يقتل بالعبد (وَالْعَبْدُ بِالْأَنْثَى وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى) وبينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المائلة فى الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو حرا (فَنَنْعِقُ لَهُ) من القاتلين (مِنْ) دم (أَخِيهِ) المقتول (شَيْءٌ) بأن ترك القصاص منه وتنكير شئ يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ،

التصاص) نائب فاعل كتب وقوله فى القتل أى بسببها فى السببية على حد دخات امرأة النار فى هرة حبستها. والقتلى جمع قتيل (قوله المائلة) أى التماثل فى الوصف والفعل وهذا هو المراد به هنا وإلا فالقصاص فى الأصل القود وهو قتل القاتل (قوله وصفا) أى يشترط التماثل فى الوصف بأن يكون مماثلا له فى وصفه من حرية وإسلام وبالجملة فالمدار فى القصاص على كون القاتل مثل المقتول أو أدنى فإن كان أعلى منه إما بالدين أو الحرية فلا قود (قوله وفعلا) أى فلو قتل بسيف فإنه يقتل به أو بغيره بغيره (قوله ولا يقتل بالعبد) أى بل يلزمه قيمته ويضرب مائة ويحبس سنة كما يقته السنة (قوله والعبد بالعبد) أى إن طلب سيد المقتول انقصاص وإلا فله إما قيمة القاتل أو المقتول أو ذات القاتل والخيار فى ذلك لسيد القاتل (قوله وأن الذكر يقتل بالأنثى) أى وبالعكس (قوله وأنه تعتبر المائلة) معطوف على أن الذكر مسلط عليه قوله وبينت السنة (قوله فلا يقتل مسلم الخ) أى فلا سلام أعلى من الحرية وعكسه يقتل به (قوله فمن عفى له) هذا تقييد لما قبله وسيأتى للفسر أن من يصح أن تكون شرطية وموصولة فالمعنى على الثانى فالشخص الذى ترك له شئ من دم أخيه فاتباع بالدية بالمعروف وقرن بالفاء لما فى المبتدأ من معنى الشرط وعلى الأول فأتى شخص ترك له الخ فقد بطل القتل فلا مطالبة به (قوله من القاتلين) بيان لمن (قوله من دم أخيه) شار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله المقتول) وصف للأخ (قوله عن بعضه) أى القصاص ولو شيئا يسيرا كشره وذلك كما إذا كان الولي واحدا وفعلا عن بعض القصاص .

(قوله ومن بعض الورثة) أى ولو كان العاقب واحداً من ألف مثلاً ولم يبق نصيبه من الدية (قوله تعطف) أى من الله (قوله لا يقطع أخوة الإيمان) أى خلافاً للخوارج القائلين بقطع الإيمان بالمعاصي (قوله والخبر فاتباع) أى جملته من البتداء والخبر الذى قدره المفسر بقوله فعلى العاقب اتباع (قوله بالمعروف) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لاتباع أى اتباع ملتبس بالمعروف (قوله وترتيب الاتباع على العفو) أى بعد ذكر وجوب القصاص (قوله أن الواجب أحدهما) أى القصاص أو الدية فالدية واجب مستقل مقابل للقصاص (قوله وهو أحد قولى الشافعى) أى ومالك أى فأحد قوليهما أن الواجب أحدهما فإذا كان عفا على الدية وامتنع من إعطائها فله جبره على الدية ولا يقتل (قوله والثانى الواجب القصاص الخ) أى فالحيار للأولياء وثلاثة : إما القصاص أو العفو على الدية أو جانا فلو عفا على الدية وامتنع القاتل من دفعها فلا ولياً إما قتله أو العفو جانا وهذا هو المرتضى فى للذهنين (قوله فلا شيء) أى على هذا القول وأما على الأول فيلزمه الدية (قوله والعفو عنه لاطى الدية) أى أو جانا كما بينته السنة (قوله بأن قتله بعد ذلك) أى حيث ترك (٧٦) حقه لاحقاً له (قوله ولكم فى القصاص) هذا هو حكمة القصاص

(قوله بقاء عظيم) أى للقاتل والمقتول (قوله يا أولى الألباب) جمع لب وهو العقل الكامل (قوله فشرع) تفريع على بيان الحكمة وأخره تتعلق لعلكم تتقون به (قوله مخافة الموت) أى مخافة أن يقتص مسكم (قوله أى أسبابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمراد بأسبابه علامات كالأمراض الشديدة والجراحات التى يظن منها الموت عادة (قوله إن ترك خيراً) شرط فى الشرط الذى هو إذا (قوله مالا) سماه خيراً إشارة إلى أنه يفنى أن يكون حلالاً طيباً (قوله

ومن بعض الورثة وفى ذكر أخيه تعطف داع إلى العفو وإيدان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر (فاتباع) أى فعلى العاقب اتباع للقاتل (يا لمعروف) بأن يطالبه بالدية بلا عتف وترتيب الاتباع على العفو فيفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولى الشافعى والثانى الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسما فلا شيء ورجح (و) على القاتل (أدلاء) للدية (إليه) أى العاقب وهو الوارث (يا خسان) بلا مطلق ولا بنحس (ذلك) الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية (تخفيف) تسهيل (من ربكم) عليكم (ورحمة) بكم حيث وسع فى ذلك ولم يحتم واحداً منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية (من اعتدى) ظلم القاتل بأن قتله (بعد ذلك) أى العفو (فله عذاب أليم) مؤلم فى الآخرة بالنار أو فى الدنيا بالقتل (ولكم فى القصاص حياة) أى بقاء عظيم (يا أولى الألباب) ذوى العقول لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع (لعلكم تتقون) القتل مخافة القود (كتب) فرض (عليكم إذا حضر أحدكم الموت) أى أسبابه (إن ترك خيراً) مالا (الوصية) مرفوع يكتب ومتعلق إذا إن كانت ظرفية ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب إن أى فليوص (لوالدين والأقربين بالمعروف) بالعدل بأن لا يزيد على الثلث ولا يفضل الفنى (حقاً) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (على المتقين) الله وهذا منسوخ بآية الميراث ومحدث «لا وصية لوارث» رواه الترمذى (من بدله) ،

مرفوع بكتب) أى دل أنه نائب الفاعل ولم توجد فى الفعل علامة التانيث لوجود الفاعل سماع كونه جازى التانيث كقولهم طلع فى النهار الشمس (قوله إن كانت ظرفية) أى محضة لم يكن فيها معنى الشرط بل المراد منها الوقت والزمن . إن قلت الوصية إما مصدر أو اسم مصدر والمصدر أو اسمه لا يتقدم معموله عليه . أحجب بأنه يتوسع فى الظروف مالا يتوسع فى غيرها (قوله وجواب إن) بالجر معطوف . جوابها أى ودالة على جواب إن وقوله أى فليوص هذا هو جواب إذا وإن (قوله لوالدين) متعلق بالوصية وقوله والأقربين عطف عام على خاص (قوله مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله) أى حيث صر بقوله كتب على حد زيد أبوك عطوفاً واستشكل بأن المصدر اللؤك لا يعمل مع أنه عامل فى قوله على المتقين فالأحسن أن يجعل مصدراً مينا للنوع إلا أن يقال يتوسع فى الظروف والمجبررات مالا يتوسع فى غيرها لأنه يكتفى فيها بأى عامل ولو ضعيفاً (قوله وهذا منسوخ) أى الحكم لا التلاوة فحكمها حكم القرآن (قوله بآية الميراث) أى قوله تعالى - يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - الآيات (قوله لا وصية لوارث) صدره إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية الخ .

(قوله أى الإيضاء) أى أو العرف أو الوصية (قوله من شاهد ووصى) بيان لمن (قوله علمه) أى ولو لم يسمعه من الوصى (قوله أى الإيضاء للبدل) أو العرف (قوله فيه إقامة الظاهر إلخ) أى مع مراعاة معنى من ولو راعى لفظها لقال على الذى بدله ولو أنصر لقال عليه (قوله فن خاف) الأحسن أن هذا الحكم عام فهو غير منسوخ ويؤخذ هذا من تقديم المفسر قوله وهذا منسوخ عليه (قوله مخففاً ومثقلاً) أى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد (قوله خطأ) حمله على ذلك عطف قوله أو إنما عليه وإلا فالخلف فى الأصل الميل عن الحق مطلقاً (قوله بين الوصى والوصى له) أى إن أدرك وهو حى وحصل إصلاح قالاتم مرتفع وإلا فعليه الإثم ويبطل ما زاد على الثالث (قوله بأيتها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين من أهل المدينة لكن المراد العموم (قوله الصيام) هو لغة الإمساك ومنه إنى نذرت للرحمن صوماً أى إمساكاً عن الكلام ومنه أيضاً :

* خيل صيام وخيل غير صائمة * أى ممسكة عن الجرى وغير ممسكة عنه واصطلاحاً الإمساك عن شهوى البطن والفرج يوماً كاملاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى (قوله من الأثم) أى وأنبأهم من

آدم إلى نبينا لكن لا كصومنا من كل وجه فالتشبيه فى الفرضية لا الكيفية والثواب وحكمة ذكر التشبيه التأكيد فى الأمر والتسلي بمن قبلنا لأن فى الصوم نوع صعوبة (قوله فانه يكسر الشهوة) أى لما فى الحديث « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض البصر وأحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » أى قاطع للشهوة كانه يقطع بالخصى (قوله نصب بالصوم) أى على أنه ظرف

أى الإيضاء من شاهد ووصى (بِمَدِّ مَا سَمِعَهُ) علمه (فَإِنَّمَا إِثْمُهُ) أى الإيضاء للبدل (عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقول الوصى (عَلِيمٌ) بفعل الوصى فجاز عليه (فَنَ خَافَ مِنْ مُوصٍ) مخففاً ومثقلاً (جَنَفًا) ميلاً عن الحق خطأ (أَوْ إِنَّمَا) بأن تعتمد ذلك بالزيادة على الثالث أو تخصيص غنى مثلاً (فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ) بين الوصى والوصى له بالأمر بالعدل (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فى ذلك (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بأيتها الذين آمنوا كُتِبَ فرض (عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) من الأثم (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) المعاصى فإنه يكسر الشهوة التى هى مبدؤها (أَيَّامًا) نصب بالصيام أو بصوموا مقدراً (مَعْدُودَاتٍ) أى قلائل أو موثقات بعدد معلوم وهى رمضان كما سيأتى وقوله تسهيلاً عن المكافين (فَنَ كَانَ مِنْكُمْ) حين شهوده (مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أى مسافراً سفر القصر وأجهد الصوم فى الحالين فأفطر (فَعِدَّةٌ) فعليه عدة ما أفطر (مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) يصومها بدله (وَعَلَى الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَهُ) لكبر أو مرض لا يرجى برؤه (فِدْيَةٌ) هى (طَعَامُ مَسْكِينٍ) أى قدر ما يأكله فى يومه وهو مذ من غالب قوت البلد لكل يوم وفى قراءة بإضافة فدية وهى للبيان وقيل لا غير مقدرة وكانوا يخيرين فى صدر الإسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ ،

له أى الصيام فى أيام وقوله أو بصوموا مقدراً أى دل عليه قوله الصيام وهو الأحسن (قوله معدودات) أى أقل من أربعين إذ العادة فى لغة العرب متى ذكر لفظ العدد يكون المراد به ذلك (قوله أو موثقات) هذا هو الأولى ليعلم منه تعيينها وقيل معنى معدودات معدات للعطايا الربانية فالصالحون يتهاون لها لما فى الحديث « إن لله فى أيام دهركم نحات فتعرضوا لها » وأيضاً فيه ليلة خبر من ألف شهر وغير ذلك من فضائل المشهورة (قوله تسهيلاً على المكافين) أى ليقدموا عليها قال تعالى - يريد الله بكم اليسر - الآية (قوله أو على سفر) أى ملتبساً به (قوله فى الحالين) أى المرض والسفر وهذا ظاهر بالنسبة للمرض لأن السفر فإن السر يباح له الفطر وإن لم يجهد الصوم لكن الصوم أفضل له فى هذه الحالة ولا فرق فى السفر بين كونه براً أو بحراً (قوله أخر) بالجمع صفة لأيام ممنوع من الصرف للوصفية والعدل ولم يقل أخرى مع صحته لتوهم كونه صفة لعدة مع أنه ليس مراداً (قوله لا يرجى برؤه) أى كمرض القسبة والجذام (قوله هو طعام) أشار بذلك إلى أن فدية بالتناول وطعام خبر لمبتدأ محذوف بيان لفدية (قوله وفى قراءة بإضافة فدية) أى مع جمع مسكين وأما الأولى ففيها وجهان الأفراد والجمع (قوام وقيل لا غير متمرة) هذا مقابل ما حل به المفسر فعلى الأول لآية محكمة وعلى الثانى منسوخة

(قوله بتعيين الصوم) أى ولا يقبل منه فدية بعد ذلك والتمسك له جعداً كافر أو كسلاً يؤخر له مدار النية قبل الفجر فإن لم يبنو قتل حدّاً (قوله خوفاً على الولد) أى فأنهما يقضيان ويفتديان ، وأما على أنفسهما فقط أو للولد فإن عليهما القضاء لا غير (قوله بالزيادة على القدر المذكور) أى بأن زاد على الد أو فى عدد الساعات (قوله مبتدأ) أى مؤول بمصدر تقديره صياحكم (قوله فافعلوه) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله شهر رمضان) خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله تلك الأيام . واعلم أن أسماء الشهور أعلام أجناس ورمضان ممنوع من الصرف للعينية وزيادة الألف والنون لأنه من الرمض وهو الاحراق لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها وسمى الشهر شهراً لاشتهاره لمنافع الناس فى دينهم ودنياهم وسيأتى إيضاحه فى قوله تعالى - يسألونك عن الأهلة - (قوله القرآن) هو لغة من القرء وهو الجمع واصطلاحاً اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته للعجاز بأقصر سورة منه (قوله فى ليلة القدر منه) أى فقد حوى رمضان مرتين نزول القرآن فيه ووجود ليلة القدر به وليلة القدر به هى المعنية بقوله تعالى - إنا أنزلناه فى ليلة مباركة - . والحاصل أن جبريل تلقاه من اللوح المحفوظ ونزل به إلى معاء الدنيا فأملأه للسفرة فكتبته فى الصحف على هذا الترتيب ومقرها بيت العزة فى معاء الدنيا ثم نزل به على النبي فى ثلاث وعشرين سنة مفرقاً على حسب الوقائع فجبريل أملى السفرة ابتداء وتلقى عنها انتهاء والحكمة فى نزوله مفرقاً تثبيته فى قلبه وتجديد الحجج على العاندين وزيادة إيمان المؤمنين (٧٨) قال تعالى - وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك

لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً - وقال تعالى - وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً - وقال تعالى - وقرآننا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً - وتلك الليلة التى نزل فيها القرآن ليلة أربع وعشرين . واعلم أن ليلة القدر

بتعيين الصوم بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه . قال ابن عباس إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد فإنها باقية بلا نسخ فى حقهما (قَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا) بالزيادة على القدر المذكور فى الفدية (فَهُوَ) أى التطوع (خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا) مبتدأ خبره (خَيْرٌ لَكُمْ) من الإفطار والفدية (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فافعلوه ، تلك الأيام (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر منه (هُدًى) حال هادياً من الضلالة (لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ) آيات واضحة (مِنْ الْهُدَى) بما يهدى إلى الحق من الأحكام (وَ) من (الْفُرْقَانِ) مما يفرق بين الحق والباطل (قَمَنْ شَهِدَ) حضر (مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) تقدم مثله وكرر لثلاث يوم نسخه

تكون فى رمضان وقد تنتقل عنه لغیره لكن الغالب كونها فى رمضان والغالب كونها فى العشر الآخر منه والغالب كونها فى الأوتار هذا مذهب مالك وذهب الشافعى إلى أنها لا تنتقل عن رمضان بل هى ملازمة له والغالب كونها فى العشر الآخر منه والغالب كونها فى الأوتار خصوصاً إذا صادف الوتر ليلة جمعة (قوله هادياً) ويصح أن يبقى على مصدريته والوصف به مبالغة ويصح أن يكون على حذف مضاف أى ذوهدى على حد زيد عدل (قوله من الضلالة) أى الكفر (قوله وبيّنات) معطوف على هدى من عطف الخاص على العام لأن الهدى بعضه ظاهر واضح كآية الكرسي والاخلاص وغير ذلك وبعضه غير واضح قال تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات إلى أن قال كل من عند ربنا فالإيمان بكل آية هدى واضحة أولاً (قوله مما يفرق بين الحق والباطل) أى فيه آيات بينات مصحوبة بالأدلة القطعية التى تقنع الخصم كقوله تعالى إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار وقوله تعالى أم من يجيب المضطر إذا دعاه الآيات وعطف الفرقان على الهدى من عطف الخاص على العام فكل أخص مما قبله الهدى صادق بالواضح وغيره كان معه دليل أم لا والبيّنات من الهدى صادقة بـ وجود الحجج معها أم لا والفرقان هو الآيات البينات التى معها حجج (قوله فمن شهد منكم الشهر) إن كان المراد به الأيام فالمعنى شهد بعضه وإن كان المراد به الهلال فالمعنى علمه إما بأن يكون رآه أو ثبت عنده وقوله فليصمه أى الشهر بمعنى الأيام وعلى كل ففيه استخدام على كل حال لأنه ذكر الاسم الظاهر بمعنى وأعاد عليه الضمير بمعنى آخر والخطاب للكل القادر غير المعذور (قوله مرضاً) أى مرضاً شديداً يشق معه الصوم (قوله أو على سفر) أى سفر قصر وتلبس به قبل الفجر والمعنى فأفطروا فطعمهم عدة

(قوله بتعميم من شهد) أى فان لفظ من يم المسافر وغيره والريض وغيره (قوله ولا يريد بكم الصبر) عطف لازم على لازم (قوله في المرض والسفر) أى وما والاها من الأعذار المبيحة للفطر التى نص عليها الفقهاء (قوله في معنى العلة أيضا للأمر بالصوم) أى فهو علة الأمرين الأول جواز الفطر للريض والمسافر الثانى التوسعة في القضاء فلم يجب زمن معين ولا تتابع ولا مبادرة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى عدة صوم رمضان) يحتمل أن المعنى من جهة قضائه أى أردت بكم اليسر لتكفوا قضاءه إذا فاتكم لعذر فاذا فاتكم شهر رمضان مثلا فاقضوا شهرا إن كاملا فكاملا وإن ناقصا فناقصا ويحتمل أن المعنى من جهة صوم رمضان الحاضر أى أردت بكم اليسر لتكفوا عدة رمضان ولا تنقصوها إلا لعذر كمرض وسفر فلا بأس بالفطر لذلك وهذا مرتب أيضا على قوله يريد الله بكم اليسر فالعنى أبحت لكم الفطر في السفر والمرضى لإرادة اليسر بكم وكففتكم بالصوم مع اليسر وأبحت لكم الفطر في المرض والسفر لتكمل منكم العدة إما في رمضان أو في أيام آخر (قوله ولتكبروا لله) أى يوم العيد وهو يوم اكمال العدة وينت السنة كيفية التكبير (قوله على ذلك) أى على التكليف مع اليسر (قوله وسأل جماعة) هذا إشارة من المفسر لسبب نزول الآية (قوله فنناجيه) أى نسايره أى ندعوه سرا ولا نجهر بالدعاء (قوله فنناديه) أى ندعوه جهرا والنعلان يصح فيها النصب بأن مضرة بعد فاء السببية لوقوعهما في جواب الاستفهام والرفع على الاستثناف أى فنحن نتناجيه ونحن نتناديه والظاهر الثانى لقول بعض شراح الحديث إنه الرواية . واعلم أن هذا السؤال الواقع من الصحابة لا يقتضى جهالهم بالتوحيد لأن الله منزّه عن القرب والبعد الحسين لأنهما من صفات الحوادث والله منزّه عنها فمن ذلك حارت عقولهم في ذلك فمقتضى إحاطته (٧٩) بجميع خلقه وتصرفه فيهم كيف يشاء يوصف بالقرب ومقتضى تنزهه عن صفات الحوادث جميعها يوصف بالبعد لأن صفاته توقيفية فالسؤال عنه القرب أو البعد المعنويان لا الحسيان والإلا فمهم الله على ذلك ولم يصفهم له (قوله فأخبرهم بذلك)

بتعميم من شهد (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر ولكون ذلك في معنى العلة أيضا للأمر بالصوم عطف عليه (وَلِتُكْمِلُوا) بالتخفيف والتشديد (الْعِدَّةَ) أى عدة صوم رمضان (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ) عند إكمالها (عَلَى مَا هَدَاكُمْ) أرشدكم لمالم دينه (وَلَمَّا كُمُ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك . وسأل جماعة النبي صلى الله عليه وسلم أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزل (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) منهم بعلنى فأخبرهم بذلك (أَجِيبْ دُعَاةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) بإنالته ما سأل (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي) دعائى بالطاعة (وَلْيُؤْمِنُوا) ،

أى بأتى قريب وقدر ذلك المفسر لعدم صحة ترتب قوله فأتى قريب على الشرط الذى هو إذا فان جوابها لا بد وأن يكون مستقبلا وكون الله قريبا وصف ذاتى له لا ينفك عنه أزلا ولا أبدا وإنما المستقبل الإخبار بذلك وقوله بعلنى أى وسمى وبصرى وقد رتق وارادنى ولم يقتل بذاته وإن كانت الصفات لا تشارك الذات لأنه رجا يتوهم للقاصر المحاول فيقنع في الحيرة وأما من فنى عن وجوده فلم يشهد إلا الله فقد زال عنه الحجاب فلا حيرة عنده إذ لم يشهد غيره وإنما خص المفسر العلم بذلك لأنه من صفات الإحاطة ، ومن غلبة رحمته تعالى أنه وصف نفسه بالقرب ولا فمقتضى التوحيد وصفه بالبعد أيضا بالاعتبار المتقدم فلوقال فأتى بعيد لحصل اليأس من رحمته (قوله أجيب دعوة الداع إذا دعان) اليا آن من قوله الداع ودعان من الزوائد عند القراء ومعناه أن الصحابة لم تثبت لها صورة في المصحف ولذا اختلفت فيها القراء فمنهم من أسقطها وصلا ووقفا تبعا للرسم ومنهم من يثبتها في الحالين ومنهم من يثبتها وصلا ويحذفها وقفا (قوله بإنالته ما سأل) أى مالم يسأل بآتم أو قطيعة رحم وهذه الإجابة وعد من الله وهو لا يتخلف لكن على مراده تعالى لاعلى مراد الداعى فالله نافع ولا يخيب فاعله وما يحتمل أن تكون موصولة وسأل صلتها والعائد محذوف أو نكرة موصوفة وسأل صفتها أو مصدرية أى بإنالته سؤاله (قوله فليستجيبوا لى) يحتمل أن السين والتاء زائدتان والمعنى فليجيبوني بالامثال والطاعة كما أجب دعائهم هل جزاء الاحسان إلا الاحسان وهذا مامتنى عليه المفسر ويحتمل أنهما للطلب والمعنى فليطلبوا منى الإجابة عقب دعائهم ، وفي الحديث «ادعوا الله وأتمم موقنون بالإجابة» فشرط الإجابة تيقنها ، وقد أشار لذلك السيد البكرى بقوله فلا تردنا واستجب لنا كل وعدتنا .

(قوله يديموا) فله أدام رابعيا وفي نسخة يدوموا وفعله دام ثلاثيا وهما لثتان فصيحتان (قوله على الإيمان بي) أي فلا يرتعوا (قوله لهم يرشدون) هكذا قرأ الجمهور بفتح الياء وضم الشين من باب قتل وقرئ بكسر الشين وفتحها والياء مفتوحة على كل من بابي ضرب وعلم وقرئ بضم الياء مبنيًا للفعل وللفعول مجزوف أي غيرهم أي يدومهم على طريقة الرشاد ولذا قيل حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل أو مبنيًا للفعول فقراأت غير الجمهور أربع (قوله أحل لكم ليلة الصيام) ليلة ظرف لأحل والمعنى أحل لكم في ليلة الصيام وفي الناصب له ثلاثة أقوال قيل أحل وهو المشهور عند العرب بين وليس جبي لأن الإحلال نابت قبل ذلك الوقت وقيل مقدر مدلول عليه بلفظ الرث تقديره أحل لكم أن تدبثوا ليلة الصيام وقيل متعلق بالرث لأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها (قوله الرث) ضمنه معنى الإفشاء فعداه بالي وإلا فهو يتعدى بالياء أو يني وهو في الأصل الكلام الذي يستقبح ذكره الواقع عند الجماع فأطاق وأريد منه الجماع على سبيل الكناية لاستقبح ذكره (قوله بمعنى الإفشاء) هو في الأصل أن لا يكون بينك وبين الشيء حائل وليس مرادا هنا بل المراد به هنا إفشاء خاص بالجماع ولذا قال الفسر بمعنى الإفشاء إلى نسائك بالجماع (قوله إلى نسائك) المراد حلائلكم من زوجة وأمة (قوله من تحريمه) أي الجماع (قوله بعد العشاء) أي دخول وقتها أو بعد النوم ولو كان قبلها (قوله كناية عن تعاقبهما) أي فالتشبيه من حيث الاعتدق فكما أن (٨٠)

يديموا على الإيمان (بي لَمْ يَمْ يَرَشُدُونَ) يهتدون (أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ) بمعنى الإفشاء (إِلَى نِسَائِكُمْ) بالجماع. نزل نسخا لما كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) كناية عن تعاقبهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ) تخونون (أَنْفُسَكُمْ) بالجماع ليلة الصيام. وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم (فَتَبَّ عَلَيْكُمْ) قبل توبتكم (وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ) إذ أحل لكم (بِأَشْرُوهُنَّ) جامعوهن (وَابْتَغُوا) اطلبوا (مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) أي أباحه من الجماع أو قدره من الولد (وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا) الليل كله (حَتَّى يَبْيُتْنَ) يظهر (لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) ،

في عنقها ويصح أن التشبيه من حيث الستر فالمرأة تستر الرجل والرجل يسترها قال تعالى - ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة - وإليه الإشارة يقول الفسر أو احتياج كل منهما لصاحبه والحكمة في تقديم قوله هن لباس لكم أن طاب

أي

المواقعة غالبا يكون ابتداء من الرجل حاجة الرجل إليها أكثر لما

في الحديث «لا خير في النساء ولا صر عنهن يغلبن كريما ويغلبهن لثيم فأحب أن أكون كريما مغاوبا ولا أحب أن أكون لثيما غالبا» (قوله تختانون) هو أباغ من تخونون لزيادة بناءه (قوله وقع ذلك لعمر) وحاصله أنه بعد أن صلى العشاء وجد بأهله راحة طيبة فواقع أهله حينئذ ثم لما أصبح جاء رسول الله وأخبره الخبر فقال يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك عما وقع مني فقام جماعة فقالوا مثل ما قال عمر فنزلت الآية نسخا للتحريم الواقع بالسنة (قوله فالآن) إن قلت إنه ظرف للزمان الحاضر وقوله بأشروهن مستقبل حينئذ لا يحسن ذلك. أشار الفسر لدفع ذلك حيث حول العبارة بقوله إذ أحل لكم فتعلق الظرف الحل لا المباشرة فالمعنى حصل لكم التحايل الآن حينئذ بأشروهن فيما يستقبل (قوله جامعوهن) أي فالمراد مباشرة خاصة فأطلق المزوج وهو المباشرة وأراد لارمه وهو الجماع (قوله أي أباحه من الجماع) أي في النساء الحلائل وأشار بذلك إلى أنه ينبغي أن يقصد بجماعه العفة بالحلال عن الحرام له ولها وأرجاء النسل لتكثير الأمة في الحديث «تناكحوا تناسلوا فاقى مباه بكم الأمم يوم القيامة» (قوله وكلوا وأشربوا) نزلت في صرمة بن قيس وكان عاملا في أرض له وهو صائم فحين جاء المساء رجع لأهله فلم يجد طعاما فقلبت عيناه من التعب فلما حضر الطعام استيقظ فكره أن يأكل خوفا من الله فبات طاريا فلما انتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أخبر النبي بذلك فنزلت الآية (قوله من الخيط الأسود) قيل قبل نزول قوله من الفجر وضع علي بن حاتم عقلا أبيض وعقلا أسود وجعل يأكل ويشرب حتى يبين كل منهما فلما أصبح أخبر النبي بذلك فقال له إنما ذلك سواد الليل ويأضي النهار.

(قوله أى الصادق) احتراز بذلك عن الكاذب وهو ما يظهر جلياً للصادق كدواب السرحان ثم ثقبه ظلمة ثم يطلع المصدق وهو الضياء المنشر (قوله وبيان الأسود محذوف) أى فلو بينه لقال من الفجر والليل ليكون لفا ونشراً مرتباً ولم يذكره لعدم تعلق حكم به فإن الصوم متعلق بظهور الأبيض (قوله من الغش) أى ظلمة الليل (قوله أبيض وأصود) لف ونشراً مرتباً والتشبيه هنا إنما هو فى الصورة والهيئة وليس هناك خيط أبيض ولا أسود كما توهمه بعض الصحابة (قوله فى الامتداد) هذا هو وجه الشبه (قوله بغروب الشمس) أشار بذلك إلى أن الغاية غير داخلية فى اللغيا وإنما صيام جزء من الليل من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب (قوله ولا تبأشروهن) أى مطلقاً ليلاً كان أو نهاراً وليس كالصيام (قوله نهى) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه الآية نهى (قوله الأحكام المذكورة) أى من أول آية الصيام إلى هنا . واستشكل ذلك بأن الحد هو قوله تعالى - ولا تبأشروهن - الآية . وأجيب بأن الله أمرنا بالصوم بقوله - كتب عليكم الصيام - والأمر بالكى نهى عن ضده (قوله أبلغ من لا تعتدوها) أى لأن النهى عن المقاربة نهى عن المجاوزة وزيادة (قوله أى لا يأكل بعضكم مال بعض) أى لأن الله قدر لكل

رزقه فلا يفسد بالبطل ولا يضيق بالحق (قوله كالسرقة والنصب) أى والكس والنهب من كل ما لم يأذن فيه الشارع (قوله تلقوا) أى تسرعوا وتبادروا (قوله وأنتم تعلمون) جملة حالية من فاعل تأكلوا (قوله أنكم مبطلون) بفتح الميمزة إشارة إلى أنه مفعول تعلمون (قوله يستأثرونكم) أى أصحابك (قوله لم تبدر دقيقة) هذا هو صورة السؤال (قوله ثم تزيد) أى شفافيتها (قوله حتى تمتلى نوراً) أى وذلك ليلة أربعة عشر (قوله

أى الصادق بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف أى من الليل، شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغش بخيطين أبيض وأسود فى الامتداد (ثم أئثوا الصيام) من الفجر (إلى الليل) أى إلى دخوله بغروب الشمس (وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ) أى نساءكم (وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ) مقيمون بنية الاعتكاف (فِي الْمَسَاجِدِ) متعلق بما كفون، نهى لمن كان يخرج وهو معتكف فيجتمع امرأته ويعود (تِلْكَ) الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ) حدها لعباده ليقفوا عندها (فَلَا تَقْرَبُوهَا) أبلغ من لا تمتدوها المعبر به فى آية أخرى (كَذَلِكَ) كما بين لكم ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) محارمه (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ) أى لا يأكل بعضكم مال بعض (بِالْبَاطِلِ) الحرام شرعاً كالسرقة والنصب (وَلَا تَذُلُوا) تلقوا (بِهَا) أى بحكومتها أو بالأموال رشوة (إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا) بالتحاكم (فَرِيقًا) طائفة (مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ) ملتبسين (بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم مبطلون (يَسْتَأْثِرُونَ) يا محمد (عَنِ الْأَهْلِ) جمع هلال لم تبدر دقيقة ثم تزيد حتى تمتلى نوراً ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس ؟ (قُلْ) لهم (هِيَ مَوَاقِيتُ) جمع ميقات (لِلنَّاسِ) يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نساءهم وصيامهم وإفطارهم (وَالْحُجَّ) عطف على الناس ، أى :

ثم تعود كبدت) أى فالهلال إما أخذ فى الزيادة وذلك فى النصف الأول من الشهر وإما أخذ فى النقص وذلك فى النصف الأخير منه (قوله قل هى مواقيت للناس) قيل إن الجواب غير مطابق للسؤال لأن سؤالهم عن حكمة كونه يبدر دقيقاً ثم إذا تم عاد كما كان والجواب إنما هو عن حكمة الهلال الظاهرية وهى كونه مواقيت للناس والحج ، وأما جواب سؤالهم فليس بإمكانين به ولا حاجة لهم بذلك لأنه من الغيبات ، وقيل إن الجواب مطابق للسؤال فقوله - يستأثرونكم عن الأهلة - أى عن حكمها الظاهرة ، وهذا هو الأنسب بمقامهم لأن الأول من باب لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم نسوكم، والضمير يعود على الأهلة وتقدم أنه جمع هلال مى بذلك لاستهلال الناس عند رؤيته بمعنى رفع أصواتهم ويسمى بالهلال ليلتين أو ثلاثاً وبعد ذلك يسمى قرا (قوله جمع ميقات) أصله موقات وقت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء (قوله أوقات زرعهم) أى فكل زرع له وقت يطلع فيه فزرع هذا الشهر مثلاً لا يطلع فى غيره وهكذا (قوله وعدد نساءهم) أى من كونها أربعة أشهر وعشراً أو ثلاثة أشهر مثلاً (قوله وصيامهم) أى فى رمضان مثلاً (قوله وإفطارهم) أى فى شوال (قوله هطف على الناس) أى مسلط عليه مواقيت واللام وفى الحقيقة هو مخطوف على اللضاف المحذوف : أى لمصلحة الناس والحج [١١ - ص ١١ - أول]

(قوله يعلم بها وقته) أى وهو شوال وذوالقعدة وعشر ردى الحجة فلو تقسم أن تأخر لم يصح . وهاهنا حكمة تخصيصه من دون العبادات وإن كان من مصالح الناس (قوله وليس البر) الحكمة في ذكر هذه الآية بعد ما تقدم أنهم سألوا عن ذلك أيضا وصورة سؤالهم هل من البر إثبات البيوت من ظهورها فأجابهم الله بأنه ليس من البر . ويتعين رفع البر هنا لأن ما بعد الباء يتعين جعله خبرا للبر فان الباء إنما تدخل على الخبر لا على الاسم (قوله بأن تنقبوا فيها قبا) أى من خوف الاستغلال بالسقف وهذا في الحاضر ، وأما البادى فكان يشق الحجة وذلك في الإحرام زاعمين أن عدم تغطية الرأس بشيء أصلا يبرأ به بر (قوله بترك مخالفته) أى مطلقا وامتنال للأمورات على حسب الطاقة (قوله وآتوا البيوت من أبوابها) حاصل ذلك أن الله أخبرنا بجملة من أمرنا بجملة من مرتبنا لهما على الأولين فقوله - وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها - جملة خبرية رتب عليها قوله - وآتوا البيوت من أبوابها - وقوله - ولكن البر من اتقى - جملة خبرية أيضا رتب عليها قوله - واتقوا الله - (قوله : وزون) أى تسعدون وتظفرون برضاه (قوله ولما صد الح) أى صدّه المشركون ومنعوه وصرفوه ، والراد بالبيت الكعبة . وحاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم سنة ست من الهجرة توجه مع ألف وأربعمائة لفعل عمرة لأن الحج إذ ذاك لم يكن فبعضه زلوا الحديبية بمكان قريب من مكة يسمى وادى فاطمة فخرجت عليهم سفهاء مكة يقاتلونهم بالأحجار والسهم فأرسل رسول الله عثمان يستأذن أهل مكة في أن يدخل هو وأصحابه ويطوفوا (٨٢) ويكلموا عمرتهم فأشاع الكفار وإبليس أن عثمان قدم مات فبايع النبي أصحابه

يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك (وَلَيْسَ أَبْرُ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا) في الاحرام بأن تنقبوا فيها قبا تدخلون منه وتخرجون بتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برا (وَلَكِنَّ الْبِرَّ) أى ذا البر (مَنْ اتَّقَى) الله بترك مخالفته (وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَوْبَاهِهَا) في الاحرام كغيره (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون . ولما صد النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش ويقاومهم وأكره المسلمون قتالهم في الحرم والاحرام والشهر الحرام نزل (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لإعلاء دينه (الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ) من الكفار (وَلَا تَعْتَدُوا) عليهم بالابتداء بالقتال (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ) المتجاوزين ما حد لهم وهذا منسوخ بآية براءة ، أو بقوله (وَأَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ) وجدوهم (وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ) أى مكة وقد فضل بهم ذلك عام الفتح .

تحت الشجرة على قتالهم فحصل صلح بينه وبينهم عشر سنين ، وتبين أن عثمان حتى لم يمت وآتى إليهم ، وقال إن الكفار واعدونا إلى العام القابل فتحلل المسلمون مكانهم في الحديبية ونحروا هديهم وحلقوا وانصرفوا راجعين ثم في العام القابل وهو سنة سبع تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء وسميت قضاء لأنها

(والفتنة)

وقع فيها للمقاضاة والصلح لأنه لزمهم قضاء للعمرة السابقة لأن من صد لا يزمه قضاء

نخاف المسلمون أن قريشا لا تفي بالوعد ويحصل قتال في الشهر الحرام والحرم والاحرام فنزلت الآية (قوله وصالح الكفار) يصح أن الكفار فاعل بصالح والمفعول محذوف تقديره صالحه ويصح أن الفاعل مستتر تقديره هو يعود على النبي والكفار مفعول (قوله على أن يعود العام القابل) تقسم أنه عام سبع (قوله وخافوا أن لا تفي قريش الح) أى فيحصل المذود الذي هو القتال في الحرم والاحرام والشهر الحرام (قوله نزل) هذا جواب لما : أى فهو سبب النزول (قوله وقاتلوا في سبيل الله) السبيل في الأصل الطريق فاستعير لدين الله وشرائعه بجامع التوصل المقصود في كل (قوله الذين يقاتلونكم) أى لا تبتدئوهم بالقتال (قوله ولا تعتدوا) للراد بالاعتداء هنا ابتداء القتال لاحقيقة الاعتداء الذي هو تجاوز الحد (قوله وهذا منسوخ بآية براءة) أى بقوله وقاتلوا المشركين كافة فأزال الله الضيق عن المسلمين وأبدله بالسعة ، وفي الحقيقة هذه الآية نسخت نحو سبعين آية من القرآن حصل فيها نهى عن القتال (قوله أو بقوله الح) أى وهذا أبلغ لكونها بصفتها (قوله وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من المكان الذي أخرجوكم منه معنى مكة وهو أمر بالإخراج فكأنه وعد من الله بالفتح لمكة ، وقد أنجز الله ما وعده به عام ثمان (قوله وقد فعل) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم : أى بالكفار منهم (قوله عام الفتح) أى وهو العام الثامن . إن قلت إن مدة الصلح إقية مع أن إخراجهم وقتالهم حصل قبل مضي تلك المدة . أجيب بأنه حصل منهم تقض للعهد بعد عمرة القضاء .

(قوله والفتنة الخ) هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره إن خفتم أن تقتلوه في الشهر الحرام وراعيتم حرمة الشهر والاحرام والحرم فالشرك الذي حصل منهم الذي فيه تهاون برب الحرم أبلغ (قوله ولا تقتلوه الخ) هذا تأكيد للفسوخ وهو تفسير لقوله ولا تعتدوا (قوله أي في الحرم) إنما أسرع عند بني لأنه ظرف منصوب وهو على تقدير في وأطلق للمسجد الحرام وأراد ما يتم الحرم بتمامه (قوله وفي قراءة بلا آلف) والقراءتان سبعيتان والتلاوة على هذا ولا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يقتلوه فيه فإن قتلوه فقتلوه والمعنى فخذوا في أسباب قتلهم (قوله جزاء الكافرين) أي في الدنيا وفي الآخرة العذاب الأليم (قوله فإن انتهوا) أي رجعوا عن الكفر وأصله انتهوا بياء مضمومة بعد الهاء استثقلت الضمة على الياء حذفت وتحركت الياء بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الآن قلبت ألفا فالتقى ما كان حذفت الألف وبقيت الفتحة دليلا عليها (قوله وقاتلوه حتى لا تكون فتنة) هذه الآية ناسخة أيضا لما قبلها (قوله ويكون الدين لله) أي في مكة أي لأن المراد تخلص الدين في مكة من الشرك فقط لا كل الجهات ، وأما آية الأنفال في قوله ويكون الدين كله أي في كل الجهات (قوله فإن انتهوا) أي رجعوا عن الكفر وأسلموا (قوله فلا عدوان الخ) هذا خبر في صورة الأمر مبالغة أي فلا تنتقموا ولا تقتلوا (٨٣) إلا الظالمين والمعنى لا يجازي على عدوانه إلا الظالمون

لأن العدوان واقع من الكفار بكفرهم وقتلهم للمسلمين لامن المسلمين بقتلهم لهم (قوله الشهر الحرام الخ) هذا نزل أيضا زيادة طمأنينة للمسلمين لأنه كان يشق عليهم القتال فيها تعظيمها وقيل أنها نزلت ردًا على الكفار والمنافقين المعترضين في قولهم إن الأشهر الحرم والحرم معظمة قديما ويزعم محمد أنه يحكم بالعدل وهو يشتهك حرمة الشهر الحرام والحرم فرد

(وَالْفِتْنَةُ) (الشرك منهم) (أشدُّ) أعظم (مِنَ الْقَتْلِ) لهم في الحرم أو الاحرام الذي استعظمتموه (وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي في الحرم (حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ) فيه (فَاقْتُلُوهُمْ) فيه وفي قراءة بلا ألف في الأنفال الثلاثة (كَذَلِكَ) (القتل والاخراج) (جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. فَإِنْ انْتَهَوْا) عن الكفر وأسلموا (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ) توجد (فِتْنَةٌ) شرك (وَيَكُونَ الدِّينُ) العباد (لِلَّهِ) وحده لا يعبد سواه (فَإِنْ انْتَهَوْا) عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا (فَلَا عُدْوَانَ) اعتداء بقتل أو غيره (إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه (الشَّهْرُ الْحَرَامُ) الحرم مقابل (بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ) فمكا قاتلوه فيه فاقتلوه في مثله ردًا لاستعظام المسلمين ذلك (وَالْحَرُمَاتُ) جمع حرمة ما يجب احترامه (قِصَاصٌ) أي يقتص بمثلها إذا انتهكت (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) بالقتال في الحرم أو الاحرام أو الشهر الحرام (فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) نهي بمقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به في الصورة (وَاتَّقُوا اللَّهَ) في الانتصار وترك الاعتداء (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالعون والنصر (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته الجهاد وغيره .

الله عليهم بقوله الشهر الحرام : أي الذي قاتلكم فيه في مقابلة الشهر الحرام : أي الذي صددتمونا فيه عن العمرة والدخول وقتلنا سفهاؤكم ولا يسمى انتهاكا ولا عدم تعظيم للحرم لأنه لما كان بأمر الله اندفع ذلك كله (قوله والحرمت قصاص) أي متى حصل انتهاك من أحد لحرمة آخر سقطت حرمة فيقتص له منه ومن هنا قول بعضهم ملغزا فيمن قطعت يده ظلما ومن قطعت يده لأجل السرقة :

يد بخمسين مئتين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربيع دينار

أجلب عنه القاضي عبد الوهاب البغدادي بقوله :

عزَّ الأمانة أخلاها وأرخصها ذلَّ الحياة فافهم حكمة الباري

(قوله فمن اعتدى عليكم) تسميته اعتداء ظاهر لأنه تجاوز للحد وقوله فاعتدوا عليه : أي اتعدوا منه وقتلوه فتسميته اعتداء مشاكلة لمقابلته وقوله بمثل ما اعتدى عليكم تأكيد لقوله والحرمت قصاص وكل هذا منسوخ بقوله وقاتلوه حيث تقتضونهم (قوله واتقوا الله) أي ومن التقوى رحمة عباده سيما إذا لم يقاتلوه أو إذا قدرتم عليهم فالأولى العفو (قوله واعلموا أن الله مع المتقين) أي معية خالصة فيجدهم بالنصر والعون وإلا فهو مع كل نفس بملءه وتصرفه (قوله وأنفقوا في سبيل

الله (أى ابتلوا أنفسكم وأموالكم في طاعته ومراضيه سواء الجهاد وغيره كصلة الرحم ومراعاة الضعفاء والفقراء من عباد الله (قوله ولا تلقوا بأيديكم) عبر بالأيدي عن الأنفس اكتفاء بالجزء الأهم من النفس كقوله في آية أخرى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم - أى أنفسكم (قوله إلى التهلكة) أى إلى الهلاك : أى إلى أسبابه وأسباب الهلاك إمساك الأموال والأنفس عن الجهاد لأن به يقوى العدو وتكثر المصائب في الدين والدن لأجله كما هو مشاهد ، ومن أفنى أمواله ونفسه في سبيل الله فقد ألقى بنفسه إلى العز الدائم في الدنيا والآخرة أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (قوله وأحسنوا) أى افعلوا الاحسان بالاتفاق في سبيل الله وغيره من أنواع العبادات والقربات (قوله أى يشيهم) فسر المحبة في حق الله بالاثابة لأن حقيقتها وهى ميل القلب للحبوب مستحيلة في حق الله تعالى والاثابة لازمة لذلك والتاعدة أن كل ما استحال على الله باعتبار مبدئه وورد يطلق ويراد لازمه وغايته (قوله وآموا الحج والعمرة لله) التبادر من الآية يشهد لقول الشافى بوجوب العمرة عينا في العمر مرة كالحج . وقال مالك بسنيتها في العمر مرة عينا وقرىء وأقيموا الحج والعمرة وهى تؤيد مذهب الشافى سيما مع كون الأصل في الأمر الوجوب ، وحجة مالك أن المراد تجميعهما إذا شرعتم فيهما ولا يلزم من وجوب الاتمام وجوب الابتداء . فالحاصل أن العلماء اتفقوا على وجوب الحج عينا في العمر مرة وما هذا ذلك فهو فرض كفاية لاقامة الموسم واتفقوا على مشروعية العمرة واختلفوا في حكمها ، (٨٤) فقال الشافى بوجوبها كالحج وحمل الاتمام على الأداء ، وقال مالك بسنيتها وحمل

(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ) أى أنفسكم والباء زائدة (إِلَى التَّهْلُكَةِ) الهلاك بالامسك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوى العدو عليكم (وَأَحْسِنُوا) بالنفقة وغيرها (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أى يشيهم (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) أدوها بحقوقهما (فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ) منعتهم عن إتمامها بعدوا (فَمَا اسْتَيْسَرَ) تيسر (مِنَ الْهَدْيِ) عليكم وهو شاة (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ) أى لاتحللوا (حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ) المذكور (حِلَّهُ) حيث يحل ذبحه وهو مكان الاحصار عند الشافى فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ) كقمل وصداع فخلق في الاحرام (فَنَدِيَّةٌ) عليه (مِنْ صِيَامٍ) ثلاثة أيام (أَوْ صَدَقَةٍ) بثلاثة أصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين (أَوْ نُسُكٍ) أى ذبح شاة وأو للتخير وألحق به من خلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لمذر أو غيره .

الاتمام على حقيقته (قوله فان أحصرتم) أى عن البيت ولم تتمكنوا من دخوله كواقع للصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا رفع للحرج الواقع في الأمر من قوله وآموا (قوله تيسر) أشار بذلك إلى أن السنين ليست لمعنى زائد بل بل استيسر وتيسر بمعنى واحد (قوله وهو شاة) أى ضأن أو معزا مجزئة في الضحية (قوله ولا تحلقوا

(فإذا)

رءوسكم) اعلم أنه إذا اجتمع هدى وحق فالهدى مقدم على الحلق

فإذا اجتمع معهما رعى وطواف قدم الرى ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف وضبطها بعضهم بقوله رنحط (قوله حتى يبلغ الهدى محله) اعلم أنه اختلف في الهدى فقليل يؤمر به وهو قول الشافى ، وعليه فان لم يجد هديا قومه بطعام وأخرجه ، فان لم يجد صام بعدد الأمداد ، وقيل لا يؤمر به ، والآية محمولة على من كان معه هدى تطوعا مثلا وهو قول مالك ، وعليه فان لم يجد هديا فلا شئ عليه غير الحلق (قوله محله) هو بالكسر يطلق على الزمان والمكان وبالفتح على المكان فقط (قوله عند الشافى) أى ومالك أيضا فالمدار عندهما على مكان الاحصار حلا أو حرما . وقال أبو حنيفة لابد أن يذبح بالحرم (قوله أو به أذى) متعلق بمحذوف معطوف على مريضا الواقع خبرا لكان وقوله أذى فاعل بالجار والمجرور أو الجار والمجرور خبر مقدم وأذى مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على مريضا (قوله فندية عليه) قدره إشارة إلى أنه خبر المبتدأ والجملة جواب من . واعلم أن دماء الحج ثلاثة فدية وهدى وقد ذكرهما هنا وجزاء وقد ذكره في المائدة لما كان عن إزالة أذى أو ترفه فهو فدية وما ترتب عن نقص في حج أو عمرة بفعل اختيارى أولا فهدى وما كان عن صيد لجزاء (قوله على ستة مساكين) أى لكل مسكين مدان (قوله لغير عذر) أى وإن كان حراما (قوله وكذا من استمتع بغير الحلق) أى فهو مقيس عليه (قوله بمذر أو غيره) راجع للثلاثة غير أن الحرمة فيما كان لغير عذر والحق بذلك من قلم ظفره وأما الوطء وهبيل الزوجة فكذا عند الشافى وعند مالك فيه هدى

(قوله فإذا أمنتُم) أى ابتداء و انتهاء (قوله فمن تمتع) حاصل ما في اللقار أن الشخص إذا كان مفردا فإنه لا شيء عليه ، وأما إذا كان قارنا أو تمتعا فعليه دم (قوله أى بسبب فراغه منها) دفع بذلك ما يقال إن العمرة فيها مشقة ولا تمتع فيها (قوله إلى الحج) أى تمتع من فراغه من العمرة واستمر على ذلك إلى الاحرام بالحج (قوله تبسّر من الهدى) أى وأفضل الهدايا الإبل ثم البقر ثم النعم (قوله فمن لم يجد) أى فهو على الترتيب وهذا الدم يلزم شروط أربعة : الأول أن لا يكون أهله بالمسجد الحرام . الثاني أن لا يكون تحلله من العمرة في أشهر الحج . الثالث أن يحج في عامه . الرابع أن لا يرجع إلى بلده أو مثلها ، وقال الشافعي أن لا يرجع إلى لليقات (قوله فصيام ثلاثة أيام في الحج) محل ذلك إن كان النقص قبل الوقوف وإلصام العشرة متى شاء (قوله قبل السابع) أى ليصوم الثلاثة الأيام وما مضى عليه المفسر قول ضعيف في مذهب الشافعي والمعمد أنه لا يجب عليه ذلك لأنه لا يجب عليه تحصيل سبب الوجوب ووافقه مالك على ذلك (قوله على أصح قول الشافعي) (٨٥) وقال مالك بجواز صومها

(قوله وفيه التفات عن الغيبة) أى مع مراعاة معنى من (قوله تأكيد لما قبلها) أى لدفع توهم الكثرة في العدد وقوله كاملة أى في الثواب كالمهدي وفيه تسلية للفقير العاجز عن الهدى (قوله عند الشافعي) أى وعند مالك لا يفتي الهدى إلا بمن كان متوطنا بأرض الحرم فيشمل أهل منى ومزدلفة (قوله وهو أحد وجهين عند الشافعي) أى وهو مذهب مالك (قوله والأهل كناية عن النفس) أى فعلى هذا يكون معنى الآية ذلك لمن أى الحرم لم يكن أهله

(فَإِذَا أَمِنْتُمْ) العدو بأن ذهب أو لم يكن (فَمَنْ تَمَتَّعَ) استمتع (بِالْعُمْرَةِ) أى بسبب فراغه منها بمحظورات الاحرام (إِلَى الْحَجِّ) أى إلى الاحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره (فَمَا أُسْتَيْسَّرَ) يسر (مِنَ الْهَدْيِ) عليه وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يوم النحر (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) الهدى لفقده أو فقد ثمنه (فَصِيَامُ) أى فعلية صيام (ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) أى في حال الإحرام به فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذى الحجة والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قول الشافعي (وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) إلى وطنكم مكة أو غيرها وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة (رَبَّكَ عَشْرَةَ كَامِلَةٍ) جملة تأكيد لما قبلها (ذَلِكَ) الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع (لَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني لا. والأهل كناية عن النفس، وألحق بالتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج مما أو يدخل الحج عليها قبل الطواف (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه (الحج) وقته (أَشْهُرٌ مُّعْلُومَاتٌ) شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة وقيل كله .

أى نفسه حاضري المسجد الحرام وهذا معنى بعيد فالأولى ما قاله غيره من أن المراد بالأهل الزوجة والأولاد الذين تحت حجره دون الآباء والاختوة ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك وإنما عبر بالأهل لكون شأن التوطن يكون بذلك (قوله القارن) أى ويطوف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا عند مالك والشافعي وقال أبو حنيفة لابد لهما من طوافين وسعين (قوله فيما يأمركم به الحج) أى وخصوصا في الحج والعمرة (قوله وقته) إنما قدره لأن الحج عمل الأشهر زمن ولا يخبر عن العدل بالزمن (قوله أشهر معلومات) هذه الآية . قيدة لآية - قل هي مواقيت للناس والحج - لأن للتبادر منها أن الأهلة كلها مواقيت للحج فأفاد بهذه الآية أن الحج له زمن معلوم يؤدّى فيه . وأما العمرة فوقتها السنة كلها ما لم يكن متلبسا بالحج وإلا فلا يتم حتى يفرغ منه (قوله وعشر ليال من ذى الحجة) أى فالجمع في الآية لما فوق الواحد أو باعتبار جبر الكسر (قوله وقيل كله) أى فالجمع على حقيقته وبذلك قال مالك والمعنى على ما قال مالك أن له التحلل في ذى الحجة بتمامه ولا يلزمه دم لإبدخول الحرم لأن المعنى أن يبتدىء الاحرام به بعد فجر النحر فإن ذلك لم يقه مالك ولا غيره ممن يعتد به . فالحاصل أن الحج له ميقاتان مكاني وزماني فالمكاني ما أشار له مضمم بقوله :

عرق العراق يلطم اليمن وبذى الحليفة يحرم المدني والشام جحفة بن مسرة بها ولاهل نجد قرن تلمسج
والزمانى لا ابتداء الاحرام به شوال وذوالقعدة وعشر ليال من ذى الحجة وأما لاتهاء التحليل منه فبقية ذى الحجة (قوله فمن فرض
على نفسه) أى أزم نفسه التخلل في أفعال الحج بأن أحرم به سواء كلن فرضا عليه قبل ذلك أولا (قوله فهين) أى الشهرين
والعشر ليال . وأما في غير هذه الأشهر فقال مالك ينعقد ويكره وقال غيره لا ينعقد (قوله فلا رقت) في الآية ثلاث قراآت غير
شاذة الأولى برفع الجميع مع التنوين الثانية برفع الأولين وبناء الثالث على الفتح وقرئ شاذا بنصب الثلاثة (قوله معاص) أى
بأى وجه من أوجه المعاصى والنهى عنها وإن كان عاما إلا أنه في الحج أشد (قوله ولا جدال) هو مقابلة الحجة بالحجة لنصرة الباطل
وأما لنصرة الحق فلا بأس بذلك (قوله في الحج) أظهر في مقام الاضمار اهتماما بشأنه (قوله بفتح الأولين) أى مع الثالث (قوله
والمراد في الثلاثة النهى) أى لا الاخبار وإنما أتى بها على صورة الاخبار إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع ذلك والتعبير عن النهى
بصورة الخبر أبغ في الانجاز (قوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله) إن قات إن الله كما يعلم الخير من العبد يعلم الشر منه . أجيب بأن
شأن الله ستر الشر عن العبد فلا يظهره عليهم بخلاف الخير فيظهره للاختلاف لما في الحديث « إذا تاب العبد أنسى الله الحفظه
ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعامله (٨٦) حتى يأتي يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب » وأيضا الآية مسوقة

(فَمَنْ فَرَضَ) على نفسه (فِيهِنَّ الْحَجَّ) بالاحرام به (فَلَا رَفَتْ) جماع فيه (وَلَا تُسَوِّقُ)
معاصي (وَلَا جِدَالَ) خصام (فِي الْحَجِّ) وفي قراءة بفتح الأولين والمراد في الثلاثة النهى (وَمَا
تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) كصدقة (يَعْلَمَهُ اللَّهُ) فيجازيكم به . ونزل في أهل اليمن وكانوا يحبون بلا
زاد فيكونون كلاً على الناس (وَتَزَوَّدُوا) ما يملأكم لسفركم (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) ما يتقى
به سؤال الناس وغيره (وَاتَّقُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ) ذوى العقول (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ)
في (أَنْ تَبْتَغُوا) تطلبوا (فَضْلاً) رزقا (مِنْ رَبِّكُمْ) بالتجارة في الحج ، نزل رداً لكرهاتهم
ذلك (فَإِذَا أَفَضْتُمْ) دفعتم (مِنْ عَرَفَاتٍ) بعد الوقوف بها (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) بعد المبيت
بمزدلفة بالتلبية والتهيل والدعاء (عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) هو جبل في آخر المزدلفة يقال له قرح
وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً رواه مسلم
(وَإِذْ كُرِّهُ كَمَا هَدَاكُمْ) لمالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل (وَإِنْ) مخففة (كُنْتُمْ
مِنْ قَبْلِهِ) قبل هداه (لِمَنِ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا) يا قريش (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) أى
من عرفة بأن تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفهاً عن الوقوف معهم ،

في أفعال الحج وكلها خير
(قوله ونزل في أهل اليمن)
أى وكانوا حديث عهد
بالاسلام ويزعمون أنهم
متوكلون (قوله كلا على
الناس) أى عالة (قوله
 وغيره) أى كالتصعب
والسرقة (قوله نزل رداً
 لكرهاتهم ذلك) أى
للا بأس بالتجارة بالحج
إذا كانت لا تشغله عن
أفعاله واختلف هــ
التجارة تنقص ثواب
الحج أولا ؟ قال بعضهم
إن كانت التجارة أكبر

منه ومبلغ علمه سقط الفرض عنه وليس ثوابه كن لا قصد له إلا الحج وإن استوى الأمران
فلا يذم ولا يمدح وإن كانت التجارة تبعا للحج فقد حاز خير الدنيا والآخرة (قوله من عرفات) هو مصروف ويصح منعه من الصرف
لعلمية والتأنيث لأنه علم على البقعة (قوله بعد الوقوف بها) اعلم أن الركن عند مالك إدراك جزء من الليل . وأما النهار فهو واجب
يجبر بالدم ، وعند الشافى أحدهما كاف فمن أدرك جزءا من الليل وجزءا من النهار فقد تم حجه باتفاق والأفضل الوقوف عند الصخرات
لعظام هناك لأنه موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله بعد المبيت بمزدلفة) أى ويجمعون بها المغرب والشاء جمع تأخير
ويقصرون العشاء إلا أهلها ويستمرون بها إلى صلاة الصبح فيصلونها ثم يتوجهون إلى المشعر الحرام فيقفون به إلى الاسفار (قوله
 بالتلبية) هذا جرى على مذهب الشافى وأما مالك فيقطع التلبية من وصوله لعرفة وصلاته الظهر والعصر بها (قوله هو جبل
 في آخر المزدلفة) أى من جهة نبي عند منارة بلا جامع (قوله قرح) على وزن عمر (قوله والكاف للتعليل) أنى فالمن اذكروه لأجل
 هدايته إليكم ولأجل أنكم كنتم قبل ذلك من الضالين (قوله وإن مخففة) أى مهمة لا عمل لها (قوله لمن الضالين) أى من التائهين
عن الهدى فهى نعمة ثانية يجب الشكر عليها قال تعالى في مقام تعداد النعم - ما كنت تدري ما لك ب ولا الإيمان - الآية
(قوله ثم أفيضوا) أى قفوا بعرفة وتقدم أن معنى الافاضة الضعف فأطلقه وأراد لازمه وهو الوقوف (قوله ترفها) أى تسكرا .

بقوله «ثم للترتيب في الذكر» جواب عن سؤال مقترح حاصله أن الإتيان بهم يقتضى أن الأمر بالوقوف بعد رجوع الناس من عرفة ووصولهم مع أن الأمر ليس كذلك فأجاب المفسر بذلك . وأجيب أيضا بأن ثم بمعنى الواو وهي لا تقتضى ترتيبا . وأجيب أيضا بأن في الكلام تنديما وتأخيرا فتوله ثم أفيضوا معطوف على قوله فائقون وقوله فاذا أنضم مرتب عليه ويكون الخطاب لعموم الناس (قوله واستغفروا الله) أى اطلبوا منه مغفرة ذنوبكم تلك الواضع المطهرة فانها مهبط تحبى الرحمت وإجابة الدعوات (قوله مناسككم) جمع منسك وهي العبادات التى عين الشارع لها أما كن مخصوصة كالطواف لا يكون إلا بالبيت والسعى لا يكون إلا بين الصفا والمروة والوقوف لا يكون إلا بعرفة والرمى لا يكون إلا بمنى فالمنى أديتم العبادات في أما كنها المعهودة (قوله بالمفاخرة) كانت العرب في الجاهلية بعد فراغ حجهم يذكرون آباءهم بالخصال الحميدة نظما ونثرا فكان الواحد منهم يقول مثلا إن أى كان كبير الجفنة أى القصعة فتا كالشجعان وهكذا لأنه يوم اجتماع للقبائل من العام إلى العام (قوله من ذكر المنسوب باذكروا) أى على المصدرية (قوله إذ لو تأخر عنه لكان صفة له) أى لأن القاعدة أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالا وتعرب النكرة بحسب العوامل فيكون التقدير فاذكروا الله ذكرنا كذا كركم آباءكم أو أشد (قوله فمن الناس) هذا بيان لحال من يقف بعرفة (قوله من خلاق) من صلة (قوله نصيب) أى حظ وهذا دعاء غير المؤمنين بغير الآخرة وقوله (٨٧) ومنهم هذا هو دعاء المؤمنين بها

(قوله نعمة) أى بركة وخيرا وذلك كالعافية والزوجة الحسنة والدار الواسعة وغير ذلك مما يعين على الدار الآخرة فكل أمر في الدنيا يوافق الطبع ويعين على لدار الآخرة فهو من حسنات الدنيا (قوله هي الجنة) أى دخولها بسلام بحيث يموت على الاسلام ولا ياحقه حساب ولا عذاب ويرى وجه الله الكريم وهذا أحسن ما فسر به حسنة الدنيا والآخرة وهو معنى قوله في الحديث لعائشة «سلى الله العافية

وتم للترتيب في الذكر (وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) من ذنوبكم (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم (فَإِذَا قَضَيْتُمْ) أديتم (مَنَاسِكَكُمْ) عبادات حجكم بأن رميتم حجرة العقبة وطفتم واستقرتم بمنى (فَازْكُرُوا اللَّهَ) بالتكبير والثناء (كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ) كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة (أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) من ذكركم إياهم ونصب أشد على الحال من ذكر المنسوب باذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا) نصيبنا (فِي الدُّنْيَا) فيؤتاه فيها (وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) نصيب (وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) نعمة (وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً) هي الجنة (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) بعدم دخولها وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ) ثواب (مِنْ) أجل (مَا كَسَبُوا) عملوا من الخلق والدعاء (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (وَازْكُرُوا اللَّهَ) بالتكبير عند رمي الجمرات (فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) أى أيام التشريق الثلاثة (فَمَن تَعَجَّلَ) أى استعجل بالنفر من منى (فِي يَوْمَيْنِ) ،

في الدارين» (قوله وقنا عذاب النار) من عطف اللازم على اللزوم وأصل قنا أوقنا حذف الواو لوقوعها بين عدوتيهما في المضارع ثم حذف الهمزة للاستغناء عنها لأنه أتى بها توصلا للنطق بالسكان وقد زال وقد ورد «إن المؤمن الناجى يكون بينه وبين النار مسيرة خمسمائة عام عرضا وعمقا» (قوله بعدم خولها) أى أصلا فلا تدخلها ولا تراها (قوله لما كان عليه المشركون) أى وهو الأول وقوله ولحال المؤمنين أى وهو الثانى (قوله الحث على طلب خير الدارين) أى لا للتخير بين كونه يدعو بشيء يؤتاه في الدنيا فقط أو بحسنة الدنيا والآخرة ولحسنة الأول في دعائهم لم يبين الله ما طلبوه في الدنيا (قوله ثواب) أى على الطلب فيؤتون سؤلهم ويزدادون ثوابا على طهرهم ذلك لأن الدعاء مع العبادة (قوله في قدر نصف نهار) بل قد ورد أنه في مقدار ساعة بل ورد أيضا أنه كليج البصر وذلك كناية عن عظيم قدرته فمن كان هذا وصفه ينبغي أن يتقى ويخشى وامن أحد من المحاسبين إلا ويرى أنه لا محاسب غيره وذلك بعد انقضاء الموقف الذى تدنو الشمس فيه من الرموس ويسيل العرق في الأرض سبعين ذراعا وتكون النار حول الخلائق وتحيط للملائكة بالخلوقات فيكونون سبع صفوف يحولون بينهم وبين النار وهو يختلف باختلاف الناس فنسأل الله السلامة من أهواله (قوله عند رمي الجمرات) أى عند رمي كل حصاة من حصيات الجمار يقول الله أكبر وكذلك عقب الصلوات وعند الدعج بأن يقول: بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك (قوله أى أيام التشريق الثلاثة) أى وهو ثاني يوم النحر وتاليه . وأما يوم النحر فعلموم للذبح غير معدود للرمى والهومان بعده مطومان معدودان والرابع معدود

غير معلوم عند مالك وأبي حنيفة وعند الشافعي معلوم أيضا وما ذكره المفسر من أن للراد بالأيام للعدودات أيام التشريق الثلاثة هو ما عليه مالك والشافعي وإطلاق التشريق على الثلاثة اعتبار بمنهـب الشافعي . والحاصل أن يوم النحر يـفـعل فيه رمى جمرة العقبة ثم النحر ثم الحاق ثم طواف الافاضة وفي الثاني يرى ثلاث جمرات يبدأ بالحق تلى مسجد منى ثم بالوسطى ثم يختم بالعقبة وكذا في الثالث والرابع إن لم يتجمل (قوله أى في ثاني أيام التشريق) دفع بذلك ما يتوهم أن له التعجل في كل من اليومين مع أنه لا معنى له (قوله بعد رمى جواره) أى وهو بعد الزوال وحل التخيير إن لم تقرب عليه الشمس وهو بمنى وإلا فيلزمه المبيت بها لرمى الثالث . وأصل مشروعية الرمي عند أم إبراهيم الخليل بذبح ولده فلما توجه به لئى تعرض له الشيطان عند المسجد فرماه بجمع حصيات ثم تعرض له عند الوسطى فرماه أيضا بسبع ثم تعرض له عند العقبة فرماه أيضا بسبع وهو ما زال سببه وبقي حكمه (قوله فلا إثم عليه) أى لا حرج لأنه رخصة (قوله أى هم مخيرون) جواب عن سؤال وهو أن للتأخر آتى بالمطلوب فكيف ينفي عنه الإثم . وأجيب أيضا بأن ذكر الإثم في جانب التأخر مشاكلة . وأجيب أيضا بأنه رد على من زعم من الجاهلية أن على المجل الإثم ، وعلى من زعم منهم (٨٨) أن على التأخر الإثم (قوله ونفى الإثم لمن اتقى) أشار بذلك إلى أن

لمن اتقى خبر المحذوف قدره بقوله ونفى الإثم (قوله لأنه الحاح على الحقيقة) وفي نسخة في الحقيقة أى لاستكمالها الشروط والآداب وأما غير المتقى فعليه الإثم مطلقا تعجل أو تأخر كالحاح بالمال الحرام ومرتكب المعاصي (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى إن خيرا غير وإن شرا فشر (قوله ومن الناس) معطوف على قوله فمن الناس من يقول ربنا الآية فقد قسم الله الناس على أربعة أقسام : الأول من يطلب

أى في ثاني أيام التشريق بعد رمى جواره (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) بالتعجيل (وَمَنْ تَأَخَّرَ) بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جواره (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) بذلك أى هم مخيرون في ذلك ، ونفى الإثم (لِمَنِ اتَّقَى) الله في حجه لأنه الحاح في الحقيقة (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنْكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولا يعجبك في الآخرة لخالفته لاعتقاده (وَيَشْهَدُ اللَّهُ قَلْبِي مَا فِي قَلْبِهِ) أنه موافق لقوله (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك وهو الأخنس بن شريق كان مناققا حلوا الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم يحلف أنه مؤمن به ومحـب له فيدنى مجلسه فأ كذبه الله في ذلك ، ورسـم بزرع ومحر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلا كما قال تعالى (وَإِذَا تَوَلَّى) انصرف عنك (سَعَى) مشى (فِي الْأَرْضِ يُفْسِدُ فِيهَا وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) من جملة الفساد (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ) أى لا يرضى به (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ) في فـلـك (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ) حملته الأتفة والحمية على العمل (بِالْإِثْمِ) الذى أسـر باقتائه (فَحَسْبُهُ) كافيـه (جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَاهَدُ) القراش هى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرَى) يبيع (نَفْسَهُ) أى يبذلها في طاعة الله (ابْتِغَاءً) طلب (مَرْضَاتِ اللَّهِ) رضاه وهو صهيـب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله (وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) .

الدنيا لا غير ، ومنهم من يطلب الدنيا والآخرة ، ومنهم من يظهر أنه من أهل الآخرة مع أنه في الواقع حيت من أهل النار ، ومنهم من هو مؤمن ظاهرا وباطنا واذكرهم على هذا الترتيب (قوله الأخنس بن شريق) هذا لقبه واسمه أبى وكان يتبعه ثلثمائة منافق من بنى زهرة وسبب تلقيبه بالأخنس أنه اختفى يوم بدر هو وجماعته فقال لهم إن اتصر محمد فاعزواكم لعدم ظهور العداوة منكم وإن اتصر الكفار فقد كفيتموه (قوله حاول الكلام) أى والنظر (قوله فيدنى مجلسه) أى فيقربه منه وفي الحديث « إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلهمهم » (قوله فأ كذبه الله في ذلك) أى في دعواه وفي حلفه (قوله وحر) جمع حمار (قوله وعقرها) أى قطع أرجلها (قوله ليفسد فيها) علة لقوله سعى (قوله ويهلك الحرث والنسل) تفصيل للانفساد (قوله بالإثم) الباء للابسة والايان بقوله بالإثم يسمى عند علماء البديع تحيا لأنه ربما يتوهم أن للراد عزة مدحوة (قوله ولبئس للمهاد) أى ، أن الله جعل له جهنم غطاء ووطاء فأ كرمه كما تكرم أم السبي ولدها بالغطاء والوطاء اللينين وذلك من باب التهكم (قوله وهو صهيـب) أى ابن سنان الرومى حين أسلم تعرض له المشركون وآذوه فقال لى رجل كبير مسكين ليس بنافكم وفرارى ليس بشاركم فإن كان من جهة اللال فهاهو فتركه وهاجر رسول الله وقد مدحه رسول الله بقوله « نعم العبد صهيـب لو لم يخف الله

لم يصح له أى لواتقى عنه خوف الله لا يقع منه عصيان لأن طاعته محبة في الله لاطمعا في جنة ولا خوفا من نار (قوله حيث أرشدكم لما فيه ضاه) أى لقد جعل النعيم الدائم في نظير العمل القليل فإن الخلود في الجملة جزاء كلمة الاخلاص ومن جملة رآته مضاعفة الحسات وعدم مضاعفة السيئات وعدم مؤاخذه من كفر خوف القتل وقبول التائب وإن بالغ في العصيان وطال زمانه (قوله وتزل في عبد الله بن سلام) أى وكان من أحبار اليهود (قوله وأصحابه) أى الذين أسلموا معه من اليهود (قوله لما عظموا السبت) أى احترموه بتحريم الصيد فيه كما كان في شرع موسى (قوله وكهروا الإبل) أى حيث حرموا أكل لحومها وشرب لبناتها (قوله بعد الإسلام) أى بعد أن دخلوا في الإسلام لم يمسكوا بجميع شرائعه فوبخهم الله على ذلك (قوله بفتح السين وكسرها) قراءة ثان سبعيتان هنا وفي الأنفال والقتال لكن أكثرهما الكسر وما هناك العكس وقوله الإسلام إشارة لمعناه هنا على القراءتين وأما في الأنفال والقتال فمعناه الصلح (قوله حال من السلم) أى وهو يذكر ويؤث فلذا أتى بالتاء في كافة وقال تعالى أيضا - وإن جنحوا للسلم فاجنح لها - (قوله أى تزيينه) أى تحسينه الأمور لكم والمعنى لا تتبعوا طرق الشيطان التي يزينها لكم بوسوسته (قوله بالتفريق) أى بأن تتبعوا محمدا في أمور وموسى في أمور آخر (قوله إنه لكم عدوة) تعليل لما قبله والعدوة هو الذي يسره ما يضرك ويضرك ما يسرك (قوله بين العدواة) من أبان اللازم (٨٩) والمعنى أن عداوته بينة وظاهرة لمن نوره الله بصيرته وأراد به خيرا قال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - (قوله عن لدخول في جميعه) أى جميع أحكامه (قوله من بعد ما جاءكم البينات) إن قلت إن الزلل لا يكون إلا بعد مجيئها أحب بأن السرداد بمجيئها ظهورها ظهوراينا (قوله لا يعجزه شيء) أى فلا تفلتون منه (قوله حكيم في صنعه) أى

حيث أرشدكم لما فيه رضاه . وتزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لما عظموا السبت وكهروا الإبل بعد الإسلام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ) بفتح السين وكسرها : الإسلام (كافّة) حال من السلم أى في جميع شرائعه (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ) طرق (الشَّيْطَانِ) أى تزيينه بالتفريق (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العدواة (فَإِنْ زَلَلْتُمْ) ملتم عن الدخول في جميعه (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرة على أنه حق (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم (حَكِيمٌ) في صنعه (هَلْ) ما (يَنْظُرُونَ) ينتظر التاركون الدخول فيه (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) أى أمره كقوله أو يأتي أمر ربك أى عذابه (فِي ظُلَلٍ) جمع ظلة (مِنَ الْغَمَامِ) السحاب (وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِي الْأَمْرُ) تم أمر هلاكهم (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) بالبناء للمفعول والفاعل في الآخرة فيجازى كلا بعمله (سل) يا محمد (بَنِي إِسْرَائِيلَ) نبكيتا (كَمْ آتَيْنَاهُمُ) كم استفهامية ،

ضع الأشياء في محلها ومنه عذاب المفرق (قوله هل ينظرون) الاستفهام هنا إنكارى توبيخى (قوله الدخول فيه) أى في جميع أحكامه (قوله إلا أن يأتيهم الله) استثناء مفرغ والمعنى لا ينتظرون شيئا إلا إتيان الله في ظلل (قوله أى أمره) دفع بذلك ما يقال إن الاتيان بمعنى الانتقال من صفات الحوادث وهي مستحيلة على الله تعالى (قوله في ظلل) ظرف للاتيان المذكور والمعنى أن الله يرسل عليهم العذاب في صورة الرحمة وذلك لأن شأن السحاب الرقيق أن يأتي بالأقطار التي يكون فيها منافع لهم وذلك مكر عظيم من الله بهم (قوله والملائكة) عطف على لفظ الجلالة، والمعنى أن إتيان للملائكة مصاحب لعذاب الله المظروف في السحاب الرقيق وقرئ شاذا بجر للملائكة واختلوا في عطفه فقيل معطوف على ظلل وقيل على الغمام (قوله وقضى الأمر) عبر بالماضي لتحقق وقوعه وإلا فالماضي للمضارع لمناسبة يأتيهم وينظرون، وهذا وعيد عظيم لكل من لم يستجمع أحكام الإسلام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله فيجازى كلا بعمله) أى فيحاسبكم على النقيير والقمطير ويؤول أمركم إما إلى جنة أو إلى نار (قوله سل) أصله أسأل نقلت فتحة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها فسقطت تلك الهمزة تخفيفا ثم سقطت همزة لوصل الاستغناء عنها فصار وزنه فل (قوله نبكيتا) أى تقريرا وتوبيخا للاستفهام منهم وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى فلا غرابة في عدم إيمانهم بك فإنا آتيناهم آيات بينات على يد موسى فلم يؤمنوا ولم ينقادوا

(قوله معلقة سل عن المفعول الثاني) التعليق هو إبطال العمل لفظاً لأحلام والألئاء إبطاله لفظاً ومجلا فتكون جملة كم آتيناهم في اللغى في محل المفعول الثاني لسل. إن قلت إن التعليق يختص بأفعال القلوب وسل ليست منها. أوجب بأنها سبب هلم والعلم منها (قوله وهو ثاني مفعولى آتيناً) أى كم ومنفوعها الأول الهاء من هم (قوله ويميزها) أى يميز كم (قوله كذاق البحر) أى اثني عشر طريقاً (قوله وإنزال المن والسوى) أى وهم في التيه حين أمروا بقتال الجبارين (قوله فبدلوها كفراً) هذا إشارة للبدل واللعنى أن الله يأتينهم بالآيات فيبدلونها بالكفر (قوله ومن يبدل نعمة الله) من شرطية ويبدل فعل الشرط وقوله فإن الله شديد العقاب جوابه (قوله من بعد مجاءته) أى انضحت وثبت له (قوله كفراً) هذا هو المفعول الثاني وقد صرح به في قوله تعالى - ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً - (قوله له) قدره المفسر لصحة جعل الجملة جواب الشرط (قوله زين للذين كفروا) زين فعل ماض مبنى للمفعول ونائب الفاعل قوله الحياة الدنيا والذين كفروا متعلق بزین وفاعل الزينة حقيقة هو الله والشيطان مجازاً وقرئ يبناء الفعل للفعل والحياة مفعول والفاعل ضمير يعود على الله أو الشيطان وجرد الفعل من العلامة لكون نائب الفعل مجازى الثابت سبباً مع وجود الفاصل (قوله من أهل مكة) تخصيص بحسب السبب وإلا فكل كافر كذلك (قوله بالتقوية) أى التحسين الظاهري الذي باطنه (٩٠) فبيح (قوله وهم يسخرون) قدره المفسر إشارة إلى أن الجملة حالية

قال ابن مالك :

معلقة سل عن المفعول الثاني وهي ثاني مفعولى آتيناً ويميزها (من آيةً بينة) ظاهرة كلفق البحر وإنزال المن والسوى فبدلوها كفراً (ومن يبدل نعمة الله) أى ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية (من بعد ما جاءته) كفراً (فإن الله شديد العقاب) له (زين للذين كفروا) من أهل مكة (الحيوۃ الدنيا) بالتقوية فأحبوها (و) هم (يسخرون من الذين آمنوا) لفرم كلال وعمار وصهيب أى يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال (والذين اتقوا) الشرك وهم هؤلاء (فوهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب) أى رزقا واسعا في الآخرة أو الدنيا بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم (كان الناس أمة واحدة) على الإيمان فاختلّفوا بأن آمن بعض وكفر بعض (فبعث الله النبيين) إليهم (مبشرين) من آمن بالجنة (ومُنذرين) من كفر بالنار (وأُنزل معهم الكتاب) بمعنى الكتب (بالحق) متعلق بأنزل (ليحكم) به (بين الناس فيما اختلفوا فيه) من الدين (وما اختلف فيه) أى الدين ،

وذات واو بعدها انو مبتدا
له المضارع اجعلن مسندا
(قوله لفقرهم) أى لتركهم
الدنيا وإقبالهم على الآخرة
(قوله كعمار) أى ابن بامر
(قوله وبلال) أى الحبشى
لما أسلم عذب في الله عذابا
شديداً ، ر قوله وصهيب
تقدمت قصته (قوله والذين
اتقوا) جملة حالية (قوله
فوقهم) أى حسا لكونهم
في الجنة وهي عالية وجهنم
سافلة ومعنى لكونهم
مكرمين والكفار مهانون

(إلا)

(قوله والله يرزق) جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها (قوله أى رزقا واسعا)

في الآخرة) أى لما في الحديث « لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها » (قوله أوفى الدنيا) هذا تفسير آخر وقوله بأن يملك المسخور منهم أنزلهم الله بأن ملكهم رقاب الملوكة وأموالهم . والحاصل أن رزق المؤمن في الدنيا بغير حساب بخلاف الكافر وفي الحديث « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب » وأما في الآخرة فالأمر ظاهر (قوله كان الناس أمة واحدة) أى في مبدأ الدنيا من آدم إلى إدريس ، وقيل من آدم إلى نوح والمعنى أنهم كانوا على الحق ولا اختلاف بينهم في تلك المدة وقيل كانوا على باطل في تلك المدة وهو ضعيف ولذا لم يعرج عليه المفسر (قوله بأن آمن بعض الخ) أى بعد ظهور نوح أو إدريس (قوله من آمن) هذا معمول مبشرين وقوله من كفر معمول لمنذرين (قوله وأنزل معهم) أى مع مجموعهم لاجتماعهم (قوله بمعنى الكتب) أشار بذلك إلى أن آل جنسية (قوله متعلق بأنزل) أى والباء للابسة (قوله ليحكم) يحتمل عود الضمير على الله لأنه الحاكم حقيقة ، ويحتمل عوده على الأنبياء باعتبار كل فرد من أفرادهم أى ليحكم كل نبي بين أمته (قوله من الدين) بيان لما

(قوله إلا الذين أوتوه) استثناء مفرغ فالمستثنى منه محذوف أى وما اختلف فيه أحد إلا الذين أوتوه والمعنى لم يختلف في الدين أحد إلا الذين أوتوا الكتاب فلاختلاف من عهد إنزال الكتب وذلك يؤيد القول بأن الاختلاف من زمن إدريس (قوله وهى وما بعدها مقدم على الاستثناء) أى فيكون المعنى وما اختلف في الدين أحد من بعد ظهور الحجج الواضحة حال كون الاختلاف بضيا إلا الذين أوتوه وإنما جعل مقدا على الاستثناء لثلا يكون الاستثناء المفرغ متعديا مع أنه لا يكون كذلك لأنه يصير المعنى حينئذ إلا الذين أوتوه إلا من بعد ما جاءتهم البينات بالإبغيا بينهم (قوله بضيا) أى ظلمنا وتعديا (قوله للبيان) أى بيان الأمر الذى اختلفوا فيه (قوله بارادته) أى سبقت إرادته بهداية الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه الكفار (قوله هدايته) أشار بذلك إلى أنه مفعول يشاء وأشار بذلك إلى أن الهداية والاضلال ليسا من فعل الانسان بل بخلق الله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا (قوله طريق الحق) أى دين الإسلام صلى طريقا لأنه يوصل المقصود كما أن الطريق كذلك (قوله ونزل في جهد) هو بالفتح المشقة (قوله أصاب المسلمين) قيل كان ذلك في غزوة الأحزاب حين حاصر الكفار المدينة واحتاطوا بها وقطعوا عنها الوارد ولم يكن بينهم وبين دخولها إلا الخندق وكانوا إذ ذاك عشرة آلاف مقاتل فاشتد الكرب والخوف على المسلمين سيما مع وجود ثلاثمائة منافق (٩١) بين أظهرهم فنزلت الآية (قوله

(إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ) أى الكتاب فآمن بعض وكفر بعض (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة باختلاف وهى وما بعدها مقدم على الاستثناء فى المعنى (بَنِيًّا) من الكافرين (يَبْنِيهِمُ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ) للبيان (الْحَقِّ يَازْنِرِ) بإرادته (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) هدايته (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) طريق الحق . ونزل فى جهد أصاب المسلمين (أَمْ) بل أ (حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَكِنْ) لم (يَأْتِكُمْ مَثَلُ) شبه ما أتى (الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) من المؤمنين من الحن فتصبروا كما صبروا (مَسْتَهْمُمْ) جملة مستأنفة مبينة ما قبلها (الْبَأْسَاءُ) شدة الفقر (وَالضَّرَاءُ) المرض (وَزُلْزِلُوا) أزعجوا بأنواع البلاء (حَتَّى يَقُولَ) بالنصب والرفع، أى قال (الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) استبطاء للنصر لتناهى الشدة عليهم (مَتَى) يأتى (نَصْرُ اللَّهِ) الذى وعدناه فأجيبوا من قِبَلِ اللَّهِ (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) إتيانه (يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (مَاذَا يَنْفِقُونَ) أى الذى ينفقونه، والسائل عمرو بن الجوح وكان شيخا ذا مال ،

أى فهما قراءتان سبعيتان والنصب بأن مضمرة وحتى بمعنى إلى وهى تنصب المضارع إذا كان مستقبلا ولاشك أن القول مستقبل بالنسبة للزلال . إن قات إن القول والزلال قد مضى . فالجواب أنه على حكاية الحال الماضية، وأما الرفع فهو بناء على أن الفعل بعدها حال مقارن لما قبلها والحال لا ينصب بعد حتى فتحصل أن لها بعد حتى ثلاثة أحوال إما أن يكون مستقبلا أو ماضيا أو حالا فالأول ينصب بالأخباران يرفعان (قوله متى نصر الله) قدر المفسر يأتى إشارة إلى أن نصر الله فاعل بفعل محذوف ولكن الأحسن جعله مبتدأ مؤخر ومتى خبر مقدم وليس قول الرسول قلقا وعدم صبر بل ذلك دعاء وطلب لما وعده الله به (قوله ألا إن نصر الله قريب) أخذ من ذلك أنه إذا اشتد الكرب كان الدعاء بالفرج مستجابا قال تعالى - آمَنَ يَجِيبُ الْمُسْتَظَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ - وقد حقق الله ذلك سريرا كما قال فى سورة الأحزاب - فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا - (قوله يسألونك) أى أصحابك المسلمون (قوله ماذا ينفقون) ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول بمعنى الذى خبره جملة ينفقون صلة والعائد محذوف أى ينفقونه . والمعنى أن أصحابك يسألونك عن الشيء الذى ينفقونه هل ينفقون مما تيسر ولو حراما أو يصحرون الحلال وفى الآية حذف سؤال آخر دل عليه الجواب والتقدير وعلى من ينفقون والسؤال عن صدقة التطوع بدليل الجواب (قوله والسائل عمرو) أى وإنما جمع السائل فى الآية لأن التكليف لكل مسلم فكان هذا السائل ترجانا عن كل مسلم وإنما اعتنى بذلك السؤال لأن الانسان يوم القيامة ورد أنه يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق ؟ .

أَمْ حَسِبْتُمْ) قدر للمفسر بل إشارة إلى أن أم منقطعة والهمزة للاستفهام الانكارى التوبيخى والمقصود منه تقويتهم على الصبر (قوله لم) قدرها إشارة إلى أن لما نافية بمعناها (قوله ماأتى) قدر ذلك المضاف إشارة إلى أن الشبه فى الأمر الذى أتاهم لا فى الدوات (قوله من قبلكم) تأكيد لحالوا (قوله من الحن) بيان لما أتى (قوله بالنصب والرفع)

(قوله فسأل النبي الخ) أى وحينئذ فى الآية اكتفاء فى السؤال حيث حذف الشق الثانى واكتفى بجوابه (قوله من خير) أى حلال (قوله الذى هو أحد شقى السؤال) أى المذكور فى الآية وقوله وأجاب أى عن المصرف الخ أى الذى سؤاله مطوى (قوله والأقرين) أى من أولاد وإخوة وأعمام وعمات وهو من عطف العام على الخاص وصرح بذكر الوالدين وإن دخلا فى الأقرين بعثناه بشأنهما (قوله واليتامى) جمع يتيم وهو من فقد أباه وهو دون البلوغ وقدم اليتامى على المساكين لعجزهم عن التكسب (قوله والمساكين) المراد بهم ما يشمل الفقراء (قوله وابن السبيل) أى الغريب المسافر (قوله وما تعلقوا من خير) ما شرطية وفعلوا فعل الشرط وما بعد الفاء جوابه وآتى بتلك الجملة طمأنينة للمؤمن فى الاكتفاء بوعد الله فى الجزاء لأنه وعده لا يتخلف ومع ذلك لا ينيب عن علمه منقال فزرة فيلزم من علمه بالخبر من العبد مجازاته عليه والاسرار بنفقة التطوع أفضل لأن صاحبها من جملة من يظله الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله (قوله أو غيره) أى كالكلام اللين الطيب (قوله فإن الله به عليم) أى وقد ألزم جزاءه وحقيق بأن ينجزه (قوله كتب عليكم القتال) أى وكان فرضه بعد الهجرة بعد أن نهى رسول الله عنه فى نيف وسبعين آية، وهو فرض عين إن جأ العدو وكفاية إن لم ينجأ بأن كان فى بلده ونحن الطالبون له (قوله للكفار) أى الحريين وأما أهل الذمة فيحرم قتالهم (قوله طبعاً) أى فهو مكروه من جهة الطبع ولا يلزم من كون الطبع يكرهه أنه كاره حكم الله به بل هو من باب (٩٢) مخالفة النفس (قوله وعسى أن تكرهوا شيئاً) الترجى فى كلام الله ليس

على بابه بل هو للتحقيق لأنه خبر من أحاط بكل شئ علماً وعسى هنا تامة تكتفى بمرفوعها قال ابن مالك : بعد عسى اخلولق أو شك قد يرد غنى بأن يفعل من ثان فقد (قوله وهو خير لكم) جملة حالية من قوله شيئاً أو صفة له . واستشكل كل منهما بأن الحال

فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عما ينفق وعلى من ينفق (قُلْ) لهم (مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ) بيان لما شامل للقليل والكثير، وفيه بيان المنفق الذى هو أحد شقى السؤال وأجاب عن المصرف الذى هو الشق الآخر بقوله (فَالَّذِينَ دِينِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) أى هم أولى به (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) إفاق أو غيره (فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فجاز عليه (كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ) للكفار (وَهُوَ كُرْهُ) مكروه (لَكُمْ) طبعاً لمشتقته (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لملاكمها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم فى القتال وإن كرهتموه خيراً لأن فيه إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر ، وفى تركه وإن أحببتموه شراً لأن فيه النذل والفقر وحرمان الأجر (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) ما هو خير لكم (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به . وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم أول سراياه :

وعليها

لا يأتى النكرة من بدون مسوغ، وبأن الصفة لا تقترن بالواو . وأجيب عن

الأول بأن إتيان الحال من النكرة بدون مسوغ قليل وعن الثانى بأن الصفة أجريت مجرى الحال فى جواز اقترانها بالواو وقوله الموجبة لسعادتها أى فالسعادة فى طاعة الله والشقاوة فى معاصيه (قوله إما الظفر والغنيمة) أى لمن عاش وقوله أو الشهادة والأجر أى لمن مات (قوله لأن فيه النذل) أى بغلبة العدو علينا وقوله والفقير أى لكونه يسلب مالنا وقوله وحرمان الأجر أى للترتب على الجهاد فى سبيل الله وهو مضاعفة الحسنات إلى سبعمائة ضعف وغير ذلك مما وعد الله به المجاهدين (قوله وأرسل النبي) هذا بيان لا يجب نزول هذه الآيات من هنا إلى آخر الربع (قوله أول سراياه) أى وكانت تلك السرية إذ ذاك ثمانية رجال وقيل اثني عشر أرسلهم النبي لخل يقال له نخلة جهة الطائف يتجسسون على الكفار ويأتون بأخبارهم فيبناهم فى ذلك الموضع إذ مرت بهم عبر لقريش من جهة الطائف ومعها أربعة رجال فقتل أهل السرية أحد الأربعة وأسروا اثنين وهرب واحد وغنموا العير وما عليها وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين . واعلم أن جملة سراياه وغزوانه سبعون. والسرية من خمسة رجال إلى أربعمائة وما فوقها يقال لها جيش ثم صريح المفسر يقتضى أنه لم يكن قبلها سرية والذى ذكره فى الواهب أن أول سرية كانت فى رمضان سابع شهر من هجرته عليه الصلاة والسلام والثانية فى شوال والثالثة فى صفر وهذه هى الرابعة وغزاقبل تلك السرية ثلاث غزوات إلا أن يحاجب عن المفسر بأن المراد بأول سراياه التى حصل منها القتل والغنيمة

للكفار وأما قبلها فلم يقع فيه قتل ولا غنيمة (قوله وعليها عبد الله بن جحش) أى أميرا وهو ابن عمه رسول الله (قوله فقاتلوا المشركين) أى الذين كانوا مع العير (قوله والتبس عليهم برجب) أى حيث رأوا الهلال كبيرا فالتبس عليهم هل هو ابن ليلة أو ليلتين (قوله فيهم الكفار باستحلاله) أى حيث قال الكفار للمسلمين أنتم قد استحللتم القتال في الأشهر الحرم (قوله يستلونك) أى سؤال اعتراض (قوله بدل اشتمال) أى من الشهر إذ هو مشتمل على القتال لوقوعه فيه (قوله كبير) أى إن كان عمدا (قوله مبتدأ وخبر) أى والمسوغ وصفه بالجار والمجرور (قوله وصّد عن المسجد الحرام) قدر ذلك المفسر إشارة إلى أنه معطوف على سبيل الله مسلط عليه صد لكن يلزم عليه العطف على المبتدأ قبل استكمال مسوغه. وأجيب بأنه لا يلزم محذور إلا إذا كان المعطوف أجنبيا من المعطوف عليه وهنا ليس بأجنبي لأن الكفر والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام من واد واحد (قوله وخبر المبتدأ) أى وما عطف عليه وإنما أفرد الخبر لأنه اسم تفضيل مجرد والقاعدة أن اسم التفضيل إذا كان مجردا أو مضافا لنكرة يلزم أن يكون بلفظ واحد للثنى والجمع والمذكر والمؤنث، قال ابن مالك : (٩٣) وإن لمذكور يضاف أو مجردا *

ألزم تذكيرا وأن يوحد (قوله ولا يزالون) يقالونكم) المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال (قوله كي يردوكم) أشار بذلك إلى أن حقى للتعليل والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها وعن دينكم متعلق يردوكم (قوله إن استطاعوا) جملة شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه ومفعولها محذوف أيضا أى إن استطاعوا ذلك فلا يزالون يقالونكم (قوله ومن يردد منكم) هكذا القراءة هنا بالفك لا غير

وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فيهم الكفار باستحلاله فنزل (يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ) الحرم (قَالَ فِيهِ) بدل اشتمال (قُلْ) لهم (قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) عظيم وزرأ مبتدأ وخبر (وَصَدَّ) مبتدأ : منع للناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (وَكَفَرُ بِهِ) بالله (وَصَدَّ) عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى مكة (وَإِخْرَاجِ أَهْلِ مِنْهُ) وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وخبر المبتدأ (أَكْبَرُ) أعظم وزرا (عِنْدَ اللَّهِ) من القتال فيه (وَالْفِتْنَةُ) الشرك منكم (أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) لكم فيه (وَلَا يَزَالُونَ) أى الكفار (يُقَاتِلُونَكُمْ) أيها المؤمنون (حَتَّى) كي (يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ) إلى الكفر (إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) الصالحة (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالخروج مثلا وعليه الشافعي (وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). ولما ظن السرية أنهم إن سلموا من الأثم فلا يحصل لهم أجر نزل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) فارقوا أوطانهم (وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لإعلاء دينه (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) ثوابه (وَاللَّهُ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم،

وأما في المائدة ففيها قراءتان بالفك والادغام (قوله أفعالهم الصالحة) أى وأما السيئة فباقية يعذبون عليها (قوله وعليه الشافعي) هذا ضعيف والمعتمد عنده أنه يرجع له عمله مجردا عن الثواب وأما عند مالك وأبي حنيفة فهو كالكافر الأصلي إذا أسلم فلا يرجع له شيء من أعماله ولا يؤمر بالقضاء ترغيبا له في الإسلام إلا ما أسلم في وقته فيفعله وثمره الخلاف تظهر في صحابي ارتد ثم عاد للإسلام ولم تثبت رؤيته للنبي بعد ذلك هل ترجع له الصلحة مجردة عن الثواب وعليه الشافعي، أولا وعليه مالك وأبو حنيفة ، وأما زوجته فتبين منه وترجع له بالإسلام من غير عقد عند الشافعي وعند مالك وأبي حنيفة لا ترجع إلا بالعقد، وحكم الرد عند مالك أنه يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل بعد غروب الشمس (قوله ولما ظن السرية الخ) بل ورد أنهم سألوا النبي عن ذلك (قوله إن الذين آمنوا) أى وهم عبد الله بن جحش ومن معه (قوله فارقوا أوطانهم) أشار بذلك إلى معنى الهجرة هنا (قوله والله غفور رحيم) أى ومن رحمته بهم غفران خطيئتهم وقسم الغنيمة عليهم فانه نزل بعد هذه الآية - واعلموا أنما غنمتم من شيء - الآية فآخذ رسول الله الخمس لبيت المال وفرق عليهم الأربعة أخماس

(قوله يستلونك عن الخمر والميسر) السائل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الصحابة بقولهم إن الخمر والميسر بضيعان العقل والمال فأفتنا فيهما . وحاصل ما وقع في الخمر في زمان رسول الله أنه نزل فيه أربع آيات الأولى نزلت بكفة تدل على حله وهي قوله تعالى - ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا - ثم سأل عمر ومعاذ وجماعة النبي بالمدينة عن حكمه فنزل يستلونك عن الخمر والميسر الآية فشر بها قوم لقوله ومنافع للناس وامتنع آخرون خوفا من قوله فيها إثم كبير ثم إن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما لبعض أصحابه فأكلوا وشربوا الخمر فحضرت صلاة المغرب فأمهم واحد منهم فقراقل يأيها الكافرون أعبد ما تعبدون باسقاط لا إلى آخر السورة فنزل - يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى - الآية خرمت في أوقات الصلاة دون غيرها ثم إن عتبان بن مالك صنع طعاما لجماعة من الصحابة وفيهم سعد بن أبي وقاص فأكلوا وشربوا الخمر فأتفخروا وتناشدوا الشعر فأنشد سعد قصيدة يمدح بها قومه ويهجو الأنصار فشج رجل منهم رأسه فرفع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله الآية المائدة إلى قوله فهل أتم منتهون فقال عمر اتبهينا يارب فكان يوم نزولها عيدا عظيما . والخمر كل مانع غيب العقل ولو من غير ماء العنب وهو نجس وفيه الحد قليلا أو كثيرا بل بالغ بعض السالكية في الحد حيث أوجبته على من وضع ليرة فيه ومصها وبلغ ريقه . والحاصل أن المتخذ من ماء العنب نجس يحرم قليله وكثيره أسكر أم لا ويحد شاربه بإجماع ، وأما المتخذ من غيره من سائر المائعات التي دخلها الشدة المطربة فكذلك عند الأئمة الثلاثة وبعض الحنفية . وقال بعضهم (٩٤) لا يحرم منه إلا القدر المسكر . وأما الجامد الذي يغيب العقل كالخبيشة والأفيون

(يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) القمار ما حكمهما (قُلْ) لهم (فِيهِمَا) أى في تعاطيهما (إِثْمٌ كَبِيرٌ) عظيم وفي قراءة بالثلثة لما يحصل بسببهما من الخفاصة والمشاغبة وقول الفحش (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كد في الميسر (وَلِئَلَّاهُمْ) أى ما ينشأ عنهما من الفساد (أَكْبَرُ) أعظم (مِنْ نَّفْعِهِمَا) ولما نزلت شر بها قوم وامتنع آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة (وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ) أى ما قدره ؟ (قُلْ) أنفقوا (الْعَفْوُ) أى الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم ، وفي قراءة بالرفع بتقدير هو (كَذَلِكَ) أى كما بين لكم ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي) أمر (الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فتأخذون بالأصلح لكم فيها (وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى)

والبنج والداتورة فطاهر يحرم القدر الغيب للعقل منه وفيه الأدب (قوله القمار) هو آلات الملاهي التي يلعب بها في نظير مال فيشمل الطاب والشطرنج والسبيجة وأما إن كان بغير مال ففيه خلاف قيل كبيرة وقيل صغيرة وقيل مكروه (قوله أى في تعاطيهما) لاجابة له

وما

بعد تقدير ما حكمهما (قوله بالثلثة) أى كثير (قوله باللذة والفرح)

أى والقوة على الجماع والشجاعة والكرم (قوله إلى أن حرمتها آية المائدة) طاهره أن آية المائدة نزلت بعد هذه الآية وليس كذلك بل بينهما آية النساء (قوله ويستلونك) السائل عمرو بن الجوح المتقدم فسأل أولا عن جنس المال الذي ينفق منه وطى من ينفقه وسأل ثانيا عن القدر المنفق فلم يكن بين السؤالين تكرار وتقدم الجواب عن الجمع بأنه لما كان ذلك السؤال ينفع جميع الناس فكان السائل جميع الناس (قوله وتضيعوا أنفسكم) أى فالأسراف مذموم وكذا التقدير قال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - الآية وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - (قوله قراءة بالرفع) أى وهى لأبي عمرو من السبعة وسبب القراءتين الاختلاف في إعراب ماذا ينفقون فمن أعرب ماذا جميعها اسم استفهام معمول لا ينفقون فالجمله فعليه فيكون جوابها كذلك فقوله العفو بالنصب معمول لمحذوف والجمله في محل نصب مقول القول لأن القول لا ينصب إلا الجمل أو ما قام مقامها ومن أعرب ما وحدها اسم استفهام مبتدأ وإذا اسم موصول خبره وجمله ينفقون صلته فالجمله اسمية فيكون جوابها كذلك فالعفو بالرفع خبر لمحذوف : أى هو العفو والجمله على كل حال مقول القول وهذا هو المناسب وإلا فيصح جعل السؤال جملة اسمية والجواب جملة فعلية وبالعكس (قوله في أمر الدنيا) أى فتصاحبها ولا تسرفوا ولا تقتروا (قوله والآخرة) أى فتصاحبها أيضا بالأعمال الصالحة فلا تشددوا حتى تموتوا ولا تتركوا حتى تغفلوا بل التوسط مطلوب في أمر الدنيا والآخرة (قوله ويستلونك عن اليتامى) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى - إن الدين بأكلون

أموال اليتامى ظلما إما يأكلون في بطونهم نارا ويصلون سعيرا - اشتد الكرب على أولياء الأيتام فشكوا لرسول الله فلك فقالوا يا رسول الله ! إن خالطناهم بالضرورة لا بد من أكل شيء من أموالهم ، وإن عزلناهم يلزم عليه المشقة على اليتامى وعلى أوليائهم فزلت الآية (قوله وما يلقونه من الحرج) هذا بيان لوجه السؤال كأنه قال ، ويسألونك عما يلقونه من الحرج في شأن اليتامى ، والمراد بالحرج الوعيد الوارد في سورة النساء (قوله فإن أكلوهم) أى خالطوهم (قوله يأثموا) أى يقعوا في الأثم المترتب عليه الوعيد وهذا بيان لوجه الحرج (قوله وإن عزلوا مالهم) أى مال اليتامى وقوله من أموالهم : أى الأولياء ويصح العكس (قوله فخرج) أى هو حرج فاجلحة جواب الشرط (قوله قل إصلاح لهم خير) التنوين عوض عن المضاف إليه أى إصلاحكم لهم خير والوعيد محمول على الأكل بنية الإفساد (قوله بتنميتها) الباء للسمية : أى بسبب زيادتها بالتجار فيها وفي الحديث « اتجروا في أموال اليتامى لاتأكلها الزكاة » (قوله ومداخلكم) أى غاظتكم لهم بأن تدخلوا أموالهم في أموالكم (قوله خير من ترك ذلك) أى العزل. واختاف في تسمية مال اليتيم بالتجار ونحوه ، فقال مالك حفظ ماله بأى وجه واجب والأولى أن يكون بالتنمية فهى ليست واجبة وحمل حديث « اتجروا » على النذب واسم التفضيل على بابه فترك التنمية خير أيضا لكن الأولى التنمية ، وقال الشافى تنمية والتجارة فيه على حسب الطاقة واجب ، حمل الحديث على الوجوب واسم التفضيل في الآية على غير بابه فترك التنمية لاخير فيه بل هى التتبعية (قوله) (٩٥) (أى فهم إخوانكم) أشار بذلك إلى أنه خير لحذف والجملة

جواب الشرط وهذا من التعبير بالازم ولذا أشار المفسر بقوله : أى فلکم ذلك (قوله والله يعلم للفسد من المصلح) أى فیدخل المفسد النار والمصلح الجنة ودفع بذلك ما يقال ربما الأولياء يتبعون الإصلاح بالخطئة والواقع غير ذلك (قوله بتحريم الخطئة) أى بأن يكلف الأولياء

وما يلقونه من الحرج في شأنهم فإن أكلوهم يأثموا وإن عزلوا مالهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاما وحدهم فخرج (قل إصلاح لهم) فى أموالهم بتنميتها ومداخلكم (خير) من ترك ذلك (وإن تخالطوهم) أى تخلطوا بنفقتهم (فأخوانكم) أى فهم إخوانكم فى الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أى فلکم ذلك (والله يعلم المفسد) لأموالهم بمخالطته (من المصلح) بها فيجازى كلا منهما (ولَوْ شاء الله لأَعْنَتَكُمْ) لضيق عليكم بتحريم الخطئة (إن الله عزيز) غالب على أمره (حكيم) فى صنعه (وَلَا تَنْكِحُوا) تنزوجوا أيها المسلمون (الْمُشْرِكَاتِ) أى الكافرات (حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ) حرة لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة وترغيبه فى نكاح حرة مشركة ،

يعزل مال اليتيم وطعامه وشرابه وإن تاف شيء من ذلك فعلى الولي (قوله إن الله عزيز) هذا كالتعليل لما قبله ، فالعنى لواء الله عنتمكم لأعنتمكم لأنه غالب على أمره (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشيء فى محله ، فحيث أوجب الله حفظ مال اليتيم سوغ الخطئة رفقا بالأولياء . والحاصل أنه يخرج من تركه أبى الأيتام مؤن تجهيزه وأما ما أوصى به من السبح والجمع فمن ثلثه إن وسعه وأما إن لم يوصى وقد جرت العادة بذلك والمال واسع وفعل ذلك كبير رشيد فعند المالكية يلزم الأيتام ذلك ولا يحرم الأكل منه حيث كان لإسراف فيه ، وعند الشافعية لا يلزم الأيتام ذلك ويحرم الأكل منه ، وأما إن كان المال ضيقا فلا يلزم الأيتام ذلك اتفاقا ويحرم الأكل منه إلا أن يهدى للأيتام ما ينفى بما أكله (قوله تنزوجوا) يشير إلى أن المراد بالنكاح العقد لا الوطء ولم يرد فى القرآن بمعنى الوطء ، وسبب نزول الآية أن رجلا من الصحابة كان عاشقا امرأة فى الجاهلية فلما أسلم اجتمع بها فى مكة بعد هجرة النبي إلى المدينة فراودته عن نفسه ، فقال لها قد حال بينى وبين ما تطالبينه الاسلام فقالت له فهل لك فى الزواج بى ؟ فقال حتى أستأذن رسول الله فلما أخبره نزلت الآية (قوله أيها المسلمون) تفسير للواو فى تنكحوا (قوله الكافرات) أى غير الكتابيات بدليل ما أتى فى المفسر (قوله حتى يؤمن) فعل مضارع مبنى على السكون لاصاله بنون النسوة وهى فاعله سكنت وأدغمت فى نون الفعل (قوله خير من مشركة) اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار أمر الدنيا (قوله على من تزوج أمة) أى وهو عبيد الله بن رواحة أو حفصة بن العيص كان عند كل منهما أمة فأعتقها وتزوج بها فغيرا بذلك وفى الحقيقة لم يتزوجا إلا بحرة وأما الزواج بالأمة من غير عتق فيجوز بشرط أن لا يجد للحر أطولا وأن يخفى العتق وأن تكون تلك الأمة مؤمنة

وهذا إن كان يولد له منها وإلا فيجوز بغير شرط ، وسيأتي التعرض له في قوله تعالى - ومن لم يستطع منكم طولا - الآيات (قوله بغير الكتابيات) أي الحرائر ، وأما الأمة الكتابية فلا تحل إلا بالملك (قوله ولا تنكحوا المشركين) «قراءة بضم التاء باجماع وهو ينصب مفعولين للمشركين مفعول أول وقتر المفسر المفعول الثاني ، والمعنى لا تزوجوا الكفار ولو أهل كتاب المؤمنات (قوله المؤمنات) قدره إشارة إلى مفعول تنكحوا الثاني (قوله حتى يؤمنوا) أي إلى أن يدخلوا في الإيمان (قوله ولو أعجبكم) الوالوالحال ولو شرطية بمعنى إن جوابها محذوف تقديره فلا تزوجوه (قوله إلى الجنة والمغفرة) قدم الجنة هنا لمناسبة النار وإلا فالمغفرة سبب في دخول الجنة والسبب مقدم على السبب وقد قدمت في قوله تعالى - وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة - وقوله تعالى - سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة (قوله بتزويج أوليائه) أي وهم المسلمون (قوله ويبين آياته للناس) أي يظهرها ويوضحها لهم وللمناس متعاق يبين (قوله ويسألونك عن المحيض) السائل أبو الدحداح وجماعة من الصحابة . وسبب ذلك أن اليهود كانوا يعتزلون النساء في المحيض بالمرءة حتى لا يبيت في مكان فيه حائض ولا تصنع له حاجة أبدا ثم اقتدت بهم الجاهلية ، وأما النصارى فبخلاف ذلك فانهم كانوا يفرقون بين كونها حائضا أولا فبين الله أن شرعنا بين ذلك قواما (قوله أي المحيض أومكانه) اعلم أن المحيض مصدر ميمي يصاح للزمان والمكان فقوله أومكانه : أي أوزمانه والمحيض لغة السيالان يقال حاض الوادي إذا سال ، واصطلاحا دم أوفسرة أو كدرة خرج (٩٦) من قبل من تحمل عادة حالة الصحة والاعتقاد فخرج بقولنا دم الخ القصة البيضاء

(وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) لجالها وما لها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (وَلَا تَنْكِحُوا) تزوجوا (الْمُشْرِكِينَ) أي الكفار المؤمنات (حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) لماله وجهه (أُولَئِكَ) أي أهل الشرك (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق منا كتحتمهم (وَاللَّهُ يَدْعُوا) على لسان رسله (إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ) أي العمل الموجب لهما (بِإِذْنِهِ) بإرادته فتجب إجابته بتزويج أوليائه (وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ) أي المحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه (قُلْ هُوَ أَذَى) قدر أو محله (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ) اتركوا وطأهن (فِي الْمَحِيضِ) أي وقته أو مكانه (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ) بالجماع (حَتَّى يَطْهُرْنَ) يسكنن الطاء وتشديدها والهباء . وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء أي يغتسلن بعد انقطاعه (فَإِذَا طَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ) بالجماع ،

فانها علامة الطهر من الحيض لا نفس الحيض وبقولنا من قبل من تحمل عادة : أي وهو ما بين الاثني عشر والخمسين سنة ، وأما ما فوق الخمسين إلى الستين ومن التسعة إلى الاثني عشر يسئل النساء العارفات فان كان لانه حيض كان حيضا وإلا فلا خرج به من لا تحمل عادة لصغر أو يأس كبنت ست أو سبعين فليس بحيض وقولنا حالة

(من

الصحة والاعتقاد خرج بذلك ما نزل على وجه المرض كالسلس فليس بحيض

إلا أن تميزه بعد طهر تام وأكثره للبداة نصف شهر فان زاد كان استحاضة وللعادة عادت فان زاد استظهرت عليها ثلاثة أيام ما لم تجاوز نصف شهر وتصير هي مع الاستظهار عادة لها وأحكام الحيض مفصلة في الفروع (قوله ماذا يفعل بالنساء) هذا هو صورة السؤال (قوله قل هو) أي المحيض بمعنى الدم السائل لا بالمعنى المصدري الذي هو السيالان ففيه استخدام (قوله قدر أو محله) لف ونشر مرتب فان قوله قدر راجع لتفسيره بالمصدر وقوله أو محله راجع لتفسيره بالمكان (قوله فاعتزلوا النساء) مفرع على قوله قل هو أذى ، ولما نزلت هذه الآية فهم بعض الصحابة أن الاعتزال مطلق حتى في المسكن فقال ناس من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثلثيات قليلة فان آثارنا من هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت الحيض فقال « إنما أمرتم أن تعتزلوا جماعهن ولم تؤمروا باخراجهن من البيوت كفضل الأعاجم » ثم اعلم أنه يحرم وطء الحائض في الفرج باجماع ، وأما التلذذ بما بين السرة والركبة فان كان من فوق الإزار ففيه خلاف ، وأما ما عد ذلك من سائر الجسد فهو جائز باجماع لما في الحديث « الحائض تشد إزارها شأنك بأعلاها » (قوله أي وقته أو مكانه) تفسير له بالزمان أو المكان (قوله بالجماع) أي فالمراد قرب خاص (قوله وفيه إدغام التاء في الأصل) أي فأصله يطهرن قلبت التاء طاء ثم دغمت في الطاء (قوله أي يغتسلن بعد انقطاعه) أي بالماء إن كان موجودا وصرن على استعماله ، إلا فالتيمم يقوم مقامه ولا يجوز قربانها بعد الانقطاع وقبل الطهر عند الأئمة الثلاثة وجوز

أبو حنيفة حيث انقطع بعد مضى أكثره وهو عشرة أيام عنده ، وأما إن انتطح قبل مضى أكثره فلا يجوز قربانها إلا بالنسل
أوبعضى وقت الصلاة (قوله من حيث) أى فى السكان الذى أمركم الله بتجنبه فى زمن الحيض (قوله ولا تعدوه) يسكون العين
وضم الدال ويصح فتح العين وتشديد الدال (قوله إلى غيره) أى وهو الدبر فلا يجوز الإيلاج فيه مطلقا زمن الحيض أولا (قوله
التوايين) أى وهم الذين كلأ أذنوا تابوا (قوله من الأقدار) أى الحسية والمعنوية وقدم التوايين لئلا يفتنوا وأجر المتطهرين
لئلا يجيبوا وإن كانوا أعلى منهم (قوله نساؤكم حرث) أى كالأرض تحث ليوضع فيها البذر فنبه النساء بالارض التى تحث
وشبه النظفة بالبذر الذى يوضع فى تلك الأرض وشبه الولد بالزرع الذى ينبت من الأرض ، والمراد من تلك الآية بيان الآية
للتقدمة وهى قوله - من حيث أمركم الله - فبين أن المراد به موضع الزرع وهو القبل لا غيره (قوله وهو القبل) أخذ بعضهم
من الآية أنه يحرم وطء النساء فى أديارهن لأنه ليس محل الزرع وحكمة النكاح وجود الفسل وإنما جعلت الشهوة وسيلة لذلك
وجعلت شهوة النساء أعظم لأن مشقة النسل عليهن أعظم من الرجال فتتسل النساء عن المشقة بعظم الشهوة (قوله أتى شئتم)
أتى بمعنى كيف فهى لتعميم الأحوال (قوله وإدبار) أى فيجامعها من جهة دبرها لكن فى الفرج ، والوارد فى السنة عن رسول
الله فى صفة إثباته لنسائه أنه كان يجاس بين شعبها الأربع وهى مستلقية على ظهرها . وقال الحكماء : إدامة الجماع وهو مضطجع
على جنبه يورث وجع الجنب (قوله جاء الولد أحول) أى يبيض عينه مكان (٩٧) سوادها (قوله كالتسمية عند

الجماع) أى بأن يقول بسم
الله الرحمن الرحيم اللهم
جنبنا الشيطان وجنب
الشيطان مارزقنا فإنه إذا
فعل ذلك حفظ الولد من
الشيطان وكتب له بعدد
أنفاسه وأنفاس أولاده
حسنات إلى يوم القيامة
(قوله فى أمره) أى بالآيتين
فى القبل والتسمية وقوله
ونبيه : أى عن الآيتين
فى الدبر وإنما طلبت

(مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ) بتجنبه فى الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ)
يُثِيبُ وَيَكْرَهُ (التَّوَّابِينَ) من الذنوب (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) من الأقدار (نِسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ)
لَكُمْ (أى محل زرعكم الولد) فَأَنْتُمْ حَرْثُكُمْ (أى محله وهو القبل) (أَتَى) كيف (شِئْتُمْ)
من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار . نزل ردأ قول اليهود من أتى امرأته فى قبلها من جهة
دبرها جاء الولد أحول (وَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ) العمل الصالح كالتسمية عند الجماع (وَاتَّقُوا اللَّهَ)
فى أمره ونبيه (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ) بالبعث فيجازيكم بأعمالكم (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)
الذين اتقوه بالجنة (وَلَا تَجْمَلُوا اللَّهَ) أى الحلف به (عُرْضَةً) علة مائة (لِأَيِّمَانِكُمْ) أى
نصبا لما بأن تكثروا الحلف به (أَنْ) لا (تَبْرُوا وَتَتَّقُوا) ،

التسمية فى ذلك الوضع لأنهاد كرى فى وقت غفلة فيكتب من الدكرين الله فى الغافلين وأهل الله فى ذلك لهم تجليات ومشاهدات
تجل عن الحصر والكيف ، وإلى ذلك الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « حبيب إلى من دنيا كم ثلاث : النساء والطيب
وجعلت قرّة عيني فى الصلاة » حيث قدم النساء ، ولا يقال إن الاشتغال بمشاهدة النعم يحجب عن اللذة لأنه يقال إنه مقام جمال
وبسط لاجلال وقبض فعند ذلك تزداد القوة لما روى أن رسول الله أعطى قوة أربعة آلاف رجل من أهل الدنيا فى الجماع
ويقرب ذلك إذا أضافك ملك عظيم وصنع لك طعاما عظيما وجلس معك يباسطك بأنواع المباسطات فإن شهودك له ومسامرته
تزيد لذة فى طعامه وترابه أكثر من تمتعك بذلك فى حال غيبك عنه فسبحان العطى المانع (قوله واعلموا أنكم ملاقوه) أى
ملاقو جزائه (قوله ولا تجعلوا الله عرضة) سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن رواحة كان بينه وبين خنته : أى نسيبه وهو
النعمان بن بشير شىء خلف أنه لا يواصله أبدا فنزلت ، وقيل نزلت فى حق الصديق حين حلف على مسطح لما نكح فى الافك
أن لا يوصله (قوله لأيمانكم) أى أفعال بركم وصميت أيماننا تعلق الأيمان بها ، وقوله أن تبروا الخ بدل من أيمانكم (قوله أى
نصبا لها) أى غرضا مانعا من فعل البر (قوله بأن تكثروا الحلف به) هذا تفسير آخر للآية فكان للناسب للفسر أن يأتى بأو
(قوله أن تبروا) أى تصلوا الرحم مثلا وقوله وتقفوا أى تصلوا أو تصوموا مثلا ، وقوله وتصاحوا بين الناس من عطف الخاص على العام
والمنى أن الفعل الذى يحصل لكم به خير فلا تحلفوا على تركه ، وهذا على التفسير الأول ، وأما على الثانى فلا يحتاج لتقدير لا وإنما
يقدر لام التعليل : أى لا تكثروا الحلف بالله لما فيه من ابتغال اسمه تعالى فى كل شىء قليل

لوكبر عظيم أوحى لأجل أن تكونوا من أهل البر والتقوى والإصلاح بين الناس فأنهى عن الكثرة على هذا والأيمان على بابها بمعنى الأقسام وعرضة بمعنى معروض فهي اسم مفعول : أى محل للحلف كغرض الرماة وعلى الأول فهي بمعنى عارضة أى لا تجعلوا الله مانعا من بركم وتقواكم وإصلاحكم بواسطة القسم به (قوله فتكره اليمين على ذلك) أى إن كان مندوبا وهو مفرع على التفسير الأول (قوله فهي طاعة) أى مندوب وتعريضها الحرمه كما إذا حلف على ترك واجب (قوله لا يؤخذكم الله باللغو) اختلف العلماء فى معنى اللغو فقال الشافى : هو ما سبق إليه اللسان من غير قصد عقد اليمين فلا إثم ولا كفارة له . وقال أبو حنيفة ومالك : هو أن يحلف على ما يستقد فيتين خلافه وفى الفروع تفاصيل موكولة لأربابها (قوله ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم) وقت هنا لكن بين نقيضين باعتبار وجود اليمين لأنها لا تخلو إما أن لا يقصدها القلب بل جرت على اللسان وهى اللغو عند الشافى وإما أن يقصدها وهى المتعقده ، والمعنى لا يؤخذكم الله بغير المقصودة لتقو بكم وإنما يؤخذكم بالمقصودة لها ، وهذا التقرير على مذهب الشافى ويقال على مذهب أبى حنيفة ومالك لا يؤخذكم الله باللغو : أى بما حلفتم عليه معتقدين حقيقته بحيث يكون اللسان موافقا للجنان ولكن يؤخذكم بما حلفتم عليه غير معتقدين حقيقته وهى اليمين القموس ، وقد نظم الأجهورى من أشاكية صور (٩٨) كفارة اللغو والقموس بقوله : كسر غموسا بلا ماض يكون كذا *

لغو بمستقبل لا غير فامثلا (قوله لما كان من اللغو) أى والخطأ (قوله بتأخير العقوبة عن مستحقها) أى ومن ذلك اليمين القموس فكفارته النفس فى جهنم (قوله للذين يؤلون من نسائهم) حقيقة الإيلاء الحلف بالله أو بغيره على ترك وطء الزوجة للدخول بها للطبيعة لوطء أكثر من أربعة أشهر إمصارا كما لا أطوك أو ضمنا كما أغسل من جنبه منك وحكمه

فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة (وَتُضْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه بل اتقوا وكفروا لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأقوالكم (عَلِيمٌ) بأحوالكم (لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ) الكائن (فِي أَيْمَانِكُمْ) وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله فلا إثم فيه ولا كفارة (وَلَكِنْ يَأْخُذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) أى قصده من الأيمان إذا حنثتم (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لما كان من اللغو (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عن مستحقها (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ) أى يحلفون أن لا يجامعوه (تَرَبُّصٌ) انتظار (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا) رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف (رَحِيمٌ) بهم (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) أى عليه بأن لم يفيا فليؤصوه (فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقولهم (عَلِيمٌ) بمرزهم المعنى ليس لهم بعد ترصص ما ذكر إلا القية أو الطلاق (وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ) أى لينتظرن (بِأَنْفُسِهِنَّ) ،

كما قال الله ولان الذين خبر مقدم وترصص مبتدأ مؤخر والإضافة على معنى فى : أى انتظار فى أربعة أشهر ولها النفقة والسكوة فى تلك المدة لأن الامتناع من قبله بخلاف الناشئ فلا نفقة لها ولا سكوة لأن الامتناع منها (قوله أى يحلفون أن لا يجامعوه) بيان لحقيقة الإيلاء الشرعى والإفهام لانه مطلق الحلف (قوله أربعة أشهر) أى وتحسب من يوم الحلف إن كانت صريحة فى ترك الوطء . ومن يوم الرفع للحاكم إن لم تكن صريحة (قوله رجعوا فيها) أى فى الأربعة أشهر بمرزهم ما يرتب على الحنث من كفارة إن كانت اليمين بالله أو العتق إن كان به (قوله أى عليه) أشار بذلك إلى أن الطلاق منصوب بزعم الخافض (قوله فليؤصوه) قدره المذمير إشارة لجواب الشرط فان امتنعوا من إيقاعه ومن الوطء فان الحاكم يأمرها بالطلاق ثم يحكم . ونيل ينشئ الطلاق وهو رجعى كالطلاق على العسر بالنفقة لأن كل طلاق أو قعه الحاكم فهو بائن إلا للولى والعسر بالنفقة (قوله المعنى) أى المراد من قوله تعالى - فان فاءوا - الآيتين (قوله ترصص ما ذكر) أى الأربعة أشهر (قوله إلا القية أو الطلاق) أى ما لم ترض بالمقام معه بلا وطء فان استمرت على ذلك فالأمر ظاهر فان رقت ثانيا وشكت للحاكم أمره إما بالقية أو الطلاق فان امتنع منهما طلق عليه الحاكم (قوله وللمطلقات) أى رجعيا أو باتنا (قوله بأنفسهن) بمحمل أن إنباء زائدة لتوكيد النون : أى برصص أنفسهن ويحمل أنها للتمدية والمعنى أنهن لا يحتجن لحكم .

(قوله عن الكاح) أى نكاح غير للطلق (قوله تمضى من حين الدلاق) أى ونصدق للراءة في ذلك لأنها أمانة على فرجها إلى
مضى زمن تقضى العادة فيه بمضى الثلاثة الأقراء (قوله بفتح القاف) أى وأما الضم فجمعه أقراء كقفل وأقبل وإعاضطه
المفسر بالفتح نقط لأجل جمعه في الآية على قروء وإلناهو في نفسه صح فيه الضم والفتح (قوله وهو الطهر) أى وإليه ذهب مالك
والشافعي وأحمد في أول أمره (قوله أو الحيض) أى وإليه ذهب أبو حنيفة وأحمد في آخر أمره (قوله قولان) أى للعلماء ونظهر
ثمرة الخلاف فيما إذا طلقت في طهر ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت فعند مالك والشافعي وأحمد في أول أمره أنها
تحل للأزواج بمجرد رؤية الدم لأن الأقراء قد تمت وعند أبي حنيفة وأحمد في آخر أمره أنها لا تحل حتى تطهر وأما إذا طلقتها
في الحيض فلا يحسب ذلك الحيض من العدة اتفاقاً ويأتى الخلاف في الحيضة الراجعة هل تحل بأولها أو بانقضائها (قوله وفي غير الآية)
أى وهي بنت كسبعين (قوله والصغيرة) أى للطبقة للوطء ولم يتباغ أو أن الحمل (قوله كما في سورة الطلاق) راجع للآيسة والصغيرة
والحامل. وحاصل ما في اللقار أن غير الدخول بها لا عدة عليها في الطلاق حرة أو أمة وأما الدخول بها ففيها تفصيل فالآيسة
والصغيرة عدتهما ثلاثة أشهر والحامل وضع حملها كله لافرق في ذلك كله بين (٩٩) الحرة والأمة وأما من يأتيها الحيض

فعدتها ثلاثة أقراء إلى
كانت حرة وقولان إن
كانت أمة وهذا في الطلاق
نما في الوفاة فسيأتى أنها
للحرة أربعة أشهر وعشر
وللأمة نصفها وللحامل
وضع الحمل (قوله من
الولد أو الحيض) أى
أو عيوب الفرج كالرتق
والقرن والفصل والبخر
والانضاء (قوله إن كن
يؤمن بالله) هذا من باب
الزجر والتشديد عليهن
وجواب الشرط محذوف
دل عليه قوله فلا يحل (قوله
و بعولتهن) جمع بل يطلق

عن النكاح (ثلاثة قروء) تمضى من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض
قولان وهذا في الدخول بهن أما غيرهن فلا عدة عليهن لقوله فما لكم عليهن من عدة وفي غير
الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق
والإماء فعدتهن قراء بالسنه (وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) من
الولد أو الحيض (إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ) أزواجهن (أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ)
بمراجعتهم ولو أنيئن (في ذلك) أى في زمن التربص (إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) بينهما لا ضرار
للرأة وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة وهذا في الطلاق الرجعي، وأحق لا تفضيل
فيه إذ لاحق لتبريم في نكاحهن في العدة (وَلهنَّ) على الأزواج (مِثْلُ الَّذِي) لهم (عَلَيْهِنَّ)
من الحقوق (بِالْمَعْرُوفِ) شرعا من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك (وَلِلرَّجَالِ عَليهنَّ
دَرَجَةٌ فَضِيلَةٌ) في الحق من وجوب طاعتهم لهم لما ساقوه من المهر والاتفاق (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) في
ملكه (حَكِيمٌ) فيما دبره خلقه (الطَّلَاقُ) أى التطلق الذي يراجع بعده (مَرَّتَانِ) أى
اثنان (فَإِذَا سَاكَ) :

على الرجل والمرأة لكن المراد به هنا الرجل قالتا لتأنيث الجمع لأن كل جمع يجوز تأنيثه (قوله لا ضرار للرأة) أى فتحرم الرجعة إذ ذاك
و يعتبرها الوجوب إن خشى على نفسه الزنا وتكره إن شغلته عن عبادة مندوبة وتندب إن كانت تعينه على تلك العبادة (قوله لجواز
الرجعة) أى مضيا فلا ينافى أنه شرط في جواز القدوم عليها (قوله في نكاحهن في العدة) صوابه أن يقول فلاحق لتبريم في ردهن
ورجعتهن كما عبر به غيره تأمل (قوله ولهن مثل الذي عليهن) حاصله أن الرجل له حقوق على المرأة من طبع وعجن وكفس وغير ذلك
من الخدمة الباطنية، وللرأة حقوق على الرجل من نفقة وكسوة وإظهار محبة وغير ذلك فالمعاملة في الآية في مطلق الوجوب لا في صفة الحقوق
وفي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر يشير لذلك تقدير المفسر قوله على الأزواج وقوله لهم (قوله فضيلة في الحق)
أى غنى الرجل زائد على حقها (قوله لما ساقوه) علة لوجوب طاعتهم لهم ومعناه دفعوه وقوله من المهر والاتفاق بيان لما (قوله الطلاق
مرتان) سبب نزول هذه الآية أنه كان في صدر الإسلام إذا طلق الرجل امرأته طلاقا رجعيا وراجعها في العدة كان له ذلك ولو طلق ألف
مرة فطالق رجل امرأته طلاق رجعية ثم رجعها قبل انقضاء عدتها شئ يسير فقال والله لا أؤيك ولا تحلين لغيري أبد افتزلت الآية فاستأنف
الناس الطلاق وألفوا ماضى وقوله مرتان أى مرة بعد أخرى أو المران دفعة وهو تخصيص لقوله - و بعولتهن أحق بردهن في ذلك -
(قوله أى التطلق) إنما فسر اسم المصدر بالمصدر لأجل قوله أو تسرح (قوله أى اثنان) دفع بذلك ما يتوهم أنه لا بد أن يكون على مرتين

(قوله أي فليكم) قدر ذلك إشارة إلى أن إيساك مبتدأ خبر محذوف وقدره مقدما عليه ليكون مسوغا للانبداء بالنكرة (قوله أو تخرج) يحتمل أن المراد بذلك إنشاء طلاق ثالث بعد المراجعة الثانية ويحتمل أن المراد عدم المراجعة إذ اطأها ثانيا وأما الطلقة الثالثة فأخوذة من قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وهو الأقرب لأنه التبادر من المفسر فالرجل غير في عدة الطلقة الأولى بين أن يراجعها المعروف أو يسرحها من غير مراجعة وكذا في عدة الثانية (قوله بإحسان) أي فيؤدي ماعليه لها من الحقوق ولا يذكرها بسوء (قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) يوضح معنى الآية قوله تعالى - أو آتيتن إحداهن قنطارا - الآيتين - (قوله من المهور) بيان لما (قوله إذا طلقتموهن) أي وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك (قوله أن لا يقيا حدود الله) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بمن التقدير من عدم إقامتهما حدود الله وسبب نزولها أن امرأة اسمها جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول كانت تفيض زوجها ثابت بن قيس فشكت للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قالت يا رسول الله إني لأعيبه في دين ولا في خلق غير أني وجدته مقبلا في جماعة فرأيت أنه أشد سوادا وقصرا وأقبحهم وجها لا يجمع رأسي ورأسه شيء وأنى لأكره الكفر في الإسلام فلما نزلت هذه الآية أمرها رسول الله بالقداء فأخذ ما كان أعطاها لها وطأها وكان قد أمرها حديقة (قوله وفي قراءة) أي فهما سبعيتان (قوله بالبناء للمفعول) أي فالضمير نائب فاعل والفاعل (١٠٠) ولاية الأمور أي فان خاف ولاية الأمور الزوجين وأن لا يقيا بدل

اشتغال من نائب الفاعل (قوله وقرئ) أي قراءة شاذة (قوله فان خفتم) خطاب لولاية الأمور (قوله فيما اقتدت به) أي كان بمهرها أو أقل أو أكثر (قوله لآخرج على الزوج في أخذه) أي لعدم ظلمه لها وقوله ولا على الزوجة في بذله أي لنفسها الضرر عن نفسها (قوله

أي فليكم إيساكهن بعده بأن تراجعوهن (بمَعْرُوفٍ) من غير إضرار (أو تخرج) أي إرسالهن (بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ) أيها الأزواج (أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ) من المهور (شَيْئًا) إذا طلقتموهن (إِلَّا أَنْ يَخَافَا) أي الزوجان (أَنْ لَا يُقِيَا حُدُودَ اللَّهِ) أي لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق وفي قراءة يخافا بالبناء للمفعول فان لا يقيا بدل اشتغال من الضمير فيه وقرئ بالتوقافية في العمليين (فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا يُقِيَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله (تِلْكَ) الأحكام المذكورة (حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا) الزوج بعد الثنتين (فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ) بعد الطلقة الثالثة (حَتَّى تَنْكِحَ) تزوج (زَوْجًا غَيْرَهُ) ويطأها كما في الحديث ،

رواه

فلا تعتدوها) أي تتجاوزها بأن تعينوا الظالم على

الظالمون منهما (قوله ومن يتعد حدود الله) ذكر هذا الوعيد بعد النهي عن تعديها للبالغة في التهديد وقوله الظالمون أي لأنفسهم بتعريضها لخطأ الله تعالى وعقابه (قوله فان طلقها) أي طلقة ثالثة سواء وقع الانفصال في مرة أو مرتين والمعنى فان ثبت طلاقها ثلاثا في مرة أو مرات فلا تحل الخ كما إذا قال لها أنت طالق ثلاثا أو البتة وهذا هو المجمع عليه وأما القول بأن الطلاق الثلاث في مرة واحدة لا يقع إلا بالطلاق فلم يعرف إلا لابن تيمية من الحنابلة وقد رد عليه أئمة مذهبه حتى قال العلماء إنه الضال المضل ونسبته للإمام أشهر من أئمة المالكية باطلا (قوله حتى تنكح) المراد به هنا العقد مع الوطء كما بين ذلك في الحديث والاجماع عليه خلافا لما نقل عن ابن المسيب أن العقد كاف في التحليل (قوله زوجا) أي لاسيدا فلا يقع به تحايل ولا بد من كون الزوج بالغا عند مالك لقوله في الحديث «حتى يذوق عسيتك وتذوق عسيلته» ولا عسيلة للصبي قال الشافعي بعدم اشتراط بلوغه ومن هنا المسئلة الملققة وهي أن يقد الشافعي في صحة تحليل غير البالغ ، ومالك في صحة طلاق وليه عنه لمصلحة وفي عدم العدة عليها من وطئه ، وهذه المسئلة قال العلماء فيها الورع تركها ويشترط للتحليل عند مالك شروط عشرة تعلم من الفروع (قوله ويطأها) أي ولا يشترط الاتزال (قوله كما في الحديث) وهو أنه جاءت امرأة تسمى تيممة القرظية وكانت متزوجة بابن عمها رفاعة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن رفاعة أبت طلاقي فتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير فتح الزاي وإنما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله ، وقال أتريدن أن ترجعي إلى رفاعة لآحق يذوق عسيتك

وفقدوا هديته فسكنت مدة ثم جاءت ثانيا رسول الله وقالت له منى وذلك منى وذلك منى رسول الله إن قولك الأول كذبك الآن جاءت للهدى في خلافة وقالت مثل ما قالت رسول الله فقال لها إنى شهدت بحيثك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامك له لا ترجى جاءت لعمر في خلافة فقالت له كذلك فقال لها إن عدت لرفاعة رجعتك (قوله رواء الشيخان) أى عن عائشة (قوله أن يتراجعا إلى النكاح) أى بعقد ومهر وولى وشهود (قوله بعد انقضاء العدة) أى فلا بد من عديتين عدة للرجع الأول وعدة للثاني (قوله أن يقيا حدود الله) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ظن الثاني ومعنى إقامة حدود الله زوال ما في أنفسهما من الكدر الذى كان سببا في الطلاق (قوله تقوم يعلمون) خصهم لأنهم المنتفعون بتلك الأحكام وهم الذين يعلمون الخطاب (قوله أى يتدبرون) أى ينظرون في عواقب أمورهم . تنبيه : يقع الطلاق فيما ذكر ولو كان سكران بحرام لعدم عذره بذلك أوفى حماة وليست الحماة من باب الاكراه الذى قال فيه (١٠١) رسول الله «لا طلاق في إغلاق»

خلاف لمن يفتى بذلك فإنه ضال مضل اللهم إلا أن يطيش عقله فلا يعرف الأرض من السماء ويصير كالجنون فلا شيء عليه (قوله وإذا طلقتم النساء) أى طلاقا رجعا وإما كرهه للايضاح (قوله قار بن انقضاء عديتين) أى أشرفن عليها (قوله مفعول له) أى لأجله (قوله لتعتدوا) علة لقوله ضرارا (قوله بالاجاء) أى الاضطرار (قوله ونطويل الحبس) أى العدة (قوله فقد ظم نفسه) أى لما في الحديث «يظاين كريما ويظلمن لثيم فأحب أن أكون كريم مغلوبا ولا أحب أن أكون

رواه الشيخان (فَإِنْ طَلَّقَهَا) أى الزوج الثاني (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) أى الزوجة والزوج الأول (أَنْ يَتَرَاجَعَا) إلى النكاح بعد انقضاء العدة (إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ) المذكورات (حُدُودُ اللَّهِ بَيْنَهُنَّ الْقَوْمُ يَعْلَمُونَ) أى يتدبرون (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ) قار بن انقضاء عديتهن (فَأَمْسِكُوهُنَّ) بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير ضرار (أَوْ مَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) أتركوهن حتى تنقضى عديتهن (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ) بالرجعة (ضِرَارًا) مفعول له (لَتَعْتَدُوا) عليهن بالإلجاء إلى الافتهاء والتطليق ونطويل الحبس (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) بتمريرها إلى عذاب الله (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا) مهزوا بها بمخالفتها (وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) بالاسلام (وَمَا أَزَلْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (وَالْحِكْمَةِ) مافيه من الأحكام (عِظُكُمْ بِهِ) بأن تشكروها بالعمل به (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شيء (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ) انقضت عديتهن (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) خطاب للأولياء أى تمنعهن من (أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ) المطلقين لمن لأن سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فنهها معقل بن يسار كما رواه الحاكم (إِذَا تَرَاصُوا) أى الأزواج والنساء (بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ) شرعا (ذَلِكَ) النهى عن العضل (يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) لأنه المنتفع به (ذَلِكَ) أى ترك العضل (أَزْكَى) خير (لَكُمْ وَأَطْهَرُ) لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) مافيه المصلحة (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فاتبعوا أمره (وَالْوَدَّاعَاتُ يُرْضِعْنَ) أى ليرضعن

لثيما غالبا (قوله بمخالفتها) أى فاطلق الاسهزاء وأراد الخلفعة (قوله مافيه من الأحكام) أى العلوم النافعة (قوله بالعمل به) أى ولا تتخذوها هزوا (قوله لا يخفى عليه شيء) أى فيشيب للطبع ويعذب العاصي (قوله انقضت عديتهن) أى فبلوغ الأجل في الحلين مخاف (قوله خطاب للأولياء) أى وأما الخطاب في طلاقته فهو خطاب للأزواج ويصح أن يكون خطابا للأولياء أيضا والمعنى إذا رفعن أمورهن إليكم أيها الأولياء وتسببتم في طلاقتهن من أزواجهن ثم زال ما في النفوس وأرادوا العقد على أزواجهن فلا يكن مسكم عضل لمن من ذلك (قوله أن أخت معقل) أى واسمها جميلة (قوله طلقها زوجها) أى واسمها عاصم بن عدى (قوله أى الأزواج والنفاء) وغلب الله كور لشرفهم وهو جمع باعتبار أفراد الرجال والنساء (قوله لأنه للنتفع به) جواب عما يقال لم خص المؤمن (قوله بسبب العلاقة) أى الارتباط (قوله فاتبعوا أمره) أى ولا تطيعوا أنفسكم في العضل فحق كان لكل منهما رغبة في الآخر لا يمكن منكم منع في ذلك لأنه لا مصلحة فيه وقد جرت عادة الله في كتابه أنه يتدخل الأحكام والقصاص بالمواظع الجليلة وفي الحديث «كان يتخولنا المواقظ عفاة السامة علينا» (قوله أى ليرضعن) فسر بالأسر إشارة إلى أن الجملة خبرية لفظا إنشائية معنى فاتصود منها

الأمر وهو لئلا يذهب للآم بشرط ثلاثة إن كان للولد أب موسر أو مال ووجد من ترضه غير أمه وقبلها فإن فقد شرطها وجب عليها الرضاع (قوله أولادهن) أي ذكورا أو إناثا (قوله كاملين) هذا قريب عندما لك فالحق الشهران بالحولين وتحديد عند الشافعي (قوله صفة مؤكدة) أي لدفع توهم تسمية الأقل منهما باسم الكامل تسميها وللقصود من النص على الحولين قطع النزاع بين الزوجين حيث أراد أحدهما أكثر من الحولين أو أقل والآخر الحولين فإنه يقضى لمن أرادها (قوله لمن أراد أن يتم الرضاعة) الجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله ذلك وهو جواب عن سؤال مقدر (قوله ولا زيادة عليه) أي خلافا لمن قال إذا شئت للزوجة قضى لها ثلاثين شهرا ومن قال بثلاثة أعوام (قوله وعلى المولود له) أي المنسوب له الولد احترازا عن ابن الزنا ومن نفاه أبوه بلعان فلا يلزم أباه شيء من أجله لقطع نسبه (قوله رزقهن) أي دفع الرزق بمعنى الأجرة التي يتحصل بها الطعام والشراب والكسوة (قوله إذا كن مطلقات) أي باتنا وأما الرجعيات واللاتي في العصمة فلا يلزمه أجرة على الرضاع عند الشافعي وكذا عند مالك في غير من شأنها عدم الارضاع بنفسها كنساء الملوك وأما هي فلها أن تأخذ الأجرة على ذلك هكذا حمله المفسر على غير الزوجية وبعضهم حمله على ما يميم (١٠٣) الزوجية بمعنى أن الزوجة تأخذ الأجرة على الرضاع ولو ناشزا ولا يجرى على

(أَوْلَادَهُنَّ حَوَائِينَ) عامين (كاملين) صفة مؤكدة ، ذلك (لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ) ولا زيادة عليه (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ) أي الأب (رِزْقُهُنَّ) إطعام الوالدات (وَكِسْوَتُهُنَّ) على الارضاع إذا كن مطلقات (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر طاقته (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) طاقتها (لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا) بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت (وَلَا) يضار (مَوْلُودُ لَهُ بِوَلَدِهِ) أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته . وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف (وَعَلَى الْوَارِثِ) أي وارث الأب وهو الصبي أي على وليه في ماله (مِثْلُ ذَلِكَ) الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة (فَإِنْ أَرَادَا) أي الولدان (فِصَالًا) فطاما له قبل الحولين صادرا (عَنْ تَرَاضٍ) اتفاق (مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ) بينهما لتظهر مصلحة الصبي فيه (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) في ذلك (وَإِنْ أَرَدْتُمْ) خطاب للآباء (أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ) مرضع غير الولدان (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) فيه (إِذَا سَلَّمْتُمْ) إليهن (مَا آتَيْتُمْ) أي أردتم إيتاءهن من الأجرة (بِالْمَعْرُوفِ) بالجميل كطيب النفس (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) لا يخفى عليه شيء منه (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ) ،

نكسرى له من يرضعه (قوله في ماله) أي وهو مقدم ثم مال الأب ثم مال الأم عند مالك (قوله لموتون للوالدة) أي المرضعة والدة كانت أو غيرها (قوله فإن أرادا فصلا) هذا تقييد لما تقدم في قوله حولين كاملين (قوله عن تراض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة له فصلا قدره المفسر بقوله صادرا (قوله في فعل ذلك) أي ولا في الزيادة على الحولين عند الاتفاق بل هو جائز شرعا ومنعه الحكماء لما فيه من توريث البلادة للطفل (قوله مرضع) مفعول أول لتسترضعوا مؤخر وأولادكم مفعول ثان مقدم على حذف الجار أي إن أردتم أن تطلبوا مرضع لأولادكم لأن أفضل إذا كان متعديا إلى مفعول واحد وزيدت فيه السين للطاب أو النسبة يصير متعديا إلى مفعولين كما قال الزمخشري وقال الجمهور إنما يتعدى للثاني بحرف الجر فيكون أولادكم منصوبا بنزع الخافض وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول أردتم (قوله غير الوالدات) أي حيث كانت أجرة الغير أقل من أجرة الأم أو كانت الغير ترضع مجانا أما إذا استويا فالأم أولى (قوله إذا سلمتم) ليس شرطا لصحة الاجارة بل هو بيان للأكل لأن التعجيل أطيب لنفوسهن (قوله بالمعروف) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أنه متعلق بسلمتم . الثاني أنه متعلق بآتيتم . الثالث أنه حال من فاعل سلمتم أو آتيتم والعامل فيه حينئذ محذوف أي ملتبسين بالمعروف (قوله واتقوا الله) مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والراضع (قوله والذين يتوفون) بضم الياء مبني للمفعول وفي قراءة فتنحها للفاعل وللعنى عليها يستوفون آجالهم .

(قوله يموتون) للناسب: نبض أرواحهم ليناسب الفعل المبني للمفعول (قوله أزواجاً) جمع زوج بمعنى زوجة لأن الزوج يقع على الذكر والأنثى (قوله ليربصن) أشار بذلك إلى أن المراد من الآية الأمر وإن كان ظاهرها الخبر (قوله بأنفسهن) الباء زائدة للتأكيد والأصل يربصن أنفسهن يعني لايواسطة حكم حاكم فإن العدة لا تحتاج لذلك (قوله بهدم) الضمير عائده على اسم الوصول الواقع على الرجال وقدره المفسر ليصح الأخبار بجملة يربصن عن الوصول هكذا أعرب المفسر وبعضهم قدر في المبتدأ فقال أزواج الذين يتوفون وبعضهم قدر في الخبر حيث قال - والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً أزواجهم يربصن - فأزواجهم مبتدأ وجملة يربصن خبره والمبتدأ وخبره خبر الأول والرابط موجود (قوله عن النكاح) أى نكاح الغير لمن (قوله أربعة أشهر وعشراً) إما مفعول ليربصن على حذف مضاف أى مضى أربعة أشهر وعشر أو ظرف له (قوله من اللبالي) أى مع النهار وخصت اللبالي لسببها على النهار (قوله وهذا في غير الحوامل) أى ما تقدم من العموم لا يتناول الحوامل والإماء (قوله أن يضعن حملهن) أى كله ولوعلة أومضنة لا تحل لإبوضعه ولومكث الزمن الطويل في بطنها (قوله والأمة) بالجر معطوف على الحوامل (قوله على النصف من ذلك) أى فعدتها شهران وخمس ليال وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره وهي على النصف من ذلك . واعلم أن ذلك تعبد أمرنا به الشارع (١٠٣) ولم نقل له معنى ولذا أمرت بتلك

العدة الصغيرة وزوجة الصغير ، وما قيل أنه معلل بوجود حركة الحل بعد الأربعة الأشهر فغير مطرد في الأمة والصغيرة وزوجة الصغير (قوله بالسنة) أى الدليل السني (قوله من التزين) أى الشرعى بأن تفعل ذلك بيتها (قوله والتعرض للخطاب) معطوف على التزين فلا يحرم كل من التزين والتعرض للخطاب بعد العدة . وأما فيها

يَمُوتُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ) يَتْرَكُونَ (أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ) أَي لِيَرَبَّصْنَ (بِأَنْفُسِهِنَّ) بِهَدْمٍ عَنِ النِّكَاحِ (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) مِنَ اللَّيَالِي وَهَذَا فِي غَيْرِ الْحَوَامِلِ وَأَمَّا الْحَوَامِلُ فَعِدَّتُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ بِآيَةِ الطَّلَاقِ وَالْأَمَةِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ بِالسَّنَةِ (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) انقَضَتْ مَدَّةُ تَرَبُّصِهِنَّ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ (فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ) مِنَ التَّرَبُّصِ وَالتَّعَرُّضِ لِلخُطَابِ (بِالْمَعْرُوفِ) شَرْعًا (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عَالِمٌ بِبَاطِنِهِ كَظَاهِرِهِ (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمُ لَوْ حَتْمٌ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ) التَّوْفِ عَنْهُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ فِي الْعَدَةِ كَقَوْلِ الْإِنْسَانِ مِثْلًا إِنَّكَ لَجَلِيلَةٌ وَمَنْ يَجِدْ مِثْلَكَ وَرَبِّ رَاغِبٌ فِيكَ (أَوْ أَكُنْتُمُ) أَضْمَرْتُمْ (فِي أَنْفُسِكُمْ) مَنْ قَصِدَ نِكَاحَهُنَّ (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُونَ) بِالْخُطْبَةِ وَلَا تَصْبِرُونَ عَنْهُنَّ فَأَبَاحَ لَكُمْ التَّعْرِيزَ (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) أَي نِكَاحًا (إِلَّا) لَكِنْ (أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) أَي مَا عَرَفَ شَرْعًا مِنَ التَّعْرِيزِ فَلَكُمْ ذَلِكَ (وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ) أَي عَلَى عُقْدَةٍ (حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ) أَي الْمَكْتُوبُ مِنَ الْعَدَةِ (أَجَلَهُ) بَأَنْ يَنْتَعِيَ (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ) مِنَ الْعَزْمِ وَغَيْرِهِ ،

فيحرم على الأولياء وعليهن إذا بلغن ويجب عليهن كنهن ولو بالشتم والضرب (قوله فيما عرَضتم) التعريض هو الكلام الذي يفهم منه المقصود بطرف خفي (قوله من خطبة النساء) بكسر الحاء تلماس النكاح (قوله ورب راغب) رب للتكثير (قوله أو كنتم في أنفسكم) أى ولو أخبرتم بذلك غير الخبر لها فالحرمة في التصريح لها أولولها الخبر (قوله فأباح لكم التعريض) أى والاضمار في أنفسكم وهو تدرى على قوله علم الله الواقع على لقوله ولا جذاح عليكم ، والمعنى إنما يحرم عليكم التعريض والاضمار في أنفسكم لعلمه أنه إن حرم عليكم ذلك لوقعتم فيها هو أعظم الذي هو التصريح فأباح لكم التعريض (قوله سرا) هو في الأصل ضد الجهر أطاق وأريد منه الوطء لأنه لا يكون إلا كذلك ثم أطاق وأريد منه العقد لأنه سببه فهو مجاز على مجاز (قوله أى نكاحاً) أى عقداً (قوله إلا لكن أن تقولوا الخ) جعل المفسر الاستثناء منقطعاً لأن التعريض ليس من الواعدة والواعدة إنما تحرم إذا كانت من الجانبيين ، وأما من جانب فتكره عند مالك (قوله ولا تعزوا عقدة النكاح) أى فالعقد في العدة فاسد وينفسخ فإن انضم لذلك العقد مباشرة ولو بعد العدة تأبى تحریمها عند مالك وعند الشافعى يفسخ العقد فقط وله العقد عليها ثانية بعدها (قوله من العزم) أى التصميم على العقد فالعزم يؤاخذ الإنسان به خيراً كان أو شراً وقد نظم بعضهم الأمور التي تطرأ على الشخص فقال : مراتب القصد خمس هاجس ذكرها غاطر خدبت النفس فاستمعها بيه تم نزم كلها رفعت سوى الأخير فبها الأخذ بقوله

(قوله فأحذروه) أي الله بمعنى احذروا عقابه (قوله لمن يحذره) أي يحذره في الحديث «إذا أذنب العبد ذنباً وعلم أن الله يغفره غفر له بمجرد فعله الذنب» (قوله بتأخير العقوبة عن مستحقها) أي فلا يفتقر العاصي بذلك فلربما يكون ذلك التأخير استدراجاً له (قوله لاجتراح عليكم إن طلقتم النساء) سبب نزولها أن رجلاً من الأنصار تزوج امرأة تفويضاً ثم طلقها قبل لدخول فرفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فزلت فقال له رسول الله أمتهما ولو بقلانسونك (قوله ما لم تمسوهن) أي ما لم تمسوهن من مسند للرجل لأنه الأقوى في المص - والأقرب أن ما شرطية بمعنى إن وليست مصدرية ظرفية كما قال المفسر لأن محل الظرفية فيما يقتضي الامتداد كقوله تعالى - خالدين فيها مادامت السموات والأرض - لأن شأن الخلود الامتداد (قوله وفي قراءة تمسوهن) أي بضم التاء وفعله ماس بماسة مفاعلة من الجائتين لأن كلاهما الآخر - واستشكل مفهوم الآية بأن الطلاق بعد المس لا إثم فيه نعم فيه المهر - وأجيب بأنه مظنة الجناح بدفع المهر ووجود الإثم من حيث إنه قد بوعه زمن الحيض ، وأما الطلاق قبل الدخول فلا جناح فيه أصلاً (قوله فطلقوهن ومتوهن) أشار بذلك إلى أن ومتوهن معطوف على محذوف قدره بقوله فطلقوهن (قوله قدره) فتح الدال وسكونها قراءة ثان سبعتان (قوله يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة) أي وهو أحد الأقوال عند الشافعي والفق به عند مالك ولكن المتمد (١٠٤) مراعاة حال الزوج والزوجة (قوله تمتيعاً) أشار بذلك إلى أن اسم

(فَأَحْذَرُوهُ) أَنْ يَمَاقِبَكُمْ إِذَا عَزَمْتُمْ (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لِمَنْ يَحْذَرُهُ (حَلِيمٌ) بِتَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ عَنْ مُسْتَحِقِّهَا (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ) وَفِي قِرَاءَةِ تَمَسُّوهُنَّ أَيْ تَجَامَعُوهُنَّ (أَوْ) لَمْ (تَقْرِضُوا لَهُنَّ قَرِيضَةً) مَهْرًا وَمَا مُصَدَّرَةٌ ظَرْفِيَّةٌ أَيْ لَا تَبْعَةٌ عَلَيْكُمْ فِي الطَّلَاقِ زَمَنَ عَدَمِ الْمَسِّ وَالْفَرْضِ بِإِثْمٍ وَلَا مَهْرٍ فَطَلَقْتُمُوهُنَّ (وَمَتَّعُوهُنَّ) أَعْطُوهُنَّ مَا يَتِمَّتَنَ بِهِ (عَلَى الْمَوْسِعِ) الْإِثْمُ مِنْكُمْ (قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ) الضِّيْقُ الرِّزْقُ (قَدَرُهُ) يَفِيدُ أَنَّهُ لَا نَظَرَ إِلَى قَدْرِ الزَّوْجَةِ (مَتَاعًا) تَمْتِيعًا (بِالْمَعْرُوفِ) شَرْعًا صِفَةً مَتَاعًا (حَقًّا) صِفَةً ثَانِيَةً أَوْ مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ (عَلَى الْمُحْسِنِينَ) الطَّيِّعِينَ (وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ قَرِيضَةً فَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ) يَجِبُ لَهُنَّ وَرَجَعُ لَكُمْ النِّصْفُ (إِلَّا) لَكِنْ (أَنْ يَعْفُونَ) أَيْ أَى الزَّوْجَاتِ فَيَتْرَكُنَّ (أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) وَهُوَ الزَّوْجُ فَيَتْرَكُ لَهَا الْكُلَّ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الْوَلِيُّ إِذَا كَانَتْ مَحْجُورَةً فَلَا حَرَجَ فِي ذَلِكَ (وَأَنْ تَعْفُوا) مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) أَيْ أَنْ يَتَفَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فَيَجَازِيكُمْ بِهِ ،

المصدر بمعنى الله صدر (قوله شرعاً) أي لأبى - حرام (قوله أو مصدر مؤكّد) أي وعادله محذوف أي أحقه حقاً - واعلم أنه اختلف في التمتع فقيل واجبة نظراً للأمر ولقوله حقاً وبه أخذ الشافعي وقيل مندوبة نظراً لقوله بالمعروف ولقوله على المحسنين - وأخذ مالك (قوله من قبل) متعلق بطلقتموهن وقوله وقد فرضتم الجلة حالية (قوله فريضة)

(حافظوا)

بمعنى مفروضة مفعول به وقيل مفعول مطلق بمعنى ترض لكن الأول أقرب

(قوله فنصف - افترضتم) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله يجب لهن ويحتمل أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره فاللازم لكم نصف ما فرضتم وما اسم - وصول والعائد محذوف وجمله فرضتم صلته ونصف مثل النون ونصف كرفع ولا يقرأ في جميع مواضع القرآن إلا بكسر النون لا غير (قوله إلا أن يعفون) إلا أداة استثناء وأن حرف مصدري ونصب ويعفون مبني على السكون لا تصاله بنون النسوة وهي فاعل والواو لام الكلمة لا واو الجماعة لأن وزنها يفعلن بخلاف الرجال يعفون فإن وزنه يعفون وقد رافضه لسان الإشارة أن الاستثناء منقطع لأن المفعول ليس من جنس ما قبله فإن ما قبله وجوب دفع نصف المهر (قوله فيترك لها الكل) أي ونسبته عفا مشاكلة لما قبله (قوله الولي) أي المهر وقال به مالك (قوله محجورة) أي محجورة (قوله وأن تعفوا) الضمير عائد على من ذكر من الرجال والنساء وإنما غاب الرجال لشرفهم وأصله تعفون دخل الناصب لحذف النون ثم استتقلت الضمة على الواو وحذفت فالتقى ما كان حذفت لام الكلمة لالتقاءهما (قوله أقرب للتقوى) استشكل كلام ابن عباس بأن عفو الولي لا تقوى فيه - أحيب بأن المراد بالتقوى الألفة أي قذا عفا الولي فربما تحصل الألفة من الزوج ثانياً (قوله أي أن يتفضل بضعكم على بعض) أي يفضل بضعكم مع بعض مكارم الأخلاق بأن يحصل العفو عن جميع المهر من الزوج أو نفيه الزوجة عن النصف الثاني الذي يخصها -

(أقول: حانظوا هل الصلوات) أتى بهذه الآية في خلال ما يتعلق بالأزواج والأولاد تنبيها على أنه لا ينبغي من العبد أن يشغل عن حقوق سيده بأمر الأزواج والأولاد قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله (قوله بأدائها في أوقاتها) أى مع استكمال شرطها وفرائضها وسننها وآدابها فإن فقد شئ من ذلك دخل في الوعيد قال تعالى - فويل للصابين الذين هم عن صلاتهم ساهون - وخص الصلاة بالذكر لأنها عماد الدين ومعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين من أقامها فقد أقام الدين ومن حدمها فقد هدم الدين (قوله والصلاة الوسطى) فعلى مؤث الأوسط بمعنى الأفضل والأخير لاعتنى المتوسطة بين شيئين فإنه ليس فيه مزيد مزية وهو من عطف الخاص على العام والنكتة مزيد فضلها على غيرها كلمة القدر فهي أفضل الليالي (قوله هي المصير) أى لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار وبه قال الشافعي (قوله أو الصبح) أى لما ذكر ولما في الحديث « بورك لأمتى في بكورها » ولأنها تأتي الناس وهم نيام وبه قال مالك (قوله أو الظهر) أى لأنها أول صلاة ظهرت في الإسلام وقوله أو غيرها قيل هي المغرب لأنها وتر صلاة النهار ، وقيل العشاء لأنها تأتي الناس وهم كسالى ، وقيل هي الصلاة على النبي ، وقيل هي صلاة الجمعة ، وقيل الجنائزة ، وقيل صلاة العيد ، وحكمة إخفائها ليحافظ الانسان على ذلك كله كما أخفى ليلة القدر في سائر الليالي ليقوم الانسان جميع الليالي، وساعة الاجابة في يوم الجمعة ، (١٠٥) والرجل الصالح في الخلق ، واختار ابن العربي وابن أبي حمزة أن الصلاة الوسطى هي مجروح العصر والصبح مستدلين بأدلة كثيرة تشهد بفضل هذين الوقتين (قوله وأفردها بالذكر لفضلها) (قائنين) قيل مطيعين لقوله صلى الله عليه وسلم « كل قنوت في القرآن فهو طاعة » رواه أحمد وغيره ، وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم « كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام » رواه الشيخان (فَإِنْ خِفْتُمْ) من عدوا أو سيل أو سبع (فَرَجَالًا) جمع راجل أى مشاة صلوا (أَوْ رُكْبَانًا) جمع راكب أى كيف أمكن مستقبل القبلة أو غيرها ويومى بالركوع والسجود (فَإِذَا أَمِنْتُمْ) من الخوف (فَادْكُرُوا اللَّهَ) أى صلوا (كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة أو مصدرية (وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ) مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) فليوصوا (وَصِيَّةً) وفي قراءة بالرفع أى عليهم (لِأَزْوَاجِهِمْ) ويعطوهم (مَتَاعًا) ما يتمتعن به من النفقة والكسوة (إِلَى) تمام (الْحَوْلِ) من موتهم الواجب عليهم تر بعه (غَيْرَ إِخْرَاجٍ) ،

ابن العربي وابن أبي حمزة أن الصلاة الوسطى هي مجروح العصر والصبح مستدلين بأدلة كثيرة تشهد بفضل هذين الوقتين (قوله وأفردها بالذكر لفضلها) (قائنين) قيل مطيعين لقوله صلى الله عليه وسلم « كل قنوت في القرآن فهو طاعة » رواه أحمد وغيره ، وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم « كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام » رواه الشيخان (فَإِنْ خِفْتُمْ) من عدوا أو سيل أو سبع (فَرَجَالًا) جمع راجل أى مشاة صلوا (أَوْ رُكْبَانًا) جمع راكب أى كيف أمكن مستقبل القبلة أو غيرها ويومى بالركوع والسجود (فَإِذَا أَمِنْتُمْ) من الخوف (فَادْكُرُوا اللَّهَ) أى صلوا (كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة أو مصدرية (وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ) مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) فليوصوا (وَصِيَّةً) وفي قراءة بالرفع أى عليهم (لِأَزْوَاجِهِمْ) ويعطوهم (مَتَاعًا) ما يتمتعن به من النفقة والكسوة (إِلَى) تمام (الْحَوْلِ) من موتهم الواجب عليهم تر بعه (غَيْرَ إِخْرَاجٍ) ،

ساكتين) أى لإعان ذكر الله ويحقق به مخاطبة النبي فانها لا تبطل الصلاة (قوله من عدو) أى مسلم أو كافر وقوله أو سبع أى دافع كل منهاها الناس لوتوانى واحد منهم أخذه ماذكر (قوله جمع راجل) أى ويجمع أيضا على رجل يسكون الجيم قال تعالى - وأجلب عليهم بخيلك ورجلك - ويجمع أيضا على رجال بتشديد الجيم المفتوحة (قوله أى مشاة) أى مستقبلين القبلة أم لا (قوله جمع راكب) هو في الأصل راكب الإبل لكن المراد به هنا الراكب مطلقا إبلا أو غيرها ، ولصلاة الخوف أقسام تأتي في سورة النساء (قوله أى صلوا) إنما سمى الصلاة ذكرا لأنها جمعت أنواع الذكر (قوله كما علمكم) أى على الصفة التي علمكم إياها قبل حصول الخوف ولوركة ، وحكمة الاتيان في جانب الخوف بان التي تفيد الشك وبإذا في جانب الأمن المفيدة للتحقق لشارة إلى أن الأصل الأمن وهو محقق والخوف طارئ يزول (قوله وما موصولة) أى والعائد محذوف والتقدير فاذكروا الله ذكرا مثل الله الذي علمكموه مالم تكونوا تعلمون وما الثانية بدل من ما الأولى أو من الضمير المحذوف وقوله أو مصدرية أى تسبك بمصدر وظاهره أن الكاف أيضا بمعنى مثل ولكنه بعيد فالأظهر أنها للتعليل والتقدير فاذكروا الله لأجل تعليمه إياكم مالم تكونوا تعلمون وما معمول لتعليم (قوله والذين يتوقون منكم) حاصله أنه كان في صدر الإسلام يجب على الرجل إذا حضرته الوفاة أن يوصى بالنفقة والكسوة والسكنى لزوجه سنة لأنها عنتها ولا ينقطع عنها ذلك إلا بخروجها من نفسها ثم نسخ ذلك [١٤ - صاوى - أول] (قوله وفي قراءة بالرفع) أى وهي سبعية (قوله متاعا) مفعول محذوف قدره المفسر بقوله ويعطوهم

ساكتين) أى لإعان ذكر الله ويحقق به مخاطبة النبي فانها لا تبطل الصلاة (قوله من عدو) أى مسلم أو كافر وقوله أو سبع أى دافع كل منهاها الناس لوتوانى واحد منهم أخذه ماذكر (قوله جمع راجل) أى ويجمع أيضا على رجل يسكون الجيم قال تعالى - وأجلب عليهم بخيلك ورجلك - ويجمع أيضا على رجال بتشديد الجيم المفتوحة (قوله أى مشاة) أى مستقبلين القبلة أم لا (قوله جمع راكب) هو في الأصل راكب الإبل لكن المراد به هنا الراكب مطلقا إبلا أو غيرها ، ولصلاة الخوف أقسام تأتي في سورة النساء (قوله أى صلوا) إنما سمى الصلاة ذكرا لأنها جمعت أنواع الذكر (قوله كما علمكم) أى على الصفة التي علمكم إياها قبل حصول الخوف ولوركة ، وحكمة الاتيان في جانب الخوف بان التي تفيد الشك وبإذا في جانب الأمن المفيدة للتحقق لشارة إلى أن الأصل الأمن وهو محقق والخوف طارئ يزول (قوله وما موصولة) أى والعائد محذوف والتقدير فاذكروا الله ذكرا مثل الله الذي علمكموه مالم تكونوا تعلمون وما الثانية بدل من ما الأولى أو من الضمير المحذوف وقوله أو مصدرية أى تسبك بمصدر وظاهره أن الكاف أيضا بمعنى مثل ولكنه بعيد فالأظهر أنها للتعليل والتقدير فاذكروا الله لأجل تعليمه إياكم مالم تكونوا تعلمون وما معمول لتعليم (قوله والذين يتوقون منكم) حاصله أنه كان في صدر الإسلام يجب على الرجل إذا حضرته الوفاة أن يوصى بالنفقة والكسوة والسكنى لزوجه سنة لأنها عنتها ولا ينقطع عنها ذلك إلا بخروجها من نفسها ثم نسخ ذلك [١٤ - صاوى - أول] (قوله وفي قراءة بالرفع) أى وهي سبعية (قوله متاعا) مفعول محذوف قدره المفسر بقوله ويعطوهم

(قوله حال) أى من الزوجات (قوله كالتزين وتراد الإحداد) أى فكان حلالاً للعدة (قوله و قطع النفقة عنها) أى بخرجها من نفسها من غير إخراج أحد لها (قوله للتأخرة فى النزول) جواب عن سؤال ، وهو أن التقدم لا يفسخ التأخر أجاب بأنه وإن تقدم تلاوة إلا أنه متأخر فى النزول (قوله والسكنى ثابتة لها عند الشافعى) أى أربعة أشهر وعشراً وأما عند مالك فهى ثابتة لها إن كان لاسكن له أو نقد كراهه وإلا فقدت هى كراهه ومكنت مكانها حتى تخرج من العدة (قوله وللطلقات) أى مطلقاً قبل الدخول أو بعده إلا من طلقت قبل الدخول وأخذت نصف الصداق فلامتعة لها وزاد مالك المختلعة فلامتعة لها أيضاً (قوله متاع) أى متعة وهى بقدر إمكان الزوج فقط عند مالك وعند الشافعى بقدرها ويسن أن لاتنقص عن ثلاثين درهماً (قوله على المتقين) إنما قال هنا ذلك وقال فيما تقدم على المحسنين لأن بعض الأعراب حين نزلت الآية الأولى طلق زوجته ولم يمتعها وقال إن أردت أحسنت وإن أردت لم أحسن فنزلت حقاً على المتقين (قوله بفعله المقدّر) أى تقديره أحقه حقاً (قوله إذ الآية السابقة فى غيرها) أى وأما هذه فهى عامة فى كل مطلقة ماعدا المطلقة قبل الدخول وأخذت نصف المهر والمختلعة والخيرة والمملكة عند مالك (قوله كما بين لكم ما ذكر) (١٠٦) هذا وعد من الله ببيان كل شئ فى القرآن ولذا قال الشافعى لوضع من

هقال بعبر لوجده فى القرآن (قوله استفهام تعجيب) أى إيقاع فى العجب والخطاب قيل للنبي وقيل لكل من يصلح للخطاب وهو أرى (قوله وتشويق) أى إيقاعه فى الشوق لأن ما سبق بعد الطلب ألد مما سبق بلا تعب وعطف التشويق على التعجيب من عطف المسبب على السبب (قوله أى ينته علمك) أشار بذلك إلى أن تر مضمن معنى ينته والحامل له على ذلك تصريح الله بالى وإلا فرأى علمية تعدى

حال أى غير مخرجات من مسكنهن (فَإِنْ خَرَجْنَ) بأنفسهن (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) يا أولياء الميت (فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ) شرعاً كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) فى ملكه (حَكِيمٌ) فى صنعه والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشراً السابقة المتأخرة فى النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعى رحمه الله (وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ) يعطينه (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر الإمكان (حَقًّا) نصب بفعله المقدّر (عَلَى الْمُتَّقِينَ) الله تعالى كرهه ليعم المسوسة أيضاً إذ الآية السابقة فى غيرها (كَذَلِكَ) كما بين لكم ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون (أَلَمْ تَرَ) استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده أى ينته علمك (إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألقاً (حَذَرَ الْمَوْتِ) مفعول له وهم قوم من بنى إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا (فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا) فماتوا (ثُمَّ أَخْيَاهُمْ) بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبهم حزقيل بكسر الهملة والقاف وسكون الزاى ،

للمعولين بنفسها (قوله ألقاً) تمييز حذنه من الأول لدلالة الأخير عليه وقد ذكر المفسر ستة أقوال فعاشوا أصحها الثلاثة الأخيرة لأن ألقاً جمع كثرة ومبدؤه بعد العشرات (قوله مفعول له) أى لأجله وقد استوفى شروطه المذكورة فى الرية (قوله فماتوا) أخذت الأئمة من الآية النهى عن الخروج من بلد فيها الطاعون فقال مالك بالكراهة وقال الشافعى بالحرمة (قوله فماتوا) قدره المفسر لعطف قوله ثم أحيامهم عليه وقوله فقال لهم قيل المراد على لسان ملك وقيل كناية عن سرعة الإيجاد (قوله بعد ثمانية أيام) أى حتى انتثرت عظامهم وذاب لحمهم (قوله حزقيل) هو الخليفة الثالث فى بنى إسرائيل بعد موسى لأن لما حضرته الوفاة خلف يوشع بن نون فلما حضرته الوفاة خلف كالب ثم عند موته خلف حزقيل ويسمى ابن العجوز لأنه جاءها وهى عجوز ويلقب بذى الكفل لأنه كفل أى وقى سبعين نبياً من القتل ، ورد أنه لما مر عليهم وهم موتى قال يارب كنت فى قوم يحمدونك ويهللونك ويكبرونك فبقيت وحدى لا قومى فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمعت العظام فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تكسبى لحماً فاكسبت ثم أمره الله أن يقول لها إن الله يأمرك أن تقوى فقاموا قائلين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت . إن قلت كيف مات هؤلاء مرتين مع قوله تعالى - لا يدقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - قلت إن الموت قبل استيفاء الأجل إما عقوبة كموت الذين سألوا الرؤية قبلهم أو عبرة كموت العزيز وحمارة

(قوله فماتوا دهرًا) أى مدة عمرهم (قوله أثر الموت) أى من الصفرة (قوله واستمرت فى أسباطهم) أى أولادهم كما هو شاهد فى بعض اليهود (قوله ومنه إحياء هؤلاء) أى ليعتبروا ويظفروا بالسمادة (قوله تشجيع المؤمنين) أى حملهم على القتال (قوله ولذا عطف عليه) أى على الخبر المذكور وقيل معطوف على قوله حافظوا على الصلوات الآية وما بينهما اعتراض (قوله لإعلاء دينه) أى لا لتسمية ولا لإظهار شجاعة ونحو ذلك (قوله وأعلموا الخ) فيه وعد للجاهدين ووعد لمن تحلف عنهم (قوله فيجازيكم) أى على ما يرام منكم فالجزاء على حسب البواطن لا الظواهر (قوله من ذا الذى) يحتمل أن من اسم استفهام مبتدأ وذو خبر والذى بدل منها ويقرب صلة الوصول لأجل لها من الأعراب ويحتمل أن من ذا اسم استفهام مبتدأ والذى خبر ويقرب صلة الوصول (قوله يقرض الله) أى يسلفه وهذا من تزيلات الولي لعباده حيث خاطبهم مخاطبة المحتاج المضطر مع أنه غنى عنهم رحمة بهم على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة ونساء هنا قرضا وفى آية براءة يبيح وفى الحقيقة لا يبيع ولا قرض لأن الملك كله له وحينئذ فليست مضاعفته على ذلك ربا لأنه لا تجرى أحكام الربا بين السيد وعبد الحادثين للملك له صورة فأولى بين السيد المالك القديم وعبد الدليل الضعيف الذى لا يملك شيئا أصلا فمن إحسانه عليه خلق ونسب إليه (قوله قرضا) مفعول مطلق لقوله يقرض (قوله عن طيب قلب) أى لارياة ولا ممة بل ينفعه من حلال خالصا لله (قوله فيضاعفه) بالرفع والنصب والتشديد والتخفيف قرات أربع سبعة فالرفع عطف على يقرض والنصب بأن مضرة بعد (١٠٧) فاء السببية فى جواب الاستفهام

(قوله كما سيأتى) أى فى قوله تعالى - مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة - الآية وكثرة المضاعفة على حسب الإخلاص قال عليه الصلاة والسلام «الله الله فى أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدى فوالذى نمنى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهابا لم يبلغ مد أحدكم ولا نصفه» (قوله

فماشوا دهرًا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبا إلا عاد كالكنف واستمرت فى أسباطهم) (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ومنه إحياء هؤلاء (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَشْكُرُونَ) والتصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لإعلاء دينه (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لأقوالكم (عَلِيمٌ) بأحوالكم فيجازيكم (مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ) بإفناق ماله فى سبيل الله (قرضًا حسنًا) بأن ينفعه الله عز وجل عن طيب قلب (فيضاعفه) وفى قراءة فيضعفه بالتشديد (له أضغانًا كثيرة) من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتى (وَاللَّهُ يَقْبِضُ) يمسك الرزق عن يشاء ابتلاء (وَيَبْسُطُ) يوسعه لمن يشاء امتحانًا (وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ) فى الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

والله يقبض ويبسط) هذا كالحليل لما قبله أى إن الانفاق لا يقبض الرزق وعدمه لا يسطه بل القابض الباسط هو الله (قوله ابتلاء) أى اختبارا هل يصبرون ولا يشكون أم لا (قوله امتحانًا) أى هل يشكرون أم لا فالماطوب من الإنسان أن يكون كما قال الشاعر :
واعتنق ما أغناك ربك بالغنى وإذا نصبتك خصاصة فتحمل فلا يشكورك به فى حال فقره ولا يطنى فى حال غناه قال أهل الاشارة فى الآية إشارة خفية إلى أن القبض لا بد وأن يعقبه بسط بخلاف العكس (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى فيقبض النفع ويعذب المسك (قوله ألم تر) ضمنت معنى ينته فعدت بالى كما تقدم نظيره والاستفهام هنا نظير ما تقدم فالمقصود من ذكر هذه القصة العبرة حيث كانوا كثيرا ولم يوجد الصدق وغالبهم فالمنى لا تسكونوا يا أمة محمد كمن ذكروا فى الجبن والخلافة (قوله الجماعة) أى الأشراف لأنهم هم الذين يملئون العين هيبة وأنسا (قوله من بنى إسرائيل) من تبعيضية .
وخالص مبدأ تلك القصة أنه عند وفاة موسى خاف الله على بنى إسرائيل يوشع بن نون فقام بالخلافة حق القيام ثم لما مات تحلف عليهم كالب ثم حزقيل ثم إلياس ثم اليسع فقاموا جميعا بالخلافة كمن قبلهم ثم ظهرت لهم المهالقة وكانوا فى بلد قريبة من بيت المقدس يقال لها فلسطين وهم من أولاد عمليق بن عاد فغلبوا على كثير من بلادهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وزيادة وضربوا عليهم الجزية ولم يكن فيهم إذ ذاك نبي ولا ذرية نبي إلا امرأة حبلى من ذرية لاوى من أولاد يعقوب فولدت غلاما فسمته شعوبيل فلما كبر نبأ الله عليهم وأرسله إليهم ثم إنهم طلبوا منه ملكا فيقيم أمرهم ويرشدكم لما فيه صلاحهم فأقام لهم طلوت إلى آخر ما قص الله .

(قوله من بعد موسى) من ابتدائية (قوله إلى قصتهم وخبرهم) بيان للمراد من الآية لأنه لا معنى لرؤية ذواتهم (قوله نقاتل) مجزوم في جواب الأمر (قوله والاستفهام لتقرير التوقع) والمعنى أترب منكم عدم القيام بالقتال وقوله خبر عسى أى وصحبا التاء وقولا إن كتب عليكم القتال جملة معترضة بين اسمها وخبرها وجواب الشرط محذوف تقديره فلا تقاتلوا (قوله قالوا ومالنا أن لا نقاتل) ما استفهامية بمعنى شئ مبتدأ ولنا متعلق بمحذوف خبر وأن مقدر قبلها الجار ولا بمعنى عدم ويكون المعنى أى شئ ثبت لنا في عدم القتال (قوله وقد أخرجنا) جملة حالية والمعنى أخرج أصولنا وأبناءؤم (قوله فعل بهم ذلك قوم جالوت) أى حين مات آخر نبى لهم وهو البسع وضربوا عليهم الجزية وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وشيئا فضلا عن غيرهم (قوله أى لا مانع لنا منه) تفسير للمعنى المراد من الآية (قوله فلما كتب عليهم القتال) مرتب على محذوف تقديره فدعا شمويل ربه بذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم الخ (قوله وجبنوا) عطف تفسير وهو ترك القتال خوف الموت وسيأتى بيان جبنهم (قوله إلا قليلا) منصوب على الاستثناء (١٠٨) من الواو فى تولوا وهو استثناء متصل وكان عدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر

(قوله والله عليهم بالظالمين) أى منهم وهذا وعيد عظيم لمن جبن عن القتال (قوله كيف) تفسير لأنى والعامل فيها يكون (قوله لأنه ليس من سبط المملكة) أى لكونه لم يكن من ذرية يهوذا بن يعقوب وقوله ولا النبوة أى لكونه لم يكن من ذرية لاوى بل هو من ذرية بنيامين أصغر أولاد يعقوب وكانت ذريته لا نبوة فيهم ولا ملكة بل أقيموا في الحرف الدينية من أجل معاصيهم (قوله سعة) أصله وسع حذفت فاء الكلمة وهى الواو وعوض عنها

مِنْ بَعْدُ) مَوْتِ (مُوسَى) أَى إِلَى قِصَّتِهِمْ وَخَبَرِهِمْ (إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ) هُوَ شَمُوِيلُ (أُبَعَثْ) أَقِمِ (لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلُ) مَعَهُ (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) تَنْتَظِمُ بِهِ كَلِمَتَنَا وَنَرْجِعُ إِلَيْهِ (قَالَ) النَّبِيُّ لَهُمْ (هَلْ عَسَيْتُمْ) بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ (إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَنْ لَا تُقَاتِلُوا) خَبَرُ عِسى وَالِاسْتِفْهَامُ لِتَقْرِيرِ التَّوَقُّعِ بِهَا (قَالُوا وَمَالَنَا أَنْ لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) بِسَبَبِهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَقَدْ فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ قَوْمٌ جَالُوتُ أَى لَا مَانِعَ لَنَا مِنْهُ مَعَ وَجُودِ مَقْتَضِيهِ قَالَ تَعَالَى (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا) عَنْهُ وَجَبْنُوا (إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) وَهُمْ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ مَعَ طَالُوتَ كَمَا سَيَأْتِي (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) فَجَازَ بِهِمْ ، وَسَأَلَ النَّبِيُّ رَبَّهُ بِإِرْسَالِ مَلِكٍ فَأَجَابَهُ إِلَى إِرْسَالِ طَالُوتَ (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَنَّى) كَيْفَ (يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ) لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سَبْطِ الْمَمْلَكَةِ وَلَا النَّبُوءَةِ ، وَكَانَ دَبَاغًا أَوْ رَاعِيًا (وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى إِقَامَةِ الْمُلْكِ (قَالَ) النَّبِيُّ لَهُمْ (إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ) اخْتَارَهُ لِلْمُلْكِ (عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً) سَعَةً (فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) وَكَانَ أَعْلَمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمئِذٍ وَأَجْمَلُهُمْ وَأَتْمَهُمْ خَلْقًا (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ) إِيْتَاءَهُ لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) فَضْلُهُ (عَلِيمٌ) بِمَنْ هُوَ أَهْلٌ لَهُ (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ) لَمَّا طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً عَلَى مَلِكِهِ (إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ) الصَّنَدُوقُ كَانَ فِيهِ صُورُ الْأَنْبِيَاءِ

انزله

تاء التائيت كما في عدة وزنة وحذفت في مضارعه لوقوعها بين عدوتها لأن أصله يوسع

(قوله وكان أعلم بنى إسرائيل) أى فكان يحفظ التوراة وقوله وآتهم خلقا أى فكان يزيد على أهل زمانه بكتفيه ورأسه . قيل ورد أنه لما دعا شمويل ربه أن يبعث لهم ملكا أعطاه الله قرنا فيه طيب ويسمى طيب القدس وعصا وأوحى إليه إذا دخل عليك رجل اسمه طالوت فانظر في القرن فإذا فار فادهن رأسه به وقسه بالعصا فإذا جاء طولها فهو الملك فلما دخل عليه فعل به كما أمر فإذا هو طولها ثم دهن رأسه بذلك الدهن وقال له إن الله جعلك ملكا على بنى إسرائيل فقال كيف ذلك مع أتى أدنى منهم فقال له الله يؤتى ملكه من يشاء (قوله عليهم بمن هو أهل له) أى فلا حرج عليه في فعل ولا ترك (قوله وقال لهم نبيهم) أى حين استبعدوا محيي الملك (قوله لما طلبوا منه آية) لما بمعنى حين ظرف لقوله قالوا أى وقع منهم القول وقت طابهم منه آية (قوله الصندوق) ويقال بالزاي والسين وكل من الثلاثة إمام فتوح أو مضموم أفصحها بالصاد مع الضم وكان من خشب الشمش وطوله ثلاثة أذرع وعرضه ذراعان ومؤه بالذهب وكان عند آدم فيه صور الأنبياء جميعهم وفيه صورة محمد وبيته وأصحابه وقيامه يصي بينهم ثم نوارته ذرية آدم إلى أن وصل لموسى فكان بضع فيه التوراة ووضع فيه بقية الألواح التى تكسرت ثم أخذه بنو إسرائيل بعد

موسى وكانوا إذا خرجوا للقتال يقدمونه بين أيديهم وكانت الملائكة نَحْمِلُهُ فوق رؤوس القتاتلين ثم يهرعون في القتال فاذا سمعوا صيحة نيقنوا النصر فلما اقترضت أنبياءهم ساط الله عليهم العمالة بسبب فسادهم فأخذوا منهم الصندوق وجعلوه في موضع البول والناط فلما أراد الله إظهار ملك طالوت سلب الله عليهم البلاد فكان كل من بال عنده ابتلى بالبواسير حتى خربت خمسة بلاد من بلادهم فلما كبر خوفهم منه أخرجه للخلاء ثم حملته الملائكة وأتت به لطاوت (قوله أنزله الله على آدم) أى ثم توارثه ذريته من بعده (قوله فغلبتهم العمالة) أى بعد موت أنبيائهم (قوله وكانوا يستفتحون به) أى يطلبون الفتح والنصر به (قوله ويسكنون إليه) أى يطمنون بقدمه على العدو (قوله طمأنينة لقلوبكم) أى فى السببية فالمعنى أن السكينة تحصل بسببه ومن أجله ، وقيل المراد بالسكينة صورة من زبرجد على صورة الهرة غير أن لها جناحين فاذا صوّتت فى الصندوق استبشروا بالنصر وقيل المراد بالسكينة صور الأنبياء فالظرفية على بابها (قوله أى تركاهما) بيان (١٠٩) للمراد من الآية فأطلق الآل

وأراد منه نفس موسى وهرون وكثيرا ما يطلق آل الرجل على الرجل نفسه (قوله ورضاض الألواح) أى كسرهما (قوله حال من فاعل يأتينكم) أى وهو الثابت (قوله إن فى ذلك) أى إتيان الثابت على الوصف المذكور (قوله فاختار من شباههم) أى الذين لا شاغل لهم دنيوى لأنه كان لا يأخذ من كان عنده بناء لم يتم ومن عقد على زوجة ولم يدخل بها ومن كان مشغولا بتجارة (قوله سبعين ألفا) وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة ألف وعشرون ألفا (قوله فاصفوا) أى افصل وهو مرتب على محذوف تقديره فجمعهم (قوله وهو بين

أنزله الله على آدم واستمر إليهم فغلبتهم العمالة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوم ويقدمونه فى القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى (فِيهِ سَكِينَةٌ) طمأنينة لقلوبكم (مَنْ رَبُّكُمْ) وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ) أى تركاهما وهى نعلا موسى وعصاه وعمامة هرون وقبض من اللن الذى كان ينزل عليهم ورضاض الألواح (تَحْمِيلُهُ الْمَلَائِكَةُ) حال من فاعل يأتينكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ) على ملكه (إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طاوت فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد فاختار من شباههم سبعين ألفاً (فَلَمَّا فَصَلَ) خرج (طَالُوتُ بِالْجُنُودِ) من بيت المقدس وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء (قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ) مختبركم (بِنَهَرٍ) ليظهر المطيع منكم والماضى وهو بين الأردن وفلسطين (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ) أى من مائه (فَلَيْسَ مِنِّي) أى من أتباعى (وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ) يذقه (فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً) بالفتح والضم (بِيَدِهِ) فاكتمى بها ولم يزد عليها فإنه منى (فَشَرَبُوا مِنْهُ) لما وافوه بكثرة (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) فاقصروا على الغرفة . روى أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً (فَلَمَّا جَاوَزَهُ) هو والذين آمنوا معه) وهم الذين اقتصروا على الغرفة (قَالُوا) أى الذين شربوا (لَا طَاقَةَ) قوة (لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أى بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ) يوقنون (أَنَّهُمْ مُّلاَئِكَةُ اللَّهِ) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كَمْ) خبرية بمعنى كثير (مِّنْ فِتْنَةٍ) جماعة (قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ) بإذن الله (إرادته ،

الأردن) بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال وتشديد النون موضع قريب من بيت المقدس وقوله وفلسطين بفتح الفاء وكسرهما وفتح اللام لاغير قال بعضهم إن قريّة وقال بعضهم إنه عدة قري قرب بيت المقدس (قوله فمن شرب منه) أى بكثرة بدليل ما بعده وهذا النهر باقى يجرى إلى الآن بين الخليل وغزة (قوله يذقه) أشار بذلك إلى أن الطعم بمعنى الذوقان يطلق على الماء كقول والشروب (قوله بالفتح والضم) قراءة ثمان سبعين بمعنى الشئ المعروف وقيل بالفتح اسم للاعتراف وبإضم اسم للشئ المعروف وقيل بالفتح والضم بمعنى الصدر أشهرها أو سطها (قوله إلا قليلا منهم) استثناء من قوله فشربوا منه المقيد بالكثرة فالمعنى إلا قليلا شربوا منه بقلة فيؤخذ منه أن الجميع شربوا لكن أكثرهم شرب بكثرة وأقلهم شرب منه بقلة (قوله وبضعة عشر) البضعة من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر لكن المرادها ثلاثة عشر كفى أكثر الروايات وهم عدة غزوة بدر (قوله فلما جاوزوه) أى تعدها (قوله وجنوده) قيل عدتهم مائة ألف شاكى السلاح وقيل أكثر وكان طويلا جالوت ميلا وخودته التى على رأسه ثلثمائة رطل (قوله قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) استشكل بأن من

شرب كثيرا مؤمنون أيضا. وأجيب بأنهم سلب إيمانهم بكثرة شربهم. وأجيب أيضا بأن الراديظنون أنهم ملاقوا الله أي بالموت في تلك الوعدة فلا أمل لهم في الحياة (قوله والله مع الصابرين) قيل من كلامهم وقيل من كلام الله بشارة لهم والمراد معية المؤمنين خاصة (قوله أي ظهوروا لقتالهم) أي فلم يبق بينهم حجاب أبدا بل خرجوا في البراز الذي هو صحراء الأرض (قوله اصعب علينا صبرا) أي كذب الماء على الأرض الجرز (قوله وقتل داود) أي ابن إيشا وكان إيشا من جملة عسكر طالوت وكان أولاده ثلاثة عشر معه أصغرهم داود وكان يرعى الغنم فلما خرجوا للقتال مرة داود بجرح فناداه يا داود احملي فأتى حجر هرون فخمله ثم مر بآخر فقال له احملي فأتى حجر موسى فخمله ثم مر بآخر فقال له احملي فأتى حجرك الذي تقتل به جالوت فخمله ووضع الثلاثة في محلاته فلما تصافوا للقتال نادى طالوت كل من يقتل جالوت أزوجه ابني وأصافه في ماكني فلم يتقدم أحد فسأل طالوت شمويل فدعاه به فأتى بقرن فيه دهن وقيل له إن الذي يقتل جالوت هو الذي إذا وضع الدهن على رأسه لا يسيل على وجهه فدعا طالوت القوم فصار يدهن رؤوسهم فلم تصادف تلك الصفة أحدا إلى أن وصل لداود فصادف فقال له أنت تبرز له فقال نعم فأتى بالمقلع وأخرج حجرا من محلاته وقال باسم رب إبراهيم وأخرج حجرا آخر وقال باسم رب إسحق وأخرج حجرا آخر وقال باسم رب يعقوب ثم وضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا فرمى به جالوت فأصابه فخودته وخرج من دماغه فقتل ثلاثين رجلا فأخذ داود جالوت حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح هو ومن معه من بني (١١٠)

مات طالوت وشعوبل انفراد
بالمالك فعاش نبيا ماسكا
سبع سنين ثم خلفه سليمان
ولده في النبوة الملك (قوله
وآناه الله الملك) أى
استقلا سابع سنين
(قوله كصنعة الدروع)
أى وكان يلين فى يده
من غير نار وينسجه
كالفلز (قوله ومنطق
الطير) أى فهم أصواتها
بل وجميع الحيوانات
(قوله ولولا دفع الله الناس)

(وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) بالعون والنصر (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أى ظهروا لقتالهم
وتصافوا (قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ) أصب (عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا) بتقوية قلوبنا على الجهاد
(وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَهَزَمُوهُمْ) كسروهم (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وَقَتَلَ دَاوُدُ)
وكان في عسكر طالوت (جَالُوتَ وَآتَاهُ) أى داود (اللَّهُ الْمُلْكَ) فى بنى إسرائيل (وَالْحِكْمَةَ)
النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله (وَعَلَّمَهُ) مِمَّا يَشَاءُ (كصنعة الدروع
ومنطق الطير) (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ) يدل بعض من الناس (بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)
بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد (وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) فدفع
بعضهم ببعض (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا) نقصها (عَلَيْكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ)
بالصدق (وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) التأكيد بأن غيرها رد لقول الكفار له لست مرسلاً (تِلْكَ)
مبتدأ (الرُّسُلُ) صفة والخبر (فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)

نہ خفیدہ

أى لولا أن الله يدفع الناس وهم أهل الكفر والمعاصي ببعض الناس وهم أهل الإيمان

والطاعة تغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا المساجد والبلاد وقيل معناه لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لنسدت الأرض أى هلكت ومن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر . وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية » (قوله ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعنى أن دفع الفساد على هذا الوجه بطريق إنعام الله ونفضله فم الناس كلهم ومن المعلوم أن لولا حرف امتناع لوجود فاللعن امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم عن بعض وهذه الآية كالدليل لما ذكر في النصة من مشروعية القتال ونصر داود على جالوت (قوله هذه الآيات) أى فالإشارة عائدة على ما تقدم من أول الربع إلى آخره لما فيه من عظيم المعجائب والإشارة في الآية للبعد نظرا لبعده زمن تلك القصة وإنا نفسره بالقريب نظرا لافظ الدال عليها فأفاد المفسر أنه يصح إرادة العنيين فلا مخالفة بين إشارة الآية وإشارة المفسر (قوله بالصدق) أى الذى لا يحتمل النقيض (قوله وغيرها) أى وهى اللام والجملة الاسمية (قوله تلك الرسل) اسم الإشارة عائد على الرسل المذكورين من أول السورة إلى هنا أو على المذكورين باصتها وآتى بالإشارة البعيدة نظرا لبعده زمنهم أو لبعده رتبهم وعناؤها عند الله (قوله صفه) أى أو عطف بيان أو بدل لأن المحلى بال بعد اسم الإشارة يجوز فيه الثلاثة .

(قوله بتخصيصه بمنقبة) أى بصفة الكمال وذلك بفضل الله لا بصفة قائمة بذاته بحيث تقتضى التخصيص بالمناقب لهاته قال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء - (قوله منهم من كلم الله) يان للتفضيل وقوله كلم الله أى كله الله بغير واسطة (قوله كموسى) أى فى الطور ليلة الحيرة وغيرها والحق أن كلام الله لموسى لا يحصى بعدد وأدخلت الكاف محمدا ليلة الاسراء وإنما لم يشتهر بالكلام لأنه حاز منصباً أشرف من المكاملة وهى الرؤية (قوله أى محمداً) مثل هذا التفسير لا يقال من قبل الرأى بل هو الوارد وقد أشار لذلك العارف بقوله :

وإن ذكروا نجى الطور فاذا ذكر نجى العرش مفتقرا لتغنى فان الله كلم ذلك وحيا وكلم ذا مشافهة وأذى وإن قابلت لفظة لن ترائى بما كذب الفؤاد فهت معنى

فموسى خر مغشياً عليه وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنه

(قوله بعموم الدعوة) أى لجميع المخلوقات حتى الجمادات والملائكة والجن ولا يرد حكم سليمان فى الجن فإنه حكم سلطنة لارسله (قوله وختم النبوة) أى فلا نبى بعده تبتداً رسالته ويلزم من ذلك نسخه لشريع غيره وعدم نسخ شرعه (قوله وتفضيل أمته على سائر الأمم) قال تعالى - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وأما قوله (١١١) تعالى فى حق بنى اسرائيل

- وأنى فضلتكم على العالمين - فالمراد عالمو زمانهم (قوله والمعجزات المتكاثرة) أى الكثيرة التى لا تحصى بحمد ولا عدد قال العارف البوصيرى : إنما فضلك الزمان وآيا لك فيما نعده الآناه (قوله الخصائص العديدة) أى كالحوض المورود والمقام المحمود والوسيلة غير ذلك (قوله البيئات) أى كاحياء الموتى وإبراء الأكف والأبرص (قوله

بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) كموسى (ورفع بعضهم) أى محمداً صلى الله عليه وسلم (درجات) على غيره بعموم الدعوة ، وختم النبوة ، وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة (وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه) قويناه (روح القدس) جبريل يسير معه حيث سار (ولو شاء الله) هدى الناس جميعاً (ما اقتتل الذين من بعدهم) بعد الرسل أى أمهم (من بعد ما جاءتهم البينات) لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً (ولكن اختلفوا) لمشبهة ذلك (فمنهم من آمن) ثبت على إيمانه (ومنهم من كفر) كالنصارى بعد المسيح (ولو شاء الله ما اقتتلوا) تأكيد (ولكن الله يفعل ما يريد) من توفيق من شاء وخذلان من شاء (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) زكاته (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة) صداقة تنفع (ولا شفاعة) بغير إذنه وهو يوم القيامة وفى قراءة برفع الثلاثة (والكافرون) بالله أو بما فرض عليهم (هم الظالمون) لوضعهم أمر الله فى غير محله (الله لا إله) أى لا معبود بحق فى الوجود (إلا هو الحى) ،

يسير معه حيث سار) أى من مبدأ خلقه لأن خلقه كان على يده (قوله هدى الناس) مفعول لشاء وقوله ما اقتتل جواب لو وهو إشارة لقياس استثنائى نظمه أن تقول لو شاء الله هدى الناس جميعاً ماقتتل الذين من بعد الرسل لكنهم اقتتلوا فلم يشأ الله هدام جميعاً (قوله بعد الرسل) أى بعد مجيئهم (قوله أى أمهم) تفسير للذين وقوله من بعد ما جاءتهم متعلق باقتتل ومصدرية أى من بعد مجيئ البينات لهم (قوله لاختلافهم) علة للاقتتال (قوله ولكن اختلفوا) هذا استثناء لنقيض التالى فينتج نقيض المقدم وهو لم يشأ الله هدام لكنه عبر بالسبب وهو الاختلاف عن السبب وهو الاقتتال (قوله لمشبهة ذلك) أى فلو شاء هدام لم يختلفوا ولم يقتتلوا فالحق واضح ظاهر وإنما كفر من كفر بارادة الله عدم إيمانه قالعبد مجبور فى قالب مختار (قوله ثبت على إيمانه) أى بارادة الله (قوله زكاته) قدره إشارة إلى أن المراد الانفاق الواجب بدليل الوعد العظيم ونحو الزكاة كل نفقة واجبة (قوله بغير إذنه) أشار بذلك إلى أن الآية مطلقة فتحمل على المقيدة وهى قوله تعالى - من ذا الذى يشفع عنده إلا بذنه - (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة (قوله برفع الثلاثة) أى على أن لاناية مهمة أو عاملة عمل ليس لأنها إذا تكررت جاز إصالتها والتاؤها وأما على القراءة الأولى فهى عاملة عمل إن تنصب الاسم وترفع الخبر (قوله بالله) أى فهو ككفر حقيقى وقوله أو بما فرض عليهم : أى بالتفريط فى الفرائض وهو كفر مجازى (قوله الله لا إله إلا هو) هذه الآية تسمى آية الكرسي وهو أفضل آى القرآن لأن التوحيد الذى استفيد منها لم يستفد

من آية سواها لأن النسيء يشرف بشرف موضوعه فلما اشتمت على أمهات المسائل الدالة على نبوت الكمالات لله ونفى النقائص عنه تعالى، وورد في فضلها من الأحاديث الكثيرة ما يجعل عن الحصر: منها من قرأها عند خروجه من بيته كان في ضمان الله حتى يرجع ومنها من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ومنها ما قرئت في دار إلهجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا على علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها ومنها من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والآيات حوله، ومنها - يد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي ومنها ما ورد أنه نزل جبريل على موسى وقال له ربك يقول لك من قال عقب كل صلاة اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحمة وطرفة يطرّف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحى القيوم إلى آخرها فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إلى الله منه فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة. وأخذ العارفون منها فوائد جمّة منها من قرأها عقب كل صلاة أربعة عشر مرة فصولها أحبه العالم العلوي والسفلي ومن قرأها عدة الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر فرج الله عنه وأزال عنه ما يكره ومنها من قرأها عدد حروفها وهي مائة وسبعون حرفا لا يطلب منزلة إلا وجدها ولا سعة إلا نالها ولا فرجا من سائر الشدائد إلا حصل ومنها أنه إذا سقى المبطون حروفها مقطعة شق بإذن الله، ومنها من كتبها عدد كلماتها وهي خمسون كلمة وحملها أدرك غرضه من عدوه وحاسده وإن كان للحبة والألف نال مقصوده، وتسميتها آية الكرسي من باب تسمية الشيء باسم جزئه لذكره فيها (قوله الدائم البقاء) أى خياله ذاتية له (قوله القيوم) هو من صيغ المبالغة وإن لم تكن من الصيغ (١١٢) المشهورة (قوله المبالغ في القيام بتدبير خلقه) أى فلا يشغله شأن عن

الدائم البقاء (القيوم) المبالغ في القيام بتدبير خلقه (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ) ناس (وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقاً وعبيداً (مَنْ ذَا الَّذِي) أى لا أحد (يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) له فيها (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أى الخلق (وَمَا خَلْفَهُمْ) أى من أمر الدنيا والآخرة (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ)

شأن ولا تخفى عليه خافية أبدا سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وصارب بالنهار ما خلقكم ولا بعثكم إلا

أى

كنفس واحدة - فقوم السماء وزينها وبسط الأرض

وجملها وأرضى كل إنسان بما قسم له من غير تعب يحصل من ذلك قال تعالى - ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب - (قوله لا تأخذه سنة) هذا من صفات السلوب والسنة هي النوم في العين وهي نوم الأنبياء (قوله ولا نوم) عرف بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك. إن قلت حيث كان منزها عن السنة فهو منزّه عن النوم بالأولى. أجيب بأنه زيادة في الإيضاح. وأجيب أيضا بأنه ذكر النوم لأنه ربما يتوهم من كونه يهجم قهرا أنه يغلبه فلا يلزم من نفي السنة نفي النوم وهذا هو الأتم لأنه لا يلزم من نفي الأتخف نفي الاثقل. إن قلت إن الملائكة أيضا لا تأخذهم سنة ولا نوم فليس في ذكر هذه الصفة مزيد مزية - أجيب بأن تنزه الملائكة عن النوم من إخبار الله فقط وإلا فالعقل يجوزه عليهم بخلاف تنزه الله عنه فالدليل العقلي قائم على تنزهه عنه (قوله له ما في السموات وما في الأرض) كالدليل لما قبله وأتى بما تعليلها لغير العاقل لكثرة (قوله ملكا) بضم الميم معناه التصرف وقوله وخلقاً: أى لإيجاد وقوله وعبيدا أى مملوكين له إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ولا نزاع في كون السموات والأرض ملكا لله قال تعالى - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم - وفي ذلك رد على الكفار حيث أثبتوا له شريكا فكان الله يقول لهم ما أشركتموه لا يخرج عن السموات والأرض وشأن الله يلك أن يكون مستقلا خارجا عن مملكة الشريك الآخر (قوله من ذا) اسم استفهام مبتدأ والذي خبره وهو استفهام انكاري بمعنى النفي: أى لا شفيع في أحد يستحق النار يشفع عنده بغير مراده (قوله أى لا أحد) تفسير للاستفهام الانكاري (قوله إلا بإذنه) أى مراده (قوله أى من أمر الدنيا) راجع لقوله ما بين أيديهم وقوله والآخرة راجع لقوله وما خلفهم فهو لف ونشر مرتب وبصح العكس فيكون لفا ونشرا مشوشا والأقرب أن يقال المراد بما بين أيديهم ما يستقبل

من الدنيا والآخرة وقوله وما خلفهم ما اتقى من أمر الدنيا فلم أمر الدنيا والآخرة مستوعنده بخلاف الخلوقات . قال الشاعر :
وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
حيثما من معلوماته دفع بذلك ما يتوهم أن علم الله يتجزأ مع أنه ليس كذلك ، وما يتوهم أيضا أنه يشاء إطلاع أحد على علمه مع أنه مستحيل إذ ليس في طاقة الحادث إطلاع على حقيقة القديم ولا هفاته ، سبحانه من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته (قوله منها) أي من معلوماته (قوله باخبار الرسل) أي فلا يصل لأحد علم إلا بواسطة الأنبياء فالأنبياء وسائط لأنهم في كل شيء واسطتهم رسول الله قال العارف : اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق ونزلت علوم آدم فأعجز الخلاق (قوله قيل أحاط علمه بهما) أي الكرسي بضم الكاف وكسرهما يطلق على العلم كما يطلق على السرير الذي يجلس عليه (قوله وقيل الكرسي نفسه) أي وهو مخلوق عظيم فوق السماء السابعة يحمله أربعة ملائكة لكل ملك أربعة أوجه أرجلهم تحت الصخرة التي تحت الأرض السابعة وتحت الأرض السفلى ملك على صورة آدم يسأل الرزق لبني آدم وملك على صورة الثور يسأل الرزق للبهائم وملك على صورة السبع يسأل الرزق للوحوش وملك على صورة الفرس يسأل الرزق للطيور بينهم وبين حملة العرش سبعون حجابا من ظلمة وسبعون حجابا من نور سمك كل حجاب خمسمائة سنة وذلك لئلا تحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش ، وخلق العرش والكرسي من حكم الله للاحتياج لهما . قال صاحب الجوهرة :
والعرش والكرسي ثم القلم والكتابون اللوح كل حكم (١١٣) لا احتياج وبها الإيمان *

يجب عليك أيها
الإنسان
(قوله في ترس) هو
ما يترس به عند
الحرب وهو يسمى
بالدرقة (قوله ولا يؤده)
أي الله وهو ظاهر
أو الكرسي وهو
أبلغ لأنه إذا لم تنقل
السماوات والأرض مع

أي لا يعلمون شيئا من معلوماته (إِلَّا بِمَا شَاءَ) أن يعلمهم به منها باخبار الرسل (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) قيل أحاط علمه بهما ، وقيل ملكه ، وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته لحديث «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدرهم سبعة أوقيت في ترس» (وَلَا يَؤُدُّهُ) يثقله (حِفْظُهُمَا) أي السماوات والأرض (وَهُوَ الْعَلِيُّ) فوق خلقه بالقهر (الْعَظِيمُ) الكبير (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) على الدخول فيه (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرهمهم على الإسلام (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ) الشيطان أو الأصنام ، وهو يطلق على المفرد والجمع (وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ) ،

عظمها الكرسي مع أنه مخلوق فكيف بخالقه (قوله وهو العلي) أي اللزوم عن صفات الحوادث فهو من صفات السلوب (قوله العظيم) أي المتصف بالعظم ، وقدم العلي عليه لأنه من باب تقديم التولية على التحلية (قوله لا إكراه في الدين) قيل إن من هنا إلى خالدون من تمام آية الكرسي وقيل ليست سنها وهو الحق وإنما ذكرت عقبها كالنتيجة لما ذكر فيها من خالص التوحيد ، والمعنى لا يكره أحد أحدا على الدخول في الإسلام فإن الحق والباطل ظاهرا لكل أحد فلا ينفع الاكراه قال تعالى - ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكفر الناس حق يكونوا مؤمنين - (قوله أي ظهر بالآيات البينات) أي الدلائل الظاهرة على باهر قدرته وعظم حكته . قال تعالى - إن في خلق السماوات والأرض - الآية (قوله فيمن كان له من الأنصار أولاد) أي وهو أبو الحصين كان له ابنان تنصرا قبل نبوة النبي ثم قدما المدينة بتجارة زيت فلقبهما أبوهما وأحب أن يكرهما على الإسلام فارتفع معهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبوهما يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر إليه؟ فنزلت وهذه الآية يحتمل أنها منسوخة بآيات القتال أو محكمة وتحمل على من ضرب عايمهم الجزية ويؤيده سبب نزولها (قوله بالطاغوت) مبالغة في الطغيان كالجبروت والملكوت والمراد به ما يعبد من دون الله ومعنى الكفر به جحده والاعراض عنه (قوله وهو يطلق على المفرد والجمع) أي ويعود الضمير عليه مؤثما ومذكرا وهو قيل مصدر وقيل اسم جنس (قوله ويؤمن بالله) تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله من باب تقديم التولية على التحية لأنه لا يصح إيمان بالله مع إشراك غيره معه (قوله فقد استمسك) هذه الجملة جواب الشرط الذي هو من وقرن بالفاء لدخول قد عليها . [١٥ - صاوي - أول]

(قوله تمسك) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لتقوية الاستمسك (قوله بالعروة الوثقى) فيه استعارة نصريحية أصلية حيث شبه دين الاسلام بالعروة الوثقى وهي موضع المسك من الحبل بجامع أن كلا لا يخشى منه الخلل واستعير اسم الشبه به وهو العروة الوثقى للشبه وهو دين الاسلام والاستمسك وعدم الانقسام ترشيحان لأنه من ملائمت الشبه به أوفيه استعارة تمثيلية بأن يقال شبه حال من تمسك بدين الاسلام وأحكامه بحال من تمسك بالعروة الوثقى بجامع أن كلا لا يخشى الانفكاك ولا الخلل واستعير اسم الشبه به للشبه والاستمسك وعدم الانقسام ترشيحان أيضا (قوله لا انفصام لها) الانقسام الانقطاع بغير بينونة والانقسام بالقاف الانقطاع مع بينونة فالتميز بالانقسام أبلغ (قوله لما يقال) أى سرا أو جهرا (قوله بما يفعل) أى خبيرا أو سرا سرا أو جهرا (قوله الله ولّى الذين آمنوا) هذا كالدليل لما قبله وولى فعيل بمعنى فاعل أى متولى أمر عباده وأما الولي من العبيد فبمعنى فاعل أى موالى طاعة ربه أو بمعنى مفعول أى تولاه الله فلم يكلفه لتفسيره (قوله الكفر) شبه بالظلمات الحسية للعبودية وعدم الاهتمام في كل ولأنه يكون كذلك يوم القيامة قال تعالى - ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها - وقوله الايمان شبه بالنور لأنه يهتدى بكل ولأنه يكون كذلك يوم القيامة . قال تعالى - نورهم يسير بين أيديهم وبأيمنهم - فالكفر ظلمة معنوية في الدنيا وحسية في الآخرة، والايمان نور معنوى في الدنيا وحسى في الآخرة (قوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) إنما لم يقل والطاغوت أولياء الذين كفروا لأجل المقابلة لتلا يكون الطاغوت مقابلا لاسم الله وهو قبيح فبدأ (١١٤) بكفرهم تقييحا وتبكيئا لهم (قوله ذكر الاخراج الخ) جواب عن سؤال

مقدر حاصله أن الكفار لم يهكونوا في نور فأخرجوا منه إلى الظلمات كيف ذلك. أجاب المفسر بجوابين : الأول أنه مشاكلة لما قبله والمراد منهم من أصل النور والثاني أنه إخراج حقيقى وهو في كل من آمن بالنبي قبل مبعثه ثم ارتد بعد ذلك وفي هذه الآية

تمسك (بالعروة الوثقى) بالاعتد الحكم (لا انفصام) انقطاع (لها والله سميع) لما يقال (عليه) بما يفعل (الله ولّى) ناصر (الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات) الكفر (إلى النور) الإيمان (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) ذكر الإخراج إما في مقابلة قوله يخرجهم من الظلمات أو في كل من آمن بالنبي قبل مبعثه من اليهود ثم كفر به (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. ألم تر إلى الذي حاج) جادل (إبراهيم في ربه) (لأن آتاه الله الملك) أى حملة بطره بنعم الله على ذلك وهو نمروذ (إذ) بدل من حاج (قال إبراهيم) لما قال له من ربك الذى تدعونإليه (ربى الذى يحى ويميت) أى يخلق الحياة والموت في الأجساد (قال) هو :

وعد من الله بالأمن للمؤمن من المخاوف دينا وأخرى

(١١٥)

(قوله ألم تر) الاستفهام لتقرير النفي مع التعجب والمعنى ألم ينته علمك إلى هذا الذى قابله الله بالجلود والاحسان وقابل مولاه بالكفر والظنّيان وهذا كالدليل لقوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت الآية فإن الشيطان طاغوت نمروذ وهو طاغوت غيره ماعدا إبراهيم ومن تبعه (قوله إلى الذى حاج) لم يصرح باسمه تبكيئا له وإظهارا لتبعه (قوله جادل) أى مجادلة باطلة وهي مقابلة الحجة بالحجة فأبراهيم يجادل بالحق ونمروذ يجادل بالباطل (قوله في ربه) أى إبراهيم فالإضافة للتشريف أو نمروذ والإضافة لإقامة الحجة عليه حيث نازع خالقه في وصفه (قوله أن آتاه الله الملك) مفعول لأجله وهو مجرور باللام لفقد أحد شروطه وهو عدم اتحاد الفاعل لأن فاعل الحاجة النمروذ وفاعل إتياء الملك هو الله قال ابن مالك : وإن شرط فقد ج فاجرره بالحرف وحذف الجار لأن حذفه مطرد مع أن وأن (قوله بطره) هو الاستخفاف بآلاء الله (قوله بنم الله) أى وهى ملك الدنيا لأنه لم يملك الدنيا إلا أربعة اثنان مسلحان واثان كافران : سليمان وذو القرنين والنمروذ وبختنصر (قوله وهو نمروذ) أى ابن كنعان حملت به أمه من زنا خوفا على ملك أبيه من الضياع حيث كان أبوه عقيما وهو أول من لبس التاج السكك وهذه الواقعة كانت بعد لقاء إبراهيم في النار وكان النمروذ قد ملك أقوات الأرض كلها فكان لا يعطى القوت إلا لمن آمن به فذهب إبراهيم له وطلب منه ثبث من القوت فامتنع حتى يتبعه فذهب لإبراهيم إلى كتيب من رمل وملا وعاءه فلما وصل منزله صار دقيقا فصار يأكل منه هو ومن تبعه (قوله بدل من حاج) أى بدل احتمال (قوله لما قال له) ظرف لقوله قال إبراهيم أى قال إبراهيم ذلك وقت قوله له من ربك

(قوله أنا أخى) الضمير قيل أن وحدها والألف زائدة لبيان الحركة في حال الوقف وفل بل كلها الضمير والصحيح أن فيه لتبيين لغة تميم إثبات ألفه وصلا ووقفها والثانية إثباتها وقفها وحذفها وصلا (قوله غيبا) أى بليدا لا يفهم جوابا ولا يحسن خطابا وهو جواب عن سؤال مقتر. حاصله أن ما وقع من إبراهيم ليس من صناعة النازرة لأنه كان الواجب إبطال حجة الإحياء والأمانة التي ادّعاها اللعين أولا ثم ينتقل لحجة أخرى . أجاب المفسر بأنه لما رآه غيبا لم يدقق عليه في ذلك وانتقل لحجة أخرى (قوله أو كالذى) هذا كالذي لقوله - الله ولّى الذين آمنوا - فهو من باب ألف والنشر المشوش فمن أراد الله هدايته جعل له كل شيء دليلا يستدل به على ذات صانعه وصفاته ، ومن أراد الله خذلانه أضله بكل شيء وأعمى قلبه عن النظر في الصنوعات ، وإنما قدم ما يتعلق بالكافر لقصر الكلام عليه واتصاله بمقابلته بخلاف ما يتعلق بالمؤمن . واعلم أنهم ذكروا أن في الكاف قولين الأول أنها بمعنى مثل وعليه درج المفسر حيث قدر رأيت فيكون المعنى ألم ينته علمك إلى مثل الذى مر : أى مثله وصفته فقوله والكاف زائدة غير مناسب لعله . الثانى أنها زائدة والمعنى ألم ينته علمك إلى الشخص الذى مر الخ (قوله وهو عزيز) أى ابن ضرخيا كان من بنى إسرائيل ، قيل كان نبيا ، وقيل وليا ، وقيل هو الحضر ، وقيل رجل كان (١١٥) كافرا ينكر البعث فأراد الله

له الهدى . والقرية قيل هى بيت المقدس كما قال المفسر ، وقيل هى القرية التي خرج منها الأتوف حذر الموت (قوله لما خرجها بختنصر) بخت معناه ابن نصر اسم للضمم مى بذلك لأن أمه لما ولدته وضعته عنده فلما وجدوه قالوا بختنصر : أى ابن الضم ، وكان كافرا ملك لأرض مشرقا ومغربا . وسبب تخريبها أن بنى إسرائيل لما طفوا سبط الله عليهم بختنصر فتوجه إليهم فى ستائنه راية فلما ملكهم قسمهم ثلاثة أقسام

(أَنَا أُخِي وَأُمِّيْتُ) بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين قتل أحدهما وترك الآخر فلما رآه غيبا (قَالَ إِبْرَاهِيمُ) منتقلا إلى حجة أوضح منها (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا) أنت (مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) تحير ودهش (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) بالكفر إلى حجة الاحتجاج (أَوْ) رأيت (كَالَّذِي) الكاف زائدة (مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ) هى بيت المقدس راكباً على حمار ومعه ملة تين وقدر عصير وهو عزيز (وَهِيَ حَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى غُرُوبِهَا) سقوطها لما خرجها بختنصر (قَالَ أَنَّى) كيف (يُخْرِجُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا) استعظاما لقدرته تعالى (فَأَمَاتَهُ اللَّهُ) وألبسه (مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) أحياء ليبريه كيفية ذلك (قَالَ) تعالى له (كَمْ لَبِثْتُ) مكثت هنا (قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) لأنه نام أول النهار فقبض وأحيى عند الغروب فظن أنه يوم النوم (قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ) التين (وَشَرَابِكَ) العصير (لَمْ يَتَسَنَّهْ) يتغير مع طول الزمان ، والماء قيل أصل من سانهت ، وقيل لا حكت من سانيت وفى قراءة بحذفها (وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ) كيف هو فرآه ميتاً وعظامه بيض تلوح . فلما ذلك لتعلم (وَلَنَجْذِكَ آيَةً) على البعث (لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ) من حمارك (كَيْفَ نُنشِرُهَا) نحياها بضم النون وقرئ بفتحها ،

قسم قتله وقسم قره بالشام وقسم استرقه ، وكان ذلك مائة ألف قسمه بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل واحد أربعة فكانوا خمسة وعشرين ألف ملك ، وكان من جملة من أسر عزيز وذلك من الأسر فلما مر عليها وهى بهذه الحالة قال ما ذكر (قوله أنى يحيى هذه الله بعد موتها) يحتمل أن المراد فى الدنيا أو يوم القيامة وليس ذلك شكاً ومستغربا لفعل الله بل ذلك سؤال عن تعلق قدرة الله كأنه قال هل تعلق قدرة الله بأحيائها فيحييها أو بعدمه فيبقيها على ما هى عليه (قوله كيف) وقيل بمعنى متى (قوله استعظاما لقدرته) أى أنه لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة (قوله وألبسه) قدره إشارة إلى أن قوله مائة عام متعلق بمحذوف ولا يصح تعلقه بأمانته لأنه لا معنى له . وسبب ذلك أنه لما دخل بيت المقدس وربط حماره فلم ير أحدا بها ، ثم رأى أشجارها قد أثمرت فأكل منها ونام فأمانته الله فى منامه فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله ملكا من ملوك فارس إلى بيت المقدس ليعمره فعمره ورد من بقى من بنى إسرائيل إليه فلما تمت المائة أحياء الله (قوله أو بعض يوم) أو للاضرب لأنه نام ضجوة النهار فأحيى آخر النهار فظن أنه يوم النوم فبالضرورة ليس يوما كاملا (قوله قيل أصل) أى فهمى لام الكلمة والفعل مجزوم بسكون الهاء فأصل سنة سنه (قوله وقيل للسكت) أى فهمى زائدة وأصل سنة سنو (قوله وفى قراءة بحذفها) أى وصلا .

(قوله من أنشر ونشر) ثم ونشر مرتب (قوله ونرفها) أي نزع بعضها إلى بعض (قوله علم مشاهدة) جواب عن سؤال مقتر (قوله أمر من الله له) أي وترق من علم اليقين ، روى أن العزيز لما أحس برأسه ولحيته إذ ذاك سوداوان وهواين أربعين سنة ركب حماره وآتى محله فأنكره الناس وأنكر هو الناس والمنازل فأنطق على وهم منه حتى آتى منزله فاذا هو بصحور عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزيز ، فقال عزيز يا هذه هذا منزل عزيز ؟ قالت نعم وأين عزيز قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا ، قال فأتى عزيز ، قالت سبحان الله وآتى يكون ذلك ؟ قال قد أمانني الله مائة عام ثم يمضني قالت إن عزيزا كان رجلا محاب الدعوة فادع الله لي يرد على بصري حتى أراك فدعا ربه ومسح بين عينيه فصحتا فأخذ بيدها ، فقال لها قومي بإذن الله فقامت صيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزيز فأنطلقت به إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم وكان في المجلس ابن لعزيز قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ ، فنادت هذا عزيز قد جاءكم فكذبوها ، فقالت انظروا فأتى بدعائه رجعت إلى هذه الحالة فنهض الناس فأقبلوا إليه ، فقال ابنه كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك . وقد كان قبل بختنصر بيت المقدس من قراء التوراة أربعون ألف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يحل منها بحرف ، فقال رجل من أولاد المسيبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بختنصر حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة يوم سبينا في خاية في كرم فان أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم فذهبوا به إلى كرم جده ففكشوا فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزيز عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (١١٦) (قوله وإذ قال إبراهيم) هذا دليل آخر لقوله - الله وليّ الدين آمنوا -

من أنشر ونشر لغتان . وفي قراءة بضمها والزاي : نحر كها ونرفها (ثُمَّ نَكْسُوها حَمًا) فنظر إليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ) ذلك بالمشاهدة (قَالَ أَعْلَمُ) علم مشاهدة (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وفي قراءة أعلم أمر من الله له (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) تعالى له (أَوْ لَمْ تُؤْمِنِ) بقدرتي على الإحياء ، سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليحييه بما سأله فيعلم السامعون غرضه (قَالَ بَلَى) آمنت (وَلَكِنْ) سألتك (لِيُطْمَئِنُّ) يسكن (قَلْبِي)

وقصة إبراهيم أبلى من قصة العزيز لعظم مقام إبراهيم وأما غاير الأسلوب ولم يقل أو كالذي قال رب أرني الخ لأن إبراهيم قد تقدم له ذكر وأيضاً الأمر للعجز لم يقع له في نفسه كالعزيز وإنما أراه الله

بالمعينة

ذلك في غيره . وسبب سؤال إبراهيم أنه مرّ بساحل طبرية فوجد جيفة إنسان

وقيل حمار ، وقيل حوت فلما رآها وجد السباع والطيور والسمك تأكل منها فاشتاققت نفسه إلى رؤية جمع الله لها ، فقال أعلم أن الله قادر على جمعها لكن أحب أن أرى ذلك ، وقيل سبب سؤاله أنه لما حاجج النمرود حيث قال : ربى الذى يحى ويميت فقال النمرود : أنا أحى وأميت ودعا برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر ، فقال له إبراهيم ليس هذا إحياء فان الإحياء إدخال الروح في الجسم وتقويمه بها ، فقال النمرود أوربك يفعل ذلك ؟ فقال إبراهيم نعم ، فقال له هل عاينته ؟ فانتقل لحجة أخرى وهى - إن الله يأتى بالشمس من المشرق - الآية ، فعند ذلك تشوّق للمعينة لتقوى حجته على قومه إذا سألوه عن المعينة ، وقال - رب أرنى - الآية (قوله أرنى) أصله أرئىنى بوزن أكرمى حذف الياء لأن الأمر كالمضارع فصار أرئىنى ثم نقات حركة الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة ، والرؤية هنا بصرية تنعدي إلى مفعول واحد فلما دخلت همزة النقل تعدت إلى مفعول ثان وهو جملة الاستفهام (قوله سأله) أى سأل الله إبراهيم ، وقوله بذلك : أى بقدرته على إحياء الموتى (قوله ليحيى) علة لسأل وفاعل الاجابة إبراهيم وهو المسئول ، وقوله بما سأله : أى الله ، وقوله فيعلم السامعون غرضه : أى لأن سؤاله أولاً يروم عدم إيمانه فترتب على سؤال الله له بقوله - أؤلم تؤمن - كشف إبراهيم عن مراده بقوله - بلى ولكن ليطمئن قلبي - (قوله آمنت) قدره إشارة إلى أن قوله ولكن ليطمئن قلبي مرتب عليه وهناك محذوف آخر تقديره وليس سؤالى لعدم إيمان منى ولكن الخ (قوله يسكن قلبي) أى من اضطرابه واشتياقه إلى المعينة ولا يقدح ذلك في إيمان إبراهيم فان الانسان مؤمن برسول الله وبيت الله الحرام ولكن قابله مشتاق ومضطرب لمشاهدة رسول الله وبيته الحرام غاية الاشتياق ومع ذلك لا يقدح في إيمانه بما ذكر . ركسؤال موسى رؤية الله مع كونه في أعلى مراتب الإيمان بالله .

(قوله بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال) . إن قامت إن إيمان الأنبياء حق يقين لاعلم يقين ولا عين يقين فكيف يطلب إبراهيم الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين مع أن مرتبته فوق ذلك . أجب بأن هذا الكلام بالنسبة للذات والصفات لوجودها بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها وأما إيجاد الله للأشياء فهو أمر اعتباري يطلع الله على ذلك من خصه برحمته فلا يشاهده إلا من رآه بعينه . وأجب أيضا بأنه من أهل حق اليقين في الجميع لأن الله يمثل لأحبابه الأمور الاعتبارية التي مستحصل فتصير كالشاهدة الحاضرة فلا فرق في حق اليقين بين شهود الذات والصفات والأفعال وإنما طاب ذلك لأجل تمام الاستدلال والاحتجاج على قومه وهذا هو الأتم (قوله بكسر الصاد وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أمألهن إليك) أي أوقطعهن فهما معنيان لصهرهن والمفسر جمع بينهما (قوله من جبال أرضك) أي من جبال حولك وكانت أربعا وقيل سبعا (قولا فأخذ طائوسا الخ) الحكمة في اختيار هذه الطيور الأربعة شبهها بالإنسان فإن في الطائوس الخيلاء والعجب وفي النسر شهوة الأكل والشرب وفي الثراب الحرص وفي الديك شهوة النكاح وذلك كله في الإنسان (قوله ثم أقبلت إلى رؤوسها) أي بدعائها ثانيا فالدعوة الأولى لالتئام أجزائها والثانية لثباتها إليه لأخذ رؤوسها وإنما لم تكن من جنس واحد ليظهر التمييز وكانت من الطيور لأن الطير صفته الطيران في العلو وهمة إبراهيم إلى جهة العلو فمعجزته مشكاة لهمة (قوله مثل ما ينفقون) مثل مبتدأ مضاف للوصول وينفقون صلته والخبر قوله كمثل حبة وقدر المفسر قوله نفقات (١١٧) ليصح التشبيه لأن ذوات المنفقين لا يصح تشبيهها بالحبة .

بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِلَىكَ) بكسر الصاد وضمها : أمألهن إليك وقطعهن واخبط لهن وريشهن (ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ) من جبال أرضك (مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ) إليك (يَا أَيُّهَا السَّيِّئَاتُ) سريعا (وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شيء (حَكِيمٌ) في صنعه ، فأخذ طائوسا ونسرا وغرابا وديكا وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن فطارت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها (مَثَلُ) صفة نفقات (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي طاعته (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ) فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعمئة ضعف (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ) أكثر من ذلك (لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) فضله (عَلِيمٌ) بمن يستحق المضاعفة (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُبْتَغِيُونَ مَا أَنتَفَعُوا مِنْهَا) على المنفق عليه بقولهم مثلا : قد أحسنت إليه وجبرت حاله (وَلَا أَدْرِي) له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ،

أي في سبع شعب والأصل والسق واحد وسنابل جمع سنبلة ويقال أيضا سبل وسبلة يرمل الأول سبل والثاني سبل وغالبا يوجد ذلك في الذرة والدخن والشعير (قوله والله ضايف أكثر من ذلك) أي على حسب الإخلاص وطيب المال ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدى فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » واعلم أن أقل المضاعفة عشر ثم سبعون ثم سبعمئة ثم إلى غير نهاية وظاهر المفسر أن وعد الله الذي لا يتخلف هو المضاعفة بالسبعمئة وأما ما زاد فيخص برحمته من يشاء ، والحق أن وعد الله الذي لا يتخلف هو المضاعفة بالعشر وما زاد فيخص به من يشاء فقوله والله يضاعف لمن يشاء صادق بما فوق العشرة (قوله والله واسع فضله) أي فلا يستغرب إعطاؤه الشيء الكثير في نظير شيء قليل لا تخفى عليه خافية وهذا كالدليل لما قبله (قوله الذين ينفقون أموالهم) نزلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما في غزوة تبوك حيث جهز عثمان ألف بعير بأحلامها وأقاربها ووضع بين يدي رسول الله ألف دينار فصار رسول الله يقابلها ويقول ماضر عثمان ما فعل بعد اليوم ، وآتى عبد الرحمن النبو عليه الصلاة والسلام بأربعة آلاف درهم وأخبره بأنه أبقى لأهله نظيرها فقال له بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت فصار بعد ذلك ماله كالتراب (قوله منا) هو تعداد النعم وآتى ثم إشارة إلى أن المنفق يقع بعد الاتفاق بهله وهو حرام محبط للعمل إلا من الوالد على ولده والشئخ على تلميذه والسيد على عبده فليس بحرام (قوله ولا أدري) من عطف العام على الخاص لأن المنفق من حملة الأذى

(قوله ونحوه) أى كان عطيه وبسبه (قوله عند ربهم) أى مذكر عنده والعندية عندية مكانة وشرف لامكان (قوله ولا خوف عليهم) أى فى الآخرة والخوف غم لما يستقبل وقوله ولا هم يحزنون أى فيها والحزن غم لما مضى فقوله فى الآخرة راجع لهما وأما فى الدنيا فلإمنا من حصول ذلك لما فى الحديث «أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فلا تأمل» (قوله قول معروف الخ) قول مبتدأ ومعروف صفة ومغفرة معطوف عليه وخبر خبره وسوغ الابتداء بالنكرة الأولى وصفها وبالثانية عطفها على ماله مسوغ (قوله كلام حسن) أى من المستول كأن يقول له الله يرزقك مثلا (قوله خير من صدقة يتبعها أذى) اعلم أن أعلى المراتب الإحسان مع الكلام الحسن ثم الكلام الحسن من غير إعطاء وأدائها لإعطاء مع الأذى. هل له فى هذه الحالة ثواب لقاء حاجة السائل ويعا. من جهة الأذى أولا ثواب ولا عقاب أو يعاقب فقط ولا ثواب لوجود لأذى ويؤيده ما يأتى فى قوله - لا تبطلوا صدقاتكم بالبن - الآية وعلى ذلك فثبت كل (١١٨) الاتيان باسم التفضيل. وأجيب بأن الخبرية بالنسبة للسائل للمستول (قوله

ونحوه) (لَمْ أُجْرُهُمْ) ثواب إيتائهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ) كلام حسن ورد على السائل جميل (وَمَغْفِرَةٌ) له فى الحاجة (خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى) بالبن وتعير له بالسؤال (وَاللَّهُ غَنِيٌّ) عن صدقة العباد (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عن المان والمؤذى (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ) أى أجورها (بِالْبَنِّ وَالْأَذَى) إبطالا (كَالَّذِي) أى كإبطال نفقة الذى (يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ) أى رانيا لهم (وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وهو المنافق (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ) حجر أملس (عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ) مطر شديد (فَتَرَكَهُ صَلْدًا) صلبا أملس لا شئ عليه (لَا يَقْدِرُونَ) استئناف لبيان مثل المنافق المنافق رثاء الناس وجمع الضمير باعتبار معنى الذى (عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا) عملوا أى لا يجدون له ثوابا فى الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شئ من التراب الذى كان عليه لإذهاب المطر له (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ومثله نفقات (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءً) طلب (مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ) أى تحقيقا للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإبتكارهم له ومن ابتدائية (كَمَثَلِ جَنَّةٍ) بستان (بِرُبُوعَةٍ) بضم الراء وفتحها: مكان مرتفع مستو (أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ) أعطت (أُكْلَهَا) بضم الكاف وسكونها: ثمرها (ضِعْفَيْنِ) مثلى ما يثمر غيرها (فَإِنْ لَّمْ يَصْبِرْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ) مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها، المعنى تثر وتزكو كثر المطر أم قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلت (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)،

والله غنى أى فلا يحوج عباده الفقراء إلى من الأغنياء وأذاهم ويرزقهم من جهة أخرى إذا استند باب يفتح الله عشرة وفى الحقيقة الصدقة تقع صرف لصاحبها إن أحسنت حسنتم لأنفسكم وأما قسمه الله للعبد فلا تخطئه بل إن لم تكن من هذا فمن غيره (قوله أى أجورها) يحتمل أن المراد مضاعفها أو ثوابها من أصله (قوله إبطالا) أشار بذلك إلى أن قوله كالأذى صفة لمصدر محذوف (قوله أى كإبطال نفقة لى) الكلام على حذف مضاف أى كإبطال أجر نفقة الذى الخ (قوله أى رانيا لهم) أشار بذلك إلى أن رثاء مصدر بمعنى

اسم الفاعس حال من فاعل ينفق والراء مفاعلة من الجانبين (قوله وهو المنافق) أى وهو قسمان: نفاق فيجازيكم عملى ونفاق دىي فالأول أن يقصد بصدقاته وصلاته وصومه غير وجه الله لكنه مسلم والثانى أن يظهر الإسلام ويخفى الكفر فعنى قوله ولا يؤمن بالله أى أصلا بأن يكون كافرا أو إيمانا كاملا بأن يكون مسلما عاصيا (قوله فمثله) أى فى النفاق (قوله حجر أملس) أى وهو كبير (قوله مطر شديد) وأوله رى ثم طس ثم طل ثم نضح ثم هطل ثم وبل (قوله وجمع الضمير باعتبار معنى الذى) أى وأفرده فيما قبله نظرا للفظه (قوله ابتغاء) مفعول لأجله (قوله أى تحقيقا للثواب) أى جازما ومصمما أن الله يشبه (قوله مكان مرتفع) أى طيب حسن شجرة نام ثمرة وقوله مستو أى لاسمهم لهدم بقله الماء عليه وقوله بضم الراء وفتحها أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لارتفاعها) أى واستوائها (قوله كثرت ثم قلت) أى حيث حسن باطنه بالاخلاص فقليل عمله ككثيره فى رضا الله عنه قال العارف:

وبعد الفنا فى الله كن كيفما تشاء فاعلمك لاجهل وفطاك لاوزر

ز قوله فيجازيكم به) في ذلك وعد للمخلصين برضا الله والفوز الأكبر ووعد للرايين بنضب الله وعدم الرضا عليهم (قوله أودعكم) شروع في ذكر منال آخر للرائي والآن والاستفهام إنكارى بمعنى النفي ومنصبه قوله فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت وقوله أوجب تفسير ليود فالوادة هي الحبة لكن مع نفي اللقاء (قوله جنه) قيل إن الراد بالجنة الأرض ذات الشجر، وقيل الشجر نفسه (قوله ن نخيل) اسم جنس جمع واحد نخلة ولا يكون إلا لشجر البالح، والأعنان جمع عنبه اسم للكرم المعروف وخصهما لعظم منفعتهما ومزيد فضاهما على سائر الأشجار وإلا فالمراد في الآية جميع الثمار بدليل باقى الآية (قوله له فيها ثمر من كل الثمرات) أشار بذلك إلى أن من كل الثمرات جار، محروور متعلق بمحذوف صفة لموصوف محذوف على حد: منا ظعن ومنا أقام أى منا فريق ظعن ومنا فريق أقام وكتوله تالى - ومنا إله مقام معلوم - أى مامننا أحد وقوله له متعلق بمحذوف خبر ثمر المقدّر وقوله فيها متعلق بمحذوف حال من خبر الخبر (قوله وأصابه الكبر) الجملة حالية وقد مقدّرة كما ذكره المفسر لأن الجملة الماضية إذا وقعت حالا فإن قد تصبحا إما لفظا أو تقديرا وقوله وله ذرية ضعفاء جملة حالية أيضا (قوله فأصابها إعصار) هذا هو مصب الاستفهام لأن هذا هو موضع الضيعة (قوله ربح شديدة) هي السماء بالزوبعة لأنها تعصر الشجر كما يعصر الإنسان الثوب وتقلعه من أصله (قوله فاحترقت) مطوف على أصابها (قوله أخرج ما كان إليها) (١١٩) حال من فاعل فقدتها أى فقدتها

هو حال كونه محتاجا إليها (قوله عجزه) جمع عاجز ككلمة وكامل (قوله وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمال) أى لأنهما خصلتان من خصال المنافقين وهو كافر بهما إن استحل ذلك (قوله والاستفهام بمعنى النفي) أى فهو إنكارى يعنى لا يجب مسلم ذلك (قوله وعن ابن عباس) أى فهو تفسير آخر لمعنى الآية (قوله ما ذكر) أى

فيجازيكم به (أودعكم) أوجب (أحدكم أن تكون له جنة) بستان (من نخيل وأعنان تجرى من تحتها الأنهار له فيها) ثمر (من كل الثمرات و) قد (أصابه الكبر) فضف من الكبر عن الكسب (وله ذرية ضعفاء) أولاد صفار لا يقدرون عليه (فأصابها إعصار) ربح شديدة (فيه نار فاحترقت) فقدتها أخرج ما كان إليها وبقي هو وأولاده عجزه متجبرين لاحيلة لهم، وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمال في ذهابها وعدم نفعها أخرج ما يكون إليها في الآخرة والاستفهام بمعنى النفي، وعن ابن عباس هو لرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرقت أعماله (كذلك) كما بين ما ذكر (يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) فتمتبرون (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) أى زكوا (من طيبات) جياذ (ما كسبتم) من المال (ومن طيبات) ما أخرجنا لكم من الأرض (من الحبوب والثمار) (ولا تيمموا) تقصدوا (الخبيث) الرديء (منه) أى من المذكور (تنفقوا) في الزكاة حال من ضمير ييمموا (ولستم بأخذيه) أى الخبيث لو أعطيتهموه في حقوقكم (إلا أن تنفقوا فيه)،

من نفقة الخاص بقوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله الآية ونفقة المرائي والمال بقوله فثله كمثل صفوان الآية (قوله يبين الله لكم الآيات) أى فلم يكلفكم إلا بعد البيان (قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) هذا نتيجة ما قبله فيبين أولا الاخلاص في الانفاق وبين هنا الاخلاص في الشيء المنفق (قوله زكوا) أى أدوا الزكاة ومقار بها (قوله من المال) أى وهو النقد والمواشي وعروض التجارة (قوله ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الأرض) ظاهر الآية أن جميع ما خرج من الأرض يجب فيه الزكاة ولكن تنصيل ذلك موكل للسنة فأوجب الشافعي الزكاة فيما كان مقتنا لا لادى حالة الاختيار إذا بلغ ذلك خمسة أوسق ففيه إن سقى بألة نصف العشر وبغيرها العشر، وأبقاها أبو حنيفة على ظاهرها فأوجب الزكاة في جميع ما يخرج من الأرض من ما كولات الآدمي كالواكه والخضراوات وأوجب في ذلك العشر قليلا أو كثيرا، وعند مالك تجب الزكاة في عشرين نوعا: القمح والشعير والسمك والدخن والذرة والأرز والعباس والتطاني السبع وهي القبول والحصى والترمس والبسلة والجلبان واللوبياء والعدس وذوات الزيوت الأربعة وهي الزيتون والقرطم وحب الفجل الأحمر والسمسم والتمر والزبيب فيخرج من ذلك نصف العشر إن سقى بألة والعشر كاملا إن سقى بغيرها إن بلغ حب ذلك أوزيت ماله زيت خمسة أوسق (قوله أى من المذكور) أى الخبيث فتوله منه تنفقون متعلق بالخبيث (قوله ولستم بأخذيه) هذا احتجاج على من أدّى الزكاة من الرديء وامتنع من إعطائها من الطيبه وقد نزلت في الأنصار، عن العراء بن عازب قال نزلت فبنا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأخذ القنوق والقنوين

فبعثه في السجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنوفضربه بعصاه فباسقط البسر أو التمر فبأكله وكان فينا من لا يرغب في الخير فيأتي بالقنوفيه الشيص والحشف والقنوقد انكسر فبعثه فأنزل الله تعالى (قوله التساهل) أشار بذلك إلى أن قوله : إلا أن تنمضوا فيه كناية عن التساهل لأن من تساهل في شيء فقد غصت بصره عنه (قوله عن نفقاتكم) أي فأمركم بها لا تتفاعكم بها لا تعجزه عن نفقة الفقراء (قوله الشيطان يعدكم) أي يخبركم بأسباب الفقر ويجعله بين أعينكم (قوله البخل) قال بعضهم : الفحشاء في القرآن جميعه معناه الزنا إلا هذه فعنها البخل ، والمعنى بنوكم ويخبركم بأمور يسبب عنها البخل فيترتب على ذلك مطاوعتكم له كما طاعة للأمر ومضى إخبار الشيطان بالفقر بعد ما مع أنه وعيد لأنه شرّ مشاكلة لقوله : والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً (قوله خذوا منه) ورد « أن الله بعث ملكين أحدهما ينادي : اللهم أعط منفقا خلفا ، والآخر ينادي : اللهم أعط مسكاً تلقا » وفي الحديث أيضا « إن الشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة به فاما لمة الشيطان فأبعاد البشر وتكذيب بالحق ، واما لمة الملك فأبعاد بالخبر وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ : الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » خرجه الترمذي (قوله بالمنفق) يقرأ بصيغة اسم الفاعل أي بنية الشخص المنفق وبصيغة اسم المفعول أي بالشئ المنفق (قوله العلم النافع الخ) هذا هو أصح الأقوال وأولاه (١٢٠) بالصواب وفي تفسيرها أقوال كثيرة قيل النبوة وقيل المعرفة بأحكام القرآن

بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن نفقاتكم (حَمِيدٌ) محمود على كل حال (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) يخوفكم به إن تصدقتم فتمسكوا (وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ) البخل ومنع الزكاة (وَاللَّهُ يَعِدُكُمُ) على الإتيان (مَغْفِرَةً مِنْهُ) لذنوبكم (وَفَضْلاً) رزقا خلفاً منه (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) فضله (عَلِيمٌ) بالمنفق (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ) العلم النافع المؤدى إلى العمل (مَنْ يَشَأْ وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) لمصيره إلى السعادة الأبدية (وَمَا يَذْكُرُ) فيه إدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ (إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ) أنفقتُمْ من زكاة أو صدقة (أَوْ أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَذْرٍ) فوفيتهم به (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) فيجازيكم عليه (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بمنع الزكاة أو النذر أو بوضع الإتيان في غير محله من معاصي الله (مِنْ أَنْصَارٍ) ما تعين لهم من عذابه (إِنْ تَبَدُّوا) نظهروا (الصدقات) أي النوافل (فَنَعِمًا حَيًّا) أي نعم ،

وقيل الفهم فيه ، وقيل الاصابة في القول والفعل وقيل الفتنة في الدين مطلقا ، وقيل خشية الله وقيل القرآن لما ورد « إذا أراد الله إزال العذاب بقوم سمع تعليم صبيانهم الحكمة رفعه عنهم » ويشهد لما قاله للمفسر حديث « لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على

شيئا

هلكته في الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس »

(قوله المؤدى إلى العمل) أي وأما شقشة اللسان التي لم توث القلب خشية فلا تسمى حكمة بل يعذب الانسان على ذلك ويبعث جاهلا ، قال الامام الشافعي :

إذا لم يزد علم الفقي قلبه هدى وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره أن الله أولاه نقمة ينكل بها من قبل من عبد الوثنا

نسأل الله السلامة (قوله فيه إدغام التاء في الأصل الخ) أي فإن أصله يتذكر قلب التاء دالاً ثم أعجمت وأدغمت في الدال (قوله أصحاب العقول) أي الكاملة السالمة من شوائب النقص (قوله فوفيتهم به) أشار بذلك إلى أن في الآية حذف العاطف والمطوف لأن المجازاة لا تترتب إلا على الوفاء بالنذر لا على نفس النذر (قوله فإن الله يعلمه) دليل الجواب وقدر المفسر الجواب بقوله فيجازيكم عليه (قوله من أنصار) من صلة والأنصار الأعوان (قوله إن تبدوا الصدقات) لما تقدم فضل الصدقة كأن قائل يقول هل هذا الفضل مخصوص بمن أسأها أو بمن أعلنها ؟ فأجاب بذلك وحذف من هنا شيئاً أثبت نظيره في الآخر تقديره إن تبدوا الصدقات وتعطوها الأغنياء فنعماهي (قوله أي النوافل) أي فالمراد بالصدقات التطوع لأنها هي التي يصح إعطاؤها للأغنياء (قوله فنعماهي) بكسر النون وفتحها قراءة سبعيتان والعين مكسورة على كل حال والقياس فتح النون لأنه على وزن علم وإنما كسرت النون في القراءة الأخرى إتباعاً لكسرة العين ونم فعل ماض وما يميز وقيل فاعل وهي هو المخصوص بالمدح .

(قوله شيئاً) تفسير لما وقوله إيدأوها بيان لكون المخصوص على حذف مضاف (قوله فالأفضل إظهارها) أى حيث كان مشهوراً بالمال ولم ينش على نفسه تسلط الظلمة على ماله (قوله وإيتأوها الفقراء متعين) التعيين بالنسبة للأغنياء وإلا فالأصناف التى يدفع لهم ثمانية مذكورة فى سورة براءة (قوله بالياء) أى مع الرفع لا غير وقوله والنون أى مع الجزم والرفع فالقراآت ثلاث فقول المفسر مجزوماً ومرفوعاً راجع لقوله والنون لا غير (قوله على محل فهو) أى مع خبره ومحلّه جزم لوقوعه جواب الشرط (قوله بعض شيئاً) أشار بذلك إلى أن من للتبعض لأن الصدقات لا تكفر جميع السبب بخلاف التوبة فتكفر جميعها (قوله لا يخفى عليه شئ منه) أى من العمل سرّاً أو جهراً فإسرار العمل لا يدل على الاخلاص وإجهاره لا يدل على الرياء (قوله ولما منع) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية (قوله من التصديق على المشركين) أى الكفار الفقراء يهوداً أو غيرهم (قوله ليسوا) أى ليضطروا فر بما يترتب على ذلك إسلامهم (قوله ليس عليك هدام) أى لم يكلفك يا محمد ربك بخاق الهدى فيهم بل كانك بتبليغ شرعه ويسمى هدى أيضاً قال تعالى - ولكل قوم هاد - بمعنى مبالغ ودالّ لهم على طريق الحق فتحصل أن الهدى يطلق بمعنى الدلالة وهو مكاف به الأنبياء والعلماء، وبمعنى إيصال الخير للقلب وهو لم يكلف به أحد قال تعالى - إنك لانهدى من أحيت ولكن الله يهدى من يشاء - ومن هنا قول العارف: من نظر للخاق بعين (١٢١) الحقيقة عذرهم ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم .

شيئاً إيدأوها (وإن تحفوها) تسروها (وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) من إيدأوها وإيتأوها الأغنياء، أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليقنّدى به ولثلاثتهم وإيتأوها الفقراء متعين (ويكفر) بالياء والنون مجزوماً بالمطف على محل فهو ، ومرفوعاً على الاستئناف (عنكم من) بعض (سببائكم والله بما تعملون خير) عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شئ منه . ولما منع صلى الله عليه وسلم من التصديق على المشركين ليسوا نزل (ليس عليك هدام) أى الناس إلى الدخول فى الإسلام إنما عليك البلاغ (ولكن الله يهدى من يشاء) هدايته إلى الدخول فيه (وما تنفقوا من خير) مال (فلأنفسكم) لأن ثوابه لها (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) أى ثوابه لا غيره من أغراض الدنيا، خبر بمعنى النهى (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) جزاؤه (وأنتم لا تعلمون) تنقصون منه شيئاً والجلتان تأكيد للأولى (للفقراء) خبر مبتدأ محذوف أى الصدقات (الذين أحصروا فى سبيل الله) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد ، نزلت فى أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين ،

ومقتهم بالنظر للتكليف الظاهرى فالعبد مجبور فى قالب مختار (قوله هدايته) قدره إشارة إلى مفعول يشاء (قوله لأن ثوابه لها) أى فلا يضيع الثواب سواء تصدق على مؤمن أو مشرك (قوله لا غيره من أغراض الدنيا) أى فلا تجعلوا نفقاتكم عليهم إلا لوجه الله لا لشيء آخر لأن من كان مقصده وجه الله فلا يوجب أبداً كانت النفقة على مسلم أو كافر بل ورد أن الله غفر لآدم بسبب سقيه كلباً يلهث عطشا (قوله خبر بمعنى النهى) راجع للجملة الثانية أى فهى خبرية لفظاً إنشائية معنى ، والمعنى لا تجعلوا إنفاقكم إلا خالصاً لوجه الله لا لفرض آخر لا دنيوى ولا آخرى وهذا هو المقام الأعلى ولا تنقصوا إلا وجه الله بمعنى ثوابه وهذا أدنى منه وارتكبه المفسرون وإن كانت الآية عتملة لهما بالنظر لأخلاق العامة ويصح فى هذه الجملة أن تكون خبرية لفظاً ومعنى وتكون قيداً فيما قبلها ، فالمعنى وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم إن قصدتم بها وجه الله (قوله من خير) أى قليلاً أو كثيراً (قوله تنقصون منه شيئاً) أى سواء كان قليلاً أو كثيراً ولو جردلة (قوله للأولى) أى وهى قوله - وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم - (قوله أى الصدقات) أى المتقدم ذكرها تصرف وتعطى للفقراء الذين أحصروا الخ (قوله فى أهل الصفة) أى وهى محل فى مؤخر للسجد النبوى والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالمراد كل من كان متصفاً بأوصافهم فالصدقات تعطى له (قوله وم أربعمائة) ورئيسهم عبد الرحمن بن صخر المسكن بأبى هريرة (قوله من المهاجرين) أى الذين هاجروا مع رسول الله من مكة وماحولها وتركوا أموالهم وديارهم ولم يكن لهم بالمدينة مساكن [١٦ - صاوى - أول]

بعين الشريعة مقتهم .
فعذرهم بالنظر لخلق الله
الضلال والهدى فى قلوبهم
فالخالق للضلال والهدى
والأفعال جميعها هو الله
وحده فمن نظر لذلك لم
يستعجب فعل أحد لأنه فعل
لله فى الحقيقة قال العارف:
إذا ماريت الله فى الكل
فاعلا
رأيت جميع الكائنات ملاحا
وان لم ترى الامظاهر صممه
حجبت فصيرت الحسان
قباحا

ولا هتائر وكانوا غير مزوجين وكانوا يستغرقون أوقاتهم في الاشتغال بالقرآن والسنة والعبادة ليلا والجهاد نهارا وكانوا يفتنون أول صفة في الصلاة والجهاد (قوله أرصدوا لتعلم القرآن) أي والصلاة خلف النبي وقيام الليل (قوله بالجهاد) أي في طاعة الله إما بالنزول أو بتعلمهم القرآن وغير ذلك من أنواع الطاعات (قوله وأثر الجهد) أي من عظيم الخدمة مع الجوع (قوله شيئا) قدره إشارة إلى مفعول يستلون وقوله فيلحفون قدره إشارة إلى أن إلحافا مفعول لحدوف (قوله أي لاسؤال لهم أصلا) أي قائلني منصب على القيد وهو إلحاف والقيد وهو أصل السؤال فلا إلحاف منقضي قطعاً لا تنفاه أصل السؤال (قوله وما تنفقوا من خير) هذه الجملة تأكيد لجملة المتقدمة (قوله الذين ينفقون أموالهم) قيل نزلت في أبي بكر حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة آلاف بالليل ومثلها بالنهار ومثلها سراً ربه علانية وقيل في علي كانت معه أربعة دراهم لم يملك غيرها فصدق ب درهم ليلا وبآخر نهارا وبآخر سراً وبآخر علانية ولكن (١٢٢) العبرة بمعوم اللفظ لا بخصوص السبب فالمراد بيان أجر المنفق على هذا لوجه

فلا خصوصية لأبي بكر بذلك ولا لعل (قوله أي يأخذونه) أشار بذلك إلى أن المراد ليس خصوص الأكل بل التناول مطلقاً (قوله في القدر) مراده به ربا الفضل أي الزيادة وهو حرام في متحد الجنس فقط وقوله وأذجل مراده به ربا النسا وهو حرام وإن تصدد الجنس . قال الأجهوري :

ربا النسا في التقصد حرم ومثله طعام وإن جنسهما قد تعددا وخص ربا فضل بنقد ومثله طعام ربا إن جنس كل توحدا

أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا (لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا) سفرا (في الأرض) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ) بحالهم (أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) أي لتعففهم عن السؤال وتركه (تَعْرِفُهُمْ) يا مخاطبا (بِسِمَائِهِمْ) علامتهم من التواضع وأثر الجهد (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ) شيئا فيلحفون (إِلْحَافًا) أي لاسؤال لهم أصلا فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فجاز عليه (الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا (أي يأخذونه وهو الزيادة في المعاملة بالنقد والمطعومات في القدر أو الأجل (لَا يَقُومُونَ) من قبورهم (إِلَّا) قياما (كَأَيُّ قَوْمٍ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ) يصصره (الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) الجنون هم متعلق بيقومون (ذَلِكَ) الذي نزل بهم (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) في الجواز ، وهذا من عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى ردا عليهم (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ) بلغه (مَوْعِظَةٌ) وعظ (مِنْ رَبِّهِ فَآتَنَّهُ) عن أكله (فَلَهُ مَا سَلَفَ) قبل النهي أي لا يسترد منه (وَأَمْرُهُ) في العفو عنه (إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ) إلى أكله مشبهاله بالبيع في الحل (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يَمْخَقُ اللَّهُ الرِّبَا) ينقصه ويذهب بركته (وَيُرِي الصَّدَقَاتِ) يزيدنها وينميها ويضاعف ثوابها (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ) بتحليل الربا (أَنَّهُمْ) فاجر بأكله ، أي يعاقبه .

(إن)

واعلم أن الربا محرم كتابا وسنة وإجماعا فمن استحلّه فقد كفر وقد ورد في ذم آكل الربا من الأحاديث ما لا يحصى . فمنها «لعن الله آكل الربا وموكله وكتابه وشاهده كلهم في العنة سواء» ومنها أنه رأى ليلة الإسراء رجلا يسبح في نهر من دم يلحم الحجارة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل آكل الربا (قوله الذي يتخبطه الشيطان) أي وهذه علامة يعرفون بها يوم القيامة (قوله بسبب أنهم قالوا الخ) أي فقد ضلوا بالربا قولاً وفعلاً واعتقاداً (قوله وهذا من عكس التشبيه) أي فقد جعلوا المشبه به فجعلوا الربا أصلا في الحل والبيع مقيسا عليه (قوله فله ما سلف) أي سبق قبل النهي عنه (قوله في العفو عنه) أي عن آكله ، والمعنى فأمره في الثواب لامتنال أمر الله موكل له يعني أن من سمع النهي من رسول الله عنه وعاب فقد فاز بما أكله قبل النهي وثوابه موكل لله فهذه الآية محمولة على الصحابة الذين سبق منهم الربا قبل تحريمه (قوله هم فيها خالدون) أي لاستحلهم ما حرم الله (قوله يَمْخَقُ اللَّهُ الربا) أي المال كله (قوله ويربي الصدقات) أي لما في الحديث «إذا تصدق المبد بصدقة فإن الله يربيهها له كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون في ميزانه كأحد» (قوله أي يعاقبه) تفسير لبدم حبة الله له

(قوله إن الدين آمنوا) أى بما أنزل الله ومن جملة ذلك تحريم الربا وقوله وعملوا الصالحات أى بتركهم الربا واتباعهم ما أحل الله . (قوله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) نص عليهما وإن كانا داخلين في قوله وعملوا الصالحات لعظم شأنهما (قوله ولا خوف عليهم) أى من مكروه يوم القيامة ولا هم يحزنون أى في يوم القيامة على ما فاتهم من الدنيا (قوله يأياها الذين آمنوا اتقوا) أى امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه (قوله رذروا) أمر من وذر يذر وأصله اودروا حذف الواو حملا على حذفها في الضارع (قوله لما طالب بعض الصحابة) قيل هو عثمان بن عفان والعباس كانا أسلماء رجلا في قدر من القمح فلما حل الأجل طالباه فقتل لهما إن أعطيتكما الحق بتمامه لم يبق شيء للعيال وإنما أعطيتكما الآن نصفه والنصف الآخر أخرا في به وأزيد كما مثله فتراضيا معه على ذلك قبل التحريم ثم حل الأجل فطالباه بذلك فنزلت الآية . إن قلت كيف يطلبانه بالربا مع علمهما بالنهاى السابق قبل التحريم . أجيب بأنهما تأولا ذلك حيث ظنانه لحرمة الإعلى من جدد عقدا بعد التحريم (قوله فأذنوا) بالقصر والمد قراءة ثان سبعتان فعلى القصر معناها أيقنوا على المد معناها أعلموا غيركم بذلك وكلام المفسر يحتملهما (قوله بحرب) أى حرب الكفار إن استحله لو البغاة إن لم يستحل (قوله لا يدى لنا) هكذا بالتثنية وكان مقضى الفصح (١٢٣) لا يدين إلا أن يقال حذف

التون تخفيفا أو يلاحظ إضافة للضمير واللام مقحمة وفي نسخة لا يد لنا بالافراد وهى ظاهرة ومعناها لاطاقة ولا قدرة لنا على محاربه وهذا كناية عن كونهم امتثلوا ما أمروا به لورود هذا الوعيد العظيم فيه ومن ذلك قول عمر وكان قد سعد للنبر : أيها الناس إن آية الربا آخر ما نزل على نبيكم ولو عاش لبين لكم وجوها كثيرة لا تعلمونها فاتقوا الربا والريبة (قوله لا تظلمون

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا) اتركوا (مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) صادقين في إيمانكم فإن من شأن المؤمنين امتثال أمر الله تعالى . نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهى بربا كان له قبل (فَإِنْ لَمْ تَقْعَلُوا) ما أمرتم به (فَأَذْنُوا) اعلوا (بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) لكم ، فيه تهديد شديد لهم . ولما نزلت قالوا لا يدى لنا بجره (وَإِنْ تَبَسُّمٌ) رجتم عنه (فَلَكُمْ رُءُوسٌ) أصول (أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ) بزيادة (وَلَا تَظْلُمُونَ) بنقص (وَإِنْ كَانَ) وقع غريم (ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ) له أى عليكم تأخير (إِلَى مَيْسَرَةٍ) بفتح السين وضما أى وقت يسر (وَأَنْ تَصَدَّقُوا) بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد وبالتخفيف على حذفها أى تصدقوا على المسر بالبراء (خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير فافعلوه ، في الحديث « من أنظر امسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » . واه مسلم (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ) بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تصيرون (فِيهِ إِلَى اللَّهِ) هو يوم القيامة (ثُمَّ تَوَفَّى) فيه (كُلُّ نَفْسٍ) ،

بزياده) ومن ذلك مهادة الدين فهو حرام وربا إن لم تكن عادته الهدية قبل شغل الدمة (قوله وقع غريم) أشار بذلك إلى أن كان تامة وذو فاعلها وهو الأقرب ويصح كونها ناقصة وذو اسمها وخبرها محذوف تقديره غريما لكم (قوله ذو عسرة) أى حيث كان ثابتا عسره بالينة أوبار صاحب الدين ، وأما من لم يكن عسره ثابتا بأن كان ظاهر الملاء فانه يحبس حتى يؤدى أو يثبت عسره أو يموت (قوله أى عليكم تأخير) أى وجوبا وأشار بذلك إلى أن نظرة مبتدأ خبره محذوف (قوله في الأصل في الصاد) أى فاصله تصدقوا قلبت التاء الثانية صاد ثم أدغمت في الصاد (قوله على حذفها) أى التاء . قال ابن مالك :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيه على تائكتين العبر (قوله بالبراء) أى وهو مندوب وهو أفضل من الواجب الذى هو الاظهار لأنه إنظار وزيادة وله نظائر نظمها المفسر بقوله : الفرض أفضل ما أتى متعبد حتى ولو قد جاء منه بأكثر إلا لتظهر قبل وقت وابتدا . بالسلام كذا إبراهيم العسر (قوله واتقوا يوما) هذه الآية آخر القرآن نزولا كما قال ابن عباس وأمر جبريل رسول الله بوضعها على رأس مائتين ومائتين آية وتقدم لنا أن البقرة مائتان وست ومائتان آية فيكون الباقي بعد خمس آيات . أولها آية الدين . وثانيها وإن كنتم على سفر إلى قوله عليم . ثالثها ما في السموات وما في الأرض إلى قدر . رابعها آمن الرسول إلى الصبر . خامسها لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلى آخرها ، ونزلت قبل وفاة رسول الله بثلاث ساعات

وقيل بسبعة أيام وقيل بأحد وعشرين وقيل بأحد وثمانين (قوله جزاء ما كسبت) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يأياها الذين آمنوا إذا تدابرتهم) هذه الآية من هنا إلى عليم أطول آي القرآن وقد اشتملت على بيان إرشاد العباد لمصالح دينهم وذلك لأن الدنيا مزرعة الآخرة والدين المعاملة فينشد لا يتم إصلاح الآخرة إلا بإصلاح الدنيا فيبين هنا ما به إصلاح الدنيا (قوله تعاملتم) فسر اللدانية بالمعاملة التي هي مفاعلة من الجانبين أي سواء كنت آخذاً أو مأخوذاً منك (قوله بدين) حكمة التصريح به وإن علم من تدابرتهم ليعود الضمير في قوله فاكسبوه عليه صراحة وأيضاً لدفع توهم أن الراد بالمداينة المجازاة كقوله كما يدين الفقي يدان أي كما يجازى يجازى وأيضاً صرح به إشارة إلى عموم الدين قليلاً أو كثيراً جليلاً أو حقيراً فالمنع لا يستخفوا به (قوله كسمل) أي مسلم فيه كما إذا دفع عشرة دراهم مثلاً لياثي له بقنطار من ممن عند أجل معلوم بينهما وقوله وقرض المراد به السلف (قوله إلى أجل مسمى) أي وأما الحال فلا يحتاج لكتابة لأنه ليس من المهمات ولما زيد المشقة (قوله معلوم) أي فالجهل فيه مفسد للعقد إن كان مساماً وأما السلف فيجوز فيه التأجيل والحلول فأن وقع على الحلول فلا بد عند مالك من مضي زمن يمكن اتفاعة به عادة وإن وقع على التأجيل فيأزم القرض الصبر إلى الأجل عند مالك وعند الشافعي لا يزمه الصبر إليه بل له أن يطلبه قبله (قوله استيثاقاً) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية الإرشاد (١٢٤) لا للوجوب كالأمر بالصلاة والصوم بحيث يعاقب على تركه (قوله كتاب

الدين) أشار بذلك إلى أن مفعول يكتب محذوف (قوله بالعدل) أي ولا يكون إلا فقيهاً عدلاً ويشترط أن يكتب كلاماً معروفاً لا موهوماً (قوله ولا ياب) لانهية والفعل مجزوم بحذف الألف والفتحة دليل عليها وكتاب فاعل ياب وقوله من أن يكتب قدر من إشارة إلى أن الجار محذوف وهو مطرد مع أن وأن عند أمن اللبس فهو في محل نصب مفعول لياثي (قوله والكاف متعلقة

جزاء (مَا كَسَبَتْ) علمت من خير وشر (وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ) بنقص حسنة أو زيادة سيئة (يَأْيَاهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَرْتُمْ) تعاملتم (بَدِينٍ) كسمل وقرض (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) معلوم (فَاكْتُبُوهُ) استيثاقاً ودفعاً للنزاع (وَلْيَكْتُبْ) كتاب الدين (بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص (وَلَا يَأْبَ) يمتنع (كَاتِبٌ) من (أَنْ يَكْتُبَ) إذا دعى إليها (كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ) أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بياثي (فَلْيَكْتُبْ) تأكيد (وَلْيُمْلِلِ) يمل الكاتب (الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) الدين لأنه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) في إملائه (وَلَا يَبْخَسْ) ينقص (مِنْهُ) أي الحق (شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا) مبذراً (أَوْ ضَعِيفًا) عن الإملاء لصغر أو كبر (أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ هُوَ) لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فَلْيُمْلِلِ وَلِيُّهُ) متولى أمره من والد أو وصي أو قيم ومترجم (بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا) أشهدوا على الدين (شَهِيدَيْنِ) شاهدين (مِنْ رِّجَالِكُمْ) أي بالنسبة للمسلمين الأحرار (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا) أي الشهيدان (رَجُلَيْنِ

فرجل

بياثي) أي تحليلية ومصدرية وعبرة غيره والكاف متعلقة بياثي وهي الأوضح لأن من لم يعرف الوضع ولا الأحكام لا يتعلق به النهي والمعنى لا يمنع كاتب من الكتابة من أجل تعليم الله له تلك الكتابة (قوله تأكيد) أي زيادة في الإيضاح (قوله الكاتب) مفعول أول ليجمل ومفعوله الثاني قوله الدين وقوله يمل أشار بذلك إلى أن الإملاء والاملاء لثتان يقال أمليته وأملته بمعنى ألقيت عليه ذلك شيئاً شيئاً ومن ذلك سميت الملة لاملأها وإلقائها على رسول الله شيئاً شيئاً والقراءة بالفك هنا ويصح في غير القرآن إلا إذا غام لقول ابن مالك : وفي * جزم وشبه الجزم تخيير قفي * (قوله لأنه المشهود عليه) أي فلا يكتب الكاتب إلا بحضورهما لقطع النزاع بينهما (قوله وليتق الله به) أي فلا يكتب كلاماً موهوماً للزيادة والنقص فقوله ولا يبغس منه شيئاً تفسير للتعوي وذلك كأن يكتب ألفاً ولم يبين كونه فضاء أو محبواً أو رايلاً أو غير ذلك أو عشرين محبواً مثلاً ولم يبين كونها معاملة أو ذهباً أو غير ذلك (قوله فإن كان الذي عليه الحق) أي أو الذي له الحق (قوله مبذراً) أي في أمور دينه عند مالك أو في أمور دنياه ودينه عند الشافعي (قوله أو كبر) أي مفرط بحيث لا يدرى شيئاً أو كان من عليه الحق أن يخشى منها الفتنة فتوكل محرماً (قوله ومترجم) أي إن كان لا يعرف اللغة العربية مثلاً (قوله بالعدل) متعاق بهوله فليحمل (قوله أشهدوا على الدين) أشار بذلك إلى أن السنين والتاء لتأكيد الطلب (قوله من رجالكم) متعلق بمحذوف صفة لشهيدين (قوله أي بالنسبة للمسلمين الأحرار) أي العقلاء العدول فشهادة للصبيان لا تقبل في الأموال ولا فيما آل إليها

وعند مالك تجوز شهادة الصبيان على بعضهم في الجراح وكذا لا تقبل شهادة العبيد ولا الكفار ولا المجانين ولا غير العدول ولكن إذا لم يوجد العدول فليستكثر من الشهود (قوله فرجل وامرأتان) أى فى الأموال وما آلى إليها فإذا لم يوجد الرجل كفى اليمين معهما كما يكتفى اليمين معه وحده وهذا مذهب مالك والشافعى وأما أبو حنيفة فلا يكتفى باليمين مع الشاهد (قوله بمن ترضون) متعلق باستشهدوا فيؤخذ منه شرط العدالة فى الجميع وقد صرح بالعدالة فى مواضع آخر (قوله وعدالته) العدل هو من لم يفعل كبيرة ولا صغيرة خسة كتطيف حبة ولا ما يخل بالمرءة كالأكل فى الأسواق (قوله وتعدد النساء الخ) أشار بذلك إلى أن قوله أن تضل متعلق بمحذوف جواب عن سؤال مقدر تقديره لم أشرط تعدد النساء مع أنهن شقة ثقى الرجال . أجبب بأنه لتذكر إحداها الأخرى وإنما احتيج للتذكر لأن شأنهن النسيان لنقص عقلمن وعدم ضبطهن (قوله فتذكر) معطوف على تضل عطف منسب على سبب أو معول على علة لأن التذكر علة للتعداد والاضلال علة للتذكر فهو علة للعة (قوله ورفع تذكر) أى بالتشديد لا غير فالقراآت ثلاث وكلها سبعة فعلى هذه القراءة تضل فعل الشرط وهو مجزوم بكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام (قوله استئناف) أى خبر لمبتدأ محذوف والجملة فى محل جزم جواب الشرط : أى فهمي تذكر (قوله ولا ياب الشهداء) أى لا يجوز للشهود الامتناع من أداء الشهادة أو تحملها لأنه فرض كفاية إن وجد من يثبت به الحق غيرهم وإن لم يوجد غيرهم كان التحمل أو الأداء فرض عين ومن تأخر (١٢٥) عن ذلك كان عاصيا (قوله

من أن تكتبوه) أشار بذلك إلى أن قوله أن تكتبوه فى تأويل مصدر مجرور بمن مقدرة معول لتساموا والمعنى لا تساموا من كتابته وظاهر لزوم تقدير من وليس كذلك لأن سأم يتعدى بنفسه وبحرف الجر فعلى عدم التقدير أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لتساموا (قوله لكثرة وقوع ذلك) علة

فَرَجُلٍ وَامْرَأَتَانِ) يشهدون (مِنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ) لدينه وعدالته ، وتعدد النساء لأجل (أَنْ تَضِلَّ) تنسى (إِحْدَاهُمَا) الشهادة لنقص عقلمن وضبطهن (فَتَذْكُرَ) بالتخفيف والتشديد (إِحْدَاهُمَا) الذاكرة (الْأُخْرَى) الناسية وجملة الإذكار محل العلة أى لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه . وفى قراءة بكسر إن شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه (وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا زَانِدًا دُعُوا) إلى تحمل الشهادة وأدائها (وَلَا تَسْتَمُوا) تملأوا من (أَنْ تَكْتُبُوهُ) أى ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك (صَغِيرًا) كان (أَوْ كَبِيرًا) قليلا أو كثيرا (إِلَى أَجَلِهِ) وقت حلوله حال من الهاء فى تكتبوه (ذَلِكَكُمْ) أى الكتب (أَقْسَطُ) أعدل (عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) أى أعون على إقامتها لأنه يذكرها (وَأَذْنَى) أقرب إلى (أَنْ) ن (لَا تَرْتَابُوا) تشكوا فى قدر الحق والأجل (إِلَّا أَنْ تَكُونُوا) تقع (تِجَارَةً حَاضِرَةً) وفى قراءة بالنصب فتكون ناقصة واسمها ضمير التجارة (تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ) أى تقبضونها ،

لأنه : أى لا سأم من الكتابة من تكثر منه الحقوق فبالأولى من لم تكثر منه وظاهر قوله : أى ما شهدتم عليه أن الضمير فى تكتبوه عائد على الشهود وهو معنى صحيح فبين أولا كتابة للتدائنين وثانيا كتابة الشاهدين اشهادهما لتكون تلك الكتابة مذكرة لهما ويصح أن يكون خطابا للتدائنين ويؤول قول المفسر ما شهدتم بأشهدتم (قوله صغيرا كان) قدر كان إشارة إلى أن صغيرا أو كبيرا خبران لكان المحذوفة . قال ابن مالك :

ويحذفونها ويبقون الخبر وبعد إن ولو كثيرا إذا اشتر

وليس بمتعين بل يصح جعلهما حالين من الهاء فى تكتبوه (أقوله أى الكتب) أى المفهوم من أن تكتبوه على حد عدلوا هو هو أقرب لتقوى (قوله وأقوم للشهادة) هذا يؤيد ما ذكره المفسر أولا من أن الضمير فى تكتبوه عائد على الشهود (قوله تشكوا فى قدر الحق والأجل) أى فيلزم على ذلك إما ضرر الدين أو من له الدين (قوله إلا أن تكون تجارة) إما بالرفع على أن تكون تامة أو بالنصب على أنها ناقصة واسمها ضمير تكون قراءتان سبعيتان وحاضرة وتديرونها صفتان لتجارة وهو وصف بالجملة بعد الوصف بالمفرد عكس قوله تعالى - وهذا كتاب أنزلناه مبارك - والاستثناء يحتمل أن يكون متصلا من عموم الأحوال ويحتمل أن يكون منقطعا وهو الأقرب لأن ما يبيع مناجزة ليس داخلا تحت قوله - إلى أجل مسمى - الآية (قوله أى تقبضونها) راجع لقوله - تديرونها - وقوله ولا أجل فيها راجع لقوله - حاضرة - فهو لف ونشر مشوش .

(قوله أمر ندب) أى إرشاد لمصالح الدنيا لقطع النزاع وهذا تقييد للاستثناء : أى إن الأشهاد للذكور يكون فى العقارات والأموال التى تبقى ، وأما الاستثناء فمحلل الأمور التى لا تبقى (قوله صاحب الحق) قدره إشارة إلى أن يضارَ . بنى للفاعل وكاتب فاعل وأصله يضارر فلا نهاية ويضار مجزوم يسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام (قوله بتحريف) أى فى الكتابة بأن يزيد أو ينقص فيضرب البائع أو المشتري ، وقوله أو امتناع من الشهادة : أى يتركها حتى يأخذ عليها جعلا مثلا وذلك إضرار من الكاتب والشهيد لصاحب الحق (قوله أولا يضرها صاحب الحق) أى فيضار مبنى للفعول وكاتب وشهيد نائب الفاعل فأصله يضارر (قوله ما لا يليق فى الكتابة) أى بأن يأمره بكتابة ما لم يطلع عليه أو يمنع من إعطاء أجرته له ، وقوله والشهادة : أى بأن يستشهد على ما لم يره أو يأخذه على مسافة القصر قهرا من غير دفع شئ له يجوز به (قوله ما نهيتهم عنه) أى من مضاررة الكاتب والشاهد (قوله فإنه فسوق) أى يترتب عليه الفسوق آخره لأن من لم يدبر العواقب فليس له فى الدنيا صاحب (قوله لاحق بكم) قدره إشارة إلى أن بكم متعلق بمحذوف (قوله أو مستأنفة) الأولى الاقتصار عليه لأن جعله حالا خلاف القاعدة النحوية فإن القاعدة أن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالا فإن الضمير يلزمها وتخلو من الواو ولا يحسب أيضا عطفها على جملة (١٣٦) واتقوا الله لأنه يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء وفيه خلاف ، وقوله ويعلمكم

ولا أجل فيها (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فى (أ) ن (لَا تَكْتُبُوهَا) والمراد بها المتجر فيه (وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) عليه فإنه أذعن للاختلاف ، وهذا وما قبله أمر ندب (وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة أو لا يضرها صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق فى الكتابة والشهادة (وَأِنْ تَقَعُوا) ما نهيتهم عنه (فَإِنَّهُ فَسُوقٌ) خروج عن الطاعة لاحق (بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى أمره ونهيه (وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ) مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنفة (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وإن كنتم على سفر (أى مسافرين وتدابرتهم) وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ (وفى قراءة فهران جمع رهن مقبوضة) تستوثقون بها ، وبينت السنة جواز الرهن فى الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد ، وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض فى الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله .

الله : أى العلم النافع لأن العلم نور لا يهدى لغير الحق قال الامام الشافعى : شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي وأعلمني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لمعاصي . وقال الامام مالك : من عمل بمعامل ورثة الله علم ما لم يكن يعلم ، فالتقوى سبب لإعطاء العلم النافع (قوله والله بكل شئ عليم) أى فبجائزى . كلا من

الفاسق والتقى على ما صدر منه (قوله وإن كنتم على سفر) فيه استعارة تبعية (فان) حيث شبه الظرفية المطلقة بالاستعلاء المطلق فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت على الموضوع الاستعلاء الخاص لمعنى فى الموضوع للظرفية الخاصة عكس : ولأصلينكم فى جذوع النخل ، والجمع بينهما التمكن فى كل فكلما أن المسافر متمكن من السفر كذلك الراكب متمكن من الركوب ومستهل على الركوب ، وقد أشار للاستعارة المفسر بقوله : أى مسافرين (قوله ولم تجدوا كاتباً) يصح عطفه على فعل الشرط فهو فى محل جزم أو على خبر كان فهو فى محل نصب أو حالا فهو فى محل نصب أيضا ولم يقل ولا شهودا لأن الشأن وجودهم إذ ذاك بخلاف الكاتب (قوله فهران) مبتدأ وقوله مقبوضة صفته وخبره محذوف قدره المفسر بقوله تستوثقون بها والجملة جواب الشرط فى محل جزم (قوله جمع رهن) أى كل من رهن ورهان جمع رهن (قوله وبينت السنة الخ) جواب عن سؤال مقدر وهو أن مفهوم الآية أن الرهن فى الحضر لا يسوغ أخذه . أجاب بأن السنة بينت لحواز فى الحضر (قوله لأن التوثيق فيه أشد) أى لأن الغالب فى السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والتعرض للولت (قوله اشتراط القبض فى الرهن) أى وهل يشترط من الراهن الإقباض بأن يسلمه الرهن بيده خلاف عند مالك والشافعى والمعتمد عدم اشتراطه ولا بد أن يكون القبض بعلم الراهن أو وكيله ورضا فلو سرقه المرتهن مثلا ومات الراهن أو أفلس فلا يختص المرتهن به فهو أسوة الغرماء .

(قوله فان آمن بضعكم بضا) أى رضى بضعكم وهو صاحب الدين بأمانته بفض وهو المدين (قوله فلم يرتنه) (قوله فم يرتنه) نفعه على قوله فان آمن الخ (قوله فليؤد الخ) جواب الشرط وقرن بالفاء لأن الجملة طلبية وقد أكد ذلك بأمر منها لأمر ومنها تسميته أمانة ومنها الأجر بتقوى الله فى الأداء ومنها التصريح بقوله الله ربه (قوله دينه) إيمانه أمانة لأنه صار لا يعلم إلا منه (قوله وليتق الله ربه) أى ليخش عقاب ربه فى الأداء ولا يماطله به (قوله ولا تكتموا الشهادة) أى الإقرار بالدين وسمى شهادة لأنه لا يعلم إلا من الدين فكانه شاهد بالدين فثبت كتمه فقد كتم الشهادة بالدين (قوله فانه آثم) جواب الشرط وقلبه فاعل بآثم (قوله ولأنه إذا آثم تبعه غيره) أى فى الآثم لأنه سلطان الأعضاء إذا صاح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله (قوله والله بما تعملون عليم) أى فيجازى الخلق على أعمالهم خيرا أو شرا (قوله لله ما فى السموات وما فى الأرض) أى ملكا وخالقا وعبيدا وهذا كالدليل لما قبله رعب بما تغلبوا لغيره لقل لكثرت (قوله تظهروا ما فى أنفسكم) أى فتفعلوا بمقتضاه (قوله والعزم عليه) عطف تفسير وهذا هو محل التواخذة وهو إشارة لجواب عن الآية حيث هم فى التواخذة مع أنه لا يؤخذ إلا بالفعل أو العزم عليه ولكن ينافيه ما يأتى من أن عموم الآية منسوخ بآية لا يكاف الله نفسا إلا وسعها - إلا أن يقال إنه إشارة لجواب آخر فما يأتى على هذا بيان للراد هنا. والحاصل أنه إن أقيمت الآية على عمومها كانت منسوخة بما بعدها وإن حملت على العزم فلا نسخ وما يأتى توضيح لما أجمل هنا وقد تقدمت مراتب القصد نظاما وشرا (قوله يخبركم) أى يعلمكم (١٢٧) به (قوله والفعلان بالجزم عطفا على جواب الشرط) أى

(فَإِنْ أَمِنَ بَضعُكُمْ بَعضاً) أى المؤمن المدين على حقه فلم يرتنه (فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ) أى المدين (أَمَانَتَهُ) دينه (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) فى أدائه (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ) إذا دعيت لإقامتها (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) خص بالذكر لأنه محل الشهادة ولأنه إذا آثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شئ منه (لِلَّهِ مَا فى السَّمَوَاتِ وَمَا فى الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا) تظهروا (مَا فى أَنْفُسِكُمْ) من سوء والعزم عليه (أَوْ تُخْفَوْا) تسروه (بِمَا سَبَّحْتُمْ) يخبركم (بِهِ اللَّهُ) يوم القيامة (فَيَخْفَرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المنفرة له (وَيَسْذِبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه والفعلان بالجزم عطفا على جواب الشرط والرفع أى فهو (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه محاسبكم وجزاؤكم (آمَنَ) صدق (الرَّسُولُ) محمد (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) من القرآن (وَالْمُؤْمِنُونَ) عطف عليه (كُلٌّ) تنوينه عوض عن المضاف إليه (آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ) بالجمع والإفراد ،

على جواب الشرط) أى
لدى هو يحاسب وقوله
والرفع أى على الاستئناف
خبر المحذوف قراءتان
سبعيتان ويصح فى غير
القرآن النصب على إضمار
أن قال ابن مالك :
والنزل من بعد الجزأ إن
يقترن
بالفا أو الواو بتثنية فن
وهذه الآية محمولة على
من مات مسلما عاصيا

لا من مات كافرا (قوله ومنه محاسبكم) ورد أنه يحاسب الخلق فى نصف يوم من أيام الدنيا (قوله آمن الرسول) روى مسلم عن أبى مسعود الأنصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ هاتين الآيتين آخر سورة البقرة كفتهاه » قيل عن قيام الليل كروى عن ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « أنزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة من قرأها بعد العشاء مرتين أجزأناه عن قيام الليل آمن الرسول إلى آخر السورة » وقيل كفتهاه من شر الشيطان فلا يكون له عليه سلطان ، وإنما ختم السورة بهاتين الآيتين لأنها ينت فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإبلاء والحيض والجهاد وهذه الأنبياء فناسب أن يذكر تصديق النبي والمؤمنين بجميع ذلك (قوله والمؤمنون) أى فاشترك الرسول والمؤمنون فى أصل الإيمان لكن اختلفا من جهة أخرى وهو أن إيمان الرسول من قبيل حق اليقين وإيمان المؤمنين من قبيل علم اليقين أو عين اليقين فالافتراق من حيث المراتب لا من حيث أصله (قوله عطف عليه) أى فهو مرفوع بالفاعلية والوقف عليه وبدل على صحة هذا قراءة على بن أبى طالب وآمن المؤمنون فأظهر الفعل ويكون قوله كل آمن جملة من مبتدأ وخبر تدل على أن جميع من تقدم ذكره آمن بما ذكر (قوله عوض عن المضاف إليه) أى فيكون الضمير الذى ناب عنه التنوين فى كل راجعا إلى الرسول والمؤمنين : أى كلهم وتوحيد الضمير فى آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين لكون المراد بيان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع (قوله كل آمن بالله) كل مبتدأ أخبر عنه بخبرين راعى فى أولهما لفظ كل فأفرد وفى ثانيهما معناه فجمع حيث قال وقالوا سمعنا الخ (قوله بالجمع والأفراد) أى فى الكتب قراءتان سبعيتان .

(قوله يقولون الخ) قدر الفعل ليفيد أن هذه الجملة منصوبة بغير محذوف وهذا القول المضمرة في محل نصب على الحال أي قائلين (قوله بين أحد من رسله) أي في الإيمان به وأضيف بين إلى أحد وهو مفرد وإن كانت قاعدتهم أنه إنما يضاف إلى متعدد نحو بين زيد وعمرو لأن أحدا يستوى فيه الواحد والمتعدد (قوله فتؤمن ببعض الخ) بالنصب في خبر الذي فالذي مساط عليه وسيأتي وصفهم في قوله تعالى - إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله - الآية (قوله سماع قبول) فيه تعريض بالرد على من قال سمعنا وعصينا (قوله وأطعنا) أي اتقنا للطاعة ولو بالعزم عليها (قوله غفرانك) مفعول محذوف قدره المفسر بقوله نسألك، ومعنى الغفران ستر الذنوب كبيرها وصغيرها جليها وخفيها فالإنسان يطلب المغفرة ولو في حالة الطاعة بسبب ما يطرأ عليها من العجب وحب الحمدة وغير ذلك من الآفات التي تذهبها فالعارف لا يعتمد على أعماله أبداً وعلامة ذلك كونه يحدد التوبة والاستغفار ولو كان متلبساً بكبر الطاعات (قوله ربنا) منادى وحرف النداء محذوف أي ياربنا (قوله وإليك المصير) قيل معطوف على محذوف تقديره لك اللبأ وإليك المصير (قوله ولما نزلت الآية قبلها) أي قوله - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله (قوله من الوسوسة) أي التي تطرأ على القلب كالهاجس وهو ملاح وذهب بسرعة، والحاضر وهو ملاح ومكث برهة من الزمن، وحديث النفس وهو تزيينها الأمور وتحسينها وهذه لا تكتب خيراً كانت أو شراً، والمهم وهو ترجيح الفعل وهو يكتب إن كان خيراً لا شراً، وأما (١٢٨) العزم فيكتب خيره وشره (قوله فنزلت لا يكلف الله) أي فهذه الآية إما

ناسخة للأولى أو مينة لها وتقدمت الإشارة لذلك قوله لها ما كسبت عبر في جانب الخير باللام وفي جانب الشر بعل لأن اللام للسرة وعلى للضرورة وعبر في جانب الطاعة بكسبت وفي جانب المعصية باكتسبت لأن شأن المعصية التعانق والشهوة بخلاف الطاعة فشأنها عدم الشهوة لما في الحديث وحفت الجنة بالمكاره

(وَرُسُلِهِ) يَقُولُونَ (لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) فَتُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتُسَكِّرُ بِبَعْضٍ كَمَا فَعَلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى (وَقَالُوا سَمِعْنَا) أَيْ مَا أَمَرْنَا بِهِ سَمَاعٌ قَبُولُ (وَأَطَعْنَا) نَسْأَلُكَ (غُفْرَانُكَ) رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ الْمَرْجِعُ بِالْبَعْثِ . وَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ قَبْلَهَا شَكَاهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْوَسْوَسَةِ وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْحَاسِبَةُ بِهَا فَتَزَلُ (لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَبُيْهَاتٍ) أَيْ مَا تَسْمَعُهُ قُدْرَتُهَا (لَهَا مَا كَسَبَتْ) مِنْ الْخَيْرِ أَيْ ثَوَابِهِ (وَعَلِمَتْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ) مِنَ الشَّرِّ أَيْ وَزَرِهِ وَلَا يُوَاخِذُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ أَحَدٌ وَلَا بِمَا لَمْ يَكْسِبْهُ مِمَّا وَسَّوَسَتْ بِهِ نَفْسَهُ ، وَقُولُوا (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا) بِالْعَقَابِ (إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) تَرَكْنَا الصَّوَابَ لَا عَنْ عَمْدٍ كَمَا أَخَذْتَ بِهِ مِنْ قَبْلُنَا وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ فَسْؤَالُهُ اعْتِرَافٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرَارًا) أَمْرًا يَثْقُلُ عَلَيْنَا حَمْلَهُ (كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) أَيْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ فِي التَّوْبَةِ وَإِخْرَاجِ رِبْعِ الْمَالِ فِي الزَّكَاةِ وَقَرْضِ مَوْضِعِ النِّجَاسَةِ (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَلَأًا طَاقَةً) قُوَّةً (لَنَا بِ) مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْبَلَاءِ (وَأَعْفُ عَنَّا) امْحُ ذُنُوبَنَا (وَاغْفِرْ لَنَا ،

وحفت النار بالشهوات» وأيضاً لا يؤاخذ في المعصية بالمهم بل بالعزم أو الدهل بخلاف الطاعة فيكتب وأرحمنا

له ثواب المهم عليها ، وأيضاً يؤجر للورع عما عن أنفه بخلاف المعصية، وأيضاً الطاعة تعدى لغير فاعلها بخلاف المعصية (قوله ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد) هذا في جانب المعصية وأما في جانب الطاعة فقد تنفع غير فاعلها (قوله ولا بما لم يكسبه) المناسب يكسبه (قوله بما وسوست به نفسه) أي من هاجس وخطر وحديث نفس وهم (قوله إن نسينا أو أخطأنا) أي أو استكرهنا عليه وقد علم ذلك من قوله - لا يكلف الله نفساً إلا وسعها - ومن هنا إلى آخر السورة سبع دعوات مستجابة (قوله تركنا الصواب لا عن عمد) تفسير لكل من الخطأ والنسيان (قوله كما ورد في الحديث) أي «رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (قوله فسؤاله اعتراف بنعمة الله) جواب عما يقال حيث رفعه الله فمواجه سؤالنا لرفعه فأجاب بما ذكر (قوله من قتل النفس في التوبة) أي حين عبدوا العجل فتوهم قتل طائعتهم العاصي منهم، وأما يؤاخذنا فالتدبير (قوله وإخراج ربع المال في الزكاة) أي وأما نحن فربيع الشر في التقدين والشر أو نصه في الجبوب (قوله وقرض موضع النجاسة) أي من الثوب أو البدن (قوله من التكليف) أي فلم يكلفنا بالحج من غير استطاعة مثلاً ولا بالصلاة من قيام مع كونه مريضاً لا يقدر عليه ولا باستعمال الماء مع عدم القدرة عليه (قوله والبلاء) أي فكان ينزل بمن قبانا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والصيحة والحسف والمسخ وغير ذلك من أنواع البلاء العامة التي لا تبقى ولا تدر (قوله امح ذنوبنا) أي من الصحف (قوله واغفر لنا) أي استرها عن أعين المخلوقات

(قوله وارحمنا) أى أنعم علينا وذلك فى حق من ثاب جزماً وأما من لم يغب ومات فأمره مفقوض لحالته (قوله سيدنا ومتولى أمورنا) هذا أحد معانى المولى ويطلق على الناصر ولا شك أن الله كذلك (قوله أن ينصر مواليه) أى عبيده فإن المولى كما يطلق على العبد يطلق على السيد (قوله عقيب) لغة رديئة فى عقب وقوله كل كلمة أى وهى سبع وكلها مستجابة وكرر لفظ ربنا بين التعاطفات زيادة فى التضرع (قوله قد فعلت) أى أجبت مطالبكم لما فى الحديث «إن الله لأفرح بتوبة عبده ممن ضلت منه وراحته فوجدها بعد طلبها» وفى رواية «لما قرأ النبي قوله غفرانك ربنا قال الله قد غفرت وفى قوله لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال لا تؤاخذكم وفى قوله ولا تحمل علينا إصرا قال لا أحمل عليكم وفى قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم وفى قوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين» والحكمة فى زيادة قوله القوم ولم يقل الكافرين أنه لا يلزم من النصرة على أفراد الكفار النصرة على الهيئة المجتمعة وفى هذه الآية تعليم آداب الدعاء وفى الحديث «إذا دعوتهم فعمموا» .

[سورة آل عمران] (قوله سورة آل عمران) مبتدأ ومدنية خبره ومائتان خبر ثان وقوله مدنية أى نزلت بعد الهجرة وإن بنى أرض المدينة وتسميتها بذلك الاسم من باب تسمية الشيء باسم جزئه . واختلاف فى عمران الذى سميت به قبيل الراد به أبو موسى وهرون فآله موسى وهرون وقيل للراد به أبو مريم والراد بآله مريم وابنها عيسى ويقرب ذلك ذكر قصتها إثر ذكره ، وبين عمران أبى موسى وعمران أبى مريم (١٣٩) ألف وثمانمائة عام (قوله أو إلا

آية) أو لحكاية الخلاف وسببه الاختلاف فى عدد البسملة من السورة فمن عدّها قال مائتان ومن لم يعدّها قال إلا آية وورد فى فضل هذه السورة أنها أمان من الحيات وحسن للفقير وأنه يكتب لمن قرأ منها إن فى خلق السموات والأرض إلى آخرها آخر

وَأَرْحَمَنَا) فى الرحمة زيادة على المغفرة (أَنْتَ مَوْلَانَا) سيدنا ومتولى أمورنا (فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) بإقامة الحجّة والغلبة فى قتالهم فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء وفى الحديث لما نزلت هذه الآية قرأها صلى الله عليه وسلم قيل له عقيب كل كلمة قد فعلت .

(سورة آل عمران مدنية مائتان أو إلا آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (آلَمْ) الله أعلم بمراده بذلك (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ) القرآن ملتبساً (بِالْحَقِّ) بالصدق فى أخباره (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب ،

الدليل نواب من قام الليل كله (قوله الله أعلم بمراده بذلك) مشى فى ذلك على مذهب الساف فى التشابه وهكذا عادته فى فواتح السور وقد تقدم الكلام فى ذلك بأبسط عبارة . واعلم أنه قرئ عند إسقاط الهمزة من الله وفتح ميم الم للنقل بمد الميم ست حركات أو حركتين وعند إسكان الميم حالة الوقف وإثبات الهمزة بمد الميم ست حركات فأنقراآت ثلاثة (قوله الله لا إله إلا هو الحي القيوم) سبب نزولها قدوم وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا فيهم أربعة عشر من أئمرافهم ثلاثة منهم أكابرهم أميرهم وحبرهم وزيرهم يحاجون رسول الله فى عيسى فتارة قالوا إن عيسى ابن الله لأنه لم يكن له أب وتارة قالوا إنه الله لأنه يحيى الموتى وتارة قالوا إنه ثالث ثلاثة لأنه يقول فعلنا وخلقنا فلو كان واحداً لذكره مفرداً فشرع النبي يرد عليهم تلك الشبه فقال لهم أناسموني أن الله حي لا يموت فقالوا نعم فقال أناسموني أن عيسى يموت فقالوا نعم فقال لهم أناسموني أن الله يصور فى الأرحام كيف يشاء فقالوا نعم إلى غير ذلك فنزلت تلك السورة منها نيف وثمانون آية على طبق ماردة عليهم به (قوله الحي) أى ذو الحياة الذاتية وقوله اليوم أى القائم بأمور خلقه من غير واسطة معين (قوله ملتبساً بالحق) أشار بذلك إلى أن الباء فى الحق لللابسة فى محل نصب على الحال فيكون مصدقاً حالاً بعد حال (قوله مصدقاً) حال من الكتاب (قوله لما بين يديه) فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه بسلطان تقدمه عسكره وجاء على أثرهم يؤيدهم ويقويهم وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو قوله لما بين يديه فائباته تخمير .

(قوله وأنزل التوراة) أى على موسى وقوله والانجيل أى على عيسى . واختلف الناس فى هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف أم لا لكونهما أعجميين فذهب جماعة إلى الأول فقالوا التوراة مشتقة من قولهم ورى إذا قدح فظهر منه نار فلما كانت التوراة فيها ضياء ونور يخرج به من الضلال إلى الهدى كما يخرج بالنار من الظلام إلى النور مى هذا الكتاب بالتوراة والانجيل مشتق من النجل وهو التوسعة ومنه العين النجلاء لسمتها فسمى الانجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن فى التوراة إذ حلل فيه أشياء كانت محرمة فيها والصحيح أنهما ليسا مشتقين لأنهما عبرانيان (قوله أى قبل تنزيله) أى الكتاب الذى هو القرآن (قوله حال) أى من التوراة والانجيل (قوله ممن تبعهما) أشار بذلك إلى أن المراد بالهدى الوصول لا مجرد الدلالة (قوله وعبر فيها بأنزل الخ) جواب عن سؤال مقدر وقيل إن ذلك تفنن وقيل إن مادة نزل تفيد التكرار غالبا ومادة أنزل تفيد عدمه غالبا فلعل المفسر بنى هذا الجواب على ذلك وإلا فالهمزة والتضعيف أخوان (قوله بخلافه) أى فإنه نزل مفردا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة (قوله ليم ماعداها) أى فهو من عطف العام على الخاص فالمراد بالفرقان هنا الفارق بين الحق والباطل لا خصوص القرآن والفارقان كما يطلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب (قوله إن الذين كفروا) أى كنصارى نجران (قوله لهم عذاب شديد) أى فى الدنيا بالقتل والأسر وفى الآخرة بالنار (قوله وعده) أى بالخير وقوله ووعيده أى بالشر (قوله لا يقدر) (١٣٠) على مثلها أحد) أى لأن غاية عذاب غيره الموت وفيه راحة للعذب ولا يقدر على إعادة روحه

(وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل تنزيله (هُدًى) حال بمعنى هاديين من الضلالة (لِلنَّاسِ) ممن تبعهما وعبر فيها بأنزل وفى القرآن بنزل المقتضى للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه (وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ماعداها (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن وغيره (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ) غالب على أمره فلا يمنعه شئ من إنجاز وعده ووعيده (ذُو انتِقَامٍ) عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ) كائن (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) لعله بما يقع فى العالم من كلى وجزئى وخصهما بالذكر لأن الحسن لا يتجاوزهما (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) من ذكرورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ) واضحات الدلالة (هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) أصله المعتمد عليه فى الأحكام ،

ولا يقدر على إعادة روحه حتى تتألم ثانيا ، وأما عذاب الله فدائم لا آخر له قال تعالى - كلما فضجت جلودهم بدلتناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب - (قوله إن الله لا يخفى عليه شئ) هذاردة لقولهم إن عيسى إله لأنه يعلم الأمور فرد عليهم بأن الله هو الذى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء وليس كذلك عيسى

(قوله كائن) أشار بذلك إلى أن قوله فى الأرض ولا فى السماء متعلق بمحذوف صفة لشيء (وأخر) (قوله وخصهما بالذكر) جواب عن سؤال مقدر (قوله لا يتجاوزهما) أى لا يتعداهما (قوله هو الذى يصوركم) هذه حجة أخرى للرد على تلك الفرقة كأنه يقول لا إله إلا من يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ، وأما عيسى فإنه وإن كان يحيى الموتى فبإذن الله ولا يقدر أن يصوركم فى الأرحام كيف يشاء بل هو مصور فى الرحم فالمصور لا يصور غيره بل ولا نفسه (قوله العزيز) أى الغلب على أمره عديم المثال (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة وهى وضع الشئ فى محله (قوله هو الذى أنزل عليك الكتاب) قيل سبب نزولها أن وفد نجران قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أأنت تقول إن عيسى روح الله وكلته فقال نعم فقالوا حسبنا أى يكفينا ذلك فى كونه ابن الله فنزلت الآية والمعنى أن الله أنزل القرآن منه محكم ومنه متشابه وقوله روح الله وكلته من التشابه الذى لا يعرفون معناه ولا يفهمون تأويله بل معنى ذلك أنه روح من الله أى نوره وكلته بمعنى أنه قال له كن فكان فهو عبد من جملة العباد ميزه الله بالنبوة والرسالة (قوله أصله) إنما فسر الأم بذلك لصحة الاخبار بالمفرد عن الجمع لأن الأصل يصدق بالمتعدد . وأجيب أيضا بأنه عبر بالمفرد إشارة إلى أن المجموع بمنزلة آية واحدة على حد - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - وما سلكه المفسر أظهر (قوله المعتمد عليه فى الأحكام) أى الذى يعول عليه فى أحكام الدين والدنيا هو المحكم وأما التشابه فلم نكلف بمعرفة معناه بل نؤمن به ونفوق عليه لله .

(قوله وأخر متشابهات) إن قلت هلا نزل كله محكما لأنه نزل لارشاد العباد ومداره على المحكم لأعلى التشابه . أجيب بأنه نزل على أسلوب العرب فان أسلوبهم التعبير بالمجاز والسكناء والتلميح وغير ذلك من المستحسنات فلا نزل كله محكما لقالب العرب إن القرآن على لغتنا فهلا ذكر فيه مستحسنات لغتنا (قوله لا يفهم معانيها) أى إلا يفكر وتأمل كما هو مذهب الخالف (قوله كأوائل السور) أى بعضها وأدخلت الكاف باقى الآيات التشابه (قوله وجعله كله محكما الخ) جواب عن سؤال مقدر كأن قائله يقول هذه الآية يثبت أن القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه وآية أخرى يثبت أن كله محكم وآية أخرى أفادت أن كله متشابه فبين هذه الآيات تناف . أوجب المفسر بما ذكره (قوله بمعنى أنه ليس فيه عيب) أى لافى ألفاظه ولا فى معانيه (قوله فى الحسن والصدق) قال ابن عباس تفسير القرآن أربعة أقسام : قسم لا يسع أحدا جهله كقوله قل هو الله أحد ، وقسم يتوقف على معرفة لغات العرب كقوله : هى عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ، وقسم تعرفه العلماء الراسخون فى العلم ، وقسم لا يعلمه إلا الله ودخل تحت القسمين الأخيرين التشابه ، وحكمة الاتيان بالتشابه الزيادة فى الإعجاز عن الاتيان بمثله فان المحكم وإن فهموا معناه إلا أنهم عجزوا عن الاتيان بلفظ مثل ألفاظه والتشابه عجزوا عن (١٣١) فهم معناه كما عجزوا عن الاتيان

بمثله (قوله ميل عن الحق) أى إلى الباطل (قوله بوقوعهم فى الشبهات واللبس) أى كنعارى نجران ومن هذا حذوهم عن أخذ بظاهر القرآن فان العلماء ذكروا أن من أصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة (قوله وابتغاء تأويله) مـطوف على ابتغاء الأول والمعنى أنهم يتجربون على تفسيره بتفسير باطل لأصل له (قوله وما يعلم تأويله) أى تفسيره على الحقيقة (قوله إلا الله وحده) هذه طريقة

(وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ) لاتفهم معانيها كأوائل السور وجعله كله محكما فى قوله أحكت آياته بمعنى أنه ليس فيه عيب، ومتشابهات فى قوله كتابا متشابهات بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) ميل عن الحق (فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ) طلب (الْفِتْنَةِ) لجهالهم بوقوعهم فى الشبهات واللبس (وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) تفسيره (إِلَّا اللَّهَ) وحده (وَالرَّاسِخُونَ) الثابتون المتمكنون (فِي الْعِلْمِ) مبتدأ خبره (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) أى بالتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه (كُلُّ) من الحكم والتشابه (مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ) بادغام التاء فى الأصل فى الدال أى يتعظ (إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول ويقولون أيضا إذا رأوا من يتبعه (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذى لا يليق بنا كما أزعجت قلوب أولئك (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) أرشدتنا إليه (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (رَحْمَةً) تثبتنا (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) يا (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ) تجمعهم (لِيَوْمٍ) أى فى يوم (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ) هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ) مواعده بالبعث ، فيه التفات عن الخطاب ، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان أن مهم أمر الآخرة ولذلك سألو الثبات على الهداية لينالوا ثوابها

السلف واختارها المفسر لكونها أسلم فالوقف على قوله إلا الله . وأما طريقة الخلف فهى أحكم فالوقف على أولى الأبواب فالراسخون معطوف على لفظ الجلالة قال بعضهم ويؤيد طريقة الخلف قوله تعالى بعد ذلك : وما يذكركم إلا أولوا الأبواب (قوله والراسخون) كلام مستأنف فالواو للاستئناف والراسخون مبتدأ وفى العلم متعلق بالراسخون وخبره يقولون كما قاله المفسر ، قال مالك : الراسخ فى العلم من جمع أربع خصال : الخشية فيما بينه وبين الله ، والتواضع فيما بينه وبين الناس ، والزهد فيما بينه وبين الدنيا ، والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه (قوله من عند ربنا) أى ففهمنا المحكم وأخفى علينا التشابه (قوله فى الأصل فى الدال) أى فأصله يتذكر قلبت التاء ذال ثم أدغمت فى الدال (قوله أصحاب العقول) أى السليمة المستنيرة (قوله من يتبعه) أى يتبع الباطل (قوله بعد إذ هديتنا) أى بعد وقت هدايتك وتبيينك الحق لنا (قوله تثبتنا) فسر الرحمة هنا بذلك لأنه لمراد هنا . وأما فى غير هذا الوضع فقد تفسر بالمطر أو الغفران (قوله إنك أنت الوهاب) أى الذى تعطى النوال قبل السؤال (قوله ربنا إنك جامع الناس) منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر إشارة إلى أنه دعاء (قوله أى فى يوم) أشار بذلك إلى أن اللاحق بمعنى فى (قوله فيه التفات) أى على أنه من كلام الراسخين (قوله ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى) أى فلا التفات فيه على مذهب الجمهور ، وأما على مذهب

الكاذب، فنية التفات على كل حال لأنه أتى على خلاف السياق (قوله روى الشيخان) فصد به ذلك الاستدلال على ذم التبصير
لقنائه رمدح الراسخين (قوله فأولئك الذين سمى الله) أى بقوله فأما الذين فى قلوبهم زيغ الآية (قوله فاحذروهم) الخطاب لعائشة
وإنما ذكر وجمع تعظيها لها أو إشارة إلى عدم خصوصيتها بذلك (قوله وروى الطبراني) أى فى معجمه الكبير (قوله إلا ثلاث خلال)
هذه نسخة وفى أخرى خصال (قوله وذكر منها الخ) هذه هى الحالة الثانية وترك اثنتين، ونص الحديث «أخرج الطبراني عن
أبى مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال : أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا
فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذهم المؤمن يبتغى تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند
ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب»، وأن يزداد علمهم فيضعوه ولا يثبوا عنه» اهـ (قوله إن الذين كفروا) قيل المراد بهم جميع من
كفروا من أول الزمان إلى آخره، وقيل المراد بهم نصارى نجران وقبيل كفار مكة وطى كل فالعبارة بمجموع اللفظ لايخص السبب
(قوله أموالهم ولا أولادهم) قدم الأموال لأن الشأن أن الشخص أول ما يقتدى بالأموال ثم بالأولاد، والمعنى أن زينتهم وعزم لا يدفع
عنهم شيئا من عقاب الله أبدا (١٣٣) لا قليلا ولا كثيرا (قوله أى عذابه) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف

روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الآية: هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات إلى آخرها وقال : فإذا رأيت الذنوب يتعمون
ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» وروى الطبراني فى الكبير عن أبى موسى
الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ما أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال وذكر منها
أن يفتح لهم الكتاب فيأخذهم المؤمن يبتغى تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم
يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب» الحديث (إن الذين كفروا لن
تؤمنى) تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أى عذابه (شيئا وأولئك هم وثود
النار) بفتح الواو ما تود به، دأبهم (كذاب) كمادة (آل فرعون والذين من قبلهم) من
الأمم كعاد وثمود (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله) أهلكتهم (بذنوبهم) والجملة مفسرة
لما قبلها (والله شديد العقاب) . ونزل لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم اليهود بالإسلام
مرجه من بدر فقالوا له لا يغرنك أن قتلت قرقاً من قريش أغماراً لا يعرفون القتال (قل)
يا محمد (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) من اليهود (سَعْتَلَبُونَ) بالتاء والياء فى الدنيا بالقتل والأسر وضرب
الجزية،

مضاف (قوله وأولئك هم
وقود النار) هذه الجملة
تأكيد للجملة الأولى
(قوله بفتح الواو) أى
باتفاق السبعة وقرأ الحسن
بضم الواو مصدر بمعنى
الايقاد (قوله ما يوقد به)
أى وهو الحطب مثلاً
(قوله دأبهم كذاب)
أشار بذلك إلى أن قوله
كذاب خبر لمحدوف
قدرة بقوله دأبهم وهذا
بيان لسبب كونهم وقود
النار وفى ذلك تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم
أى فلا تحزن يا محمد فإن
ما نزل بالأمم الذين كفروا

وقد

من قبلك ينزل بمن كفر بك (قوله أعاد وثمود) بيان للامم وأدخلت الكاف باقى الأمم

الذين كفروا بأنبيائهم كقوم نوح وقوم موسى وغيرهم (قوله أهلكتهم بذنوبهم) أى اتقمت منهم دنيا وأخرى (قوله والجملة مفسرة
لما قبلها) أى جملة كذبوا وما قبلها هى قوله كذاب آل فرعون. واعلم أنه هنا قال كذبوا بآياتنا وفى آية أخرى كفروا بآيات الله
وفى آية أخرى كذبوا بآيات ربهم، وحكمة ذلك التفنن فى التعبير على عادة فصحاء العرب، والباء فى قوله بذنوبهم يحتمل أن
تكون للابسة، والمعنى أخذهم الله والحال أنهم ملتبسون بذنوبهم يعنى من غير توبة ويحتمل أن تكون للسببية، والمعنى أخذهم
الله بسبب ذنوبهم والأول أبطل لأن فيه دفع توهم أن موتهم كفارة لما وقع منهم (قوله ونزل لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم)
حاصل ذلك أنه لما رجع من غزوة بدر إلى المدينة جمع يهودها وهم قريظة وبنو النضير ودعاهم للإسلام وتوعدهم إن لم يسلموا
أو يؤدوا الجزية قاتلهم فقالوا له ما ذكره المفسر (قوله أغماراً) جمع غمر بالضم وهو الرجل الذى لا يعرف الأمور وأما بالكسر فغناه
الحقد، وبالفتح مع سكون اليم يطلق على الشدة وأما بفتحين فعناه الدسم (قوله من اليهود) أى قريظة وبنو النضير ومن هذا حذف
كأهل خيبر (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة فى الخطاب لهم والياء معناها الاخبار بأنهم سيغلبون.

(قوله وقد وقع ذلك) أى قتل من لحول فريضة ستمائة حول الخندق وكان القتال لهم على بن أبى طالب وقوله وضرب الجزية أى على أهل خير، وأما بنو النضير فأجلاهم إلى الشام (قوله بالوجهين) أى بالثاء والياء وهما سبعيتان أيضا (قوله وبس الهاد) المقصود من ذلك بيان سوء ما لهم قال تعالى - لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش - وقال تعالى - يوم ينشام العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم - (قوله هـ) هذا هو المخصوص بالتم وفاعل بس قوله الهاد (قوله قد كان لكم آية) يحتمل أن يكون ذلك من جملة مقول النبي للكفار أى قل لهم ما ذكره وقل لهم قد كان لكم آية فعلى ذلك الخطاب لليهود ويحتمل أن يكون ذلك خطابا لكفار مكة أو للمؤمنين ويكون مستأنفا (قوله للفصل) أى بالجاء والمجرور الواقع خبرا لكان على حد آتى القاضى بفت الواقف وأجيب أيضا بأن الفاعل مجازى التأنيث أو مذكر معنى لأن الآية معناها البرهان (قوله فرقتين) إنما سميت الفرقة فئة لأنه يفاء بمعنى يرجع إليها في الشدائد (قوله فئة تقاتل في سبيل الله) برفع فئة باتفاق السبعة مبتدأ خبره تقاتل الخ والمعنى فئة مؤمنة وقوله وأخرى كافرة يعنى تقاتل في سبيل الطاغوت فيه شبه احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر (١) (قوله وكانوا ثلثمائة) أى من المهاجرين سبعة وسبعون صاحب رأيهم على بن أبى طالب ومن الأنصار مائتان وستة وثلاثون صاحب رأيهم سعد بن عباد والذى مات منهم في تلك الغزوة أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار (قوله معهم فرسان) ورد أنه كان معهم سبعون بعيرا (قوله رجالة) جمع راجل بمعنى ماش (قوله يرونهم) هكذا بالياء للسبعة ماعدا نافعاً فقراً بالثاء ورأى بصرية والواو فاعل عائذ على المؤمنين والهاء مفعول عائذ على الكفار ومثليهم (١٣٣) حال والهاء إمامة عائذ على المؤمنين والمعنى يشاهد المؤمنون الكفار قدر أنفسهم مرتين أو الكفار والمعنى يرى المؤمنون الكفار قدر الكفار مرتين محنة للمؤمنين ويحتمل أن الواو عائذة على الكفار والهاء عائذة على المؤمنين والهاء في مثليهم إمامة عائذة على الكفار والمعنى يرى

وقد وقع ذلك (وَتُخْشَرُونَ) بالوجهين في الآخرة (إِلَى جَهَنَّمَ) فتدخلونها (وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش هـ (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ) عبرة وذكر الفعل للفصل (فِي فِئَتَيْنِ) فرقتين (الْفِتَاءُ) يوم بدر للقتال (فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة (وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ) أى الكفار (مِنْهُمْ) أى المسلمين أى أكثر منهم وكانوا نحو ألف (رَأَى الْعَيْنُ) أى رؤية ظاهرة معانية وقد نصرهم الله مع قتلهم (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ) يقوى (بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ) نصره (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) لدى البصائر أفلا تعجبون بذلك فتؤمنون (زَيْنَ النَّاسِ)

الكفار المؤمنين قدرهم مرتين فترتب على ذلك هزيمتهم أو عائذة على المؤمنين والمعنى يرى الكفار المؤمنين قدر المؤمنين مرتين ففي هذه القراءة احتمالات أربع قد علمتها ومثلها على قراءة التاء لأنه يحتمل أن الخطاب للمؤمنين فالواو عائذة على المؤمنين والهاء عائذة على الكفار والضمير في مثليهم إما عائذ على الكفار وهو ظاهر أو على المؤمنين ويكون فيه التفات من الخطاب للقبية وكان مقتضى الظاهر أن يقول مثليكم ويحتمل أن الخطاب للكفار فالواو عائذة على الكفار والهاء عائذة على المؤمنين والضمير في مثليهم إمامة عائذ على المؤمنين وهو ظاهر أو على الكفار وفيه التفات أيضا. بقى شيء آخر وهو أن مقتضى الآية أن المرئى كثير سواء كان الرائي الكفار أو المسلمين ومقتضى ما يأتى في سورة الأنفال أن المرئى قليل ففصل بين الآيتين تناف. وأجيب عن ذلك بحمل ما يأتى على حالة البعد وما هنا على حالة التقاء الصفين، وحكمة ذلك أنهم إذا شاهدوا القلة على بعد حملهم ذلك على الاقتحام (قوله أى الكفار) يقرأ بالرفع تفسيراً للواو وبالنصب تفسيراً للهاء (قوله وقد نصرهم الله مع قتلهم) أى مع كونهم عددا قليلا جدا ولا عدد معهم (قوله لأولى الأبصار) صفة لعبارة (قوله أفلا تعجبون) الخطاب لليهود أو لكفار مكة (قوله بذلك) أى بالنصر ورؤية الجيش مثليهم. (قوله زين للناس) هذه الآية مسوقة لبيان حقارة الدنيا وتزهد المسلمين فيها في الحديث «ظاهرها غرة وباطنها عبرة» وقال الشاعر: هي الدنيا تقول بجلء فيها حذار حذار من بطشى وفكسى فلا يفرركو منى ابتسام فتولى مضحك والفعل مبكى والفعل مبكى للفعول والمزين حقيقة هو الله ويصح أن يكون الشيطان باعتبار وسوسته ولذا نوع فيه المفسر.

(١) (قوله حذف من كل نظير الخ) عبارة الجمل حذف من الأول ما يفهم من الثانى ومن الثانى ما يفهم من الأول وبه يعلم أن ملذكر هنا تضهير للاحتباك لا تشبيه.

(قوله حب الشهوات) جمع شهوة وهي مل النفس لمحبوبها ولما كان ذلك المعنى ليس مراداً فسرناها بالذى تشبهه النفس. فنية إشارة إلى أنه أطلق الصدر وأريد اسم المفعول. إن قلت إنه يدخل في الناس الأنبياء مع أنهم معصومون من ذلك. أجب بأنه عام مخصوص بما عدا الأنبياء وأما هم فهم معصومون من ليل إلى مأسوى الله لما في الحديث «حب إلى من دنیا کم ثلاث» ولم يقل من دنيانا وفي الحديث أيضاً «لست من الدنيا ولا الدنيا مني» (قوله زينها الله) أى أوجد فيها الزينة (قوله ابتلاء) أى اختباراً قال تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً - (قوله أو الشيطان) أى بالسوسة (قوله من النساء) متعلق بمحذوف حال من الشهوات وهو تفصيل لما أجمل فيها ، وقدم النساء لأنهن أعظم زينة الدنيا فانهن حباله الشيطان ويحملن الانسان على قطع الرحم واكتساب المال من الحرام وارتكاب المحرمات ، وقال عليه الصلاة والسلام «ماركت فتنة أضرع على الرجال من النساء ، مارأيت ناقصات عقل ودين أصلب للرجل الحكيم منكن» (قوله والبنين) قدمهم على الأموال لأنهم فرغ النساء وأكبر فتنة من الأموال لأن الانسان يفدى بنبيه بالمال ولم يقل والبنات لأن الشأن أن الفخر في الذكور دون الإناث (قوله والقناطير) جمع قنطار قيل المراد به المال الكثير وقيل ألف أوقية ومائتا أوقية وقيل اثنا عشر ألف أوقية وقيل غير ذلك ودرج المفسر على الأول (قوله المقنطرة) قيل وزنها مفعلة فتكون النون أصلية وقيل وزنها مفتعلة فالنون زائدة ويترب على ذلك النون في قنطار هل هي أصلية فوزنه فلال أو زائدة فوزنه فتعال وأقل القناطير المقنطرة تسعة لأن الراد تعددت (١٣٤) جموع القناطير عنده ثلاثة ففوق (قوله والفضة) الواو بمعنى أو المانعة

حُبُّ الشَّهَوَاتِ مَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ ، زَيْنِهَا اللَّهُ ابْتِلَاءٌ أَوِ الشَّيْطَانُ (مِنْ) النَّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ (الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ) (الْمُقَنْطَرَةِ) الْجَمْعَةُ (مِنْ) الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَلِيلِ الْمُسَوَّمَةِ) الْحَسَانِ (وَالْأَنَامِ) أَيْ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ (وَالْحَرْثِ) الزَّرْعِ (ذَلِكَ) الْمَذْكُورِ (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يَتَمَتَّعُ بِهِ فِيهَا ثُمَّ يَفْنَى (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاكِ) الرَّجْعُ وَهُوَ الْجَنَّةُ فَيَنْبَغِي الرِّغْبَةُ فِيهِ دُونَ غَيْرِهِ (قُلْ) يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ (أَوْ تَنْبِئُكُمْ) أَخْبِرْكُمْ (بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُمْ) الْمَذْكُورِ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الشَّرْكَ (عِنْدَ رَبِّهِمْ) خَيْرٌ مِنْتَدْوِهِ (جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) أَيْ مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ (فِيهَا) إِذَا دَخَلُوهَا (وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) مِنَ الْخَيْضِ وَغَيْرِهِ مِمَّا يَسْتَقْدِرُ (وَرِضْوَانٌ) بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَضَمِّ لَتَانِ ،

الحال فتجوز الجمع وقدم الذهب والفضة على باعداهما لأن غرض صاحبهما أعظم (قوله والخليل المسومة) قدمها على الأنعام لأن غرضها أعظم (قوله الزرع) أى مطلقاً حنط أو غيرها (قوله ثم ينفى) أى يزول هو وصاحبه قال تعالى إنما مثل الحياة لدنيا كماء أنزلناه من

السما فاختلط به نبات الأرض الآية (قوله فينبغي الرغبة فيه) أى في ذلك المآب الحسن أى وفي الآية اكتفاء أى وعنده سوء مآب فحسن المآب لمن لم يغتر بالدنيا وجعلها مزرعة للآخرة وسوء المآب لمن اغتر بها وآثرها على الآخرة (قوله قل أو نبئكم) قرئ في السبع بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية مع زيادة مد بينهما وبدون زيادة فالقراءات أربع وليس في القرآن همزة مضمومة بعد مفتوحة إلا ما هنا وما في ص أنزل عليه الذكر وما في اقتربت الساعة ألقى الله ذكر عليه (قوله من الشهوات) أى المشتهيات (قوله استفهام تقرير) أى تهيئة (قوله للذين اتقوا الشرك) أى بالايان وإنما اقتصر عليه لأن أصل دخول الجنة إنما يتوقف عليه فقط (قوله عند ربهم) في محل نصب على الحال من جنات (قوله جنات) أى سبع : جنة المأوى وجنة الخلا وجنة النعيم وجنة عدن وجنة الفردوس ودار السلام ودار الجلال وأبوابها ثمانية عشر وأعظمها جنة الفردوس (قوله أى مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال منتظرة أى منتظرين الخلود فيها إذا دخلوها لأنه ينادى المنادى حين استقرار أهل الدارين فيهما : يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فيقع الفرع الدائم في قلوب أهل الجنة والحزن الدائم في قلوب أهل النار (قوله وأزواج مطهرة) أى من الحور وغيرهن من نساء الدنيا (قوله لتتان) أى وفري بهما في السبع في جميع لفظ رضوان الواقع في القرآن إلا الثاني في المائدة فإنه بالكسر باتفاق السبعة وهو قوله من اتبع رضوانه سبيل السلام والمكسور قياسى والمضموم سماعى ومعناها واحد ، وقول المفسر كثير أخذ الكثرة من الذين .

(قوله أي رضا كثير) أي عظيم لاسخط بعده أبدا (قوله فيجازي كلامهم بعمله) أي فيدخل التيقن الجنة والداخين النار (قوله نعت) أي للذين اتقوا (قوله على الطاعة) أي على فعلها وقوله عن المعصية: أي نهام الله عنها فأمسكوا عنها واتقوا (قوله والصادقين) إن قيل كيف دخت الواو على هذه الصفات مع أن الموصوف بها واحد. أجيب بجوابين أحدهما أن الصفات إذا تكررت جاز أن يعطف بعضها على بعض بالواو وإن كان الموصوف بها واحدا ودخول الواو في مثل هذا للتفخيم لأنه يؤذن بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف بها. ثانيهما لاسلم أن الموصوف بها واحد بل هو متعدد والصفات موزعة عليهم فبعضهم صابر وبعضهم صاق ففيه إشارة إلى أن بعضها كاف في المدح (قوله في الإيمان) أي صدقوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم (قوله المطيعين لله) أي بأي نوع من أنواع الطاعة (قوله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا) أي أو غير ذلك من أنواع الطاعات فالمراد بالمستغفرين المتعثرين للغفرة إما بسؤال الغفرة أو غيرها من الطاعات (قوله أواخر الليل) ويدخل بالنصف الأخير منه، وقيل الأسحار ما بعد الفجر إلى طلوع الشمس فينبغي اغتنام هذين الوقتين فإن لم يمكن الأول فالثاني (قوله شهد الله) سبب نزولها أن حبرين من أحبار الشام قدما على رسول الله بالمدينة فقلاله نسألك عن شيء إن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، فقال سلا فقلاله أخبرنا عن أعظم شهادة في القرآن فنزلت فآمننا به ولكونها أعظم كان وقت نزولها حول البيت ثلثمائة وستون صنما حين نزلت تساقطت تلك الأصنام، وورد في فضلها أنه يوم القيامة يجاء بمن كان يحفظها فيقول الله له إن لعبدي (١٣٥) هذا عندي عهدا فأوفيه إياه

أدخلوا عبدي الجنة فيدخلونه من غير سابقة عذاب، ومن فضلها أنها تقلع عرق الشرك من القلب وتنفع من الوسواس ولذا اختارها العارفون في ختم صلاتهم فيقرءونها عقب كل صلاة. ثم اعلم أن معنى الشهادة الاقرار باللسان والإذعان بالقلب وذلك مستحيل على الله تعالى فالمراد بين وأظهر

أي رضا كثير (مَنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ) عالم (بِالْمِيَادِ) فيجازي كلامهم بعمله (الَّذِينَ) نعت أو بدل من الذين قبله (يَقُولُونَ) يا رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا بِكَ وَبِرَسُولِكَ (فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. الصَّابِرِينَ) على الطاعة وعن المعصية نعت (وَالصَّادِقِينَ) في الإيمان (وَالْمُتَّقِينَ) المطيعين لله (وَالْمُتَّقِينَ) المتصدقين (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ) الله بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا (بِالْأَسْحَارِ) أواخر الليل خصت بالذكر لأنها وقت الغفلة ولذة النوم (شَهِدَ اللَّهُ) بين خلقه بالدلائل والآيات (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي لا معبود في الوجود بحق (إِلَّا هُوَ) شهد بذلك (الْمَلَائِكَةُ) بالاقرار (وَأُولُوا الْعِلْمِ) من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ (قَائِمًا) بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة، أي تفرد (بِالْقِسْطِ) بالعدل (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) كرره تأكيداً (الْعَزِيزُ) في ملكه،

لخلقه بالدلائل القطعية أنه الخ في الكلام استعارة تبعية حيث شبه البيان بالشهادة واستعار اسم الشبه به للشبه واشتق من الشهادة شهد بمعنى بين والجامع الوثوق بكل لأن من أقر وأذعن حصل له وثوق كما أن من بين حصل للسامع وثوق بخبره وإلى ذلك أشار المفسر بقوله بين لخلق الخ (قوله في الوجود) أي الديني والأخروي (قوله وشهد بذلك الملائكة) أشار بذلك إلى أن الملائكة معطوف على لفظ الجلالة فهو مرفوع وقدر الفعل دفعا لاسعمال اللفظ في حقيقته ومجازه وفيه خلاف ولا يخشى التنزيل عليه فان الشهادة في حق الملائكة معناها الاقرار وأما في حق الله فمعناها التبيين (قوله وأولوا العلم) لم يقدر الفعل اكتفاء بما قدره في جانب الملائكة (قوله بالاعتقاد) أي في القلب، وقوله واللفظ: أي باللسان وإنما اقتصر في جانب الملائكة على الاقرار دون أولى العلم لأن توحيد الملائكة جلي لهم مخلوقون عليه كالنفس فلا يتوهم فيهم عدم الاعتقاد بخلاف الانس فاختار لهم لوجود المناققين فيهم دون الملائكة (قوله ونصبه على الحال) أي إمامن لفظ الجلالة أو من الضمير المنفصل بعد لا والأحسن الثاني ليفيد أن الله شهد شهادتين: الأولى أنه لا إله إلا هو، والثانية أنه قائم بالقسط فمتعلق الأولى تنزيه ذاته ومتعلق الثانية تنزيه صفاته (قوله معنى الجملة) أي جملة لا إله إلا هو، وقوله: أي تفرد ببيان معنى الجملة (قوله بالقسط) بيان لكرمه تعالى، فلفظي أنه تعالى ثابت الأبرهية وأن جميع الخلق مما يكون له يتصرف فيهم كيف يشاء فلو أدخل الطامعين جميعا النار لخرج عليه غير أنه لا يفعل ذلك بل هو قائم بالقسط (قوله تأكيداً) أي وتوطئة لقوله - العزيز الحكيم - (قوله العزيز في ملكه) أي عديم المثال وأقاهر لخلقه وهو راجع لقوله - أنه له إلهو - .

(قوله الحكيم في صممه) أي يضع الشيء في محله وهو راجع لقوله قائما بالقسط والعزير الحكيم إما خبران لمبتدأ محذوف وإما بدلان من الضمير المنفصل أو فئتان له على جواز زنت ضمير التبية (قوله إن الدين عند الله الإسلام) نزلت لما أدعت اليهود أنه لادين أفضل من دين اليهودية وأدعت النصارى أنه لادين أفضل من دين النصرانية (قوله هو الإسلام) قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة معرفة الطرفين فتفيد المحصر (قوله البعوث به الرسل) أي جميعهم من آدم إلى محمد، قال تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين - فأصل الدين واحد وإنما الاختلاف في الفروع (قوله بدل اشتغال) أي فيكون من تمام آية شهد الله لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، وهذا إن أريد بالإسلام الشرع المنقول، وأما إن أريد به التوحيد كان بدل كل من كل (قوله وما اختلف الدين أو تواتر الكتاب) جواب عن سؤال نشأ من قوله - إن الدين عند الله الإسلام - كأنه قيل حيث كان الدين واحدا من آدم إلى الآن فما اختلف أهل الكتاب (قوله إلا من بعد ما جاءهم العلم) استثناء من محذوف: أي ما كان اختلافهم في حال من الأحوال إلا في حال مجيء العلم لهم فلم يبق لأعدو ولا شبهة لهم في ذلك الاختلاف لأن الله بين لهم الحق من الباطل وإنما كفرهم واختلافهم محض عناد، قال تعالى - وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا - (قوله ومن يكفر) من اسم شرط (١٣٦) جازم ويكفر فعل الشرط، وقوله - فإن الله سريع الحساب - دليل الجواب

(الحكيم) في صممه (إن الدين) الرضى (عند الله) هو (الإسلام) أي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد. وفي قراءة بفتح أن بدل من أنه الخ بدل اشتغال (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) اليهود والنصارى في الدين بأن وحد بعض وكفر بعض (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بالتوحيد (بقيا) من الكافرين (يئسهم ومن يكفر) بآيات الله فإن الله سريع الحساب (أي المجازاة له) (فإن حاجوك) خاصمك الكفار يا محمد في الدين (فقل) لهم (أسألت وجهي لله) أهدت له أنا (ومن اتبعني) وخض الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى (وقل للذين أوتوا الكتاب) اليهود والنصارى (والأمة) مشركي العرب (أسألتهم) أي أسلموا (فإن أسألو فقد أهدوا) من الضلال (وإن تولوا) عن الإسلام (فإنما عليك البلاغ) أي التبليغ للرسالة (والله بصير بالعباد) فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون) وفي قراءة يقتلون (النبيين) بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط بالعدل (من الناس)،

والجواب محذوف: أي فيعذبه وهذا أسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال له لا تحزن على كفر من كفر فإن الله معذبه (قوله فإن حاجوك) أي اليهود والنصارى حيث أنكروا عموم رسالتك أو أصلها وجملة حاجوك فصل الشرط وجوابه فقل وما عطف عليه (قوله ومن اتبعني) معطوف على ضمير أسألت المتصل وقد وجد

الفصل وهو قوله وجهي لله إذا علمت ذلك فتقدير المفسر أنا توضيح وبيان للضمير المتصل لا ليفيد الفصل ومم فإنه قد حصل بقوله وجهي لله، قال ابن مالك: وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل أو فافصل ما وماهتان قبيله ومن قول من اتبعني محذوف لدلالة ما قبله عليه: أي ومن اتبعني أسلم وجهه (قوله لشرفه) أي لوجود الخواص الخمس فيه (قوله وقل للذين أوتوا الكتاب) أي التوراة بالنسبة لليهود والإنجيل بالنسبة للنصارى وفيه وضع للوصول موضع الضمير لمقابله بالأمة (قوله مشركي العرب) أي ومن عداهم ممن لا كتب لهم (قوله أي أسلموا) أي فهو استفهام تقريبي والمقصود الأمر على حد فهل أنتم منتهون (قوله فقد أهدوا) أي اتبعوا وحصل لهم الرضا والقبول وتم لهم السعد والوصول، وبهذا اندفع ما يقال إن فعل الشرط متباعد مع جوابه كأنه قال فإن أسلموا فقد أسلموا (قوله وإن تولوا) أي داموا عليه وهو فعل الشرط وقوله - فأنا عليك البلاغ - دليل الجواب والجواب محذوف تقديره فلا تحزن عليهم وأمرهم إلى الله (قوله أي التبليغ للرسالة) أي وقد بلغت فلأناس عليهم (قوله والله بصير بالعباد) أي عليم بهم ومطلع عليهم وناظر إليهم فلا يغيب عنه شيء من أفعالهم (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي هذه الآية نزلت قبل الأمر به فإن رسول الله - أمر بالامتناع والاعراض عنهم في تخويف وسبعين آية ثم أمر بقتالهم (قوله بآيات الله) أي القرآن وغيره (قوله وفي قراءة يقتلون) صوابه تأخيرها بعد المعطوف إذ هي التي فيها القراءتان وأما هذه فيقتلون باضاف السبعة (قوله بغير حق) إن قلت إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق - أحجب بأنه في اعتقادهم أيضا فهو زائدة

إلى التنازع عليهم فاعني العجب يا محمد من بلاد هؤلاء حيث يتناون الأنبياء وهم مـ قدون أن قتلهم خلاف الحق ويقتلون من يأمرهم
(قوله وهم اليهود) أي قوم موسى وإنما خوطب من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم بذلك لرضاهم بفعلهم مع كونهم كانوا عازمين
على قتله صلى الله عليه وسلم (قوله ثلاثة وأربعين) وفي رواية أخرى سبعين (قوله من يومهم) أي قتلوا الأنبياء أول النهار والعباد
آخرون (قوله أعلمهم) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاعلام بالعذاب بالشارة واستعير اسم الشبه به
لشبهه واشتق من البشارة بشرهم بمعنى أعلمهم بالعذاب والجامع الانتقال من حال لأخرى في كل (قوله وذكر البشارة تهكم) أي
لأن البشارة هي الخبر السار والندارة الخبر الضار فكانه يقول هو لا يتخاف كما أن الوعد بالخبر لا يتخلف (قوله لشبه اسمها للوصول)
أي وهو في الأصل كان مبتدأ والمتدأ متى وقع اسم موصول ولومسوخا قرن خبره بالفاء (قوله كصدقة وصلة رحم) إن قلت إن
مثل هذا العمل لا يتوقف على الاسلام لعدم توقفه على النية فينتفع به الكافر فلا يتم قول المفسر فلا اعتداد بها لعدم شرطها فلعل
ذلك محمول على جماعة مخصوصين باسروا قتل الأنبياء وعاندوهم وإلا فصدقة (١٣٧) الكافر وصلة رحمه تنفعه في

الدنيا بتوسعتها عليه مثلا
لاغير ولا ينتفع بها في
الآخرة إجماعا لأن محل
الجزاء الجنة وهو عنها
بمعزل لأنه ليس في الآخرة
إلا النار (قوله ألم تر) الخطاب
للنبي أو لكل من يتأتى منه
النظر (قوله إلى كتاب
الله) أي التوراة (قوله
في اليهود) أي يهود خبير
(قوله زنى منهم اثنان)
أي من أشرفهم ثم سألو
أخبارهم فأخبروهم بأن
التوراة نصت على رجمهم
ولكن أخذتهم الشفقة
عليهم لكونهم من
أشرفهم فتحاكموا إلى
النبي صلى الله عليه وسلم

ولم اليهود ، روى أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلهم من يومهم
(فَبَشَّرْنَاهُمْ) أعلمهم (بِعَذَابِ أَلِيمٍ) مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ، ودخلت الفاء في خبر إن
لشبه اسمها الوصول بالشرط (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) ما عملوا من خير
كصدقة وصلة رحم (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فلا اعتداد بها لعدم شرطها (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)
مانعين من العذاب (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا) حظًا (مِّنَ الْكِتَابِ) التوراة
(يُدْعَوْنَ) حال (إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمَنْ مُّعْرِضُونَ)
عن قبول حكمه . نزل في اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم
عليهما بالرجم فأبوا فحجىء بالتوراة فوجد فيها فرجا فغضبوا (ذَلِكَ) التولى والإعراض (بِأَنَّهُمْ
قَالُوا) أي بسبب قولهم (لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) أربعين يوما مدة عبادة
آبائهم المعجل ثم نزول عنهم (وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ) متعلق بقوله (مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ) من
قولهم ذلك (فَكَيْفَ) حالهم (إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ) أي في يوم (لَّا رَيْبَ) شك (فِيهِ)
هو يوم القيامة (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ) من أهل الكتاب وغيرهم جزاء (مَا كَسَبَتْ)
عملت من خير وشر ،

له أن يوجد في دينه فرج لهم ، فقال لهم النبي حكم ديني رجمكم والذي أعلمه أن في التوراة كذلك ، فقال بعضهم جرت
عالمنا يا محمد فقال هلموا إلى أعلمكم بالتوراة فقالوا عبد الله بن سوريا وكان بفدك فأتى به فسأله النبي عن حكم الزاني والزانية
في التوراة فقال اتنوني بالتوراة فقرأ منها على النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل آية الرجم فوضع يده عليها وقرأ ما بعدها وكان
عبد الله بن سلام حاضرا إذ ذاك وكان من أخبارهم قبل الاسلام فقال يارسول الله إن الرجل أخفى آية الرجم وقرأ ما بعدها فأمره
النبي بأخذها منه فأخذها وقرأها فإذا فيها إن الحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البيئة رجما وإن كانت امرأة حبلى تربص
بها حتى تضع مافي بطنها فأمر صلى الله عليه وسلم برجمهما فغضبت اليهود لذلك (قوله فوجد فيها) أي الرجم (قوله بأنهم
قالوا) أي بسبب قولهم ذلك فهتوا على أنفسهم جميع الموبات من قتل الأنبياء وعصيانهم وغير ذلك (قوله من قولهم ذلك) أي وهو
لن تمسنا النار إلا أياما معدودات (قوله فكيف حالهم) رد لقولهم الذكور وإبطال لما غرهم باستعظام ما سيقع لهم من الأهوال
ويجوز أن يكون كيف خبرا مقدما والابتداء محذوف قدره المفسر بقوله حالهم وقوله إذا جمعناهم ظرف غير مضمن معنى الشرط
[١٨ - صاوى - أول] منصوب على الظرفية والعامل فيه متعلق الخبر (قوله لا ريب فيه) أي في مجيئه ورقوعه به

(قوله وهم) أى الناس فيه إشارة إلى أنه ذكر ضميرهم وجمعه باعتبار معنى كل نفس (قوله ونزل لما وعد الخ) وذلك أنه حين تحزبت عليه الأحزاب سنة خمس من الهجرة حتى تجمع عليه عشرة آلاف مقاتل وكانت المسلمون إذ ذاك نحو الأنبياء معه بالمدينة فأشاروا عليه بحفر الخندق فجعل على كل عشرة أربعين ذراعاً فينأهم في ذلك إذ ظهرت لهم صخرة عظيمة لاتعمل فيها للعاويل فكرب من كانت في قسمته فاستجاروا برسول الله فأخذ صلى الله عليه وسلم المول من سلمان الفارسي وضرب الصخرة أول مرة فخرج منها نور ملاماً ما بين لابق للمدينة فقال أضاء لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب والحيرة بكسر الحاء للهمجة وسكون الياء مدينة بقرب الكوفة وتمثيلة القصور بأنياب الكلاب لشيء لها في البياض وانضام بعضها لبعض مع الإشارة إلى تحجيرها ثم ضرب الثانية وقال أضاء لى منها قصور الروم ثم ضرب الثالثة وقال أضاء لى منها قصور صنعاء اليمن وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة على كاهها فأجسروا ، فقال المنافقون ألا تعجبون بمنعكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر ما ذكر وأنها ففتح لكم وأتمم إنا نحفرون الخندق من شدة الخوف ولا تستطيعون البروز فزلت الآية. وكسر الصخرة في الثلاث ضربات من عزمه وقوته البشرية وإلا لو كان معجزة لأشار لها فقط. وروى في فضل تلك الآية أحاديث لا تحصى منها ما روى «أن الله لما أمر فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم مالك الملك بالانزول إلى الأرض قالوا ياربنا لاتهبطنا دار الذنوب وإلى من يعصيك فقال تعالى وعزني وجلالي مايقروكن عبد عقب كل صلاة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه وإلا نظرت له بعيني المكنونة في اليوم والليلة سبعين مرة وإلا قضيت (١٣٨) له في اليوم والليلة سبعين حاجة أداها المغفرة وإلا أعدته من

عدوه بنصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» (قوله يا الله) أشار بذلك إلى أن الميم معقوفة عن ياء النداء فهو مبنى على الضم في محل نصب والميم عوض عن ياء النداء وذلك من جملة ما خص به لفظ الجلالة ومن جهاتها اجتماع ياء ال (قوله مالك الملك)

(وَهُمْ) أى الناس (لَا يَظْلُمُونَ) بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ونزل لما وعد صلى الله عليه وسلم أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات (قُلِ اللَّهُ (مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي (تُعْطِي (الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ) من خلقك (وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ يَمَنْ تَشَاءُ ، وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ) بآياتنا (وَتَنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ) بنزعه منه (بِيَدِكَ) بقدرتك (الْخَيْرُ) أى والشر (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ) تدخل (الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ) تدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة (وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ) كالنطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى رزقا واسعاً .

(لا يتخذ

يصح أن يكون بدلا أو عطف بيان أو نعتا لمحل اللهم أو منادى

حذفت منه ياء النداء . والملك هو من العرش للفرش . وفي بعض الكتب : أنا الله ملك للملوك وملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تستغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم (قوله تؤتي ملك من تشاء) أما صفة لمالك الملك أو استئناف بياني دليل لكونه مالك الملك وقوله من تشاء أى كحمد وأصحابه (قوله بآياتنا) أى الملك (قوله بنزعه منه) أى بنزع الملك من فارس والروم وغيرها (قوله بقدرتك) هذا تأويل الخاف وأما السلف فيؤمنون بذلك ويفوضون علم ذلك لله (قوله أى والشر) أشار بذلك إلى أن فيه اكتفاء وإنما اقتصر على الخير لأن الآية مسوقة في الخير بدليل سبب نزولها وإن كان لفظها عاما أو يقال إنما اقتصر على الخير لأنه صنعه وأما الشر فبالنظر للانعكاس عليه . قال بعض العارفين :

إذا ما رأيت الله في السك فاعلا رأيت جميع الكائنات ملاحا وإن لم ترى إلا مظاهر صنعه

حجبت فصيرت الحسان قباحا ففعل الله كله خيرا لأن أفعاله دائرة بين الفضل والعدل ولا ينسب له الشر أصلا وإنما ينسب الشر للخالف وليس لمولانا حاكم يخالفه فيما أمره به بل هو الفعال لما يريد (قوله إنك على كل شيء قدير) دليل لما تقم (قوله فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر) أى بقدر ما نقص ساعة بساعة ودرجة بدرجة (قوله كالإنسان والطائر الخ) ويصح أن يراد بالحي المسلم والميت الكافر (قوله من النطفة والبيضة) ونشر مرتب (قوله بغير حساب) أى ومن غير توقف على عمل

والأفقر وقت رزقه على عمل منا لما أعطاك شيئا أبدا بل لم يبق لنا نعمه التي هي موجودة فينا كالسمع والبصر والكلام واليدين والرجلين وغير ذلك ، فسبحان الحليم الذي لا يبجل بالعقوبة على من عصاه (قوله لا يتخذ المؤمنون) قيل نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول كان منافقا يخفى الكفر ويحب أهله ويواليهم باطنا وكان بصحبته على هذه الحيلة ثلثمائة وكانوا يحبون ظفر الأعداء برسول الله وأصحابه وإنما كانوا يظهرُونَ الإسلام فقط ، فعنى الآية أن من علامة الإيمان عدم موالاته أهل الكفر قال تعالى - لا تعبدوا ما دونه من دونه - لا تعبدوا ما دونه من دونه - الآية وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوياً وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة - الآية (قوله أولياء) أي أصدقاء وقوله يوالونهم أي يحبونهم ويميلون إليهم (قوله من دون المؤمنين) في محل الحال من الفاعل أي حال كون المؤمنين متجاوزين بموالاتهم للمؤمنين أي تاركين قصر الولاية عليهم وذلك التارك يصدق بصورتين كونها مشتركة بين الكفار والمؤمنين أو مختصة بالكفار فالصورتان داخلتان في منطوق النهي ، وإنما الواجب على المؤمنين قصر الموالاتة والمحبة على بعضهم (قوله فليس من الله) الكلام على حذف مضاف قدره المفسر بقوله دين وفيه حذف مضاف أيضا أي من أهل دين الله فالعنى أنه كافر وإذا اطعنا عليه فلا نبقية بل نقتله ويسمى زنديقا ومنافقا ، واسم ليس ضمير يعود على من الشرطية (قوله إلا أن تتقوا) هذا استثناء مفرغ من عموم الأحوال أي لا يتخذ المؤمن الكافر ولما لشيء من الأشياء ولا لغرض من الأغراض إلا للتقية ظاهرا بحيث يكون مواليه في الظاهر (١٣٩) ومعاديه في الباطن . ومحصله

أن الله نهى المؤمنين عن موالاته الكفار ومداينهم إلا أن يكون غالين ظاهرين أو يكون المؤمنون في قوم كفار فيداهنهم بلسانه مطمئنا قلبه بالإيمان فالتقية لا تكون إلا مع الخوف على النفس أو العرض (قوله تقاة) وزنه فعلة ويجمع على تقى كرتبة ورطب وأصله وقية لأنه

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ) يوالونهم (مِنْ دُونِ) أى غير (الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) أى يوالهم (فَلَيْسَ مِنْ) دين (اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) مصدر تقيته أى تخافوا مخافة فلهم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الإسلام ويجرى فيمن في بلد ليس قويا فيها (وَيَحْذَرُكُمْ) يخوفكم (اللهُ نَفْسَهُ) أن يغضب عليكم إن واليتيموم (وإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع فيجازيكم (قُلْ) لهم (إِنْ تَحُفُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ) قلوبكم من موالاتهم (أَوْ تُبْدُوهُ) تظهروه (يَعْلَمُ اللَّهُ) وَ (هُوَ) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ومنه تعذيب من والاهم ، اذكر (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ) (مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ) (مِنْ سُوءٍ) مبتدأ خبره (تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها (وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ) كرر للتأكيد ،

من الوقاية فأبدلت الواو تاء والياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقوله من تقيته بفتح القاف بوزن رमितه وهو بمعنى اتقيته (قوله دون القلب) أى فالموالات به حرام إجماعا (قوله وهذا) أى قوله إلا أن تتقوا (قوله ليس قويا فيها) أى الإسلام ليس قويا في تلك البلدة كأن يجعل أمراء تلك البلدة الحكام من أهل الكفر فالواجب مداراتهم ظاهرا حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في داره يوما إذ أقبل عليه رجل فطرق الباب فقال من؟ فقال فلان فقال سرا : بئس أخوال المشيرة ثم لما خرج إليه أطلق له وجهه وصار يلاطفه بالقول فلما انصرف قالت له عائشة رأيت منك عجبا سمعتك تقول قولاً ثم فعلت خلافه فقال يا عائشة إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلغهم (قوله ويحذركم) الكاف مفعول أول ونفسه مفعول ثان وهو على حذف مضاف أشار له المفسر بقوله أن يغضب عليكم والأصل غضب نفسه أى فان واليتيموم غضب الله بجلاله عليكم (قوله فيجازيكم) أى إما بالتواب إن لم توالوهم أو بالعقاب إن واليتيموم (قوله يعلمه الله) أى فيرتب الجزاء على ذلك (قوله يوم تجد) ظرف لمحذوف أى اذكر (قوله محضرا) أى محضرا ظاهرا تفرج به وذلك كالصدقات والصيام والصلاة مثلا (قوله أمدأ بعيدا) أى مسافة طويلة فيستنى أن لم يكن رآه وقد ورد أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له طالما كنت أقلتك في الدنيا فأركب على ظهري الآتني فركبه إلى الحشر وذلك قوله تعالى - ونحشر المتقين إلى الرحمن وفدا - وإذا كان غير صالح وجد عمله السيء في صورة قبيحة فيقول له طالما كنت تتمتع في الدنيا فأتانا أركبك الآن وذلك قوله تعالى - وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم - ولو شرطية وفي الكلام حذفان أحدهما حذف مفعول تود والثاني حذف جواب لو والتقدير تود تباعد ما بينها وبينه لو أن بينها

وهذه أمداء بعيدا لسرت بذلك (قوله والله رءوف بالعباد) أى شديد الرحمة بهم حيث قطع عذرهم فبيين ذلك فى رمن يسع التوبة والرجوع إليه فيه ، ومن جملة رأفته كثرة التكرار والتأكيد فى الكلام لعله يصل إلى قلوب السامعين فبهلوا بمقتضاه (قوله ونزل لما قالوا الخ) وقيل سبب نزولها قول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . وقيل قول نصارى نجران معبدنا عيسى وأمه إلا بحجة الله . وقيل سبب نزولها أن النبي دخل الكعبة فوجد الكفار يعلقون على الأصنام بيض النعام ويزخرفونها فقال لهم ماهذه ملة إبراهيم التى تدعونها فقالوا مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قوله قل لهم يا محمد) أى ردّا لمقالمهم (قوله فاتبعوني) أى فى جميع ماجئت به ، والمعنى أن اتباع النبي فيما جاء به دليل على محبة الانسان لربه وهى ميز القلب نحوه وإثبات طاعته على هوى نفسه فيلزم من المحبة الطاعة ، قال بعض العارفين :

لو قال نبيها قف على جمر النضا لو قفت ممثلا ولم أتوقف
نصى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

فمن ادعى المحبة من غير طاعة فدعواه باطلة لاتقبل (قوله بمعنى أنه يتبينكم) أشار بذلك إلى أن معنى المحبة الأصلية محال فى حقه تعالى وأن المراد بمحبة الله للعبد قبوله والاثابة على أعماله (قوله ويفر لكم ذنوبكم) أى يمحوها من الصحف فالمحبوب لا يبق عليه ذنب والمبغوض لا تبق له (١٤٠) طاعة ، قال بعض العارفين : واجعل سيأتنا سيأت من أحبيت ولا تجعل

(وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) . ونزل لما قالوا مانعبد الأصنام إلا حبّا لله ليقربونا إليه (قُلْ) لهم يا محمد (إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) بمعنى أنه يتبينكم (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ) لمن اتبعنى ماسلف منه قبل ذلك (رَحِيمٌ) به (قُلْ) لهم (أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) فيما يأمركم به من التوحيد (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الطاعة (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر أى لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ) بمعنى أنفسهما (عَلَى الْعَالَمِينَ) يجعل الأنبياء من نسلهم (ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ دُرِّيَّةٍ) ولد (بعض) منهم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) اذكر (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ) حنة لما أسنت ،

حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لاينفع مع البغض منك والاساءة لاتضر مع الحب منك . (قوله رحيم به) أى فى الدنيا والآخرة (قوله من التوحيد) أى وغيره من شرائع الدين (قوله أعرضوا عن الطاعة) أى فلم يتبعوك فيما أمرت به

(قوله فيه إقامة الظاهر) أى تبكيتهما لهم (قوله إن الله اصطفى آدم) قال ابن عباس قالت اليهود

واشتاقت نحن من أبناء إبراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أن الله اصطفى هؤلاء بالاسلام والنبوة والرسالة وأنتم يامعشر اليهود على غير دينهم وعاش آدم فى الأرض تسعمائة وستين سنة ، وأمامدة إقامته فى الجنة فلا تحسب (قوله ونوحا) هذا لقبه واسمه الأصلى عبد الغفار وقيل السكن ولقب بنوح لكثرة نوحه ووعوه من نسل إدريس لأنه ابن ملك بن متوشاخ ابن إدريس عليهم الصلاة والسلام وعمر ألف سنة وخمسين والمعنى اختاره بالنبوة والرسالة وجعله من أولى العزم (قوله وآل إبراهيم) أى اصطفاه بالنبوة والرسالة والخلة ، وعمر إبراهيم مائة وسبعين سنة (قوله وآل عمران) قيل المراد عمران أبو مريم وهو الأقرب وقيل أبو موسى وهرون و بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (قوله بمعنى أنفسهما) وقيل إنيهما حقيقة فآل إبراهيم أولاده وآل عمران أبو مريم مريم وابنها وأبو موسى موسى وهرون (قوله على العالمين) المراد عالمو زمانهم (قوله ذرية) بدل من آدم وما عطف عليه وهى إما مأخوذة من الدر أو من الدر بمعنى الخاق (قوله بعضها من ولد بعض) أى متناسلين من بعض فالمراد البعضية فى النسب وقيل المراد بعضها من بعض فى الصلاح والنبوة والرسالة فكما أن الأصول أنبياء ورسول كذلك القرية بل فى بعضها مايفوق الأصول جميعها كسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله إذ قالت) ظرف فى محل نصب على المفعولية المحذوف قدره المفسر بقوله اذاكر والتقدير اذكر يا محمد وقت قول امرأة عمران والمقصود ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت لاذكر الوقت نفسه (قوله حنة) أى بنت فاتود وكان لهاأخت تسمى اشاع بنت فاقود أيضا متزوجة بذكرىا عليه السلام . كان عمران من السادات الصالحين وكان له التسكهم على سدة بيت المقدس ، واسم أبيه ماثان .

(قوله واشتاق للولد) سبب ذلك أنها كانت يوما جالسة في ظل الشجرة فرأت طائرا يطعم فرخه ويسقيه فعطفت واشتاق للولد من أجل روية ذلك الطائر فدعت الله أن يرزقها ولدا ونذرت أن تهيبه لبيت المقدس يخدمه وكان ما من رجل من أشراف بيت المقدس إلا وله ولد منذور لخدمته فاستجاب الله دعاءها حملت فلما أحست بالحمل جددت النذر ثانيا بقولها رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فلامها زوجها على ذلك حيث أطلقت في نذرها ولم تقيده بالذكر فبقيت في حيرة وكرب إلى أن وضعت فلما وضعتها ورأتها أني اعتذرت إلى الله إلى آخر ما يأتي (قوله عتيقا خالصا من شواغل الدنيا) أي وكانوا يفعلون ذلك بالصبيان إلى أن يبلغوا الحلم فإذا بلغوا عرضوا ذلك الأمر عليهم فإن اختاروا الخدمة مكثوا وكافوا بها ولا يخرجون لشيء من شواغل الدنيا وإن اختاروا عدم الخدمة أجابوا لذلك (قوله وهلك عمران وهي حامل) أي وحين نذرت ذلك النذر لامها فكربت ثم لما وضعتها الخ فهو مرتب على محذوف (قوله جارية) حال من الهاء في ولدها (قوله قالت معتذرة) حال من فاعل قالت لا إعلاما له تعالى فانه لا يليق ذلك فانه عالم بها من قبل أن تعلم بها هي (قوله أني) حال من الضمير في وضعها مؤكدة له ويحتمل أن تكون مؤسسة بالنظر لعوده على النعمة الشاملة للذكر والأنثى (قوله جملة اعتراض) أي بين كلامي حنة تفخيم وتعظيما لشأن ذلك المولود (قوله وفي قراءة) أي سبعة (قوله بضم التاء) أي ويكون (١٤١) ذلك من كلامها اعتذارا (قوله

وليس الذكر كالأنثى) ويحتمل أن يكون ذلك من كلام الله والمعنى ليس الذكر الذي طلبتيه كالأنثى التي أعطيتها لك فان ما وهبته لك أعظم مما طلبتيه أنت لنفسك فالقصد تفخيم شأنها ويحتمل أن يكون من كلام حنة ويكون في الكلام قلب والمعنى ليست الأنثى الذي وهبت لي كالمذكر الذي طلبته قاله كذا أعظم من حيث

واشتاق للولد فدعت الله ، وأحست بالحمل :يا (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ) أَنْ أَجْعَلَ (لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) عتيقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس (فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ) للدعاء (السَّمِيعُ) بالنيات ، وهلك عمران وهي حامل (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا) ولدها جارية ، وكانت ترجو أن يكون غلاما إذا لم يكن يحرر إلا الفلمان (قَالَتْ) معتذرة :يا (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ) أي عالم (بِمَا وَضَعْتَ) جملة اعتراض من كلامه تعالى ، وفي قراءة بضم التاء (وَلَيْسَ الذَّكَرُ) الذي طلبت (كَالْأُنْثَىٰ) التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لاتصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه (وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا) أولادها (مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) المطرود في الحديث «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها» رواه الشيخان (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا) أي قَبِلَ مريم من أمها (بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) أنشأها بخلق حسن ، فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام ، وأنت بها أمها لأخبار :

قوته على الخدمة وحلوه من القذارة كالحيض والنفاس فيكون اعتذارا واقعا منها (قوله ونحوه) أي كالنفاس (قوله وإني حينها) معطوف على إني وضعتها أني ويكون ما بينهما اعتراضا على أنه من كلام الله وأما على أنه من كلامها فيكون من جملة متولها (قوله مريم) معناه بلغتهم العابدة خادمة الرب (قوله وإني أعيذها) أي أحصنها وأجيرها (قوله أولادها) أي ولم تلد إلا عيسى (قوله الرجيم) فاعيل بمعنى مفعول أي مطرود كقال المفسر أو مرجوم بالشهب من السماء (قوله إلامسه الشيطان) أي نخسه في جنبه وظاهره حتى الأنبياء وهو كذلك . إن قلت إن الأنبياء معصومون من الشيطان فلا سبيل له عليهم . أجيب بأنهم معصومون من وسوسته وإغوائه لا من نخسه في أجسامهم فان ذلك لا يقدح في عصمتهم منه . إن قلت إن موضوع الآية أن دعوة أم مريم كانت بعد وضعها وتسميتها فلم تنفع مريم من نخس الشيطان وإنما دعت ولدها فقط فلم تحصل مطابقة بين الآية والحديث إلا أن يقال إن حفظهما من نخس الشيطان كان واقعا وإن لم تدع حنة فدعوتهما طابقت لما أراد الله بهما ومع ذلك فالمناسب أن لا يأتي بالحديث تفسيراً للآية وقد ورد أن الشيطان نخسهما أيضا إلا أنه صادف القضاء (قوله مقبلها) أي رضى بها خادمة لبيت المقدس وخلصها من دنس الأطفال والنساء (قوله بقبول) يحتمل أن الباء زائدة : أي قبولا ويكون منصوبا على المصدر المحذوف لزائد وإلا لقبل قبلا أو تقبيلاً ويحتمل أنها أصلية والمراد بالقبول اسم لما يقبل به الشيء كالوجور والسعوط (قوله كما ينبت مولود في العام) أي في العقل والمعرفة وإلا فالكلام من قبيل المبالغة

(قوله سدنة بيت المقدس) أى خدمته (قوله هذه النذيرة) أى للنذيرة (قوله لأنها بنت إمامهم) أى رئيسهم وأميرهم (قوله لأن خالتها عندي) ورد أنهم قالوا لو كانت القرابة مقتضية لأخذها لكنت أمها أولى (قوله إلى نهر الأردن) أى وهو نهر يجرى إلى الآن (قوله وألقوا أعلامهم) قيل سهامهم وقيل النى كانوا يكتبون بها التوراة وقيل أعلام من حديد (قوله وصعد) أى على وجه الماء : أى ومن غرق قلبه أو ذهب مع الماء فلا حق له فيها (قوله بأكلها) بضم الهمزة فيه وفيما بعده بمعنى الشيء المأكول وللشروب والذى يدهن به (قوله ممدودا ومقصورا) راجع لقراءة التشديد لا غير وأما التخفيف فليس فيه إلا اللد مع رفعه على الفاعلية (قوله والفاعل الله) أى بالنسبة للتشديد (قوله كما دخل عليها زكريا) أى فى أية وقت دخل عليها فيه وجد الخ وزكريا بالمد والقصر قراءتان سبعيتان (قوله المحراب) هو اسم لكل محل من محال العبادة فسميت الغرفة بذلك لأنها فى المسجد وهو محل العبادة (قوله وجد عندها) حال من زكريا التقدير قائلا كما دخل عليها زكريا المحراب حال كونه واجدا عندها رزقا يا صريم الخ ورزقا مفعول لقوله وجد ووجد بمعنى أصاب (قوله وهى صغيرة) أى فهى من جملة من نكح فى الهد (قوله) (١٤٢) بلا تيمع) أى حق عليه فليس إعطاؤه الرزق لحق العباد عليه بل هو من

محض فضله وجوده (قوله هنالك) أصلها ظرف مكان لكن استعملت هنا ظرف زمان ويحتمل أن تكون ظرف مكان معنوى ، وللغنى عندك لواقعة دعا زكريا الخ وهو كلام مستأنف وقصة مستقلة سبقت فى أثناء قصة صريم لما بينهما من قوة الارتباط لأن فضل بعض الأقارب يدل على فضل الآخر وهو حكمة قوله تعالى - ذرية بعضها من بعض - (قوله لما رأى ذلك زكريا) أى ما تقدم من قصة حنة حيث دعت الله أن يرزقها بولد

سدنة بيت المقدس قالت : دونكم هذه النذيرة فتناقصوا فيها لأنها بنت إمامهم ، فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي ، فقالوا : لاحتى تقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أعلامهم على أن من ثبت قلبه فى الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلب زكريا فأخذها وبني لها غرفة فى المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره ، وكان يأتيها بأكلها وشرابها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف كما قال تعالى (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) ضمها إليه وفى قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدودا ومقصورا والفاعل الله (كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) الغرفة وهى أشرف المجالس (وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى) من أين (لَكَ هَذَا ؟ قَالَتْ) وهى صغيرة (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) يأتينى به من الجنة (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) رزقا واسما بلا تيمع (هُنَاكَ) أى لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء فى غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته اقرضوا (دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ) لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) ولداً صالحاً (إِنَّكَ سَمِيعٌ) مجيب (الدُّعَاءِ) فدأته الملائكة (أى جبريل) (وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلَّى فِي الْمِحْرَابِ) أى المسجد (أَنْ) أى بأن وفى قراءة بالكسر بتقدير القول (اللَّهُ يُبَشِّرُكَ) مثقلا ومخففا ،

(ييجي)

مع يأسها وكسر سنها فأجابها الله مع كونها لم تكن نبية وأعطاه مريم وجعلها فضل من لدن كور

وصار يأتيها رزقها من الجنة وأكرمها إكراما عظيما فكان ذلك لأمر العجيب باعنا له على طلب الولد (قوله وعلم) أى تنبه واستحضر عند مشاهدة تلك الحوارق للعادة على حد ولكن ليطمئن قلبي فشهود الكرامات يزيد فى اليقين والكامل يقبل البكال (قوله على الكبر) أى منه ومن زوجته، قيل كان وقت الدعاء عمره ثمانون سنة وعمرها ثمان وحمسون وبين الدعاء والاجابة أربعون سنة (قوله وكان أهل بيته) أى أقاربه (قوله لما دخل المحراب) أى المسجد (قوله ذرية) النذرية تطابق على المفرد والجمع لذا قال المفسر ولدا صالحا (قوله إنك سميع) ليس المراد به الاسم بل المراد به الحبيب أى سميع سماع إجابة كما قال المفسر (قوله فدأته الملائكة) أى بعد مضي أربعين سنة من دعوته (قوله أى جبريل) أى فهو من تسمية الخاص بأسم العام تعظيما له (قوله وهو قائم) جملة حاله من الهاء فى نادته وجملة يصلى إما خبر ثان أو حال ثانية أو صفة لقائم وقوله فى المحراب متعاقب يصلى أو بقاءم (قوله أى بأن) أى فهو بدل من نادته (قوله بتقدير القول) أى استشفاف تقديره قالين إن الله يبشرك الخ (قوله مثقلا ومخففا) أى فهما قراءتان سبعيتان مع فتح همزة إن وكسرها فهما أربع فالثقل ضم الباء وفتح الداء وكسر الشين المشددة والمخفف بفتح الباء وسكون الباء وضم الشين المخففة

(قوله يحيى) قيل إنه منقول من الفعل فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية ووزن الفعل ويكون عربياً وسمى بذلك لأنه يحيى القلوب للينة، وقيل أعجى فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية والحجة ويجمع في حالة الرفع على يحيون وفي حالة النصب على يحيين وتنفيته في حالة الرفع يحيان وفي النصب والجري يحيين (قوله مصدقاً) هو وما بعده أحوال من يحيى (قوله أنه روح الله) أى سرّ نشأ من الله (قوله لأنه خافه بكلمة كن) وقيل لأن الكلمة التى قالها لها الله وهى كذلك الله يخلق ما يشاء، وقيل لأنه الكلمة التى قالها الله لجبريل حيث أمره بالنفخ فى جيبها (قوله متبوعاً) أى إماماً يقتدى به، قيل إنه أعطى النبوة من حين الولادة (قوله ممنوعاً من النساء) أى اختياراً لشغله بربه وهذا هو المراد بالحضور هنا وإلا فعناء الممنوع من النساء مطلقاً سواء كان اضطراراً أو اختياراً (قوله ونبياً من الصالحين) أى من كبار المرسلين القائمين بحقوقك وحقوق عبادك (قوله روى أنه لم يعمل خطيئة الخ) هذا لا يخصه بل كذلك غيره من الأنبياء (قوله أتى يكون) تستعمل أى شرطية كقول الشاعر: فأصبحت أتى نائها تستجر بها تجد خطبا جزلا ونارا تاججا

وتستعمل اسم استفهام كما هنا الله فسرهما بكيف ويكون ناقصة وعلام اسمها وخبرها أتى التقدير رب يكون لى غلام على أى حالة فالاستفهام عن أحوال الغلام لا عن ذاته (قوله وقد بلغنى الكبر) هنا أسند البلوغ للكبر وفيما يأتى فى سورة مريم أسنده لنفسه وكلاهما صحيح لأن البلوغ من الطرفين والجملة حالية وكذا ما بعده (١٤٣) (قوله أى بلغت نهاية السن) أى بالنسبة لأهل زمانى فلا ينافى أن للتقدمين

كان الواحد منهم يعمر لألف (قوله كذلك) خبر المحذوف قدره بقوله الأمر وقوله من خلق غلام بيان لمرجع اسم لإشارة والكاف فى كذلك يحتمل أن تكون صلة، والمعنى قال الله الأمر ذلك واسم الإشارة راجع إلى خالق الولد

(يَبْعَثُ مُصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ) كائنة (مَنْ اللَّهُ) أى عيسى أنه روح الله، وسمى كلمة لأنه خلق بكلمة كن (وَسَيِّدًا) متبوعاً (وَحَصُورًا) ممنوعاً من النساء (وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهيم بها (قَالَ رَبِّ أُنِّي) كيف (يَكُونُ لِي غَلَامٌ) ولد (وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ) أى بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة (وَأُمْرَأَتِي عَاقِرٌ) بلغت ثمانياً وتسعين سنة (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق الله غلاماً منكباً (اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) لا يعجزه عنه شيء ولا يظهر هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها. ولما تأقت نفسه إلى سرعة المبرهنة (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً) أى علامة على حمل امرأتى (قَالَ آيَتُكَ) عليه (أ) ن (لَا تُكَلِّمُ النَّاسَ) أى تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) أى بلياليها (إِلَّا رَمَزًا) إشارة (وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ) صل (بِالْمَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) أواخر النهار وأوائله (وَ) اذكر (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ)

ويحتمل أن تكون أصلية، والمعنى قال الله الأمر كذلك أى كما قلت لتغيير فيه ولا تبديل فاسم الإشارة راجع إلى القول (قوله ألهمه السؤال) أى بقوله أتى يكون لى غلام (قوله ليجاب بها) علة للالهام وقوله لاظهار علة أقوله ليجاب فهو علة مقدمة على معلولها. إن قلت ما الحكمة فى قوله فى قصة زكريا الله يفعل ما يشاء وفى قصة مريم الله يخلق ما يشاء؟ قلت الحكمة أن خرق العادة فى عيسى أعظم من يحيى فإن عيسى لم يكن له أب مع كون أمه عذراء. وأما يحيى فأبواه موجودان وإن كان هناك مانع من الحمل فعبّر فى جانب عيسى بالخلق الذى هو إنشاء واختراع دون الفعل (قوله ولما تأقت نفسه) أى اشتاقت (قوله قال رب اجعل لى آية) أى لأزداد بها شكراً على ما أعطيتنى وسروراً به (قوله علامة على حمل امرأتى) أى فإن الحمل فى مبدئه خفى فطلب علامة على ظهور علاقتها به (قوله أن لا تكلم الناس) أى بأذكىك مانع من الله يمنعك من الكلام بفرد ذكر الله (قوله أى بلياليها) أخذ ذلك مما يأتى فى سورة مريم جمعاً بين الموضعين والتفتين ومن ذلك اختار بعض أكابر الصوفية أن الخلوة مع الرابضة لبلوغ المراد ثلاثة أيام بلياليها يجعل ذكر الله فيها شعاره وذمّاره ولا يتكلم فيها (قوله إلا رمزاً) استثناء منقطع على التحقيق لأن الرمز لا يقال له كلام اصطلاحاً وإن كان كلاماً لغة لكن ليس مراداً هنا (قوله إشارة) أى وكانت بسببته المعنى (قوله أواخر النهار) راجع للعشى وقوله وأوائله راجع للإبكار فهو لفظ ونشر مرتب وخصّ هذين الوقتين لفرضية الصلاة عليه فيهما (قوله وإذ قالت للملائكة) عطف على قوله إذ قالت امرأة عمران والناسبة بينهما ظاهرة فإن تلك قصة الأم وهذه قصة البفت. وأما قصة زكريا فذكرت بينهما لأن رؤية العجائب فى الأولى هى الحاملة لذكرى على طلب الولد.

(قوله أي جبريل) أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له (قوله يا مريم) الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا في الإشارة بطرف خفي إلى رد مآله الكفار من أنها زوجته فإن العظيم على لمة يألف من ذكر اسم زوجته بين الناس فكان الله يقول لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها (قوله من مسيس الرجال) أي ومن الحيض والنفاس وكل قدر (قوله أي أهل زمانك) أشار بذلك إلى أن العالمين عام مخصوص بما عدا خديجة وفاطمة وعائشة وهذه طريقة مرجوحة ، والحق أن مريم أفضل النساء على الإطلاق ثم فاطمة ثم خديجة ثم عائشة ، قال بعضهم في ذلك :

فصلي النساء بنت عمر بن قفاطمة خديجة ثم من قد برأ الله وبالجملة فأفضل النساء خمسة: مريم وخديجة وفاطمة وعائشة وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون ، وهي زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وكذلك مريم (قوله يا مريم اقنتي) تنكحار الخطاب باسمها يفيد ما قلناه أولاً من أنه إشارة لرد ما قيل إنها زوجة (قوله واسجدي واركني) قدم السجود لشرفه والواو لا تقتضي ترتيباً إن كانت صلاتهم كصلاتنا من تقديم الركوع على السجود وإن كانت بالعكس فالأمر ظاهر (قوله مع الراكعين) لم يقل مع الراكعات إما لدخول جمع المؤنث في الذكر بالتغليب أو للعنى صلى صلاة الرجال من حيث الخشية وعلو الهمة لا كصلاة النساء من حيث التفریط وعدم الخشية (قوله نوحيه) أي المذكور فالضمير عائدة على اسم الإشارة لافراده (قوله إذ يلقون قلائهم) أي وقت إلقاءهم أقلامهم (قوله وما كنت لديهم إذ يختصمون) هذا بمعنى ما قبله والمعنى يختصمون قبل إلقاء الأقلام (قوله فتعرف ذلك الخ) مسبب (١٤٤) عن النبي أي ما كنت حاضراً حتى تعرف ذلك وتخبر به وإنما عرفته

من جهة الوحي لا من جهة غيره لأن بلده ليست له علم ولم يجاس بين يدي معلم ولم يقرأ كتاباً ولم يكن هو ولا أحد من أجداده حاضراً وقت حصول تلك لوقائع فتعين أن يكون ذلك بوحى من الله ، قال العارف :

أي جبريل (يا مريم إن الله اصطفيك اختارك) (طهرتك) من مسيس الرجال (واصطفيك على نساء العالمين) أي أهل زمانك (يا مريم اقنتي لربك) أطيعيه (واسجدي وأركني مع الراكعين) أي صلى مع المصلين (ذلك) المذكور من أمر زكريا ومريم (من أنباء الغيب) أخبار ما غاب عنك (نوحيه إليك) يا محمد (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم) في الماء يقتربون ليظهر لهم (أيهم يكمل) برئي (مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) في كفالاتها فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي . اذكر (إذ قالت الملائكة) أي جبريل (يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) أي ولد (اسمك المسيح عيسى ابن مريم) خاطبها بنسبته إليها تنبئها على أنها تلده بلا أب إذ عادة الرجال نسبهم إلى آبائهم ،

(وجيها)

كفك بالعلم في الأمت معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتيم

(قوله إذ قالت الملائكة) قدر المفسر اذكر إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحدوف وهذا شروع في ذكر قصة عيسى وما فيها من العجائب (قوله أي جبريل) أي فهو من باب تسمية الخاص باسم العام (قوله يبشرك) البشارة هي الخبر السار وضدها التنذارة وهي الخبر الضار (قوله بكلمة منه) أي الله (قوله أي ولد) أي وولد وعبر عنه بالكلمة لأنه بقول كن من غير واسطة مادة . واتفق أن نصرانيا قدم على الرشيد فوجد عنده الحسن بن علي الواقدي فقال النصراني للخليفة والعالم إن في كلام الله آية تدل على أن عيسى جزء من الله فقال له وماتلك الآية ؟ فقال النصراني إن الله يبشرك بكلمة منه فمن للتبعض فمقتضى ذلك أنه جزء منه فقال الشيخ إذا كانت من للتبعض هنا فكذلك هي في قوله تعالى - وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه - إذ لا فرق بينهما فهبت النصراني وأسلم وأغدق الحايفة على الشيخ إغداقاً عظيماً وكان يوماً مشهوداً وإنما من للابتداء على حد إن الله خلق نور نبيك من نوره والمعنى خلقه بلا واسطة مادة . واعلم أن تلك البشارة تضمنت خمسة عشر وصفاً (قوله اسمه المسيح عيسى ابن مريم) ظاهره أن هذه الأشياء كلها جملت اسمها واحداً له مع أن المسيح لقبه وابن مريم كنيته وأما الاسم عيسى فط. ويحاج بأنه لما كان لا يجهل إلا بهذه الأشياء كلها جعلت اسمها واحداً . والمسيح فاعيل إما بمعنى فاعل لأنه مامسح على ذى عاهة إلا يرى أولاً أنه مكان بمسح الأرض في الزمن القليل بهداية الخلق أو مفعول لأنه ممسوح بالبركة أو ممسوح القدم بمعنى أنها لا أنخص لها . وأما الدجال فيلقب بالمسيح إما لأنه يمسح الأرض في القليل لاضلال الناس أولاً لأنه ممسوح العيس فهو من تسمية الأضداد ومن الأسماء المشتركة . وعيسى من العيس وهو البياض المشرب بحمرة لأن لونه كان كذلك (قوله إذ عادة الرجال) أي والنساء .

(قوله وجيها) حال من المسيح (قوله ذا جاه) أى عز وسودد (قوله بالنبوة) أى والعجرات الباهرة والحكمة التى لانضاهى (قوله والدرجات العلى) أى من حيث إنه من أولى العزم (قوله عند الله) عندية مكافئة لامكان أى قرب ومنزلة (قوله فى المهد) أى زمنه والمهد فرس المصطفى زمن طفولته وورد أنه كان تسكلم حين ولادته كما قصه الله فى سورة مريم (قوله قبل وقت الكلام) أى وانقطع إلى وقته المعتاد وكان يحدث أمه وهو فى بطنها فإذا اشتغلت أمه بكلام إنسان اشتغل هو بالتسبيح (قوله وكهلا) أى بين الثلاثين والأربعين والمقصود بشاره أمه بطول عمره لا كون كلامه حينئذ خرق عادة (قوله ومن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح وهم سادات الرسل فآل فى الصالحين للكمال (قوله بتزوج ولا غيره) أى كالزنا وقد صرح به فى سورة مريم بقوله ولم أك بغيا وهذا استفهام عن الحالة التى يأتى عليها ذلك الولد وإنما استفهمت عن ذلك لأنها جازمة أنها منذورة لخدمة بيت المقدس وأنها مقبولة وكانت عادتهم أن المندور لا يتزوج فهذا هو حكمة استعظامها ذلك (قوله كذلك) خبر لمحدوف قدره المفسر بقوله الأمر والكاف يحتمل زيادتها والأصل الأمر ذلك ويحتمل أصالتها وقد تقدم ذلك (قوله إذا قضى أمرا) القضاء هو تعلق إرادة الله بالأشياء أزلا (قوله أراد خلقه) أى تعلقت إرادته بخلق تعلقا (١٤٥) تنجز يا قديما (قوله أى فهو

يكون) أشار بذلك إلى أن جملة يكون خبر لمحدوف (قوله بالنون والياء) أى قراءتان سبعيتان فعلى الياء الأمر ظاهر وعلى النون فهو التفات من النية للخطاب (قوله الخط) ورد أنه كان حسن الخط جدا وكان يعلمه للصغار فى المكتب (قوله والحكمة) أى النبوة (قوله والتوراة) إن قالت إنها كتاب موسى أحيب بأنه كان يحفظها ويتعبد بها لإلما نسخ منها فى الإنجيل (قوله ورسولا) معمول لمحدوف قدره

(وَجِيهًا) ذَا جَاه (فِي الدُّنْيَا) بِالنَّبُوَّةِ (وَالْآخِرَةِ) بِالشَّعَاعَةِ وَالدرجات العلى (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) عِنْدَ اللَّهِ (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ) أى طفلا قبل وقت الكلام (وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى (كَيْفَ) يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ (بِتَزْوِجٍ وَلَا غَيْرِهِ) (قَالَ) الْأَمْرُ (كَذَلِكَ) مِنْ خَلْقٍ وَلَدٍ مِنْكَ بَلَا أَب (اللَّهُ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا) أَرَادَ خَلْقَهُ (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أى فهو يكون (وَتُسَلِّمُهُ) بالنون والياء (الْكِتَابِ) الْخَطِّ (وَالْحِكْمَةِ) وَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ . () نَجْمُهُ (رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فِي الصَّبَا أَوْ بَعْدَ الْبُلُوغِ ، فَفَنَفَخَ جِبْرِيلُ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا فَخَلَّتْ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهَا مَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ ، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ لَهُمْ : إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ (أَنَّى) أى بَأْنَى (قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ) علامة على صدق (مِنْ رَبِّكُمْ) هـ (أَنَّى) وفى قراءة بالكسر استئنفا (أَخْلُقُ) أَصَوْرَ (لَكُمْ مِنْ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) مثل صورته فالكاف اسم مفعول (فَأَنْفَخُ فِيهِ) الضمير للكاف (فَيَكُونُ طَيْرًا) وفى قراءة طائرا (يَا ذَنْنِ اللَّهِ) بإرادته فخلق لهم الخفافش لأنه أكل الطير خاتما ، فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا (وَأَبْرئى) أشفى (الْأَكْمَةُ) ،

المفسر بقوله نجعله لأنه المناسب له (قوله فى الصبا) أى وهو ابن ثلاث سنين وقوله أو بعد البلوغ أى وهو ابن ثلاثين سنة وكلا القولين ضعيف والمعتمد أنه نبى على رأس الأربعين وعاش نبيا ورسولا ثمانين سنة فلم يرفع إلا وهو ابن مائة وعشرين سنة (قوله فنفع جبريل فى جيب درعها) أى وكان عمرها إذ ذاك قيل عشر سنين وقيل ثلاثة عشر وقيل ست عشرة سنة (قوله ما ذكر فى سورة مريم) أى فى قوله تعالى - واذكر فى الكتاب مريم - الآيات . واختلف فى مدة حملها فقيل ثلثة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو المشهور (قوله أنى قد جئتكم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فلما بعثه الله الخ وهو إشارة لقصة رسالته بعد أن ذكر قصة بشارته وحمله وولادته (قوله أصور) دفع بذلك ما يقال إن الخلق هو الإيجاد بعد العدم وهو مخصوص بالله تعالى . فأجاب بأن معنى الخلق هو التصوير (قوله مفعول) أى لا خلق (قوله الضمير للكاف) ويصح أن يعود على الطين وحكمة المغايرة بين ماهنا وبين ما يأتى فى آخر المائدة أن المكلم هنا عيسى وهناك الله (قوله وفى قراءة طيرا) أى بالإنفراد وأما الأولى فهو اسم جمع وهما سبعيتان (قوله الخفافش) أى الوطواط وقوله لأنه أكل الطير خلقا أى لأن له أسنانا ونيدا ويبيض كالنساء ويطير من غير ريش ولا يبصر إلا فى ساعة بعد المغرب وبعد الصبح ومابقى من الزمن هو فيه أعمى (قوله سقط ميتا) أى ليميز فعل المخلوق من فعل الخلق [١٩ - صاوى - أول]

(قوله الذي ولد أعمى) أى مسح العين أم لا وإيراؤه للطاريء أولوى (قوله والأبرص) هو من به داء البرص وهو داء عظيم يشبه البهق إذ انخس نزل منه ماء (قوله لأنهما دا إعياء) أى أعيا الأطباء الذين كانوا في زمنه فأن معجزة كل نبى على شكل أهل زمانه كموسى فإنه بعث في زمن كثرت فيه السحرة فأعياهم بالعصا واليد البيضاء ، وسيدنا محمد فإنه بعث في زمن العرب البلغاء فأعياهم بالقرآن (قوله بشرط الإيمان) أى بالقلب واللسان فان آمن بلسانه فقط لم يشف (قوله لنفى توهم الألوهية فيه) أى فى عيسى بهذا الوصف الذى لم يشارك الله فيه أحد صورة فقوله باذن الله ردت عليهم فالمعنى لو كان دليلا على ألوهيته لكان باذنه (قوله عازر) بفتح الزاى وقوله صديقا له أى عيسى وكان قد تمرض فأرسلت أخته لميسى فأخبرته بمرضه وكان على مسافة ثلاثة أيام بجاء فوجده قد مات ودفن فذهب مع أخته إلى قبره فدعا بالاسم الأعظم فأحيى وعاش إلى أن ولد له (قوله وابن العجوز) أى وأحياء قبل دفنه حين مر به على عيسى وهو على أعناق الرجال فدعا الله فجاس ولبس ثيابه وأتى أهله وقوله وابنة العاشر أى الذى كان يأخذ العشر من الناس وقوله وسام بن نوح أى وكان قد مات من نحو أربعة آلاف سنة فدعا الله فأحياه فقام وقد شاب نصف رأسه ثم قال له مت باذن الله فقال نعم لكن لا أدوق حرارة الموت ثانيا فقال له كذلك (قوله وأنبتكم بما تأكلون) ورد أنه كان يخبر الصبيان الذين يعلمهم الخط بما فى بيوت آبائهم من المدخرات فتذهب الأولاد ويخبرون آباءهم بذلك ثم إثم تجمعوا وحسبوا أولادهم عنه (١٤٦) جاء إليهم وسأل عنهم فأنكروهم فقال لهم من الذين خلف الأبواب ؟

الذى ولد أعمى (وَالْأَبْرَصَ) وخصا بالذكور لأنهما دا إعياء ، وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفا بالدعاء بشرط الإيمان (وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) كرهه لنفى توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات في الحال (وَأَنْبَتَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَذْخَرُونَ) تخبثون (فِي بُيُوتِكُمْ) مما لم أعينته فكان يخبر الشخص بما أكل وبما لم يأكل بمد (إِنَّ فِي ذَلِكَ) للذكور (لَايَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَجِئْتُمْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ) قبلى (مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) فيها ، فأحل لهم من السك والطير ما لا صيصية له ، وقيل أحل الجميع فبعض بمعنى كل (وَجِئْتُمْكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) كرهه تأكيذا وليبنى عليه (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا) الذى أمركم به (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) فكذبوه ولم يؤمنوا به .

فقالوا هم خنازير فقال كذلك إن شاء الله ففتحوا عليهم فوجدوهم كذلك فكبروا وتجمعوا على قتله فحمله أمه على حمار لها وجاءت به مصر . فان قلت قد يخبر النجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق . أجيب بأن النجم والكاهن لا بد لكل واحد من مة - دعات يرجع إليها ويعتمد عليها فى أخباره

فالنجم يستعين بواسطة الكواكب والكاهن يستعين بخبر من الجن وقد يخطئان كثيرا ، وأما الأنبياء (فاما عليهم الصلاة والسلام فليس إلا بالوحى السامى وهو من عند الله لا بواسطة حساب ولا غيره فتأمل (قوله إن فى ذلك لآية لكم) هذه الجملة يحتمل أن تكون من كلام عيسى أو من كلام الله وقوله - إن كنتم مؤمنين - جوابه محذوف أى اتقوا هذه الآية (قوله ومصدقا) حال معطوفة على حال مقدرة وهى متعلق قوله بآية التقدير جئتكم حال كونى ملتبسا بآية وحال كونى مصدقا ويشعر بذلك تقدير المفسر قوله جئتكم وليس معطوفا على وجبها لأن وجبها من جملة البشر به وهو من كلام الله وأما قوله مصدقا فهو من كلام عيسى { قوله قبلى من التوراة } أى وهى كتاب موسى وكان بينه وبين عيسى ألف سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة وأول أنبياء بنى إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى (قوله ولأحل لكم) معمول لمحذوف تقديره وجئتكم لأجل التحليل ولا يصح عطفه على مصدقا لأن ذلك حال وذا تعليل (قوله بعض الذى حرّم عليكم) أى بسبب ظلمكم كذى الظفر وشحوم البقر والنم (قوله ما لا صيصية له) أى شوكة يؤذى بها وأما ما لا صيصية فهو باق على حله لم يحرم (قوله فبعض بمعنى كل) استشكل بأنه يلزم عليه تحليل كالزنا والقتل . وأجيب بأن الراد جميع ما طرأ تحريمه من أجل التشديد لا ما كان محرما بالأصل (قوله وليبنى عليه فاتقوا الله) أى خفيث أمرتكم بما ذكر مع ظهور الآيات فاتقوا الله الخ (قوله وطاعته) معطوف على توحيد الله من عطف العام على الخاص (قوله إن الله ربى وربكم) هذا رد لدعواهم بنوته لله وإلقال إن الله أنى (قوله طريق مستقيم) أى دين قير من تمسك به فقد نجا ومن حاد عنه وقع فى الردى .

(قوله فلما أحس عيسى منهم الكفر) أحس يتعدى بنفسه وبحرف الجر، والاحساس الإدراك بأحد الحواس الخمس السمع والبصر والذوق والشم واللمس والغنى أدركه منهم عنادا بعد ظهور تلك الآيات البينات (قوله قال من أنصاري) أى من ينصرنى وقوله إلى الله جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الياء فى أنصاري قدره المفسر بقوله ذاهبا (قوله أعوان دينه) أى أهل دينه فنصرة الدين كناية عن نصرة أهله (قوله وكانوا اثني عشر) أى وكان لهم كبيران اسمهما شمعون ويعقوب (قوله وهو البياض الخالص) أى لبياض قلوبهم وثيابهم فأعطاهم الله بياض بواطنهم وظواهرهم (قوله وقيل كانوا قصارين) وقيل لأنهم حوَّروا النبي بمعنى نصروه وقيل كانوا صيادين للسماك وقيل كانوا صباغين وقيل كانوا ملوكا، ورد أن عيسى مرَّ على هؤلاء وهم يصطادون السمك فقال لهم اذهبوا بنا لنصطاد الخلق فقالوا كيف ذلك ؟ فقال ندلهم على عبادة الله فقالوا له ومن أنت ؟ فقال روح الله فقالوا له وما آيتك على ذلك ؟ وكانوا طول نهارهم يطرحون الشبك لا يخرج لهم شيء من السمك فأمر أن يطرح الشبكة واحد منهم ففعل فخرج لهم سمك ملاء مركبين فأمنوا به وساروا بسيره ، وقيل إن شمعون كان ملكا فرأى عيسى ذات يوم يأكل من إناء هو والناس ولا يفرغ ذلك الطعام فأمن به ونزل عن ماسكه وتبعه أقاربه ، وقيل كان فى صفه عند صباغ فأمره بصبغ ثياب متعددة ألوانا متغايرة وذهب لحاجة فوضع تلك الثياب فى دَن واحد وقال أيتها الثياب كونى كما أريد فجاء الصباغ وسأله عن الثياب فقال ها هي فى هذا الدَن خزن حزنا عظيما فأخرجها من الدَن فوجدها كما أمره الصباغ فأمن به هو وأقاربه، وقيل إن الاثنى عشر كانوا لاصنعة لهم حين آمنوا بعيسى (١٤٧) وكانوا سياحين معه وكانوا كلما جاعوا

شكوا لعيسى فينزل لهم كل واحد رغيفان وكما ظمئوا شكوا له فتنبع لهم عين فى أى محل كانوا فيه فقال لهم يوما هناك من هو أفضل منكم فقالوا من؟ فقال الذين يأكلون من كسب أيديهم فاستعملوا قصارة الثياب وقد يجمع بين الروايات المختلفة بأن بعض

(فَلَمَّا أَحَسَّ) علم (عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ) وأرادوا قتله (قَالَ مَنْ أَنْصَارِي) أعوانى ذاهبا (إِلَى اللَّهِ) لأنصر دينه (قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) أعوان دينه ، وهم أصفياء عيسى وأول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا ، من الحور وهو البياض الخالص ، وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (آمَنَّا) صدقنا (بِاللَّهِ وَاشْهَدْ) يا عيسى . (يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ) من الإنجيل (وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) عيسى (فَكَتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) لك بالواحدانية ورسولك بالصدق ، قال تعالى (وَمَكْرُؤًا) أى كفار بنى إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة (وَمَكَّرَ اللَّهُ) بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى إلى السماء (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) أعلمهم به. اذكر (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ)

الاثنى عشر كان من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين (قوله فكتبنا مع الشاهدين) أى الواصلين مطلقا أو الذين فضلهم بالشهادة وهم محمد وأمه لأنهم يشهدون للرسول بالتبليغ وعلى الأمم بالكذب (قوله ومكروا) المكرو هو الخديعة وإظهار خلاف ما يبطن (قوله غيلة) هى بكسر الفين المعجمة وسكون الياء التحية أى يخدع الرجل فيذهب به إلى موضع لا يراه به أحد ويقتله (قوله ومكر الله) أى جازاهم على مكروهم غيث أضمرنا على أخذ عيسى من حيث لا يحتسب جازاهم على ذلك وأخذهم من حيث لم يحتسبوا (قوله بأن ألقى شبه عيسى الخ) . حاصل ذلك أنهم لما تجمعوا على قتله جاءه جبريل فوجد جده فى مكان فى سقفة فرجة فرفعه من تلك الفرجة إلى السماء وأمر ملك اليهود رجلا اسمه طيطيانوس أن يدخل على عيسى فيقتله فلما دخل فلم يجد خراج وقد ألقى الله شبه عيسى عليه فلما رآه ظنَّه عيسى فقتلوه ونقضوا على عيسى فلم يجدوه ثم قالوا إذا كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإذا كان صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم (قوله والله خير الماكرين) أى أقواهم مكرًا بحيث يقدر على إصالح الضرر لهم من حيث لم يحتسبوا كما أضمرنا ذلك لعيسى ولا يقال لله ما كراؤ مكار إلا مشاكلة ويؤول بما علمت لأن أصل السكر يستعمل فى المختال لأخذ صاحبه لمجزء عنه وهو مستحيل على الله (قوله اذكر إذ قال الله) أشار بذلك إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف والمعنى أن اليهود لما تجمعوا على قتله وتحيلوا على أخذه جعل الله كيدهم فى نحورهم وقال الله يا عيسى الخ فهو من تفصيل قوله ومكر الله (قوله إني متوفيك) اختلف فى التوفى فقيل معناه مبلغك الأمل بأن تبلغ عرك بتمامه ولا تموت بقتل أحد بل من الله وقيل معناه بالنوم أى فرغ إلى السماء وهو نائم فلم يحصل له انزعاج

وقبل ههنا ميمتك وقابض لروحك. لا يزال به ينفضى أنه يموت قبل الرفع إلى السماء لأنه يقال إن الواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا
 في الكلام على التقديم والتأخير والمعنى إني راضك إلى ومتوفيك بعد ذلك والمقصود بشارته بنجاته من اليهود ورفعهم إلى السماء.
 واعلم أن الأنبياء الذين أمروا بالقتال منصومون من القتل فلا خصوصية لميسى ، وأما من لم يؤمر به فلا مانع من كون الكفار
 يقتلونهم لأنه مأمور بالصبر وذلك كما وقع لتركيا حين نشروه بالشجرة (قوله قابضك ورافعك) أشار بذلك إلى أن عطف ورافعك
 على متوفيك للتفسير وهو تقرير آخر غير ما تقدم (قوله ورافعك إلى) أى إلى كرامتي وأهل قربي وقوله من أسيا أراد بها
 الأرض (قوله وجاعل الذين اتبعوك) أى أحبك وانتسبوا لك فإن صدقوا بمحمد أيضا وأحبوه أو ماتوا قبل بعثته
 فقد تم لهم العز دنيا وأخرى وإن لم يصدقوا بمحمد ولم يحبوه فقد حازوا عز الدنيا ومالم في الآخرة من خلاق فالنصارى
 لهم عز في الدنيا وسلطنة على اليهود إلى يوم القيامة (قوله وهم اليهود) أى فهو عز على خصوص اليهود لا مطلقا ماداموا
 كفارا وذلك أنه لما رفع الله عيسى افترق أصحابه ثلاث فرق فقلت فرقة كان الله فينا ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية وقالت
 أخرى : كان فينا ابن الله ثم رفعه إليه وهم النسطورية ، وقالت أخرى : كان فينا عبد الله ورسوله ثم رفعه الله إليه وهذه
 الفرقة هم المسلمون فظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوه فلم يزل الإسلام منظمسا إلى أن بعث محمد (قوله يعملونهم
 بالحجة) أى يغابونهم بالأدلة (١٤٨) (قوله إلى يوم القيامة) أى طائفة بعد طائفة (قوله ثم إلى مرجعكم) خطاب

جميع الخلوقات (قوله فأما
 الذين كفروا) تفصيل
 لما يؤول أمر الناس إليه
 في الآخرة (قوله بالقتل
 والسبي) أى مع القتل
 والهوان (قوله مانعين
 منه) أى من العذاب
 (قوله بالياء والنون) أى
 فهما قراءتان سبعيتان
 (قوله فتعلقت به أمه)
 اعلم أنه بعد رفعه بسبعة
 أيام قال الله له اهبط إلى

قابضك (وَرَأْفِعُكَ إِلَى) من الدنيا من غير موت (وَمُطَهِّرُكَ) مبعذك (مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ) صدقوا بنبوتهك من المسلمين والنصارى (فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بك
 وهم اليهود يعملونهم بالحجة والسيف (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى عَرْجُوكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
 فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين (فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي
 الدُّنْيَا) بالقتل والسبي والجزية (وَالْآخِرَةِ) بالنار (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين منه (وَأَمَّا
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ) بالياء والنون (أُجْرَهُمْ) وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ
 أى يعاقبهم . روى أن الله أرسل إليه سحابة فرمته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها إن القيامة
 تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين
 وروى الشيخان حديث إنه ينزل قرب الساعة ،

وبمحكم

مریم فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها

ثم لتجمعن الحواريين فيهم في الأرض دعاة إلى الله فأهبطه الله عز وجل فاجتمعت له الحواريون فيهم في الأرض فلما أصبح
 الحواريون تكلم كل واحد منهم بلفظة من أرسله عيسى إليه إذا علمت ذلك فقله تعلقت به أمه محمول على هذا الصعود الثاني
 وإلا فالأول لم تعلم به هي ولا أصحابه (قوله وبكت) أى على فراقه (قوله وكان ذلك ليلة القدر) . إن قلت إن ليلة القدر من
 خصائص هذه الأمة . أجب بأن الذي من خصائص هذه الأمة فضلها من كونها خيرا من ألف شهر وكونها تنزل فيها الملائكة
 من الغروب إلى طلوع الفجر وكون الدعاء فيها مجابا بعين المطلوب فلا ينافي ثبوتها في الأمم السابقة لكن لا بهذا الفضل (قوله وله
 ثلاث وثلاثون سنة) أى وعليه فقيل جاءته النبوة من حين الولادة ، وقيل على رأس الثلاثين وبعد هذا لما قاله المفسر ضعيف
 رجع عنه كما قاله سيدي محمد الزرقاني في شرح الواهب ، والحق الذي اعتمده الأشياخ أنه مازع إلا بعد مائة وعشرين
 سنة وجاءته النبوة على رأس الأربعين كغيره ، وعمر أمه حين رفع على الأول ست وأربعون سنة وعاشت بعده ست سنين
 فيكون عمرها اثنين وخمسين وعلى الثاني مائة وتسعة وثلاثين . واعلم أنه لما رفع كساه الله خلع النور وسلبه شهوة الطعام
 والشراب والنوم وجعل له ريشا يطير به كالملائكة فهو في حكمهم (قوله أنه ينزل) أى على منارة بنو أمية حين يضابق الدجال المهدي
 والحق جميعا فيهرعون إلى دمشق الشام وهو محتاط بهم فينزل عند إقامة الصلاة فيريد المهدي التأخير في أمره عيسى بالتقدم فيبعد
 الصلاة بتوجهون إلى الدجال وهو بلفظة فاذا رأى عيسى ذاب كالمح فيهرمه الله ثم يظهر العدل والصلاح في الأرض .

(قوله ويحكم بشرية نبينا) إن قالت إن وضع الجزية ليس من شرع نبينا . أجب بأنه منه غير أن أخذها مغيا بنزول عيسى كما أخبر بذلك نبينا فوضعها أيضا من شرعنا (قوله سبع سنين) أى فوق الثلاث والثلاثين وهو ضعيف (قوله أربعين سنة) قيل من ولادته فيكون مكثه بعد النزول سبع سنين كالرواية الأولى ، وقيل مبدأ الأربعين من نزوله وعلى كونها من نزوله فعلى كونه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين يكون عمره ثلاثا وسبعين سنة ، وعلى أنه رفع وهو ابن مائة وعشرين فيكون عمره مائة وستين (قوله ويصلى عليه) أى يصلى عليه المسلمون ويدفن في السهوة الشريفة فإذا جاء يوم القيامة قام أبو بكر وعمر بين رسولين سيدنا محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام (قوله ذلك) اسم الإشارة عائد على ما تقدم من محائب عيسى وأفرد باعتبار ما ذكر كما أشار لذلك المفسر (قوله وعامله ما في ذلك الخ) لأنه مضمن معنى أشير . واعترض ذلك بأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها وصاحبها هو الهاء في تتلوه فالعامل فيه هو تتلوه ، قال بعضهم معتذرا عن المفسر بأنه خلط إعرابا بآخر . وحاصل ذلك أن قوله ذلك مبتدأ وقوله تتلوه خبره ، وقوله من الآيات حال من الهاء وعامله هو تتلوه من الآيات خبره وتتلوه حال وعاملها ما في ذلك من معنى الإشارة وهذا هو الذى يشير به المفسر على قول بعضهم (قوله والد كالحكيم) عطف على الآيات للتفسير (قوله إن مثل عيسى) سبب نزولها أن وفد نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له (١٤٩) تراك تسب صاحبنا ، فقال من

هو ؟ قالوا عيسى تزعم أنه عبدالله ، فقال رسول الله أجل إنه عبدالله ورسوله فقالوا هل له مثل من الخاق خاق من غير أب فنزات الآية (قوله الغريب) أى وهو عيسى ، وقوله بالأغرب : أى وهو آدم وأغرب يقته من وجوه منها أنه لم يسبق له مثال أصلا ومنها وجود الأم لعيسى دون آدم . إن قالت وجه الشبه بينهما ليس بتمام . أجب بأنه يكفى وجه واحد وهو عدم الأبوة لكل

ويحكم بشرية نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ، وفي حديث مسلم إنه يمكث سبع سنين ، وفي حديث عند أبي داود الطيالسي أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده (ذلك) المذكور من أمر عيسى (تتلوه) قصه (عليك) يا محمد (من الآيات) حال من الهاء في تتلوه وعامله ما في ذلك من معنى الإشارة (والذكر الحكيم) الحكم أى القرآن (إن مثل عيسى) شأنه الغريب (عند الله كمثل آدم) كشأنه في خلقه من غير أب وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس (خلقه) أى آدم ، أى قاله (من تراب ثم قال له كن) بشرا (فيكون) أى فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب ، فكان (الحق من ربك) خبر لمبتدأ محذوف أى أمر عيسى (فلا تكن من المتترين) الشاكن فيه (فمن حاجك) جادل من النصارى (فيه من بعد ما جاءك من العلم) بأمره (فقل) لهم (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفسكم) فنجعهم ،

(قوله خلقه من تراب) جملة مفسرة لما قبلها لاجل لها من الاعراب (قوله أى قاله) بفتح اللام وهو الجسم ، وأما الروح فمن نور نبينا صلى الله عليه وسلم ، وإنما حمل الخلق على القالب لاعلى صورة الجسم الشاملة للروح نظرا لقوله - ثم قال له كن - الخ وإلا لكان ضائعا (قوله وكذلك عيسى الخ) أشار بذلك إلى وجه الشبه بينهما ، واتفق أن علما أسرفى بلاد الروم فوجدهم يعبدون عيسى ، فقال لهم لم تعبدون عيسى ؟ فقالوا لأنه لأب له فقال لهم آدم أولى لأنه معدوم الأبوين فقالوا له آدم وإن كان بلا أب إلا لأنه لا ينجي الموتى ، فقال لهم إذا كان كذلك فزقيل أولى لأنه أحيى ثمانية آلاف وقيل أكثر بدعونه وعيسى أحيى أربعة أنفار ، فقالوا إن عيسى يرى الأكله والأبرص ، فقال جرجيس أحرق وطبخ ولم يضره الحرق ولا الطبخ (قوله أى أمر عيسى) أى الذى قصه الله في كتابه (قوله فلا تكن من المتترين) خطاب له والمراد أمته على حد - إثن أشركت ليعبطن عملك - لأنه معصوم من الامتراء والشرك وكل كبيرة وصغيرة (قوله من النصارى) أى نصارى نجران أو غيرهم (قوله بأمره) أى أنه عبد الله ولم يكن ابنه (قوله تعالوا) أصله تعالوا تحركت الياء وانفتح قلبها قلبت ألفا فالتقى سا كثنان الألف والواو وحذفت الألف لالتقائهما وهو فعل أمر على الصحيح مبنى على حذف النون والواو فاعل وهو مفتوح اللام دائما لذكر أو مؤنث (قوله أبناءنا وأبناءكم) أى المذكور ، وقوله ونساءنا ونساءكم : أى الإناث منهم والحكمة في حضور الأولاد زيادة التغليظ في الميعين

وفاكيد لمزيد صدقه وكذبهم ولما كانت المباهلة أمرا عظيما لم تفرع بعد النبي إلا في الأمان بين الزوجين (قوله ثم نبتهل) الابتهال من البهلة بفتح الباء وضمها هي اللعنة في الأصل ثم استعمل في كل دعاء مجتهد فيه وإن لم يكن التعانا (قوله لذلك) أي للتضرع والدعاء (قوله فقتل ذوو رأيهم) أي فرجعوا إليهم وشاوروهم فقال الخ (قوله لقد عرقت نبوته) أي نبوة محمد ، وقوله ما باهل : أي نازع (قوله فوادعوا الرجل) أي صالحوه على مال يأخذه منكم (قوله وقد خرج) الجملة حالية (قوله وصالحوه على اجزية) ورد أنها الفاحلة نصفها في صفرو نصفها في رجب وثلاثون درعا وثلاثون بعبرا وثلاثون فرسا وثلاثون من كل صنف من أصناف السلاح وقد ثبتت هذه الرواية في بعض نسخ الجلال القديمة (قوله وعن ابن عباس الخ) أي وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تولى على أهل نجران ولولا عناؤنا لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم عليهم الوادي نارا ولم يبق نصراني على وجه الأرض إلى يوم القيامة » (قوله إن هذا هو القصص الحق) هذا نتيجة ما قبله واسم الإشارة عائذ على ما ذكر من أمر عيسى وأنه ليس ابن الله وأكده الجملة بأن واللام وكونها معرفة الطرفين لشدة إنكارهم (قوله زائدة) أي وإله مبدأ والله خبره وهو قصر لإفراد (قوله) (١٥٠) وفيه وضع الظاهر الخ (أي زيادة في التبكيت عليهم (قوله قل يا أهل الكتاب

(ثُمَّ نَبْتَهْلُ) تتضرع في الدعاء (فَتَجْمَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) بأن تقول : اللهم المن الكاذب في شأن عيسى ، وقد دعا صلى الله عليه وسلم وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه فقالوا حتى ننظر في أمرنا ثم تأتيت فقال ذوو رأيهم لقد عرقت نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم إذا دعوت فأتونا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواء أبو نعيم ، وعن ابن عباس قال : لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا : أهلا وروى لو خرجوا لاحترقوا (إِنَّ هَذَا) المذكور (لَهُوَ الْقَصَصُ) الخبر (الْحَقُّ) الذي لا شك فيه (وَمَا مِنْ) زائدة (إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الإيمان (فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) اليهود والنصارى (تَمَآلَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ) مصدر بمعنى مستو أمرها (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) هي (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ) (وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا) (وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (كما اتخذتم الأثبار والرهبان) (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن التوحيد (فَقُولُوا) أتم لهم ،

سبب نزولها أن نصارى نجران اختصموا مع اليهود في شأن إبراهيم فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وزعمت اليهود أنه كان يهوديا وهم على دينه فقدموا متحاكين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين كاذب فقات النصارى ما تريد إلا أن تتخذك معبودا كما اتخذت لليهود العزيز ربا وقالت اليهود ما تريد إلا أن تتخذك معبودا كما اتخذت النصارى عيسى رباً فبرزت

(قوله إلى كلمة) متعلق بتعالوا وذ كره المتعلق هنا لأن المقصود الاجتماع على هذه

الكلمة بخلاف التي قبها فإن المقصود منها مجرد الإقبال أو حذفه من الأول وتقديره إلى المباهلة لدلالة الثاني عليه (قوله أن لا نعبد إلا الله) هذه الجملة في محل رفع خبر لحذف قدره المفسر بقوله هي وإنما أطاق عليها كلمة مع أنها حمل لارتباط بعضها ببعض . قال ابن مالك * وكلمة بها كلام قد يؤتم * نظير قوله تعالى - كلا إنها كلمة هو قائلها - (قوله كما اتخذتم الأثبار) أي وهم علماء اليهود والرهبان عباد النصارى واتخذهم أربابا من حيث إنهم ينسبون التحليل والتحرير والإقالة من الذنوب لهم ولا يتبعون ما أنزل الله بل المدارعندهم على ما حلتهم الأثبار والرهبان أو حرموه . وهذه الآية وإن كانت خطابا لليهود والنصارى إلا أنها تجر بذيلها على من يشرك بالله غيره من المسلمين كضعفاء الإيمان الذين يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون وينفعون بذواتهم ويحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله ومع ذلك يتحدثون بدعا عظيمة ما أنزل الله بها من سلطان ويحملون تلك البدع طرقاتها ولا الأولياء وزعمون أنها منجية وإن كانت مخالفة للشرع ويحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأناسم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (قوله أعرضوا عن التوحيد) أي ولم يمشوا أمره واتبعوا أخبارهم ورهبانهم فيما يأمرهم به .

(اشهدوا)

(قوله انشهدوا بأننا مسلمون) أى منقادون لله وبرثون منكم ومن عقائدكم (قوله ونزل لما قال اليهود الخ) أى ونحاكوا عند النبي صلى الله عليه وسلم ليفصل بينهما (قوله وقالت النصارى كذلك) أى هو نصرانى ونحن على دينه (قوله يا أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (قوله لم تحاجون) أى يحاجج بضعكم بعضا والاستفهام توبيخى إنكارى (قوله فى إبراهيم) أى فى دينه فهو على حذف مضاف وإليه يشير المفسر بقوله بزعمكم أنه على دينكم (قوله بزمان طويل) أى فكان بين التوراة وإبراهيم ألف سنة و بينه وبين الانجيل ألفا سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة (قوله وبعد نزولهما الخ) بهذا التقدير تمت الحجة عليهم فالمنع أن المانع من كونهم على دين إبراهيم تغييرم وتبدياهم وإلا فلو تمسكوا بالتوراة والانجيل حقيقة لما اختلفوا ولكانوا على دين إبراهيم (قوله حدثت اليهودية والنصرانية) أى اللتان ابتدعوها حيث غيرا التوراة ومموها اليهودية وغيروا الانجيل ومموها النصرانية (قوله أفلا تعقلون) أى أغفلتم عما زعمتم فلا تعاقون ما تقولونه (قوله ها أتمم) يقرأ إما بألف وبعدها همزة إما محققة أو مسهلة أو بدون ألف والهمزة إما محققة أو مسهلة أو بألف فقط بدون همزة أصلا فالقرءات خمس وكلها سبعة (قوله من أمر موسى وعيسى) أى الذى نطقت به (١٥١) التوراة والانجيل من أنهما عبدان

ورسلان لله يأمران بعبادة الله وحده ولا يشركان به غيره (قوله من شأن إبراهيم) أى لكونه لم يذكر فى كتبكم ما كان إبراهيم عليه فكيف تدعون أنكم على دينه مع جهلكم به (قوله إلى الدين القيم) أى السقيم الذى لا عوجاج فيه (قوله موحدا) أى منقادا ممتثلا أوامر ربه مجتنبانواهيه (قوله وما كان من الشرىكين) أى معه غيره (قوله للذين اتبعوه) زبدت اللام للتقوية وهى

(أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) مَوْحِدُونَ . وَنَزَلَ لَمَّا قَالَ الْيَهُودُ : إِبْرَاهِيمُ يَهُودِي وَنَحْنُ عَلَى دِينِهِ وَقَالَ النَّصَارَى كَذَلِكَ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ) تَحَاصِمُونَ (فِي إِبْرَاهِيمَ) زَعَمَكُمْ أَنَّهُ عَلَى دِينِكُمْ (وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ) بَزَمَن طَوِيلٍ وَبَعْدَ نَزُولِهَا حَدَّثَتِ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بَطْلَانُ قَوْلِكُمْ (هَا) لِلتَّنْبِيهِ (أَنْتُمْ) مُبْتَدَأٌ ، (يَا هَؤُلَاءِ) وَالْخَبَرُ (حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهٍ عِلْمٌ) مِنْ أَمْرِ مُوسَى وَعِيسَى وَزَعَمَكُمْ أَنْكُمْ عَلَى دِينِهِمَا (قَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهٍ عِلْمٌ) مِنْ شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) شَأْنَهُ (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قَالَ تَعَالَى تَبَرُّؤُهُ لِإِبْرَاهِيمَ (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا) مَثَلًا عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى الدِّينِ الْقِيمِ (مُسْلِمًا) مُوَحِّدًا (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ أَحَقُّهُمْ) بِإِبْرَاهِيمَ (لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) فِي زَمَانِهِ (وَهَذَا النَّبِيُّ) مُحَمَّدٌ لِمُوَافَقَتِهِ لَهُ فِي أَكْثَرِ شَرْعِهِ (وَالَّذِينَ آمَنُوا) مَنْ أُمَّتُهُ فَهَمُ الَّذِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولُوا نَحْنُ عَلَى دِينِهِ لَا أَنْتُمْ (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) نَاصِرُهُمْ وَحَافِظُهُمْ . وَنَزَلَ لَمَّا دَعَا الْيَهُودَ مَعَاذًا وَحَذِيفَةً وَعِمَارًا إِلَى دِينِهِمْ (وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) لِأَنَّ إِيْمَ اضْلَالِهِمْ عَلَيْهِمْ . وَالْمُؤْمِنُونَ لَا يُطِيعُونَهُمْ فِيهِ (وَمَا يَشْعُرُونَ) بِذَلِكَ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ،

لام الابتداء زحلت للخبر كما قال فى الخلاصة : وبعد ذات الكسر تصحب الخبر لام ابتداء نحو إلى لوزر (قوله فى زمانه) أى وهم أولاده كإسماعيل واسحق ويعقوب وأولادهم إلى يوم القيامة قال تعالى ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب الآية (قوله لموافقته له فى أكثر شرعه) أى فعقائد محمد التى هو عليها لا تخالف ما قصه الله فى كتابه عن إبراهيم إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول لموافقته له فى الأصول أو يقال إن الموافقة فى الفروع من حيث السهولة فإن شريعة محمد سهلة نهلة كشريعة إبراهيم لا كشريعة موسى فإنها صعبة التكاليف بسبب عناد بنى إسرائيل وهذا هو عمل المفسر (قوله من أمته) أى ثمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ناصرم) أى على أعدائهم وقوله وحافظهم أى واقبهم من أعدائهم (قوله ودت) أى أحبت ولو مصدرية والمعنى أحبت جماعة من اليهود والنصارى لإضلالكم أى رجوعكم عن الاسلام إلى الكفر وكانوا يهوددون إليهم بالهدايا (قوله لأن إثم اضلالهم عليهم) أى لأن الدال على الشر كفاعله ، ويؤخذ من ذلك أن المقوى لشوكة الكفر بالشبه الباطلة والحجج العاطلة عليه إثم كفره وإثم كفره من تبعه إلى يوم القيامة (قوله بذلك) أى بكون إثم الضلال لا احتاجهم مساواة قلوبهم فلم يعرفوا أنهم لا يضمنون ، الا أنفسهم .

(قوله القرآن المشتمل على نعت محمد) أى وقيل هى الشورى والانجيل فانهما مشتملان على نعتيه أيضاً قال تعالى - الذين يبعثون الرسول النبي لأمة الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل الآية (قوله تعلمون أنه حق) أى من التوراة والانجيل (قوله الحق) أى وهو نعت محمد وأصحابه المذكور فى التوراة والانجيل وقوله بالباطل أى وهو التغير لتلك النعوت (قوله بالتحريف والتزوير) أى الكذب فى تلك الصفات (قوله أنه حق) أى أنه نبي حقاً وما جاء به من عند ربه حق (قوله وقالت طائفة) شروع فى بيان تلبسات اليهود، ورد أنه اجتمع اثنا عشر من أحبار خبير وأجمع رأيهم على أنهم يظهرون الاسلام فى أول النهار وفى آخره يرجعون لدينهم ويأمرون الناس بذلك وقصدهم بذلك دخول الشك على من آمن به صلى الله عليه وسلم فلما أجمعوا وصمموا على ذلك جعل الله كيدهم فى نحورهم ولم يفعلوا شيئاً من ذلك ولو فعلوه لعاد شؤمه عليهم وقتلوا إن لم يتوبوا لأن الرد لا يبق على رده لمن نكث فأنما ينكث على نفسه (قوله آمنوا) أى صدقوا طاهراً بالاسان (قوله أى القرآن) هذا هو المشهور فى تفسير الآية وقيل الذى أنزل على الدين آمنوا هو القبلة حين أمر النبي بالتحويل للكعبة ثانياً بعد استقباله بيت المقدس فينشد حصل لليهود غيظ وحزن عظيم فأجمع رأيهم على موافقة المؤمنين أول النهار ومخالفتهم آخره لعله يحصل الشك لأصحابه فيرجعوا عن دينهم (قوله أوله) أشار بذلك (١٥٣) إلى أن وجه النهار ظرف زمان لقوله آمنوا (قوله لعلمهم يرجعون) علة لقوله آمنوا بالذى

القرآن المشتمل على نعت محمد (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) تعلمون أنه حق (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ) تخططون (الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) بالتحريف والتزوير (وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ) أى نعت النبي (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه حق (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) اليهود لبعضهم (آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا) أى القرآن (وَجَهَ النَّهَارِ) أوله (وَأَكْفُرُوا) به (آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ) أى المؤمنين (يَرْجِعُونَ) عن دينهم إذ يقولون مارجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه، وقالوا أيضاً (وَلَا تُؤْمِنُوا) تصدقوا (إِلَّا بِإِنْ) اللام زائدة (تَبِعَ) وافق (دِينَكُمْ) قال تعالى (قُلْ) لهم يا محمد (إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) الذى هو الإسلام وما عداه ضلال والجملة اعتراض (أَنْ) أى بأن (يُرْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ) من الكتاب والحكمة والفضائل وأن مفعول تؤمنوا والمستثنى منه أحد قدم عليه المستثنى، والمعنى لا تقروا بأن أحداً يؤتى ذلك إلا لمن تبع دينكم (أَوْ) بأن (يُحَاجُّوكُمْ) أى المؤمنون يغلبوكم (عِنْدَ رَبِّكُمْ) يوم القيامة لأنكم أصبح ديناً،

علة لقوله آمنوا بالذى أنزل الخ (قوله إذ يقولون) علة لآلة (قوله ولا تؤمنوا) هذا من جملة تلبساتهم وحاصل إعراب هذه الآية أن يقال لانهية وتؤمنوا مجزوم بها وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وقوله أن يؤتى أن حرف مصدرى ونصب ويؤتى منصوب بها وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وهو فى تأويل مصادر

معمول لقوله ولا تؤمنوا وأحد نائب فاعل يؤتى وهو مفعول أول ومثل مفعول ثان وقوله إلا أداة وفى

استثناء ولما اللام زائدة ومن منصوب على الاستثناء والمستثنى منه قوله أحد وما اسم موصول وأوتيتم صلتها والعائد محذوف والمعنى لا تصدقوا إتيان أحد من الفضائل والكمالات مثل الذى أوتيتموه إلا لمن تبع دينكم وأما من لم يتبعه كمحمد فلا تصدقوه وهذا الوجه وإن كان صحيحاً من جهة المعنى إلا أنه مشكل من جهة الصناعة لأن فيه تقديم المستثنى على المستثنى منه ومعمول الصلة عليها (قوله والجملة اعتراض) أى بين العامل والمعمول (قوله وأن مفعول تؤمنوا) أى مع صلتها (قوله والمعنى لا تقروا الخ) إيضاحه أنهم قالوا انظروا فيمن ادعى شيئاً من النبوة والفضائل والكمالات فإن كان متبعاً لدينكم فصدقوه وإلا فكذبوه وللناسب للمفسر أن يقول والمعنى لا تصدقوا الخ. وحاصل هذا المعنى الذى أشار له المفسر أنه ضمن تؤمنوا معنى تقروا لتكون اللام أصلية والمستثنى منه محذوف تقديره لأحد والمعنى لا تقروا ولا تعترفوا لأحد بأنه يؤتى أحد مثل الذى أوتيتموه من الفضائل والكمالات إلا لشخص تبع دينكم وهذا كله كناية عن نفي النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم وهذا المعنى صحيح من جهة العربية والمعنى المفسر من شدة اختصاره خاطئ هذا التقرير بالتقرير المتقدم وقد علمت هذا (قوله أو يحاجوكم) معطوف على يؤتى والضمير عائد على أحد المتعذر من إنا جمعه لأن أحداً فى معنى الجمع والمعنى على الأول لا تصدقوا أن أحداً يحاجبكم ويتلبس بكم يوم القيامة إلا لمن تبع دينكم وأما من لم يتبعه فلا حجة له عليكم وعلى الثانى لا تقروا بأن أحداً يغلبكم ويحاجبكم عند ربكم إلا لمن تبع دينكم وما غيره فلا تقروا ولا تعترفوا له بذلك

(قوله وفي قراءة أن) وهي سبعة لابن كثير لكن بتسهيل الثانية (قوله بهمة التوبيخ) الاستفهام التوبيخي والكلام قدّم قبل الاستفهام والمستثنى منه محذوف على كلا التقديرين المتقدمين والمعنى لا تصدقوا أحدا في دعواه النبوة والفضائل إلا من مبع دينكم أو لا تقروا لأحد من الناس أنه على هدى وغير إلا من تبسح دينكم وقوله - قل إن الهدى هدى الله - رد لمقاتلهم وجملة الاستفهام استثنائية فالمعنى أيؤتى أحد مثل الذي أوتيتهموه أو يكون له محاجة عند ربكم وجوابه لا يكون ذلك وهو استبعاد منهم لفضل الله (قوله أي أيتاء أحد الخ) أشار بذلك إلى أن قوله أن يؤتى أحد مثل ما آتاهم من الفضل والنبوة تقرون به (قوله قل إن الفضل بيد الله) رد عليهم حيث استبعدوا أن الله لا يؤتى أحدا مثل ما آتاهم من الفضل والنبوة وفي الحقيقة هو رد لدعوائهم من أولها إلى آخرها (قوله والله ذو الفضل العظيم) أي فيعطيه لمن يشاء (قوله ومن أهل الكتاب) شروع في بيان قبائحهم في أمور الدنيا بعد أن ذكر قبائحهم في أمور الدين والجار والمجرور خبر مقدم ومن اسم موصول أو نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر وقوله إن تأمنه ويؤده جملة شرطية إما صلة أو صفة وراعى في أفراد الضمير في تأمنه لفظ من ولوراعى معناها لقال تأمنهم (قوله أي بمال كثير) أشار بذلك إلى بيان شأن هذا المؤمن وإن كان سبب النزول في قنطار حقيقة فالمقصود بيان شرفه من جهة الأمانة فلا (١٥٣) مفهوم للقنطار بل لو اتخمن على قناطير متعددة لم يتخنه

فيها (قوله يؤده) يقرأ بالسكون وبالكسر مع الاشتباع وتركه فهي ثلاث سببيات (قوله أودعه) رجل) أي قرشى (قوله بدينار) أصله دنتار بنونين قلبت الأولى ياء دنا للثقل والباء في قوله بدينار وبقنطار بمعنى في وهو على حذف مضاف أي في حفظ قنطار وفي حفظ دينار ويصح أن تكون بمعنى على

وفي قراءة أن بهمة التوبيخ أي أيتاء أحد مثله تقرون به قال تعالى (قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) كثير الفضل (عَلِيمٌ) بمن هو أهله (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ) أي بمال كثير (يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية ذهباً فأداها إليه (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) لخياته (إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) لا تفارقه فتى فارقه أنكره ككعب بن الأشرف استودعه قرشى ديناراً فجحده (ذَلِكَ) أي ترك الأداء (بِأَنَّهُمْ قَالُوا) أي بسبب قولهم (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّانِ) أي العرب (سَبِيلٌ) أي إنهم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه تعالى، قال تعالى (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) في نسبة ذلك إليه (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون (بَلَى) عليهم فيهم سبيل (مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ) الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه،

لتعدى الأمانة بها في القرآن كثيرا نحو لا تأمنا على يوسف، هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل. والدينار أربعة وعشرون قيراطا والقيراط وزنه ثلاث شعيرات فوزن الدينار بالشعير اثنان وسبعون شعيرة (قوله إلا مادمت عليه قائما) مامصدرية ظرفية ودام فعل ماض والتاء اسمها وقائما خبرها والتقدير إلا مدة دوامك قائما عليه والمعنى لا يؤده إليك في حال من الأحوال إلا في حال ملازمتك له وإشهادك عليه (قوله فجحده) أي أنكره (قوله أي بسبب قولهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء (قوله أي العرب) أي وغيرهم ممن ليس من أهل كتابهم (قوله لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم الخ) روى أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وجميع مافي الأرض ملك لأبنائنا وأولاد السيد يتصرفون في ملك أبيهم وقيل إنهم قالوا المال لنا وظلمنا فيه العرب وقيل إنهم قالوا إن الله أباح لنا مال من خالف ديننا وادعوا أن ذلك في التوراة. ورد أن النبي لما قالوا ذلك قال كذبوا مامن شيء إلا وهو تحت قدمي يعني منسوخ ماعدا الأمانة فانها مؤداة للبر والفاجر (قوله وهم يعلمون) هذا بالنسبة لعلمائهم وما عداهم مقلدون لهم في ذلك (قوله بلى) إضراب إبطالي وهو مغن عن جملة قدرها المفسر بقوله عليهم سبيل (قوله من أوفى بعهده) جملة مستأنفة مؤكدة للإبطال الأول (قوله الذي عاهد الله عليه) أي فهو من إضافة المصدر لفاعله وقوله أو بعهد الله إليه أي فهو من إضافة المصدر لفعوله فكل من العبد والمولى معايد ومعاهد فعهد الله للعبد إثابته وعهد العبد لمولاه ندم مخالفته له [٢٠ - صاوى - أول]

(قوله من أداء الأمانة الخ) ورد في الحديث «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه واحدة منهم كان فيه خسة من النفاق حتى يدها : إذا ائتمن خان وإذا عهد أخلف وإذا عهد غدر وإذا خاصم فجر (قوله فيه وضع الظاهر موضع الضمر) أي وكان مقتضى الظاهر أن يقول فإن الله يحبه وفيه أيضا مراعاة معنى من (قوله لما بدلوا الخ) شروع في سبب نزول الآية وقد ذكره على ثلاثة أوجه (قوله نفت النبي) من الجماعة الذين بدلوا نعتهم حي بن أخطب وكعب بن الأشرف (قوله في دعوى) أي كانت بين رجلين في أمر أحدهما الأشعث بن قيس فاختصا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال شاهدك أو يمينه فقال الأشعث بن قيس إذا يحلف كاذبا ولا يبالي وقوله أو يبيع سلعة أي فيمن أراد بيعها وحلف لقد أعطى فيها كذا كاذبا (قوله بعهد الله) الباء داخلة على المفعول أي يتركون الوفاء به في نظير الثمن القليل (قوله أولئك لا خلاق لهم) أي فهم مخدوفون في النار إن استعملوا ذلك (قوله ولا يكلمهم الله) إن قلت إن قوله تعالى في سورة المؤمنون قال - اخسئوا فيها ولا تكلمون - الآية يقتضي أن الله يقع منه كلام لهم فكيف الجمع بين الاثنين . أجيب - بأن قوله تعالى - ولا يكلمهم الله أي كلام رضافلا ينافي أنه يكلمهم كلام غضب ولا يكلمهم أصلا وآيات الكلام على لسان (١٥٤) اللاتكة وشهد لذلك قوله تعالى - نادوا يا مالك ليقض علينا ربك - (قوله

ولا ينظر إليهم) أي نظر رحمة وإلا فهو ناظر لكل شيء (قوله يطهرهم) أي من الذنوب ولا يفتي عليهم وهذا استخفاف بهم (قوله وإن منهم لفرقة) هذا من جملة قبائحهم وتليساتهم وأكدت الجملة بأن واللام إشارة إلى أن ذلك محقق منهم (قوله ككعب بن الأشرف) أدخلت الكاف مالك بن الصيف وحي بن أخطب وأبي بن ياسر وشعبة ابن عمرو الساهي (قوله يلعون ألسنتهم) في محل نصب صفة لفرقة وقوله

من أداء الأمانة وغيره (وَأَتَى) الله بترك المعاصي وعمل الطاعات (فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فيه وضع الظاهر موضع الضمر أي يحبهم بمعنى يثيبهم . ونزل في اليهود لما بدلوا نعت النبي وعهد الله إليهم في التوراة أو فيمن حلف كاذبا في دعوى أو في بيع سلعة (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ) يستبدلون (بِعَهْدِ اللَّهِ) إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة (وَأَيْمَانِهِمْ) حلفهم به تعالى كاذبين (تَمَنَّا قَلِيلًا) من الدنيا (أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ) نصيب (لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ) غضبا عليهم (وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) بهم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ) يطهرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَإِنْ مِنْهُمْ) أي أهل الكتاب (لَفَرِيقٌ) طائفة ككعب بن الأشرف (يَلْعُونُ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ) أي يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ونحوه (لِتَحْسَبُوهُ) أي المحرف (مِنَ الْكِتَابِ) الذي أنزله الله (وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون . ونزل لما قال نصارى نجران : إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً ، أو لما طلب بعض المسلمين السجود له صلى الله عليه وسلم : (مَا كَانَ) ينبغى (لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ) أي الفهم للشريعة (وَالنَّبُوَّةَ ،

منهم متعلق بمحذوف خبر إن وراعى في الجمع معنى فريقا لأنه اسم جمع كرهط وقوم قال بعضهم يجوز ثم مراعاة اللفظ، وألسنتهم جمع لسان وهذا على أنه مذكروا أما على أنه مؤنث فهو جمع لألسن كذراع وأذرع والمراد من الألسنة الكلام ففيه إطلاق الشيء على آتسه والباء في بالكتاب بمعنى في أي يلقنون ألسنتهم في حال قراءة الكتاب (قوله أي يعطفونها) أي يلقنونها (قوله عن المنزل) متعلق بيعطفونها وكذا قوله إلى ما حرفوه وقوله من نعت النبي بيان لما (قوله ونحوه) أي كناية الرجم وغيرها مما يشهد للنبي بالتصديق (قوله لتحسبوه) أي أيها المؤمنون فالمقصود من ذلك إدخال اللبس على المؤمنين (قوله من الكتاب) في محل نصب مفعول ثان لتحسبوه والهاء مفعول أول (قوله وما هو من الكتاب) أي لافي الواقع ولا في اعتقادهم وأظهر في محل الاضمار في الموضوعين زيادة في التبكيت عليهم (قوله وهم يعلمون) الواو للحال وقوله أنهم كاذبون إشارة إلى مفعول يعلمون (قوله ونزل لما قال نصارى نجران) أي حين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بالبشر على هذا هو عيسى وبالكتاب الانجيل وقوله أو لما طلب بعض المسلمين الخ أو لتنوع الخلاف فالمراد بالبشر على ذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم وبالكتاب القرآن وآخر الآية يؤيد هذا السبب (قوله ما كان الخ) هذه الصيغة يؤتى بها للنبي المأم الذي لا يجوز عقلا نبوته وهو المراد هنا

وكذلك قوله تعالى - ما كان لكم أن تنبتوا شجرها - أى لا يمكن ولا يتصور عقلا صدور دعوى الألوهية من نبي قط ويؤثر بها للنبي الخاص كقول أبي بكر ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم في الصلاة بين يدي رسول الله أى ما ينبغي له ذلك فقول المفسر ينبغي أى يمكن وقد فسره المحلى في سورة يس في قوله تعالى - لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر - بذلك (قوله ثم يقول) معطوف على يؤتى وهذا العطف لازم يتوقف صحة المعنى عليه لأن مصب النفي المعطوف والمعطوف عليه (قوله للناس) أى أمة محمد على الثاني ونصارى نجران على الأول (قوله من دون الله) أى من غير أن يقصرم على الله بأن يشرك نفسه مع الله في العبادة أو يفرد نفسه بالعبادة وهذه الجملة حال من الواو في كونوا : أى حال كونكم متجاوزين الله إشرافا أو إفرادا (قوله ولكن) استدراك على ما تقدم (قوله بزيادة ألف ونون) أى كقباتي وشعراني ولحياني وقوله نفخيا أى للبالغة (قوله بما كنتم) الباء سببية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان فالعلم سبب للعمل فقييح على العالم تركه العمل وأقبح منه أن يرشد الناس ويهديهم مع كونه غير مهتد في نفسه ، قال بعضهم : وعالم بعلمه لن يهمل معذب من قبل عباد الوثن فمثل العالم الذى يعلم الناس وهو غير عامل كشعلة موقودة نفضا للناس وتحرق نفسها ، وفي هذا المعنى قال بعضهم :

أنتهى الأناس ولا تنتهى
مضى تاحق القوم يا لك
ويا حجر السن ما تستحي
تسن الحديد ولا تقطع

(قوله أى الله) أشار بذلك إلى أن فاعل يأمر ضمير مستتر عائد على الله (قوله عطفًا على يقول) أى لأنه في حيز النفي ونكون لازمة لتأكيد النفي والمعنى لا يمكن لبشر أن يأمر بعبادة الناس له ولا بعبادة (١٥٥) ثلاثكة والنبين وقوله أى البشر

أى ففاعله ضمير يعود على البشر ولا يصح كون الفاعل ضميرا يعود على الله (قوله أربابا) أى بل نجهم ونعتقد أنهم عبيد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يضررون ولا

ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَآلِئِكَ (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) علماء عاملين منسوين إلى الرب بزيادة ألف ونون نفخيا (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) بالتخفيف والتشديد (الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) أى بسبب ذلك فإن فائدته أن تعملوا (وَلَا يَأْمُرُكُمْ) بالرفع استثناءً ، أى الله . والنصب عطفًا على يقول أى البشر (أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا) كما اتخذت الملائكة واليهود عزيزاً والنصارى عيسى (أَيَّامُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) لا ينبغي له هذا (وَ) اذكر (إِذْ) حين (أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ)

ينفخون فتتوسل بهم إلى الله لذلك لا لكونهم أربابا (قوله كما اتخذت الصابئة الخ) هم فرقة من اليهود صبارا بمعنى مالوا عن دين موسى إلى عبادة الملائكة وقالوا إنهم بنات الله (قوله واليهود عزيزا) أى حيث رأوه يحفظ التوراة (قوله والنصارى عيسى) أى حيث رأوه جاء من غير أب ويحيى المولى (قوله لا ينبغي له هذا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى تعجبي نظير قوله تعالى - كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم - (قوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) إذ ظرف لمحدوف قدره المفسر بقوله اذكر والمراد ذكر العهد نفسه لا ذكر وقته. والميثاق هو عهد مؤكد باليمين. واختلف فيه هل كان ذلك في عالم الذر وعليه يكون قوله آتيتكم من كتاب وحكمة في عالم الأشباح فالعاهدة لما يأتى أو كان ذلك في عالم الأشباح وكانت تلك المعاهدة تنزل في كتبهم وعليه تكون المعاهدة في الحالة الراهنة. واختلف في الرسول المعاهد عليه في جميع الأنبياء فذهب جماعة من الصحابة والتابعين منهم سعيد بن جبير وطاوس إلى أن كل نبي يعاهد على من يأتى بعده من الأنبياء فأخذ العهد على آدم إن جاءه رسول مصدق لماعه ليؤمنن به ولينصرنه وكذلك شيث أخذ عليه العهد وهكذا إلى إبراهيم إلى موسى إلى بقية أنبياء بنى إسرائيل إلى عيسى فهو صلى الله عليه وسلم معاهد عليه مع كل نبي في عموم الأنبياء ومع عيسى عهده عليه بالخصوص وهى حكمة قوله تعالى - ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد - وذهب جماعة أخرى من الصحابة منهم ابن عباس وعلى بن أبى طالب والسدى وقتادة إلى أن المراد بالرسول المعاهد عليه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأخذ الله العهد على كل نبي بافراده لئن جاءه محمد وهو مصدق لماعه ليؤمنن به ولينصرنه وعليه فلظهر محمد في زمن أى نبي من الأنبياء لبطل شرع ذلك النبي وكان هو وأمتة من أتباعه وقتصر على هذا القول المفسر . قال السبكي يؤخذ من الآية على هذا التفسير أنه نبي الأنبياء وأن الأنبياء تنوابة والحكمة في تلك المعاهدة ارتباط أولهم بآخرهم وبيان عصمتهم من داء الحسد وظهور الحسد من الأمم التى تكفر بالرسول المبعوث .

(قوله وتوكيد معنى القسم) أى مؤكدة لليقين المأخوذ من الميثاق فانه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد جمين (قوله متعلقة بأخذ) أى على أنها للتعليل مع حذف المضاف أى لرعاية وحفظ ما آتيتكم (قوله وما موصولة) على الوجهين وهى على الأول مبتدأ وآتيتكم صلتها وقوله من كتاب بيان لما وحكمة معطوف على كتاب وقوله ثم جاءكم معطوف على آتيتكم ومصدوقه لرسول وقوله لتؤمنن به جواب القسم وخبر المبتدأ محذوف تقديره تؤمنون به وتنصرونه والضميران فى لتؤمنن به وتنصرونه راجعان للرسول واستشكل عود الضمير على الرسول مع أن المبتدأ فى الحقيقة الكتاب والحكمة وانظر ما للجواب (قوله أقررتم) بتخفيف الهمزتين بألف بينهما وركها وتسهيل الثانية بألف وبدونها ، بادل الثانية ألفا فالقراءة خمس (قوله عهدى) سعى العهد بالإصر لأن فيه مشقة (قوله قالوا أقررنا) جواب عن سؤال تقديره ماذا قالوا حينئذ وثرة المعاهدة على محمد مع علم الله أنه لا يأتى فى زمن نبي من الأنبياء الثواب على العزم بالاتباع والعقاب على العزم بعدم الإيمان فجميع الأنبياء يثابون على الإيمان بمحمد ومن عزم على عدم الإيمان به لظاهر عوقب (قوله فمن تولى بعد ذلك) إن قلت إن الأنبياء معصومون من ذلك . أجب بأن الشرطية لاتقتضى الوقوع أو خطاب لهم والمراد أنهم (قوله أفغير دين الله يبغون) هذا رد على اليهود والنصارى حيث ادعى كل دين إبراهيم واختصموا إلى (١٥٦) النبي فقال النبي كلا الفريقين رى من دين إبراهيم، والهمزة داخله على

عهدهم (لما) بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذى فى أخذ الميثاق ، وكسرهما متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أى للذى (آتيتكم) إياه ، وفى قراءة آتيناكم (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم إن أدر كنتموه وأمهم تبع لهم فى ذلك (قال) تعالى لهم (أقررتم) بذلك (وأخذتم) قبليتم (على ذلكم إصرى) عهدى (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) على أنفسكم وأتباعكم بذلك (وأنا معكم من الشاهدين) عليكم وعليهم (فمن تولى) أعرض (بعد ذلك) الميثاق (فأولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون) بالياء أى المتولون والتاء (وله أسلم) افتاد (من فى السموات والأرض طوعا) بلا إياه (وكرها) بالسيف ومعاينة ما ياجى إليه (وإليه ترجعون) بالتاء والياء والهمزة للانكار (قل) لهم يا محمد (آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) أولاده (وما أوتى موسى وعيسى والتبوتون من ربهم لا نفرك بين أحد منهم)

محذوف تقديره أمموا فغير دين الله يبغون (قوله وله أسلم) جملة حالية (قوله طوعا) راجع لجميع أهل السماء وبعض أهل الأرض وقوله وكرها راجع لبعض أهل الأرض فطوعا وكرها مصدران فى موضع الحال والتقدير طائعين وكرهين (قوله ومعاينة ما ياجى إليه) أى إلى الاسلام كنتنق الجبل وإدراك فرعون وقومه الفرق قال تعالى - فلما رأوا بأسنا قالوا

آمنا بالله وحده - الآية (قوله والهمزة لانكار) أى التوبيخى وقدم المفعول لأن المقصود إنكاره بالتصديق

(قوله قل آمنا) لما تقدم أن الله أمر الأنبياء بالإيمان بمحمد على أرجح التفسيرين ذكر هنا أمره بالإيمان وأفرد فى قوله قل وجمع فى قوله آمنا لأن النبي هو المخاطب بالوحي والتبايع فقط وأما الإيمان فمخاطب به هو وأتباعه (قوله بالله) أى صدقنا بأن الله متصف بكل كمال ومستحيل عليه كل نقص (قوله وما أنزل علينا) أى وهو القرآن وعبرنا بعلى وفى سورة البقرة بالى لأن مادة النزول تتعدى بهما غير أنه بالنظر للبعد يعدى بعلى كاهنا لأن المخاطب بذلك هو الوحي إليه وهو محمد والأنبياء بعدهه بالنظر للنهى كفى البقرة يعدى بالى لأن المأمور بذلك الأمم (قوله وما أنزل على إبراهيم) إفاصرح بأسماء هؤلاء لأن أهل الكتاب يعترفون بكتبهم ونبوتهم (قوله وإسماعيل الخ) أى وما أنزل على هؤلاء من الوحي وكانوا يتعبدون بشرع إبراهيم نوحى من الله، وإسماعيل أبو العرب وإسحاق أبو الهم ويعقوب بن إسحق والأسباط أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر رجلا يوسف وإخوته، ويؤخذ من الآية أنهم أنبياء يجب الإيمان بهم وهو المعتمد وما يأتى فى سورة يوسف من الوقائع العظيمة الموهمة عدم عصمتهم فمؤول بأنهم مأمورون بذلك باطنا من حضرة الله كأفعال الخضر عليه السلام قال تعالى فى حقه - وما فعلته عن أمري - ويقال فيهم ما قيل فيه بالأولى فان المعتمد أن الخضر ليس بنبي والأسباط أنبياء على المعتمد وموافقة ظاهر الشرع إنا نأتمز الرسول المشرع فتأمل (قوله أولاده) أى أولاد يعقوب فهم أسباط إبراهيم بمعنى أولاد بنيه لا باللفظ المصطلح عليه وهو أولاد البنت (قوله وما أوتى موسى وعيسى) أى التوراة والانجيل ومعجزاتهما (قوله والتبوتون) عطف عام على خاص

أى نحب الإيمان بالنبيين عموماً إجمالاً فى الإجمالى ونصلياً فى التمهيلي فيجب الإيمان تفصيلاً بخمسة وعشرين نبياً ثمانية عشر فى سورة الأنعام ومحمد وآدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذوالكفل من أنكر أى واحد منهم بعد علمه فقد كفر ويجب الإيمان الإجمالى بما عدا هؤلاء ولا يعلم عدتهم إلا الله (قوله بالتصديق والتكذيب) أى بالتصديق لبعض والتكذيب للبعض الآخر كما فعلت اليهود والنصارى (قوله مخلصون فى العبادة) أشار بذلك إلى أن المراد بالإسلام هنا حقيقة وهو الانقياد الظاهرى (قوله فيمن ارتد) أى وهم اثنا عشر أسلموا بالمدينة ولحقوا بأهل الكفر فى مكة منهم الحرث بن سويد الأنصارى ولكنه أسلم بعد ذلك (قوله ومن يتنغ غير الإسلام) اعلم أن جمهور السبعة على الفك لوجود الفاصل الحكيمى وهو الباء التى حذنها الجازم لأن المحذوف حلة كالثابت وقرأ أبو عمرو فى أحد وجهيه بالادغام نظراً للصورة الظاهرية ونظيره فى القرآن كل مثلين بينهما فاصل حكيمى فيه الوحمان نحو: يخل لكم وجه أيبكم، وإن يك كاذباً، ومن اسم شرط ويتنغ فله وغير مفعول ودينا تمييز لغير أوبدل منه أو مفعول وغير حال لأنه نعت نسكرة قتم عليها (قوله فلن يقبل منه) أى ولا يقتر عليه (قوله كيف) استفهام إنكارى بمعنى التنى كما يشير له المفسر بقوله أى لا يهدى وقيل إنه استبعادى أى فهداهم (١٥٧) مستبعد قال العارف البوصيرى :

وإذا الينبات لم تكن شينا
فالتماس الهدى بهن عناء
(قوله أى وشهادتهم)
أشار بذلك إلى أن الفعل
مؤول باسم لصحة عطفه
على الاسم لئلا هو الإيمان
(قوله والناس أجمعين)
أى حتى أهل النار فى
النار قال تعالى - كلما
دخلت أمة لعنت أختها -
(قوله أى اللعنة) أى
ومن لوازمها الخلود فى
النار وقوله المدلول بها
أى باللعنة وقوله عليها
أى على النار (قوله
إلا الذين تابوا) أى
الحرث بن سويد فإنه

بالتصديق والتكذيب (وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) مخلصون فى العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار (وَمَنْ يَتَنَغَّزْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) لمصيره إلى النار المؤبدة عليه (كَيْفَ) أى لا يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا) أى وشهادتهم (أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَ) قد (جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرات على صدق النبي (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أى الكافرين (أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا) أى اللعنة أو النار المدلول بها عليها (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ) يملون (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) علمهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بهم. ونزل فى اليهود (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعبسى (بعد إيمانهم) بموسى (ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا) بمحمد (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) إذا غرغروا وماتوا كفاراً (وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ) مقدار ما يملؤها (ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ) أدخل الفاء فى خبر إن شبه الذين بالشرط وإذا بالتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين منه (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ) أى ثوابه وهو الجنة (حَتَّى تَنْفِقُوا) تصدقوا (بِمَا تُحِبُّونَ) ،

لما ارتد وذهب لمسكة مع الكفار وأراد الله له بالهدى بعث لآخ له بالمدينة وكان مسلماً يقول له : أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى إذا ثبت هل أقبل ؟ فأخبر رسول الله بذلك فنزلت هذه الآية فبعثها له بمكة فأتى طائفاً وأسلم وحسن إسلامه. وهذا شروع فى تقسيم الكفار إلى ثلاثة أقسام : قسم منهم كفر ولم يعد ، وقسم كفر ثم عاد للإسلام ظاهراً فقط ، وقسم كفر ثم أسلم ظاهراً وباطناً (قوله من بعد ذلك) أى الكفر (قوله رحيم بهم) أى حيث قبل توبتهم (قوله بعبسى) أى والانجيل. قوله بموسى أى والتوراة وقوله بمحمد أى والقرآن (قوله إذا غرغروا) أشار بذلك إلى أن الآية مقيدة بذلك وهذا فى الكافر وأما العاصى فتقبل منه عند الغرغرة (قوله أوماتوا كفاراً) أى بأن تابوا عند معاينة العذاب (قوله ملء الأرض) أى مشرقها ومغربها (قوله ذهباً) تمييز وخصه بالذكور لأنه أحسن الأموال وأعلاها (قوله ولو افتدى به) أى هذا إذا صدق به بل ولو افتداه أهله به فالصدقة لاتنفعه منه أو من غيره لأجله (قوله لن تنالوا البر) لما ذكر أن صدقة الكافر لاتنفعه ذكر هنا أن صدقة المسلم وجميع طاعاته تنفعه (قوله أى ثوابه) أى البر أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف (قوله تصدقوا) بحذف إحدى التامين على التخفيف أو بدون حذف على التشديد بقاب إحدى التامين صاداً وإدغامها فى الصاد .

(قوله من أموالكم) أى وغيرها من الأنفس والجاه (قوله فإن الله به عليم) هذه الجملة فى محل الجواب أى فحيت كان عليا بذلك لا يضيع من جزائه شيء وقد أشار لذلك المفسر بقوله فيجازى عليه (قوله ونزل لما قال اليهود الخ) أى سب نزولها قول اليهود ما ذكر (قوله وكان لا يأكل لحوم الإبل) أى زعموا أن ما ذكر حرام على إبراهيم فلو كنت على ملته لما كان ذلك حلالا لك فرد الله عليهم زعمهم (قوله كل الطعام) أى الذى هو حلال فى شرعنا فما هو حلال فى شرعنا كان حلالا فى شرعه (قوله حلالا) أشار بذلك إلى أنه يقال حل وحلال وكذلك حرم وحرام (قوله إلا ما حرّم إسرائيل) معناه بالعريية عبد الله وهو اسمه ويعقوب لئيه (قوله عرق النسا) أى وهو عرق ينفر فى باطن الفخذ يعجز صاحبه وورد فى دوائه عن أنس « عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يؤتى بكبش عربى ويذبح ويؤخذ أليته وتقطع ثم تسلى بالنار ثم يؤخذ ذلك ويقسم ثلاثة أجزاء ويشرب كل جزء على الريق قل أنس فما زلت أصف ذلك لمن نزل به فشئ به أكثر من مائة » (قوله فنذر إن شئ لا يأكلها) أى وكان لهما أحب للمأكل إليه ولبنها أحب للمشروب إليه ومثل هذا النذر لا يلزم فى شرعنا لأن النذر إنما يلزم به مائب وترك ما ذكر ليس مندوبا (قوله فحرم عليه) (١٥٨) قيل حرمت أيضا على أولاده تبعاله وقيل هو حرّمها على نفسه

من أموالكم (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فيجازى عليه . ونزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا) حلالاً (لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ) يعقوب (عَلَى نَفْسِهِ) وهو الإبل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر إن شئ لا يأكلها فحرم عليه (مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ) وذلك بعد إبراهيم ولم تكن على عهده حراما كما زعموا (قُلْ) لهم (فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتْلُوهَا) ليتبين صدق قولكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه فبهتوا ولم يأتوا بها ، قال تعالى (فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لأعلى عهد إبراهيم (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) المتجاوزون الحق إلى الباطل (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ) فى هذا كجميع ما أخبر به (فَأَتَبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) التى أنا عليها (خَنِيفًا) مائلا عن كل دين إلى الإسلام (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) . ونزل لما قالوا : قبلتنا قبل قبلكم (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ) متعبدا (لِلنَّاسِ) فى الأرض (لِلَّذِي بَيْكَنَّا) بالباء لغة فى مكة سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبارة أى تدفها ، بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما فى حديث الصحيحين ، وفى الحديث أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحته (مُبَارَكًا) حال من الذى أى ذا بركة (وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)

وعلى ذريته (قوله من) قبل) ظرف متعلق بحلا مع ملاحظة الاستثناء ويحتمل أنه متعلق بقوله إلا ما حرّم (قوله وذلك بعد إبراهيم) أى بألف سنة (قوله صدق قولكم) أى إخباركم عنه بأن ما ذكر حرام عليه (قوله فبهتوا) من باب علم أنصر أكرم أوزمى ، والمعنى دهشوا وتحبروا وانقطعت حججهم (قوله فمن افتترى على الله الكذب) أى اختلقه من عند نفسه (قوله بأن التحريم) أى لخصوص لحوم الإبل وألبانها

لأنه

(قوله قل صدق الله) أى ثبت وتقرر صدقه وظهر كذبكم

(قوله كجميع ما أخبر به) أى كصدقه فى جميع أخباره التى جاءت بها الرسل (قوله التى أنا عليها) أى وجميع المؤمنين (قوله وما كان من المشركين) تعريض لهم بأنهم هم للمشركون وبيان أن النبى على ملة إبراهيم من حيث السهولة وأصول الدين (قوله ونزل لما قالوا الخ) أى حين حوّلت القبلة قالوا لم تحوّلت عن قبلتنا مع كونها أقدم وأفضل (قوله لغة فى مكة) أى فأبدلت الميم باء (قوله لأنها تبك أعناق الجبارة) أى وسميت مكة لأنها من الملك وهو الإزالة فانها تزيل الذنوب وتمحوها (قوله بناه الملائكة) ورد « أن الله لما خالق البيت المعمور وكانت ملائكة السماء تطوف به اشتاقت ملائكة الأرض لبيت مثله فأمرهم ببناء بيت محاذ للبيت الذى فى السماء وكان من درة بيضاء وطافت به قبل آدم ألفى سنة » (قوله ووضع بعده) أى بعد بنائه . ظاهره أنه وضع بعد بناء الملائكة بأربعين سنة فيكون من وضع الملائكة ويكون متقدما على آدم وليس كذلك بل الحق أن بيت المقدس وضعه آدم بعد بنائه هو البيت الحرام بأربعين سنة (قوله زبدة) بالتحريك رغو بيضاء (قوله ذا بركة) أى من حيث الحج به ونكفبر السبئات لمن دخله بذل وانكسار .

(قوله لأنه قبلتهم) أى يتوجهون إليه عند الصلاة وعموم الآية يشهد بأنه قبله حتى الجمادات ، ولذلك نرى الأشجار عند أحنائها تكون لجهته (قوله وبقي إلى الآن) أشار بذلك إلى أن في الحجر آيتين غوص قدمى إبراهيم فيه وصعوده به ونزوله به وكونه باقيا إلى الآن (قوله تضعيف الحسنات فيه) أى فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة (قوله وأن الطير لا يعلوه) أى لا يمر على ظهره إلا إذا كان بالطير مرض فيمريشنى بهوائه (قوله بقتل) أى ولو قصاصا هذا ما كان في الجاهلية فكان الرجل يقتل ويدخله فلا يتعرض له مادام فيه ، وأما بعد الإسلام فعند مالك والشافعى إن قتل اقتص منه فيه ، وعند أبى حنيفة لا يقتص منه فيه مادام فيه وإنما يرضى عليه حتى يخرج وهذا هو الأمن في الدنيا ، وأما في الآخرة فبتكفير السيئات ومضاعفة الحسنات (قوله والله على الناس) خبر مقدم وحج البيت مبتدأ مؤخر. والحج لغة القصد واصطلاحا عبادة يلزمها طواف بالبيت سبعاً وسعى بين الصفا والمروة كذلك ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذى الحجة على وجه مخصوص وهو فرض عين في العمر مرة وواجب كفاية كل عام إن قصد إقامة اللوسم ومندوب إن لم يقصد ذلك (قوله لفتان) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله ويبدل من الناس) أى بدل بعض من كل والعائد محذوف تقديره منهم (قوله من استطاع إليه سبيلا) أى على سبيل (١٥٩) العادة فلا يجب بطيران ولا

لأنه قبلتهم (فيه آيات بينات) منها (مقام إبراهيم) أى الحجر الذى قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماء فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه ومنها تضعيف الحسنات فيه وأن الطير لا يعلوه (ومن دخله كان آمناً) لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك (والله على الناس حج البيت) واجب ، بكسر الحاء وفتحها لفتان في مصدر حج بمعنى قصد ، ويبدل من الناس (من استطاع إليه سبيلاً) طريقاً فسرره صلى الله عليه وسلم بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره (ومن كفر) بالله أو بما فرضه من الحج (فإن الله غنى عن العالمين) الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) القرآن (والله شهيد على ما تعملون) فيجازيكم عليه (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) تصرفون (عن سبيل الله) أى دينه (من آمن) بتكذيبكم النبي وكنتم نعمة (تبغونها) أى تطالبون السبيل (عوجاً) مصدر بمعنى معوجة ، أى مائلة عن الحق (وأنتم شهداء) عالمون بأن الدين المرصى القيم هو دين الإسلام كما في كتابكم (وما الله بغافل عما تعملون) من الكفر والتكذيب وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم . ونزل لما سر بعض اليهود على الأوس والخزرج ففاظه تألههم ،

خطوة لكن لو فعل سقط الفرض ، وأما الشى فيجب به عند مالك إن قدر عليه (قوله ومن كفر بالله) أى أنكر وحدانيته أو جحد شيئاً من أحكامه ، وقوله أو بما فرضه تفسير ثان (قوله فإن الله غنى عن العالمين) أى فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معاصيهم قال تعالى - فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد (قوله قل يا أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى وخصهم بالذكر لأن كفرهم محض عناد (قوله القرآن) أى وما

الحق به من المعجزات الباهرة (قوله على ما تعملون) أى من الكفر (قوله تصرفون) أى تمنعون (قوله أى دينه) أى لا تعدل (قوله من آمن) يحتمل أن المعنى من آمن بالفعل تسعون في رده عن الإيمان إلى الكفر ، ويحتمل أن المراد من أراد الإيمان تصدوه عن كونه يؤمن بالله (قوله تبغونها) الجملة حالية من الواو في تصدون (قوله عوجاً) هو بكسر العين في المعنى وبفتحها في الأجسام ، يقال اعوجت الطريق واعوجت الحائط بمعنى قام بالأول العوج بالكسر وبالثانى العرج بالفتح ، والمعنى تتركون السبيل المعتدلة وتطلبون السبيل المعوجة . قال تعالى - قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين - (قوله مصدر) أى حال من ضمير تبغونها (قوله وأنتم شهداء) الجملة حالية من الواو في تبغونها (قوله كما في كتابكم) المراد به الجنس الصادق بالتوراة والانجيل (قوله وما الله بغافل عما تعملون) دفع بذلك توهم أن الله حيث أمهلهم فهو غافل عنهم ، وقال تعالى أيضاً - ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون - الآيات (قوله من الكفر) الخ بيان لما (قوله ونزل لما سر بعض اليهود) أى واسمه شاس (قوله ففاظه تألههم) أى تودهم وعبة بعضهم لبعض بعد أن كان ما كان بينهم من الشحنة والبغضاء .

(قوله فذكركم) ورد أنه كان معه شاب يهودي ، فقال له اذهب إلى بني قبيلة هؤلاء . رقل لهم أنذركون يوم بعثوا واذكركم لهم ما تناشدوه بينهم من الأشعار التي فيها الهجو لبعضهم بعضا ، وكان يوم بعث عظميا في اقتتال الأوس والخزرج وكانت الغلبة فيه للخزرج ، فذهب ففعل كما أمره فقالوا السلاح السلاح فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالآيات إلى قوله - لعليكم نهتدون - فخرج النبي مع بعض أصحابه فوجدهم في الصحراء مصطفين للقتال فقال : يا معشر المسلمين أئذعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم إصر الجاهلية وألف بين قلوبكم . وقرأ عليهم الآيات فعملوا أنها نعمة من عدوهم فألقوا السلاح وصار يعانق بعضهم بعضا . قال جابر بن عبد الله : ما رأيت يوما أشأم منه ولا أصر منه كان أوله شؤما وآخره سرورا (قوله فريقا) هو شاس وأتباعه (قوله يردوكم) أي يصيروكم فالكاف مفعول أول وكافرين مفعول ثان فردة تنصب مفعولين كقول الشاعر :

فرد وجوههن البيض سودا ورد شعورهن السود بيضا

(قوله وأتمتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) هاتان الجملتان حالان ، والمعنى كيف يحصل منكم الكفر والحال أنكم تلى عليكم آيات الله : أي القرآن وفيكم رسوله محمد فهذا الأمر مستبعد أ يكون بعد تمام الهدى الكفر والضلال (قوله إلى صراط مستقيم) أي دين قيم لا عوجاج (١٦٠) فيه وهو دين الاسلام (قوله حق ثقاته) صفة لمصدر محذوف : أي تقوى

فذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون (يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون) استفهام تعجيب وتوبيخ (وأنتم نزلت عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم) يتمسك (بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق ثقاته) بأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى فقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) موحدون (واعتصموا) تمسكوا (بجبل الله) أي دينه (جميعا ولا تفرقوا) بعد الإسلام (واذكروا نعمت الله) إنعامه (عليكم) يا معشر الأوس والخزرج (إذ كنتم) قبل الإسلام (أعداء فآلف) جمع (بين قلوبكم) بالإسلام (فأصبحتن) فصرتم (بنعمته ،

حق ثقاته) قوله بأن يطاع الخ) نصير للتعوى حق التقوى وهذه أخلاق الأنبياء والمرسلين لعصمتهم وتكون لخواص عباد الله الذين على قدم الأنبياء ، ولذلك قال بعض العارفين ولو خطرت لى في سواك إرادة على خاطري يوما حكمت بردي

ولكن ليس معنى ذلك

(إخوانا)

أنه يكون كافرا يستحق الخلود في النار بل هذا لسان محب عاشق وردته نفسه عن مرتبة حبه

إلى مرتبة أدنى منها في الحب ، وأما القرآن فنزل على أخلاق العوام لتعليمهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين فنسخ الآية من حيث التكليف بهذا المعنى على سبيل الوجوب ، وأما الرق لتلك المراتب فمما يتنافس فيه المتنافسون على سبيل التطوع والتقرب فتدبر (قوله فنسخ بقوله الخ) أي فيقال في قوله بأن يطاع بحسب الطاقة ، وقوله فلا يعصى يعنى أصلا وكذا قوله ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ويناسب النسخة قوله تعالى - إن الله يحب التوايين - وقيل إن الآية ليست منسوخة بل آية فاتقوا الله ما استطعتم مبينة للمراد منها (قوله ولا تموتن) أي يابى قبيلة الأوس والخزرج (قوله إلا وأنتم مسلمون) أي فلا يكن منكم موت على حاله دون حالة الإسلام ، والمعنى دوموا على الإسلام إلى الممات ولا تموتوا ولا تبدلوا ثلاثا يصادفكم الموت في حالة التغيير . فالنفس في بعض كتبه وما شاع من تفسير قوله تعالى - إلا وأنتم مسلمون - متزوجون فهو باطل لأنصل له ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى ، وخص حالة الموت بذلك لأن ثمرة الأعمال تظهر في تلك الحالة والمدار عليها (قوله واعتصموا بحبل الله) أي حين الدخول في الاسلام وقوله ولا تفرقوا : أي فدموموا على الاجتماع ولا يكن منكم تفرقة (قوله أي دينه) أي أو القرآن وفي الكلام استعارة حيث شبه الدين أو القرآن بالحبل واستعير اسم المشبه به وهو الحبل للشبه وهو الدين أو القرآن على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية والجامع بينهما التوصل للمقصود في كل وإضافته للفظ الجلالة قرينة مافعة والاعتصام ترشيح وفيه استعارة تصريحية تبيعية حيث شبه الوثوق بالاعتصام واستعار الاعتصام للوثوق واشتق من الاعتصام اعتصموا بمعنى ثقوا .

(قوله إخواننا) خبر ثان لأصبحتم وقوله والولاية أي النصره أي ينصر بعضهم بعضا (قوله يبين الله لكم آياته) أي يزيدكم بيانا مادام رسول الله فيكم (قوله لعلمكم تهتدون) أي تدومون على الهداية وتزيدون فيها (قوله ولتكن منكم أمة) يحتمل أنها ناقصة وأمة اسمها ويدعون خبرها ومنكم إما ظرف لغو متعلق بتكن أو حال من أمة أو من الواو في يدعون أو أمة فاعلها وجملة يدعون صفة لأمة ومنكم حال أو متعلق بتكن (قوله يدعون إلى الخير) مفعوله هو وما بعده من يأمرون وينهون محذوف تقديره الناس (قوله الاسلام) إنما قصره عليه لأنه رأس الأمور ولأجل قوله بعد ويأمرون بالمعروف (قوله بالمعروف) المراد به ما طاب به الشارع إما على سبيل الوجوب كالصلوات الخمس وبر الوالدين وصلة الرحم ، أو الندب كالنوافل وصدقات التطوع ، وقوله عن المنكر المراد به ما نهى عنه الشارع إما على سبيل الحرمة كالزنا والقتل والسرقة أو على سبيل الكراهة (قوله ومن للتبويض) أي بناء على أن مخاطب بفرض الكفاية بعض غير معين أو معين في علم الله (قوله كالجاهل) أي فلا يأمر ولا ينهى لأنه ربما أمر بمنكر أو نهى عن معروف لعدم علمه بذلك (قوله وقيل زائدة) أي بناء على أن مخاطب بفرض الكفاية الجميع ويسقط بفعل بعضهم (قوله أي لتكونوا أمة) أي دعاء للخبر آمريين بالمعروف ناهين عن المنكر (قوله وهم اليهود والنصارى) أي فافترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقيون في النار وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة واحدة (١٦١) ناجية والباقيون في النار وهذا

التفريق من بعد الصحابة فالناجي من كان على قدم النبي وأصحابه ويختلف في كل زمن بالقلّة والكثرة ففي الصدر الأول كانوا ظاهرين أقوياء وكلّ تقادم الزمان ازدادوا في الاختفاء لكن لا تنقطع الفرقة الناجية مادام القرآن موجودا قال الله تعالى - الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها

إِخْوَانًا) فِي الدِّينِ وَالْوَلَايَةِ (وَكَنتُمْ عَلَى شَفَا) طَرَفٍ (خُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ) لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا كَفَرًا (فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا) بِالْإِيمَانِ (كَذَلِكَ) كَمَا بَيَّنَّ لَكُمْ مَا ذَكَرَ (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ الْإِسْلَامِ (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ) الدَّاعُونَ الْأَمْرُؤُا النَّاهُونَ (هُمْ الْمُمْلَحُونَ) الْفَازِرُونَ ، وَمِنَ التَّبَعِيضِ لِأَن مَّا ذَكَرَ فَرَضَ كِفَايَةً لَا يُلْزَمُ كُلُّ الْأُمَّةِ وَلَا يُلِيقُ بِكُلِّ أَحَدٍ كَالْجَاهِلِ ، وَقِيلَ زَائِدَةٌ أَيْ لَتَكُونُوا أُمَّةً (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا) عَنْ دِينِهِمْ (وَأَخْتَلَفُوا) فِيهِ (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) وَهِيَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ) وَهِيَ الْكَافِرُونَ ،

مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم - الآية فلولا أن أهل القرآن الذين يتدبرونه موجودون لما بقي القرآن . إن قلت إن دعاءهم مستجاب فلهذا دعوا بإصلاح العالم مثلا . أجيب بأنهم لا يلهمون الدعاء بغير ما في علم الله فإذا علم الله أن العالم لا يصلح مثلا فلا يلهمون ولا يوفقون للدعاء بإصلاحه بل هم أشد الناس صبرا وتحملا للكاره ورضا بالقضاء والقدر وفي ذلك قلت : أرح قلبك العاني وسلمه القضا تفر بالرضا فالأصل لا يتحول علامة أهل الله فينا ثلاثة أمان وتسليم وصبر مجمل والتفريق المذموم إنما هو في العقائد لا في الفروع فإنه رحمة لعباد الله (قوله وأولئك) مبتدأ وعذاب مبتدأ ثان ولهم متعلق محذوف خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول وقوله يوم تبيض وجوه طرف متعلق بما تعلق به الجار والمجرور تقديره وأولئك الذين تفرقوا في العقائد عذاب عظيم مستقر لهم يوم تبيض وجوه الخ يعني أنه يكون ويحصل ذلك العذاب حينئذ ويحتمل أن قوله يوم مفعول محذوف تقديره اذ كر يوم تبيض وجوه ، ويباض الوجه إما حقيقة فقد ورد أن وجه المؤمن يكون أضوا من الشمس في رابعة النهار، وإما كناية عن الفرح والسرور ، ومثله يقال في أسوداد الوجه وذلك حين تطاير الصحف فالؤمن يأخذ كتابه بيمينه ويقول هاؤم اقرءوا كتابيه الآية ، والكافر يأخذ كتابه بشماله ويقول ياليتني لم أوت كتابيه الآية (قوله فأما الذين أسودت وجوههم) تفصيل لما أجّل أولا والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إن أردت تفصيل ما تقدم فاقول لك أما الذين أسودت وجوههم وقدم في التفصيل هذا القسم مبادرة بالتحذير وليكون في الكلام حسن ابتداء وحسن اختتام [٢١ - صاري - أول] فابتدأ الآية بالشرى وختمها كذلك .

(قوله فيلقون في النار) أي وإلقاؤهم مختلف فمنهم من يؤخذ بالكلايب ومنهم من يؤخذ بالنواصي والأقدام وعلى كل حال فهم يسحبون في النار على وجوههم وهذه الجملة خبر البتة قدرها المفسر وذلك لأن الجزاء في المقابل هو الكون في الجنة فالمناسب هنا أن يكون هو الكون في النار وتقدير القول هنا لأجل أن يكون حذف الفاء في جواب (أما مقبسا) قوله ويقال لهم) يحتمل أن ذلك من كلام الله لهم ويحتمل أن ذلك على لسان الملائكة (قوله يوم أخذ الميثاق) دفع بذلك ما يقال إن الآية ظاهرة فيمن ارتد بعد إيمانه لا فيمن كان كافرا واستمر على كفره . وأجيب أيضا بأن هذا يحمل على اليهود والنصارى فانهم كانوا مؤمنين برسول الله قبل البعثة ثم كفروا به بعدها . وأجيب أيضا بأن قوله بعد إيمانكم أي بعد ظهور الأئمة التي توجب الإيمان (قوله فذوقوا العذاب) فيه استعارة بالكناية حيث شبه العذاب بشيء مرّ يذوق وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإذابة فانباتها تخييل (قوله بما كنتم تكفرون) الباء سببية فالكفر سبب في إذابة العذاب بخلاف الطاعات فيجعلها الله سببا لدخول الجنة بل دخول الجنة يحض فضل الله، وإنما كان جزاء الكفار الخلود في النار لأن الكفر إنكار لكلمات الله وهي لا تنتهي فكان جزاؤه عذابا لا ينتهي وذلك يتحقق بالخلود بخلاف معصية المؤمن (قوله أي جنته) أي ففيه إطلاق الحال وإرادة المثل فالجنة محل هبوط الرحمة والرحمة ناشئة عن ذات الله فقولهم اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك فالمراد بالمستقر محل هبوط الرحمة وهي الجنة لا ذات الله (قوله بالحق) أي الصدق (قوله وما الله يريد ظلما للعالمين) أي خفيث انتفت إرادة الظلم فالظلم مني بالأولى لأن تعلق الإرادة (١٦٢) في التعقل سابق على الفعل (قوله والله ما في السموات وما في الأرض)

أي فيتصرف في ملكه كيف شاء (قوله وإلى الله ترجع الأمور) أي فلا مفر منه ولا محيص عنه (قوله كنتم خير أمة) هذا مدح عظيم وتفضيل من الله لهذه الأمة الحميدة وفيه إعلام بتبئيتهم على تلك الأوصاف العظيمة . واعلم أن الخطاب مشافهة

فيلقون في النار ، ويقال لهم توبيخاً (أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) يوم أخذ الميثاق (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ أُبَيِّضَتْ وَجُوهُهُمْ) وهم المؤمنون (فَبِئْسَ رَحْمَةً اللَّهُ) أي جنته (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ اللَّهِ تَنْزَلُوهَا عَلَيْكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) بأن يأخذهم بغير جرم (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقاً وعبيداً (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ) تصوير (الأمور: كُنْتُمْ) يا أمة محمد في علم الله تعالى (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ) أظهرت (لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ) الإيمان،

الصحابه ونبت لهم هذه الصفات المرضية فمدحهم الله على ذلك ومن تسمك بأوصافهم وأخلاقهم (خبراً) كان ممدوحاً مثلهم وهذا المدح يدل على أن أوصافهم مرضية لله فمدحهم الله بشرف نبينهم ، قال صاحب البردة :

لما دعا الله داعيناً لطاعته بأشرف الرسل كننا أكرم الأمم

وقل في الحمزية : ولك الأمة التي غبطتها بك لما أتيتها الأنبياء

ومدحهم الله سابقاً بقوله - وكذلك جعلناكم أمة وسطاً - الآية وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق وأمنه أفضل الأمم على الإطلاق وكان فعل ناقص يفيد الاتصاف في الماضي لكن المراد هنا الدوام على حد وكان الله غفوراً راحباً وإثناء اسمها وخبر خبرها وقوله أخرجت للناس صفة لأمة (قوله في علم الله) أي وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في كتب الأمم السابقة (قوله للناس) إنما عبر باللام دون من إشارة إلى أن هذه الأمة نفع ورحمة لنفسها وللخلق عموماً في الدنيا بالدعاء لجميع الأمم وفي الآخرة بالشهادة للأنبياء (قوله تأمرون بالمعروف) إما خبر بعد خبر لكان والقصود منه تفصيل ما أجل أولاً أوصفة المعنى الخبرية أو استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما وجه الخبرية وراعى في الخطاب لفظ كنتم ولوراعى الخبر فقال يأمرهم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة واختيرت صيغة الخطاب تشرىفاً لهم وإشارة إلى رفع الحجب عنهم حيث خاطبهم ولم يخبر عنهم وأنهم مقرَّبون من حضرة الله . إن قلت إن الإيمان هو الأصل فلم لم يقدم . أجيب بأنه عبر بخصوص بهم وإنما الفضل الثابت لهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذه الأمة لها شه بالأنبياء من حيث إنها مهتدية في نفسها هادية لغيرها (قوله ولو آمن أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى .

(قوله خبرا لهم) أى من الايمان بموسى وعيسى في زمانهما أى أن من آمن بحمد أظى وأفضل من أدرك موسى أو عيسى وآمن به لدخوله في هذا المدح العظيم أو الذى خبرا لهم محاسن عليه في زعمهم وإن كان في الواقع ما هم عليه ليس بخير أو ذلك تهكم بهم أو أن أفضل التفصيل ليس على بابة أى لكان هو الخير لهم. (قوله منهم المؤمنون) استئناف يأتى واقع في جواب سؤال مقدر نشأ من قوله ولو آمن أهل الكتاب كأن قاتلا قال وهل آمن منهم أحد أولا فأجاب بذلك (قوله كعبد الله بن سلام) أى من اليهود وأدخلت الكاف النجاسات وغيرها من النصارى (قوله الكافرون) أى ومما هم فاسقين لأنهم فسقوا في دينهم فليسوا عدولا فيه (قوله إلا أذى) قيل استثناء متقطع وهو المتبادر من التفسير والمعنى لا يصل لكم منهم ضرر بشئ أصلا لكن يقع منهم أذى باللسان قال تعالى - ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا - ففي الحقيقة لا ضرر في ذلك وقيل الاستثناء متصل والمعنى لن يصل لكم منهم ضرر في حال من الأحوال إلا في حال الضرر اللسانى (قوله من سب) أى للنبي وأصحابه وقوله ووعيد أى للمؤمنين بقولهم إنا نغلبهم وستكون العزة لنا والذلة لهم (قوله ثم لا ينصرون) ليس معطوفا على جواب الشرط والا لأوهم أنهم قد ينصرون من غير قتال بل هو مستأنف ليفيد سلب النصرة عنهم في جميع الأحوال (قوله أينما ثقفوا) أين اسم شرط وثقفوا فعل الشرط وجوابه محذوف لدلالة ضربت عليهم الذلة عليه التقدير أينما ثقفوا تضرب عليهم الذلة (قوله فلا عز لهم) أى وإذا لم يوجد منهم سلطان أصلا فإذ لا قدعلاهم للمؤمنين والنصارى لقوله تعالى - وجاعل الذى اتبعوك

(خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ) كعبد الله بن سلام رضى الله عنه وأصحابه (وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) الكافرون (لَنْ يَضُرُّوكُمْ) أى اليهود يا معشر المسلمين بشئ (إِلَّا أذى) باللسان من سب ووعيد (وَأِنْ يَغَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذْبَارُ) منهزمين (ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ) عليكم بل لكم النصر عليهم (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا ثَقِفُوا) حينما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام (إِلَّا) كائنين (يَحِبُّونَ مِنَ اللَّهِ وَحِبْلٍ مِنَ النَّاسِ) المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أى لاعصمة لهم غير ذلك (وَبَاءُوا) رجعوا (بِفَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بَأْتَهُمْ) أى بسبب أنهم (كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ) تأكيد (بِمَا عَصَوْا) أمر الله (وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) يتجاوزون الحلال إلى الحرام (لَيْسُوا) أى أهل الكتاب (سَوَاءً) مستوين (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ) مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضى الله عنه وأصحابه (يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ) ،

عصموا نفوسهم وأموالهم وعاشوا في الدل (قوله ذلك) أى المذكور من ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله (قوله ويقتلون الأنبياء) أى قتلوا أول النصارى نبيًا وآخره أربعمائة عابد . إن قلت إن القاتل للأنبياء أجدادهم فلم أؤخذوا بفعل أصولهم . أجيب بأن رضا الفروع يقتل أصولهم الأهلئاء صيره كأنه واقع منهم فالقتل وقع من أصولهم بالفعل ومنهم بالعزم والتصميم فهم الآن لو تسكنوا من النبي والمسلمين ما أبقوا واحدا (قوله بغير حق) أى حق في اعتقادهم فاعتقادهم عدم الحقية مطابق للواقع غير أنه عناد منهم (قوله تأكيد) أى فالعصيان والاعتداء هو عين الكفر وقتل الأنبياء ويحتمل أنه ليس تأكيد بل هو علة للعلة أى فعلة ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله كفرهم وقتلهم الأنبياء وعلة الكفر والقتل عصيانهم أمر الله وتجاوزهم الحد (قوله ليسوا سواء) هذه الجملة راجعة لجميع أهل الكتاب أى هم غير مستوين في العقيدة بل منهم من هو على حق ومنهم من هو على باطل (قوله مستوين) دفع بذلك ما يقال إن سواء خبر عن الواو في ليسوا فكان حقه أن يجمع مطابقة له فأجاب بأن سواء مصدر من التسوية بمعنى مستوين (قوله من أهل الكتاب أمة) هذا كالتفصيل لقوله ليسوا سواء (قوله كعبد الله بن سلام وأصحابه) أى من اليهود وكالنجاشى وأربعين من نصارى نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثلاثة من الروم وكجماعة من الأنصار كأسعد بن زراراة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وصرمة بن أنس كانوا يتعبدون بما يعرفون من الأسرار القديمة فلما بعث النبي صدقوه ونصروه (قوله آناء الليل) إما جمع أنى كصا أو إني كمى أو أنى كظي أو إني كحمل أو أنو كجرو

(قوله أي في ساعاته) أي اللعونة وهي دقائقه ولحظاته . قال تعالى . تتجافى جنوبهم عن المضاجع - (قوله يصلون) سعى الصلاة سجوداً لأنه أشرف أجزائها وقوله حال أي من قوله يتلون أي يقرءون القرآن في حال صلاتهم (قوله يؤمنون بالله) أي يصدقون بأن الله متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص وقوله واليوم الآخر أي وما فيه من النعيم والعقاب فيصدقون بأنه حق (قوله ريامرون) مفعوله هو وينهون محذوف تقديره الناس (قوله ويسارعون) أي يبادرون بامتنال أمر الله . إن قلت إن العجلة مذمومة في الحديث «العجلة من الشيطان» إلا في أمور . وأجيب بأن معنى المسارعة أنه إذا تعارض حق الله وحظ لنفسه بادر لحق الله وترك حظه . وأما العجلة فهي المبادرة للشيء مطلقاً كأن يبادر للصلاة قبل وقتها أو في الصلاة بأن لا يتقن ركوعها ولا سجودها فإن ذلك مذموم إلا في أمور فهي مسارعة لمصلحة كانت أو بوقته وتقديم الطعام للضيف وتجهيز الميت وزواج البكر والصلاة في أول وقتها (قوله ومنهم من ليسوا كذلك) قدر ذلك إشارة (١٦٤) إلى أن في الآية حذف للمقابل (قوله وبالياء) أي فهم اقراءتان سبعيتان (قوله

من خبر) أي قليل أو كثير قال تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره - (قوله بالوجهين) أي التاء والياء (قوله بل تجازون عليه) أي في الآخرة (قوله إن الذين كفروا) قيل نزلت في قريظة وبني النضير وقيل في مشركي العرب وقيل فيها هو أعم وهو الأقرب (قوله شيئاً) أي قليلاً كان أو كثيراً (قوله يدفع عن نفسه) أي في الدنيا (قوله مثل ما ينفقون) يحتمل أن ما اسم موصولة وينفقون صلتها والعائد محذوف ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر تقدير الأول مثل المال الذي ينفقونه وتقدير الثاني مثل إنفاقهم

أي في ساعاته (وَهُمْ يَسْجُدُونَ) يصلون حال (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر (مِنَ الصَّالِحِينَ) ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين (وَمَا تَعْمَلُوا) بالتاء أيتها الأمة وبالياء أي الأمة القائمة (مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوا) بالوجهين ، أي تعدموا ثوابه بل تجازون عليه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُفْنِيَ (تدفع عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنْ اللَّهِ) أي من عذابه (شَيْئاً) وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة يفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد (وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) مثل (مَا يَنْفِقُونَ) أي الكفار (فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) في عداوة النبي أو صدقة ونحوها (كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) حرّ أو برد شديد (أَصَابَتْ حَرْثَ) زرع (قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر والعصية (فَأَهْلَكْتُهُ) فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بضیاع نفقاتهم (وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بالكفر الموجب لضياعها (يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً) أصفیاء تطلعونهم على سرکم (مِنْ دُونِكُمْ) أي غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين (لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبْرٌ) نصب بنزع الخافض ، أي لا يقصرون لكم في الفساد (وَدُّوا) تمنوا (مَا عَنْتُمْ) أي عنكم وهو شدة الضرر (قَدْ بَدَتْ) ظهرت (الْبَغْيَاءُ) العداوة لكم (مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين على سرکم (وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ) من العداوة (أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ) على عداوتهم (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) ذلك ،

فلا

(قوله في عداوة النبي) أي في مثل حروبه وقوله أو صدقة أي على فقرائهم أو فقراء المسلمين

(قوله ونحوها) أي كلمة الرحم ومواساة الفقراء (قوله كمثل ريح) أي كمثل مهلك ريح فالكلام على حذف مضاف (قوله حر) أي ويسمى بالسموم وقوله أو برد شديد أي ويسمى بالزهر هرير (قوله أصابت) أي تلك الريح (قوله أي زرع) سماء حرثاً لأنه يحرث (قوله قوم ظلموا أنفسهم) هذا وصف المشبه به (قوله ولكن أنفسهم يظلمون) هذا في جانب المشبه فلا تكرر (قوله يأيتها الذين آمنوا) نزلت في قوم من المؤمنين كان لهم أقارب من المنافقين والكفار وكانوا يواصلونهم (قوله أصفیاء) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة حيث شبه الأصفیاء ببطانة الثوب الملتصقة به واستعير اسم المشبه به للشبه على طريق الاستعارة التصريحية لأصلية والجامع عدة الالتصاق على حد: الناس دثار والأنصار شعار (قوله أي لا يقصرون في الفساد) أي فليس عندهم تقصير في ذلك بل هو شأنهم (قوله ما عنتم) ما مصدرية تسبك بمصدر أي ودوا عنتم بمعنى تعبكوا ومشقتكم (قوله بالوقعة فيكم) أي في أعراضكم بالغبية وغيرها

(قوله فلا توالوهم) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله بالكتاب) أى جسده ، وقوله - ولا يؤمنون بكتباكم - أى القرآن (قوله وإذا خلوا) أى خلا بعضهم ببعض (قوله عليكم) أى من أجاسكم (قوله قل موتوا بغيظكم) أى مصاحبين له وهو دعاء عليهم بذلك (قوله وجذب) هو ضد الحصب (قوله وحيلة الشرط) أى وهى إن تمسكتم الح ، وقوله بالشرط وهو قوله - وإذا لقوكم - وقوله - وما بينهما - أى وهو قوله - قل موتوا - الآية (قوله بكسر الضاد) أى فهما قراءتان سبعيتان : الأولى من ضار يضير ، والثانية من ضر يضير والفعل من كلاهما مجزوم جوابا للشرط وجزمه على الأولى ظاهر وعلى الثانية بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الاتباع (قوله كيدهم) الكيد احتيال الشخص ليوقع غيره في مكروه (قوله بالياء) أى وقد اتفق عليها العشرة ، وقوله والتاء : أى وهى شاذة فكان على المفسرين أن ينفذوا على شذوذها كأن يقول وقرئ بالتاء كما هو عادته (قوله وإذا غدوت) جمهور المفسرين على أن هذه الآية متعلقة (١٦٥) بغزوة أحد ، وقيل بغزوة بدر وقيل بغزوة الأحزاب

فلا توالوهم (ها) للتنبيه (أنتم) (يا أولاء) المؤمنين (تُحِبُّونَهُمْ) لقربتهم منكم وصدقتهم (وَلَا يُحِبُّونَكُمْ) لخلفتهم لكم في الدين (وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ) أى بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابتكم (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ) أطراف الأصابع (مِنَ الْفَيْظِ) شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازا وإن لم يكن ثم عض (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) أى ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسركم (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب ومنه ما يضره هؤلاء (إِنْ تَمَسَّسْتُمْ) تصبكم (حَسَنَةً) نعمة كنصر وغنيمة (تَسُوهُمْ) تحزنهم (وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ) كهزيمة وجذب (يَفْرَحُوا بِهَا) وبجولة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض ، والمعنى أنهم متناهون في عداوتكم فلم توالوهم فاجتنبوهم (وَإِنْ تَصْهَرُوا) على أذام (وَتَقْتُلُوا) الله في موالاتهم وغيرها (لَا يَقْصِرْ كَمْ) بكسر الضاد وسكون الراء وضما وتشديدها (كَيْدُهُمْ شَيْنًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (مُحِيطٌ) عالم فيحازيهم به (وَ) اذكر يا محمد (إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ) من المدينة (تَبَوَّئْتَ) تنزل (الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ) مراكز يقفون فيها (لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأقوالكم (عَلِيمٌ) بأحوالكم ، وهو يوم أحد خرج النبي صلى الله عليه وسلم بألف أو إلا خمسين رجلا والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره ،

والصحيح الأول ولذا مشى المفسر عايه (قوله من أهلك) أى من بيت أهلك وهى زوجته عائشة وكان قدوم جيش الكفار يوم الأربعاء رابع شوال وأميرهم إذذاك أبو سفيان فجمع صلى الله عليه وسلم الأنصار والمهاجرين وشاورهم في الخروج لهم أو السكت في المدينة ينتظرونهم فأشار عبد الله ابن أبى ابن ساول رئيس المنافقين هو وجماعة من الأنصار بعدم الخروج فان أبوا قاتلهم الرجال والنساء وأشار جماعة بالخروج فدخل صلى الله عليه وسلم منزله وأبى لامتته وخرج

فقال هلموا إلى الخروج ، فقالوا يا رسول الله ما لنا رأى معك ، فقال ما من نبي أبى لامتته ويرجع حتى يحكم الله له بين عدوه ، وكان قد رأى في المنام بقرا ودرعا حصينا وضع يده فيه وثلما في ذابته سيفه ، فقالوا ما أولته ؟ فقال أما البقر فخير ، وأما الدرع الحصين فهي المدينة ، وأما الثلم في السيف فهزيمة ، فخرج صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بعد صلاة الجمعة ، فلما أصبحوا جعل الجيش خمسة أقسام جناحان ومقدم وساقة ووسط وأنزل كلا في منزله وأميرهم أن يثبتوا مكانهم ولا يتحولوا وأخبرهم أنه بمجرد لاقاة الصفوف تحصل الهزيمة للكفار ، فلما اتقى الصفان ولى عبد الله بن أبى ابن ساول هو وجماعته الثلاثمائة ، وقالوا لولنعم قتالا لاتبعناكم ولم يبق إلا السائمة وخمسون فهزم الصحابة الكفار أولا واشتغلوا بالغنيمة فنزع الله من قلوب الكفار الرعب فسكرتوا عليهم مرة واحدة ففر المسلمون ما عدا النبي وبعض الصحابة فبعد ذلك اجتمع المسلمون للقتال فقتل من كل سبعون وكانت العزة لله ورسوله (قوله وهو يوم أحد) أى وهو قول جمهور المفسرين وهو للعتد (قوله أولا وخمسين) أى فهما قولان (قوله مابع شوال) وقيل كان في نصفه فيكون قدوم الكفار يوم اثني عشر منه .

ر قوله وعسكره) بالجر معطوف على الضمير المحرور في ظهره : أى وجعل ظهر عسكره (قوله وأجاس جيشاً من الرماة) أى وهم المسمون بالساقة (قوله وقال انضحوا) أى فرقوا من النضح وهو الرش ، والمعنى فرقوا الأعداء عنا بالنبل (قوله ولا تبرحوا) هذا في الحقيقة خطاب وأمر للجميع (قوله همت طائفتان) أى أرادت ولما كان الهم بالمصيبة لا يكتب مدحهم الله بقوله : والله وليها ، وأما بالطاعة فيكتب ، وأما العزم فيكتب خيراً أو شراً وما دون ذلك من مراتب القصد لا يكتب أصلاً لا خيراً ولا شراً . قال بعضهم :

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا غاطر فحديث النفس واستمعا
بليسه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقع

(قوله بنو سلمة) أى وهم من الخزرج ، وقوله وبنو حارثة : أى وهم من الأوس (قوله وأصحابه) أى وكانوا ثلثمائة (قوله) علام تقتل أنفسنا وأولادنا (أى لأى شئ تقتل) (قوله وقال) أى عبد الله بن أبى ومقول القول قوله لنعلم قتالا الخ (قوله القائل له) صفة لأبى جابر (قوله أنشدكم الله) أى أحلفكم بالله ، وقوله فى نبيكم وأنفسكم : أى فى حفظهما (قوله فثبتهما الله) أى الطائفتين بعد أن حصلت لهما التفرقة أولاً ، وشج وجه رسول الله وكسرت ربايعيته وضرب نيفا وسبعين ضربة ما بين سهم وسيف وطلحة بن عبد الله (١٦٦) أحد العشرة يلتقاها عن رسول الله وحينئذ نادى إبليس والمنافقون فى الناس

وعسكره إلى أحد وسوى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا : غلبنا أو نصرنا (إذ) بدل من إذ قبله (همت طائفتان منكم) بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر (أن تفشلاً) تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه وقال علام تقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبى جابر السلمى القائل له : أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم لو نعلم قتالا لاتبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا (والله وإليهما) ناصرهما (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ليثبوا به دون غيره . ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله (ولقد نصركم الله بيدر) موضع بين مكة والمدينة (وأنتم أذلة) بقله العدد والسلاح (فأتقوا الله لعلكم تشكرون) نعمه (إذ) ظرف لنصركم (تقول المؤمنون) توعدهم تطميناً (ألن يكفيناكم أن يمدكم) يعينكم (ربكم) بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (بالتخفيف والتشديد) بلى (يكفيناكم ذلك وفى الأنفال) بألف لأنه أمدهم أولاً بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (إن تصبروا) على لقاء العدو (وتقاتلوا) الله فى الخالفة (ويأتوكم) أى المشركون ،

أن محمداً قد مات وكان صلى الله عليه وسلم فى محل منخفض فأراد الصعود ليراه المسلمون فلم ينهض فحملة طلحة على ظهره وقد كان على المصطفى درعان فلما رآه المسلمون فرحوا وصاروا يأتون إليه من كل فج كالناقة الغائب عنها ولدها إذا رآته فحصل الثبات والنصر وباتت الهزيمة على الكفار (قوله ناصرهما) أى ولم يؤاخذها بذلك الهم (قوله ولقد نصركم) هذا الكلام

(من)

تسلية للذين وأصحابه فيما وقع لهم فى غزوة أحد ، يعنى أنه سبق لكم النصر فلا تحزنوا

بحصول تلك الشدة وحكمها تمييز المنافق من المؤمن لالهزيمة كما قال تعالى - وما أصابكم يوم التقى الجمعان الآية - (قوله موضع بين مكة والمدينة) أى سميت الواقعة باسم الموضع ، وقيل إن بديراً اسم بئر حنظلة يقال له بدر فسمى المكان باسم ذلك الرجل (قوله بقله العدد والسلاح) أى فلم يكن معهم إلا ثلاثة أفراس وثلاثة سيوف وكان عددهم ثلثمائة وثلاثة عشر وعدة الكفار نحو ألف (قوله لعلكم تشكرون نعمه) أى حيث نصركم مع كونكم أذلة لظفروا بهم وأخذوا شجعانهم ما بين قتيل وأسير (قوله إذ تقول للمؤمنين) سبب هذا القول أنه لما تلاقى الصفان جاء للصحابة خبر بأن كرز بن جابر يمد الكفار ويعينهم فخرت الصحابة حزناً شديداً فانزل الله تلك الآية (قوله ألن يكفيناكم) الاستفهام إنكارى نظير : ألست بربكم (قوله يعينكم) أى يزيدكم (قوله بثلاثة آلاف من الملائكة) إن قلت ما الحاجة إلى ذلك العدد الكثير فإن جبريل وحده أو أى ملك كاف فى قتال الكفار . أوجب بأن ذلك ينسب النصر لرسول الله والمؤمنين لقوله تعالى - قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم - فلو أهلكوا بشئ مما هلك به الأمم السابقة لم يكن فى ذلك . زيد غر للمؤمنين ولاشفاء لغيظهم لكونه خارجاً عن اختيارهم (قوله بلى) حرف جواب : أى وهو لإيجاب للنق فى قوله تعالى - ألن يكفيناكم - وأما جواب الشرط فهو قوله بمدكم (قوله لأنه أمدهم أولاً بها) هذا إشارة لوجه الجمع بين

ما هنا و بين ما بآنى (قوله من فورهم) يطلق النور على قوة الفليان يقال قار القدر: غلا و يطلق على الوقت الحاضر وهو المراد هنا (قوله مكسر الواو) أى اسم فاعل ، والمفعول معلمين أنفسهم آداب الحرب ، وقوله وفتحها : أى اسم مفعول بمعنى أن الله عليهم آدابه (قوله وأنجز الله وعدهم) أى فكما حصل للمؤمنين ضعف زادهم الله من الملائكة (قوله على خيل باني) أى وجوها وأيديها وأرجلها بيض ، وقوله وعليهم عمام صفر أو بيض : أى فهما روايتان ، وجمع بأن جبريل كانت عمامته صفراء وباقيهم بيض (قوله أرسلوها) أى طرفها ، وردعن على أنه قال : كنت في قلب بدر فاشتدت ريح عظيمة فرأيت جبريل نزل بألفين من الملائكة فسار أمام المصطفى ، ثم اشتدت ريح فرأيت إسرائيل نزل بألفين من الملائكة فسار على يمينه ، ثم اشتدت ريح فرأيت ميكائيل نزل بألف فسار على يساره . واعلم أن قتال الملائكة من خصائص هذه الأمة وليس مخصوصا بواقعة بدر بل ورد أن جبريل وميكائيل قاتلا مع النبي في أحد حين فرت أصحابه (قوله أى الامداد) أى المفهوم من قوله يمددكم (قوله الإجرى) البشارة هي الخبر السار ولا تطلق على الضد إلا مقيدة كقوله تعالى - فبشرهم بعذاب أليم - (قوله ولتطمئن) معطوف على بشرى الواقع مفعولا لأجله وجرت باللام لعدم استيفائه شروط المفعول من أجله فإن فاعل الجعل الله وفاعل الطمأنينة القلوب فلم يتحدا في الفاعل وشرطه الاتحاد (قوله فلا تجزع من كثرة العدو) ورد أن (١٦٧) الملائكة كانت تقاتل وتقول

(مِنْ قَوَرِهِمْ) وقتهم (هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) بكسر الواو وفتحها أى معلمين ، وقد صبروا وأنجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمام صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أى الامداد (إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ) بالنصر (وَلِتَطْمَئِنَّ) تسكن (قُلُوبُكُمْ بِهِ) فلا تجزع من كثرة العدو وقتلكم (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) يؤتية من يشاء وليس بكثرة الجند (لِيَقْطَعَ) متعلق بنصركم ، أى ليهلك (طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر (أَوْ يَكْبِتَهُمْ) يذلهم بالهزيمة (فَيَنْفَلِكُوا) يرجعوا (خَائِبِينَ) لم ينالوا مراموه . ونزل لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يوم أحد وقال : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) بل الأمر لله فاصبر (أَوْ) بمعنى إلى أن (يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) بالإسلام (أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) بالكفر (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقاً وعبداً (يَقْفِرُونَ بِمَا يَشَاءُ) المغفرة له (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تمذيبه (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بأهل طاعته ،

أى وكانوا سبعين ، وقوله والأسر : أى وكانوا كذلك (قوله أو يكبتهم) الكبت بمعنى الكبد فتأوه مبدلة من الدال وهو الفيظ الذى يحرق الكبد (قوله لم ينالوا مراموا) أن ما قصدوه (قوله لما كسرت رباعيته) أى السنة التى بين الثنايا والنبأ ، وقوله وشج وجهه : أى غاصت فيه حلقة المغفر (قوله يوم أحد) أى وقيل نزلت في أهل بدر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر معونة وهى بين مكة وعسفان ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو ، وكان ذلك في صفر سنة أربع من الهجرة ، فخانهم عامر بن الطفيل وقتلهم عن آخرهم فاشتد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلاه الله بذلك (قوله وقال كيف يفلح قوم الخ) أى وقد عزم على أن يدعو عليهم كذا قيل والأقرب أن مقالة النبي حزنا على عدم إيمانهم فان قصد النبي هدايتهم وحث وقع منهم ذلك الفعل فهو دليل على عدم إيمانهم فيفوت بقصد النبي فسلاه الله بالآية كما سلاه بقوله - فلعلك باخع نفسك على آثارهم - وبقوله - إنك لا تهدي من أحببت - (قوله ليس لك من الأمر شيء) أى لا تملك لهم نفعا فتصلحهم ولا ضرا فتهلكهم فتنى ذلك من حيث الإيجاد والإعدام ، وأما من حيث الهداية والشفاعة فهو الدليل الشفيع الشفع جعل الله مفاتيح خزائنه بيده ، فمن زعم أن النبي كآحاد الناس لا يملك شيئا أصلا ولا نفع به لظاهره ولا باطنا فهو كافر خاسر الدنيا والآخرة واستدلاه بهذه الآية ضلال مبين (قوله فإنهم ظالمون) علة لقوله أو يعذبهم (قوله والله ما في السموات وما في الأرض) هذا كالدليل لما قبله .

(قوله بأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) سبب نزول هذه الآية أن الرجل كان في الجاهلية إذا كان له دين على آخر وحل الأجل ولم يقدر الغريم على وفائه قال له صاحب الدين زدني في الدين وأزيدك في الأجل فكانوا يفعلون ذلك مرارا فرما زاد الدين زيادة عظيمة (قوله وتؤخروا الطلب) أي في نظير تلك الزيادة والواجب إنظار المعسر من غير شيء والتشديد على الواسر الماثل (قوله بتركه) أي الربا وكذا كل ما نهى الله عنه (قوله أن تعذبوا بها) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف أي اتقوا تعذيب النار أي اجعلوا بينكم وبينه وقاية (قوله وسارعوا) أي بادروا (قوله بواو ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو تكون الجملة معطوفة على جملة واتقوا النار وعلى عدمها تكون الجملة استثنائية كأن قائلها قال وما كيفية تقوى النار وبأي شيء يكون تقواها فأجاب بقوله سارعوا الخ. إن قلت إن ما خالف الرسم العثماني شاذ لمقتضاه أن أحد القراءتين مخالف للرسم. أجب بأن المصاحف العثمانية تعددت فبعضها بالواو وبعضها بدونها ولا يرد هذا الاشكال إلا لو كان واحدا (قوله إلى مغفرة) أي إلى أسبابها وهو الانهماك في الطاعات والبعد عن المعاصي (قوله وجنة) عطفها على المغفرة من عطف السبب على السبب ومرادنا بالسبب الظاهري وإلا فالسبب الحقيقي هو فضل الله (قوله كعرضها) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف وأداة انشبيه وقد صرح بهما في سورة الحديد قال تعالى - سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض - واختلف هل هذا التشبيه حقيق والمعنى لو بسطت السموات كل واحدة بجانب الأخرى وكذلك الأرض لكان ماذكر مما لا لعرض الجنة. وأما طولها فلا يعلمه (١٦٨) إله الله، وإنما لم يقل طولها لأنه يلزم من سعة الطول سعة العرض بخلاف

العكس وهذا تفسير ابن عباس، أو مجازي وهو كناية عن عظم سعتها وإلا فالسموات والأرض لو اتصلت ببعضها ببعض كان ماذكر أقل مما يعطاه أبو بكر الصديق فضلا عن غيره لما ورد أن جبريل يسير بأجنحته الستائة في ملكه شهرا إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) بألف ودونها بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب (وَاتَّقُوا اللَّهَ) بتركه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) أن تعذبوا بها (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (وَسَارِعُوا) بواو ودونها (إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) أي كعرضها لو وصلت إحداها بالأخرى والعرض السعة (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) الله بعمل الطاعات وترك المعاصي (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ) في طاعة الله (فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) اليسر والعسر (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) الكافين عن إمضاءه مع القدرة (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) ممن ظلمهم، أي التاركون عقوبتهم (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) بهذه الأفعال، أي يشيهم.

أو العرض السعة ليفيد أنه تفسير آخر (قوله أعدت للمتقين) أي هيئت وأحضرت وقدم هذا الوصف (والذين) لأنه مستلزم لجميع الأوصاف والمتقين جمع متق وهو المنهمك في الطاعات المحتجب بالمعاصي (قوله اليسر والعسر) أي الرخاء والشدة وذلك لثقتة بر به واعتماده عليه فينفق في كل زمن على حسب حاله فيه قليلا أو كثيرا ولا يستخف بالصدقة في الحديث « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وفي رواية « ولو بظان عرق » (قوله والكاظمين الغيظ) أي وهو نار تحل في القلب تظهر آثارها على الجوارح (قوله الكافين عن إمضاءه مع القدرة) أي الكاظمين الغضب مع القدرة على العمل بمقتضاه بظواهرهم وبواطنهم وكظم الغيظ من أعظم العبادات، ورد « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملاء الله أمنا وإيمانا ». إن قلت ورد عن الشافعي أنه قال من استغضب ولم يغضب فهو حمار، لمقتضاه الآية أنه من المتقين. أجب بأن كلام الشافعي يحمل على إذا مارأى حرمات الله تفعل ولم ينه عنها ولم يغضب لأجلها. وقد اتفق للإمام الحسن زمن خلافته وكان حليما جدا أن رجلا قدم عليه ليجتنبه فصار يسبه وينكلم فيه وهو يتبسم فقال له الرجل إن شتمتني واحدة شتمتك مائة فقال له الحسن إن شتمتني مائة ما شتمتك واحدة فوقع على قدمه وقبلها وقال أشهد أنك على خلق رسول الله (قوله والعافين عن الناس) عطف على الكاظمين من عطف العام على الخاص لأن العفو أعم من أن يكون معه كظم غيظ أولا كما إذا سبه وهو غائب فبلغه ذلك فعفا عنه من غير أن يستفزه الغضب. واتفق للإمام زين العابدين أن جاريته كانت تصب عليه ماء الوضوء فسقط الابر يق على رأسه فشيح ورجعه فرفع بقصره لها فقالت له والكاظمين الغيظ فقال كظمت غيظي فقالت والعافين عن الناس فقال عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين

فقال أنت حرّة لوجه الله (قوله والذين إذا فعلوا) شروع في ذكر التوابين بعد أن ذكر الطهريين وبقى قسم ثالث وهم الذين أصروا على العصي وماتوا من غير توبة فأمرهم موقوف على إما أن يدخلهم الجنة من غير سابقة عذاب أو يعذبهم بقدر الجرم ثم يدخلهم الجنة خلافا للعترة حيث منعوا عصيان الذنوب لهم (قوله والذين) مبتدأ أول وأولئك مبتدأ ثان وجزاؤهم مبتدأ ثالث ، وقوله مغفرة خير الثالث وهو خبره خبر الثاني وهو خبره خبر الأول ، وقوله كالزنا أي وبغيره من الكبائر (قوله ذنبا قبيحا) أي كبيرا وقوله بما دونه أي كالصغائر وهذه الآية نزلت في حق رجل تمارى عليه امرأة وأرادت أن تشتري منه ثوبا فأبجته فقال لها إن التمر الجيد داخل الخانوت فدخل معها الخانوت وفعل معها ما عدا الإيلاج وأعطاها التمر فتذكر هيبته الله وعقابه فخاف رسول الله يبكي فزالت الآية (قوله أي وعيده) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فاستغفروا الذنوبهم) أي أقلعوا عنها وتابوا (قوله ومن يغفر الذنوب إلا الله) جملة معترضة بين الحال وصاحبها قصد بها التعليل (قوله ولم يصروا) جملة حالية من الواو في استغفروا (قوله وهم يعلمون) جملة حالية أيضا وقوله أن الذي أتوه معصية إشارة للمفعول يعلمون والمعنى وليسوا بمن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها والنهي عنها والوعيد عليها لأنه قد يقدم على الذنب من لا يعلم أنه ذنب ولا يؤاخذ بذلك كالمجاهدين من الصحابة في قتال بعضهم ولذلك كان الواحد منهم إذا ظهر له الخطأ ألقه في الحال (قوله تجري من تحتها الأنهار) المعنى أن القصور والأشجار مشرفة على الأنهار (قوله ونم أجر العاملين) نعم فعل ماض وأجر فاعل (١٦٩) والخصوص بالمدح محذوف قدره

المفسر بقوله هذا الأجر الذي هو المغفرة أو الجنة (قوله ونزل في هزيمة أحد) أي نسليه للنبي وأصحابه على ما أصابهم من الحزن الذي وقع لهم في تلك الغزوة فكان الله يقول لهم لا تحزنوا فإن هذه سنن من قبلكم العبرة بالحوادث وقد تم النصركم على أعدائكم (قوله قد خلت) من الخلو بمعنى المضي (قوله في الكفار) أي كعاد مع هود

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً) ذَنْبًا قَبِيحًا كَالزَّانَا (أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بِمَا دُونَهُ كَالْقَتِيلِ (ذَكَرُوا اللَّهَ) أَي وَعِيدَهُ (فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ) أَي لَا (يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا) يُدِيمُوا (عَلَى مَا فَعَلُوا) بَلْ أَقْلَعُوا عَنْهُ (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أَنَّ الَّذِي أَتَوْهُ مَعْصِيَةً (أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) حَالٌ مَقْدَرَةٌ أَي مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ فِيهَا إِذَا دَخَلُوهَا (وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) بِالطَّاعَةِ هَذَا الْأَجْرُ . وَنَزَلَ فِي هَزِيمَةِ أَحَدٍ (قَدْ خَلَتْ) مَضَتْ (مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) طَرَائِقُ فِي الْكُفَّارِ بِأَهْلِهِمْ ثُمَّ أَخَذَهُمْ (فَسِيرُوا) أَيِهَا الْمُؤْمِنُونَ (فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) الرِّسَالُ ، أَيِ آخِرُ أَمْرِهِمْ مِنَ الْهَلَاكِ فَلَا تَحْزَنُوا لَغَلْبَتِهِمْ فَإِنَّمَا أَهْلُهُمْ لَوْ قَتَلْتَهُمْ (هَذَا) الْقُرْآنُ (بَيَانٌ لِلنَّاسِ) كَلِمَةٌ (وَهَدًى) مِنَ الضَّلَالَةِ (وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) مِنْهُمْ (وَلَا تَهِنُوا) تَضَعُوا عَنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ (وَلَا تَحْزَنُوا) عَلَى مَا أَصَابَكُمْ بِأَحَدٍ ،

وكشمود مع صالح وكقوم نوح . مع وكقوم لوط معه وكان لفرود مع إبراهيم وكفرعون مع موسى فإن الله أهل هؤلاء ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر فكذلك هؤلاء قال تعالى - وأملى لهم إن كيدى متين - وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » (قوله بأمهاتهم) أي على سبيل الاستدراج والمعنى فلا تحزنوا مما وقع لكم فإن الله يهل ولا يهمل (قوله فسيروا) إنما قرن الفعل بالفاء لما في الجملة الأولى من معنى الشرط كأن الله يقول إن كنتم في شك مما ذكرته لكم فسيروا في الأرض لتروا آثارهم (قوله أي آخر أمرهم) أي وهو الهلاك الآخروي بأخبار الله ورسله والديني بالمشاهدة (قوله فأنما أمرهم لوقتهم) أي للمقدر لهم ولا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوات (قوله بيان) إما باق على مصدره مبالغة أو بمعنى مبين أو ذو بيان على حد زيد عدل ولذلك يسمى القرآن أيضا فرقانا لأنه يفرق بين الحق والباطل (قوله كلهم) أي مسلمين أو كفارا وإنما كان بيانا للجميع لأقامة الحجة على الكافر يوم القيامة وتذنيه (قوله وهدى من الضلالة) أي هاد من الكفر والمعصية (قوله للمتقين) راجع لقوله وهدى وموعظة وخصهم لأنهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - (قوله ولا تهنوا) هذا من جملة التسلية للنبي وأصحابه وأصله توهنوا حذف الواو لوقوعها بين عدوتيهما . وسبب ذلك أنه لما حصلت التفرقة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقتل منهم سبعون وجرح منهم ناس كثير وقتل من الكفار نيف وعشرون وجرح منهم ناس كثير ون ،

قال أبو سفيان رئيس الكفار مناديا للنبي وأصحابه أفي القوم محمد ثلاث مرات ! فنهى النبي القوم أن يجيبوه فقال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله ياعدوا الله إن الدين عدت أحياء كلهم وقد بقي لك مايسوءك ثم أخذ أبو سفيان يرتجز بهوله : اعل هبل اعل هبل ، فقال عليه الصلاة والسلام ألا تجيبوه قولوا : الله أعل وأجل ، قال أبو سفيان : إن لنا عزى ولا عزى لكم . فقال عليه الصلاة والسلام : قولوا الله مولانا ولماولى لكم . وفي رواية قال أبو سفيان يوم ييوم وإن الأيام دول والحرب سجال فقال عمر لاسواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، ثم أمر النبي أصحابه جميعا بالاقبال على قتال الكفار ثانيا فصار الجريح منهم يزحف على الركب ووقع الحرب بينهم وبات الهزيمة على الكفار فنزلت الآية تسليية للنبي وأصحابه (قوله وأتم الأعلون) أصله الأعلون استثقلت الضمة على الواو خذفت ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف لالتقاءهما وبقيت الفتحة لتدل عليها (قوله مجموع ما قبله) أى وهو قوله : ولا تنهوا ولا تحزنوا (قوله بفتح القاف وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان وجواب الشرط محذوف تقديره فلا تحزنوا وقوله فقد مس القوم الخ مفرع عليه (قوله بيدر) أى فكانت الغلبة فيه للمؤمنين من أوله إلى آخره وقال بعضهم بل فى أحد أيضا لأن الغلبة آخرها كانت للمؤمنين . وأما غروة بدر فكانت للمؤمنين خاصة (قوله نداولها) المداولة نقل الشيء من واحد لآخر ، والمعنى إنما جعلنا الأيام دولا بين الناس يوما للكفار ويوما للمسلمين لتعظوا وليعلم الله الخ (قوله علم (١٧٠) ظهور) جواب عن سؤال من ذكر حاله إن علم الله قديم لا يتجدد فكيف

ذلك . فأجاب بأن المراد ليظهر متعلق علمه بتمييز المؤمنين من غيره ، والمعنى أن نصرة الكافر تارة ليست لمحبة الله بل لتمييز المؤمن من المنافق وليتخذ منكم شهداء وإلا فالله لا يحب الكافرين (قوله أى يعاقبهم) تفسير لعدم محبة الله للظالمين

(وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) بالغلبة عليهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) حقا وجوابه دل عليه مجموع ما قبله (إِنْ يَمْسَسْكُمْ) يصيبكم بأحد (قَرَحٌ) بفتح القاف وضمها : جرح من جرح ونحوه (فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ) الكفار (قَرَحٌ مِثْلُهُ) بيدر (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا) نصرها (يَتَنَاسَلُ) يوما لفرقة ويوما لأخرى ليعتظوا (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ) علم ظهور (الَّذِينَ آمَنُوا) أخلصوا في إيمانهم من غيرهم (وَلِيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) يكرمهم بالشهادة (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) الكافرين ، أى يعاقبهم ، وما ينعم به عليهم استدراج (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم (وَيُمَحِّقَ يهلك (الْكَاذِبِينَ) أَمْ) بل أ (حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَكُنْتُمْ) لم يعلم الله الذين جاهدوا منكم (عِلْمٌ ظُهُور (وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) في الشدائد (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ) فيه حذف إحدى التاءين فى الأصل (الْمَوْتَ ،

(قوله وما ينعم به عليهم استدراج) جواب عن سؤال من قدر تقديره إنا نرى الله ينصرهم تارة وينعم عليهم بالدنيا وزيتها . فأجاب بأنها نعم فى صورة نعم (قوله وليحص الله الخ) هذه حكمة ثالثة ، والمعنى إنما جعلنا الغلبة أولا للكفار ليميز المؤمنين من الكفار ويتخذ منهم شهداء ويخلص المؤمنين من الذنوب ويأخذ الكفار شيئا فشيئا (قوله بما يصيبهم) أى بسبب ما يصيبهم من الجهد والمشقة (قوله ويحق الكافرين) أى يأخذهم ويهلكهم شيئا فشيئا لأن الحق الإهلاك شيئا فشيئا (قوله أم حسبتم) أم منقطعة فلذا فسرناها ببل التى للاضراب الاتقالي والهمزة التى قدرها المفسر للاستفهام الإنكارى ، والمعنى لا تظنوا يا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة مع السابقين بمجرد الإيمان من غير جهاد وصبر بل مع الجهاد والصبر وهو خطاب لأهل أحد حيث أمروا بالقتال مع كونهم جرحى وتشديد عليهم فى ذلك ، وللقصود من ذلك تعليم من يأتى بعدهم وإلا فهدموا فى الله حق جهاده وصبروا صبرا جميلا (قوله ولما يعلم الله) لما حرف نفي وجزم وقلب تفيد توقع الفعل فلذا عبر بها دون لم وقد حصل ذلك ويعلم مجزوم بلها وعلامة جزمه السكون وحرك بالكسر تخلصا من التاء الساكنين والله فاعل يعلم وذلك كناية عن عدم حصول الجهاد والصبر لأن ما لم يعلمه الله لم يكن حاصل (قوله ويعلم الصابرين) هكذا بالنصب باتفاق القراء بأن مضرة بعد واو المعية على حد لانا كل السمك وتشرب اللبن (قوله فى الشدائد) أى البلى كالأحراض والفقر والحزن فيكون عن الله راضيا فى السراء والضراء وقوله : الذين جاهدوا يدخل فيه جهاد النفس بمخالفة شهواتها لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال تعالى - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - (قوله فيه حذف إحدى التاءين) أى تخفيفا قال ابن مالك : وما يتأين ابتدى قد يقتصر فيه على تاءين العبر

(قوله من قبل أن تلقوه) يحتمل أن الضمير عائذ على اللوت بمعنى سببه وهو الحرب أو على العدو نفسه وهو وإن كان غير منقطع
قد كرر لكنه معلوم من السياق (قوله مانال شهادته) أي من الأجر العظيم في الحديث «طلع الله على أهل بدر فقال اعملوا
ماشئتم فقد غفرت لكم» (قوله أي سببه) ويحتمل أن الضمير عائذ على العدو (قوله أي بصراء) أشار بذلك إلى أن نظر
بصرية تنصب مفعولا واحدا قدره بقوله الحال ويحتمل أنها علمية ومفعولها محذوفان تقديرهما تعلمون إخوانكم ما بين مقتول
ومجروح (قوله ونزل في هزيمتهم) أي في أحد حين تفرقوا (قوله لما أشيع) أي أشاع المنافقون (قوله أن النبي قتل) أي
وكذا أبو بكر وعمر (قوله وما محمد إلا رسول) أي لأرب معبود فالقصر قصر قاب ، والمقصود من ذلك الرد على المنافقين
حيث قالوا لضغفاء المسلمين : إن كان محمد قتل فارجعوا إلى دينكم ودين آبائكم فأفاد أن محمدا عبدا مرسل يجوز عليه الموت
لأرب معبود حتى تترك عبادة الله من أجل موته لأن المقصود من وجوده تبليغ رسالة ربه ولذلك نزل قرب وفاته - اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم لاسلام ديننا ولكن يجب علينا تعظيمه واحترامه حيا وميتا واعتقاد أن معجزاته باقية
واتباعه وطاعته قال تعالى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - ولم يقل وهو حي وقال تعالى - وأمرسلناك بالإرحمة للعالمين - ولم يقل
لأصحابك وقال عليه الصلاة والسلام «حياتي خير لكم وماتي خير لكم» فمن اعتقد أن النبي لا نفع به بعد الموت بل هو كحادث الناس
فهو الضال المضل (قوله أو قتل) أي فرضا (قوله رجعتهم إلى الكفر) شار بذلك (١٧١) إلى أن قوله انقلبتم على أعقابكم

كناية عن الرجوع للكفر
لا حقيقة الانقلاب على
الأعقاب الذي هو السقوط
إلى خفاء وهذه الآية قالها
أبو بكر الصديق يوم وفاته
صلى الله عليه وسلم حين
طاشت عقول الصحابة
وارتد من ارتد حتى قال
عمر : كل من قال إن
محمدا قد مات رميت
عذته بسيف فبلغ أبو بكر
الخبر فدخل على النبي
صلى الله عليه وسلم

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ) حيث قُتِمَ: لَيْتَ لَنَا يَوْمًا كَيَوْمِ بَدْرٍ لِنُنَالَ مَا نَالَ شَهِيدُوهُ (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ)
أَي سَبَبِهِ وَهُوَ الْحَرْبُ (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) أَي بَصْرَاءَ تَتَأَمَّلُونَ الْحَالَ كَيْفَ هِيَ فَلَمْ أَنْهَزْتُمْ. وَنَزَلَ
فِي هَزِيمَتِهِمْ لَمَّا أَشِيعَ أَنَّ النَّبِيَّ قُتِلَ وَقَالَ لَهُمُ الْمُنَافِقُونَ إِنْ كَانَ قُتِلَ فَارْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا
رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ) كَفَيْهِ (أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) رَجَعْتُمْ
إِلَى الْكُفْرِ وَالْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ مَحَلَّ اسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِ أَي مَا كَانَ مَعْبُودًا فَتَرَجَعُوا (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى
عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصَرَ اللَّهُ شَيْئًا) وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) نَعْمَةً بِالثَّبَاتِ (وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بِقَضَائِهِ (كِتَابًا) مَصْدَرُهُ أَي كَتَبَ اللَّهُ ذَلِكَ (مَوْجَلًّا)
مَوْقَاتًا لِإِتْقَانِهِ وَلَا تَأْخُفْ لَمْ أَنْهَزْتُمْ وَالْهَزِيمَةُ لَا تَدْفَعُ الْمَوْتَ وَالثَّبَاتُ لَا يَقْطَعُ الْحَيَاةَ (وَمَنْ يُرِدْ بِعَمَلِهِ
(نَوَابِ الدُّنْيَا) أَي جَزَاءَ مِنْهَا (نُؤْتِيهِ مِنْهَا) مَا قَسَمَ لَهُ وَلا حَظًّا لَهُ فِي الْآخِرَةِ (وَمَنْ يُرِدْ نَوَابِ
الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا) أَي مِنْ نَوَابِهَا (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) وَكَأَيِّنْ (مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ) وَفِي قِرَاءَةِ قَاتِلِ

و كشف للثام عن وجهه وقبيله بين عينيه وقل طبت يا حيي حيا وميتا كنت نود لو أُنذرتك بنفسي ومالي ولكن قال الله إنك
ميت وإنهم ميتون وخرج وجمع الصحابة وصعد المنبر وخطب خطبة عظيمة قال فيها: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات
ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقد قال تعالى : وما محمد إلا رسول الآيات فثبت الناس حتى قال عمر والله كأن هذه الآية لم أسمعها
إلا من أبي بكر (قوله والجملة الآخرة) أي التي هي قوله انقلبتم على أعقابكم (قوله وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) هذا رد لمن يفر من القتال
خوفاً على نفسه من الموت (قوله لا يتقدم ولا يتأخر) أي لقوله تعالى : فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (قوله ومن رد
نواب الدنيا) أي صرف نيته للدنيا وزخارفها تاركاً الآخرة وما فيها (قوله ما قسم له) هذا هو مفعول نؤتيه الثاني والأول هو الهاء (قوله أي
من نوابها) أي وما قسم له من الدنيا يأتيه على كل حال فلا فرق بين من يطلبها ومن لا يطلبها ولا تجعل الدنيا أكبر همك ولا مبلغ علمك بل اجعل
مطمح نظرك عبادة ربك قال تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وما قدر لك فلا بد من وصوله إليك طلبته أولاً (قوله وكأن
من نبى قتل) هذا من جملة التسلية لأهل أحد على ما أصابهم وفيه توبيخ لمن أنهزم منهم وتحرى رض على القتال وأصل كأن أي الاستفهامية
دخلت عليها كاف التشبيه فأكسبتها معنى كم الخبرية فلذا فسرناها بها وكأن مبتدأ ومن نبى ميمزها وجملة قتل خبرها ونائب فاعل قتل
ضمير يعود على كأن المفسر بقوله من نبى وعلى القراءة الثانية يكون الضمير فاعل قاتل وقوله معه ر بيون مبتدأ وخبر والجملة حالية .
واستشكت القراءة الأولى بأنه لم يرد أن نبيا قتل في حال الجهاد بل في غير الجهاد عصى من القتل ومقتضى الآية وقوع ذلك .
وأجيب بأن المعنى قتله قومه ظمناً في غير حرب ولكن الأحسن أن نائب الفاعل قوله ر بيون ومعه ظرف متعلق بقتل فالقتل واقع

لر بين لالانبيا وهو رد لقول الكفار لو كان نبيا ما قتل أصحابه وهو بينهم وهذا الاعراب يجرى في القراءة الثانية أيضا والضمير في أصحابهم يعود على الأمم ويتفرع على هذين الاعرابين صحة الوقف على قتل أو قاتل على الاعراب الأولين والثاني (قوله والفاعل) أى حقيقة على القراءة الثانية أو حكما على القراءة الأولى (قوله ربيون) هذا بكسر الراء جمع ربي فسية للرب على غير قياس ومعناه العالم الرباني أو منسوب للربة بالكسر بمعنى الجماعة وعليه مشى المفسر وقياس الأول فتح الراء وقد قرأ بها ابن عباس وقرئ بضم الراء بمعنى الجماعة الكثيرة أيضا والقراءتان شاذتان والمعنى لا تحزنوا على ما وقع لكم فكم من نبي قتل والحال أن معه أصحابه فلم يضعفوا الخ ورد أنه لما نزلت الآية أخذ النبي وأصحابه في التوجه خلف الأعداء فساروا ثمانية أميال صحيحهم وجريحهم وبات الهزيمة على الكفار (قوله لما وهنوا) هكذا بفتح الهاء وقرئ بسكون الهاء وكسرها (قوله وما نستكانوا) قيل أصله استكنوا زيد في الفتحة فصارت ألفا وقيل أصله استكنونا نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا (قوله وما كان قولهم) أى الربين وهذا بيان لحسن أقوالهم بعد بيان محاسن أفعالهم (قوله عند (١٧٣) قتل نبيهم) ظاهره حتى في جهاد الكفار وتقدم ما فيه (قوله فأتاهم الله)

والفاعل ضميره (مئة) خبر مبتدؤه (ربيون كثير) جوع كثيرة (فها وهنوا) جبنوا (لما أصابهم في سبيل الله) من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم (وما ضعفوا) عن الجهاد (وما استكانوا) خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبي (والله يحب الصابرين) على البلاء أى يثيبهم (وما كان قولهم) عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم (إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا) تجاوزنا الحد (في أمرنا) إيذانا بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمنا لأنفسهم (وثبت أقدامنا) بالقوة على الجهاد (وأنصرنا على القوم الكافرين . فآتيهم الله ثواب الدنيا) النصر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) أى الجنة وحسنه التفضل فوق الاستحقاق (والله يحب المحسنين . بأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا) فيما يأمرونكم به (يردوكم على أعقابكم) إلى الكفر (فتقلبوا خاسرين . بل الله مولى لكم) ناصركم (وهو خير النصيرين) فأطيعوه دونهم (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) بسكون العين وضما : الخوف وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا (بما أشركوا) بسبب إشراكهم (بالله ما لم ينزل به سلطانا) حجة على عبادته وهو الأصنام (ومأويهم النار وبئس مئوى) مأوى (الظالمين) الكافرين (ولقد صدقكم الله وعده) إياكم بالنصر (إذ تحسبهم) تقتلونهم (بإذنه) بإرادته (حتى إذا قتلتم) ،

أى بسبب دعائهم وحسن أفعالهم (قوله والغنيمة) إن قلت إنها لم تحصل إلا لهذه الأمة الحمدية . أعجب بأن المراد بالغنيمة ملك أموال الكفار ورقابهم ولا يلزم من الملك حلها (قوله وحسنه التفضل فوق الاستحقاق) يعنى أن ثواب الآخرة هو الجنة وهو حسن وأحسن منه الزيادة لهم فوق ما يستحقون (قوله بأيها الذين آمنوا) نزلت في أهل أحد حين تفرقوا وصار عبد الله ابن سلول يقول لضغائنهم امضوا بنا إلى أبى سفيان لناخذكم منكم

عهدا ألم أقل لكم إنه ليس بنبي (قوله الذين كفروا) أى كعبد الله

جبتهم

ابن سلول وغيره من المنافقين (قوله فتقلبوا خاسرين) أى للدنيا بالأسر والحزى والآخرة بالعذاب الدائم (قوله والله خير النصيرين) أفعل التفضيل ليس على باب (قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) هذا وعد حسن من الله بنصر المسلمين وخذلان الكفار (قوله بسبب إشراكهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية ومصدرية (قوله حجة) سماها سلطانا لقوتها ونفوذها (قوله وهو) أى ما لم ينزل به سلطانا (قوله ومأواهم النار) هذا بيان لحالهم في الآخرة بعد أن بين حالهم في الدنيا وكل ذلك مسبب عن الإشراك بالله فهم في الدنيا مرعوبون وفي الآخرة معذبون (قوله ولقد صدقكم الله وعده) سبب نزولها أن أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم لما رجعوا إلى المدينة تذاكروا ما وقع في تلك الغزوة حيث قالوا إن الله وعدنا بالنصر على لسان نبيه فلائى شئ غلبنا فنزلت الآية ردًا عليهم (قوله وعده) مفعول ثان لصدق لأنه يتعدى لمفعولين الأول بنفسه والثاني إما كذلك كما هنا أو بحرف الجر وهو في (قوله إذ تحسبهم) ظرف لقوله صدقكم وحسن يطاق بمعنى علم ووجد وطلب وقتل وهو المراد هنا (قوله حتى إذا قتلتم) حتى ابتدائه بمعنى أن ما بعدها مستأنف وبصح أن تكون غائية بمعنى إلى والمعنى

ولقد استمر معكم النصر إلى أن فشلت وتنازعتم وعصيتم فتخلف وعده ومنعكم النصر وإذا على الأول طرف لما يستقبل من الزمان وعصيتم معطوف على فشلت وجواب إذا محذوف قدره المفسر بقوله منعكم نصره وقوله ثم صرفكم معطوف على ذلك المحذوف وقوله منكم من يريد الدنيا الخ معترض بين المعطوف والمعطوف عليه (قوله جئتم عن القتال) أى بسبب الالتفات للفتنة (قوله فتركتم المركز) أى الموضع الذى أقامكم فيه رسول الله فانه تقدم أنه قسم الجيش خمسة أقسام: ساقية ومقدم وجناحان وقلب وأمرهم بالثبات سواء حصل النصر أو الهزيمة فظهرت لهم أمارات النصر أو لا فبعضهم ترك مركزه وذهب للفتنة والبعض ثبت (قوله من بعد ما أراكم) تنازعه كل من فشلت وتنازعتم وعصيتم فأعمل الأخير وأضرر في الأولين وحذف (قوله ماتحبون) مفعول ثان لأرى والكاف مفعول أول (قوله من النصر) أى أولا فلما وقع الاختلاف تغير الحال (قوله دل عليه ما قبله) أى وهو قوله ولقد صدقكم الله وعده (قوله كعبد الله بن جبير) أى وكان أميرا على الرماة (قوله ولقد عفا عنكم) أى عن المؤمنين منكم بعد توبته (قوله اذكروا) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف المحذوف ويصح أنه ظرف لقوله عصيتم التقدير عصيتم وقت بعدكم الخ (قوله إذ تصعدون) فعله رباعى بمعنى تصعدون وقرئ تصعدون من الثلاثى بمعنى تذهبون متفرقين في البرية (قوله ولا تلون) الجمهور على أنها بواو بن وقرئ شذوذا بإبدال الواو الأولى (١٧٣) همزة وأصلها تلويون بواو بن

ينها ياء هي لام الكامة فأعل بجذفها وقرأ الحسن شاذا بواو واحدة (قوله تخرجون) أى لا تقيمون مع أحد بل كل واحد ذاهب على حدة (قوله يدعوكم) أى يناديكم ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا وقيل ثمانية عشر رجلا وقيل لم يبق معه إلا طاحنة عن يساره وجبريل عن يمينه وجمع بين الأقوال بأن ذلك بحسب اختلاف الأوقات حين احتاطت به الكفار

جئتم عن القتال (وَتَنَازَعْتُمْ) اختلفتم (فِي الْأَمْرِ) أى أمر النبي بالمقام في سفح الجبل للرعى فقال بعضكم نذهب فقد نصر أصحابنا وبعضكم لا تخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم (وَعَصَيْتُمْ) أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة (مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ) الله (مَاتَحِبُّونَ) من النصر وجواب إذا دل عليه ما قبله أى منعكم نصره (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) فترك المركز للغنيمة (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه (ثُمَّ صَرَفَكُمْ) عطف على جواب إذا المقدر: ردكم بالهزيمة (عَنْهُمْ) أى الكفار (لِيَتَحَنَّنَ فِيظَهَرَ الْخُلُوصَ مِنْ غَيْرِهِ) وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ) ما ارتكبتموه (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) بالغفو. اذكروا (إِذْ تُصْعِدُونَ) تصعدون في الأرض هاربين (وَلَا تَلُونُ) تخرجون (عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ) أى من ورائكم يقول إلى عباد الله إلى عباد الله (فَأَنَابَكُمْ) فجازاكم (عَمَّا) بالهزيمة (بِعَمٍّ) بسبب غمكم للرسول بالخلفة وقيل الباء بمعنى على، أى مضاعفا على غم فوت الغنيمة (لِكَيْلَا) متعلق بعفا أو بأنابكم فلا زائدة (تَخْرُجُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) من الغنيمة (وَلَا مَا أَصَابَكُمْ) من القتل والهزيمة (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا (أَمْنَا) نَعْمًا بدل ،

(قوله أى من ورائكم) أشار بذلك إلى أن أخرى بمعنى آخر وفى معنى من ويصح أن يبقى الكلام على ما هو عليه ويكون المعنى والرسول يدعوكم في ساقنكم وجماعتكم الأخرى (قوله يقول إلى عباد الله) تمامه: أنا رسول الله من بركته الجنة (قوله فجازاكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالثواب مطلق الجزاء والإفالق ثواب هو ما يكون في نظير الأعمال الصالحة وإنما سماه ثوابا لأن عاقبته محمودة (قوله أى مضاعفا) أى زائدا (قوله متعلق بعفا) أى وتكون لأصلية والمعنى عفا عنكم لينذهب عنكم الحزن (قوله أو بأنابكم) أى فيكون المعنى أنا بكم غما يغم لأجل حزنكم على فوت الغنيمة وعلى قتل أصحابكم فقله فلا زائدة أى على هذا الثانى فقط (قوله والله خبير بما تعملون) أى فيعلم الخالص من غيره فان منهم من لزم رسول الله ولم ينتقل من موضعه أبدا وهو طليحة بن عبد الله ومنهم من ثبت لولا غلبة الكفار كبقية الاثني عشر أو الثمانية عشر ومنهم من فرحوا من القتل ومنهم من فر ابتداء لظهور هزيمة المؤمنين وهؤلاء منافقون وقد ظهروا في تلك الغزوة واقتضحوها وأما المؤمنون فقد تم لهم النصر وعفا الله عن سيئتهم (قوله ثم أنزل عليكم) ثم للترتيب بدليل نصريحه بالبعدية بعد ذلك بقوله من بعد الغم (قوله أمانة) أشار بذلك إلى أن الأمانة والأمن بمعنى واحد وهو الطمأنينة زال سبب الخوف أولا وقيل إن الأمن هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف والأمانة الطمأنينة مع وجود أسبابه (قوله بدل) أى بدل كل من كل وهو ظاهر لأن الأمانة هي النعاس جبينها وقيل بدل اشتغال لأن الأمانة لها اشتغال بالنعاس وهو له اشتغال بها لانه لا يحصل النعاس إلا للأمن

(قوله بالياء والتاء) أى فهم أقراء إن سبعتان فعلى الياء الضمير عائد على الناس وعلى التاء الضمير عائد على الأئمة (قوله يمدون) أى يميلون وقوله تحت الجحف بفتحين وتقديم الحاء جمع حجة كقصة وقصب اسم للترس والسرقة كفى المصباح (قوله وتسقط السيوف منهم) أى المرة بعد المرة وكلما سقطت أخذوها (قوله وطائفة) أى من غيركم وهم المنافقون (قوله قد أهتمهم أنفسهم) أى نعل ماض والتاء علامة التأنيث وأنفسهم فاعل والمعنى أنهم يحرمون على نجاة أنفسهم من الموت لتشديد الدين (قوله ظنا غير الظن الحق) أشار بذلك إلى أن قوله غير الحق صفة لموصوف محذوف مفعول ليعظون وقوله الحق صفة لمصدر محذوف مضاف لغير وقوله ظن الجاهلية صفة ثانية وهو منصوب بنزع الخافض والمعنى أن هذه الطائفة حملتهم أنفسهم على الهزيمة لنجاتها ومن أوصافهم أنهم يظنون في ربهم ظنا باطلا مثل ظن الجاهلية بمعنى أهل الجهل والكفر حيث ظنوا أن النبي قتل وأن دينه قد بطل قال تعالى - وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين - وقال تعالى - ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون - فحسن الظن بالله من علامات الإيمان قال تعالى في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» وبالجملة فمن أراد أن يعلم عاقبة (١٧٤) أمره فليظنر إلى ظنه بربه (قوله يقولون) أى اعتراضا على رسول الله

ونكذبياله (قوله هل لنا) استفهام انكارى بمعنى التثني أى ما ثبت لنا من النصر شيء فلنا خبر مقدم وشيء مبتدأ مؤخر ومن زائدة فيه ومن الأمر حال من شيء (قوله بالنصب توکید) أى للأمر وخبر إن قوله لله (قوله أو بالرفع مبتدأ الخ) أى والجملة خبر إن والقراءان سبعتان (قوله أى القضاء له) تفسير للأمر والمعنى أن النصر بيد الله والله هو الفاعل المختار وليس النصر بكثرة العدد والعدد (قوله بيان لما قبله) أى

(يَقْشَى) بالياء والتاء (طَائِفَةٌ مِنْكُمْ) وهم المؤمنون فكانوا يمدون تحت الجحف وتسقط السيوف منهم (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) أى حملتهم على الهمة فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه فلم يناموا وهم المنافقون (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ) ظنًا (غَيْرَ) الظن (الْحَقَّ ظَنًّا) أى كظن (الْجَاهِلِيَّةِ) حيث اعتقدوا أن النبي قتل أولا ينصر (يَقُولُونَ هَلْ) ما (لَنَا مِنَ الْأَمْرِ) أى النصر الذى وعدناه (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ، قُلْ) لهم (إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ) بالنصب توکید أو بالرفع متبدأ خبره (لِلَّهِ) أى القضاء له يفعل ما يشاء (يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ) مَالًا يُبْدُونَ (يُظْهِرُونَ لَكُمْ يَقُولُونَ) بيان لما قبله (لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا) أى لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم تقتل لكن أخرجنا كرها (قُلْ) لهم (لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ) وفيكم من كتب الله عليه القتل (لَبَرَزَ) خرج (الَّذِينَ كُتِبَ قَتْلُ) قضى (عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ) منكم (إِلَى مَصَاجِعِهِمْ) مصارعهم فيقتلوا ولم ينجم قعودهم لأن قضاء تعالى كائن لا محالة (و) نمل ما قبل بأحد (لَيَبْتَغِيَنَّ) يختبر (اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ) قلوبكم من الاخلاص والنفاق (وَلِيُمَحْصَرَ) يميز (مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وإنما يتلى ،

يظهر

استئناف يأتى واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما الذى

بخفونه (قوله لو كان لنا من الأمر) أى الاختيار والرأى (قوله لكن أخرجنا كرها) أى فحصل القتل فبنا (قوله قل لهم) أى ردّ المقاتلة واعتقادهم دفع قضاء الله إليهم (قوله لو كنتم في بيوتكم) أى لو لم تخرجوا إلى أحد ومكنتم في بيوتكم وقوله لبرز جواب لو والمعنى لخرج من قضى عليه بالموت إلى المحل الذى مات به بسبب من الأسباب ونفذ حكم الله فيه . ما اتفق أن سليمان بن داود عليهما السلام كان جالسا وإذا بملك الموت أقبل عليه ونظر إلى رجل في محاسنه فارتعدت فرائض الرجل فلما ذهب ملك الموت قال الرجل يانى الله إني خفت من نظرة هذا الرجل فقال هو ملك الموت قال الرجل مر الريح لتذهب بي إلى أقصى البلاد ففعل فبعد لحظة وإذا بملك الموت قد أقبل على سليمان فقال له إن الله أمرنى أن أقبض روح ذلك الرجل بتلك الأرض فلما وجدته في مجلسك تحيرت فكان منه ما كان فهو قد خرج هاربا وفي الواقع خرج نصرعه (قوله وفعل ما فعل) أشار بذلك إلى أن قوله ليتلى علة لمحذوف والواو عاطفة لذلك المحذوف على انزل (قوله وليمحص) عطف على ليتلى من عطف المسبب على السبب

(قوله ليظهر للناس) أى المؤمن الخالص من غيره (قوله إلا اثني عشر) منهم أبو بكر وعلى طلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف وتقدم في رواية أن من بقى ثمانية عشر وقيل لم يبق إلا طلحة وتقدم الجمع بين هذه الروايات (قوله وهو مخالفة أمر النبي) أى حيث قسمهم خمسة أسام وأقام كلا في مركزه وقال لهم لا تبرحوا عن مكانكم غلبنا أو نصرنا فبعضهم تفرق للغنيمة والبعض فرقه الأعداء (قوله ولقد عفا الله عنهم) أى عن الجماعة الذين تفرقوا للغنيمة وعصوا أمر النبي (قوله إن الله غفور حلیم) هذه الجملة تأكيد وعلة لما قبلها أى إنما عفا عنهم لأنه كثير المغفرة للذنوب واسع الحلم فلا يعجل بالعقوبة على العاصي لأن الكل في قبضته ولا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف القوات (قوله لا تكونوا كالذين كفروا) يعنى لا تشبهوهم في قولهم في شأن من مات أو قتل لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا فهم يعتقدون أن الفرار نافع من قضاء الله (قوله لاخوانهم) أى في النسب أو الكفر والضلال والمعنى لا تكونوا مثلهم في كفرهم ولا في قولهم لاخوانهم الخ (قوله إذا ضربوا) إذا هنا لجرد الزمان وأتى بأذا إشارة إلى أن هذا الأمر محقق منهم (قوله سافروا) أى مطلقا لغزو أولا (قوله فماتوا) أخذه من قوله الآتى ماماتوا (قوله غزى) خبر كان منصوب بفتحة مقدرة على الألف المنقلبة عن الواو (قوله جمع غاز) أى على غير قياس وقياس العتل غزاة كقضاة (قوله فقتلوا) أخذه من قوله وما قتلوا (قوله ما ماتوا) راجع لقوله إذا ضربوا (١٧٥) فى الأرض وقوله وما قتلوا راجع لقوله أو كانوا غزى (قوله أى لا تقولوا كقولهم) أى فانه شائبة من الكفر والضلال واعتقاده كفر (قوله ليجمع) اللام للعاقبة والصيرورة كهى فى قوله تعالى -فألقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والمعنى أن الكفار قصدوا بهذا الكلام اللوم على من خرج ومنع من يريد الخروج فكان عاقبة ذلك كونه يجعل حسرة فى قلوبهم (قوله فلا يمنع عن الموت تعود) أى عن

ليظهر للناس (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ) عن القتال (يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد وهم المسلمون إلا اثني عشر رجلا (إِنَّمَا أَسْتَرْهُمْ) أزلهم (الشَّيْطَانُ) بوسوسته (بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي (وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (حَلِيمٌ) لا يعجل على العقاب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا) أى المنافقين (وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) أى فى شأنهم (إِذَا ضَرَبُوا) سافروا (فِي الْأَرْضِ) فاتوا (أَوْ كَانُوا غَزَى) جمع غاز فقتلوا (لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا) أى لا تقولوا كقولهم (لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ) القول فى عاقبة أمرهم (حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ) فلا يمنع عن الموت فمود (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء (بَصِيرٌ) فيجازيكم به (وَلَسِنَّ) لام قسم (قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى الجهاد (أَوْ مُتُّمْ) بضم الميم وكسرهما من مات يموت ويمات أى أنا كم الموت فيه (لَمَغْفِرَةٌ) كائنة (مِنَ اللَّهِ) لذنوبكم (وَرَحْمَةٌ) منه لكم على ذلك واللام ومدخلها جواب القسم وهو فى موضع الفعل مبتدأ خبره (خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ) من الدنيا

الغزو والسفر ولا يجب الغزو والسفر مونا بل لكل أجل كتاب فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة (قوله بالياء) والياء أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء يكون وعيدا للكفار وعلى التاء يكون تحذيرا للمؤمنين (قوله فيجازيكم به) أى إن خيرا غير وإن شرا فشر (قوله لام قسم) أى موطئة له تقديره والله لئن قتلتم (قوله بضم الميم وكسرهما) قراءتان سبعيتان وقوله من مات يوت راجع للضم ووزنه قال يقول وأصله يموت بسكون الميم وضم الواو نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها (قوله ويمات) راجع لقوله وكسرهما فكأن من باب خاف يخاف وأصله يموت بسكون الميم وفتح الواو نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها ثم تحركت الواو وافتتح ما قبلها قلبت ألفا (قوله أى أنا كم الموت فيه) أى فى السفر (قوله لغفرة) أى تأتية وقوله ورحمة أى إحسان فانوت خبر من الحياة إن كان فى سفر غير معصية أو جهاد فانه شهادة على كل حال (قوله جواب القسم) أى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم لقول ابن مالك : * واحذف لى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت (قوله وهو فى موضع الفعل) أى فتقديره لفترت لكم ورحمتكم وظاهره أن جواب القسم لابد وأن يكون جملة فعلية وليس كذلك بل يكون جملة اسمية وقدم القتل هنا على الموت لأنه أهم وأشرف وقدم الموت أولا لمرعاة الترتيب وآخره لأنه أعم من القتل (قوله مما تجمعون) يحتمل أن ماصدرية والمعنى خبر من جمعكم للدنيا أو موصولة والعائد محذوف تقديره خبر من الذى تجمعونه من الدنيا.

(قوله بالباء والياء) أى فهما قرأتان سبعينان (قوله بالوجهين) أى السابقين من ضم الهمزة كسرهما (قوله لا إلى الله تحشرون) قال بعضهم إن الآية تشير إلى مقامات العبودية الثلاثة: الأول من يعبد الله خوفاً من ناره وإليه الإشارة بقوله لمغفرة. الثاني من يعبد الله شوقاً إلى جنته وإليه الإشارة بقوله ورحمة. الثالث من يعبد الله لدائه لاطمعا ولا خوفاً وإليه الإشارة بقوله لا إلى الله تحشرون وفي الحقيقة الثالث قد حاز جميعها لكن من غير قصد منه لأن مشاهدة الله لا تكون إلا في الجنة ولا بد، ومن ذلك قول بعض العارفين :

ليس قصدي من الجنان نعماً غير آتى أريدها لأراك
(قوله مازائدة) أى للتوكيد والمعنى فبسبب رحمة من الله كتب لنا سهل الخاق . قال أنس بن مالك : خدمت رسول الله عشر سنين فما لامني على شيء فعلته أو تركته (قوله رحمة من الله) التنوين للتعظيم (قوله ولو كنت فظاً) أى صعب القول والفعل ومن سهولته قبول توبة وحسن قاتل عمه حمزة (قوله سيء الخلق) المناسب أن يفسره بصعوبة القول والفعل (قوله غليظ القلب) أى قاسيه (قوله لا تفوضوا من حولك) أى ذهبوا إلى الكفار ولم يبق منهم أحد وأما من قبله من الأنبياء فقد عاملوا قومهم بالجلال كنوح حين (١٧٦) قال رب لا تدرك على الأرض من الكافرين دياراً وكهود وصالح فنيبنا

رحمة للعالمين ولولا رحمته بنا ما بقى منا أحد فكان شفيها عند ربه لنا في كل بلاء عام طلبته الأنبياء لأثمهم (قوله فاعف عنهم) شروع في ذكر ترقيقه لهم فذكر أولاً العفو عنهم ثم الاستغفار لهم ليظهرهم ربهم من الذنوب فإذا طهروا وصاروا أصفاء خلفاء شاورهم في الأمر (قوله تطيبوا لقلوبهم) أى تونيسا وجبرها لها لثلاثين ضعف المؤمنين لولم تحصل المشاورة منه

بالتاء والياء (وَلَيْنَ) لام قسم (مُتَمِّ) بالوجهين (أَوْ قُتِلْتُمْ) في الجهاد أو غيره (لِإِلَى اللَّهِ) لا إلى غيره (تُحْشَرُونَ) في الآخرة فيجازيكم (فَيَا) ما زائدة (رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَنْتَ) يا محمد (لَهُمْ) أى سهلت أخلاقك إذ خالفوك (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا) سيء الخلق (غَلِيظَ الْقَلْبِ) جافياً فأغلظت لهم (لَا تَفْضُوا) تفرقوا (مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ) تجاوز (عَنَّهُمْ) ما أتوه (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) ذنوبهم حتى أغفر لهم (وَشَاوِرْهُمْ) استخرج آراءهم (فِي الْأَمْرِ) أى شأنك من الحرب وغيره تطيبوا لقلوبهم وليستن بك، وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم (فَإِذَا عَزَمْتَ) على إمضاء ما تريد بعد المشاورة (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به لا بالمشاورة (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) عليه (إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ) يعنكم على عدوكم كيوم بدر (فَلَا غَالِبَ لَكُمْ) وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ يترك نصركم كيوم أحد (فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد خذلانه أى فلا ناصر لكم (وَعَلَى اللَّهِ) لا غيره (فَلْيَتَوَكَّلِ) ليثق (الْمُؤْمِنُونَ). ونزل لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبي أخذها (وَمَا كَانَ) ما ينبغي (لِنَبِيِّ أَنْ يَقُلَ) يخون في الغنيمة

(قوله وليستن بك) أى ليصبر سنة لمن يأتي بعدك وليظهر صاحب الرأي السيد من غيره ولذا قدموا بعد فلا النبي أباً بكر لأنه كان يشاوره كثيراً ثم عمر لأن القرآن كان ينزل على طبق ما يقول. واختلف هل كانت المشاورة في أمر الدين والدنيا أو الدنيا فقط فقول الأول ولكن لا يتبع إلا الوحي وإنما المشاورة تطيباً لحاظرهم وقيل بالثاني وهو الظاهر (قوله ثق به) أى فلا يردك عنه أحد (قوله إن الله يحب المتوكلين) أى يثيب المفوضين الأمور إليه (قوله إن نصركم الله) هذا خطاب تشريف للمؤمنين المجاهدين (قوله يعنكم) أشار بذلك إلى أن النصر بمعنى الإعانة ويطلق بمعنى المنع قال تعالى: فمن ينصرني من الله إن عصيته، وبمعنى الانتقام قال: تعالى فدعاربه أتى مغلوب فاتصروا (قوله فلا غالب لكم) أى ولو اجتمعت عليكم أهل الأرض جميعاً (قوله أى بعد خذلانه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والضمير عائد على الله (قوله أى فلا ناصر لكم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي ولم يقل فلا ناصر لكم إشارة لعدم تقطيعهم من النصر تطفافاً بهم أى فارجعوا إليه ينصركم قال تعالى: وكان حقاعلينا نصر المؤمنين (قوله فليتكمل المؤمنون) أى المصدقون بأن النصر والخذلان من عند الله والمعنى فإذا علمتم أيها المؤمنون أن من نصره الله فلا ينبله أحد ومن خذله لا ناصر له سواء فتقواه واعتمدوا عليه (قوله لما فقدت قطيفة) أى من الغنيمة (قوله فقال بعض الناس) أى من المنافقين (قوله ينبغي) أى يمكن، والمعنى لا يتأتى ذلك لأن الأنبياء معصومون

من الذنوب كغيرها وصغيرها ، وأما قوله تعالى - قالوا إن يسرئ فقد سرق أخ له من قبل - حكاية عن سيدنا يوسف فقال بعض المفسرين إن يوسف وهو صغير وجد صنما عند جدته فأخذته خفية وكسره ووضع في محل القدر (قوله فلا نظنوا به ذلك) أي لأنها خيانه وهي محرمة والذي معصوم من ذلك فمن جوز العصية على النبي فقد كفر لمنافاته للعصمة الواجبة (قوله ومن يغفل) كلام مستأنف قصد به التحذير لنير المعصومين (قوله حاملا له على عنقه) أي والناس ناظرون له فضيحة له ، روى الشيخان عن أبي هريرة قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتكم لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحة فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتكم لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتكم لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتكم لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رفاع فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا » والرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرفاع الثياب والصامت الذهب والفضة والحمحة صوت الفرس وقوله لا ألقين نفي معناه النهي أي لا يفل أحدكم حتى ألتاء

هكذا (قوله آمن) الحمزة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصدارة (قوله ولم يقل) أي لم يسرق ولم يخن (قوله بسخط) مصدر قياسي اسخط بكسر الحاء وله مصدر سماعي وهو سخط بضم السين وسكون الحاء (قوله هي) هذا هو المخصوص بالذم وقوله

فلا تظنوا به ذلك وفي قراءة بالبناء للمفعول أي ينسب إلى الغلول (وَمَنْ يَقُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) حاملا له على عنقه (ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ) الغال وغيره جزاء (مَا كَسَبَتْ) عملت (وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ) شيئا (أَفَمِنْ أَتْبَعَ رِضْوَانِ اللَّهِ) فأطاع ولم يغل (كَمَنْ بَاءَ) رجع (بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ) لمعصيته وغلوله (وَمَا أَوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هي ، لا (هُمْ دَرَجَاتُ) أي أصحاب درجات (عِنْدَ اللَّهِ) أي مختلفو المنازل ، فمن أتبع رضوانه الثواب ، ولمن باء بسخطه العتاب (وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَصْمَلُونَ) فيجازيهم به (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَثَّ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) أي عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لأملا ولا محميا (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الذنوب (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) السنة (وَإِنْ) مخففة أي إنهم (كَانُوا مِنْ قَبْلُ) أي قبل بعثه (أَنَّى ضَلَّالٍ مُبِينٍ) ين

لا جواب الاستفهام (قوله هم درجات) أي رتب فمنهم المقبول فيه الدرجات العلاء ومنهم الردود فله الدرجات السفلى وفيه تغليب الدرجات على الدرجات لشرفها (قوله لقد من الله) هذا ترق في تعظيمه صلى الله عليه وسلم فترزه أولا عن الغلول ثم بين أن وجوده بينهم نعمة عظيمة أنعم بها عليهم وفي الحقيقة هو نعمة حتى على الكفار وإعماخص المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بها وتدوم عليهم وأما الكفار وإن أمنوا به من الحسف والسفك وكل بلاء عام ورزقوا به إلا أن عاقبتهم الخلود في دار البوار ويتبرأ منهم ولا يشفع لهم في النجاة من العذاب : بشرى لنا معشر الاسلام إن لنا من العناية ركننا غير منهدم

(قوله لا ماسكا) أي لعدم إطاقة البشر له قال تعالى - ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولابعدنا عليهم ما يلبيسون - (قوله ولا محميا) أي لعدم فهمهم عنه ما أرسل به ومن نعم الله أيضا كون القرآن عربيا قال تعالى - ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصات آياته أعجمي - وعربي - الآية (قوله ويعلمهم الكتاب) أي بنفسه أو بواسطة كالعلماء (قوله السنة) العلم النافع (قوله مخففة) أي من الثقلة لأعمل لها لقول ابن مالك : وخففت إن قلل العمل وتلزم اللام إذا مات حمل (قوله لنى ضلال مبين) أي كفر واضح ظاهر . قال العارف البرعي :

أتى والجاهلية في ضلال وكفر نعبد الحجر الأصنا
على مودة لأطفال دفنا جاء بلمة الاسلام يتلو
وناكل ميتة ودما وتسوط
مثنى في صلاة الخمس مثنى

(قوله أولما أصابتكم) الممزة داخلة على قوله قلتم أنى هذا التقدير أقتم أنى هذا حين أصابتكم الخ (قوله وأمر سبعين) لأن الفخر بالأنسور أعظم من المقتول لدلالته على عظم الشجاعة فلذلك قال قد أصبتم مثلها والمقصود من ذلك التسلية للمؤمنين (قوله والجملة الأخيرة) أى وهى قوله قلتم (قوله محل الاستفهام الانكارى) أى فهو بمعنى التثني والمعنى لا تتولوا ذلك حين أصابتكم مصيبة لأنه من عند أنفسكم فسببه ظاهر فلا يتعجب منه (قوله بخلافكم) أى مخالفتكم والمعنى جازاكم عليها (قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان) شروع فى بيان الحكم الذى ترتبت على هزيمة المؤمنين بأحد (قوله علم ظهور) أى بالنسبة للخاق (قوله وأصحابه) أى وكانوا ثلاثمائة (قوله تعالوا قاتلوا) أى إما فى المقدم بالسيف أو فى المؤخر بالسهم (قوله بتكثير سوادكم) أى عددكم وأشخاصكم (قوله بما أظهروا) أى (١٧٨) بسببه أى فإظهارهم الخذلان للمؤمنين سبب فى كونهم أقرب للكفر من

الإيمان (بدل من الذين قبله) أى وهو قوله الذين نافقوا (قوله وقعدوا) الجملة حالية فلذا قدر المفسر قد (قوله قل فادروا عن أنفسكم الموت) ورد أنه نزل بهم الموت وهم فى دورهم فمات منهم سبعون من غير قتال فى يوم واحد (قوله ونزل فى الشهداء) قيل شهداء بدر وقيل أحد وقيل شهداء بمرمونة وهم سبعون أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجد مسلمونهم القرآن فقتلهم عن آخرهم ولم ينج منهم إلا واحد فرأى هاربا وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعد الحسن لكل من قتل فى سبيل الله لا إعلاء كلمة الله وسبب ذلك أن

(أَوْلَمَا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ) بأحد بقتل سبعين منكم (قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا) بيدد بقتل سبعين وأمر سبعين منهم (قُلْتُمْ) متعجبين (أَنَّى) من أين لنا (هَذَا) الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا والجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكارى (قُلْ) لهم (هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) لأنكم تركتم المركز فخذلتم (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) بأحد (فَبَاذِنِ اللَّهَ) بإرادته (وَلْيَعْلَمْ) الله علم ظهور (الْمُؤْمِنِينَ) حقا (وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا، وَ) الذين (قِيلَ لَهُمْ) لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أبى وأصحابه (تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أعداءه (أَوْ أَدْفُئُوا) عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا (قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ) نحسن (قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ) قال تعالى تكذيباً لهم (هُمْ) للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) ولو علموا قتالا لم يتبعوكم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) من النفاق (الَّذِينَ) بدل من الذين قبله أو نعت (قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) فى الدين (وَ) قد (قَعَدُوا) عن الجهاد (لَوْ أَطَاعُونَا) أى شهداء أحد أو إخواننا فى القعود (مَا قَاتَلُوا، قُلْ) لهم (فَادْرُوا) أدفوا (عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أن القعود ينجى منه . ونزل فى الشهداء (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا) بالتخفيف والتشديد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لأجل دينه (أَمْوَاتًا، بَلْ) هم (أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ،

كا

الشهداء الذين قتلوا لما رأوا مارأوا من الحياة والرزق والنعيم الدائم قالوا ياربنا ومن يوصل خبرنا لآخواننا الأحياء فقال لهم الله أنا أبغ خبركم لآخوانكم فقال تعالى - ولا تحسبن - الآية (قوله ولا تحسبن) الخطاب قيل للنبي وقيل لكل من يصلح للخطاب والذين مفعول أول وأمواتا مفعول ثان وبل للاضراب الاتقالي وأحياء خبر لمخدوف قدره المفسر بقوله هم (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فى سبيل الله) أى طاعته والمعنى لم يكن لهم قصد إلا إعلاء دينه (قوله بل أحياء) بل للعطف وما بعدها خبر لمخدوف والجملة معطوفة على ما قبلها وهذه الحياة ليست حياة الدنيا بل هى أعلى وأجل منها لأنهم يسرحون حيث شاءت أرواحهم (قوله عند ربهم) خبر ثان والمعنى أنهم فى كرامة ربهم وضياقته ، وقوله برزقون خبر ثالث .

(قوله كما ورد في الحديث) أى وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله جعل أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل معلقة في ظلّ العرش » انتهى ، وأما أجسادهم فحملها القبور غير أن الأرواح لها تعلق بها فلذلك لا يحصل لأجسادهم بلاء فأرواحهم لها جولان عظيم من البرزخ إلى أعلى السموات إلى داخل الجنان والطيور الحضر لها كأهل وادج مع كونها متصلة بجسم صاحبها وما وصل للروح من النعيم يحصل للجسم أيضا وذلك نظير النائم فإن النائم يرى أن روحه في المشرق أو في المغرب مع كونها متصلة بجسمه وكالأولياء الذين أعطاهم الله التصريف فإن الواحد منهم يكون جالسا في مكان وروحه تسرح في أمكنة متعدّة وربك على كل شيء قدير ، ولذلك قال الله تعالى في آية البقرة - ولكن لا تشعرهم - ومثل الشهداء الأنبياء بل حياة الأنبياء أجل وأعلى ، وأما المؤمنون غير الشهداء والأنبياء فأرواحهم تسرح من القبر إلى باب الجنة وتنتظر ما أعد لها من النعيم المقيم لكن لا تدخلها إلى يوم القيامة وذلك يسمى عالم البرزخ واساعه بالنسبة للدنيا كانبساط الدنيا بالنسبة لبطن الأم (قوله بما آتاهم) متعلق بقوله فرحين ، والذي آتاهم الله من فضله هو حياتهم ورزقهم (قوله وهم يستبشرون) أشار بذلك إلى أن يستبشرون خبر الحذف والجملة إما حالية من الضمير في فرحين أو مستأنفة (قوله بالذين لم يلحقوا بهم) أى في الموت والمعنى أنهم يفرحون بما أعطاهم الله ويفرحون بما أعد لآخوانهم الذين لم يموتوا الآن سواء كانوا موجودين أو سيوجدون إلى يوم القيامة لدخولهم الجنة وإطلاعهم على منازل المؤمنين فيها (قوله (١٧٩) من خلفهم) حال من الوار في يلحقوا

أى حال كون الذين لم يلحقوا بهم متخلفين عنهم (قوله المعنى يفرحون) أى المتقدمون وقوله بأنهم أى المتأخرين (قوله بنعمة من الله) أى لهم ولاخوانهم (قوله بالفتح عطفا على نعمة) أى ويكون المعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله لا يضيع الخ ، وقوله والعكس استئنافا أى في معنى العلة

كما ورد في الحديث (يُرْزَقُونَ) يأكلون من ثمار الجنة (فَرِحِينَ) حال من ضمير يرزقون (بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (م) (يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون (بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) من إخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين (أَنْ) أى بأن (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أى الذين لم يلحقوا بهم (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في الآخرة المعنى يفرحون بأنهم وفرحهم (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ) ثواب (مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ) زيادة عليه (وَأَنَّ) بالفتح عطفا على نعمة والكسر استئنافا (اللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) بل يأجرهم (الَّذِينَ) مبتدأ (اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم سوق بدر العام المقبل من يوم أحد (مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) بأحد وخبر المبتدأ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ) بطاعته (وَاتَّقَوْا) مخالفته (أَجْرٌ عَظِيمٌ) هو الجنة (الَّذِينَ) بدل من الذين قبله أو نعت (قَالَ لَهُمُ النَّاسُ)

لما قبله والقره لثان سبعيتان (قوله الذين استجابوا) نزلت في أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانيا بعد حصول التفرقة لهم فخرجوا وساروا خلف العدو ثمانية أميال ، فوق بينهم ما وقع في مكان يقال له حمراء الأسد فحصل التوافق بين أبي سفيان والنبي أن يرفعوا القتال إلى العام القابل والموعد بعر الصغرى فسار أبو سفيان وأصحابه ومكث النبي بحمراء الأسد من يوم الأحد إلى يوم الجمعة إذا علمت ذلك فقول الفسر بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان الخ ليس بسديد فإن الآية نزلت مدحا لمن أجاب الرسول للقتال ثانيا في غزوة أحد يوم الواقعة التي كانت يوم السبت وتسمى غزوة يوم الأحد غزوة حمراء الأسد وهي التي مدحهم الله بها وأنجز خلاهم بها (قوله بأحد) المناسب أن يقول بعد ذلك يوم السبت واستجابوا له يوم الأحد (قوله منهم) من بيانية على حد فاجتنبوا الرجس من الأوثان (قوله الذين قال لهم الناس) شروع في ذكر غزوة بدر الثالثة وتسمى بدر الصغرى وكانت في السنة الرابعة في شعبان وهو يوم موسم عظيم لقبائل العرب كل عام فخرج أبو سفيان حتى نزل مرة الظهران فالتقى الله الرعب في قلبه فلقى نعيم بن مسعود الأشجى فقال أبو سفيان يا نعيم إني قد واعدت محمدا أن يلتقى بموعد بدر وهذا عام جدد فأحب أن يكون الحلف منه لا متى فاذهب إلى المدينة فنبطهم عن الخروج ولك عندي عشرة من الإبل فانطلق نعيم إلى المدينة فوجد النبي وأصحابه يتجهزون فقال لهم ما تريدون ؟ قالوا لميعاد أبي سفيان فقال لهم لا تقدرنا عليهم فاتهم قد جمعوا لكم فاحشوه فقال النبي لأخرجن إليهم ولو وحدي فخرج النبي في ألف وخمسمائة مقاتل حتى بلغوا بدرًا وكانت موضع سوق للعرب يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام فصادفوا الموسم وباعوا ما كان معهم من التجارات فربحوا في الدرهم درهمين ولم يأتهم أحد من المشركين فربحوا بربح وأجر عظيمين وأسلم كثير من أهل القبائل حينئذ .

(قوله أي، نعيم بن مسعود) أي فأطلق الكل وأراد البعض وقد أسلم بعد ذلك عام الحندق (قوله ذلك القول) أشار إلى ذلك إلى فاعل زاد على حد : اعدلوا هو أقرب للتقوى (قوله هو) أي الله وهو إشارة للخصوص بالمدح ، وهذه الدعوة من أفضل الدعوات وقد استعملها العارفون للهمات وجعلوا عذتها أربعاً وخسين فمن فعلها كفاء الله ما أمه (قوله فلم يأتوا) أي أبوسفيان وأصحابه وقد أسلم هو يوم الفتح بعد أن أسر (قوله وربحوا) أي في الدرهم درهمين (قوله بسلامة وربح) راجع للنعمة والفضل (قوله أي القاتل لكم) أي وهو نعيم بن مسعود الأشجى (قوله يخوفكم أوليائه) أشار بذلك إلى أن يخوفه ينصب مفعولين الكاف المقدرة مفعول أول وأوليائه مفعول ثان ، والمعنى يخوفكم شر أوليائه وهم الكفار (قوله ولا يحزنك) نزلت تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (قوله بضم الياء الخ) قراءة ثان سبعيتان ولقنان مشهورتان الأولى من أحزن والثانية من حزن (قوله يقعون فيه) * (١٨٠) أشار بذلك إلى أن يسارعون مضمن معنى يقعون فعدها بن إشارة

إلى أنهم تلبسوا بالكفر ولبسوا بخارجين عنه (قوله بنصرته) أي الكفر بمقالة النبي وأصحابه (قوله إنهم لن يضروا الله شيئاً) علة للنفي وهو على حذف مضاف تقديره لن يضروا أولياء الله شيئاً وإنما أسند الضرر لنفسه تشريفاً لهم كأن محاربة المسلمين محاربة إن قتلهم للمؤمنين مشاهد وهو ضرر فكيف ينق . أوجب بأنه ليس بضرر بل هو شهادة فالمؤمنون فائزون على كل حال قتلوا أو قتلوا والكافرون خاسرون على كل حال فتلوا أو قتلوا (قوله ولهم عذاب عظيم) أي جزاء لمسارعتهم في الكفر ونصرتهم له (قوله إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) هذه الجملة مؤكدة لما قبلها (قوله أي أخذوه بدله) يعني تركوا الإيمان واختاروا الكفر (قوله ولهم عذاب أليم) إنما وصف العذاب هنا بكونه أليماً لأن من اشترى ساعة وخسر فيها تألم منها ووصفه فيا تقدم بالعظيم لأن المسارعة للشيء تقتضي عظمه (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء الخطاب للنبي وقوله الذين كفروا مفعول أول لتحسين وقوله إنما على لهم في محل المفعول الثاني وهو تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى لا تظن أن إمهال الكافر بطول عمره وأكله من رزق الله ومقاتلته في أوليائه الله خير له وإنما إمهاله إزداد إنما وجرما قال تعالى - ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون - الآية ، وعلى الياء فقوله الذين كفروا فاعل تحسبن وقوله إنما على لهم خير سد مسد مفعولها كما قال المفسر . والمعنى لا يظن الكفار أن إمهالنا لهم خير لهم بل هو شرهم لأننا إنما على لهم ليزدادوا إنما (قوله أي إمهالنا) أشار بذلك إلى أن ماصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر اسم أن (قوله ومسد الثاني في الأخرى) أي ومنع لها الأول

إلى أنهم تلبسوا بالكفر ولبسوا بخارجين عنه (قوله بنصرته) أي الكفر بمقالة النبي وأصحابه (قوله إنهم لن يضروا الله شيئاً) علة للنفي وهو على حذف مضاف تقديره لن يضروا أولياء الله شيئاً وإنما أسند الضرر لنفسه تشريفاً لهم كأن محاربة المسلمين محاربة إن قتلهم للمؤمنين مشاهد وهو ضرر فكيف ينق . أوجب بأنه ليس بضرر بل هو شهادة فالمؤمنون فائزون على كل حال قتلوا أو قتلوا والكافرون خاسرون على كل حال فتلوا أو قتلوا (قوله ولهم عذاب عظيم)

(إنما)

عذاب عظيم) أي جزاء لمسارعتهم في الكفر ونصرتهم له

(قوله إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) هذه الجملة مؤكدة لما قبلها (قوله أي أخذوه بدله) يعني تركوا الإيمان واختاروا الكفر (قوله ولهم عذاب أليم) إنما وصف العذاب هنا بكونه أليماً لأن من اشترى ساعة وخسر فيها تألم منها ووصفه فيا تقدم بالعظيم لأن المسارعة للشيء تقتضي عظمه (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء الخطاب للنبي وقوله الذين كفروا مفعول أول لتحسين وقوله إنما على لهم في محل المفعول الثاني وهو تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى لا تظن أن إمهال الكافر بطول عمره وأكله من رزق الله ومقاتلته في أوليائه الله خير له وإنما إمهاله إزداد إنما وجرما قال تعالى - ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون - الآية ، وعلى الياء فقوله الذين كفروا فاعل تحسبن وقوله إنما على لهم خير سد مسد مفعولها كما قال المفسر . والمعنى لا يظن الكفار أن إمهالنا لهم خير لهم بل هو شرهم لأننا إنما على لهم ليزدادوا إنما (قوله أي إمهالنا) أشار بذلك إلى أن ماصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر اسم أن (قوله ومسد الثاني في الأخرى) أي ومنع لها الأول

هم الذين كفروا (قوله إنما على لهم) نعليل لما قبله (ولهم عذاب مهين) وصفه بالإهانة لأن من شأن من طال عمره في الكفر أن تنفذ كلته ويزداد عزا فعومل بضد مالتى في الدنيا (قوله ما كان الله لينذر المؤمنين) هذا وعد من الله لنبيه بأنه سيميزه المؤمنين من المنافق (قوله أيها الناس) أي المؤمنون والكفار (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفعل ذلك يوم أحد) أي حيث امتحنهم بالقدوم على العدو وبذل الأموال وكذلك في غزوة الأحزاب وكذلك في ميعة أبي سفيان في العام المقبل من أحد ففضحهم الله وميزهم في مواضع عديدة (قوله على الغيب) أي ما غاب عنهم (قوله ولكن الله) استدراك على ما تقدم في قوله : وما كان الله ليطلعكم على الغيب كأنه قال إلا الرسل فإنه يطلعهم على الغيب (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي بركاته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي بركة ما آتاهم الله من فضله (قوله مقدرا قبل الموصول) أي فتقديره ولا تحسبن بخل الذين يبخلون الخ خبرا لهم إذا علمت ذلك فقول المفسر (١٨١) بخلهم فيه تسميح لأن المقدر قبل الموصول يكون مضافا له لا للضمير

وإنما المضاف للضمير هو ما قدر قبل الضمير (قوله وقبل الضمير) أي فتقديره ولا يحسبن الذين يبخلون الخ بخلهم خبرا لهم (قوله كما ورد في الحديث) أي وهو قوله عليه الصلاة والسلام « يمثل مال مانع الزكاة بشجاع أقرع له ز بيتان يأخذن بهزمتيه ويقول أنا كنزك أنا مالك ثم تلا

(إِنَّمَا تُنَمِّلِي) نهمل (لَهُمْ لِيَزَادُوا إِيمَانًا) بكثرة المعاصي (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ذو إهانة في الآخرة (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ لِيُفْرَكَ) الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ (أَيُّهَا النَّاسُ) عَلَيْهِ من اختلاط الخالص بغيره (حَتَّى يَمَيَّزَ) بالتخفيف والتشديد : يفصل (الْخَبِيثَاتِ) الْمُنَافِقَاتِ (مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الْمُؤْمِنَاتِ بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك وفعل ذلك يوم أحد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُ) يختار (مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) فيطلعهم على غيبه كما أطلع النبي صلى الله عليه وسلم على حال المنافقين (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) النفاق (فَلََكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) وَلَا يَحْسِبَنَّ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ) عَمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (أَيُّ بَرَكَاتِهِ) (هُوَ) أي بخلهم (خَيْرًا لَهُمْ) مفعول ثان والضمير للفصل والأول بخلهم مقدرا قبل الموصول على الفرقانية وقبل الضمير على التحتانية (بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ) أي بركاته من المال (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بأن يحمل حية في عنقه تهشه كما ورد في الحديث (وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يرثهما بعد فناء أهلها (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء (خَبِيرٌ) فيجازيكم به (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) وهم اليهود قالوه لما نزل «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا» وقالوا لو كان غنيا ما استقرضنا (مَنْ كُتِبَ) نأمر بكتب (مَا قَالُوا) في صحائف أعمالهم ليجزوا عليه ، وفي قراءة بالياء مبنيا للمفعول (وَ) نكتب قتلهم ،

به (قوله والله ميراث السموات والأرض) هذا كالدليل لما قبله كأنه قال لا معنى للبخل بالمال فإنه الله يعطيه لمن يشاء ليصرفه فيما أمر به مدة حياته فإذا مات رجع المال لصاحبه . قال الشاعر : وما المال والآهوان إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع (قوله لقد سمع الله) اللام موطئة لتسم محذوف أي والله لقد سمع الخ . وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالدخول في الاسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا قال كبراء اليهود كحي بن أخطب وكعب بن الأشرف وفتحاص ابن عاذوراء لأبي بكر الصديق حين أمرهم بما ذكر على لسان رسوله : إن الله فقير ونحن أغنياء ولو كان غنيا ما استقرضنا ، ومعنى سمعه أنه علمه وإحصاؤه والحجزة عليه (قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) هذا من تلطف الله بعباده وتنزله لهم وإلا فالملك لله وحده ، وإنما سماه قرضا لأن جزاءه عليه كمجازاة المقرض أو أعظم فمن إحسانه علينا خاق ونسب إلينا وليس معناه أقرضوا الله ليتنفع به بل معناه أعطوا الفقراء لأجل مجازاتكم على (قوله وفي قراءة بالياء) أي فهما قراءتان سبعيتان ، فعلى هذه القراءة يكون الموصول وصلته نائب الفاعل وعلى الأولى يكون مفعولا والفاعل ضمير يعود على الله .

(قوله بالنصب والرفع) لف ونشر مرتب وهو معطوف على عمل الموصول وصلته وعمله إما نصب على قراءة النون أو رفع على قراءة الياء (قوله بغير حق) أى حق في اعتقادهم . إن قلت إن ذلك كان في أجدادهم فلم أؤخذوا به . أجيب بأن رضاهم به صبره كأنه واقع منهم لأن الرضا بالكفر كفر (قوله أى الله) هذا تفسير لقراءة الياء ويحتمل أنه راجع لقراءة النون ويكون حل . معنى وإلا فقتضى حلها أن يقول أى نحن (قوله عبر بها عن الإنسان الخ) أى فهو من باب تسمية الكل باسم جزئه وقوله لأن أكثر الأفعال تزاوُل بها علة لارتكاب المجاز (قوله وأن الله) معطوف على الموصول عطف علة على معلول التقدير ذلك العذاب بما قدمت أيديكم لأن الله ليس بظلام للعبيد (قوله أى بذى ظلم) دفع بذلك ما يقال إن المنفى كثرة الظلم فيفيد أن أصل الظلم ثابت فأجاب بأن هذه الصيغة للنسب لا للبالغة كتمار . قال ابن مالك : ومع فاعل وفعال فعل في نسب أغنى عن الياء فقبل (قوله نعت للذين قبله) أى وهو قوله : الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء فقد وصفهم بأوصاف زادتهم قبحا وشناعة (قوله في التوراة) أى على لسان موسى ، (١٨٢) قيل إن تلك المقالة لم تقع أصلا فهي كذب محض ، وقيل إنها

وجوده في التوراة إلا في حق المسيح ومحمد ، وأما هما فمعجزاتهما غير ذلك فهم قد كذبوا على التوراة على كل حال (قوله من نعم) أى إبل وبقروغن وقوله وغيرها أى تخيل وبنال وحمير وأمتعة (قوله بيضاء) أى لادخان لها ولها دوى (قوله إلا في المسيح ومحمد) هذه طريقة والطريقة الأخرى أن هذا العهد باطل وكذب من أصله (قوله كزكريا ويحيى) أى فجاءوا بقربان وأكلته النار (قوله لرضاهم به) أى والرضا بالكفر كفر (قوله فلم قتلتموه) أى

بالنصب والرفع (الأنبياء بغير حق) وتقول بالنون والياء ، أى الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة (ذوقوا عذاب الحريق) النار ، ويقال لهم إذا ألقوا فيها (ذلك) العذاب (بما قدمت أيديكم) عبر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تزاوُل بها (وأن الله ليس بظلام) أى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (الذين) نعت للذين قبله (قألو) لحمد (إن الله) قد (عهد إلينا) في التوراة (أ) ن (لا تؤمن لرَسُول) نصده (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) فلا تؤمن لك حتى تأتينا به وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها فإن قبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقتة وإلا بقى مكانه وعهد إلى بنى إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد قال تعالى (قل) لهم توبيخاً (قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) بالمعجزات (وبالذلى قُلْتُمْ) كزكريا ويحيى قتلتموه والخطاب لمن في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به (فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين) فى أنكم تؤمنون عند الإتيان به (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات) بالمعجزات (والزبر) كصحف إبراهيم (والكتاب) وفي قراءة بإثبات الباء فيهما (المنير) الواضح كالنوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا (كل نفس رائقة الموت وإلما تؤفون أجوركم) جزاء أعمالكم (يوم القيامة فمن زحزح) بعد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) نال غاية مطلوبه (وما الحياة الدنيا) أى العيش فيها (إلا متاع العُور) ،

الباطل

فلأى شئ قتلتموه (قوله فإن كذبوك) أى داموا على تكذيبك وجواب الشرط محذوف

قدره المفسر بقوله فاصبر كما صبروا والمناسب ذكره بصلته وأما فقد كذب رسل فدليل الجواب ولا يصح أن يكون جواباً لأنه ماض بالنسبة للشرط وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله المعجزات) أى الظاهرة الباهرة (قوله والزبر) جمع زبور وهو كل كتاب اشتمل على المواعظ من الزبر وهو الموعدة والزجر (قوله والكتاب) عطف خاص على عام وانما خصهما لشرهما (قوله وفي قراءة) أى وهي بعبية أيضاً (قوله كل نفس ذائقة الموت) هذا أيضاً من جملة التسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى كل روح ذائقة الموت لجسمها وإلا فالروح لا تموت وعموم الآية يشمل حتى الشهداء والأنبياء والملائكة وأما قوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فعنه ترد بعد خروجها لهم وكذلك الأنبياء والملائكة ، وأما ما عداهم فلا ترد لهم إلا عند النفخة الثانية (قوله جزاء أعمالكم) أى خيرها وشرها (قوله يوم القيامة) أى وما ألحق به لما ورد في القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (قوله وأدخل الجنة) أى مع السابقين أو بعد الخروج من النار (وما الحياة الدنيا) أى القربية وهي التي نحن ملتبسون بها .

(قوله الباطل) أى الزائل الذى لا يبقى . ويصح أن يراد بالغرور مصدر بمعنى اسم المفعول : أى المدحوخ بالشيء الحسن ظاهره القبيح باطنه بمعنى أنه لا يدرك العواقب . قال الامام الشافعى :

إن لله عبادة فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنة نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطنا جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا (قوله لتبطلون) إخبار من الله للمؤمنين بأنه سيقع لهم بلايا من الله بلا واسطة ومن الكفار أذى كثير فى أموالهم وأعراضهم وأنفسهم وأمر منه لهم بالصبر حين وقوع ذلك لأن الجنة حفت بالمكاره واللام موطئة لقسم محذوف وتبطلون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالى النونات والواو نائب فاعل والنون للتوكيد وأصله تبطلون أكد فصار تبطلون ثم أتى باللام لتدل على القسم المحذوف تحركت الواو الأولى التى هى لام الكلمة وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى سا كننان حذفت الألف لالتقاء الساكنين ثم حذفت نون الرفع اتوالى الأمثال ثم حركت الواو بحركة مجانسة لها (قوله لالتقاء الساكنين) علة لمحذوف تقديره وحذفت الألف المنقلبة عن الواو الأولى لالتقاء الساكنين (قوله لتختبرن) حل لمعنى لتبطلن ، والمعنى يعاملنكم معاملة المختبر وإلا فهو أعلم بكم من أنفسكم (قوله بالفرائض فيها) أى كازكاة والكفارات والندور ، وقوله والجوائح : أى الأمور السماوية التى (١٨٣) تهلك الزرع كالجراد والقار والظامة (قوله بالعبادات) أى التكاليف بها ، وقوله والبلاء : أى الذى يصيب الانسان فى نفسه كالجوع والجراحات وغير ذلك (قوله من قبلكم) جار ومجرور حال من قوله الذين أوتوا الكتاب وأصل لقسمين تسمعون وأصل لك بالنون ولام القسم حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقاءهما ولوجود الضمة التى تدل

الباطل يتمتع به قليلاً ثم بنى (لَتَبْطُلُنَّ) حذفت منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين : لتختبرن (فِي أَمْوَالِكُمْ) بالفرائض فيها والجوائح (وَأَنْفُسِكُمْ) بالعبادات والبلاء (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) اليهود والنصارى (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) من العرب (أَذَى كَثِيراً) من السب والظن والتشبيب بنسائكم (وَإِنْ تَصْبِرُوا) على ذلك (وَتَتَّقُوا) الله (فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى من معزوماتها التى يعزم عليها لوجوبها (وَ) اذكر (إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أى العهد عليهم فى التوراة (لَيُبَيِّنَنَّ) أى الكتاب (لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ) أى الكتاب بالياء والتاء فى الفعلين (فَنَبَذُوهُ) طرحوا الميثاق (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) فلم يعملوا به (وَأَشْتَرَوْا بِهِ) أخذوا بدله (ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا من سفلتهم برياستهم فى العلم فكتموه خوف فوته عليهم (فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ) شراؤهم هذا (لَا تَحْسَبَنَّ) بالتاء والياء (الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا) فعلوا من إضلال الناس (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا) من التمسك بالحق وهم على ضلال (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ) ،

عليها (قوله وانتشيب بنسائكم) أى بذكر محاسنهم وأوصافهم بالقصائد وتناشدها بينهم ، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف لعنه الله (قوله على ذلك) أى المذكور من الابتلاء والأموال والأنفس وجمع الأذى من أهل الكتاب (قوله لوجوبها) أى فالصبر على ما ذكر والتقوى لله من الأمور الواجبة فإن من علامة الإيمان الصبر والتقوى وقبيح على الانسان يدعى محبة الله ثم لم يصبر على أحكامه . قال العارف :

تدعى مذهب الهوى ثم تشكو أين دعواك فى الهوى يا معنى
لو وجدناك صابرا لبلانا لعطيناك كل ما تمنى

(قوله بالياء والتاء فى الفعلين) أى وهما ليبيئنه ولا يكتمونه وهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء إخبار عنهم وعلى التاء حكاية للحال الماضية (قوله فنبدوه وراء ظهورهم) كناية عن عدم التمسك به لأن من لم يمسك بشيء ولم يعقنه طرحه خاف ظهره (قوله شراؤهم) أشار به إلى أن ما مؤولة بمصدر فاعل بنفس ، وقوله هذا هو الخصوص بالدم وهذه الآية وإن وردت فى الكفار تجزأ بذيلها على عصاة المؤمنين الذين يكتمون الحق وينصرون الباطل (قوله بالتاء والياء) فعلى التاء الخطاب للنبي أولم يصلح له الخطاب والمدين مفعول أول والمفعول الثانى محذوف دل عليه قوله بمقاظة من العذاب تقديره ناجين من عذاب الله وعلى الياء فتولة الدين فاعل ومفعولاه محذوفان تقديرهما أنفسهما ناجين من عذاب الله وسيأتى بشر ذلك للفسر

(قوله بالوجهين) أى الياء والثاء لئلا على قراءة التثنية الباء مفتوحة وهذه الآية تجر بذيلها على من يكون خبيث الباطن وعجب زينة الظاهر. كأن يظهر العلم والصلاح والتقوى مع كونه فى الباطن ضالا مضلا (قوله والله ملك السموات والأرض) أى التصرف فيما فى السموات وما فى الأرض لأن ذات السموات والأرض لا نزاع فى أنها مملوكان لله (قوله ومنه) أى من الشئ المقدور عليه (قوله إن فى خلق السموات والأرض) سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اثنتا بآية تدل على أن الله واحد ، فقال تعالى ردا عليهم - إن فى خلق السموات والأرض - الآيات وإن حرف توكيد ونصب وفى خلق جار ومجرور خبرها مقدم وخلق مضاف والسموات مضاف إليه ، وقوله لآيات اسمها مؤخر (قوله وما فيهما من العجائب) أشار بذلك إلى أن خلق باقى على مصدريته بمعنى الإيجاد ويحتمل أن يكون بمعنى اسم المفعول : أى مخلوقات السموات والأرض ، وقوله من العجائب : أى كالنجوم والشمس والقمر والسحاب بالنسبة للسموات ، والبحار والجبال والنباتات والحيوانات بالنسبة للأرض . قال تعالى - أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج زوج - وبالجملة : (١٨٤) فى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

(قوله بالوجهين والذهب) أى بجميع الليل عقب النهار والنهار عقب الليل فليس أحد يقدر على إتيان الليل فى النهار ولا العكس (قوله والزيادة والنقصان) أى زيادة أحدهما بقدر ما تنقص من الآخر (قوله دلالات) أى براهين قطعية دالة على كونه متصفا بالكلمات منزها عن النقائص (قوله ذوى العقول) أى أصحاب العقول الكاملة (قوله نعمت لما قبله) أى وهو

بالوجهين تأكيد (بِمَفَازَةٍ) بمكان ينجون فيه (مِنَ الْعَذَابِ) فى الآخرة بل هم فى مكان يعذبون فيه وهو جهنم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فيها ومنعولا تحسب الأولى دل عليها مفعولا الثانية على قراءة التحتانية ، وعلى القوقانية حذف الثانية فقط (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وما فيهما من العجائب (وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالجمي والذهب والزيادة والنقصان (لآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِأُولَى الْأَلْبَابِ) لذوى العقول (الَّذِينَ) نعمت لما قبله أو بدله (يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) مضطجعين أى فى كل حال ، وعن ابن عباس يصلون كذلك حسب الطاقة (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا) الخلق الذى نراه (باطِلاً) حال : عبثا بل دليلا على كمال قدرتك (سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن العبث (فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تُدْخِلِ النَّارَ) ،

لأخاود

أولى فهو فى محل حر (قوله مضطجعين) أشار بذلك

إلى أن قوله : وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف حال فهو حال مؤولة بعد حال صريحة (قوله أى فى كل حال) تفسير لقوله - قياما وقعودا وعلى جنوبهم - (قوله يصلون كذلك) أى قياما إن قدروا فإن لم يقدروا فقعودا فإن لم يقدروا فعلى جنوبهم (قوله ليستدلوا به على قدرة صانعهما) أى واتصافه بالكلمات فالتفكير ورث للعلم والمعرفة . قال العارف أبو الحسن الشاذلى : ذرة من عمل القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الأبدان (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أنه حال من الواو فى يتفكرون ، والمعنى يتفكرون فائلين ربنا الخ وهو إشارة لثمرة الفكر ثمرة الفكر الاستدلال والمعرفة بالله (قوله حال) أى من قوله هذا ، وهذه الحال لا يستغنى عنها فهى واجبة الذكركم كقوله تعالى - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين - (قوله سبحانه) مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره أصبح سبحانه ، وهذه الجملة معترضة بين قوله - ربنا ما خلقت هذا باطلا - وبين قوله - فقننا عذاب النار - (قوله فقننا عذاب النار) هذا متسبب عن قوله - ربنا ما خلقت هذا باطلا - أى حيث وحدناك وزهناك عن النقائص فقننا عذاب النار لأن النار جزاء من عصى ولم يوحد (قوله إنك من تدخل النار الخ) هذا عطف لما قبله ، والمعنى إنما طلبنا الوقاية من عذاب النار لأن من أدخلته النار فقد أخزيت .

(قوله لا تخلود فيها) جواب عن سؤال مقتر تقديره إن قوله تعالى - يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه - يقتضي أن جميع المؤمنين غير مخزيين مع أن بعض العصاة منهم يدخل النار تطهيرا لما اقترفه وهذه الآية تدل على أن من دخل النار مخزى وإن مؤمنا . فأجاب المفسر بحمل الآية على الكفار (قوله زائدة) أى للتوكيد في المبتدأ المؤخر وقوله للظالمين خبر مقدم (قوله مناديا) أى داعيا وهو على حذف مضاف أى نداء مناد (قوله ينادى) صفة لمناديا على الصحيح خلافا لمن جعله مفعولا ثانيا لسمع لأنها لا تنصب إلا مفعولا واحدا على الصحيح (قوله وهو محمد) أى فاسناد النداء إليه حقيقى وقوله أو القرآن أى فاسناد النداء إليه مجازى والمعنى منادى به (قوله أن آمنوا) أن تفسيرية، وقوله بربكم أى صدقوا بأنه يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص (قوله فاغفر لنا ذنوبنا) أى استرها عن أعين الخلق وقوله وكفرنا سيئاتنا أى غطها عنا فلا نؤاخذنا بها وإحسان الصنف وهو ترك عظيم في طلب المغفرة فهو من عطف الخاص على العام (قوله بالعقاب عليها) أى ولا بالعقاب عليها (قوله وتوفنا مع الأبرار) أى احشرونا معهم واجعلنا في زميرهم ، والمراد بالأبرار المطهرون الذين لم يفعلوا ذنوبا (قوله وآتانا) معطوف على محذوف تقديره حقق لنا ما ذكرنا (قوله من الرحمة والفضل) بيان لما (قوله وسؤلهم ذلك الخ) أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله أن يقال إن وعد الله لا يتخلف قال تعالى - وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجر عظيما - فلا فائدة في ذلك السؤال أجاب المفسر بقوله سؤال أن يجعلهم الخ . وحاصل ذلك الجواب أن العاقبة (١٨٥) مجهولة ووعد الله لا يتخلف لمن

حدثت عاقبته ومن أين لنا حسن العاقبة ففائدة السؤال أن الله يحسن عاقبتهم فاذا حسنت تحقق وعده تعالى: إن قلت لا يتخلو الأمر إماما تكون العاقبة في نفس الأمر محمودة فوعد الله له محقق ولا بد وإما أن تكون غير محمودة فليس له عند الله وعد أصلا فلا فائدة في الدعاء. وأجيب بأن توفيقه للدعاء دليل على أن الله

للخلود فيها (فَقَدْ أُخْزِيَتْهُ) أهنته (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) الكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم (مِنْ) زائدة (أَنْصَارٍ) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي) يدع الناس (لِلْإِيمَانِ) أى إليه وهو محمد أو القرآن (أَنْ) أى بأن (آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا) به (رَبَّنَا فَافْغِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ) غط (عَنَّا سَيِّئَاتِنَا) فلا تظهرها بالعقاب عليها (وَتَوَفَّنَا) اقبض أرواحنا (مَعَ) فى جملة (الْأَبْرَارِ) الصالحين (رَبَّنَا وَآتِنَا) أعطنا (مَا وَعَدْتَنَا) به (عَلَى) السنة (رُسُلِكَ) من الرحمة والفضل ، وسؤلهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يتخلف سؤال أن يجعلهم من مستحقيه لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير ربنا مبالغة في التضرع (وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) الوعد بالبعث والجزاء (فَاسْتَجَبَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) دعاءهم (أَيْ) أى باني (لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ،

لا يتخلف وعده الذى وعده إياه . قال بعضهم ما رفقتك للدعاء إلا ليعطيك حيث وفق العبد للدعاء كان دليلا على قبوله وإثباته وحسن عاقبته ولذا لم يوفق إبليس للتوبة ولا للدعاء (قوله وتكرير ربنا الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله أنه لم كثر لفظ ربنا خمس مرات فأجاب بأنه مبالغة في التضرع: أى الخضوع والتذلل ولما ورد أنه الاسم الأعظم، وعن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أتجاه الله مما يخاف وأعطاء ما أراد ، قيل وكيف ذلك قال اقرءوا قوله تعالى - إن في خالق السموات والأرض - الآيات، وهى من أوراد الصالحين تقرأ إلى آخر السورة عند الاستيقاظ من النوم ليلا فمن لازم عليها تحقق بما فيها وحصل له ثواب من قام الليل (قوله يوم القيامة) ظرف لقوله ولا تخزنا أى لا تفضحنا في ذلك اليوم (قوله إنك لا تخلف الميعاد) علة لقوله آتانا ما وعدتنا الخ (قوله فاستجاب لهم) أى لأولى الأبواب الموصوفين بما تقدم واستجاب بمعنى أجاب فالسين والتاء زائدتان للتأكيد وهو يتعدى بنفسه واللام (قوله ربهم) إنما عبر به دون غيره من الأسماء لمناسبة دعائهم به (قوله أى مائى) أشار بذلك إلى أن أن بفتح الهزمة باتفاق السبعة وفيه حذف الجار وهو مطرد إذا أمن اللبس، قال ابن مالك :

... وفى أن وأن يطرد مع أمن لبس كعجبت أن يبدو وهذه الباء للسيدة وقرئ شذوذا بإثباتها وقرئ شذوذا أيضا بكسر الهزمة على تقدير القول (قوله لا أضيع) هكذا يسكون الياء من أضاع وقرئ بتشديد الياء من ضيع [٢٤ - صاوى - أول] (قوله منكم) جار ومجرور صفة لعامل وقوله من ذكر أو أنثى من بيانية وقبل زائدة

وفذكر أو أنى بدل من عامل وقيل إن الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله بدل كل من كل (قوله بعضكم من بعض) هذه الجملة قصد بها للتعليل والتعميم ، والمعنى لأن أصبح عمل عامل منكم جميعا ذكر أو أنى لأن ربكم واحد وأصلكم واحد ودينكم واحد وبعضكم متناسل من بعض (قوله مؤكدة لما قبلها) أى قصد بها التعميم (قوله نزلت) أى هذه الآية من هنا إلى قوله والله عنده حسن الثواب (قوله من مكة إلى المدينة) أى أو إلى الحبشة كما كان في صدر الاسلام فكان من أسلم ولم يأمن على نفسه يأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالمجرة إلى الحبشة إلى أن جاءه الاذن بالمجرة إلى المدينة (قوله وأخرجوا من ديارهم) يشير بذلك إلى أن الاخراج قهرى لأنه وإن كان في الظاهر طائعا إلا أنه في الباطن مكره (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان وقوله وفي قراءة بتقديمه أى المبني للفعول لكن بالتخفيف فالقراءات ثلاث وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى مع أى قتلوا مع كونهم قاتلوا فلم يفرّوا بل قتلوا في حال مقاتلتهم الأعداء (قوله لا كفرن) اللام موطئة لقسم محذوف أى وحق وجلالى لا كفرن والقسم وجوابه في محل رفع خبر قوله فالذين هاجروا إلخ وهذا الوعد الحسن لمن انصف بجميع تلك الصفات أو ببعضها (قوله أسترها بالمغفرة) أى عن الخلق (١٨٦) وأبدلها حسنات (قوله ثوابا) هو في الأصل مقدار من الجزاء أعدّه الله

لعباده المؤمنين في الآخرة في نظير أعمالهم الحسنة لكن المراد به هنا الآية فهو مصدر مؤكد كما قال المفسر ويصح أن يكون حالا من جنات : أى لأدخلهم جنات حال كونها ثوابا بمعنى مثابها أى في نظير أعمالهم الحسنة (قوله من معنى لا كفرن) أى وما بعده وهو لأدخلهم فهما في معنى لا يدينهم (قوله من عند الله) جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لثوابا (قوله فيه التفات عن التكلم) أى وكان مقتضى

بَقُضْكُمْ) كائن (مِنْ بَقُضٍ) أى الذكور من الإناث وبالعكس والجملة مؤكدة لما قبلها أى هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها . نزلت لما قالت أم سلمة يا رسول الله إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا) من مكة إلى المدينة (وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي) ديني (وَقَاتَلُوا) الكفار (وَقُتِلُوا) بالتخفيف والتشديد وفي قراءة بتقديمه (لَا كَفَرْنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) أسترها بالمغفرة (وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا) مصدر من معنى لا كفرن مؤكدة له (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) فيه التفات عن التكلم (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) الجزاء . ونزل لما قال المسلمون : أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد (لَا يَفْرُكَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا) تصرفهم (فِي الْبِلَادِ) بالتجارة والكسب هو (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) يتمتعون به يسيرا في الدنيا ويفنى (ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفرش هى (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) أى مقدرين الخلود (فِيهَا زُجُلًا) هو ما يعد للضيف ونصبه على الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف ،

الظاهر أن يقول ثوابا من عندى وإنما أظهر في محل الاضمار تشريفا لهم (قوله والله عنده

حسن الثواب) لفظ الجلالة مبتدأ وقوله حسن الثواب مبتدأ ثان وقوله عنده خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول ويحتمل أن يكون حسن الثواب فاعلا بالظرف قبله والجملة خبر المبتدأ وإضافة حسن للثواب من إضافة الصفة للوصف أى الثواب الحسن كالجنة وما فيها وأتى بهذه الآية تليلا لما قبلها (قوله لا يفرئك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والقصود غيره لأن هذه اللقاة واقعة من ضعفاء المسلمين ولا نهاية ويترك فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والكاف مفعوله والمعنى لا تنفتر بتقلبهم إلخ (قوله متاع قليل) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله يتمتعون) أى يتمتعون ويقنعون به (قوله هى) أشار به إلى أنه المخصوص بالذم (قوله لكن الذين اتقوا) إنما أتى بالاستدراك دفعا لما يتوهم من أن الدنيا مذمومة ومتاع قليل مطلقا للمؤمن والكافر فأفاد أن المؤمن وإن أخذ في التجارة والتكسب لا يضره ذلك بل له في الآخرة الدرجات العلاء فذم الدنيا ومعيشتها للكافر خاصة ، قال العارف :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا لا بارك الله في دنيا بلا دين

(قوله تجرى من تحتها الأنهار) صفة لجنات (قوله أى مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال مقدرة لأن وقت دخولهم الجنة لبسوا بخالدين فيها (قوله ونصبه على الحال) أى لهم جنات حال كونها مهيأة ومعدة للمؤمنين كما يقرى الانسان ضيفه

بأعز ما عنده (قوله من عند الله) هذه الجملة صفة لتزلا وإنما هي تزلأ لأنه يرتفع عنهم تكاليف السى والكسب فهو شى سهل مهيأ لهم من غير تعب ولذلك حين دخولها يقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (قوله للأبرار) أى التقين (قوله وإن من أهل الكتاب) سبب نزولها أنه يوم موت النجاشى ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه عطية الله أسلم من غير أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت رعيته فى الاسلام تبعاً له جاء جبريل وأخبره بأنهم متوجهون بجنائزته ليصلوا عليه فخرج النبي وأصحابه إلى الصحراء فكشف للنبي عنه فضلى عليه هو وأصحابه فلما فرغوا قال المناقوتون انظروا إلى هذا الرجل يصلى على علع حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت الآية (قوله كعبد الله بن سلام) أى وأربعين من نصارى نجران واثنتين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم، وراعى فى الصلاة لنظ من وفى قوله خاشعين وما بعده معناها (قوله بأن يكتموها) تصوير للشراء المتنى (قوله يؤتونه مرتين) أى لايمانهم بكتابهم والقرآن (قوله كما فى القصص) أى فى سورة القصص قال تعالى - أولئك يؤتون أجراً مرتين بما صبروا - (قوله إن) (١٨٧) الله سريع الحساب) أى المجازاة على الخير والشر (قوله

يأبها الذين آمنوا صبروا) لما بين فى هذه السورة فضل الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من الأحكام العظيمة ختمت بما يفيد المحافظة على ذلك (قوله على الطاعات الخ) أشار بذلك إلى مراتب الصبر الثلاثة وأعظمها الصبر عن المصيبة (قوله فلا يكونوا أشد صبراً منكم) أى فلا تفروا من الأعداء واصبروا على الجهاد وخصه وإن دخل فى عموم الصبر لأنه أعظم أنواعه وجامع

(مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) من متاع الدنيا (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشى (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) أى القرآن (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ) أى التوراة والإنجيل (خَاشِعِينَ) حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من ، أى متواضعين (لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) التى عندهم فى التوراة والإنجيل من نعمت النبي (تَمَنَّا قَلِيلاً) من الدنيا بأن يكتموها خوفاً على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود (أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ) ثواب أعمالهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ) يؤتونه مرتين كما فى القصص (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا) على الطاعات والمصائب وعن المعاصى (وَاصْبِرُوا) الكفار فلا يكونوا أشد صبراً منكم (وَرَابِطُوا) أقيموا على الجهاد (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى جميع أحوالكم (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تنوزون بالجنة وتنجون من النار .

(سورة النساء)

(مدنية مائة وخمس وأوست أوسبع وسبعون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة ،

لها فانه صبر على الطاعة وهو الجهاد وعن المعصية وهو الفرار من العدو وعلى المصيبة وهى القتل والجرح (قوله ورابطوا) أصل المراقبة أن يربط كل من الخصمين خيولهم بحيث يكونون مستعدين للقتال ثم توسع فيه وجعل كل مقيم فى الثغر لحراسه العدو مرابطاً وإن لم يكن عدو ولا مركوب مربوط (قوله فى جميع أحوالكم) أى حالاتكم من رخاء وشدة وعسر ويسر وصحة ومرض (قوله لعاسكم تفاحون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق. والفلاح هو الفوز والظفر، ورد أن من قرأ سورة آل عمران أعطاه الله بكل آية منها أماناً على جسر جهنم .

[سورة النساء] مدنية أى كلها وإن خوطب بمطاعها أهل مكة لأن القاعدة أنه مقى فى القرآن يأبها الناس كان خطاباً لأهل مكة ومقى قيل يأبها الذين آمنوا كان خطاباً لأهل المدينة (قوله وخمس أوست) أولتنويع الخلاف فهى مائة وسبعون جزماً والخلاف فيما زاد (قوله يأبها الناس) الخطاب للكافرين عموماً ذكورا وإناثاً إنسا وأجنات لأن لهم مالنا وعليهم ماعلينا وليس مخصوصاً بمن كان موجوداً وقت النزول لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال تعالى - وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث - .

(قوله اتقوا ربكم) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه وذلك يحصل بالاسلام فان المسلم العاصى قد انقضى الشرك وهو أعظم للتهيات بالإيمان وهو أعظم للمأمورات لكن يقال لها تقوى عامة ، وتقوى الخواص من اجتناب للتهيات جميعها وامتثال للمأمورات على حسب الطاقة ، وتقوى خواص الخواص من الانهماك فى طاعة الله وعدم الشغل بغيره ولو مباحا والآية صادقة بهذه المراتب كلها (قوله الذى خلقكم) تأكيد للأمر المتقدم فالمعنى اتقوا الله لأنه مالكمكم ومرييتكم ومن أوصافه أنه خلقكم وأنشأكم من نفس واحدة فمن كان بهذه الصفات فهو أحق بأن يتقى لأنه لاستغناء عنه بل كل من خلقه مفتقر إليه فى كل لحظة وطرفة ولحظة ، وفى ذلك إشارة إلى أن التقوى تكون فى حق بعضنا بعضا لأن أصلنا واحد قالوا يجب علينا اتقاء ربنا لأنه الخالق لنا واتقاء بعضنا بعضا لأننا كلنا من أصل واحد (قوله وخلق منها) أى من تلك النفس الواحدة (قوله زوجها) يقال فى الأثني زوج وزوجة والأصح الأول (قوله حواء) بالمد سميت بذلك لأنها خلقت من حمى (قوله من ضلع من أضلاعه) أى بعد أن أخذه النوم ولم يشعر بذلك ولم يتألم فلما استيقظ من النوم وجدها فمال إليها فأراد أن يمد يده إليها فقالت له اللانكسة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها قال فمهرها قالوا حتى تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فى رواية ثلاث صلوات وفى رواية سبعة عشر وفى ذلك إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة لكل موجود حتى آتاه آدم . إن قلت حيث كانت حواء مخلوقة من ضلع آدم فهى أخت لأولاده فمقتضاه أنه يحل لمن يخلق منها الزوج بها فى شرعه . أجيب بأن نفع حواء من آدم لبس كتنفرع الولد من الوالد بل نباتها من الضلع كما تنبت النخلة من النواة فلا يحكم عليها بأنها بنت آدم ويقال لها أخت أولاده بل هى أمهم لا غير . واختلف هل كان خلق حواء خارج الجنة وبه قال جماعة ، وقال ابن عباس 'وجماعة إنه كان داخل الجنة ولا مانع من كونه أخذه

(١٨٨)

النوم فيها لأن المنوع النوم بعد دخولها يوم القيامة (قوله ونساء كثيرة) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء ورد أن حواء حملت من آدم عشرين بطناً أو أربعين بطناً فى كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج ذكر

(اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى عقابه بأن تطيعوه (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) آدم (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجًا) حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى (وَبَثَّ) فرق ونشر (مِنْهَا) من آدم وحواء (رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) كثيرة (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى السين وفى قراءة بالتخفيف بحذفها أى تتساءلون (بِهِ) فيما بينكم حيث يقول بعضهم لبعض: أسألك بالله وأنشدك بالله (وَ) اتقوا (الْأَرْحَامَ) أن تقطعوها، وفى قراءة بالجر عطفها على الضمير فى به ،

وكانوا

هذه البطن لأنثى البطن الأخرى فنزل اختلاف البطون منزلة اختلاف

الآباء والأمهات وما مات حتى اجتمع من ذريته مباشرة وبواسطة فوق المائة ألف يشتغلون بأنواع الصنائع والتجارة (قوله واتقوا الله) معطوف على قوله اتقوا ربكم (قوله الذى تساءلون به) أى يقسم بعضكم على بعض به لأنه عظيم جليل حيث كان كذلك فهو أحق بأن يتقى (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى فاصلة تتساءلون به قلبت التاء سيناً ثم ادغمت فى السين وإنما قلبت التاء سيناً لقرب مخرجيهما (قوله بحذفها) أى التاء الثانية وحذفت تخفيفاً . قال ابن مالك :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيه على تاكيتين العبر (قوله حيث يقول بعضكم الخ) أى فيدخل الخى ولا يتعرض له وكان ذلك فى الجاهلية والمعنى اتقوا الله لأنه ربكم وخالقكم من نفس واحدة ولأنه عظيم يقسم به وتقضى الحوائج باسمه (قوله والأرحام) هكذا بالنصب معطوف على لفظ الجلالة والعامل فيه اتقوا ولذا قدره المفسر وقوله أن تقطعوها إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره واتقوا قطع الأرحام لما فى الحديث «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله» ومواصله الأرحام تختلف باختلاف الناس فمنهم الغنى والفقير فالواجب على الغنى للواصله بالهدايا والجحف والكلام اللين وعلى الفقير باللين والسعى لهم ومعاشرتهم بالمعروف ولا فرق بين الأحياء والأموات (قوله وفى قراءة بالجر) أى مع تخفيف تساءلون وهى لمزة وأما قراءة النصب فبالتشديد والتخفيف فالقراآت ثلاثة وكلها سبعة (قوله عطفها على الضمير فى به) أى من غير عود الحافض وهى وإن كانت لغة فصيحة إلا أنها خلاف الكثير ، وقد أشار لذلك ابن مالك بقوله :

وعود خافض لى عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلنا

وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتاً

فأشار بالنثر الصحيح إلى الآية، وبالنظم إلى قول الشاعر :

فاليوم قد بت تهجونا ونشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

بحر الأيام (قوله وكانوا يتناشدون بالرحم) هذا مرتب على القراءة الثانية أي فاللغى اتقوا الله لأنكم تتناشدون به واتقوا الأرحام لأنكم تتناشدون بها ومن التناشد بها قول سرور لأخيه موسى صلوات الله وسلامه عليه ما: يا ابن أم لا تأخذ بعيتي ولا برأسي (قوله إن الله كان عليكم رقيباً) هذا تعليل لقوله - اتقوا ربكم - والريب لغة من ينظر في الأمور ويتأمل فيها واصطلاحاً الحفيظ الذي لا يغيب عن حفظه شيء وهذا المعنى هو المراد في حق الله تعالى (قوله حافظاً لأعمالكم) أي جميعها خبرها وشرها مرها وجهرها، قال تعالى - سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور - (قوله أي لم يزل متصفاً بذلك) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن لفظ كان يفيد الانقطاع فيفيد أن الله اتصف بالحفظ فيما مضى وانقطع، فأجاب بأن كان هنا للاستمرار أي هو متصف بذلك أزلاً وأبداً (قوله وتزل في يقيم) أي بحسب ما كان وإلا فوقت طلبه كان رشيداً (قوله طلب من وليه) أي وكان عملاً لذلك اليتيم (قوله فمنعه) أي فلما منعه شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزالت الآية فلما سمعها الولي قال أطعت الله وأطعت رسوله ونعوذ بالله من الحوب الكبير (قوله وآتوا اليتامى) شروع في ذكر مواطن التقوى وقدم مال اليتيم لأن فيه وعيدا عظيماً وتحذيراً شديداً، واليتامى جمع يتيم ويجمع أيضاً على أيتام من اليتيم وهو لغة الانهراء ومنه الدررة اليتيمة بمعنى عديمة الثيل ومنه يتم سيد (١٨٩) الكائنات عليه أفضل الصلاة والسلام قال العارف :

أخذ الله أي النبي ولم يزل برسوله الفرد الكريم

رحمياً

نفسى الفداء لمفرد في رحمه

والدر أحسن ما يكون يتيماً

واصطلاحاً أشار له المفسر

بقوله الاتي لأب لهم أي

ولو كانت أمهم موجودة

وكانوا يتناشدون بالرحم (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) حافظاً لأعمالكم فجازيكم بها أي لم يزل متصفاً بذلك . . . تزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه (وَأَتُوا الْيَتَامَى) الصغار الألى لأب لهم (أَمْوَالَهُمْ) إذا بلغوا (وَلَا تَقْبَلُوا الْحَبِيثَ) الحرام (بِالطَّيِّبِ) الحلال ، أي تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ) مضمومة (إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ) أي أكلها (كَانَ حُوبًا) ذنباً (كَبِيرًا) عظيماً . ولما نزلت تخرجوا من ولاية اليتامى . وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يمدل بينهم فنزل

فاليتم في الآدمي من كان معدوم الأب وهو صغير وفي غيره من كان معدوم الأم فإن مات الأب وإن قيل للصغير لظيم وإن ماتت أمه فقط قيل له عجمي (قوله الألى) بضم الهمزة وفتح اللام اسم موصول جمع الذي كالدين (قوله إذا بلغوا) أي وكانوا راشدين بدليل قوله تعالى - فإن آنتم منهم رشدا الآية (قوله ولا تقبلوا الحبيث بالطيب) هذا نهى آخر وكان ولي اليتيم في الجاهلية يأخذ مال اليتيم الجيد ويدفع بدله الرديء كشاة هزيلة يدفعها ويأخذ شاة سمينة ودرهم زائف يتركه لليتيم ويأخذ بدله الجيد ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم (قوله الحرام) أي وإن كان جيداً وقوله الحلال أي وإن كان رديئاً (قوله أي تأخذوه بدله) أشار بذلك إلى أن الباء داخلة على المتروك (قوله مضمومة) أي بأن تجمعوا ماله على أموالكم ونصرفوا من الجميع وقصده بذلك أكل الجميع وهذا نهى ثالث لأن الأمر الأول تضمن نهياً أي لا تمنعوا اليتامى من أموالهم إذا رشدوا ولا تقبلوا الحبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم . إن قلت مقتضى الآية أن أكل مال اليتيم منفرداً ليس بذلك عظيم، أجب بأنه نص على مستقبح الأوصاف زيادة في التشفيح على من يأكله مع الاستغناء وإلا فأكله منفرداً كأكله مضموماً لماله في ارتكاب الآثم الكبير (قوله حوبا) بضم الحاء باتفاق السبعة وقرئ شدوداً بفتح الحاء وسكون الواو وقلها ألفاً والمعنى واحد (قوله ولما نزلت) أي آيات اليتيم التي ورد النهي فيها (قوله تخرجوا) أي شق عليهم وطلبوا الخروج من الحرج الذي هو الآثم (قوله من الأزواج) أي اليتامى فكان الواحد منهم إذا وجد يقيمة ذات مال وجمال رغب فيها لأجل مالها فلما نزلت آية النهي عن أكل مال اليتيم شق عليهم ذلك ففزلت وإن خفتهم فالتهمي في الأولى عام في اليتامى مطلقاً أزواجاً أولاً ، والثاني خاص بالأزواج اليتامى .

(قوله أن لا تقسطوا) من أقسط بمعنى عدل وإما القاسط فمعناه الجائر وقرئ تقسطوا بفتح التاء وتحمل على أن لازمة أوله في أقسط بمعنى عدل فتكون مستعملة في الشيء وضده (قوله في اليتامى) أى فى نكاحهم (قوله فتخرجتم) أى طلبتم الخروج من الحرج الذى هو الاثم وقوله غافوا جواب الشرط، قالت عائشة هذه الآية فى اليتيمة تكون فى حجر ولها فبرغ فى جمالها ومالها ويريد أن يقتص صداقها فهموا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا فى إكمال الصداق وأمرها بالنكاح من غيرهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك فى النساء إلى قوله وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بأمثالها فى إكمال الصداق وبين فى تلك الآية أن اليتيمة إذا كانت مرغوبا عنها لقلة المال والجمال تركوها والتسوا غيرها من النساء قال أى الله فكما يتكهن حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها أو يعطوها حقها الأوفى من الصداق ، وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيزوجها لأجل مالها وهى لا تعجبه وإنما تزوجها كراهية أن يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم يسىء صحبتها ويتربص إلى أن تموت فيرثها فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية (قوله بين النساء) أى اليتامى (قوله بمعنى من) أى الواقعة على العاقل وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره أن ما لغير العاقل ولا شك أن النساء عقلاء . فأجاب بأن ما معنى من وعبر عنهن بما لنتقص عقلمن عن الرجال . وأجيب أيضا (١٩٠) بأن ما واقعة على الأوصاف والمعنى وانكحوا الوصف الذى يعجبكم

من النساء كالحسب والنسب والجمال وفى الحديث «تخيروا لنطفكم فان العرق دساس» (قوله من النساء) أى الغير اليتامى وقد تضمنت هذه الآية النهى عن نكاح اليتامى من أجل أموالهن وزيادة على أربع (قوله مثنى وثلاث ورباع) بدل من النساء (قوله أى اثنين

(وَإِنْ خِفْتُمْ أَمْ أَنْ تَلْقَوْا) (لَا تَقْسِطُوا) تعدلوا (فِي الْيَتَامَى) فتخرجتم من أمرهم تخافوا أيضا أن لاتعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن (فَأَنْكِحُوا) تزوجوا (مَا) بمعنى من (طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) أى اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا ولا تزيدوا على ذلك (فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ تَلْقَوْا) (لَا تَعْدِلُوا) فيهن بالنفقة والقسم (فَوَاحِدَةً) انكحوها (أَوْ) اقتصروا على (مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من الإماء إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات (ذَلِكَ) أى نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسرى (أَدْنَى) أقرب إلى (أَلَّا تَعُولُوا) تجوروا (وَأَتَوْا) أعطوا (النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ) جمع صدقة: مهورهن (نِحْلَةً) مصدر: عطية عن طيب نفس (فَإِنْ طِينَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا) تمييز محول عن الفاعل ،

أى

اثنين) المعنى أباح لكم فى الاختيار اثنين أو ثلاثا أو أربعا

قالوا وليست للعطف وإلا لزم أنه يباح جمع تسع وبه قالت الظاهرية ولا بمعنى أو، وإلا لزم أن من اختار اثنين لا يجوز له أن ينتقل إلى ثلاث أو أربع (قوله ولا تزيدوا على ذلك) هذا محط السياق (قوله إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات) أى فلا يجب العدل بينهما لافى القسم ولا فى النفقة ولا فى الكسوة (قوله أدنى) يتعدى بالى واللام تقول دنوت إليه وله (قوله أن لاتعولوا) العول فى الأصل معناه الليل من قولهم عال الميزان عولا أى مال وعال فى الحكم إذا جار (قوله تجوروا) أى تظلموا وفى الحديث «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط» (قوله وآتوا النساء) آتى بهذه الآية استطرادا بين أحكام اليتامى لمناسبة ذكر النساء، وآتى بالمصدر الإتياء بمعنى الاعطاء فلما فسره به ، وأما بالقصر فمصدره الاتيان بمعنى المجيء (قوله جمع صدقة) إما بضم الدال أو فتحها أو إسكانها ويقال أيضا صداق بفتح الصاد وكسرهما ومعنى الجميع المهر الذى يجعل للمرأة فى نفثير البضع وأقله عند المالكية ربع دينار شرعى أو ثلاث دراهم شرعية أو مئة مقيم بأحدهما وعند الشافعى كفى أى شئ منمول ولو خاتما من حديد وعند الحنفية عشرة دراهم شرعية وأكثره لاحد له بل بحسب ما تراضوا عليه والأمر للأزواج فالمعنى لاتنكحوا النساء إلا بالمهر وخصت السنة نكاح التفويض وهو العقد من غير تسمية مهر فهو صحيح لكن يلزمه بعد الدخول صداق للمثل (قوله مصدر) أى مؤكد لقوله آتوا من معناه كجئست قعودا ويسمى ذلك المصدر معنويا (قوله عن طيب نفس) أى خالصا لمنة للزوج ، عليها (قوله فإن طين) أى النسوة وقوله منه الضمير عائدة على الصداق المعلوم من قوله صدقات

ومن يحتمل أن تكون للتبويض أو البيان فيحل المرأة الرشيدة بعد السخول أن تعطى زوجها المهر كله أو بعضه عند جميع الأئمة إلا الأئمة فعنده لا يحل أن تعطيه جميعه فمن طى ذلك يتعين أن تكون للتبويض لا للبيان (قوله أى طابت أنفسهن) هذا بيان لتكون نفسا فى الأصل فاعلا (قوله فوهبته لكم) أى اختيارا لا قهرا وإلا فلا يحل أخذه ويشترط أيضا أن تكون المرأة رشيدة بالغة وإلا فلا يحل أخذه (قوله فكلوه) أى اتفقوا به فأطلق الأكل وأراد مطلق الاتفاق (قوله مريثا) أى همزوا لا غصة فيه ولا عقبة من قولهم جرى الطعام فى الرىء أى المرق الأحمر الكائن تحت الحلقوم السمي بالعلوم وهنئامريثا حالان من مفعول كلوه والمعنى كلوه حال كونه هنئام حلالا مريثا سائغا لانكد فيه (قوله فى الآخرة) أى ولا فى الدنيا فليس لورثتها طلبه (قوله على من كره ذلك) أى استنكافا عنه وجعله كالرجوع فى الهبة (قوله ولا تؤثروا السفهاء) هذا رجوع لتتيم أحكام اليتامى وأصل تؤثروا تؤثروا استثقت الضمة على الياء حذفت فالتقى ما كنان الياء والوار حذفت الياء لالتقاءهما (قوله والصبيان) معطوف على البذرين (قوله أى أموالهم) أى وإعسانسها للأولياء لأنهم هم للتصرفون فيها فالإضافة ليست للكل وإنما هى لأدنى ملاسة (قوله التى جعل الله لكم قياما) جعل بمعنى صبر ولفظ الجلالة فاعله وقيام مفعول ثان والمفعول الأول محذوف تقديره جعلها والضمير عائذ على الأموال ويحتمل أن جعل بمعنى خلق فقيام محال والمعنى لا تعطوا البذرين (١٩١) والصبيان أموالهم التى جعلها الله

مقومة لمعاشهم وصلاهم (قوله أودكم) الأود بفحتين وفتح فسكون معناه العوج (قوله وفى قراءة قبا) أى وهى سبعة أيضا وقرى مشددا قوما بفتح القاف وكسرها قوما كعنا وعموم الآية يشمل من أعطى مال اليتيم لسفيه مبذر يتجرله فيه وهو مشهور بالسفاهة والتبذير فان الولى منهى عن ذلك ويضمنه لفهمه بالأولى (قوله وارزقوهم

أى طابت أنفسهن لكم عن شىء من الصداق فوهبته لكم (فَكُلُّوْهُ هَنِيئًا) طيبًا (مَرِيثًا) محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم فى الآخرة، نزلت ردًا على من كره ذلك (وَلَا تُؤْثِرُوا) أيها الأولياء (السُّفَهَاءُ) البذرين من الرجال والنساء والصبيان (أَمْوَالَكُمُ) أى أموالهم التى فى أيديكم (الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) مصدر قام أى تقوم بمعاشكم وصلاح أودكم فيضيعوها فى غير وجهها . وفى قراءة قِيَامًا جمع قيمة ما تقوم به الأئمة (وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا) أى أطعموهم منها (وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَّهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) عدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا (وَابْتَغُوا) اختبروا (الْيَتَامَى) قبل البلوغ فى دينهم وتصرفهم فى أحوالهم (حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ) أى صاروا أهلاً له بالاحتلام أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعى (فَإِنْ آتَيْتُمْ) أبصرتم (مِنْهُمْ رُشْدًا) صلاحا فى دينهم ومالهم (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا) أيها الأولياء (إِسْرَافًا) بغير حق حال (وَيَذَارًا) أى مبادرين إلى إنفاقها مخافة (أَنْ يَكْبُرُوا) رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم (وَمَنْ كَانَ ،

فيها) حكمة التعبير فى أنه يذنى الولى أن يعطى مال اليتيم لرجل أمين يتجرفيه ويكون مصرفه من الربح لا من أصل المال . وفى الحديث «اتجروا فى أموال اليتامى لاتأكلها الزكاة» فالتجارة فى أموال اليتامى مطلوبة عند جميع الأئمة (قوله عدوهم عدة جميلة) أى كأن يقول له مالك عندى وأنا أمين عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وهكذا تطيب خاطرهم وخدمهم فى أسباب الرشد (قوله وابتأوا اليتامى) أى ولا تتركوهم هملابل علوم الصنائع وأمور الدنيا والدين ولا تفرطوا فى ذلك حتى يبلغوا (قوله بالاحتلام) أى نزول المنى (قوله حتى إذا بلغوا) حتى ابتدائية وإذا شرط فعل الشرط قوله بلغوا جوابا لقوله فان آتيتهم فشرط إعطاء الولى المال لليتيم بلوغ النكاح وعلم الرشد (قوله عند الشافعى) أى وعند مالك وأبى حنيفة ثمانية عشر . ومن علامات البلوغ الحيض وكبر الثدي للأنثى ونبات العانة وتنن الابط وفرق الأرنبة وغلظ الخنجرة فاذا وجدت تلك العلامات حكم ببلوغه عند مالك ، وأما عند الشافعى فلا يحكم بالبلوغ إلا بالاحتلام أو الحيض أو بلوغ خمسة عشر سنة وما عدا ذلك علامة على البلوغ ولا يحكم عليه به (قوله أبصرتم) التاسب أن يقول علمتم لأن الرشد يعلم ولا يشاهد بالبصر (قوله صلاحا فى دينهم ومالهم) هذا مذهب الشافعى ويكفى عند مالك فى الرشد إصلاح المال فقط (قوله فادفعوا) جواب الشرط الثانى (قوله حال) أى من الواو فى تأكلوها مؤولا بمسرفين (قوله مخافة أن يكبروا) قدره إشارة إلى أن قوله أن يكبروا مفعول لأجله ومفعول بذارا محذوف تقديره ولا تأكلوها حال كونكم مسرفين فيها مبادرين لآكلها مخافة طر وكبرهم عليكم فباخذوها منكم (قوله أن يكبروا) مضارع كبر يوزن علم ومصدره كبرا كعبا .

(قوله من الأولياء) أي أولياء الأيتام (قوله أي يعف عن مال اليتيم) أي يتباعد عنه لما فيه من الوعيد العظيم الآتي في قوله تعالى: إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسِيَصَوْنَ سَعِيرًا فالواجب على الولي إن كان غنيا التباعد عن مال اليتيم بالمرءة بل ينبغي له أن لا يخلط ماله بماله بل يعطيه لغيره ليتجرله فيه ويكون هو ناظرا عليه (قوله ويمتنع من أكله) أي فإذا أكله أو أطعمه لتسببه ولو لمن يصنع سبعا أو جمعا لو ولد اليتيم ضمنه إذا لم يوص الليت بذلك ، وأما إن لم يكن لليتامى ولي وليس فيهم كبير رشيد حرم الأكل من مالهم وكل من أكل شيئا لزمه عوضه (قوله بقدر أجرة عمله) أي ما لم تزد على كفايته وإلا فله كفايته فقط وهذا مذهب الشافعي وعند مالك له أجرة مثله مطلقا زادت عن كفايته أولا (قوله فإذا دفعتم) مرتب على قوله فادفعوا إليهم أموالهم والمعنى فإذا أردتم الدفع فأشهدوا لثلاث يقع اختلاف فترجعوا إلى البيعة هذا هو المشهور في المذاهب أن الولي لا يصدق في الدفع إلا ببيعة تشهد أنه دفعه لهم بعد رشدهم فإن لم تكن بيعة غرمه وهناك قول ضعيف عند مالك وهو أنه يصدق في الدفع بيمين فعله الا شاهد على هذا القول لثلاث يحلف الولي ، والفرق بين الأمين والوصي أن الوصي لما كان له التصرف في مال اليتيم كان ضامنا له إلا ببيعة تشهد (١٩٢) بالدفع والأمين لا تصرف له في الأمانة فصدق بيمين في الدفع ولذا إذا

تصرف فيها كانت متعلقة بذمته فلا يصدق في دفعها إلا ببيعة كالدين (قوله وهذا أمر إرشاد) أي تعاليم لمصالح الدنيا فهو أمر نذ (قوله الباء زائدة) أي في فاعل كفي فلفظ الجلالة فاعل مرفوع بضمه مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، وفي قوله وكفى بالله حسيبا وعد حسن لمن كان سليما ولم يلمس من مال اليتيم شيئا ولو اتهمه اليتيم بأكله ظلما

من الأولياء (غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ) أي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله (وَمَنْ كَانَ قَعِيرًا فَلْيَأْكُلْ) منه (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر أجرة عمله (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) أي إلى اليتامى (أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ) أنهم تسلموها وبرئتم لثلاث يقع اختلاف فترجعوا إلى البيعة وهذا أمر إرشاد (وَكَفَى بِاللَّهِ) الباء زائدة (حَسِيْبًا) حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم . ونزل ردأ لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (لِلرِّجَالِ) الأولاد والأقرباء (نَصِيبٌ) حظ (مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) المتوفون (وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ) أي المال (أَوْ كَثُرَ) جملة الله (نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) مقطوعاً بتسليمه إليهم (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ) للميراث (أُولُو الْقُرْبَى) ذوو القرابة ممن لا يرث (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ) شيئا قبل القسمة (وَقُولُوا) أيها الأولياء (كَلِمَةً) إذا كان الورثة صغارا (قَوْلًا مَعْرُوفًا) جيلا بأن تمتدروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار ، وهذا قيل إنه منسوخ ، وقيل لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو نذ ، وعن ابن عباس واجب .

وعدوانا ، ووعيد لمن أكله وظلمه وإن لم يثبت عليه ذلك (قوله للرجال نصيب) سبب نزولها أن أوس بن ثابت توفي وترك امرأته واسمها أم كحة وثلاث بنات وأقام وصيين واسمهما سويد وعرجة ولدا معه فأخذوا المال جميعه فجاءت المرأة للنبي صلى الله عليه وسلم وقالت مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأته ولم يكن عندي ما أنفقه عليهن وترك مالا حسنا فأخذه سويد وعرجة ولم يعطيني ولابناته شيئا فدعاها النبي فقالا أولادها لا يركن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينسكين عدوا فنزلت هذه الآية ، وبين أن الارث غير مختص بالرجال البالغين وأوقف النبي التركة حتى نزلت بوصيكم الله الآية فأعطى الزوجة الثمن والبنات الثلثين وابني عمه مابقي (قوله الأولاد) أخذه من قوله الوالدان وقوله والأقرباء أخذه من قوله والأقربون (قوله مما قل منه) بدل من قوله مما ترك (قوله نصيبا مفروضا) مفعول ثان لفعل محذوف قدره بقوله جملة الله (قوله) إذا حضر القسمة أولوا القربى) معنى ذلك إذا مات الميت وترك من يرث ومن لا يرث وحضر جميعهم قسمة الميراث طلب الشارع إعطاء من لا يرث وكذا المساكين واليتامى شيئا قبل القسمة جبرا لحاظرهم باجتهاد من يقسم التركة بحسب قلة المال وكثرته . واختلف هل هذا منسوخ وهو الحق وقيل ليس بمنسوخ واختلف على هذا هل الأمر للوجوب أو الندب وهو للضمد على هذا القول (قوله إذا كانت الورثة صغارا) أي أو التركة قليلة .

(وليخش)

(قوله وبخش) قرأ السبعة بسكون اللام وغيرهم بكسره وحل كل اللام للأمر . وسبب نزولها أنه كان في الجاهلية إذا حصر أحدكم الموت وقد حضره جماعة حملوه على تفرقة ماله للفقراء والمساكين ويحرمون أولاده منه فيترتب على ذلك كونهم بعد موته عالة على الناس ويضربون فزلت الآية تحذيرا لمن يحمل الميت على ذلك من وصى أو غيره فإنه كالمدين الذي يدان فكأن يلقى الله في يتألم غيره جزاؤه أن يقبض الله له من يتقى الله في أولاده (قوله أى ليخف على اليتامى) المعنى ليخف الله على اليتامى (قوله الذين لو تركوا) لو شرطية بمعنى إن فنقلت الماضي للاستقبال كما قال ابن مالك وجماعة فتركوا فعل الشرط وقوله خافوا جوابه وقوله فليتقوا مرتب عليه (قوله خافوا عليهم الضياع) . إن قلت ما ذنب اليتيم حتى يعاقب بالضياع . أجيب بأن ذلك تعذيب لأبيه لأن ما يؤذى المحيى يؤذى الميت وليس تعذيبا لهم بل قد يكون رفعة لهم إن اتقوا الله (قوله وليأتوا إليهم ما يحبون الخ) أى يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرتهم بعد موتهم (قوله للميت) ويحتمل أن يكون لليتامى بأن يقولوا لهم لا تخافوا ولا تحزنوا فنحن مثل آبائكم (قوله ولا يتركهم عالة) أى فقراء يتكفرون وجوه الناس (قوله إن الذين يأكلون) نزلت في حق رجل من غطفان مات أخوه وترك ولدا يتيم فأكل عمه ماله ، والمعنى يتلفون أموالهم (١٩٣) • فالتعبير بالأكل عن الاتلاف

بجاز (قوله ظالما) يحتمل أن يكون مفعولا لأجله أى لا جمل الظالم ويحتمل أن يكون حالا من يأكلون أى حال كون الأكل ظاهرا (قوله إنما يأكلون) هذه الجملة خبر إن الأول ، والتعبير بالأكل بجاز باعتبار ما يؤول إليه أو المعنى يأكلون سبب التنازل (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قرءان سبعيتان (قوله نارا شديدة) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد خصوص الطبقة المسماة بذلك لأنها أعياد الوثن خاصة وربما

(وَالَّذِينَ لَا يَخْشَوْنَ) أى ليخف على اليتامى (الَّذِينَ لَا تَرَكَوْا) أى قاربوا أن يتركوا (مِنْ خَلْفِهِمْ) أى بعد موتهم (ذُرِّيَّةً ضِعَافًا) أولاداً صفاراً (خَافُوا عَلَيْهِمْ) الضياع (فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ) فى أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذرتهم من عدم (وَلْيَقُولُوا) للميت (قَوْلًا سَدِيدًا) صوابا بأن يأمره أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا) بغير حق (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) أى ملأها (نَارًا) لأنه يؤول إليها (وَسَيَصْلَوْنَ) بالبناء للفاعل والمفعول : يدخلون (سَرِيرًا) نارا شديدة يحترقون فيها (يُوصِيكُمُ) يأمركم (اللَّهُ فِي) شأن (أَوْلَادِكُمْ) بما يذكر (لِلَّذِكْرِ) منهم (مِثْلُ حَظِّ) نصيب (الْأُتْمَانَيْنِ) أى إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن انفردت حاز المال (بِإِنْ كُنَّ) أى الأولاد (نِسَاءً) فقط (فَوْقَ أُتْمَانَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ) الميت وكذا الاثنان لأنه للأختين بقوله فلهما الثلثان مما تركههما أولى ، ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فعلى الأنتى أولى ، وفوق قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جمل الثلث للواحدة مع الذكر ،

مات آكل مال اليتيم مسلما . والحاصل أنه تارة تطلق تلك الأسماء على ما يعم جميع الطبقات وتارة نطاق على مسمياتها خاصة (قوله يحترقون فيها) أى إن لم يتوبوا ، روى أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا (قوله يوصيكم الله فى أولادكم) هذا شروع فى تفصيل ما أجمل أولا فى قوله للرجال نصيب الخ (قوله يأمركم) أى على سبيل الوجوب (قوله للذكر مثل حظ الأنثيين) هذا كلام مستأنف وقع فى جواب سؤال مقدر (قوله فله نصف المال الخ) أى إن لم يكن معهم صاحب فرض وإلا يأخذ فرضه ثم البقى يتم للذكر مثل حظ الأنثيين (قوله فإن كن نساء) إن حرف شرط وكن فعل الشرط ونساء خبر كن واسمها النون وفوق اثنتين صفة لنساء وقوا فلهن جواب الشرط (قوله أى الأولاد) أى بعضهم فى الكلام استخدام فذكر الأولاد بمعنى وأعاد الضمير عليه بمعنى آخر نظير قوله تعالى - وبعولتهن أحق بردهن - بعد قوله والطاقت يترصن بأنفسهن ثلاثة قروء (قوله لأنه للأختين) أى الفرض للذكور وهذان وجهان : أحدهما القياس على الأختين . والثانى القياس على البنت الواحدة وهما على كون فوق ليست صلة (قوله وقيل لدفع توهم زيادة النصيب) هذا القيل محتمل لأن تكون أصلية أو زائدة فالمعنى أن

ملقوى البنتين حكمهما حكم البنتين (قوله وفي قراءة بالرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ذكر أو أنى) أى فإن كان لقوله ذكرأ أخذ مافضل عن سد سبهما وإن كانت أنى أخذت النصف فرضها والأم سدسها والأب الباقي فرضا وتصبيا (قوله وألحق بالولد ولد الابن الخ) أى بالقياس المساوى (قوله بضم الحمزة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فرارا) راجع لاكسر وقوله فى الموضعين أى فى قوله فلائمه الثلث وقوله فلائمه السدس : أى ومابقى بعد الزوج أى أو الزوجة وهما الفراوان ، وقد أشار لهما صاحب الرحبية بقوله :

وإن يكن زوج وأم وأب فثلث الباقي لها مرتب

وهكذا مع زوجة فصاعدا فلا تكن عن العلم قاعدا

وثالث الباقي فى الحقيقة إمارع أوسدس وقد انعقد الاجماع على ذلك (قوله فإن كان له إخوة) تقدم أن الأم يهرض لهاثلث جميع المال أوثلث الباقي إن لم يكن لليت فرع وارث وأفاد هنا أنه مع وجود الاخوة يفرض لها السدس فيفهم منه أنه عند عدم الاخوة أيضا يكون لها الثلث فتحصل أن لها الثلث بشرطين عدميين وهما عدم الاخوة وعدم الفرع الوارث (قوله ذكورا وإناثا) أى أشقاء أولأب أو لأم (قوله ولا شئ للإخوة) أى مطلقا لكونهم محجوبين بالأب، ولذلك قال فى التلمسانية :

وفهم فى الحجب أمر عجيب (١٩٤) لكونهم قد حجبا وحجبوا فلو كان بدل الأب جد لكان مثله عند

(وَإِنْ كَانَتْ) المولودة (وَاحِدَةً) وفى قراءة بالرفع فكان تامة (فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ) أى المييت ويبدل منهما (لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ بِمَا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ) ذكر أو أنثى ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه ، وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ) فقط أو مع زوج (فَلِأُمِّهِ) بضم الحمزة وكسرها فرارا من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله فى الموضعين (الثُلُثُ) أى ثلث المال أو مابقى بعد الزوج والباقي للأب (فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ) أى اثنان فصاعدا ذكورا وإناثا (فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ) والباقي للأب ولا شئ للإخوة ، وإرث من ذكر ما ذكر (مِنْ بَعْدِ) تنفيذ (وَصِيَّةٍ يُوصِي) بالبناء للفاعل والمفعول (بِهَا أَوْ) قضاء (دَيْنٍ) عليه ، وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرة عنه فى الوفاء للاهتمام بها (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ) مبتدأ خبره (لَا تَذَرُونَهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا) فى الدنيا والآخرة فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس وإنما العالم بذلك الله ففرض لكم الميراث ،

أى حنيفة وعند الأئمة الثلاثة يشترك مع الاخوة على تفصيل فى ذلك مذكور فى الفروع (قوله من بعد وصية) متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وإرث من ذكر الخ وهو قيد فى جميع ما تقدم (قوله تنفيذ وصية) أى وتخرج من رأس المال إن حملها الثلث وشرطها أن لا تكون فى مصيبة فلو أوصى بمال يصرف على الكنيسة أو على من يهرب الجمر أو غير ذلك فلا تنفذ (قوله بالبناء)

(فريضة)

للمفعول والفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الأولى نائب الفاعل الجار والمجرور

وقابل من ظرف او من مصدر أو حرف جر بغيابة عرى

وعلى الثانية الفاعل ضمير يعود على المييت (قوله وتقديم الوصية) أى فى اللفظ وإلا فأول لأحد الشبنتين لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا والمضى وإرث ما ذكر يحصل من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان فإن اجتمعت الوصية والدين قدم الدين (قوله للاهتمام بها) أى وشأن الورثة الشح بها ومنازعة الموصى له بخلاف الدين (قوله آباؤكم وأبناؤكم) هذه الجملة معترضة بين قوله من بعد وصية وقوله فريضة من الله (قوله أيهم) اسم استفهام مبتدأ وأقرب خبره ولكم جار ومجرور متعلق بأقرب ونفعا تميز والجملة فى محل نصب سبقت مسد مفعولى تدرون والمعنى لا تدرون أمرية نفهم لكم ويحتمل أنها اسم موصول مفعول أول لتدرون وللمفعول الثانى محذوف والمعنى لا تدرون الذى هو أقرب لكم نفعا الآباء والأبناء (قوله فى الدنيا) أى تحسن القيام بالمصالح والاحسان إليه بعد موته وقوله أو الآخرة أى كالشفاعة أو فى الدنيا والآخرة لماورد أن أحدا والدين أو الولدين إذا كان أرفع درجة من الآخر فى الجنة حال أن يرفع إليه فيرفع الآخر بشفاعته (قوله فظان) إمبالرفع صفة لموصوف محذوف مبتدأ أى ففريق ظان أو الجرم مجرور برب وقوله فيكون الأب أنفع أى فى الواقع ونفس الأمر (قوله وبالعكس) أى وفريق ظان أن أباء أنفع فيعطيه الميراث فيكون الابن أنفع

(قوله فريضة) مفعول لفعل محذوف فتره بقوله ففرض لكم الميراث وهو راجع لقوله يوصيكم فيحتمل أنه مصدر مؤكّد لعامله من لفظه ودرج على ذلك المفسر أو من معناه تقديره يوصيكم فريضة لأن الإيصال معناه الأمر (قوله أى لم يزل متصفاً بذلك) دفع به ما قد يتوهم من كان الاتصاف بذلك في الزمن الماضي وانتقطع فأفاد أن صفات الله لا تنقيد بزمان فهي للاستمرار وبعضهم يجعلها في صفات الله زائدة (قوله ولكم نصف) هذا أيضاً من جملة التفصيل لما أجمل في قوله أولاً للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون - (قوله إن لم يكن لهن) أى للزوجات والمراد الجنس وقوله ولد أى واحد أو متعدّد ذكر أو أنثى فالزوج يأخذ النصف بشرط عدى (قوله أو من غيركم) أى ولو من زنا فإن ولد الزنا ينسب لأمه (قوله فإن كان لهن ولد) هذا مفهوم قوله : إن لم يكن لهن ولد ، صرح به لإفادة الحكم فيه (قوله من بعد وصيه) تقدم أنه متعلق بمحذوف تقديره وهذا الاستحقاق يكون بعد تنفيذ وصية (قوله ولد الابن) أى ذكر أو أنثى كان ذلك الولد أو أنثى فإن بنت الابن كإبن الابن . وأما أولاد البنت ذكورا أو إناثاً فلا يحجب الزوج بهم عن نصفه ولذلك قال شاعرهم :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وكلام المفسر في غاية الحسن حيث قال ولد الابن ولم يقل كالخازن (٩٩٥) وولد الولد لأنه يشمل أولاد البنات

وهو غير صحيح (قوله إن لم يكن لكم ولد) أى ذكر أو أنثى واحد أو متعدّد (قوله منهن أو من غيرهن) المناسب تقديره عند قوله إن لم يكن لكم ولد ليكون على منوال ما تقدم له في ظهيره وقوله أو من غيرهن أى نسب فإن كان ابن زنا فلا يحجب الزوجة من الربع إلى الثمن لأنه لا يباحق بأبيه ولا يرث منه ومن لا يرث

(فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخلفه (حَكِيمًا) فيما دبره لهم، أى لم يرل متصفاً بذلك (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَّهِنَّ وَلَدٌ) منكم أو من غيركم (فَإِنْ كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ يَمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) والحق بالولد في ذلك ولد الابن بالاجماع (وَلهنَّ) أى الزوجات تعددن أولاً (الرُّبْعُ يَمَّا تَرَكَنَّ) إن لم يكن لهنّ كنّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ) منهن أو من غيرهن (فَلهنَّ الثَّمَنُ يَمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ) صفة والخبر (كَلَالَةً) أى لا والد له ولا ولد (أَوْ أُمْرَأَةٌ) تورث كلاله (وَلَهُ) أى الموروث كلاله (أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) أى من أم أو قرأ به ابن مسعود وغيره (فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدْرُ) مما ترك (فَإِنْ كَانُوا) أى الإخوة والأخوات من الأم (أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ) أى من واحد (فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلْثِ) يستوى فيه ذكركم وأنثاهم (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ) حال من ضمير يوصى أى غير مدخل الضرر على الورثة ،

لا يحجب وارثاً (قوله وولد الابن كالولد) أى وأما أولاد البنات فليسوا منهم لأنهم من ذوى الأرحام (قوله يورث صفة) أى ويصح أن يكون خبراً وقوله كلاله حال من الضمير في يورث (قوله والخبر كلاله) أى واسمها رجل وهذا على أنها ناقصة ، وأما على أنها مامة فرجل فاعل ويورث صفته وكلاله حال (قوله أى لا والد له ولا ولد) هذا هو أرجح الأقوال في تفسير الكلاله . والحاصل أنه اختلف الناس في معنى الكلاله فقال جمهور اللغويين إنه الميت الذى لا ولد له ولا والد ، وقيل الذى لا والد له فقط ، وقيل الذى لا ولد له فقط ، وقيل هو من لا يرثه أب ولا أم وعلى هذه الأقوال كلها فالكلاله واقعة على الميت ، وقيل الكلاله الورثة ماعدا الأبوين والولد ، ومموا بذلك لأن الميت بذهاب طرفيه تكاله الورثة أى أحاطوا به من جميع نواحيه ويؤيد القول الذى مشى عليه المفسر أن الآية نزلت في جابر رضى الله عنه ولم يكن له يوم أنزلت أب ولا ابن (قوله وقرأ به ابن مسعود وغيره) أى قراءة شاذة وإنما استدلل بهذه القراءة لأنها بمنزلة رواية الآحاد ورواية الآحاد يستدل بها لأنها منتولة عن النبي صلى الله عليه وسلم (قوله أى من واحد) أى لأن أو فى الآية لأحد الشئتين فإذا اجتمع ذكر وأنثى من ولد الأم كان لهما الثلث وكذا إن زادوا عن ذلك ويسقط الإخوة للأم بستة : الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن والأب والجد (قوله من ضمير يوصى) أى وهو عائد على الميت (قوله أى غير مدخل الضرر) أشار بذلك إلى أن مضار اسم فاعل .

(قوله بأن يوصى بأكثر من الثلث) هذا تصوير لادخال الضرر ويبطل ما زاد على الثلث إن لم يجوز الورثة (قوله من قتل) أي فلا يرث القاتل من تركته للقتول شيئا كما في الحديث (قوله أو اختلاف دين) أي بالاسلام والكفر فلا يرث السلم الكافر ولا العكس (قوله أو دني) أي فلا يرث الرقيق من تركته الحر شيئا ولا العكس (قوله وما بعده) أي من الوارث ولو وصايا (قوله التي حدها لعباده) أي بينها وفصلها (قوله بالياء والنون) أي فهما قراءتان سبعيتان وقوله التفاتا راجع للنون وهو التفات من الغيبة للتكلم (قوله من تحتها الأنهار) أي من تحت قصورها (قوله بالوجهين) أي الياء والنون (قوله خالدا فيها) المراد بالخلود طول المكث إن مات مسلما وعلى حقيقته إن مات كافرا ، وحكمة الافراد في جانب العذاب أنه كما يعذب بالنار يعذب بالقرية ، وحكمة الجمع في جانب النعيم أنه كما ينعم بالجنة ينعم باجتماعه مع أحبائه فيها ويروم ويروونه (قوله لفظ من) أي فأفرد في قوله يدخله في الموضعين وفي قوله وله (قوله وفي خالدين معناها) أي لجمع (قوله واللاتي الخ) جمع التي وهو اسم موصول مبتدأ وقوله : يأتيين الفاحشة صلته وقوله فاستشهدوا خبره وقرن بالفاء لأن (١٩٦)

بأن يوصى بأكثر من الثلث (وصية) مصدر مؤكد ليوصيكم (من الله والله عليم) بما دبره خلقه من الفرائض (حلیم) بتأخير العقوبة عن خالفه وخصت السنة توريت من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أورد (تلك) الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده (حدود الله) شرائعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها (ومن يطع الله ورسوله) فيما حكم به (يدخله) بالياء والنون التفاتا (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله (بالوجهين) نارا خالدا فيها وله (فيها عذاب مقيم) ذو إهانة روعي في الضمائر في الآيتين لفظ من وفي خالدين معناها (واللاتي يأتيين الفاحشة) الزنا (من نسائكم فاستشهدوا عليهن) أربعة منكم أي من رجالكم المسلمين (فإن شهدوا) عليهن بها (فأمسكوهن) أحبسوهن (في البيوت) وامنعوهن من مخالطة الناس (حتى يتوفيهن الموت) أي ملائكته (أو) إلى أن (يجعل الله له سبيلا) طريقا إلى الخروج منها ، أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهم سبيلا بجلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة وفي الحديث لما بين الحد قال « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا » رواه مسلم (والذان) بتخفيف النون وتشديدها (يأتيانها) أي الفاحشة الزنا أو اللواط (منكم) أي الرجال

بجملة فعالية أشبه الشرط فيقرن خبره بإفاء خصوصا إذا أخذ عن غيره بجملة طائفة (قوله من نسائكم) بيان للاتي (قوله أربعة) أي عدولا والعدل منكم هو الذكر الحر المكلف الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة ولا ما يخل بالبرورة وهذه الشهادة على رؤية الزنا . وأما الاقرار فيكفي اثنان عليه ، والخطاب في قوله فاستشهدوا لولاية الأمور كالقضاة والحكام (قوله أي من رجالكم المسلمين) أي الأحرار . وأما النساء والأوقاف والسبيان فلا

تقبل شهادتهم يشترط في الشهادة أن تكون متحدة وقتا ورؤية ومكانا فلا تختلف شي من ذلك حد الشهود (ما ذرهما)

(قوله وامنعوهن من مخالطة الناس) أي الرجال وهو عطف علة على معلول (قوله أي ملائكته) دفع بذلك ما يقال إن التوفي هو الموت ففيه إسناد الشيء لنفسه (قوله أو يجعل الله) أو حرف عطف ويجعل معطوف على يتوفي فهو داخل في الغاية وأشار للفسر لذلك بقوله إلى أن يجعل ويصح أن تكون أو بمعنى إلا كما في قوله لأزمنك أو تقصيني حتى فهو مخرج من قوله حتى يتوفاهن للموت فالعنى إلا أن يجعل الله لهن سبيلا فلا تمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت (قوله ثم جعل لهن سبيلا) أي بنزول آية النور . واختلف في هذه الآية قيل منسوخة بآية النور أو مفصلة لها وهو الحق وقد مشى عليه المفسر (قوله بجلد البكر مائة وتغريبها عاما) هذا هو مذهب الامام الشافعي وعند مالك التغريب خاص بالذكر ، وأما الأتني فلا تغريب (قوله رواه مسلم) وتماه الثيب ترجم والبكر تجدد (قوله بتخفيف النون وتشديدها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو اللواط) أول تنويع الخلاف في تفسير الفاحشة هنا وسيرجع الثاني بقوله وإرادة اللواط أظهر الخ ، ويصح أن يراد بالفاحشة الزنا واللواط معا الواقمان من الرجال ، وأما الزنا من النساء فقد تقدم حكمه .

(قوله فأذوها) أى ما لم يتوبا (قوله وهذا منسوخ بالحد) أى فالبكر بجمله مائة ويغرب عاما والمحسن يرحم إلى أن يموت (قوله عند الشافعى) أى وعند مالك يرحم اللانط مطلقا فاعلا أو مفعولا أحصنا أولم يحصنا حيث كانا بالعين مختارين ، وعند أبى حنيفة حده رمية من شاقق أورمى جائط عليه (قوله لسن المفعول به الخ) أى وأما الفاعل عنده فكالزاني إن كان محصنا يرحم وإن كان غير محصن جلد مائة وغرب عاما (قوله بل يجلد ويغرب) أى إن كان بالغنا مختارا (قوله بدليل ثنية الضمير) أى فى قوله والذنان وقد يقال إن فيه تغليب الذكر على الأنثى (قوله وهو مخصوص) أى ما ذكر من الأذى والتوبة والإعراض (قوله إنما التوبة على الله) هذا حسن ترتيب حيث ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة وقوله على الله أى التزمها تفضلا منه وإحسانا لأن وعد الكريم لا يتخلف على حد : كتب ربكم على نفسه الرحمة (قوله العصية) أى ولو كانت كفرا (قوله أى جاهلين) إنما قرن العصيان بالجهل لأن العصيان لا يتأتى مع العلم بل حين وقوع العصية يساب العلم لأن أشد الناس خشية العلماء قال تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء (قوله قبل أن يغرغروا) أى قبل أن تبلغ الروح الحلقوم وإنما كان الزمن الذى بين وقوع العصية والغرغرة قريبا لأن كل ما هو آت قريب (١٩٧) والعمر وإن طال قليل وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للانسان

(فَأَذَوْهَا) بالسبِّ والضرب بالنعال (فَإِنْ تَابَا) منها (وَأَصْلَحَا) العمل (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا) ولا تؤذوها (إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا) على من تاب (رَحِيمًا) به وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعى لسن المفعول به لا يرحم عنده وإن كان محصنا بل يجلد ويغرب وإرادة اللواط أظهر بدليل ثنية الضمير والأول أراد الزانى والزانية ويرده تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال واشترآكما فى الأذى والتوبة والإعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم فى النساء من الحبس (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ) أى أنتى كتب على نفسه قبولها بفضلها (لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ) للعصية (بِجَهَالَةٍ) حال أى جاهلين إذا عصوا بهم (ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ) زمن (قَرِيبٍ) قبل أن يغرغروا (فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) يقبل توبتهم (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلفه (حَكِيمًا) فى صنعه بهم (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) الذنوب (حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) وأخذ فى النزاع (قَالَ) عند مشاهدة ما هو فيه (إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه (وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) إذا تابوا فى الآخرة عند معارضة العذاب لا تقبل منهم (أُولَئِكَ أُعْتِدْنَا) أعدنا (لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ) أى ذاتهن (كُرْهًا) بالفتح والضم لغتان أى مكروهين على ذلك

عنه علامة البشرى أو الحزن فلا ينفعه الندم إذ ذاك (قوله ولا الذين) معطوف على قوله للذين يعملون السيئات ، المعنى ليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فهو فى محل جر (قوله أولئك أعتدنا) أصله أعدنا فلبت الدال الأولى تاء وقد أشار لذلك الفسر بقوله أعدنا وناعى أحضرنا وهيانا (قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم الخ) سبب نزولها أنه كان فى الجاهلية وصدر الاسلام إذا مات الرجل وترك امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه فرمى عليها توبه فيخبر فيها بعد ذلك فاما أن يتزوجها بلا مهر أو يزوجه لغيره ويأخذ مهرها أو يعضلها حتى تنفدى منه أو تموت ويأخذ ميراثها ثم لما توفى أبوقيس وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية قام ابن له قيل اسمه قيس فطرح عليها توبه ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها فأنت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أباقيس توفى وأخذنى ابنه فلم ينفق على ولم يحل سبلى فقال امكثى فى بيتك حتى يأتى أمر الله فبك فزت هذه الآية (قوله أى ذاتهن) دفع بذلك ما يقال إن ميراث الرجل من المرأة قد تقدم وهو إما النصف أو الربع وليس بمنهى عنه (قوله لغتان) للناسب قراءتان (قوله أى مكروهين) بكسر الراء اسم فاعل ومنفعوله محذوف تقديره مكروهين لمن على ذلك .

(قوله كانوا في الجاهلية) أي وصدر الاسلام وهو إشارة لسبب نزول الآية وقد أجل فيه (قوله بلا صدق) أي اكسالا على الصدق الذي دفعه أبوه (قوله ولا تعضوهن) معطوف على قوله لا يجل لکم الخ والمعنى لا يجل لکم ميراث النساء ولا عضلهن وهو خطاب للأزواج ، كان الرجل يكره للمرأة ولها عليه للمهر فيسئ عشرتها ويضاررها لتفتدي منه (قوله أي غنموا أزواجكم) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على النساء لا بالهني الأول فإن المراد بالنساء فيما تقدم نساء غيركم وفيما هنا نساؤكم في الكلام استخدام (قوله لتذهبوا) علة لقوله ولا تعضوهن (قوله ببعض ما آتيتموهن) أي بومن باب أولى أخذ الجميع (قوله إلا أن يأتين بفاحشة) هذا استثناء من عموم الأحوال والمعنى لا يجل عضل النساء لأجل أخذ بعض ما آتيتموهن في حال من الأحوال إلا في حال إتيانهن بفاحشة مبينة (قوله بفتح الياء وكسرهما) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أولشوز) أي خروج عن طاعة الزوج (قوله فلكم أن تضاروهن) . إن قلت إن المضاررة لا تجوز فكيف ذلك . أجيب بأن هذا منسوخ أو بأن المراد بها الوعظ والمهر والضرب على طبق ما يأتي في قوله تعالى - واللاتي تخافون نشوزهن - الآيات وتسميته حينئذ مضاررة مشاكلة نظير لمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (١٩٨) (قوله وعاشروهن) قيل معطوف على قوله فيما تقدم - وآتوا النساء

صدقاتهن نحلة - وقيل معطوف على قوله ولا تعضوهن وعليه فالعطف للتوكيد والمعنى لا تضاروهن وعاشروهن بالمعروف بأن تطيبوا لمن القول والفعل ومن ذلك تعليمهن مصالح دينهن ودنياهن (قوله أي بالإجمال في القول) أي بالقول الجليل الخ (قوله فإن كرهتموهن) أي طبعاً من غير ظهور ما يوجب الكراهة منهن (قوله فاصبروا) هذا هو جواب الشرط ، وقوله ففسى أن تكرهوا شيئاً علة له (قوله ولدا صالحاً) أي ذكراً

كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فإن شاءوا تزوجوها بلا صدق أو زوجوها وأخذوا صداقتها أو عضلها حتى تقتدى بما ورثته أو تموت فيرثوها فنها عن ذلك (وَلَا) أن تعضوهن أي تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإساکهن ولا رغبة لکم فيهن ضرراً (لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ) من المهر (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ) بفتح الياء وكسرهما أي بينت أو هي بينة: أي زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلن (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) أي بالإجمال في القول والنفقة والمبيت (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ) فاصبروا (فَفَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولدا صالحاً (وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ) أي أخذها بدلها بأن طلقتموها (وَقَدْ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ) أي الزوجات (فِنْطَارًا) مالا كثيراً صداقاً (فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا، أَنْ تَأْخُذُوا بِهِ تَتَانًا) ظلماً (وَإِنَّمَا مُبَيَّنًا) بينا ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللانكار في (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ) أي بأى وجه (وَقَدْ أَقْصَى) وصل (بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ) بالجماع المقرر للمهر (بِأَخْذِنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا) عهداً (غَاطِظًا) شديداً وهو ما أمر الله به من إساکهن بمعروف أو تسريحهن باحسان (وَلَا تَنْكِحُوا مَا) بمعنى من (نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ،

أو أنى في الحديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به من أولاده صالح يدعو له » وبالجملة فالاحسان إلى النساء من مكارم الأخلاق وإن وقعت منهن الاساءة لما في الحديث « يغلبن كريماً ويغلبهن لثيم فاحب أن أكون كريماً مغلوباً ولا أحب أن أكون لثيماً غالِباً » (قوله بأن طلقتموها) أي بعد الدخول وأما قبله فليس لها عنده إلا نصف المهر (قوله مالا كثيراً) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالظنظار العديدي (قوله ظلماً) أشار بذلك إلى أنه أطلق البهتان وهو في الأصل الكذب وأراد به الظلم مجازاً (قوله والاستفهام للتوبيخ والانكار في وكيف تأخذونه) أي وفيما قبله (قوله بالجماع) هكذا فسره به الشافعي وقال مالك بالحلوة التي يتأتى فيها الوطء (قوله المقرر للمهر) أي وهو الواقع من بالغ في مطيعة وقال الشافعي بل ولولم تكن مطيعة (قوله وأخذن) أي النساء والأخذ في الحقيقة هو الله وإنما أسند للنساء مجازاً عقلياً من الاسناد للسبب (قوله ولا تنكحوا ما نكح آبائكم) شروع منه سبحانه وتعالى في المحرمات من النسب على الرجال وابتدأ بتحريم زوجة الأب اعتناء بها فإن الجاهلية كانوا يفعلون ذلك كثيراً ولما كان ذلك الأمر قبيحاً شرعاً طبعاً أفرده بالنهي ولم يدرجه في جملة المحرمات الآتية (قوله ما نكح آبائكم) المراد بالنكاح العقد وبالأباء الأصول وإن علواً في عقد أحد

من أصولك على امرأة فلا يحل لك ولا لأحد من ذرتك تزوجها بحال وهذه إحدى المحرمات بالصهر وهن أربع والباقي زوجة الابن وأم الزوجة وبنت الزوجة وكل ذلك يحصل التحريم فيه بمجرد العقد إلا بنت الزوجة فلا يحرمها إلا بالدخول بأمرها ، والراد بالدخول عند مالك التلذذ مطلقا وإن لم تكن خلوة وعند الشافعي لابد من الوطء وأما جارية الأب فلا تحرم على الابن إلا إن تقلد بها الأب وسيأتي في الآية تحريم باقي الأصهار (قوله من النساء) بيان لما أتى بمعنى من وعبر بما أتى لغیر المعامل غالبا إشارة إلى أن النساء ناقصات عقل (قوله إلا لسنن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن النهي مستقبل والاستثناء ماض ولا يستثنى لماضي من المستقبل وفي الحقيقة الاستثناء من قوله بعد إنه كان فاحشة الخ وحكمة هذا الاستثناء دفع توهم أنه من فعله ولو قبل التحريم يحصل له هذا الوعيد الشديد (قوله إنه كان فاحشة) علة لقوله ولا تنكحوا وكان إمالة أو مجردة عن معنى الزمان الماضي فهي بمعنى صار (قوله وساء سبيلا) مقول لقول محذوف معطوف على فاحشة أي ومقولا فيه ساء سبيلا ، ويحتمل أنه كلام مستأنف لإنشاء الدم (قوله ذلك) قدره إشارة إلى المخصوص بالدم والمعنى أن من تزوج بزوجة الأب بعد التحريم ارتكب أمرا قبيحا واستحق أشد البغض من الله وسلك طريقا قبيحا خبيثا (قوله حرمت عليكم أمهاتكم) شروع في ذكر المحرمات بالنسب وأمها جمع أم فالهاء زائدة في الجمع للفرق بين جمع من يعقل (١٩٩) ومن لا يعقل وهذا على أن الفرد أم وأما على أن الفرد أمهة

فليست زائدة وقد يتما كس على الأول فيقال في العقلاء تمت وفي غيرهم أمهات (قوله أن تنكحوهن) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن التواتر لا يحرم وإنما التحريم متعلق بالفعل (قوله وشملت بنات الأولاد) أي ذكورا وإناثا (قوله وأخواتكم) جمع أخت يقال في الأختي أخت وفي الله كرا أخ وجمع لأول أخوات والثاني إخوة (قوله

مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا) لَكِن (مَا قَدْ سَلَفَ) مِنْ فَعَلَكُمْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مَعْفُو عَنْهُ (إِنَّهُ) أَيْ نِكَاحُنْ (كَانَ فَاحِشَةً) قَبِيحًا (وَمَقْتًا) سَبَبًا لِمَقْتِ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ أَشَدُّ الْبَغْضِ (وَسَاءَ) بَلْسَ (سَبِيلًا) طَرِيقًا ذَلِكَ (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) أَنْ تَنْكَحُوهُنَّ وَشَمِلْتَ الْجَدَّاتِ مِنْ قَبْلِ الْأَبِ أَوِ الْأُمِّ (وَبَنَاتُكُمْ) وَشَمِلْتَ بَنَاتِ الْأَوْلَادِ وَإِنْ سَفَلْنَ (وَأَخَوَاتُكُمْ) مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوِ الْأُمِّ (وَعَمَّاتُكُمْ) أَيْ أَخَوَاتُ آبَائِكُمْ وَأَجْدَادِكُمْ (وَحَالَاتُكُمْ) أَيْ أَخَوَاتُ أُمَّهَاتِكُمْ وَجَدَّاتِكُمْ (وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ) وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ أَوْلَادُهُمْ (وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ) قَبْلَ اسْتِكْمَالِ الْحَوْلَيْنِ خَمْسَ رَضَعَاتٍ كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي الْحَدِيثِ (وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ) وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ بِالسِّنَةِ الْبَنَاتُ مِنْهَا وَهِنَّ مِنْ أَرْضَعْتَهُنَّ مَوَاطِئَهُنَّ وَالْعَمَاتُ وَالْخَالَاتُ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ مِنْهَا الْحَدِيثُ «يَحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرَمُ مِنَ النَّسَبِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ (وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَزَوَّائِكُمْ) جَمْعُ رَبِيبَةٍ وَهِيَ بِنْتُ الزَّوْجَةِ مِنْ غَيْرِهِ ،

من جهة الأب أو الأم (أي ومن باب أولى الشقيقات (قوله أي أخوات آبائكم) أي مطلقا شقيقات أولأب أولأم (قوله وأجدادكم) أي وإن علوا (قوله أي أخوات أمهاتكم) أي مطلقا شقيقات أولأب أولأم (قوله وجداتكم) أي وإن علون (قوله ويدخل فيهن بنات أولادهن) أي الأخوات ذكورا وإناثا وإن سفلن وفيه تغليب الأخت على الأخ أقربها وفي نسخة أولادهم يميم الجمع ويكون عائدا على الأخ وغلبه على الأخت تشريفا (قوله وأمها نكم اللاتي أرضعنكم) شروع في ذكر المحرمات بالرضاع (قوله قبل استكمال الحولين) ظاهره ولو كان مستغنيا عن اللبن ولكن يقيد عند مالك بما إذا لم يستغن عن اللبن داخل الحولين وإلا فلا يحرم كبعد الحولين (قوله خمس رضعات) أي متفرقات وهذا مذهب الإمام الشافعي وابن حنبل ، وأما مذهب مالك وأبي حنيفة فالصفة واحدة كافية في التحريم (قوله كما بينه الحديث) أي الصحيح لأن من قواهد الشافعي كلامه الحديث كان مذهبه ، وأما مالك فكذلك ما لم يعارضه عمل أهل المدينة وإجماعهم وإلا حمل الحديث عنده على أنه منسوخ فعمل أهل المدينة حجة عند مالك دون غيره (قوله وأخواتكم من الرضاعة) أي وسواء كانت تلك الأخت بنتا لمن أرضعتك أولا كما إذا أرضعت امرأة ابن عمر وبنت زيد فإنها نصير أختا له من الرضاعة (قوله ويلحق بذلك) أي بما ذكر من الأمهات والأخوات من الرضاعة (قوله من أرضعن موطوءته) ظاهره ولو بزنا وهو كذلك عند مالك ، وأما عند الشافعي فيقيد الوطء بكونه من نكاح أو شبهته أو ملك أو شبهته ، وأما بالزنا فلا يحرم عنده .

(قوله اللاتي في حجبوركم) جمع حجبور وهو في الأصل منكم التوب أطلق وأريد به كونهم في تريته (قوله موافقة للبالغ) أي فان الغالب عدم استثناء الربيبة عن أمها فهي في حجب زوجها (قوله أي جامعتموهن) هذا مذهب الشافعي وعند مالك يكنى مطلق التقذف في التحريم (قوله الذين من أصلابكم) نزلت ردًا لقول بعض المنافقين حين تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حليمة زيد وكان متبنيًا له: إن محمدًا تزوج حليمة ابنه (قوله بين الأختين) أي مطلقا شقيقتين أولاب أولام (قوله الجمع بينها وبين حماتها الخ) أي وضابط ذلك أن يقال كل اثنتين لو قدرت أبة ذكرا حرم فانه يحرم جميعهما ، وأما لو كان التقدير في أحد الجانبين يحرم وفي الآخر لا يحرم فانه لا يحرم كجمع المرأة وأم زوجها أو بنته من غيرها أو المرأة وجاريها كما قال الأجهوري :

وجمع امرأة وأم البعل أو بنته أو رقها ذو حل

(قوله ويطلق واحدة) أي ويحرم الأخرى (قوله إلا لكن ما قد سلف) هذا استثناء منقطع كالأول ولم يقل هنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلًا لعله بالقياس على ما تقدم (قوله بعض ما ذكر) أي هو نكاح الأختين (قوله والمحضات) معطوف على قوله أمهاتكم فهو مندرج في سلك المحرمات (٢٠٠) ولذا قدر الفسر قوله حرمت عليكم ، والمحضات بفتح الصاد هنا

(اللَّاتِي فِي حُجْبُورِكُمْ) تَرْبُوْنَهَا صِفَةٌ مُوَافِقَةٌ لِلْبَالِغِ فَلَا مَفْهُومَ لَهَا (مِنْ نِسَائِكُمْ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) أَيْ جَامِعْتُمُوهُنَّ (فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ (وَحَلَائِلُ) أَزْوَاجِ (أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ) بِخِلَافِ مَنْ تَبْنِيْتُمُوهُمْ فَلَكُمْ نِكَاحُ حَلَائِلِهِمْ (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ) مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ بِالنِّكَاحِ وَيَأْخُذُ بِهِمَا بِالسَّنَةِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بَيْنَ عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا . وَيَجُوزُ نِكَاحُ كُلِّ وَاحِدَةٍ عَلَى الْإِنْفِرَادِ وَمِلْكُهُمَا مَعًا وَيَطْأُ وَاحِدَةً (إِلَّا) لَكِنْ (مَا قَدْ سَلَفَ) فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ نِكَاحِكُمْ بَعْضَ مَا ذَكَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهِ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) لِمَا سَلَفَ مِنْكُمْ قَبْلَ النَّهْيِ (رَحِيمًا) بِكُمْ فِي ذَلِكَ (و) حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ (الْمُحْصَنَاتُ) أَيْ ذَوَاتُ الْأَزْوَاجِ (مِنَ النِّسَاءِ) أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَبْلَ مَفَارَقَةِ أَزْوَاجِهِنَّ حُرَائِرُ مُسْلِمَاتٍ كُنَّ أَوْ لَا (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) مِنَ الْإِمَاءِ بِالسَّبْيِ فَلَكُمْ وَطْؤُهُنَّ وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَعْدَ الْإِسْتِبْرَاءِ (كِتَابَ اللَّهِ) نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ أَيْ كَتَبَ ذَلِكَ (عَلَيْكُمْ وَأَحَلَّ) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ (لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ) أَيْ سِوَى مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ (أَنْ تَبْتَغُوا) تَطْلُبُوا النِّسَاءَ (بِأَمْوَالِكُمْ) بِصَدَاقٍ أَوْ ثَمَنِ (مُحْصِنِينَ) مُتَزَوِّجِينَ (غَيْرِ مُسَافِحِينَ) زَانِينَ (فَمَا) أَيْ مِنْ (اسْتَمْتَعْتُمْ) نَعِمْتُمْ (بِهِنَّ) مَنْ تَزَوَّجْتُمْ ،

باتفاق السبعة ، وأما في غير هذا الموضع فقرأ السكسائي بالكسر فعلى الفتح هو اسم مفعول وفاعل الاحصان إما الأزواج أو الأولياء أو الله وعلى الكسر اسم فاعل بمعنى أنهم أحصن أنفسهم . واعلم أن الاحصان يطلق على الزوج كما في هذه الآية وعلى الحرية كما في قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحضات وعلى الاسلام كما في قوله فإذا أحصن وعلى العفة مساحات (قوله أن

تنكحوهن) أي تعقدوا عليهن في العصمة وما أحق بها كالعدة وقد أشار لذلك بقوله قبل مفارقة

بالوطء

أزواجهن (قوله أولا) أي بل كن إماء أو كتابيات (قوله إلا ما ملكت أيمانكم) الاستثناء متصل ويشير له قول الفسرو إن كان لمن أزواج ولكن فيه شائبة انقطاع من وجهين : الأول أن المستثنى الوطء والمستثنى منه العقد . الثاني أن المستثنى منه المتزوجات بالفعل والمستثنى من كن . متزوجات فانه بمجرد السبي تنقطع عصمة الكافر (قوله نصب على الصدر) أي للؤكد لعامله العذوى المستفاد من قوله حرمت فان التحريم والفرض والكتب بمعنى واحد (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان والفاعل هو الله وحذف للعلم به (قوله ما وراء ذلكم) أي غير ما ذكر لكم وهذا عام مخصوص بغير ما حرم بالسنة كباقي المحرمات من الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وأخالتها . والملاعنة على ملاعنها والعدة فقوله أي سوى ما حرم عليكم من النساء أي كتابا وصنة (قوله أن تبتغوا) علة لقوله وأحل لكم أي أحل لكم لأجل أن تبتغوا (قوله صدق) أي بالتزوج وقوله أو ثمن أي بالملك (قوله متزوجين) أي أو متملكين بدليل قوله أو ثمن وقوله غير مسافحين حال أخرى وسمى الزنا سفاحا لأن الزانين لا يقصدان إلا صب الماء ولا يقصدان نسلا فان الأصل في السفع الصب (قوله فما استمتعتم) أشار الفسّر بقوله أي من إلى أن موافقة

على من يهمل وهن الزوجات والمراد الزوجات اللاتي تمتنع به منهن فلاية واردة في النكاح الصحيح فهو بمعنى قوله تعالى - وآتوا النساء صدقاتهن نحلة - الآية وكرره لتعمم حكم الحل وقيل إن الآية وردت في نكاح المتعة وكان في صدر الاسلام حلالا فكان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ثم يسرحها وقد نسخ هذا فعلى هذا الآية منسوخة (قوله بالوطء) أى أو مقدماته (قوله مهوورهن) سمى المهوور أجرا لأنه في مقابلة الاستمتاع بالذات (قوله التي فرضتم لهن) أشار بذلك إلى أن فريضة مفعول لمخدوف وهو متصل بما قبله فإن لم يكن فرض لها شيئا وقد دخل بها فإنه يلزمه مهر مثلها (قوله ولا جناح عليكم) أى ولا عليهن (قوله أتم وهن) أى إن كن رشيدات أو أولياؤهن إن كن سفهات (قوله من حطها الخ) بيان لما والكلام موزع ، والمعنى فلا جناح عليكم إنما تراضيت به من الحط ولا جناح عليهن فيما تراضين من أخذ الزيادة (قوله ومن لم يستطع) من شرطية أو موصولة ويستطع إما فعل الشرط أو صلة الوصول وقوله منكم : أى الأحرار وهو شروع في بيان حكم النكاح الإماء للأحرار فأفاد أنه لا يجوز للأحرار ينكح الأمة إلا بشرط ثلاثة أن لا يجد للأحرار طولا وأن تكون تلك الأمة مؤمنة وأن يخشى على نفسه العنت وذلك الحكم يخص ما تقدم في قوله فأنكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله - وأحل - (٢٠١) لكم ما وراء ذلكم - وعلة حرمة نكاح الأمة لثلاث

بالوطء (فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ) مهوورهن التي فرضتم لهن (فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ) أتم وهن (بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) من حطها أو بعضها أو زيادة عليها (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخلفه (حَكِيمًا) فيما دبره لهم (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا) أى غنى (لَأَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ) الحرائر (الْمُؤْمِنَاتِ) هو جرى على الغالب فلا مفهوم له (فَرِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) ينكح (مِنْ) فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ) فأنكحوا بظاهره وكنوا السرائر إليه فإنه العالم بتفصيلها ورب أمة تفضل الحرية فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء (بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) أى أتم وهن سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن (فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ) مواليهن (وَأَتَوْهُنَّ) أعطوهن (أَجُورَهُنَّ) مهوورهن (بِالْمَعْرُوفِ) من غير مظل ونقص (مُحْصَنَاتٍ) عفاف حال (غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ) زانيات جهرا (وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ) أخلاء يزنون بهن سرا (فَإِذَا أُخْصِنَ) زوجن وفي قراءة بالبناء للفاعل تزوجن (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ) زنا (فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ) الحرائر الأبكار إذا زنين (مِنْ الْعَذَابِ) الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ،

إما جواب الشرط أو خبر المبتدأ وقدر المفسر العامل مؤخرا لإفادة الحصر (قوله من فتياتكم) جمع فتاة وهى الشابة من النساء (قوله تفضل الحرية فيه) أى الإيمان بأن تكون من كبار الأولياء وأرباب الأسرار مثلا (قوله بعضكم من بعض) أى من جنس بعض في الدين والنسب كقول على كرم الله وجهه بيت شعر من البسيط :

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوم آدم والأمة حواء

(قوله من غير مظل) أى عدم أداء مع القدر عليه (قوله حال) أى من قوله فأنكحوهن أى حال كونهن عفاف من الزنا وهذا شرط كمال على المعتمد (قوله غير مسافحات) حال مؤكدة (قوله ولا متخذات أخدان) جمع خدن بالكسر وهو صاحب والخليل وإما ذكره بعده لأنه كان في الجاهلية الزنا قسما : جهرا وسرا فكان الأكابر منهم يحرمون القسم الأول ويحلون القسم الثانى (قوله وفي قراءة بالبناء للفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى على هذه القراءة أحسن أنفسهن (قوله فإن أتيتن) شرط في الشرط وقوله فعليهن الخ جواب الثانى والثانى وجوابه جواب الأول على حد إن جئتنى فإن لم أكرمك فعبدى حر (قوله الأبكار) إنما قيد بذلك لأن حد غير البكر من الأحرار الرجم وهو لا يقتضف (قوله ويغربن نصف سنة) هذا مذهب لامام الشافعى ، وأما عند مالك فلا تغرب على الرقيق ذكرا أو أنثى [٢٦ - صاوى - أول]

بصير الولد رقيقا لسيد الأمة فإن كان لا يولد له أو لها أو كان ولده يعتق على سيدها مثل أمة الجد فإنه يجوز له تزوج الأمة بشرط كونها مؤمنة (قوله أن ينكح المحصنات) أن وبادخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لقوله طولا على حد أو إطعام في يوم نى مسغبة بقيا (قوله فلا مفهوم له) أى فإذا وجد طولا لحرمة كناية فلا يجوز له أن يتزوج بالأمة (قوله فمما ملكت أيمانكم)

(قوله ولم يجعل الإحصان الخ) إنما احتاج للسؤال والجواب لأنه فسر الإحصان بالزوج وإلا فلو فسره بالإسلام كما فعل غيره لما احتاج لذلك كله (قوله وأصله المشقة) أى أصله الثانى وإلا فأصله الأول الكسر بعد الجبر ثم نقل لكل مشقة تحصل للانسان (قوله والعقوبة فى الأخرى) أى إن لم يقم عليه الحد فى الدنيا على المعتمد من أن الحدود جوارى (قوله فلا يحل له نكاحها) محل ذلك إن لم يخف العنت فى أمة معينة ولم يجد من يكفه عنها من الحرائر فعند مالك يجوز له نكاحها لأنه عادم للحرائر حكما (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك وأحمد وقال أبو حنيفة بجواز نكاح الأمة لمن ليس تحته حرّة بالفعل ولو كان واجدا لمهره وخالف فى اشتراط إسلام الأمة (قوله ولو عدم) أى الطول وخاف العنت (قوله وأن تصبروا خير لكم) أى فالصبر أجمل حيث أمكن التحيل على ذلك لقوله فى الحديث «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» ولقوله تعالى - وليستغف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله - (قوله بالتوسعة فى ذلك) أى فى نكاح الأمة (قوله ليبين لكم) أى يفعل ويظهر (قوله ٢٠٢) فتنبهوا أى على منوال شرعكم (قوله ويتوب عليكم) أى يقبل توبتكم

إذا ثبتم (قوله عن معصيته) أى اللغوية وإلا فقبل التشريع لم تكن معصية (قوله والله يريد أن يتوب عليكم) أى يحب ذلك ويرضاه وليست الإرادة على حقيقتها لأنه يقتضى أن إرادة الله متعلقة بتوبة كل عاص مع أنه ليس كذلك فاللعن الله يحب توبة العبد فيتوب عايه ومن هنا قيل إن قبول التوبة قطعى (قوله أو المجوس) أى فكانوا يجوزون نكاح الأخوات من الأب وبنت الأخ فلما حرمهن الله صاروا يقولون للؤمنين إنكم تحلون نكاح بنت العمة

ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً (ذلك) أى نكاح المملوكات عند عدم الطول (لَمَنْ خَشِيَ) خاف (الْعَنَتِ) الزنا وأصله المشقة سمى به الزنا لأنه سببها بالحد فى الدنيا والعقوبة فى الآخرة (مِنْكُمْ) بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعى، وخرج بقوله من فتياتكم المؤمنات الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف (وَأَنْ تَصْبِرُوا) عن نكاح المملوكات (خَيْرٌ لَكُمْ) لثلا يصير الولد رقيقاً (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بالتوسعة فى ذلك (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ) شرائع دينكم ومصالح أمركم (وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ) طرائق (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) من الأنبياء فى التحليل والتحرير فتنبهوا (وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ) يرجع بكم عن معصيته التى كنتم عليها إلى طاعته (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بكم (حَكِيمٌ) فيما دبره لكم (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) كرره ليعنى عليه (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ) اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة (أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) يسهل عليكم أحكام الشرع (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) لا يصبر عن النساء والشهوات (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) بالحرام فى الشرع كالربا والغصب (إِلَّا) لكن (أَنْ تَكُونُوا) تقع (تِجَارَةً) وفى قراءة بالنصب ،

وبنت الحلة فلا فرق بينهما وبين بنت الأخ والأخت (قوله فتكونوا مثلهم) أى لأن المصيبة إذا عمت هانت (قوله يسهل عليكم أحكام الشرع) أى فلم يجعلها ثقيلة عسرة كما كان فى الأمم السابقة قال تعالى - يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر - وقال تعالى - ما جعل عليكم فى الدين من حرج - (قوله وخلق الانسان) هذا كالتعليل لقوله يريد الله أن يخفف عنكم (قوله لا يصبر عن النساء) أى لما فى الحديث «لاخير فى النساء ولا صبر عنهن يغابن كريما ويغلبهن لثيم فأحب أن أكون كريما مغلوبا ولا أحب أن أكون لثيما غالبا» وقوله أو الشهوات أى مطلقا ومن جملتها النساء وفى الحديث «إن لنفسك عليك حقا» (قوله يأيتها الذين آمنوا الخ) لما بين النهى عن بعض الفروج وإباحة بعضها شرع يبين النهى عن بعض الأموال والأنفس (قوله لاتأكلوا أموالكم) أى بانفاقها فى المعاصى والبراد بالأكل مطلق الأخذ وإنما عبر بالأكل لأنه معظم المقصود من الأموال (قوله كالربا والنصب) أى والسرقة والرشوة وغير ذلك من المحرمات (قوله إلا لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع (قوله وفى قراءة بالنصب) أى على أن تكون ناقصة وتجارة خبرها وامها محذوف وأما على الرفع فتكون تامة

والقراءتان سبعيتان (قوله من تراض منكم) أى وأما إذا لم تكن عن تراض بل كانت غصبا أو غشا أو خديعة فليست حلالا ويشترط أيضا أن تكون على الوجه الرضى فى الشرع وخص التجارة بالذكر لأن غالب التصرف فى الأموال بها للدوى للبروات (قوله أيا كان فى الدنيا الخ) أى يأن يزنى وهو محصن فيترتب عليه الرجم أو يقتل أحدا فيقتل أو يقتل نفسه غموا أو سفلا لماروى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحصى حيا فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا » (قوله أى ما نهى عنه) أى وهو قتل النفس أو أكل الأموال بالباطل (قوله تأ كيد) أى لأن الظلم والعدوان بمعنى واحد وهو تجاوز الحد (قوله وكان ذلك) أى الإصلاء المذكور (قوله وهى ماورد عليها وعيد) أى أو حدث ولا تحذبالعد (قوله أقرب) أى منها للسبعين التى قيل بها (قوله بالطاعات) أى بفعلها زيادة على الاجتناب كذا قيل وقيل لا يشترط ذلك بل تكفى الصفات باجتناب الكبائر فقط فان اجتناب الكبائر من أعظم الطاعات وهو العتمد (قوله بضم الميم) أى فيكون مصدرا على صورة للمفعول لأن مصدر الرابعى يأتى على صورة اسم المفعول ومفعوله محذوف أى ندخلكم (٢٠٣) الجنة إدخالا وقوله وقتعها

أى فيكون اسم مكان فقله أى إدخالا أو موصفا لفت ونشر مرتب ويحتمل أن كلا لكل لكن الأول أقرب وهما قراءتان سبعيتان إلا فى الاسراء فبالضم لا غير (قوله هو الجنة) هذا يناسب كونه اسم مكان وأما على كونه مصدرا ، فالمراد أن لمراد الإدخال الكريم الجنة ومعنى كونه كريما أنه لا تكديفه ولا تعب بل فيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله ولا تمنوا) سياتى فى المفسر

أى تكون الأموال أموال تجارة صادرة (عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) وطيب نفس فلكم أن تأكلوها (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) بارتكاب ما يؤدى إلى هلاكها أيا كان فى الدنيا أو الآخرة بقرينة (إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) فى منعه لكم من ذلك (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) أى ما نهى عنه (عُذْوَانًا) تجاوزا للحلال حال (وَظُلْمًا) تأكيد (فَسَوْفَ نُضَلِّهِ) ندخله (نَارًا) يحترق فيها (وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) هينا (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ) وهى ماورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة ، وعن ابن عباس هى إلى السبعين أقرب (نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) الصفات بالطاعات (وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا) بضم الميم وفتحها أى إدخالا أو موصفا (كَرِيمًا) هو الجنة (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) من جهة الدنيا أو الدين للثلا يؤدى إلى التحاسد والتباغض (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا) بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره (وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ) من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن، نزل لما قالت أم سلمة : ليتنا كننا رجالا لجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال ،

سبب نزولها وهو تمنى أم سلمة كونها من الرجال وذلك لأن الله فضل الرجال على النساء بأمور: منها الجهاد والجمعة والزيادة فى الميراث وغير ذلك والتمنى هو التعلق بمحصل أمر فى المستقبل عكس التلطف لأنه التعلق بمحصل أمر فى الماضى فان تعلق بانتقال ما لغيره له أولغيره مع زواله عنه فهو حسد مذموم وهو معنى قوله تعالى - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وفى ذلك قال ابن حنبل : ألق لمن بات لى حاسدا أتردى على من أسأت الأدب أسأت على الله فى فعله كأنك لم ترض لى ما وهب فكان جزاؤك أن خصنى وسد عليك طريق الطائب

وإن تعلق بمثل ما لغيره مع بقاء نعمته فان كان تقوى أو صلاحا أو إنفاق مال فى الخير فهو مندوب وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته فى الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس » وأما إن كان تمنى المال لجرد النفى فهو جائز (قوله وغيره) أى من أنواع البر كالصلاة والصوم وغيرها (قوله من طاعة أزواجهن) أى لما فى الحديث « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وفى الحديث « إذا بات الرجل غضبنا على زوجته باتت الملائكة تلغنها إلى الصباح » (قوله أم سلمة) أى وهى زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقد ترتب على تمنىها نزول تلك الآية ونزول قوله تعالى - إن المسلمين والمسلمات ، إلى قوله : أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما - (قوله ليتنا كننا رجالا) أى ينتقل لنا وصفهم

(وَأَسْأَلُوكَ بِحِمَزةٍ وَدُونِهَا (اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) مَا احْتَجَمَ إِلَيْهِ بِعَطَمِكُمْ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) وَمِنْهُ مَحَلُّ الْفَضْلِ وَسُؤَالِكُمْ (وَلِكُلِّ) مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ (جَعَلْنَا مَوَالِي) عَصَبَةٌ يَعْطُونَ (بِمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) لَهُمْ مِنَ اللَّيَالِ (وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ) بِالْفِ وَدُونِهَا (أَيَّمَانُكُمْ) جَمْعُ بَيْنٍ بِمَعْنَى الْقَسَمِ أَوْ الْيَدِ أَى الْخِلْفَاءِ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى النَّصْرَةِ وَالْإِثَارِ (فَأَتَوْهُمْ) الْآنَ (نَصَبَهُمْ) حَظُوظَهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ وَهُوَ السُّدُسُ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) مَطْلَعًا وَمِنْهُ حَالَتُكُمْ وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ : وَأَوَّلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ) مُسَلِّطُونَ (عَلَى النِّسَاءِ) يُؤَدِّبُونَهُنَّ وَيَأْخُذُونَهُنَّ عَلَى أَيْدِيهِنَّ (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) أَى بِتَفْضِيلِهِ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْوَلَايَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (وَبِمَا أَنْفَقُوا) عَلَيْهِنَّ (مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ) مِنْهُنَّ (فَأَنْتَاكِتُ) مُطِيعَاتٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ (حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ) أَى لِفُرُوجِهِنَّ وَغَيْرِهَا ،

أيمانكم- الآية (قوله بقوله وأولو الأرحام) وقيل منسوخ بالآية قبلها والواقع أن كلا ناسخ لها (قوله الرجال في قوامهم) سبب نزولها أن سعد بن الربيع أحد فقهاء الأنصار نشر زوجته واسمها حبيبة بنت زيد فلطمها فانطلق بها أبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له قد لطم كرىمتي فقال النبي لتقتص من زوجها فذهبت مع أبيها ، فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا إن جبريل أتاني وقرأ الآية ، ثم قال أردنا أمرا وأراد الله أمرا وما أراد الله خيرا ، وهذا كلام مستأنف قصده بيان تفضيل الرجال على النساء ، وأفاد أن التفضيل لحكمين الأولى وهيبة والثانية كسبية . واعلم أن جنس الرجال أفضل من جنس النساء فلا ينافي أن بعض أفراد النساء أفضل من بعض أفراد الرجال كحريم بنت عمران وفاطمة الزهراء وخديجة وعائشة (قوله مسيطون) أي قيام سلطنة كقيام الولاة على الرعايا فالمرأة رعية زوجها ، وفي الحديث « كل راع مسئول عن رعيته » (قوله ويأخذون على أيديهن) أي يمنعنهن من كل مكروه كالخروج من المنزل (قوله بما فضل) الباء سببية ومصدرية : أي بتفضيل الله والبعض الأول الرجال والثاني النساء وأبهم البعض إشارة إلى أن التفضيل بالجملة لا بالتفصيل (قوله بالعلم الخ) أشار المفسر لبعض الأمور التي فضلت الرجال بها على النساء ومنها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وكون الأنبياء والسلاطين من الرجال ومنها كون الرجل يتزوج بأربع في الدنيا وبأكثر في الجنة دون المرأة وكون الطلاق والرجعة بيد الرجل (قوله وبما أنفقوا) يقال فيه ما قبل في قوله بما فضل الله : أي وبانفاقهم ومن جملة الانفاق دفع المهر (قوله مطيعات لأزواجهن) أي

في غير مصية الله (قوله في غيبة أزواجهن) أي عنهن (قوله بما حفظ الله) أشار للفسر إلى أن ما اسم . وصول أو نكرة موصوفة والعائد محذوف قدره بقوله هن والباء سببية : أي بسبب الذي أوشى حفظهن الله به ولفظ الجلالة فاعل حفظ ، والمعنى أن الله كما أوصى الأزواج بحفظ النساء كذلك لا تسمى النساء صالحات إلا إذا حفظهن الأزواج لأنه كايدين النقي يدان ويحتمل أن ما مصدرية ، والمعنى بحفظ الله : أي توفيق الله لهن (قوله عصيانهن لكم) أي فيما تأمرونهن به (قوله بأن ظهرت أماراته) أي النشوز بأن ظننتم ذلك (قوله فعضوهن) أي بنحو أني الله واحذري عقابه فإن الرجل له حق على المرأة وهذا الترتيب واجب وأخذ وجوبه من السنة (قوله غير مبرح) أي وهو الذي لا يكسر عظما ولا يشين جارحة . واعلم أن الهجر والضرب لا يسوغ فعلهما إلا إذا تحقق النشوز ويزاد في الضرب ظن الافادة ، وأما الوعظ فلا يشترط فيه تحقق النشوز ولا ظن الافادة (قوله طريقا إلى ضربهن ظلما) أي كأن توخوهن على ما كان منهن فيلجأ الأمر إلى الخصام والضرب فإن عدن للنشوز رجع الترتيب الأول ولا يضربن من أول وهلة (قوله فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن) أي فالمطلوب أن تستوصوا بهن خيرا لما في الحديث « استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خافت من ضاع وإن أعوج ما في الضلع (٢٠٥) أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته »

وإن تركته لم يرل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا » (قوله وإن خفتم) الخطاب لولاة الأمور أو لأشراف البلدة التي هما بها (قوله والاضافة للاتساع) أي والأصل شقاقا بينهما فأضيف المصدر إلى ظرفه مثل مكر الليل (قوله حكما من أهله وحكما من أهلها) أي إن وجد كل من الأهلين معا فإن لم يوجد أو وجد أحدهما دين الآخر اختارولى الأمر رجائين وبهتسما واحدا عنها وواحدا عنه .

في غيبة زأواجهن (بِمَا حَفِظَ) مِنْ (اللَّهِ) حَيْثُ أَوْصَى عَلَيْهِنَ الْأَزْوَاجُ (وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) عَصِيَانَهُنَّ لَكُمْ بِأَن ظَهَرَتْ أَمَارَاتُهُ (فَعِظُوهُنَّ) (خَوْفُوهُنَّ) اللَّهُ (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ) اعْتَزَلُوا إِلَى فِرَاشٍ آخَرَ إِنْ أَظْهَرْنَ النُّشُوزَ (وَأَضْرِبُوهُنَّ) ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ إِنْ لَمْ يَرْجِعْنَ بِالْمُجْبَرَانِ (فَإِنْ أَطَقْتَكُمْ) فِيمَا يَرَادُ مِنْهُنَّ (فَلَا تَبْغُوا) تَطْلُبُوا (عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا) طَرِيقًا إِلَى ضَرْبِهِنَّ ظُلْمًا (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) فَاحْذَرُوهُ أَنْ يَعَاقِبَكُمْ إِنْ ظَلَمْتُمُوهُنَّ (وَإِنْ خِفْتُمْ) عَظَمْتُمْ (شِقَاقَ) خِلَافَ (بَيْنَهُمَا) بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَالْإِضَافَةُ لِلاتِّسَاعِ أَيْ شِقَاقًا بَيْنَهُمَا (فَأُتِمُّوا) إِلَيْهِمَا بِرِضَاهُمَا (حَكَمًا) رَجُلًا عَدْلًا (مِنْ أَهْلِهِ) أَقَارِبُهُ (وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) وَيُوكَلُ الزَّوْجُ حَكْمَهُ فِي طَلَاقٍ وَقَبُولِ عَوْضٍ عَلَيْهِ ، وَتَوَكَّلْ هِيَ حَكْمُهَا فِي الْإِخْلَاعِ فَيَجْتَهِدَانِ وَيَأْمُرَانِ الظَّالِمَ بِالرَّجُوعِ أَوْ يَفْرَقَانِ إِنْ رَأَيَاهُ قَالَ تَعَالَى (إِنْ يُرِيدَا) أَيْ الْحَكَمَانِ (إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ أَيْ يَقْدِرُهُمَا عَلَى مَا هُوَ الطَّاعَةُ مِنْ إِصْلَاحِ أَوْفِرَاقِ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بِكُلِّ شَيْءٍ (خَيْرًا) بِالْبَوَاطِنِ كَالظَّوَاهِرِ (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ) وَحْدَهُ (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَ) أَحْسِنُوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ۝

واعلم أن كون الحكمين من الأهاليين عند وجودها مندوب عند الشافعي واجب عند مالك (قوله إن رأياه) أي صولاً ومصلحة (قوله أي الحكمان) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين ، والمعنى إن يرد الزوجان إصلاحاً معايشة بالمعروف وترك ما يسيء تحصل الموافقة بينهما ، وقوله بين الزوجين ويحتمل أن يعود على الحكمين ، والمعنى لا يحصل اختلاف بين الحكمين بل تحصل الموافقة بينهما فيحكمان بما أنزل الله فتحصل أن الضميرين يصح عودهما معا على الزوجين أو الحكمين أو الأول للزوجين والثاني للحكمين وبالعكس ، وقوله إصلاحاً : أي مصلحة ، وإليه يشير قول الفسر بعد ذلك من إصلاح أوفراق (قوله واعبدوا الله) الخطاب للمكانيين لأن العبادة تتوقف على معرفة العبودية والنية ، ولكن المراد ما يشمل القرابة التي هي ما تتوقف على معرفة التقرب إليه والطاعة التي لا تتوقف على شيء (قوله وحده) حيث فسر العبادة بالتوحيد كان قوله بعد ذلك ولا تشركوا تأكيدا ولكن الأولى التعميم كما قدمناه فيكون قوله ولا تشركوا تأسيساً وهذا نظير قوله تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - (قوله ولا تشركوا به شيئاً) يحتمل أن شيئاً مفعول به ، والمعنى لا تشركوا به شيئاً من الأشياء صنفاً أو غيره ، ويحتمل أنه مفعول مطلق صفة لمصدر محذوف ، والمعنى إشرافاً شيئاً جلياً أو خفياً كالرياء والسمعة (قوله وبالوالدين) قرن برّ الوالدين بعبادة الله إشارة لتأكد حقهما وتخويفاً من عقوبتهما وقدر الفسر

أحسنوا إشارة إلى أن إحسانا مفعول مطاق لنعل محذوف والجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلقا بأحسنوا القدر وإليه يشير المفسر . ويحتمل أنه متعلق بإحسانا ولا يقال إن المصدر لا يعمل في متقدم لأنه يقال عمله في غير الجار والمجرور وانظر (قوله برأولين جانب) أى بأن يعظمهما ويخدمهما ويفعل معهما أنواع البر ، وقد بين أنواعه في قوله تعالى - إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف - ولا تنهرهما - الآية ، وإنما خص حالة الكبر لأن عندها يثقلان وإتمام تكررت الآيات المتعلقة بالوصية على الولدين دون العكس لأن الله جعل الرأفة القائمة بقلوب الوالدين على الأولاد مغنية عن التكليف بالقيام بحقوق الأولاد بخلاف الأولاد فلذا شدد على الأولاد دون الوالدين (قوله وبذى القرى) كسر الباء إشارة إلى تأكيد حق القرابة لما في الحديث « الرحم عاققة بالعرش تقول يارب من وصلني فأوصله ومن قطعني فاقطعه » (قوله واليتامى) جمع يتيم وهو من مات أبوه ويستمر يمه إلى البلوغ فإذا بلغ زال يمه (قوله والمساكين) جمع مسكين وهو من التصقت يده بالتراب والمراد ما يشمل الفقير (قوله أو النسب) أو مانعة خلوت تجوز الجمع لما في الحديث « الجيران ثلاثة غفار له ثلاثة حقوق : حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام ، وجار له حقان : حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له حق واحد حق الجوار وهو الشريك من أهل الكتاب » (قوله الرفيق في سفر) ومثله الملاصق لك في نحو درس علم أو صلاة (قوله المنقطع في سفره) المناسب تفسيره بالغيرب كان منقطعا أولا (قوله من الأرقاء) لا مفهوم له بل مثله الدواب المملوكة وإنما خص الأرقاء لقوله تعالى - ولقد كرمنا بني آدم - فالإحسان إليهم متأكد لقوله في الحديث « إن الله ملككم إياهم ولو شاء ملككم إياكم » (قوله إن الله) عملة المحذوف تقديره أمركم الله بذلك فلا تفخروا إن

برأولين جانب (وبذى القرى) القرابة (واليتامى والمساكين) الجار ذى القرى (القريب منك في الجوار أو النسب) (والجار الجنب) البعيد عنك في الجوار أو النسب (والصاحب بالجنب) الرفيق في سفر أو صناعة ، وقيل الزوجة (وابن السبيل) المنقطع في سفره (وما ملكك أيمانكم) من الأرقاء (إن الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا (فخورا) على الناس بما أوتي (الذين) مبتدأ (يبخلون) بما يجب عليهم (ويأمرؤن الناس بالبخل) به (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد (وأعدنا للكافرين) بذلك وبغيره (عذابا مؤيما) ذا إهانة (والذين) عطف على الذين قبله (ينفقون أموالهم رياء الناس) مرادين لهم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) كالمنافقين وأهل مكة (ومن يكن الشيطان له قرينا) صاحبا يعمل بأمره كهؤلاء (فساء بنس قرينا) هو (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) وأنفقوا بما رزقهم الله (أى أى ضرر عليهم في ذلك ؟ والاستفهام للانكار ولو مصدرية ، أى لا ضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه (وكان الله بهم عليما) فيجازيهم بما عملوا (إن الله لا يظلم أحدا) (مثقال) وزن (ذرة) :

الله الخ (قوله متكبرا) أى معجبا لنفسه مستحقرا لغيره (قوله بما أوتي) أى من النعم (قوله) أصغر بما يجب عليهم) أى من الزكاة وغيرها (قوله بالبخل به) أى بما يجب (قوله من العلم) أى كصفات النبي الموجودة في التوراة والإنجيل (قوله وأعدنا للكافرين) علة لخبر المبتدأ المحذوف (قوله مرادين لهم) أشار به إلى أن رياء حال من الواف في ينفقون (قوله كهؤلاء) أى الذين يبخلون ويأمرؤن الناس بالبخل ويكتمون ومن ينفق ماله مرائيا ومن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر (قوله فساء قرينا) ساء بمعنى بئس تساق للذم فهي نظيرتها في المعنى والعمل وقرينا تمييز والأصل فساء القرين قرينهم وقدر لخصوص بالذم بقوله هو . واعلم أن كل إنسان له قرين من الشياطين يوسوس له في الدنيا ويكون معه في النار في سلسلة ، واختلف فقيل الذم في الدنيا على مطاوعته فيما يأمره به ، وقيل في الآخرة على مقارنته له في السلسلة في النار (قوله أى أى) مرر (أشار بذلك إلى أن ماذا استفهام وهو للانكار والتوبيخ) (قوله ولو مصدرية) أى والكلام على تقدير في وإليه يشير المفسر بقوله : أى لا ضرر عليهم فيه فالتقدير وماذا عليهم في إيمانهم (قوله إن الله لا يظلم أحدا) المقصود من ذلك إظهار العدل في المجازة على السيئات وكمال الفضل في المجازة على الحسنات

(قوله أضمر نعمة) وقيل هو المباء الذي يكون في الشمس فقوله من مؤمن أي لامن كافر بل تكون هباء منشورا (قوله وفي قراءة بالرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله يضاعفها) أي يضاعف ثوابها (قوله لا يقدره) أي لا يحصره ولا يعبده بل من محض فضله وكرمه (قوله فكيف) خبر لمبتدأ محذوف قدح الفسر بوله حال الكفار وهو استهفام تعجبي استعظامي أي تعجب من حلمه فانه بلغ الغاية في الفظاعة والشناعة لعظيم مارأوه من الأهوال العظيمة (قوله إذا جئنا) ظرف متعلق بالمبتدأ المحذوف (قوله على هؤلاء) أي أم الأتبياء الكفار حين ينكرون تبليغ أنبيائهم لهم الرسالة . وحاصل ذلك أنه بعد انقضاء الوقت تحضر الأنبياء مع أمهم فيقول الله للأنم ألم تبلفكم الرسل الشرائع فيقولون ياربنا ما بلفونا فيسأل الله الرسل ألم تبلفهم ما أرسلتكم به فيقولون بلى فيقول الله للرسل هل لكم شهود فيقولون محمد وأمته فيؤتى بهم فيشهدون على الأنم بالكذب وللأنبياء بالبراءة ثم بعد ذلك إن وقع منهم إنكار تنطق عليهم أسنتهم بل وجميع أعضائهم والازمنة والامكنة بتكذيبهم وهذا الاحتمال هو الأظهر، ويحتمل أن اسم الإشارة عائد على المشركين مطلقا من أول الزمان إلى آخره أو عائد على الكفار والمنافقين من أمته صلى الله عليه وسلم وإنما رجع للتبني وأمته على الاحتمال الأول وإن كانت (٢٠٧) الدعوى من معصوم تبسكتنا لكفار الأنم السابقة

و إظهارا لشرف هذه الأمة وعظم قدرها (قوله يوم الحجيء) أشار بذلك إلى أن التنوين في يومئذ عوض عن جملة جئنا من كل أمة إلى آخرها (قوله يود الذين كفروا) أي يتمي الكفار مطلقا (قوله وعصوا الرسول) أي رسول كل أمة فال فيه للجنس (قوله أي أن) أشار بذلك إلى أن لومصدرية (قوله بالبناء للفعول) أي مع تخفيف السين وقوله ولاداعل الخ

أضمر نعمة بأن ينقصها من حسناته أو يزيد لها في سيئاته (وإن تك) النذرة (حسنه) من مؤمن وفي قراءة بالرفع فكان تامة (يضاعفها) من عشر إلى أكثر من سبعمائة وفي قراءة يضعفها بالتشديد (ويؤت من لدنه) أي من عنده مع المضاعفة (أجرا عظيما) لا يقدره أحد (فكيف) حال الكفار (إذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليها بعملها وهو نبيها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا يومئذ) يوم الحجيء (يؤد الذين كفروا وعصوا الرسول) أي أن (تسوى) بالبناء للمفعول وللفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل ومع إدغامها في السين أي تتسوى (بيهم الأرض) بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هوله كما في آية أخرى «ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا» (ولا يكتفون الله حديثا) عما عملوه وفي وقت آخر يكتفونهم ويقولون: والله ربنا ما كنا مشركين (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة) أي لا تصلوا (وأنتم سكارى) من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال السكر (حتى تعلموا ما تقولون) بأن تصحوا (ولا جئنا) بإيلاج أو إنزال ،

هذه قراءة ثانية وقوله ومع إدغامها قراءة نالفة . فالخاصل أن القراءات ثلاث البناء للمفعول مع تخفيف السين والبناء للفاعل مع التخفيف بحذف إحدى التاءين والتشديد بقلب التاء سينا وإدغامها في السين (قوله بأن يكونوا ترابا مثلها) أو بأن تنشق الأرض وتبتلعهم أو يدنون فيها والأقرب ما ذكره المفسر لأن خير ما فسرته بالوارد (قوله ولا يكتفون) معطوف على يود فأخبر عنهم بأنهم يوم القيامة يقع منهم شيان تمنى أن الأرض تسوى بهم وعدم كتابهم عن الله حديثا (قوله وفي وقت آخر) جواب عن سؤال وهو أن هذه الآية أفادت عدم الكتمان وآية الانعام أفادت اثباته . وحاصل الجواب أن الكتمان يقع منهم ابتداء وعدمه انتهاء (قوله لا تقربوا الصلوة) إيمانهم عن قربان للبالغة في النهي وقوله وأنتم سكارى . إن قات ان السكران لاعتقل عنده فكيف ينهى . أوجب بأن المراد لا تنكروا في أوقات الصلوات (قوله لأن سبب نزولها) اختصر المفسر السبب . وحاصله أنه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فأكلنا وأسقانا خرا قبل أن تحرم الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة أي صلاة المغرب فتقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فنزلت الآية فحرمت في ثوقات الصلاة حتى نزلت آية السائدة فحرمت طائفا (قوله حتى تعلموا ما تقولون) حتى جارة بمعنى إلى والفعل بعدها منصوب بأن مضرة وما يجوز . فمع أن تكون بمعنى التي أو نكرة موصوفة والعائد على كل محذوف أو مصدرية ولا حذف .

(قوله ونصبه على الحال) أى فهو معطوف على قوله وأتم سكارى (قوله وهو يطلق) أى لفظ جنب (قوله إلا عابرى سبيل) الأحسن أن إلا بمعنى غير صفة جنباً ومفهومة أن الجنب المسافر يكفيه التيمم وهو كذلك (قوله سيأتى) أى فى قوله أو على سفر الخ (قوله وقيل المراد النهى الخ) هذا تفسير آخر للآية وبه أخذ الامام الشافعى وقال مالك بحزمة مرور الجنب فى المسجد إذا كان غير مضطر (قوله يضره الماء) أى فيقيم ويصلى ولا إعادة عليه عند مالك وأبى حنيفة وقال الشافعى بالاعادة (قوله أى مسافرين) أى ولو كان غير قصر (قوله أو محدثون) أى بالريح مثلاً (قوله وهو المكان المعد لقضاء الحاجة) أى فى الأصل ثم أطلق على نفس الحاجة من إطلاق المحل وإرادة الحال بدل عليه قوله أى أحدث (قوله وهو الجلس باليد) أى ولو كان من غير قصد أو وجدان لغير محرم وعليه الشافعى وقال مالك يقيد بالقصد أو الوجدان وأخذ أبو حنيفة بكلام ابن عباس فالجلس باليد عنده لا يوجب الوضوء مطلقاً (قوله وهو راجع إلى ماعدا المرضى) أى وأما المرضى فيقيمون مع وجوده لأنهم لا يقدرّون على استعماله أو يراد بعدم الوجود حقيقة (٢٠٨) أو حكماً فيشمل المرضى لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً (قوله بعد دخول

الوقت) إنما قيد بذلك لأن التيمم لا يصح قبله (قوله تراباً طاهراً) هكذا فهمه به الشافعى وقال مالك الصعيد هو ما صعد على وجه الأرض من أجزائها ولم يحرق بالنار ولم يكن من الجواهر النفيسة كالتراب أو الرمل أو الحجارة أو غير ذلك (قوله مع المرفقين) أى فسخهما واحب وبه أخذ الشافعى وقال مالك إن التكميل للمرفقين سنة وإنما الفرض عنده مسح اليدين للكوعين كما هو ظاهر الآية (قوله منه) قدره لبيان المسحوح به كما صرح به

ونصبه على الحال وهو يطلق على الفرد وغيره (إلا عابري) مجتازي (سبيل) طريق، أى مسافرين (حَتَّى تَغْتَسِلُوا) فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر لأن له حكماً آخر سيأتى، وقيل المراد النهى عن قربان مواضع الصلاة أى المساجد إلا عبورها من غير مكث (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضًا يَضُرُّهُ الْمَاءُ أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أى مسافرين وأتم جنب أو محدثون (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) هو المكان المعد لقضاء الحاجة، أى أحدث (أَوْ لَا مَسْتَمُ النَّسَاءِ) وفى قراءة بلا ألف وكلاهما بمعنى اللبس وهو الجلس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعى وألحق به الجلس بياقى البشرة وعن ابن عباس هو الجماع (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً) تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ماعدا المرضى (فَتَيَمَّمُوا) اقتصدوا بعد دخول الوقت (صَعِيدًا طَيِّبًا) تراباً طاهراً فاضربوا به ضربتين (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالطرف (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا) حظاً (مِنَ الْكِتَابِ) وهم اليهود (يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ) بالهدى (وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ) تخطئوا الطريق الحق لتكونوا مثلهم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ) منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم (وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا) حافظاً لكم منهم (وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا) مانعاً لكم من كيدهم،

فى آية المائدة (قوله ومسح يتعدى بنفسه) أى فعلية تكون الباء زائدة وقوله وبالطرف أى وعليه تكون (من الباء) لاتعدية لأن سيبويه حكى مسحت رأسه ورأسه (قوله إن الله كان عفواً غفورا) تعليل للترخيص المستفاد مما قبله (قوله ألم تر) كلام مستأنف سبق لتعجيب النبي والمؤمنين من سوء حالهم (قوله إلى الذين) أبهمهم لفقاعة حالهم وشناعته (قوله من الكتاب) أى التوراة (قوله وهم اليهود) أى بعض علماءهم (قوله بالهدى) قدره إشارة إلى أن المقابل محذوف . والمعنى أنهم يأخذون الضلالة بدل الهدى والمراد بالضلالة الكفر وتكذيب سيدنا محمد والمراد بالهدى الإيمان وتصديقه (قوله ويريدون أن تضلوا السبيل) هذا ترقى في التعجيب، والمعنى أنهم اختاروا الضلالة لأنفسهم ومع ذلك يحبونها لغيرهم قال تعالى - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء - روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى حبرين من أحبار اليهود كانا يأتیان رأس المنافقين عبد الله بن أبى ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه أيضاً أنها نزلت فى رقاعة بن زيد ومالك بن دحشم كانا إذا تسكعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بالسانهما وعاباه (قوله لتجتنبوهم) أى لتتحزروا منهم (قوله وكفى بالله) الباء حرف جر زائد ولفظ الجلالة فاعل كفى (قوله وكفى بالله نصيراً) تأكيد لما قبله وهو معنى قوله تعالى - ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم -

(قوله من الذين هادوا) خبر مقدم لمبتدأ محذوف قدره للفسر بقوله قوم وقوله يحترفون نعت لذلك المحذوف وحذف للنسب كثير إن تقدمه من التبعية على: حد منا ظعن ومنا أقام، أى فريق ظعن وفرق أقام وهذا الكلام تفصيل لبعض قبائحهم (قوله الكلام) أى الكلام (قوله من نعت محمد) أى من كونه أبيض مشرباً بحمرة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير مثلاً فقد حرقوه وقالوا أسود اللون طويل جداً حرصاً على الرياسة وطى ما يأخذونه من سفلتهم ومن جملة ما غيروه آية الرجم بالجلد، ومن ذلك أنه في كتبهم من خالف محمداً خلد في النار فغيروه وقالوا لن تمسنا النار إلا أربعين يوماً مدة عبادة العجل (قوله وعصينا أمرك) هذا بحسب باطنهم . وأما بحسب ظاهرهم فعصينا قول غيرك وكذا قوله واسمع غير مسمع أى اسمع الخير منا غير سامع ما يؤذيك وكذا قوله وراعنا أى اشملنا بنظرك فهذا من الكلام الوجه الذى يحتمل معنيين مختلفين في المدح والذم (قوله أى لاصمت) يحتمل أن المعنى لاصمت خيراً أو لاصمت شيئاً أصلاً بأن تنبئ بالصمم أو الموت (قوله وقد نهى عن خطابه بها) أى في قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا (قوله وهى كلمة سب بلفظهم) يحتمل أنها موضوعة للسب في لفظهم ويحتمل أنهم قصدوا بها السب وإن كانت تحتمل الدعاء بخير من الرعاية وهى الحفظ وبشرى ومعناها الرعونة وهى الطيش (٢٠٩) فى العقل كأنهم يقولون اشملنا برعونتك

(قوله ليا بالسفهم) أى صرفاً للكلام عن ظاهره وأصله لوياء اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وهو في الأصل قتل الحبل فشبه به الكلام الذى قصد منه غير ظاهره وطوى ذكر المشبه به وهو الحبل المقتول ورمز له بشىء من لوازمه وهو الذى قابله تخييل (قوله لكان خيراً لهم) هذا جواب لو واسم التفضيل ليس على بابيه ويحتمل أنه على بابيه على حسب ما زعموا من أن

(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) قَوْمٌ يُحَرِّفُونَ (يُحَرِّفُونَ) (الْكَلِمَ) الذى أنزل الله فى التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم (عَنْ مَوَاضِعِهِ) التى وضع عليها (وَيَقُولُونَ) للنبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم بشىء (سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك (وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ) حال بمعنى الدعاء، أى لاصمت (و) يقولون له (رَاعِنَا) وقد نهى عن خطابه بها وهى كلمة سب بلفظهم (لِيَا) تحريفاً (بِالسِّنَنِتِهِمْ وَطَنَنَا) قدحا (فِي الدِّينِ) الإسلام (وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) بدل وعصينا (وَأَسْمَعُ) فقط (وَأَنْظُرْنَا) انظر إلينا بدل راعنا (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) مما قالوه (وَأَقْوَمُ) أعدل منه (وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبدى عنهم عن رحمته (يَكْفُرْهُمْ فَلَا يُوَفِّيهِمْ إِلَّا لِقَاءَ) منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا) من القرآن (مُصَدِّقًا لِمَا مَكِّمُكُمْ) من التوراة (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْلَسَ وَجُوهًا) نمحو ما فيها من المين والأنف والحاجب (فَرَدُّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) فنجعلها كالأقفاء لوحاً واحداً (أَوْ نَلْعَنَهُمْ) نمسخهم فردة (كَمَا لَعَنَّا) مسخنا (أَصْحَابَ السَّبْتِ) منهم (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) قضاؤه (مَفْعُولًا) ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام فقبل كان وعيدا بشرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ) أى الإشراك (بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ)

حرصهم على الكفر ببقى لهم حظ الرياسة والدنيا التى يأخذونها من عوامهم وهو خير دينوى (قوله إلا قليلاً) صفة لموصوف محذوف أى إلا فر يقا قليلاً (قوله نمحو) أى نزيل ما فيها (قوله فقبل كان وعيدا بشرط) أى لأن رحمة الله تسبق غضبه، والحاصل أنه اختلف في ذلك الزعيد هل كان معلقاً ارتفع وقيل إنه واقع لكن في آخر الزمان، وقيل إنه واقع في الآخرة فيقومون من قبورهم مسوخة صوامع ولا مانع من إرادتها كلها وليس في القرآن وعيد لأمة محمد بتسجيل العقوبة مثل هذا لأنهم بالغوا في الكفر وإيذاء النبي صلى الله عليه وسلم وقوله بشرط أى وهو عدم إيمان أحد منهم ويؤيده ما روى أن عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع بهذه الآية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتى أهله وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهى إلى قفائى، وكذا ما روى أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية على كعب الأحبار فقال كعب الأحبار يارب آمنت يارب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيدها (قوله وقيل يكون) أى يحصل وقوله قبل قيام الساعة أى زمن عيسى (قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به) أن وما دخات عليه فى تأويل مصدر أشار له للفسر بقوله أى الإشراك، والمعنى أن الله لا يغفر للكافر إشراكاً أو غيره فالمراد بالشرك الكفر لا الشرك الأصغر الذى هو الرياء فإنه من جملة الذنوب التى تغفر، وهذا رد على اليهود وحيث زعموا أن الشرك لا يضرهم لكون أجدادهم أنبياء وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه [٢٧ - صاوى - أول]

(قوله من الذنوب) بيان لما (قوله لمن يشاء المغفرة له) أى إن مات من غير توبة وإلا فالثابت من الذنوب كمن لا ذنب له

وهذا معنى قول صاحب الجوهرة : ومن يموت ولم يقب من ذنبه فأمره مفقوض لربه

والغالب المغفرة لأن فضل الله واسع ورحمته تغلب غضبه ، وكل ذلك مالم يموت هديماً أو غريقاً أو مقتولاً ظلماً مثلاً وإلا فيقوم ما ذكر مقام التوبة (قوله ألم تر) كالدليل لما قبله (قوله وهم اليهود) وقيل هم والنصارى لأن هذه المقالة وقعت منهما لقوله تعالى : وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه (قوله حيث قالوا نحن أبناء الله) أى كالأبناء من حيث إن منزلتنا عنده عظيمة وقابل هذه اللفظة كافر ولوعلى سبيل المجاز (قوله أى ليس الأمر بتزكيتهم الخ) أى ليس الأمر منوطاً ومعتبراً بتزكيتهم أنفسهم وهذا تهديد لقوله تعالى : بل الله يزكى من يشاء (قوله بالإيمان) أى وجميع الأعمال الصالحة وإِنما اقتصر عليه لأن مدار النجاة عليه (قوله ولا يظلهون) يحتمل أن الضمير عائد على المؤمنين أى فيجازيهم على أعمالهم الصالحة ولا ينقص منه شيء ولو كان أقل قايل وهذا هو المتبادر من المفسر ، وقيل إنه عائد على الكفار أى فيعذبهم بذنوبهم ولا ينقصون شيئاً من أعمالهم ويحتمل العموم وهو الأولى (قوله قدر قشرة النواة) هذا سبق قلم والناسب قدر الخيط الذى يكون في بطن النواة ، وأما القطمير (٢١٠) فهو قشرة النواة ، والنقير النقرة التى تكون في وسطها ، والنفروق

هو ما بين النواة والقمع وذكر في القرآن الثلاثة الأول ، وعادة العرب تمثل بأحد الأربعة لأقل قليل (قوله متعجبا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تنجيبي (قوله وكفى به) أى بالافتراء (قوله ونزل في كعب ابن الأشرف الخ) حاصل ما ذكره الحازن أنه بعد وقعة بدر ضاق صدر كعب بن الأشرف فركب مع سبعين راكبا من

سوى (ذَلِكَ) من الذنوب (لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا) ذنباً (عَظِيمًا) كبيراً (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونُ أَنْفُسَهُمْ) وهم اليهود حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أى ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم (بَلِ اللَّهُ يَزَكِّي) يطهر (مَنْ يَشَاءُ) بالإيمان (وَلَا يَظْلُمُونَ) ينقصون من أعمالهم (فَتِيلًا) قدر قشرة النواة (أَنْظُرْ) متعجبا (كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بذلك (وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا) بيئنا . ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرصوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) صنمان لقریش (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أبى سفيان وأصحابه حين قالوا لهم : أنحن أهدي سبيلا ونحن ولاية البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العاني ونفعل أم محمد وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم (هَؤُلَاءِ) ،

أى

اليهود حتى قدموا مكة فزولوا على أبى سفيان وأصحابه

فأحسنوا متواعم ثم قال لهم أبوسفيان وأصحابه ماذا تريدون ؟ فقالوا نريد حرب محمد ونقض عهده فقال أبوسفيان وأصحابه لأنامن أن يكون هذا مكرا منكم فان كان ما نقولون حقا فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ثم قال كعب ليات منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزم أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن في قتال محمد ففعلوا ثم قال أبوسفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ الكتاب ونحن أميون فأينا أهدي سبيلا أنحن أم محمد ؟ فقال كعب اعرض على دينكم فقال أبوسفيان نحن ننحر للحجيج وسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن من أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آبائه والحرم وقطع الرحم وديننا القديم ودين محمد حدث فقال كعب أتم والله أهدي سبيلا مما عليه محمد فنزلت الآية (قوله ونحوه من علماء اليهود) أى وكانوا سبعين راكبا (قوله وحرصوا المشركين) أى أباسفيان وأصحابه (قوله بثأرهم) بالمحزوز تركه (قوله ألم تر) أى تعلم وتنظر لفعلهم (قوله من الكتاب) أى التوراة (قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت) أى بسجودهم لهما (قوله صنمان لقریش) وقيل الجبت اسم لكل صنم يعبد ، والطاغوت : الشيطان الذى يلبس الصنم ويكلم الناس فلكل صنم شيطان يفر الناس (قوله ونفك العاني) أى الأسير (قوله ونفعل) يحتمل أنه بالفاء والعين أى نفعل غير ما ذكر من الأمور الجليلة المستحسنة أو بالعين ثم القاف أى تؤدى العقل بمعنى الدية عن حلفائنا

(قوله أى أتم) أشار بذلك إلى أنه خطاب لهم وإنما المولى حكاه عنهم بالمعنى (قوله أى ليس لهم) أغار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى التثني (قوله فإذا) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر أشاره المفسر بقوله ولو كان وإنما قدر لودون إن لأن الجواب مرفوع لأجزوم وهذا ذم لهم بالبخل بعد ذمهم بالجهل وسأتى ذمهم بالحمد (قوله بل) الاضراب اتقالي من صفة لصفة أخرى أقبح منها (قوله أى النبي) أى فهو من باب تسمية الخاص باسم العام إشارة إلى أنه جمعت فيه كالات الأولين والآخرين قال الشاعر .
وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

(قوله جده) بيان لأبراهيم فهو بالجر (قوله تسع وتسعون امرأة) أى غير امرأة وزيره فقد أخذها بعد موته فتكامل له مائة (قوله فمنهم من آمن به) أى كعبد الله بن سلام وأضرابه (قوله فلم يؤمن) أى ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما (قوله بأن تعاد إلى حالها) ورد أنها تعاد في الساعة الواحدة مائة مرة (٢١١) بل ورد أنها تعاد في اليوم الواحد سبعين ألف مرة وورد

أن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب للمسرع وورد أن ضرر الكافر يكون كأحد وغلط جلده مسيرة ثلاثة أيام (قوله والذين آمنوا) ذكر للقابل وهو راجع لقوله فمنهم من آمن به كما أن قوله إن الذين كفروا راجع لقوله ومنهم من صد عنه على عادته سبعانه إذا ذكر الوعيد أعقبه بالوعد (قوله وكل قدر) أى كالنفس وغيره (قوله لا تنسخه شمس) أى لعدم وجودها . قال تعالى لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً (قوله إن الله

أى أتم) (أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) أقوم طريقاً (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِهُ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا) مانعاً من عذابه (أَمْ) بل أ (لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ) أى ليس لهم شيء منه ولو كان (فَإِذَا لَا يُوَثِّقُونَ النَّاسَ نَقِيرًا) أى شيئاً تافهاً قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم (أَمْ) بل أ (يَحْسُدُونَ النَّاسَ) أى النبي صلى الله عليه وسلم (عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) من النبوة وكثرة النساء أى يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبياً لاشتغل عن النساء (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ) جده كوسى وداود وسليمان (الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) النبوة (وَأَتَيْنَاهُمُ مُلْكًا عَظِيمًا) فكان لداود تسع وتسعون امرأة وسليمان ألف مائتين حرة وسرية (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ) أعرض (عَنَّهُ) فلم يؤمن (وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَمِيرًا) عذاباً لمن لا يؤمن (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ) ندخلهم (نَارًا) يحترقون فيها (كُلَّمَا نَضِجَتْ) احترقت (جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة (لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) ليقاسوا شدته (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا) لا يعجزه شيء (حَكِيمًا) في خلقه (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) من الحيض وكل قدر (وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا) دائماً لا تنسخه شمس هو ظل الجنة (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ) أى ما أؤتمن عليه من الحقوق (إِلَى أَهْلِهَا) . نزلت لما أخذ على رضى الله عنه مفتاح الكعبة

بأمركم الخطاب للكافرين لما سأتى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله أن تؤدوا الأمانات) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان ليأمر والأصل يأمركم تأدية الأمانات أو منصوب بنزع الخافض لأن حذفه مع أن وأن مطرد ويقال في وأن تحكروا بالعدل ما قيل فيه لأنه معطوف عليه وقوله إذا حكتم طرف له ولا يقال يلزم عليه تقديم معمول الصلة عليها لأنه يقال إنه طرف ويغتفر فيه ما لا يغتفر في غيره (قوله من الحقوق) . اعلم أن الأمانات ثلاثة أقسام : الأول عبادات الله بأن يفعل للمأمورات ويحجب للمنهيات . الثاني نعمه التي أئتم بها كالسمع والبصر والعافية وغير ذلك فلا يصرفها فيما يغضب الله الثالث حقوق العباد كالودائع وغيرها فيجب على الإنسان تأدية الأمانات مطلقاً كانت قولية أو فعلية أو اعتقادية ، فالقولية كحفظ القرآن والفعلية كحفظ الودائع والمواري والاعتقادية كالتمحيص وحسن الظن بالخلق وبالجملة فهذه الآية من جوامع الحكم وهي بمعنى قوله تعالى - إما عرضنا الأمانة على السموات والأرض - الآية على التحقيق (قوله زلت لما أخذ على مفتاح الكعبة الخ) قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحبيبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم

مكة يوم الفتح أغاق عثمان باب الكعبة وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقبل له إته مع عثمان وطلب منه فأبى ، وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح فلوى على بن أبي طالب يده وأخذ المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح لتجتمع له السقاية والسداة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر له ففعل ذلك فقال عثمان أكرهت وآذيت ثم جئت ترفني فقال علياً لقد أنزل الله في شأنك قرآناً وقرأ عليه الآية فأسلم فكان المفتاح معه إلى أن مات فدفعه إلى أخيه شعبة فهي في أولادهم إلى يوم القيامة (قوله الحجبي) أي الذي يحجب الناس بمعنى يمنعهم من الدخول (قوله سادنها) أي خادمها وقوله قسراً أي قهراً (قوله لما قدم النبي) ظرف لأخذ وكان ذلك في رمضان وقوله عام الفتح أي وهو سنة ثمان (قوله وقال لو علمت الخ) أي فهو غير مصدق برسالته وإلا فذاته إذ ذاك غير خافية على أحد (قوله خالدة تالدة) أي مخلدة في المستقبل كما كانت متأصلة فيكم (قوله فعموماً معتبر الخ) أشار بذلك لما قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومحل ذلك إن لم توجد قرينة الخصوص فيكون معتبراً كالتهي عن (٢١٢) قتل النساء فإن سببه أن رسول الله رأى امرأة حربية مقتولة

فذلك يدل على اختصاصه بالحيات فلا يدخل فيه المرتدة ولا الزانية المحسنة (قوله وإذا حكمتكم) فيه فصل بين العطوف والمعطوف عليه وهو جائز إذا كان ظرفاً (قوله نعماً) بكسر النون إتباعاً لكسرة العين وأصله نعم على وزن علم (قوله شيء) نعم شيئاً أشار بذلك إلى أن ما عجز ويكون الفاعل مستتراً وجوباً تقديره نعم هذا الشيء شيئاً والخصوص بالمدح محذوف قدره بقوله تأدية الأمانة وقيل إن ما فاعل وقد ذكر القولين

من عثمان بن طلحة الحجبي سادنها قسراً لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برده إليه وقال هالك خالدة تالدة فعجب من ذلك فقرأ له على الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه شعبة فبقى في ولده والآية وإن وردت على سبب خاص فعموماً معتبر بقرينة الجمع (وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ) يأمركم (أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا) فيه إدغام ميم نعم في ما التكرة الموصوفة أي نعم شيئاً (يَعْظُمُكُمْ بِهِ) تأدية الأمانة والحكم بالعدل (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا) لما يقال (بَصِيرًا) بما يفعل (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى) أصحاب (الأمر) أي الولاية (مِنْكُمْ) أي إذا أمرتكم بطاعة الله ورسوله (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ) اختلفتم (فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ) أي إلى كتابه (وَالرَّسُولِ) مدة حياته وبعده إلى صفته أي اكشفوا عليه منهما (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ) أي الرد إليهما (خَيْرٌ) لكم من التنازع والقول بالرأي (وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا) مآلاً. ونزل لما اختصم يهودى ومنافق فدعا إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتياه فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وأتيا عمر فذكر له اليهودى ذلك فقال للمنافق أكذاك ؟ فقال نعم فقتله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

ابن مالك بقوله : وما عجز وقيل فاعل في نحو نعم ما يقول الفاضل (قوله يأتياها الذين آمنوا) هذا خطاب لسائر يزعمون الناس بعد أن خاطب ولادة الأمور بالحكم بالعدل وفي هذه الآية إشارة لأدلة الفقه الأربعة فقوله أطيعوا الله إشارة للكتاب وقوله أطيعوا الرسول إشارته للسنة وقوله وأولى الأمر إشارته للاجماع وقوله فإن تنازعتم الخ إشارته للقياس (قوله وأولى الأمر) يدخل فيه الخلفاء الراشدون والأئمة المجتهدون والقضاة والحكام (قوله أي إذا أمرتكم بطاعة الله ورسوله) أي لا معصية فلا يطاعون في ذلك لما في الحديث «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (قوله في شيء) أي غير منصوص عليه (قوله مدة حياته) أي، بسؤاله وقوله إلى سنته أي فيعرض عليها (قوله إن كنتم تؤمنون) أي فردوه (قوله ذلك خير) اسم التفضيل ليس على باب بقرينة إن كنتم تؤمنون فمخالفة ما ذكر ليس فيها خير بل هي شروضلال (قوله مآلاً) أي عاقبة (قوله ونزل لما اختصم يهودى الخ) حاصلها تفصيلاً ، قال ابن عباس : نزلت في رجل من المنافقين يقال له شركان بينه وبين يهودى خصومة ، فقال اليهودى تنطلق إلى محمد ، وقال المنافق تنطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذى يحما الطاغوت فأبى لليهودى أن يخاصمه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق

وقال انطلق بنا إلى عمر فأتيا عمر فقال اليهودى اختصمت أنا وهذا إلى محمد ففضى عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه يخاصمني إليك فقال عمر للنافق أ كذالك ؟ فقال نعم فقال لها عمر رويدا حتى أخرج إليك فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به للنافق حتى برد أى مات وقال هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فزلت هذه الآية وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وإنما دعا للنافق لكعب بن الأشرف لأنه يقبل الرشوة والنبي لا يقبلها بل يحكم بالحق وكان الحق إذ ذاك مع اليهودى (قوله يزعمون) أى يقولون قولاً كذباً لأن الزعم مطية الكذب (قوله وما أنزل من قبلك) أى وهو جميع الكتب السماوية (قوله الكثير الطغيان) وقيل إنه صنم يعبد من دون الله وقيل اسم لكل من يعبد من دون الله صنماً أو غيره (قوله بعيداً) يحتمل أنه صفة كاشفة لأن الضلال هو البعد ، ويحتمل أنه صفة محصنة ويكون معنى بعده أنه لا يهتدى بعد ذلك أصلاً وهذا هو مراد الشيطان ويؤيده قول المفسر عن الحق (قوله رأيتم المنافقين) رأى بصرية والمنافقين مفعول لها وجملة يصدون حال (قوله) (٢١٣) يعرضون) أشار بذلك إلى أن

الصد هنا بمعنى الاعراض فهو لازم لا بمعنى اللنع فيكون متعدياً فقوله صدوداً مفعول مطلق لقوله يصدون (قوله فكيف) صح أن تكون مفعولاً للحدوف تقديره يصنعون كما قدره المفسر ويصح أن تكون خبراً للحدوف تقديره صنعهم (قوله إذا أصابهم مصيبة) أى عاجة أو آجلة (قوله لا) هذا هو جواب الاستفهام (قوله ثم جاءوك) أى أهل المنافق يعتذرون على أنفسهم النفاق ويحتمل أنهم جاءوا مطالبين بدمه

يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ الْكَثِيرِ الطُّغْيَانِ وَهُوَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ (وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) وَلَا يُولُوهُ (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) عَنْ الْحَقِّ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ (وَإِلَى الرَّسُولِ) لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ) يَعْرِضُونَ (عَنْكَ) إِلَى غَيْرِكَ (صُدُّوْا . فَكَيْفَ) يَصْنَعُونَ (إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ) عِقَابُهُ (بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ) مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي أَيْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِعْرَاضِ وَالْفِرَارِ مِنْهَا ؟ (ثُمَّ جَاءُوكَ) مَعْطُوفٌ عَلَى يَصُدُّونَ (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ) مَا (أَرَدْنَا) بِالْحَاكِمَةِ إِلَى غَيْرِكَ (إِلَّا إِحْسَانًا) صَلَاحًا (وَتَوْفِيقًا) تَأْلِيْفًا بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ بِالتَّقْرِيبِ فِي الْحُكْمِ دُونَ الْحُلِّ عَلَى مَرِّ الْحَقِّ (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) مِنَ النِّفَاقِ وَكَذِبِهِمْ فِي عِذْرِهِمْ (فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ) بِالْمَحْفِصِ (وَعَظَّمَهُمْ) خَوْفَهُمْ مِنَ اللَّهِ (وَقُلْ لَهُمْ فِي) شَأْنِ (أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) مُؤَثِّرًا فِيهِمْ ، أَيْ أَزْجَرَهُمْ لِيَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ) فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُحْكَمُ (بِإِذْنِ اللَّهِ) بِأَمْرِهِ لَا لِيَعْصَى وَيُخَالِفَ (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بَتَحَاكُمِهِمْ إِلَى الطَّاغُوتِ (جَاءُوكَ) تَائِبِينَ (فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ) فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْخَطَابِ تَغْنِيًا لِمَا شَأْنُهُ (لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَّابًا) عَلَيْهِمْ (رَحِيمًا) بِهِمْ (فَلَا وَرَبَّكَ) لَا زَائِدَةَ (لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ) :

مُتَّبِعِينَ إِسْلَامَهُمْ فَلَوْلَا هَذِهِ آيَةُ لَرُبَّمَا اقْتَصَرَ مِنْ عَمْرِى لَعَدَمِ الْبَيِّنَةِ عَلَى كُفْرِ الْمُنَافِقِ (قوله بالتقريب) أى التساهل فى الحكم كأن يعمل صلحا ويقسم المدعى به بين الخصمين (قوله فأعرض عنهم) أى ولا تقتلهم وهذا قبل الأمر باخراجهم وقتلهم والقاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا كان حالهم كذلك فأعرض عن قبول عذرهم (قوله فى شأن أنفسهم) أى فى حقها وما انطوت عليه ويحتمل أن المعنى خاليا بهم ليس معهم غيرهم (قوله ليرجعوا) أى لعله أن يترتب على ذلك رجوعهم عما هم عليه (قوله بأمره) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالأذن الإرادة وإلا فيلزم عليه أن لا يتخلف عن طاعته أحد لأن ما أَرَادَ اللَّهُ وقوعه واقع ولا بد مع أن الواقع خلافه فدفع ذلك المفسر بقوله بأمره لأنه لا يلزم من الإرادة الأمر ولا عكس (قوله بتحاكهم) الباء سببية (قوله فاستغفروا الله) أى بالتوبة والاخلاص (قوله واستغفر لهم الرسول) أى ساعدهم وعفا عنهم وطلب لهم المغفرة لأنه تعلق بهم حقان حق لله وحق لرسوله (قوله فى التفات) أى وحقه واستغفرت لهم (قوله لازائدة) أى تأكيد القسم وهو اختيار الزمخشري فى الكشف وهو الأحسن ولذا اقتصر عليه المفسر (قوله حتى يحكموك الخ) هذه شروط ثلاثة لكمال الإيمان وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - وإنا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق

يأتوا إليه مدعين - الآيات (قوله اختلط) أى أشكل والتبس (قوله من غير معارضة) أى بأن ينقادوا للأحكام من غير توقف (قوله ولو أنا كتبنا عليهم) بيان لسوء حالهم وأنهم لو شدد عليهم كما شدد على من قبلهم لم يفعل ذلك إلا ما قل - منهم (قوله مفسرة) أى بمعنى أى وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه نظير وأخرو دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وانطلق اللائمة منهم أن امشوا، ويحتمل أن تكون مصدرية وعليه فيكون كتبنا بمعنى ألزمتنا التقدير ولو أنا ألزمتهم قتل أنفسهم (قوله أن اقتلوا) جمهور القراء على ضم النون والواو من أواخرجوا، وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما، وقرأ أبو عمرو بكسر النون وضم الواو وأما ضم النون وكسر الواو فلم يقرأ به أحد (قوله على البذل) أى وهو المختار عند النجاة قال ابن مالك :

* وبعد نفي أو كنفى اتخبط * اتباع ما اتصل ، وقوله والنصب على الاستثناء أى فهما قراءتان سبعيتان على حد سواء وإن كان الرفع أرجح عند النجاة من النصب فالنزه عنه القرآن كونه ليس على قواعد النجاة وأما كون بعض القراء آت له وجه قوى في العربية دون بعض فلا مانع منه (قوله لكان خيرا لهم) اسم التفضيل ليس على بابه إذ ما هم عليه ليس بخير (قوله أى لو ثبتوا) ليس تفسيراً لإذ بل إشارة (٢١٤) إلى أن إذا واقعة في جواب سؤال مقدر ، وقوله لآتيناهم جواب

الشرط وأصل الكلام في جزأهم لو ثبتوا إذا لآتيناهم الخ فالحامل للمفسر على تقدير لو ثبتوا قوله بعد لآتيناهم ، والحامل لنا على تقدير السؤال قوله إذا وهى هنا ماغاة عن عمل النصب لفقد شرطها (قوله صراطا مستقيما) أى ديناً قيميا لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام فتحصل أنهم لو امتثلوا لأعظام الله خير الدنيا والآخرة (قوله وأنت في الدرجات العلى) أى التى ليس فوقها درجة وهذا السؤال كما توجه من الصحابة يتوجه أيضا

اختلط (يَبْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا) ضيقاً أو شكاً (مِمَّا قَضَيْتَ) به (وَيُسَلِّوْا) ينقادوا لحكمك (تَسْلِيًا) من غير معارضة (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ) مفسرة (اقتلوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ خَرُّوا مِنْ دِيَارِكُمْ) كما كتبنا على بنى إسرائيل (مَا فَسَلَوْهُ) أى المكتوب عليهم (إِلَّا قَلِيلٌ) بالرفع على البذل والنصب على الاستثناء (مِنْهُمْ)، وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ) من طاعة الرسول (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا) تحقيقاً لإيمانهم (وَإِذَا) أى لو ثبتوا (لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (أَجْرًا عَظِيمًا) هو الجنة (وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف تراك في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فنزل (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ) فيما أمر به (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ) أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق (وَالشَّهَدَاءِ) القتلى في سبيل الله (وَالصَّالِحِينَ) غير من ذكر (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم (ذَلِكَ) أى كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره (الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ) تفضل به عليهم ،

من الأنبياء فإنه أعلى من جميع المخلوقات على الإطلاق حتى الأنبياء قال البوصيرى : لا أنهم كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء (قوله فيما أمر به) أى ونهيا عنه فالطاعة امتثال الأمور واجتناب المنهيات (قوله من النبيين الخ) بيان للذين، والمعنى أن من أطاع الله كان رفيقا لمن ذكر وليس ذلك بسفر ولا مشقة بل يكشف له عمن ذكر ويحاذيه مع كون كل في درجته لا يصعد هذا لهذا ولا ينزل هذا لهذا قال تعالى - إخوانا على سرر متقابلين - فإذا تمى الشخص مشاهدة النبي ومحادثته حصل ذلك من غير مشقة ولا اتقال (قوله أفاضل أصحاب الأنبياء) أى فالصديقة تحت مرتبة النبوة (قوله والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق عباده (قوله غير من ذكر) أتى به دفعا للتكرار لأن جميع من تقدم صالحون أيضا (قوله وحسن أولئك رفيقا) حسن كنعم نستعمل للدح وفيها معنى التعجب وأولئك فاعل ورفيقا تمييز والخصوص بالمدح محذوف تقديره هؤلاء (قوله رفقاء) أشار بذلك إلى أن رفيقا فعيل يستوى فيه الواحد وغيره، ويحتمل أنه أفرد نظرا لكل واحد من ذكر (قوله والحضور معهم) أى مجالستهم حيثما أحب (قوله مبتدأ خبره الفضل) ويحتمل أن الفضل نعت لاسم الإشارة أو بدل ، وقوله من الله خبره .

(قوله لا أنهم نالوه بطاعتهم) أى نالوا ذلك الرفق بسبب طاعتهم ففى الحقيقة دخول الجنة وارتقاء منازلها ومرافقة من ذكر بعض فضل الله وإلا فأى طاعة يستحق بها الانسان نبثا من ذلك (قوله أى ثقوا) أى اعتمدوا على ذلك الخبر ولا تشكوا (قوله ولا يثبتك مثل خير) أى لا يخبرك بأحوال الجنة وغيرها مثل خير عالم ببواطن الأشياء كظواهرها الذى هو الله تعالى (قوله حذركم) هو والحذر بفتحيتين مصدران بمعنى التحفظ والتيقظ وهو مبالغة كأنه جعل حفظ النفس آلة تؤخذ، وبعضهم فسر الحذر بآلة الحرب وعليه فلا مبالغة فى قوله خذوا (قوله فافترؤا) فعله نفر ينفر من باب ضرب وقعد ومصدره النفر والنفور والنفير (قوله ثبات) جمع ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة، والسرية الجماعة أقلها مائة وغايتها أربعمائة والنسر من أربعمائة إلى ثمانمائة، والجيش من ثمانمائة إلى أربعة آلاف والجحفل مازاد على ذلك (قوله سرية بعد أخرى) أى جماعات بعد جماعات سرية أو غيرها (قوله أو افترؤا جميعا) هذا التخيير لولادة الأمور بحسب اجتهداهم (قوله لمن) اللام لام ابتداء دخلت على اسم إن لوقوع الخبر فاصلا ، وقوله ليتأخرون أشار بذلك إلى أن بطأ لازم بمعنى قام به البطء وهو التأخر ويصح أن يكون متعديا والمفعول محذوف أى غيره فالغنى يكسلن غيره عن (٢١٥) القتال (قوله من حيث الظاهر)

أى وإلا فى نفس الأمر ليس منهم بل هو عدو لهم (قوله وهزيمة) أى لبس الجيش وإلا فمن قال إن رسول الله هزم فقد كفر وما وقع فى أحد وهو ازن كان لأطراف الجيش من حيث الغنيمة (قوله فأصاب) هو بالنصب بأن مضرة بعد فاء السببية بعد الأمر (قوله ولئن أصابكم فضل من الله) هذه الآية معنى قوله تعالى - إن تصبك حسنة نسوهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرا من قبل ويتولوا وهم

لا أنهم نالوه بطاعتهم (وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيًّا) بواب الآخرة، أى ثقوا بما أخبركم به، ولا يثبتك مثل خير (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) من عدوكم، أى احتذروا منه وتيقظوا له (فَأَنْفِرُوا) انهضوا إلى قتاله (ثَبَاتٍ) متفرقين سرية بعد أخرى (أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا) مجتمعين (وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) ليتأخرون عن القتال كمبد الله بن أبى المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام فى الفعل للقسمة (فَإِنْ أَصَابَكُمْ مِصْبَبَةٌ) كقتل وهزيمة (قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا) حاضرا فأصاب (وَلَكِنْ) لام قسم (أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ) كفتح وغنيمة (لَيَقُولَنَّ) نادما (كَأَنَّ) مخففة واسمها محذوف أى كأنه (لَمْ يَكُنْ) بالياء والتاء (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله قد أنعم الله على اعترض به بين القول ومقوله وهو (يَا) للتنبيه (لِيَتَنَبَّهَ كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَنْتَزَ فَوْزًا عَظِيمًا) أخذ حظا وافرا من الغنيمة، قال تعالى (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لإعلاء دينه (الَّذِينَ يَشْرُونَ) يبيعون (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ) يستشهد (أَوْ يُقْلَبْ) يظفر بعدوه (فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) نوابا جزيلا (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ) استفهام توبيخ، أى لا مانع لكم من القتال (فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ) فى تخليص (الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ،

فرحون - (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء فالمودة بمعنى الود (قوله وهذا راجع) أى قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة والمعنى حاله فى الفرح بمصيبة المسلمين كحال من لم يكن بينكم وبينه مودة (قوله للتنبيه) أى لدخولها على الحرف ويحتمل أنها للدعاء والنادى محذوف أى ياهولاء (قوله فأفوز) منصوب بأن مضرة فى جواب النهى بعد فاء السببية (قوله فليقاتل) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا ترك المنافقون القتال وتأخروا عنه فليقاتل الخ (قوله يبيعون) دفع بذلك ما يقال إن القاعدة دخول الباء فى الشراء على التروك ولا يصح ذلك هنا لأنه يصير ذما فأجاب بأن الشراء بمعنى البيع نظير - وشروه ثمن بخس - (قوله ومن يقاتل الخ) من اسم شرط مبتدأ ويقاتل فعل الشرط ، وقوله فيقتل أو يظلب معطوف على يقاتل عطوف مسبب على سبب ، وقوله - فسوف نؤتيه أجرا عظيما - جواب الشرط وجملة الشرط وجوابه خبر للبدا (قوله وما لكم الخ) ما اسم استفهام مبتدأ ولكم جار ومجرور خبره وجملة لا تقاتلون فى محل نصب على الحال : والمعنى أى شئ ثبت لكم حال كونكم غير مقاتلين وهذا أحسن الأعراب (قوله وفى تخليص المستضعفين) أشار بذلك إلى أن قوله والمستضعفين معطوف حتى سبيل الله لكن علم حذف مضاف .

وصب نزولها أنه كان قبل الهجرة لم يشرع الجهاد فلما هاجر عليه الصلاة والسلام أمر بالجهاد فتكاسل بعض ضعفاء المؤمنين وجميع المنافقين فنزلت الآية توبيخا لهم على ترك القتال لاعلاء كلمة الله وتخليص المستضعفين (قوله والولدان) قيل جمع وليد بمعنى ولد وقيل جمع إولد أى الصغار (قوله الذين حبسهم الكفار) أى بكفة (قوله كنت أنا وأخى) أى وأخى الفضل (قوله الذين) صفة للمستضعفين ويقولون صلة الدين (قوله الظالم) نعت القرية وأهلها فاعل الظالم وذكر النعت وإن كان المنعوت مؤثما لأنه نعت سبى رفع عما ظاهره فذكر نظرا لذلك الاسم الظاهر (قوله إلى أن فتحت مكة) أى فى السنة الثامنة من الهجرة (قوله عتاب بن أسيد) أى وكان عمره ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين من الظالمين ويأخذ للضعيف من القوى والدعاء بهذه الآية مستجاب لمن وقع فى بلدة كثر ظلم أهلها (قوله الذين آمنوا الخ) المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال وترغيبهم فيه (قوله فى سبيل الله) أى فى مرضاته لإعلاء دينه وقوله فى سبيل الطاغوت أى فى مرضاته (قوله تغلبوهم) مجزوم فى جواب الأمر وقوله لقوتكم علة له (قوله كان ضعيفا) أى بالنسبة إلى كيد الله تعالى ، وأما عظم كيد النساء فى آية يوسف فبالنسبة إلى الرجال فضعف كيد (٢١٦) الشيطان لمقابلته بكيد الله أعظم كيد النساء لمقابلته بكيد الرجال وإلا

وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِصَهُمُ الْكُفْرُ عَنِ الْمَجْرَةِ وَأَذَوْهُمْ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنْهُمْ (الَّذِينَ يَقُولُونَ) دَاعِينَ : يَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ (مَكَّةَ) (الظَّالِمِ أَهْلُهَا) بِالْكَفْرِ (وَأَجْمَلُ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (وَلِيًّا) يتولى أمورنا (وَأَجْمَلُ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) يمنعنا منهم ، وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقى بعضهم إلى أن فتحت مكة ، وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) الشيطان (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ) أنصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ) بالمؤمنين (كَانَ ضَعِيفًا) وإميا لا يقاوم كيد الله بالكافرين (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ) فرض (عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذْ أَفْرِقَ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ) يخافون (النَّاسَ) الكفار أى عذابهم بالقتل (كَخَشِيَةِ) هم عذاب (اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) من خشيتهم له ونصب أشد على الحال وجواب لما دل عليه إذا وما بعدها أى فاجأهم الخشية (وَقَالُوا) جزعا من الموت

فأصل كيد النساء من الشيطان وفى الحديث «النساء حباثل الشيطان» (قوله وإميا) أى لاضرر فيه أصلا ولذا خذل الشيطان أوليائه لما رأى لللائكة نزلت يوم بدر وكان النصر لأوليائه الله وحزبه (قوله ألم تر) الاستفهام تعجبي أى تعجب يا محمد من قومك كيف يكرهون القتال مع كونهم قبل ذلك كانوا طالبين له وراغبين فيه (قوله وهم جماعة من الصحابة) منهم عبد الرحمن

ابن عوف والمقداد بن الأسود وسعد بن ابى وقص وقدامة بن مظعون وجماعة كانوا بكفة يتحاملون (ربنا) أذى الكفار كثيرا والله يأمرهم بالتحمل والكف عن القتال فى نيف وسبعين آية فكانوا يقولون لولا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بالقتال كرهوا ذلك فنزلت الآية وقوله بكفة متعلق بطلبوه وليس ذلك نفاقا منهم وإنما كراهتهم ذلك إما لغلبة الرافة عليهم أو لمحبتهم المعيشة فى طاعة الله وإلا لثمهم الله على ذلك ولما نزلت الآية أقبلوا عما خطر ببالهم وشمروا عن ساعد الجلة والاجتهاد وجاهدوا فى الله حق جهاده (قوله إذا فريق) قيل إذا طارف مكان وقيل ظرف زمان وقيل حرف والأولى الأول وعليه فإذا خبر مقدم وفريق مبتدأ مؤخر ومنهم صفة لفريق وكذلك جملة يخشون ويصح أن تكون حالا لوجود المسوق والتقدير فى الحضرة فريق كائن منهم خاشون أو خاشين ، قوله كخشية الله منعول مطابق أى خشية كخشية الله (قوله أى عذابهم بالقتل) ويحتمل أن المراد بخشيتهم احترامهم القرابة (قوله ونصب أشد على الحال) أى من خشية الثانى لأنه نعت نكرة تقدم عليها (قوله دل على الخ) المناسب أن يقول وجرب لما إذا وما بعدها (قوله أى فاجأهم الخشية) بالأوضح أن يقول أى فاجأ كتب القتال عليهم الخشية لأن الخشية فاجأت كتب القتال لآذائهم (قوله جزعا من الموت) يحتمل أنهم قالوا ذلك لاعتقادهم أن القاتل يقطع على المقتول أجله فأعلمهم الله تعالى أن الأجل محتم لا يزيد بالبعد عن القتال ولا ينقص به،

وليس ذلك تصافيه قال تعالى - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا - وقال تعالى - وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً - ويحتمل أنهم قالوا ذلك بحسب الطبيعة البشرية وليس عندهم اعتقاد ذلك (قوله قل لهم) أى ليزدادوا رغبة فى دار البقاء وزهدا فى دار الفناء (قوله خير لمن اتقى) أى لأنه لا كدر فيها ولا نصب ولذلك حين دخولها يقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (قوله بترك معصيته) أى كالشرك وغيره ومعلوم أن كل من زادت تقواه كان نعيمه فى الآخرة أكبر (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان . بيتان فعلى التاء يكون خطابا لهم وعلى الياء يكون تحديثا عنهم والمعنى بلغهم يا محمد أنهم لا يظلمون قليلا (قوله قار قشر النواة) تقدم أنه غير مناسب والمناسب تفسيره بالحيط الذى يكون فى باطن النواة (قوله أينما تكونوا) هذا تسليية لهم أيضا وأين اسم شرط جازم وماسة وتكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو اسمها ويذكركم جواب الشرط والموت فاعله ، والمعنى أن الموت يذكركم أينما تكونوا فى أى زمان أو مكان متى حضر الأجل (قوله فى بروج) جمع برج وهو القلعة والحصن (قوله مرتفعة) أى عالية البناء أو المعنى مطلية بالشيد أى الجص (٢١٧) (قوله أى اليهود) أى والمنافقين

(قوله عند قدوم النبي المدينة) أى حيث دعاهم إلى الإيمان فكفروا فحصل لهم الجذب فقالوا هذا شؤمه والشؤم ضد الخير والبركة (قوله من عند الله) أى خلقا وإيجادا (قوله قال هؤلاء القوم الخ) أى أى شئ ثبت لهؤلاء لا يقربون من فهم الحديث والموعظة (قوله وما استفهام تعجب) أى وتوبيخ (قوله أيها الانسان) أى فهو خطاب عام لكل أحد وقيل الخطاب للنبي والمراد به غيره (قوله فمن نفسك) أى من شؤمك وسوء كسبك ففسدة ذلك إلى

(رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا) هَلَا (أَخْرَجْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ) لَهُمْ (مَتَاعُ الدُّنْيَا) مَا يَجْتَمِعُ بِهِ فِيهَا أَوِ الْإِسْتِمْتَاعُ بِهَا (قَائِلٌ) آيِلٌ إِلَى الْفَنَاءِ (وَالْآخِرَةُ) أَى الْجَنَّةُ (خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى) عِقَابُ اللَّهِ بِتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ (وَلَا تَظْلُمُونَ) بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ تَنْقُصُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ (فَقِيلَ) قَدَرُ قَشْرَةِ النَّوَاةِ، فَجَاهِدُوا (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ) حِصُونِ (مُشِيدَةٍ) مَرْتَعَةٍ فَلَا تَخْشَوُا الْقِتَالَ خَوْفَ الْمَوْتِ (وَإِنْ تُصِيبْهُمْ) أَى الْيَهُودَ (حَسَنَةٌ) خَصْبٌ وَسَعَةٌ (يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ) جَدْبٌ وَبَلَاءٌ كَمَا حَصَلَ لَهُمْ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ (يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ) يَا مُحَمَّدُ أَى بِشُؤْمِكَ (قُلْ) لَهُمْ (كُلُّهَا) مِنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) مِنْ قَبْلِهِ (قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ) أَى لَا يَتَقَارَبُونَ أَنْ يَفْهَمُوا (حَدِيثًا) يَلْقَى إِلَيْهِمْ وَمَا اسْتَفْهَمَ تَعْجِيبٌ مِنْ فُرْطِ جَهْلِهِمْ وَنَفَى مَقَارَبَةِ الْفَعْلِ أَشَدَّ مِنْ نَفْيِهِ (مَا أَصَابَكَ) أَيُّهَا الْإِنْسَانُ (مِنْ حَسَنَةٍ) خَيْرٌ (فَرَى اللَّهُ) أَتَيْتَكَ فَضْلًا مِنْهُ (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ) بَلِيَّةٌ (فَرَى نَفْسِكَ) أَتَيْتَكَ حَيْثُ ارْتَكَبْتَ مَا يَسْتَوْجِبُهَا مِنَ الذُّنُوبِ (وَأَرْسَلْنَاكَ) يَا مُحَمَّدُ (لِلنَّاسِ رَسُولًا) حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) عَلَى رِسَالَتِكَ (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى) أَعْرَضَ عَنْ طَاعَتِهِ فَلَا يَهْمُكَ (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا) حَافِظًا لِأَعْمَالِهِمْ ،

النفس مجاز باعتبار سوء الكسب والشؤم من إسناد الشئ لسببه وبهذا اندفع التنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى - قل كل من عند الله - ففسدة الأشياء جميعها إلى الله من حيث الإيجاد ونسبة الشر إلى العبد فباعتبار أن سوء كسبه سبب في ذلك، عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب ولا أنشوكة يشاكها ، حتى انقطع شمس نعله إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر » وأما حديث « أشدكم بلاء الأنبياء » الخ فعن أن الله امتحنهم بالبلايا وألقى عليهم الصبر وأنجبه فشاهدوا إعطاء الله في تلك البلايا نصارت البلايا عطايا ، فتحصل أن البلاء إما أن يكون من شؤم الذنب وذلك للعصاة الذين لم يتلقوه بالرضا والتسليم وإما أن يكون اختبارا وامتحانا وذلك للأنبياء والصالحين ليرقيهم به أعلى الدرجات ، ولذلك قال العارف الجليل :

تلقا لى الآلام مذ أنت مسقى وإن تمتحنى فهى عندى صنائع

(قوله وأرسلناك للناس رسولا) والمعنى حيث ثبتت رسالته بشهادة الله اتضح من ذلك أن من أطاعه فقد أطاع الله (قوله فلا يهملك) بضم الياء من أهم أو بفتحها من هم ، ومعناه لا يحزنك إعراضهم وقدره المفسر إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فما أرسلناك الخ علة للجواب المحذوف . [٢٨ - صاوى - أول]

(قوله بل نذيرا) اقتصر عليه لأنه في سياق من أعراض ولا يناسبه إلا الأئمة وإلا فرسول الله بعث بشيرا ونذيرا (قوله أمرنا طاعة) أشار بذلك إلى أن طاعة خير مبتدأ محذوف واجب الحذف لأن الخبر مصدر بدل من لفظ الفعل فهو نائب عن أطعنا ويصح أن يكون مبتدأ والخبر محذوف أي منا طاعة (قوله بادغام التاء في الطاء) أي بعد قلبها طاء وقوله وتركه أي فهم اقراءتان صبيعتان (قوله أي أضمرت) المعنى أظهرت ما أضمرته وإلا فلا ضمار كان واقعا منهم قبل الخروج من عند النبي صلى الله عليه وسلم (قوله من الطاعة) بيان للذي تقول (قوله أي عصيانك) تفسير لقوله غير الذي تقول (قوله ليجازوا عليه) أي في العاجل والآجل (قوله فأعرض عنهم) أي لا تقتلهم ولا تفضحهم وهذا قبل الأمر بقتلهم وإخراجهم (قوله ثقب به) أي اعتمد عليه (قوله أفلا يتدبرون) الحمزة داخل على محذوف تقديره أيعرضون عنك فلا يتدبرون وهو استعجاب لحلمهم وتشجيع عليهم والتدبر في الأصل النظر في عواقب الأمور لتقع على الوجه الأكمل والمراد هنا مطلق التأمل والتفكير (قوله تناقضاني معانيه) أي بأن يكون بعض أخباره غير مطابق لبعض (٢١٨) وقوله وتباينا في نظمه أي بأن يكون بعضه فصيحا بليغا وبعضه ليس

كذلك فلما كان جميعه على منوال واحد ليس بعضه مناقضا لبعض بل أخباره كلها متوافقة وهو فصيح بليغ ليس فيه ما ينافي ذلك ثبت أنه من عند الله لأن هذا الأمر لا يقدر عليه غيره ولو ثبت فرضا أنه من عند غير الله لوجدوا فيه اختلالا في المعنى أو اللفظ . إن قلت إن قوله كثيرا ربما يوم أن فيه اختلافا قليلا . أجيب بأن التقييد بالكثرة للبالغة والمعنى أن القرآن ليس فيه اختلاف أصلا فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا

بل نذيرا وإلينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَيَقُولُونَ) أي المنافقون إذا جاءوك: أمرنا (طَاعَةً) لك (فَإِذَا بَرَزُوا) خرجوا (مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) بادغام التاء في الطاء وتركه أي أضمرت (غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ) لك في حضورك من الطاعة: أي عصيانك (وَاللَّهُ يُكْتُبُ) بأمر بكتب (مَا يَبْتَئُونَ) في صحائفهم ليجازوا عليه (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) بالصفح (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثقب به فإنه كافيك (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) مفوضا إليه (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ) يتأملون (الْقُرْآنَ) وما فيه من المعاني البديعة (وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) تناقضاً في معانيه وتبايناً في نظمه (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ) عن سرايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما حصل لهم (مِنَ الْأَمْنِ) بالنصر (أَوِ الْخَوْفِ) بالهزيمة (أَذَاعُوا بِهِ) أفشوه ، نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي (وَلَوْ رَدُّوهُ) أي الخبر (إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأُمْرِ مِنْهُمْ) أي ذوى الرأي من أكابر الصحابة ، أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به (لَعَلِمَ) هل هو مما ينبغي أن يذاع أولا (الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ) يتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون (مِنْهُمْ) من الرسول وأولى الأمر (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام (وَرَحْمَتُهُ) لكم بالقرآن (لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ) فيما يأمركم به من الفواحش ،

(إلا

كثيرا فضلا عن القليل فهو من عند الله فلم يكن فيه اختلاف أصلا لا كثير

ولا قليل (قوله وإذ جاءهم أمر الخ) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعث والسرايا فإذا غلبوا الكفار أو غلبهم بادر المنافقون للاستخبار عن حالهم ثم يتحدثون بذلك ويشيعونه قبل أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كبار أصحابه وقصدهم بذلك افتتان ضعفاء المؤمنين (قوله من الأمن الخ) بيان للأمر (قوله من المنافقين) أي وقصدهم بذلك فتنة الضعفاء وقوله أو ضعفاء المؤمنين : أي جهلاء منهم بذلك وما قولان والراجح الأول (قوله فتضعف قلوب المؤمنين) هذا ظاهر بالنسبة للهزيمة ، وأما إشاعة النصر فالضعف فيه من حيث إن هذا الخبر ربما وصل للكفار فيتجهزون ويعيدون الحرب ثانية ففيه فتنة للضعفاء على كل حال (قوله من أكابر الصحابة) أي كأبي بكر وعمر ونظائرهما (قوله حتى يخبروا به) بالبناء للمفعول أي حتى يخبرهم النبي به (قوله هل هو مما ينبغي الخ) أي لعلوا صفته وكيفيته وإلا فهم عالمون به قبل ذلك (قوله وهم المذيعون) أي المنافقون أو ضعفاء المؤمنين وهو تفسير للذين يستنبطونه وهو إظهار في محل الإضمار أي لعلوه وقوله منهم من ابتدائية الجار والجرور متعلق يستنبطون والمعنى يتلقونه من جهة الرسول أو كبار الصحابة (قوله بالإسلام) أي بسبب إرسال محمد صلى الله عليه وسلم

(قوله إلا قليلا) اعلم أن في هذا الاستثناء ستة أوجه : أحدها أنه مستثنى من فاعل اتبعتم ، والمعنى لا تتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم فإنه لم يتبعه كـتس بن ساعدة وعمر بن نفيل وورقة بن نوفل ممن كان على دين عيسى قبل بعثة محمد ، والمراد بالفضل والرحمة المنتفيين على هذا بعثة محمد والقرآن . ثانيها أنه مستثنى من فاعل اتبعتم أيضا لكنه واقع على من لم يبلغ التكليف ويكون الاستثناء منقطعا . ثالثها أنه مستثنى من فاعل أذاعوا ، والمعنى أظهروا خبر الأمن أو الخوف إلا قليلا فلم يظهره . رابعها أنه مستثنى من فاعل علمه : أى علمه الدين يستنبطونه إلا قليلا فلم يعلموه . خامسها أنه مستثنى من فاعل وجدوا : أى إلا قليلا فلم يجدوا فيه اختلافا كثيرا لبلادتهم وعدم معرفتهم . سادسها أن قوله لا تتبعتم خطاب لجميع الناس عموما ، والمراد بالقليل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأحسن هذه الأوجه أولها وهو المأخوذ من سياق المفسر وأبعدها الأخير تأمل (قوله فقاتل في سبيل الله) إلقاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا نكاسلوا عن القتال فقاتل الخ فإنك متصور على كل حال ولو اجتمعت عليك أهل الأرض جميعا (قوله لا تكاف إلا نفسك) هذه الجملة حال من فاعل قاتل ، والمعنى قاتل في سبيل الله ولا تنظر لسكسهم حال كونك غير مكاف إلا نفسك فلا يضررك مخالفتهم وتقاعدهم عن القتال ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شدة الحرب لا يتغير وجهه أبدا بل كان يتبسم إذ ذاك ولا يكثر بملأاة الأعداء . قال البوصيري :

مسفر يلتقي الكتبية بسا ما إذا أسهم الوجوه اللقاء (قوله المعنى قاتل ولو وحدك) أى فكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه إذا هم بالحرب لا يرجع حتى يحكم الله بينه وبين عدوه (قوله (٢١٩) وحرص المؤمنين) أى بالآيات الواردة في فضل الجهاد

فإن تخلفوا بعد ذلك فلا يضرّونك وإيما وبالهم على أنفسهم (قوله عسى الله الخ) هذا وعد من الله بكنهم وهو وإن ورد بصيغة الترجى فهو في المعنى محقق لتعلق قدرته وإرادته بذلك ويستحيل تخلف ما تعلق به لأنه يصير

(إِلَّا قَلِيلًا . قَاتِلْ) يَا مُحَمَّد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَافِ إِلَّا نَفْسَكَ) فَلَا تَهْم بِتَخَلْفِهِمْ عَنْكَ ، الْمَعْنَى قَاتِلْ وَلَوْ وَحْدَكَ فَإِنَّكَ مُوَعَدٌ بِالنَّصْرِ (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) حَنَمَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ) حَرْبِ (الَّذِينَ كَفَرُوا) ، وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا مِنْهُمْ (وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا) تَمْذِيبًا مِنْهُمْ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أُخْرِجَنَّ وَلَوْ وَحْدِي» فَخَرَجَ بِسَبْعِينَ رَاكِبًا إِلَى بَدْرِ الصَّغْرَى فَكَفَى اللَّهُ بَأْسَ الْكُفَّارِ بِإِقْلَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ وَمَنْعَ أَبِي سَفْيَانَ عَنِ الْخُرُوجِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي آلِ عِمْرَانَ (مَنْ يَشْفَعْ) بَيْنَ النَّاسِ (شَفَاعَةً حَسَنَةً) مُوَافَقَةً لِلشَّرْعِ (يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ) مِنَ الْأَجْرِ (مِنْهَا) بِسَبَبِهَا (وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً) مُخَالَفَةً لَهُ ،

عاجزا فلا فرق في تحقق وعد الله بين أن يزد بصيغة الترجى أو غيره (قوله والله أشد بأسا) أى قوة وسطوة (قوله تنكيلا) من النكل وهو في الأصل القيد ثم أطلق على العذاب (قوله والذي نفسى بيده) إيما أقسم بذلك لأنه دائما في حضرة ربه ، وقوله بيده : أى قدرته وكان عليه الصلاة والسلام كثيرا ما يحلف بذلك (قوله فخرج بسبعين راكبا) أى في السنة الرابعة لأن أحدا كانت في الثالثة فلما انصرف منها أبوسفيان نادى بأعلى صوته يا محمد ، وعدك العام القابل في بدر ، فقال عليه الصلاة والسلام إن شاء الله تعالى فلما جاء العام القابل طلب المؤمنين للخروج فتقاعد المنافقون وتبعهم بعض ضعفاء المؤمنين بسبب تنبيط نعيم بن مسعود الأشجى لهم ، قال تعالى حكاية عنه - الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم - والآيات ، وقوله بسبعين راكبا تبع في ذلك بعض السير وهو ضعيف ، والراجح أنه خرج معه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة فأقاموا على بدر ينتظرون أباسفيان فألقى الله في قلوب الأعداء الرعب ولم ينتقلوا من محل يسمى الآن بوادي فاطمة فاجتمعت قبائل العرب من كل جهة لأقامة السوق في بدر فصارت الصحابة يتجرون إلى أن رجحوا رجحا عظيما فمكثوا في بدر ثمانية أيام فلم تأت الكفار ولم يحصل بينهم حرب أصلا . قال تعالى - فانتقلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء - وتقدم بسط القصة في آل عمران (قوله ومنع أبي سفيان) معطوف على إلقاء فهو مصدر (قوله من يشفع شفاعا حسنة) هذه الجملة أفادت أن تحريض النبي للمؤمنين على القتال شفاعا حسنة فله حظ وافر في نظير ذلك . والشفاعة هي سؤال الخير للغير ويندرج في ذلك الدعاء للسلم بظهر الغيب ، فقد ورد « من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك » وفي الحديث أيضا « ادعوني بالسنة ما عصيتوني بها » قال العلماء : هو الدعاء للمير (قوله ومن يشفع شفاعا سيئة) إيما أطلق

عليها شفاعه مشاكلة لأن حقيقة الشفاعه لا تكون إلا في الخير . قال بعضهم : هي النعمة وهي نقل الكلام لإيقاع العداوة بين الناس ، وقيل هي السعي بالفساد مطلقا (قوله نصيب) أشار بذلك إلى أن الكفل مرادف للنصيب وإنما غير تفننا (قوله مقيتا) هو في الأصل معناه الوصول لكل أحد قوته ، ومعلوم أن هذا لا يكون إلا من المقتدر أطلق وأريد منه المقتدر بمعنى القادر الذي لا يعجزه شيء (قوله بما عمله) أي من خير أو شر (قوله وإذا حييتم بتحية) هذان من جملة أفراد الشفاعه الحسنه وفيه تعليم محاسن الأخلاق وهو أنه ينبغي للإنسان أن يجازي على المعروف بأحسن منه أو بمثله . والتحية في الأصل الدعاء بطول الحياة وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضا يقول له حياك الله ثم استعملت في الاسلام ، وإنما اختير لفظ السلام على لفظها الأصلي لأنه أتم وأنفع لأن السلام معناه السلامة من الآفات الدنيوية والأخروية ورحمة الله إنعامه وإحسانه وبركاته حفظه من الزوال ، وأما طول الحياة فلا يلزم منه السلامة من الآفات بل قد يكون طول الحياة مذموما كما إذا كان في المعاصي فكان السلام بهذا المعنى أتم وأكمل ، وأصل تحية تحية كتركبة نقات حركة الياء الأولى إلى ما قبلها ثم أدغمت فيها بعدها (قوله كأن قيل لكم سلام عليكم) أي بهذا اللفظ وما شابهه كالسلام عليكم أو سلامي عليكم أو سلام الله عليكم والأولى أن يأتي بجمع الجمع ولو كان المسلم عليه واحدا أو منى أوجع نسوة نظرا لللائكة المصاحبين للمسلم فإذا سلم بغير هذا اللفظ كأن الله عليكم أو غير ذلك فلا يجب عليه الرد ومن المطلوب المصاحفة لما ورد أنها تذهب الغل من القلوب ، وأما تعيين اليد فهو مكره إلا لمن ترضى بركته كشيخ أو والد ، وأما المعاينة فمكروهة إلا لشوق (٢٢٠) كقدوم من سفر ونحوه . واعلم أن ابتداء السلام سنة وردة فرض كفاية

ولكن الابتداء أفضل من الرد لما ورد أن للبادي تسعين حسنة وللراد عشرة ومثله الوضوء قبل الوقت فإنه مندوب لكنه أفضل من الوضوء بعده الواجب وإبراء العسر مندوب وهو أفضل من إنظاره الواجب وجمع ذلك بعضهم في قوله :

(يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ) نصيب من الوزر (منها) بسببها (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) فيجازي كل أحد بما عمله (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ) كأن قيل لكم سلام عليكم (فَحَيُّوا) المحي (بِأَحْسَنَ مِنْهَا) بأن تقولوا له عليك السلام ورحمة الله وبركاته (أَوْ رُدُّوْهَا) بأن تقولوا له كما قال أي الواجب أحدهما والأول أفضل (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) محاسبا فيجازي عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الأخير ويقال للكافر وعليك ،

(الله)

الفرض أفضل من تطوع عابد حتى ولو قد جاء منه بأكثر

إلا التطهر قبل وقت وابتداء ، والسلام كذلك إبراء العسر وقد تقدم في آخر البقرة (قوله حيوا) أصله حيوا استنقلت الضمة على الياء خذفت الضمة فالتقى سا كنان الياء والواو خذفت الياء وضم ما قبل الواو (قوله بأن تقولوا عليك السلام ورحمة الله وبركاته) أي فإذا اقتصر البادي على السلام زاد الرد الرحمة والبركة . روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك ، فقال وعليك السلام ورحمة الله ، وقال آخر السلام عليك ورحمة الله ، فقال وعليك السلام ورحمة الله وركاته ، وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وركاته ، فقال الرجل نقصتني الفضل عن سلامي فأين ما قال الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله ، ولا يزداد على البركة شيء إلا من البادي ولا من الراد لما ورد أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا ، فقال ابن عباس : إن السلام انتهى إلى البركة (قوله أوردوها) أي ردوا مثلها على حد واسئل القرية لأن رد عينها محال (قوله والمبتدع) أي صاحب البدعة التي تخالف الشرع (قوله والفاسق) أي بالجارحة المتجاهر (قوله على قاضي الحاجة) أي ومن في حكمه كمن في محل مستقذر أو في حال الاستنجاء (قوله ومن في الحمام) أي في محل الحرارة لا خارجه في محل نزع الثياب (قوله والآكل) أي بالفعل بأن كان فيه مشغولا بالمضغ لا وقت خلوه منه فيجب الرد (قوله بل يكره في غير الأخير) أي الآكل بالنسبة (قوله ويقال للكافر وعليك) أي لأنه يقول في سلامه السام عليك والسام الموت فيرد عليه بقوله وعليك ومحل ذلك ما لم يتحقق منهم النطق بالسلام بافظه وإلا فيرد .

(قوله الله) مبتدأ وإلا إلا هو خبر أول وليجمعنكم خبر ثان ورد بالخبر الأول على منكري التوحيد وبالثاني على منكري البعث (قوله والله) أشار بذلك إلى أن اللام في ليجمعنكم موطئة لقسم محذوف (قوله ليجمعنكم) أي يحشركم بعد تفرقكم قال تعالى : وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (قوله إلى في) أشار بذلك إلى أن المضنة معنى في ويصح بقاؤها على أصلها ويضمن الفعل معنى يحشر وهو الأقرب لأن التجوز في الفعل أكثر من التجوز في الحرف (قوله لا ريب فيه) أي لا تردد ولا تحير في ذلك اليوم (قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله حديثاً) تمييز (قوله ولما رجع ناس) هذا إشارة لسبب نزول الآية والمراد بالناس عبد الله بن أبي وأصحابه الثلاثة وكانوا منافقين (قوله اختلف الناس) أي الصحابة وقوله اختلفهم أي للأماراة الدالة على كفرهم وقوله وقال فريق لا أي لنطقهم بالشهادتين واللوم في الحقيقة راجع على الفريق الثاني القائل لا تقتلهم (قوله فما لكم في المنافقين) ما مبتدأ ولكم جار ومجرور خبر وفي للمنافقين متعلق بما تعلق به الخبر أو متعلق بمحذوف حال من فتيين لأنه نعت نكرة تقدم عليها أو متعلق بفتنين لتأويله بمشتق أي مفترقين وقوله ففتين خبر لصار المحذوفة كما قتره المفسر (قوله والله أركسهم) الركس في الأصل النكس (٢٢١) وهو قلب الشيء على رأسه فمعناه على هذا ردهم من حالة الحق

وهو عز الإسلام إلى حالة السفلى وهو ذل الكفر بالسبي والقتل (قوله ردهم) أي عن القتال ومنعهم منه ولم يجر على أيديهم خير بسبب كسبهم لما في الحديث « إن العبد ليحرم الخير بالذنوب يصيبه » وفي نسخة بددهم أي فرق شملهم وجمعهم (قوله من الكفار الخ) بيان لما عطف عام على خاص (قوله للانكار) أي مع

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وَاللَّهُ (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) مِنْ قُبُورِكُمْ (إِلَى) فِي (يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ) شَكٍّ (فِيهِ وَمَنْ) أَيْ لَا أَحَدَ (أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) قَوْلًا . وَلَمَّا رَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَحَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِمْ فَقَالَ فَرِيقٌ أَقْتُلْهُمْ وَقَالَ فَرِيقٌ لَا ، فَنَزَلَ (فَمَا لَكُمْ) أَيْ مَا شَأْنُكُمْ صَرْتُمْ (فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ) فَرِيقَيْنِ (وَاللَّهُ أَزْكَاهُمْ) رَدَّهُمْ (بِمَا كَسَبُوا) مِنَ الْكُفْرِ وَالْعَصَايِ (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ) (اللَّهُ) أَيْ تَعْدُوهُمْ مِنْ جَمَلَةِ الْمُتَّهِدِينَ وَالِاسْتِفْهَامِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلانْكَارِ (وَمَنْ يُضَلِّ) (اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى (وَدُّوا) تَمْنَوْا (لَوْ نَكْفُرُونَ كُلَّ كَفَرًا فَتَكْفُرُونَ) أَتُمْ وَهُمْ (سَوَاءٌ) فِي الْكُفْرِ (فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ) تَوَالِيَهُمْ وَإِنْ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ (حَتَّى يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هَجْرَةٌ صَحِيحَةٌ تَحَقُّقُ إِيْمَانِهِمْ (فَإِنْ تَوَلَّوْا) وَأَقَامُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ (فَتَّخِذُوهُمْ) بِالْأَمْرِ (وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَليًا) تَوَالِيَهُ (وَلَا نَصِيرًا) تَنْتَصِرُونَ بِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ) يَلْجِثُونَ (إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) عَهْدٌ بِالْأَمَانِ لَهُمْ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ كَمَا عَاهَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلَالُ بْنُ عُوَيْرٍ الْأَسْلَمِيُّ ،

التو بـيخ ، والمعنى لا تفتروا في قتالهم ولا تجعلوهم من المتهدين ولا تعدوهم منهم وهذا إشارة لئلا يأس من هدايتهم فلم يهتدوا بعد ذلك أبداً (قوله كما كفروا) نعت لمحذوف والتقدير ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (قوله فلا تتخذوا منهم أولياء) مفرع على قوله ودوا لو تكفرون والجمع باعتبار الأفراد (قوله حتى يهاجروا) غاية في عدم اتخاذ الأولياء منهم ، والمعنى امتنعوا من اتخاذ الأولياء منهم إلى أن تقع منهم الهجرة بمعنى الجهاد في سبيل الله محاصرين له الدين . واعلم أن الهجرة ثلاثة أقسام : هجرة المؤمنين في أول الإسلام وهي قوله تعالى : للفقراء المهاجرين ، وهجرة المنافقين وهي خروجهم للقتال مع رسول الله صابرين محتسبين لأغراض الدنيا وهي الإرادة هنا ، وهجرة عن جميع المعاصي وهي التي قال فيها عليه الصلاة والسلام « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (قوله فإن تولوا) أي أعرضوا عما أمرتهم به وقوله وأقاموا على ما هم عليه دفع به ما يتوهم من قوله تولوا أنه كان حصل منهم إقبال ثم أعرضوا . فأجاب بأن المراد أقاموا وأداموا على ما هم عليه (قوله حيث وجدتموهم) أي في حل أو حرم لأنهم من جملة الكفار فيفعل بهم ما فعل بسائر الكفار (قوله إلا الذين يصلون) هذا استثناء من الأخذ والقتل فقط ولا يرجع للوالة فانها لا تجوز مطلقا (قوله إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي وهم المسلمون فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه إلى مكة قد وقع بينه وبين هلال بن عوير الأسلمي عهد أن لا يعين على النبي ولا يعينه وعلى أن من لجأ إليه لا يتعرض له وكذلك بنو بكر بن زيد وخزاعة .

(قوله أوجاءوكم) . معطوف على يصلون كما صدر الموصول للفسر فالمستثنى فريقان : فريق التجأ للعاهدين وفريق ترك قتالنا مع قومهم وقتال قومهم معاً (قوله وقد حصرت صدورهم) أى وهم بنومدج جاءوا لرسول الله غير مقاتلين (قوله وهذا) أى قوله إلا الذين يصلون وقوله أوجاءوكم وقوله وما بعده أى وهو قوله فإن اعتزلوكم إلخ (قوله منسوخ بآية السيف) أى التى نزلت في براءة وهى قوله تعالى : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآيات فصار بعد نزول آية السيف لا يقبل منهم عهد أبداً إلى أن انتشر الاسلام فخصت آية السيف بالجزية واليهود (قوله ولو شاء الله إلخ) هذا تسلية للمؤمنين وتذكير لنعم الله عليهم (قوله لسلطهم) هذا تمهيد لجواب لو وجوابها قوله فلقاتلوكم (قوله ولكنه لم يشأ إلخ) أشار بهذا الاستدراك إلى تميم القياس لأنه ذكر المقدم بقوله : ولو شاء الله ، والثالث بقوله : لسلطهم عليكم فذكر المفسر نقض المقدم بقوله ولكن والنتيجة بقوله : فالتى في قلوبهم الرعب (قوله فإن اعتزلوكم) أى بوجه من الوجوه المتقدمة وهى التجاؤم إلى من بيننا وبينه عهد ، أو تركهم القتال . منا ومع قومهم (قوله أى اتقادوا) للصلح والأمان ورضوا به (قوله آخرين) أى قوما آخرين من المنافقين وسيأتى أنهم أسد وغطفان كانوا حول المدينة فأسلموا ظاهراً ليأمنوا (٢٢٢) من القتل والأمر وكانوا إذا خلوا بالكفار يقولون آمنا بالقرء

والعقرب والخنفساء وإذا لقوا النسي وأصحابه يقولون إنا على دينكم ليأمنوا من الفريقين (قوله وقعوا أشد وقوع) أى رجعوا إلى الشرك أعظم رجوع (قوله لغدرهم) أى خيانتهم (قوله وما كان لمؤمن) أى لا يسوغ ولا يصح لتصف بالايمن أن يقتل أخاه في الايمان ، والمعنى يبعد كل البعد لأن شأن الايمان الرأفة والرحمة بالاخوان قال تعالى مدحا في أصحاب رسول الله : أشداء على الكفار رحماء

(أُوْ) (الَّذِينَ) (جَآؤْكُمْ) (وَقَدْ) (حَصِرَتْ) ضَاقَتْ (صُدُورُهُمْ) (عَنْ) (أَنْ) (يُقَاتِلُوْكُمْ) (مَعَ) (قَوْمِهِمْ) (أَوْ) (يُقَاتِلُوْا قَوْمَهُمْ) (مَعَكُمْ) (أَيُّ) (مَسْكِينٍ) (عَنْ) (قِتَالِكُمْ) (وَقِتَالَهُمْ) (فَلَا) (تَتَعَرَّضُوا) (إِلَيْهِمْ) (بِأَخْذٍ) (وَلَا) (قِتْلٍ) (وَهَذَا) (وَمَا) (بَعْدَهُ) (مَنْسُوخٌ) (بِآيَةِ) (السَّيْفِ) (وَلَوْ) (شَاءَ) (اللَّهُ) (تَسْلِيْطُهُمْ) (عَلَيْكُمْ) (لَسَلَّطَهُمْ) (عَلَيْكُمْ) (بِأَنْ) (يَقُوْى قُلُوْبُهُمْ) (فَلَقَاتِلُوْكُمْ) (وَلَكِنَّهُ) (لَمْ) (يَشَأْ) (فَأَلْقَى) (فِي قُلُوْبِهِمُ) (الرَّعْبَ) (فَإِنْ) (أَعْتَزَلُوْكُمْ) (فَلَمْ) (يُقَاتِلُوْكُمْ) (وَأَلْقَوْا) (إِلَيْكُمْ) (السَّلَامَ) (الْصَّلَاحُ) (أَيُّ) (اتِّقَادُوا) (فَمَا) (جَعَلَ) (اللَّهُ) (لَكُمْ) (عَلَيْهِمْ) (سَبِيْلًا) (طَرِيْقًا) (بِالْأَخْذِ) (وَالْقِتْلِ) (سَتَجِدُوْنَ) (آخَرِينَ) (يُرِيدُوْنَ) (أَنْ) (يَأْمَنُوْكُمْ) (بِإِظْهَارِ) (الْإِيْمَانِ) (عِنْدَكُمْ) (وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ) (بِالْكَفْرِ) (إِذَا) (رَجَعُوا) (إِلَيْهِمْ) (وَمُ) (أَسَدٌ) (وَعُطْفَانٌ) (كُلَّمَا) (رُدُّوا) (إِلَى) (الْفِتْنَةِ) (دَعَا) (إِلَى) (الشَّرْكِ) (أَزْكِسُوا) (فِيهَا) (وَقَعُوا) (أَشَدَّ) (وَقُوعٍ) (فَإِنْ) (لَمْ) (يَعْتَزِلُوْكُمْ) (بَتَرَكْ) (قِتَالَكُمْ) (وَلَمْ) (يَلْقُوا) (إِلَيْكُمْ) (السَّلَامَ) (وَلَمْ) (يَكُنُوْا) (أَيْدِيَهُمْ) (عِنْدَكُمْ) (فَخَذَوْهُمْ) (بِالْأَسْرِ) (وَأَقْتَلَوْهُمْ) (حَيْثُ) (تَفَقَّهْتُمْ) (وَهُمْ) (وَأُولَئِكَ) (جَمَعْنَا) (لَكُمْ) (عَلَيْهِمْ) (سُلْطَانًا) (تَأْمِيْنًا) (بِرَهَانَا) (بَيْنَا) (ظَاهِرًا) (عَلَى) (قِتْلِهِمْ) (وَسِيْئِهِمْ) (لِغَدْرِهِمْ) (وَمَا) (كَانَ) (لِلْمُؤْمِنِ) (أَنْ) (يَقْتُلَ) (مُؤْمِنًا) (أَيُّ) (مَا) (يَنْبَغِي) (أَنْ) (يَصْدُرَ) (مِنْهُ) (قِتْلُ) (لَهُ) (إِلَّا) (خَطَأً) (مُخْطِئًا) (فِي) (قِتْلِهِ) (مِنْ) (غَيْرِ) (قَصْدٍ) (وَمَنْ) (قَتَلَ) (مُؤْمِنًا) (خَطَأً) (بِأَنْ) (قَصْدَ) (رَمِي) (غَيْرِهِ) (كَصِيْدِ) (أَوْ) (شَجَرَةٍ) (فَأَصَابَهُ) (أَوْ) (ضَرَبَهُ) (بِمَا) (لَا) (يَقْتُلُ) (غَالِبًا) (فَتَحْرِيرُ) (عَقْرَبَةٍ) (نَسْمَةٍ) (مُؤْمِنَةٍ) (عَلَيْهِ) (وَدِيَّةٌ) (مُسَلَّمةٌ) (مُؤَدَّاةٌ) (إِلَى) (أَهْلِهِ) (أَيُّ) (وَرْتَهُ) (الْمَقْتُولِ)

(إلا

بينهم (قوله إلا خطأ) الاستثناء منقطع لأن ما قبله محمول على العمد

والمعنى لكن قد يقع خطأ ويصح أن يكون متصلاً والمعنى لا ينبغي أن يقع القتل من المؤمن للمؤمن في حال من الأحوال إلا في حالة الخطأ (قوله عخطاً) أشار بذلك إلى أن خطأ حال إلا أنه مؤول باسم الفاعل (قوله من غير قصد) أى للضرب من أصله أو ضرب من يجوز له ضربه فصادف غيره (قوله ومن قتل مؤمناً خطأ) حاصل ما ذكره في الخطأ ثلاثة أقسام : لأن المقتول إما مؤمن وورثته مسلمون أو مؤمن وورثته حرييون أو معاهد ، فالأول فيه الدية والكفارة وكذا الثالث . وأما الثاني ففيه الكفارة فقط ومن إما اسم موصول مبتدأ وقتل صلتها وقوله فتحرير خبره وقرن بالفاء لشبهه بالشرط ، وإما اسم شرط وقتل فعله وقوله فتحرير جوابه والجملة خبره من حيث كونه مبتدأ (قوله عليه) أشار بذلك إلى أن قوله فتحرير مبتدأ خبره محذوف ويصح أن يكون خبراً محذوفاً والتقدير فالواجب عليه تحرير إلخ أو فاعل بهل محذوف أى فيجب عليه تحرير (قوله ودية) معطوف على تحرير والدية في الأصل مصدر أطلقت على المال المأخوذ في نظير القتل وهو المراد هنا ولذا وصفها بمسئمة وأصلها ودى حذفت الواو وعوض عنها تاء التأنيث .

(قوله إلا أن يصدقوا) أصله يتصدقوا قلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد وهو حال من أهله والمعنى إلا متصدقين (قوله بأن يصفوا) أى أهله ومعنى العفو عنها صدقة تنبئها على فضله لأن كل معروف صدقة (قوله أنها مائة من الإبل) هذا مخصوص بأهل الإبل وأما على أهل الذهب فآلف دينار وعلى أهل الورق اثنا عشر ألف درهم (قوله بنت مخاض) أى وهى ما أوفت سنة ودخلت في الثانية (قوله وكذا بنات لبون) أى وابن اللبون ما أوفى سنتين ودخل في الثالثة (قوله وحقق) الحقة ما أوفت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة وقوله وجذاع الجذعة ما أوفت أربع سنين ودخلت في الخامسة (قوله وأنها على عاقلة القتال) أى وهو إن كان غنياً كواحد منهم عند مالك وعند الشافعي ليس عليه شيء منها وهذه دية الخطأ وأما دية العمد فمغلطة من أربعة أنواع بإسقاط ابن اللبون من كل نوع خمس وعشرون عند مالك إلا إذا قتل الأب ابنه عمداً غير قاصد إزهاق روحه بأن لم يذبحه فعليه ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفه والخلفة الناقة الحامل والتغليظ عند الشافعي يكون بتلك الأنواع الثلاثة لا غير (قوله إلا الأصل والفرع) هذا مذهب الشافعي وأما عند مالك فلا فرق بين الأصل والفرع وغيرهما في أن كلا منهما يدفع كغيره (قوله على النفي منهم نصف دينار) (٢٢٣) يؤخذ منه أن العاقلة غير

محدودة بعدد وهو مذهب الشافعي وعند مالك تفرض الدية على ما زاد على ألف من أقاربه وقيل على سبعمائة (قوله وإن كان من قوم عدو لكم) أى بأن جاء من بلاد الكفر وأسلم عندنا ثم قتل خطأ (قوله حرب بكسر الحاء أى محارب) (قوله وإن كان من قوم الخ) أى بأن كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً (قوله وهى ثلاث دية المؤمن) هذا مذهب الإمام الشافعي وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم

(إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا) يتصدقوا عليه بها بأن يصفوا عنها وبينت السنة أنها مائة من الإبل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقق وجذاع وأنها على عاقلة القتال وهم عصبتها إلا الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على النفي منهم نصف دينار والتوسط ربع كل سنة فَإِنْ لَمْ يَفُوا فَمِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَإِنْ تَعَذَّرَ فَعَلَى الْجَانِي (فَإِنْ كَانَ) المقتول (مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ) حرب (لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابته (وَإِنْ كَانَ) المقتول (مِنْ قَوْمٍ يَبْتَئِكُمْ وَيَبْتَئُهُمْ مِيثَاقٌ) عهد كأهل الذمة (فَدِيَّةٌ) له (مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ) وهى ثلاث دية للمؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً وثلاثا عشرة إن كان مجوسياً (وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) على قاتله (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) الرقبة بأن فقدوها وما يحصلها به (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ) عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه (تَوْبَةٌ مِنَ اللَّهِ) مصدر منصوب بفعله المقدر (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً) بخلقها (حَكِيماً) فيما دبره لهم (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً) بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالماً بإعمانه (فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ

كأثنى الحر المسلم) (قوله وثلاثا عشرة إن كان مجوسياً) هذا باتفاق بين مالك والشافعي وأثناء على النصف منه (قوله الرقبة) قدره إشارة إلى أن مفعول يجد محذوف (قوله فصيام شهرين متتابعين) يقال فيه من الأعراب ما قيل في تحرير رقبة (قوله وبه أخذ الشافعي) أى ومالك (قوله للمقدر) أى وتقديره تاب الله عليكم توبة ويصح أن يكون مفعولاً لأجله أى شرع لكم ذلك لأجل التوبة عليكم هو الأحسن. إن قلت إن الخطأ ليس بذنب فما معنى التوبة منه. أجيب بأن ذلك لجبر الخل الذي حصل منه في عدم إمعان النظر والتحفظ (قوله ومن يقتل مؤمناً متعمداً) مقابل قوله ومن قتل مؤمناً خطأ وقوله متعمداً أى وعدواناً ليخرج المقتول قصاصاً أو حداً كالزاني المحصن والحارب. وسبب نزولها أن رجلاً يقال له مقيس ابن صبابه أسلم هو وأخوه هشام على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم إن مقيساً وجد أخاه مقتولاً في بني النجار فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسل معه رجلاً يقال له فهر من بني مهران إلى بني النجار فقال لهم إن رسول الله يأمركم أنكم إذا عرفتم عين القتال فسلموه لمقيس وإن لم تعرفوه فأعطوا له الدية فقالوا سمعنا وطاعة إنا لانعرف عين القتال وأعطوا مائة بئر فلما ذهب من عندهم سؤفه الشيطان لمقيس أن يقتل فهرًا بدل أخيه فتأخر عنه وضربه فقتله وركب بغيراً

وساق باقيها راجعاً إلى مكة ، وقال شعراً في ذلك :

قتلت به فهراً وأحملت عقله مرارة بن النجار أرباب قارع
وأدركت ناري واضطجعت توسداً وكنت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت فيه الآية ولما كان عام الفتح استثناه النبي عن أمته فقتله الصحابة وهو متعاق بأستار السكبة فعلى هذا الخلود في الآية على ظاهره (قوله خالداً) حال من الضمير في جزأه (قوله وغضب الله عليه) معطوف على محذوف والتقدير حكم الله عليه بذلك وغضب الله عليه (قوله ولعنه) عطف على غضب الله عليه مرادف لأن اللعنة هي الغضب (قوله وهذا مؤول الخ) شرع في ذكر الأجوبة عن السؤال الوارد على الآية ، وحاصله أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وظاهر الآية يقتضي أن جزاء القاتل عمداً الخلود في النار ولو مات مؤمناً وليس كذلك ، فأجاب المفسر عن ذلك بثلاثة أجوبة: الأول أنه محمول على المستحل لذلك، الثاني أن هذا جزأه إن جوزى أى إن عاقبه الله بعدله جزاءه بذلك وإن عاقبه بفضله فخاف أن لا يدخله النار ولكن في هذا الجواب شيء لأن فيه تسليم أنه إذا جوزى يدخل في النار وهو غير سديد للقواطع الدالة على أنه لا يدخل في النار إلا من مات على الكفر ، وقد أجاب البيضاوي بجواب آخر وهو أنه يحمل الخلود على طول المكث، الثالث أشار له المفسر بقوله وعن ابن عباس الخ (قوله وأنها ناسخة) (٢٢٤) الأولى مخصصة وكلام ابن عباس خارج مخرج الزجر والتشديد وليس على

حقيقته على مقتضى مذهب أهل السنة (قوله وسبق قدرها) أى في تفسير الآية التي قبلها (قوله أن بين العمد والخطأ الخ) سبق للمفسر أنه أدخله في الخطأ بقوله أضر به بما لا يقتل غالباً (قوله يسمى شبه العمد) أى فأشبهه العمد من حيث تغليظ الدية بكونها من ثلاثة أنواع ثلاثين حققة وثلاثين

خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْنَهُ) أبعد من رحمته (وَأَعْدَلُهُ عَذَابًا عَظِيمًا) في النار وهذا مؤول بمن يستحله ، أو بأن هذا جزأه إن جوزى ، ولا بدع في خاف الوعيد لقوله « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وعن ابن عباس أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفى عنه وسبق قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد ، وهو أن يقتله بما لا يقتل غالباً فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة والخطأ في التأجيل والحل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ . ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بنى سليم وهو يسوق غنماً فسلم عليهم فقالوا ماسلم علينا إلا نقيّة فقتلوه واستاقوا غنمه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ) سافرتم للجهاد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فبينوا)

جذعة وأربعين خلفه وأشبه الخطأ من حيث كونه لا قصاص فيه وهذا مذهب

الشافعي ، وعند أبي حنيفة لا يقتص من القاتل إلا إذا قتله بآلة محددة كسيف وبنديق وإلا فيلزمه الدية وعند مالك يقتص من القاتل إذا قتل بأي آلة ولو بضرب كف أو سوط لا بكروحة (قوله في الصفة) أى من حيث كونها من ثلاثة أنواع (قوله في التأجيل) أى كونها على ثلاث سنين وقوله والحل أى كون العاقلة تحملها (قوله وهو) أى شبه العمد وقوله أولى بالكفارة أى فتجب وهذا مذهب الشافعي وعند مالك ليس كالخطأ بل تستحب الكفارة فقط (قوله ونزل لما مر نفر الخ) هذه رواية ابن عباس في سبب نزول الآية وروى عنه أيضاً أنها نزلت في رجل من بني مرة بن عون يقال له مرادس بن نهيك وكان من أهل فadak لم يسلم من قومه غيره فلما سمعوا بسرية رسول الله صلى الله عليه وسلم هربوا وبقي ذلك الرجل فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين فألجأ غنمه إلى غاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل معهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله فكبر ونزل وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتلوه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله فأنخروه الخبر فوجد رسول الله من ذلك وجداً شديداً وكان قد سبقهم الخبر فقال عليه الصلاة والسلام « أقتاتموه إرادة مامعه ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة هذه الآية فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف أنت بلا إله إلا الله يقولها ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله يكررها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر له رسول الله وقال أعتق رقبة وروى عن أسامة أنه قال : قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح فقال أفلأشقت عن قلبي حتى تعلم أقالها خوفاً أم لا.

(قوله فتبينوا) أى تمهلوا حتى يكشف لكم حقيقة الأمر وما وقع من الصحابة اجتihad غير أنهم يحفظون فيه حيث اعتمدوا على مجرد الظن فلذا عاتبهم الله على ذلك وهذا مرتب على وعيد القاتل عمدا أى حيث ثبت الوعيد العظيم للقاتل عمدا قالوا جب التثبت والتحفظ فرتب على ذلك ما وقع من الصحابة (قوله في الموضعين) أى هنا وقوله فيما يأتى فمن الله عليكم فتبينوا وبقى موضع ثالث في الحجرات وهو قوله تعالى إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وفيه القراءة ثان ويحتمل أن قوله في الموضعين أى ما هنا بشقيه والحجرات والأول أقرب (قوله بألف ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان وروى عن عاصم كسر السين وسكون اللام وهى بمعنى المفتوحة (قوله أى التحية أو الانقياد) لف ونشر مرتب (قوله التى هى أمانة على إسلامه) تقدم أنه وقع منه الأمران (قوله بتبتنون) النهى منصب على القيد والمقيد معا وليس كقولهم لا تطلب العلم بتبني به الدنيا (قوله فعند الله) تعليل للنهى المذكور (قوله كذلك كنتم من قبل) أى كنتم مثله في مبدأ الإسلام (قوله فمن الله عليكم) أى قبل منكم النطق بالشهادتين ولم يأمر بالبحث عن سراركم (قوله فتبينوا) أى في المستقبل في مثل هذه الواقعة فهو (٢٢٥) تأكيد لفظي وقيل ليس تأكيذا

لاختلاف متعلقيهما لأن الأول فيمن يقتلونه والثاني في شأن نعمة الله عليكم بالإسلام لتشكروه (قوله من المؤمنين) متعلق بحذف حال من القاعدون (قوله بالرفع صفة) أى لقوله القاعدون إما لأن غير إذا وقعت بين ضدين قد تعرف أو لأن آل في القاعدون للجنس فاشبه النكرة والاطهر أنه مرفوع على البدلية من القاعدون لأنه لا يشترط استواء البدل والبدل منه تعريضا أو تنكيراً (قوله والنصب استثناء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من زمانة)

فَتَبَيَّنُوا) وَفِي قِرَاءَةِ بِالثَّلَاثَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ) بِالْأَلْفِ وَدُونِهَا أَى التَّحِيَّةِ أَوْ الْإِنْقِيَادِ بِقَوْلِهِ : كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ الَّتِي هِيَ أَمَارَةٌ عَلَى الْإِسْلَامِ (لَسْتَ مُؤْمِنًا) وَإِنَّمَا قُلْتَ هَذَا تَقِيَّةً لِنَفْسِكَ وَمَالَكَ فَتَقْتُلُوهُ (تَبْتَغُونَ) تَطْلُبُونَ بِذَلِكَ (عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) مَتَاعُهَا مِنَ الْغَنِيمَةِ (فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَائِمٌ كَثِيرَةٌ) تَنْفِيكٌ عَنْ قَتْلِ مِثْلِهِ لِمَا لَهُ (كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ) تَعَصُّمٌ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ بِمَجْرَدِ قَوْلِكُمُ الشَّهَادَةَ (فَنَزَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) بِالِاشْتِهَارِ بِالْإِيمَانِ وَالِاسْتِقَامَةِ (فَتَبَيَّنُوا) أَنْ تَقْتُلُوا مُؤْمِنًا وَافْعَلُوا بِالْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَ بِكُمْ (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فَيَجَازِيكُمْ بِهِ (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) عَنْ الْجِهَادِ (غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ) بِالرَّفْعِ صِفَةٌ وَالنَّصْبُ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ زَمَانَةٍ أَوْ عَمَى أَوْ نَحْوِهِ (وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ) لِضَرَرِ (دَرَجَةٍ) فَضِيلَةٍ لَاسْتَوَائِهِمَا فِي النِّيَّةِ وَزِيَادَةِ الْمُجَاهِدِينَ بِالْمُبَاشَرَةِ (وَكُلًّا) مِنَ الْفَرِيقَيْنِ (وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) الْجَنَّةَ (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ) لِغَيْرِ ضَرَرٍ (أَجْرًا عَظِيمًا) وَيُبَدِّلُ مِنْهُ (دَرَجَاتٍ مِنْهُ) مَنَازِلَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ الْكِرَامَةِ (وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً) مَنْصُوبَانِ بِفَعْلِهِمَا الْمَقْدَرِ (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لِأَوَّلِيَّاتِهِ (رَحِيمًا) بِأَهْلِ طَاعَتِهِ . وَنَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ أَسْلَمُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا قَتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ الْكُفَّارِ (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ ،

بيان للضرر وهى المرض وقوله أو نحوه أى كالعرج (قوله فضيلة) أى فى الآخرة والمعنى أن من تقاعد عن القتال لمرض ونحوه فهو ناقص عن المباشرين للجهاد درجة لأنهم استنوا معهم فى الجهاد بالنية وإنما زاد المجاهدون بالمباشرة وكل من القسمين وعده الله بالجنة (قوله الجنة) أى لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم (قوله درجات) قيل سبعة وقيل سبعون وقيل سبعمائة كل درجة كما بين السماء والأرض (قوله بضعهما المقدّر) أى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة (قوله قتلوا يوم بدر) أى وهل ماتوا عصاة أو كفارا خلاف لأن الهجرة كانت ركنا أو شرطا فى صحة الإسلام قال تعالى : والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وهذا كان قبل الفتح ثم نسخ بعده والقاتل لمؤلاء الملائكة أعلمهم بأن الله لم يقبل منهم الإسلام لفقد شرطه وهو الهجرة مع قدرتهم عليها وليس التخلف من أجل صيانة المال والعيال عذرا والتبادر من ذلك أنهم ماتوا كفارا (قوله إن الذين توفاهم) يصح أن يكون ماضيا ولم يؤت فيه بعلامة التائب لأن التائب مجازى ويصح أن يكون مضارعا حذف منه إحدى التائبين والأصل توفاهم ، قال ابن مالك :

وما بتأمن ابتدى قد يقتصر فيه على تاكثين العبر (قوله اللائكة) يعنى ملك الموت وهو عزرائيل وإنما جمع تعظيما وقيل المراد أعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يقضون أرواح المؤمنين وثلاثة منهم يقضون أرواح الكفار (قوله قالوا لهم موبحين) أى عند قبض أرواحهم (قوله فيم كنتم) ما اسم استفهام حذف ألفها وأولها لها إن تقف (قوله أى شئ كنتم) أى كنتم مؤمنين أم كفارا وما فى الاستفهام إن جرت حذف ألفها وأولها لها إن تقف (قوله أى شئ كنتم) أى كنتم مؤمنين أم كفارا (قوله قالوا كنتم مستضعفين) هذا اعتذار غير صحيح فلذا ردت اللائكة عليهم هذا الاعتذار (قوله فأولئك مأواهم جهنم) هذا هو خبر إن وقرن بالفاء لأنه فى الأصل خبر عن الوصول وهو يشبه الشرط (قوله هى) هذا هو الخصوص بالندم (قوله إلا المستضعفين) هذا الاستثناء منقطع على التحقيق (قوله من الرجال) هو وما بعده بيان للمستضعفين وذلك كعباس بن ربيعة وسلمة بن هشام وغيرهما وقوله والنساء والولدان ، قال ابن عباس : كنت وأنا وأبى من المستضعفين من النساء والولدان (قوله لا يستطيعون حيلة) هذه الجملة إماتة مبنية للاستضعاف جواب سؤال مقدر تقديره ماوجه استضعافهم أو صفة للمستضعفين (قوله فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) عسى فى كلام الله بمنزلة التحقيق لعلمه بعواقب الأمور وقدرته على كل شئ ، وأما فى كلام غيره فلا رجاء لجهله بعواقب الأمور وعجزه (قوله ومن يهاجر) هذا ترغيب فى الهجرة (قوله مهاجرا) بالفتح أى أما كن يهاجر إليها وعبر عنها بالمراغم إشارة إلى أن من فعل ذلك (٢٢٦) أرغم الله به أنف عدوه أى يقهره ويذله والרגام فى الأصل التراب

فأطلق وأر يذلأزمه وهو الدل والهوان لأن من التصق أنفه بالتراب فقد ذل وصغر (قوله كواقع لجندع بن ضمرة الليثي) وذلك أنه لما نزل قوله تعالى - إن الذين توفاهم اللائكة- الآيات بعث بها صلى الله عليه وسلم إلى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا فيها إذ ذاك فسمعها رجل من بنى ليث شيخ مريض كبير

الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بالمقام مع الكفار وترك الهجرة (قَالُوا) لهم موبحين (فِيمَ كُنْتُمْ) أى فى أى شئ كنتم فى أمر دينكم (قَالُوا) معتردين (كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ) عاجزين عن إقامة الدين (فِي الْأَرْضِ) أرض مكة (قَالُوا) لهم توبيخا (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم ، قال الله تعالى (فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) هى (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ) الذين (لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة (وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) طريقا إلى أرض الهجرة (فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا . وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا) كثيرا (وَسِعَةً) فى الرزق (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ) فى الطريق كواقع لجندع بن ضمرة الليثي (فَقَدْ وَقَعَ) ثبت (أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . وَإِذَا ضَرَبْتُمْ) سافرتُمْ (فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فى (أَنْ تَقْصُرُوا

من

يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله فأتى لأجد حيلة ولئى من

المال ما يبلغنى إلى المدينة وأبعد منها والله لا أبيت بمكة أخرجونى فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبياعك على ما يبيعك رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك منه المشركون وقالوا ما أدرك ما طاب فزلت الآية (قوله فقد وقع أجره على الله) أى تفضلا منه وكرما ويدخل فى ذلك من قصد أى طاعة ثم عجز عن إتمامها فى كتب له ثوابها كاملا وقوله على الله أى عنده وفى علمه (قوله وإذا ضربتم فى الأرض) ذكر هذه الآية عقب الهجرة لتأريغ فيها فكانه قال لا بأس فى الهجرة ولا مشقة فيها لكون الصلاة تقصر فيها فهذا من جملة السعة التى يرونها فى السفر (قوله سافرتم) أى سافرا طويلا وسيأتى أن أقله أربعة برد عند الشافى والبريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع والذراع ستة وثلاثون أصبعا والأصبغ ست شعيرات والشعيرة ست شعرات من شعر البرذون وكذا عند مالك وعند أبى حنيفة ثلاثة أيام من أقصر الأيام مع الاستراحات فلا يصح القصير فى أقل من أربعة برد عند مالك والشافى ولا فى أقل من ثلاثة أيام عند أبى حنيفة إلا فى مناسك الحج فانهم يقصرون فى أقل من ذلك للسنة (قوله فى أن تقصروا) قدر المفسر فى إشارة إلى أن قوله أن تقصروا أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالحرف والجار والمجرور متعلق بجناح أى ليس عليكم جناح فى القصر .

(قوله من الصلاة) يصح أن تكون بعبسية وأل في الصلاة للجنس أى وهو الرباعيات ويصح أن تكون زائدة على مذهب الأخفش وأل للجنس والمراد جنس مخصوص وهو الرباعية وقد بين بالسنة (قوله بأن تردوها من أربع إلى اثنتين) هذا أحد أقوال ثلاثة لأنه اختلف هل فرضت الصلاة كاملة ثم نقصت في السفر وبقيت في الحضر على حالها أو فرضت ناقصة فبقيت في السفر وزيدت في الحضر وقيل فرض كل مستقلاً (قوله ببيان للواقع) أى قوله إن خفتم الخ أى لأن غالب أسفار نبينا وأصحابه لم تخل من خوف العدو لكثرة المشركين حينئذ وقوله فلا مفهوم له أى لأنه يكون في سفر التجارة وغيرها من كل سفر مأذون فيه وإجبا كان أو مندوبا أو مباحا (قوله وهى مرحلتان) أى سبعمائة يومين معتدلين كل يوم اثنا عشر ساعة بسير الجمل المثقلة بالأحمال (قوله أنه رخصة) أى جائز ما لم يبلغ سفره ثلاث مراحل وإلا كان أفضل للخروج من خلاف أبى حنيفة فإنه قال بوجوبه وعند مالك سنة مؤكدة (قوله عدوا مبينا) العدو يقع بلفظ واحد على الذكر والمؤنث والمجموع والمثنى (قوله وإذا كنتم فيهم) شروع في ذكر صلاة القسمة في الخوف . واعلم أن صلاة الخوف على أقسام فارة يكون العدو في غير اتجاه القبلة وفي هذا القسم تكون صلاة القسمة وهى على كفتين الأولى أن يقسم الحش طائفتين طائفة تقف تجاه العدو وطائفة تصلى مع الامام الصلاة تجاهها فبعد السلام تنصرف للعدو وتأتى (٢٢٧) الطائفة الثانية فيعيد الامام بهم

الصلاة ثانياً صلاة الطائفة الأولى فرض خلف فرض الثانية فرض خلف نفل وهذه الكيفية انفرد بها الامام الشافعى الثانية أن يصلى بكل طائفة ركعة في الثانية وركعتين في الرابعة وبالطائفة الأولى ركعتين في الثانية وبالثانية ركعة وبها قال مالك والشافعى أيضاً لكن مالك يقول بها وإن كان العدو تجاه القبلة وتارة يكون العدو تجاه القبلة وهى على قسمين أيضاً إما

مِنْ الصَّلَاةِ) بِأَنْ تَرُدُّوهُمَا مِنْ أَرْبَعٍ إِلَى اثْنَتَيْنِ (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ) أَيْ يَنْالَكُمْ بِمَكْرِهِ (الَّذِينَ كَفَرُوا) بَيَانٌ لِلْوَاقِعِ إِذَا ذَاكَ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ وَيَبْتَغِي السَّنَةَ أَنْ الْمُرَادَ بِالسَّفَرِ الطَّوِيلُ وَهُوَ أَرْبَعَةٌ بِرَدِّهِ مَرَحِلَتَانِ ، وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَرْخِصُوا لَأَوَّابِهِ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ (إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا) بَيْنَ الْمَدَاوِ (وَإِذَا كُنْتُمْ) بِأَمْرٍ حَاضِرًا (فِيهِمْ) وَأَنْتُمْ تَخَافُونَ الْعَدُوَّ (فَأَقَمْتُمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ) وَهَذَا جَرَى عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي الْخُطَابِ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ (فَلَقَمْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَمَكًا) وَتَأَخَّرَ طَائِفَةٌ (وَلِيَأْخُذُوا) أَيْ الطَّائِفَةُ الَّتِي قَامَتْ مَعَكَ (أَسْلَحْتَهُمْ) مَعَهُمْ (فَإِذَا سَجَدُوا) أَيْ صَلُّوا (فَلْيَكُونُوا) أَيْ الطَّائِفَةُ الْآخَرَى (مِنْ زَوَائِكُمْ) يَجْرُسُونَ إِلَى أَنْ تَقْضُوا الصَّلَاةَ وَتَذْهَبَ هَذِهِ الطَّائِفَةُ تَحْرُسُ (وَلَتَأْتِيَ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلَحَتَهُمْ) مَعَهُمْ إِلَى أَنْ تَقْضُوا الصَّلَاةَ وَقَدْ فُضِّلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ بَيِّنُ نَحْلٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (وَذَلِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ،

أن يتقدم الامام ويقف الجيش خلفه صفوفاً فعند ركوع الامام تركع طائفة مع الامام وتسجد معه فبعد وقوفهم تركع الطائفة الأخرى وتسجد وهذه الكيفية أخذ الامام الشافعى وإما أن يتقدم الامام ويصلون جميعاً معه ويركعون ويسجدون وبها أخذ مالك وتارة يلتحم القتال فيصلون كيف شاءوا وحل للضرورة مشى وركض وإساک ملطخ وهذه الكيفية عند مالك والشافعى وعند أبى حنيفة إن ضاق الوقت قدموا القتال وأخروا الصلاة ثم يقضونها وتفصيل هذه الأقسام مبينة عند أرباب المذاهب (قوله وتأخر طائفة) أى بازاء العدو (قوله أى صلوا) أى شرعوا في الصلاة (قوله طائفة أخرى) أى وهى الواقعة تجاه العدو (قوله فليصلوا معك) أى صلاة ثانية أو يجمعوا معك الصلاة الأولى (قوله وليأخذوا حذرهم وأسأحتهم) إنما زاد هنا الأمر بالحذر لكونها مظنة تنبيه الكفرة على تلك الطائفة ، وأما في الطائفة الأولى فلم ينبهوا لهم (قوله بيطن نخل) سببه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى مع أصحابه جميعاً الظهر فتنبه المشركون ، وقال بعضهم لبعض إنما ننظر بهم في أوقات الصلاة ونحزب المشركون على ذلك فنزل جبريل على رسول الله بالآية وعلمه صلاة القسمة ففعلها في صلاة العصر وقد مشى المفسر على أن هذه الآية في صلاة بطن نخل وهو موضع من نجد إلى أرض غطفان بينه وبين المدينة يومان . وقال غيره إنها في صلاة أرض عسفان ، وقال آخرون إنها في ذات الرقاع (قوله وذال الذين كفروا الخ) سبب نزولها كما قال ابن عباس

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بني عمار وبنى أميار فزلا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فقال السيل بين رسول الله وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصره غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله إن لم أقتله ، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله إلا هو قائم على رأسه وقد سل سيفه من فمده ، وقال يا محمد من يمنعك مني الآن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال : اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت ، فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله به فأكب بوجهه من زلجة زلخها فندر السيف من يده ، فقام رسول الله وأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن ؟ فقال لا أحد ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ؟ فقال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله سيفه فقال غورث أنت خير مني ، فقال رسول الله أنا أحق بذلك منك فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا له وياك يا غورث ما منعك منه ، فقال والله لقد أهويت إليه بالسيف (٢٢٨) لاضر به به فوالله ما أدري من زلخني بين كفتي غررت لوجهي وذكر لهم حاه

مع رسول الله قال وسكن الوادي فقطع رسول الله الوادي إلى أصحابه وأخبرهم الخبر ، وقرأ هذه الآية . والزلجة : الدفصة (قوله لو تغفلون) أي غفلتكم (قوله فيمليون) أي يشتدون (قوله من مطر) أي لأنه يفسد بالماء (قوله أو كنتم مرضى) أي لاطاقة لكم على حمله (قوله فإذا قضيت الصلاة) أي صلاة الخوف : أي أي تمتموها على الوجه البين (قوله فاذكروا الله) الأمر لئلا تدب لأنه في الفضائل ، وقوله بالتهليل والتسبيح : أي والتحميد

لَوْ تَغْفُلُونَ) إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ (عَنْ أَسْلَحَتِكُمْ وَأَمْتَمَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً) بَأَنْ يَحْمِلُوا عَلَيْكُمْ فَيَأْخُذُوكُمْ وَهَذَا عِلَّةُ الْأَمْرِ بِأَخْذِ السَّلَاحِ (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضُمُوا أَسْلِحَتَكُمْ) فَلَا تَحْمِلُوهَا وَهَذَا يَفِيدُ إِجَابَ جَهَامَا عِنْدَ عَدَمِ الْمَذَرِ وَهُوَ أَحَدُ قَوْلَيْنِ لِلشَّافِعِيِّ ، وَالثَّانِي أَنَّهُ سَنَةٌ وَرَجَحَ (وَخُذُوا حِذْرَكُمْ) مِنَ الْعَدُوِّ أَيْ احْتَرِزُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ (إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) ذَا إِهَانَةٍ (فَإِذَا أَقَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ) فَرَغْتُمْ مِنْهَا (فَادْكُرُوا اللَّهَ) بِالْتَهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ (قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ) مُضْطَجِعِينَ أَيْ فِي كُلِّ حَالٍ (فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ) أَمْنْتُمْ (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) أَدْوَاهَا بِحَقْوَقِهَا (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا) مَكْتُوبًا أَيْ مَفْرُوضًا (مَوْقُوتًا) أَيْ مَقْدَرًا وَقْتَهَا فَلَا تُؤَخَّرُ عَنْهُ . وَنَزَلَ لِمَا بَثَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَائِفَةً فِي طَلَبِ أَبِي سَفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ لِمَا رَجَعُوا مِنْ أَحَدِ فَشَكُوا الْجَرَاحَاتِ (وَلَا تَهِنُوا) تَضَعُوا (فِي ابْتِغَاءِ) طَلَبِ (الْقَوْمِ) الْكَفَّارِ لِقَاتِلَانِهِمْ (إِنْ تَكُونُوا تَأْلُفُونَ) تَجِدُونَ أَلَمَ الْجَرَاحِ (فَإِنَّهُمْ يَأْلُفُونَ كَمَا تَأْلُفُونَ) أَيْ مِثْلَكُمْ وَلَا يَجْنِبُوا عَنْ قِتَالِكُمْ (وَتَرْجُونَ) أَتُمْ (مِنَ اللَّهِ) مِنَ النَّصْرِ وَالثَّوَابِ عَلَيْهِ (مَالًا يَرْجُونَ) هَمْ ، فَأَنْتُمْ تَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا أَرْغَبَ مِنْهُمْ فِيهِ (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بِكُلِّ شَيْءٍ (حَكِيمًا) فِي صَنْعِهِ .

والتكبير (قوله في كل حال) أي فالمراد من قوله قياما وقعودا وعلى جنوبكم عموم وسرق الأحوال (قوله فأقيموا الصلاة) أي التي دخل وقتها حينئذ ومعنى إقامتها أداؤها بالشروط والأركان (قوله مقدرا وقتها) أي مفروضا وقتا بعه وقت (قوله لما بث) المناسب أن يقول لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر من حضر بالخروج لطلب أبي سفيان وأصحابه ، وقوله طائفة : أي وهي جميع من حضر أحدا من المؤمنين الخالصين وكانوا ستائة وثلاثين (قوله لما رجعوا من أحد) أي فرغوا من وقتها والضمير عائذ على الصحابة حينئذهم أبو سفيان وتساور مع أصحابه في العود إلى المدينة ليستأصلوا المسلمين فبلغ ذلك رسول الله فنادى في اليوم الثاني من وقعة أحد ليخرج من كان معنا بالأمس ولا يخرج معنا غيرهم فخرجوا حتى بلغوا إلى حمراء الأسد وتقدم ذلك في آل عمران (قوله ولا تهنوا) الجمهور على كسر الهاء وقرئ شدودا بفتحها من وهن بالكسر أو الفتح (قوله في ابتغاء القوم) أي قتالهم (قوله إن تكونوا تألفون) تعليل للنهي وتشجيع لهم ، والمعنى ليس الألف مختصا بكم بل هم كذلك (قوله ولا يجنبوا) المناسب يجنبون بالتون إلا أن يقال حذفت تخفيفا (قوله والثواب عليه) أي على الجهاد فانكم تقاتلون في سبيل الله وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت فأنتم أحق بالشجاعة والتقدم عليهم .

(قوله وسرق طعمة) بثلبث الطاء والكسر أفصح وأبهرق بضم الميمزة وفتح الباء بعدها راء مكسورة تصغير أبق وطعمة من الأنصار من بني ظفر سرق الدرع من دار جاره قتادة وكان في جراب فيه دقيق فصار الدقيق يفتأثر منه فانهم طعمة بها بخلف كاذبا أنه ما أخذها وماله بها علم وكان ودعها عند يهودى يقال له زيد بن السمين ، فقال أصحاب الدرع تنبع أثر الدقيق فذهبوا حتى وصل إلى دار اليهودى فأخبر أنه ودعه عنده طعمة وشهد به قومه ، فقال قوم طعمة نذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشهد أن اليهودى هو السارق فذهبوا وشهدوا زورا ولم يظهروا زورا ولم يظهروا صلى الله عليه وسلم قاذح فيهم فهم بقطع اليهودى فنزلت الآية فأراد أن يقطع طعمة فهرب إلى مكة وارثا فنقب حائطا ليسرق متاع أهله فوقع عليه فمات مرتدا (قوله وخباها) أى الدرع (قوله عند يهودى) أى واسمه زيد بن السمين (قوله متعلق بأنزل) أى على أنه حال منه (قوله لتحكم) متعلق بأنزلنا (قوله بما أراك) رأى عرفانية تتعدى بالهمزة لمفعولين الكاف (٢٢٩) مفعول أول والمفعول الثانى

محذوف تقديره إياه إذا علمت ذلك فالمناسب للفسر أن يقول عرفك (قوله للعاثين) اللام للتعليل ومفعول خبا محذوف تقديره شخصا بريئا فاللام على بابها لا بمعنى عن فقول المفسر محاصبا عنهم إيضاح للمعنى (قوله بما هممت به) أى من القضاء على اليهودى فانه ذنب صورة على حد وعصى آدم ربه فغوى فهو من باب حسنات الأبرار سيئات القربين (قوله عن الذين يختانون) أى كطعمة وقومه العيين فانهم شركاء في اللام (قوله من كان خوانا) صيغة مبالغة بمعنى كثير الحيانة

وسرق طعمة بن أبق درعا وخباها عند يهودى فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف إنه ماسرقها فسأل قومه النبي صلى الله عليه وسلم أنه يجادل عنه ويبرئه فنزل (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ) أعلمك (الله) فيه (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ) كطعمة (خَصِيماً) محاصبا عنهم (وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ) مما هممت به (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) . وَلَا يُجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ (يَخُونُهَا بِالْمَعَاصِي لِأَن وَبَالَ خِيانتِهِمْ عَلَيْهِمْ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا) كثير الخيانة (أُثِمًا) أى يعاقبه (يَسْتَخْفُونَ) أى طعمة وقومه حياء (مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ) بعله (إِذْ يُبَيِّتُونَ) يضررون (مَالًا يَرَوْنَهُ مِنَ الْقَوْلِ) من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمى اليهودى بها (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ مُحِيطًا) علما (هَآأَنْتُمْ) يا (هُوَ) لآء) خطاب لقوم طعمة (جَادَلْتُمْ) خاضتم (عَنْهُمْ) أى عن طعمة وذويه وقرى عنه (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فَن يُجَادِلُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) إذا عذبهم (أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) يتولى أمرهم ويذنب عنهم؟ أى لا أحد يفعل ذلك (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا) ذنبًا يسوء به غيره كرمى طعمة اليهودى (أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ) بعمل ذنب قاصر عليه (ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ) منه أى يتب (يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا) له (رَحِيمًا) به (وَمَنْ يَكْذِبْ إِنْمَاءً) ذنبًا (فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ) لأن وباله عليها ولا يضر غيره (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) فى صنعه (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً) ذنبًا صغيرًا (أَوْ إِنْمَاءً) ذنبًا كبيرًا ،

لأنه وقعت منهم خيانات كثيرة أولا السرقة ثم اتهم اليهودى ثم الحلف كاذبا ثم الشهادة زورا . إن قلت إن مقتضى الآية أن الله يحب من كان عنده أصل الحيانة مع أنه ليس كذلك . أجيب بأن ذلك بالنظر لمن نزلت فيهم وهو طعمة وقومه فالواقع أن عندهم خيانات كثيرة (قوله أى يعاقبه) تفسير لعدم محبة الله له (قوله يستخفون) أى يطلبون الخفاء والستر وهذه الجملة مستأنفة بيان لطبهم الستر من الناس (قوله وهو معهم) الجملة حالية (قوله يضررون) هذا هو المراد من التبييت هنا وإلا فهو فى الأصل تدبير الأمر ليلا (قوله علما) تمييز محول عن الفاعل (قوله هآأنتم) ها للتنبيه : أى تفتبوا يا مخاطبون فى المجادلة عن السارق (قوله وقرى) أى شذوذا (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله ومن يعمل سوءا) حث وتحريض نطعمة على التوبة ومع ذلك لم يتب (قوله اليهودى) مفعول لرمى وطعمة فاعله (قوله قاصر عليه) كاليمين الكاذبة (قوله أى يتب) المراد التوبة الصادقة بشرطها فليس المراد مجرد الاستغفار باللسان مع الإصرار فانه توبة الكذابين (قوله ذنبا) أى متعلقا به أو بغيره (قوله ولا يضر غيره) إن قلت إن معصية طعمة أصابت قومه فضررتهم . أجيب بأن ضررهم إنما جاء من كبرهم لمعاذتهم له

وشهادتهم الزور معه وعمرهم على الحلف كذبا (قوله ثم يرم به) أى بالخطيئة والاثم وإنما أفرد الضمير لأن العطف بأو (قوله بريئا) صفة لموصوف محذوف : أى شخصا بريئا (قوله ولولا فضل الله الخ) جوابها قوله لهمت . واستشكل بأن الهم قد وقع منهم ولما أخذ من لولا أنه لم يقع لوجود فضل الله ورحمته . وأجيب بأن المراد من يحصل معه الاضلال ، فإحدى اتقى إضلالك الذى هو إياه لوجود فضل الله ورحمته (قوله بالعصمة) أى الحفظ من المعاصى والمخالفات صغيرها وكبيرها (قوله زائدة) أى فى مفعول يضرونك المطابق (قوله والغيب) أى علم الغيب وهو ما غاب عنا (قوله بذلك) أى بأزال الكتاب والحكمة وتعليمه مالم يكن يعلم ، وقوله وغيره : أى كالفوائد التى اختص بها مما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى (قوله لا خير فى كثير) لا نافية للجنس وخير اسمها وفى كثير متعلق بمحذوف خبرها ، وقوله من نجومهم متعلق بمحذوف حال من متعلق الخبر (قوله أى الناس) أشار بذلك إلى أن الآية عامة وليست مخصوصة بقوم طعمة المتكلم (قوله أى ما يتناجون فيه ويتحدثون) أشار بذلك إلى أن معنى النجوى المحادثة من بعض القوم لبعض اثنان ففوق . قال تعالى - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم - الآية . والنجوى ضد السر وهو محادثة الإنسان نفسه وعطف قوله يتحدثون على يتناجون للتفسير (قوله إلا من أمر) يحتمل أنه استثناء منقطع إن أبقينا الكلام على ظاهره لأن المستثنى الشخص والمستثنى منه الكلام ولا شك أنه غيره ويحتمل أنه متصل وهو على حذف مضاف وإليه يشير المفسر بقوله إلا بنجوى الخ (قوله بصدقة) (٢٣٠) أى واجبة أو مندوبة (قوله أو معروف) المراد به كل طاعة لله فيدخل فيه جميع

أعمال البر فهو من عطف العام على الخاص ، وقوله أو إصلاح بين الناس معطوف على قوله أو معروف من عطف الخاص على العام اعتناء شأنه واهتماما به وإنما خست الثلاثة لأن الأمر الرضى لله إما إيصال نفع وهو إما جسمانى أو روحانى فلا أول كالصدقات والثانى كالأمر بالمعروف أو دفع ضرر كالإصلاح بين الناس

(ثُمَّ يَرْمِيهِ بِرِيئًا) مِنْهُ (فَقَدْ اخْتَمَلَ) تَحْمِلَ (بُهْتَانًا) بِرَمِيهِ (وَلِنَّمَا مُبِينًا) يَبَيِّنًا بِكُسْبِهِ (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ) يَا مُحَمَّدُ (وَرَحْمَتُهُ) بِالْعَصْمَةِ (لَهَمْتُ) أَضْمَرْتُ (طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) مِنْ قَوْمِ طَعْمَةٍ (أَنْ يُضِلُّوكَ) عَنِ الْقَضَاءِ بِالْحَقِّ بِتَلْيِيسِهِمْ عَلَيْكَ (وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصْرِوْكَ مِنْ زَائِدَةٍ شَيْءٍ) لِأَنَّ وَبِالْإِضْلَالِ عَلَيْهِمْ (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) الْقُرْآنَ (وَالْحِكْمَةَ) مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ) مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْغَيْبِ (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ) بِذَلِكَ وَغَيْرِهِ (عَظِيمًا) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ) أَيْ النَّاسِ ، أَيْ مَا يَتَنَاجَوْنَ فِيهِ وَيَتَحَدَّثُونَ (إِلَّا) نَجْوَى (مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ) عَمَلُ بَرٍّ (أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) الْمَذْكُورَ (ابْتِغَاءً) طَلَبَ (مَرْضَاتِ اللَّهِ) لَا غَيْرَهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا (فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ) بِالنُّونِ وَالْيَاءِ أَيْ اللَّهُ (أَجْرًا عَظِيمًا) وَمَنْ يُشَاقِقِ (يَخَالَفُ) (السُّؤْلَ) فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى) ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ بِالْمَعْجَزَاتِ

(و يفتح)

لأن المفسد مترتبة على التشاحن وبالاصلاح يحصل الخير والبركة ودفع الشرور ولذا حدث عليه

صلى الله عليه وسلم بقوله « أمش ميلاعد مريضاهش ميلين أصاح بين اثنين » وبالجملة فكثرة الكلام لا خير فيها . قال بعضهم من كثر لفظه كثر سقطه ، وفى الحديث « وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » (قوله ومن يفعل ذلك) اسم الإشارة عائد على الثلاثة وإنما أفرد لأن العطف بأو . إن قات مقتضى السياق ومن أمر بذلك ؟ أجيب بأن هذا راجع للمأمر به فاسم الإشارة عائد على للمأمر به تقديره ومن يفعل للمأمر به من صدقة أو معروف أو إصلاح فاستفيد من الآية أولا وآخرا ثواب الأمر والفاعل ، وفى الحديث « الدال على الخير كفاعله » . وأجيب أيضا بأنه عبر عن الأمر بالفعل لأنه فعل لسانى والأقرب الأول (قوله لا غيره من أمور الدنيا) أى لأن ثواب الأعمال الصالحة منوط بالإخلاص كان من الأمر أو الفاعل فلو كان الفعل أو الأمر رياء وسمعة أو لفرض دينوى لم يستحق عند الله أجرا (قوله بالنون والياء) أى فهما قرأتان سبعيتان وفى قراءة النون التفات من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله أجرا عظيما) أى وهو الجنة وما فيها . قال تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وفى التعبير بسوف إشارة إلى أن جزاء الأعمال الصالحة فى الآخرة لا الدنيا لأنها ليست دار جزاء بل عطاء الدنيا لكل من وجد فيها أطاع أو عصى كافأ لا (قوله ومن يشاقق الرسول الخ) لما ذكر سبحانه وتعالى الطيعين وما أعد لهم فى الآخرة ذكر وعيد الكفار وعاقبة أمرهم على عادته سبحانه فى كتابه (قوله فيما جاء به من الحق) أى من الأمور التكليفية والأحكام الشرعية .

(قوله ويشتع) عطف لازم على ملزوم (قوله أى طريقهم) أى اعتقاداً وعملاً (قوله قوله) هو ونصه إمامسون الهاء أو كسرهما بدون إشباع وهو المسمى بالاختلاس أو بالإشباع فالقراآت ثلاث وكلها سبعة (قوله بأن نخلى بينه) أى الشائق وقوله وبينه أى الضلال ، والمعنى أن من خالف ما أمر الله به فإن الله يستدرجه بالنم ويجهل ولا يعجل عقوبته قال تعالى : قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا الآية (قوله وساءت مصيراً) ساء كبئس للذم فأعلها مستتر وجوباً يعود على جهنم ومصيراً تمييزاً الخصوص بالذم محذوف قدره للمفسر بقوله هي (قوله أن يشرك به) أى إذا مات على ذلك لقوله تعالى : قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (قوله لمن يشاء) أى إن مات من غير توبة (قوله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) أى فالشرك أعظم أنواع الضلال . إن قات قد قال فيها سبق فقد افترى إنما عظمها وهنا فقد ضلّ ضلالاً بعيداً فما الحكمة في ذلك ؟ . قلت إن ما تقدم في شأن أهل الكتاب وهم عندهم علم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق وإنما كفرهم عناد فسباه الله افتراء أى كذباً وما هنا في شأن مشركي العرب وهم ليس لهم علم بذلك إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ فلذا سباه الله ضلالاً بعيداً (قوله إن يدعون) هذا كالدليل والتعليل لقوله : إن الله لا يغفر أن يشرك به (٢٣١) (قوله ما يدعون) أشار بذلك إلى أن

إن نافية بمعنى ما (قوله يعبد المشركون) أطلق الدعاء على العبادة لأنه منها وكثيراً ما يطلق الدعاء عليها (قوله أصناماً مؤنثة) أى لتأنيث أنبائها ورد : أنه مامن مشرك إلا وكان له صنم قد سماه باسم أثني من العرب وحلله بأنواع الحلي وكانوا يقولون هم بنات الله (قوله كاللات والعزى ومناة) اللات مأخوذ من إله والعزى من العزيز ومناة من المنان فاقطعوا وسوا

(وَيَتَّبِعْ) طريقاً (غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) أى طريقهم الذى هم عليه من الدين بأن يكفر (نُؤْلَهُ مَا تَوَلَّى) نجعله ولما لما تولاه من الضلال بأن نخلى بينه وبينه في الدنيا (وَنُضْلِهِ) ندخله في الآخرة (جَهَنَّمَ) فيحترق فيها (وَسَاءَتْ مَصِيرًا) مرجعاً هي (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الحق (إِنْ) ما (يَدْعُونَ) يعبد المشركون (مِنْ دُونِهِ) أى الله أى غيره (إِلَّا إِنْ شَاءَ) أصناماً مؤنثة كاللات والعزى ومناة (وَإِنْ) ما (يَدْعُونَ) يعبدون بعبادتها (إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا) خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس (لَعَنَهُ اللَّهُ) أبغده عن رحمته (وَقَالَ) أى الشيطان (لَا تَخْذَنْ لِي أُجُوعًا لِي (مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا) حظاً (مَفْرُوضًا) مقطوعاً أدعوم إلى طاعتي (وَلَا أَضِلَّنَّهُمْ) عن الحق بالسوسة (وَلَا مَنِّينَهُمْ) أتقى في قلوبهم طول الحياة وأن لا يبعث ولا حساب (وَلَا مَرُسَهُمْ فَلَئِنْ يَسْتَكْبَرُوا يَمُوتُوا) يقطعن (آذَانَ الْأَنْعَامِ) وقد فعل ذلك بالبحائر (وَلَا مَرُسَهُمْ فَلَئِنْ يَسْتَكْبَرُوا يَمُوتُوا) دينه بالكفر وإحلال ما حرم وتحريم ما أحل (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا) يتولاه ويطيعه (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (فَتَكُنْ خَسِرًا ،

بها أصنامهم (قوله بعبادتها) الباء سببية أى فالمسؤول لهم على عبادتها الشيطان فعبادتها لازمة لعبادة الشيطان لأنه يحضر عندهم فهم في الصورة يعبدون الأصنام وفي الحقيقة العبادة للشيطان (قوله مریداً) أى منبرداً بمعنى بلغ الغاية في العتو والفجور لخرجه عن طاعة ربه حتى أمر الناس بعبادة غير الله (قوله لعنه الله) صفة ثانية للشيطان (قوله عن رحمته) أى جنته وما فيها (قوله وقال الخ) الجملة إما صفة للشيطان أو حال منه أى ما يدعون إلا الشيطاناً موصوفاً بكونه مریداً . وبكونه مطروداً عن رحمته . وبكونه قائلاً أو حال كونه قائلاً وهذا القول قد وقع منه عند قول الله تعالى : يا خذ الخ . إنك من الصاغرين (قوله نصيباً مفروضاً) ورد أنهم تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف لما في الحديث « ما أتم فيمن سواكم إلا كالشجرة البيضاء في الثور الأسود » وورد « أن يوم القيامة يقول الله لآدم أخرج من ذريتك بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك تشيب الأطفال من شدة الهول » (قوله ولأضلنهم عن الحق) أى أميلن قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد (قوله وقد فعل ذلك البحائر) جمع بحيرة وهى أن تله الناقة أربعة بطون وتأتى في الخامس بذكر فكانوا لا يحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويجمعون لبنها للظواغيت ويشقون آذانها علامة على ذلك (قوله فليغيرن خلق الله) أى ما خلقه ومن ذلك تغيير صفات نبينا الواقع من اليهود والنصارى وتغيير كتبهم ومن ذلك تغيير الجسم بالوشم وتغيير الشعر بالوصل لما في الحديث « لعن الله الواشمه والمستوشمة

والواصله والمستوصله (قوله خسرا مينا) أى ثلث ضيع رأس ماله وفى طاعة الله وعبادته (قوله لإعرورا) أى مزين أظفار
فاسد الباطن (قوله أولئك) أى أولياء الشيطان (قوله معدلا) أى منفذا ومهربا (قوله والذين آمنوا) بيان لوعده المؤمنين إثر
بيان وعيد الكفار (قوله أى وعدهم الله ذلك وعدا) أشار بذلك إلى أن وعدا وحقا منصوبان بضمين محذوفين من لفظهما
ويصح أن يكون حقا صفة لوعدا (قوله أى لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى التثنية وهو كالدليل لما قبله
(قوله لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب) أى حيث قال المسلمون نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضى على سائر الكتب ونحن
أمانا بكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم وقال أهل الكتاب كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن أولى منكم
وقيل سبب نزول الآية افتخار أهل الكتاب ومشركى العرب وعليه فلا يحتاج لتأويل فى قوله يحجزه بل يعمل الجزاء لكل
من الفريقين على الخلود فى النار (قوله ليس الأمر منوطا) أشار بذلك إلى أن اسم ليس ضمير عائذ على الأمر وقوله بأمانىكم
متعلق بمحذوف خبرها أى منوطا بمعنى متعلقا ومرتبنا (قوله من يعمل سوءا) أى من مؤمن وكافر (قوله إما فى الآخرة)
أى وهو محتم فى حق من مات كافرا ، وأما من مات عاصيا ولم يقب فتحت المشيئة (قوله كما ورد فى الحديث) أى وهو أن
أبا بكر لما نزلت قال « يا رسول الله (٢٣٢) وأينالم يعمل سوء وإنا لجزيون بكل سوء عملناه ؟ فقال صلى الله

عليه وسلم أما أنت
وأصحابك المؤمنون
فتجزون بذلك فى الدنيا
حق تلقوا الله وليس
عليكم ذنوب ، وأما
الآخرون فيجتمع لهم ذلك
حتى يحجزوا به يوم
القيامة ، وفى رواية قال
أبو بكر : فمن ينجو مع
هذا ؟ فقال عليه الصلاة
والسلام أما تعرض أو
يصيبك البلاء قال بلى
قال هوذلك (قوله ومن
يعمل) هذا مقابل قوله

خُسْرَانًا مُبِينًا) بينا لمصيره إلى النار المؤبدة عليه (يَعِدُهُمْ) طول العمر (وَيُمَيِّنُهُمْ) نيل الآمال
فى الدنيا وأن لا يبعث ولا جزاء (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ) بذلك (إِلَّا غُرُورًا) باطلا (وَأُولَئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا) معدلا (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) أى وعدم الله ذلك وعدا وحقه
حقا (وَمَنْ) أى لا أحد (أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) أى تولا . ونزل لما افتخر المسلمون وأهل
الكتاب (لَيْسَ) الأمر منوطا (بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ) بالعمل الصالح (مَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) إما فى الآخرة أو فى الدنيا بالبلاء والحن كما ورد فى الحديث (وَلَا يَجِدْ
لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (وَلِيًّا) يحفظه (وَلَا نَصِيرًا) يمنعه منه (وَمَنْ يَعْمَلْ) شيئا (مِنْ
الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى) وهو مؤمن فأولئك يَدْخُلُونَ بالبناء للفعول والفاعل (الْجَنَّةَ
وَلَا يَظْلَمُونَ نَقِيرًا) قدر قررة النواة (وَمَنْ) لا أحد (أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ) أى
انقاد وأخلص عمله (لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد ،

(وأتبع

- من يعمل سوءا يحجزه - (قوله شيئا) أشار بذلك إلى أن من للتبعض

لأنه لا يمكن استيفاء جميع الأعمال الصالحة (قوله من الصالحات) الجار والمجرور متعلق بشيئا الذى قدره المفسر (قوله من ذكر
أو أنثى) حال من الضمير فى يعمل وكذا قوله وهو مؤمن ، وأما الكافر فأعماله الصالحة ضائعة قال تعالى : وقد مننا إلى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا (قوله فأولئك) هذه الجملة جواب الشرط (قوله بالبناء للفعول) أى والجنة مفعول ثان والواو نائب
الفاعل مفعول أول لأنه من أدخل الرباعى فهو ينصب مفعولين وقوله والفاعل أى من دخل فهو ينصب مفعولا واحدا ثمفعوله
الجنة والواو فاعله وهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا يظلمون نقيرا) أى لا ينقصون شيئا أبدا لا قليلا ولا كثيرا ، ويؤخذ من
الآية أن جزاء الأعمال الصالحة فى الآخرة ، وأما النعم التى يعطاها المؤمن فى الدنيا من عافية ورزق وغير ذلك فليست جزاء لأعماله
الصالحة بل تكفل الله بها لكل حتى فى الدنيا مسلما أو كافرا بل بعض العبيد من أهل المحبة فى الله لا ينتظر بعمله الجنة بل يقول
إنما عبدناك لئلا تبنى آخر . قال العارف ابن الفارض حين كشف له عن الجنة وما أعد له فيها فى مرض موته :

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ماقد رأيت فقد ضيعت أياى

(قوله أى لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى التثنية (قوله ممن أسلم وجهه) أى نفسه وذاته وعبر عنها
بالوجه لأنه أشرف أعضاء الانسان (قوله وهو محسن) الجملة حال من ضمير أسلم .

(قوله وأتبع) إما عطف لازم على ملزوم أو صلة على معلول أو حال ثانية ، والقصد بذلك إقامة الحجة على المشركين جميعا في عدم اتباعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لأن إبراهيم متفق على مدحه حتى من اليهود والنصارى فالله ما تقولون فيمن أتبع ملة إبراهيم يقولون لأحد أحسن منه فيقال لهم إن محمدا على ملة إبراهيم فلم لم تتبعوه وتركوا ما أتم عليه من عبادة غير الله (قوله حال) أى إما من ضمير أتبع أو من إبراهيم واصحة هذين المعنيين أجمل للفسر في الحال (قوله خالص المحبة له) أى لم يجعل في قلبه غير محبة ربه لتخالها في حشاشته وانطباعها في مهبته وقوله : واتخذ الله إبراهيم خليلا كالدليل لما قبله أى من اتخذ الله خليلا فهو جدبر بأن تتبع ملته (قوله والله ما في السموات وما في الأرض) هذا دليل لما تقدم أى حيث كانت السموات وما فيها والأرض وما فيها لله وحده ولا مشارك له في شئ من ذلك لما معنى إشراك من لا يملك لنفسه شيئا مع من له جميع المخلوقات وهو آخذ بناصيتها ، وقيل أتى بهذه الآية دفعا لما يتوهم أن اتخاذ إبراهيم خليلا عن احتياج كما هو شأن الآدميين بل ذلك من فضله وكرمه (قوله علما وقدره) أشار بذلك لقولين في تفسير قوله محيطا قيل علما وقيل قدرة وكل صحيح (قوله أى لم يزل) أشار بذلك إلى أن كان للاستمرار لا للانقطاع (قوله يطلبون منك الفتوى) أى بيان ما حكم الله به في شأنهن والفتوى بالواو فتفتح الفاء وبالياء فتضم وجمعها فتاوى بكسر الواو ويجوز الفتح للخفة (قوله في شأن النساء) أى ما يتعلق بهن من دفع المهر لهن وعدم إيدائهن (قوله وميراثهن) عطف خاص ردا على من كان يمنع من الجاهلية (قوله يفتيكم) أى يبين لكم تلك الأحكام (قوله وما يتلى عليكم) يحتمل أن مامعطوف على لفظ الجلالة أو على الضمير المستتر في يفتيكم والفصل موجود وهو الكاف لقول ابن مالك : وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل (٢٣٣) أو فاصل ما ، وعلى كل فيكون الفاعل اثنين ، الله سبحانه وتعالى وكتابه

(وَأَتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) الموافقة لملة الاسلام (حَنِيفًا) حال أى مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) صفيًا خالص المحبة له (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخالقا وعبدا (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا) علما وقدره أى لم يزل متصفا بذلك (وَيَسْتَفْتُونَكَ) يطلبون منك الفتوى (فِي) شأن (النِّسَاءِ) وميراثهن (قُلْ) لهم (اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ) القرآن من آية الميراث ويفتيكم أيضا (فِي يَتَامَى النَّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُولَدُوهُنَّ مَا كُتِبَ) فرض (لَهُنَّ) من الميراث (وَتَرْغُبُونَ) أيها الأولياء عن (أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) ،

الآيات وكذلك الوصية التي تقدمت في أوائل السورة كقوله : وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تنكحوهن شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فالمناسب للفسر أن لا يقتصر على آية الميراث (قوله ويفتيكم أيضا) أشار بذلك إلى أن قوله في يتامى النساء متعلق بمحذوف معطوف على الضمير في قوله فيهن والعاطف محذوف ، التقدير الله وكتابه يفتيكم في شأن النساء عموما والله وكتابه يفتيكم في يتامى النساء فهو من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بشأنهن (قوله في يتامى النساء) الإضافة على معنى من أى يتامى من النساء أو من إضافة الصفة للموصوف أى النساء يتامى (قوله من الميراث) أى وباقي الحقوق كالمهور (قوله عن أن تنكحوهن) معاروم أن حذف الجار مع أن وأن مطرد وإنما قدّر عن إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الزهد فتعدي بهن وبعضهم قدر في إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الحب والمعنى تحبون وترغبون في نكاحهن لما هنّ ولولا ذلك ما تزوجتموهن وهو مذموم أيضا بل الواجب فتوى الله فيهنّ فإن أكل مال اليتيم فيه الوعيد الشديد فضلا عن كون اليتيم امرأة لا ناصر لها روى مسلم عن عائشة قالت : هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في حمالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يفسطوا لهنّ في إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهنّ قالت عائشة رضى الله عنها فاستفق الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل : ويستفتونك في النساء إلى قوله : وترغبون أن تنكحوهنّ ، فبين لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في إكمال الصداق وإذا كانت مرغوبا عنها في فقه المال والجمل تركوها والنسوا غيرها ، قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يفسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق وقد تقدم بسط ذلك أول السورة . [٣٠ - صاوى - أول]

(قوله لدمامتهن) أى فقرهن (قوله وتعاضوهن) أى تمنعهن وهذا التخويف للأولياء كما هو مقتضى المفسر وفى الحقيقة هو عام للأولياء ومن يتزوج بها فتخويف الولي من حيث عضلهن عن الزواج لأخذ المهرن وتخويف الزوج من حيث تزوجها لأخذ مالها أو بغير مهر مثلها وعدم إعطائها إياه وبالجملة فلا يجوز لولي ولا زوج أكل مال اليتيم ميراثاً أو مهراً (قوله والمستضعفين) معطوف على يتامى عطف عام على خاص (قوله من الولدان) أى ذكورا أو إناثا وكانوا فى الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقا ولا النساء وإنما كانوا يقولون لا نورث إلا من يحصى الحوزة ويذب عن الحرم فيحرمون المرأة والصبي (قوله وأن تقوموا لليتامى) معطوف على قوله فى يتامى من عطف العام أيضا ويصح نصبه باضمار فعل وهو الذى مشى عليه المفسر بقوله ويأمركم وهو خطاب للأولياء والحكام ، والمراد باليتامى مطلقا ذكورا أو إناثا (قوله من خير) بيان لما (قوله مرفوع بفعل يفسره خانت) أى فهو من باب الاشتغال ولا يصح جعله مبتدأ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقديرا ونظيره وإن أحد من الشركين استجارك (قوله خانت) الخوف توقع الأمر المكروه فقوله توقعت أى انتظرت (قوله زوجها) أى ويقال له سيد أيضا قال تعالى - وألفيا سيدها - والسيد والبعل مختصان بالرجل والزوج كما يطلق على الرجل يطلق على المرأة (قوله بترك مضاجعتها) الباء سببية والمراد بالترك التقايل (٢٣٤) من ذلك (قوله والتقصير فى نفقتها) أى التقليل منها مع كونه لم يكن

لدمامتهن وتعاضوهن أن يتزوجن طمعا فى ميراثهن ، أى يفتيككم أن لاتعملوا ذلك (و) فى (الْمُسْتَضْعَفِينَ) الصغار (مِنَ الْوِلْدَانِ) أن تعطوهم حقوقهم (و) بأمركم (أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) بالعدل فى الميراث والمهر (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) فيجازيكم به (وَأَنْ أَمْزَأَةً) مرفوع بفعل يفسره (خَافَتْ) توقعت (مِنْ بَعْلِهَا) زوجها (نَشُوزًا) ترفعا عليها بترك مضاجعتها والتقصير فى نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجل منها (أَوْ إِعْرَاضًا) عنها بوجهه (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَاحَا) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الصاد وفى قراءة يصلحا من أصلح (بَيْنَهُمَا صَلَاحًا) فى القسم والنفقة بأن تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك والإفلى الزوج أن يوفىها حقها أو يفارقها (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) من الفرقة والنشوز والاعراض ، قال تعالى فى بيان ما جبل عليه الإنسان (وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ) شدة البخل ، أى جبلت عليه فكانها حاضرت لا تغيب عنه والمعنى أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ،

ترك الحقوق الواجبة وإلا فصاحه بالمال على ترك الحقوق الواجبة يحرم عليه ولا يحل له أخذه مع أن الموضوع أنه لا جناح عليه ولا عليها فيه فتأمل (قوله وطموح عينه) أى تلقته ونظره إلى غيرها (قوله إلى أجل منها) أى ولو بحسب ما عنده (قوله أو إعراضا) معطوف على نشوزا ، والمراد بالاعراض عنها بوجه عدم البشاشة معها ولقاؤها بوجه عبوس

قال الشاهر : وللقدر عين لن تزال عبوسة وعين الرضا مصحوبة بالتبسم (قوله ولا جناح عليهما) أى لا إثم (وإن فى ذلك على المرأة إذا صالحته على ترك القسم أو النفقة أو الكسوة ولا على الرجل فى قبول ذلك منها ونفى الجناح عن الرجل ظاهر لأنه يأخذ منها شيئا فهو مظنة الجناح وأما نفى الجناح عن المرأة فمن حيث دفع ذلك لأنه ربما يقال إنه كالربا فإنه حرام على الدافع والآخذ (قوله فيه إدغام التاء) أى بعد قلبها صاد وتسكينها (قوله وفى قراءة يصلحا) أى وهى سبعية أيضا ، وقوله يصلحا مفعول مطلق على كلا القراءتين ويصح على القراءة الثانية جعله مفعولا به إن ضمن يصلحا معنى يوفقا ، وقوله بينهما حال ، من قوله صالحا لأنه نعت نكرة قدم عليها وأقحمه إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون ذلك الصلح سرا لا يطلع عليه إلا أهلها (قوله بأن تترك له شيئا) أى مما لها عليه من الحقوق كالنفقة والكسوة والمبيت (قوله فإن رضيت بذلك) جواب الشرط محذوف تقديره لزمها ذلك (قوله والصلح خير) هذه الجملة كالتى بعدها معترضة بين جملة التبرط الأولى والثانية ، وقوله خير اسم تفضيل والمفضل عليه محذوف قدره المفسر بقوله من الفرقة . لا يقال الفرقة لا خير فيها إلا أن يقال قد يكون فى الفرقة خير أيضا لكنه متوهم ، وأما خبرية الصلح فمحقة وقيل إنه ليس على باب بل المعنى الصلح خير من الخيور كما أن النشوز شر من الشرور (قوله وأحضرت الأنفس الشح) الأنفس نائب فاعل أحضرت مفعول أول والشح مفعول ثان ، والمعنى أحضرها الأنفس الشح أى جبلها عليه لئى تملكت الأنفس بشىء فلا ترجع عنه إلا بمشقة (قوله والمعنى) أى المراد من الآية وفى ذلك ترغيب فى الصلح وترك هوى النفس

(قوله عشرة النساء) قدره إشارة إلى أن مفعول تحسنوا محذوف (قوله بما تعملون) أى بعملكم مع النساء خيراً أو شراً (قوله في الحجة) أى والمحادثة والمضاجعة (قوله فلا تميلوا كل الليل) أى فلا تعرضوا كل الأعراض بل يلزمكم العدل في الليت وزكته حرام لما في الحديث « من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط » وأما الليل القاي إلى إحداها فلا حرج فيه ولذا قال عليه الصلاة والسلام « لا هم إن هذا قسمي فيما أملك فلا توأخذني فيما لا أملك » (قوله المال عليها) على بمعنى عن أى للمال عنها بمعنى البغوضة (قوله كالمعلقة) الكاف بمعنى مثل مفعول ثان لتذروا والماء مفعول أول لأنها إذا كانت بمعنى ترك تنصب مفعولين (قوله التي لا هي أيم) الأيم هي التي لا زوج لها كأن سبق لها زوج أولم تزوج أصلاً (قوله وإن يتفرقا) مقابل قوله فلا جناح عليهما أن يصالحا (قوله بأن يرزقها زوجها غيره) أى وإن كان لأحدهما (٢٣٥) عشق في الآخر يغنيه الله بأن يبرد قلبه من ذلك (قوله في

الفضل) متعلق بواسما
(قوله والله ما في السموات الخ) هذا كالملة والدليل لقوله وكان الله واسما حكماً (قوله فلا يضره كفركم) أى فليس أمرهم بالطاعة عن احتياج نزه الله عن أن يصل له نفع من طاعتهم أو ضرر من كفرهم وهذا هو جواب الشرط ، وقوله فإن الله ما في السموات وما في الأرض دليل الجواب (قوله إن يشأ يذهبكم) أى يستأصلكم بالمرّة ، وقوله ويأت بأخرين أى يقوم آخرين دفعه مكانكم (قوله من كان يريد ثواب الدنيا) جواب الشرط محذوف تقديره فقد ساء عمله وخاب نظره ، وقوله فعند الله ثواب الدنيا

(وَإِنْ تُحْسِنُوا) عشرة النساء (وَتَتَّقُوا) الجور عليهن (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم به (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا) نسوا (بَيْنَ النِّسَاءِ) في الحجة (وَلَوْ حَرَصْتُمْ) على ذلك (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ) إلى التي تحبونها في القسم والنفقة (فَتَذَرُوهَا) أى تتركوا المال عنها (كَالْمُعَلَّقَةِ) التي لا هي أيم ولا ذات بعل (وَإِنْ تُصْلِحُوا) بالعدل في القسم (وَتَتَّقُوا) الجور (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) لما في قلبكم من الميل (رَحِيمًا) بكم في ذلك (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا) أى الزوجان بالطلاق (يُنْفِ اللَّهُ كِلَا) عن صاحبه (مِنْ سَمَتِهِ) أى فضله بأن يرزقها زوجها غيره ويرزقه غيرها (وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا) خلقه في الفضل (حَكِيمًا) فيما دبره لهم (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (مِنْ قَبْلِكَ) أى اليهود والنصارى (وَأَيَّاكُمْ) يا أهل القرآن (أَنْ) أى بأن (اتَّقُوا اللَّهَ) خافوا عقابه بأن تطيعوه (وَ) قلنا لهم ولكم (إِنْ تَكْفُرُوا) بما وصيتم به (فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خلقاً وملكا وعبيداً فلا يضره كفركم (وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا) عن خلقه وعبادتهم (حَمِيدًا) محموداً في صمعه بهم (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) شهيداً بأن ما فيها له (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) يا أيها الناس وَيَأْتِ بِآخَرِينَ) بدلهم (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا) مَنْ كَانَ يُرِيدُ بعمله (ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) لمن أراد لا عند غيره فلم يطلب أحدهما الأخس وهلا طلب الأعلى باخلاصه له حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيمًا بَصِيرًا) بآيها الذين آمنوا كُونُوا قَوَّامِينَ) قَائِمِينَ (بِالْقِسْطِ) بالعدل (شُهَدَاءَ) بالحق (لِلَّهِ) ،

والآخرة مرتب على محذوف التقدير فلا يقصر نظره وطلبه على أحدهما فعند الله الخ (قوله لمن أراد) متعلق بقوله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وهذا معنى قوله تعالى - فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق - الآية (قوله وهلا طلب الاطى باخلاصه) أى فالواجب على المكلف أن لا يطلب بعمله الصالح إلا الآخرة لأن الدنيا مضمونة لكل حيوان (قوله يا أيها الذين آمنوا) قيل سبب نزولها أن غنيا وفقيرا اختصا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى أن الفقير لا يظلم النبي فنزلت الآية فالخطاب للنبي وأمه (قوله قَائِمِينَ) هذا بيان لأصل المادة والإفلا مراد مديمين القيام لأن صيغة المبالغة لا تتحقق إلا بالادوام على القيام بالقسط يقال قسط يقسط : جار وعدل ، والمراد هنا العدل بقرينة المقام ، وأما أقسط فعناه عدل لا غير واسم الفاعل من الأول قاسط ومن الثاني مقسط ، وقوله شهداء خبر ثان لكونوا والواو اسمها وقوامين خبر أول (قوله بالحق) أى لا بالباطل فلا تجوز الشهادة به ، وقوله لله أى لخص وجهه لا لفرض آخر .

قال تعالى - قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف - وخبر كان في الآية محذوف وهو متعلق اللام تقديره لم يكن الله سريدا ليغفر لهم والفعل منصوب بأن مضرة بعد هذه اللام لأنها لام الجحود والفعل في تأويل مصدر معمول لمريدا التقدير لم يكن الله سريدا غفران كفرهم (قوله بشر) البشارة في الأصل هي الخبر السار سمي بذلك لأنه يغير البشارة : أى الجنبه (قوله أخبر) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة هنا مطلق الاخبار وسماه بشارة تهكما بهم وإشارة إلى أن وعيدهم بالعذاب لا يخلف كما أن وعد المؤمن بالخبر لا يخلف وفي الكلام استعارة تبعية حيث شبهت النذارة بالبشارة واستعير اسم المشبه به للشبه واشتق من البشارة بشر بمعنى أندر والجامع التأثر في كل لأن من سمع الخبر الضار تأثر به ومن سمع الخبر السار تأثر به (قوله المنافقين) أى وهم الذين يسرون الكفر ويظهرون الاسلام . والنفاق قسمان : عملى واعتقادى ، فالعملى أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله « إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » والاعتقادى هو إظهار الاسلام وإخفاء الكفر (قوله أولياء) أى أصحابا يوالونهم ويستعزون بهم لزعمهم أن الكفار لهم اليد العليا وأن الاسلام سيهدم لقله أهلهم (قوله استفهام إنكارى) أى معنى النفي (قوله إلا أولياؤه) أى المؤمنون ، قال تعالى - ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون - (قوله وقد نزل عليكم) أى يأبى المؤمنون والذي نزل هو قوله تعالى - وإذا (٢٣٧) رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا

في حديث غيره - وهذا نزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهنئون به ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة صار اليهود يفعلون مثل المشركين وكان المنافقون يجالسون اليهم ويسمعون منهم الخوض ويستهنئون معهم ، فنهى الله تعالى المؤمنين عن مجالستهم والاعتقاد معهم (قوله بالبناء

(بَشَرٍ) أخبر يا محمد (الْمُنَافِقِينَ) بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا مؤلما هو عذاب النار (الَّذِينَ) بدل أو نعت للمنافقين (يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) لما يتوهمون فيهم من القوة (أَيَّبَتُّونَ) يطلبون (عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ) استفهام إنكارى أى لا يجدونها عندهم (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه (وَقَدْ تَزَلَّ) بالبناء للفاعل والمفعول (عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ) القرآن في سورة الأنعام (أَنَّ) مخففة واسمها محذوف أى أنه (إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ) أى الكافرين والمستهنئين (حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا) إن قدمت معهم (مِثْلَهُمْ) فى الاثم (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) كما اجتمعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء (الَّذِينَ) بدل من الذين قبله (يَتَرَبَّصُونَ) ينتظرون (بِكُمْ) الدوائر (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ) ظفر وغنيمة (مِنْ اللَّهِ قَالُوا) لكم (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) فى الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة (وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ) من الظفر عليكم (قَالُوا) لهم (أَلَمْ نَسْتَحْذِ

للفاعل) أى والفاعل ضمير يعود على الله تعالى وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعوله وهذا على كونه مشددا وقرى بالبناء للفاعل مخففا فإن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل وقوله والمفعول : أى مشددا وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل (قوله يكفر بها) أى إما من غير استهزاء وهو الواقع من المشركين واليهود أو مع الاستهزاء وهو الواقع من المنافقين (قوله أى كالمشركين واليهود وقوله والمستهنئين : أى وهم المنافقون وسماوا مستهنئين لقولهم إذا خلوا بشياطينهم إنا معكم إنما نحن مستهنئون (قوله فى حديث غيره) أى غير الحديث المتقدم من الكفر والاستهزاء (قوله إنكم إذا مشاهم) أى مشاركون لهم فى الاثم ، قال بعضهم :

وسمعت من عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به

فأنك عند سماع القبيح شريك لقائله فأنقبه

(قوله فى الاثم) أى كفرا أو غيره فالراضى بالكفر كافر والراضى بالحرم عاص وبالجملة فجليس الطائع مثله وجليس العاصى مثله (قوله إن الله جامع المنافقين الخ) هذا كالعلة والدليل لقوله إنكم إذا مشاهم (قوله من الذين قبله) أى وهو قوله الذين يتخذون الكافرين أولياء والأحسن أنه نمت ثان للمنافقين (قوله فان كان لكم فتح) أى بأن كانت الغلبة للمؤمنين والخذلان للكفار (قوله من الظفر عليكم) أى كما وقع فى أحد (قوله ألم نستحوذ) الاستحواذ الاقتدار والاستيلاء .

(قوله فأقينا عليكم) أى رفقنا بكم ورحمناكم (قوله فلنا عليكم المنة) أى فأعطونا نصيبا من الدنيا فهم لاحظ لهم خبر أخذ المال (قوله بالاستئصال) دفع بذلك ما يقال إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا . فأجاب المفسر بأن معنى ذلك أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين . ويجب أيضا بأن المراد في القيامة فلا يظالبونا بنبي . يوم القيامة أو المراد سبيلا بالشرع فإن شريعة الاسلام ظاهرة إلى يوم القيامة فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم وليس له أن يملك عبدا مسلما ولا يقتل المسلم بالدمى (قوله يخادعون الله) أى رسوله وهذا بيان لبعض قبائحهم (قوله باظهارهم خلاف ما أبطنوه) أى من إظهار الإيمان وإخفاء الكفر (قوله فيفتضحون في الدنيا) أى ويفتضحون في الآخرة أيضا لما روى أنه يوم القيامة حين يمتاز الكفار من المؤمنين تبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيتجلى الله لهم فيخزل المؤمنون سجدا والنافقون يصيرونهم طبعا فلا يستطيعون السجود وروى أنهم يهطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون (٢٣٨) فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين

انظرونا نقبس من نوركم وهو معنى قوله تعالى - يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا فنقبس من نوركم - الآية (قوله كسالى) أى لعدم الداعية في قلوبهم وهو نصب على الحال والكسل الفسور والتواني وقوله يراءون الناس أى النبي وأصحابه ، والمعنى أنهم يصدون بصلاتهم النجاة من النبي وأصحابه والجملة حال من كسالى (قوله يصلون) إنما سميت الصلاة ذكر الأنهما اشتملت عليه (قوله مذبذبين) حال من فاعل يراءون وحقيقة المذبذب ما يذب ويُدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى وقد أفاده المفسر

نستول (عليكم) وتقدر على أخذكم وقتلكم فأقينا عليكم (و) ألم (تمنعكم من المؤمنين) أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة قال تعالى (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) وبينهم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) طريقا بالاستئصال (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ) باظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية (وَهُوَ خَادِعُهُمْ) مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويماقبون في الآخرة (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ) مع المؤمنين (قَامُوا كَسَالَى) متثاقلين (يُرَاءُونَ النَّاسَ) بصلاتهم (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ) يصلون (إِلَّا قَلِيلًا) رياء (مُذَبِّذِينَ) مترددين (بَيْنَ ذَلِكَ) الكفر والإيمان (لَا) منسويين (إِلَى هَؤُلَاءِ) أى الكفار (وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ) أى المؤمنين (وَمَنْ يَضِلَّ) (اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) طريقا إلى الهدى (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْمَعُوا لِلَّهِ عَلَيْهِمْ) بمواليتهم (سُلْطَانًا مُبِينًا) برهانا بينا على نفاقكم (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ) المكان (الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) وهو قعرها (وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) مانعا من العذاب (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) من النفاق (وَأَصْحَابُوا) علمهم (وَأَعْتَصَمُوا) وثقوا (بِاللَّهِ) وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ (من الرياء) (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) فيها يؤتونه (وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) في الآخرة هو الجنة (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ) نعمه ،

بقوله مترددين (قوله لا إلى هؤلاء الخ) متعلق في الوضعين بمحذوف حال من مذبذبين قدره المفسر (وآمنتم)

بقوله منسويين (قوله أى الكفار) أى فيقتلون ويترتب عليهم أحكامه وقوله أى المؤمنين أى فينجون في الدنيا والآخرة (قوله يأتينا الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين الخاص (قوله لاتتخذوا الكافرين) أى كما فعل المنافقون فترتب عليه الوعيد العظيم فاحذروا ذلك (قوله أريدون) الاستفهام إنكارى بمعنى النفي أى لا يريدون ذلك (قوله في الدرك الأسفل) الدرجات بالكاف منازل أهل النار والدرجات بالجيم منازل أهل الجنة (قوله وهو قعرها) أى لأنها سبع طبقات العليا لصاة المؤمنين وتسمى جهنم والثانية لظى للنصارى والثالثة الحطمة لليهود والرابعة السعير للصابئين والخامسة سقر للجوس والسادسة الجعيم للعشركين والسابعة الهاوية للمنافقين وفرعون وجنوده لقوله تعالى - أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - (قوله إلا الذين) استثناء من قوله إن المنافقين (قوله ما يفعل الله بعذابكم) ما استفهامية والباء سببية والاستفهام إنكارى بمعنى النفي : أى لا يفعل بعذابكم شيئا حيث حسفت توبتكم

ويصح أن تكون مانافية والباء زائدة ومدخولها مفعول اقوله بفعل ، والعنى مايفعل عذابكم أى لايعذبكم حين صاقت التوبة فالآل في المعنيين واحد (قوله وآمنتم) عطف خاص على عام أو مسبب على سبب لأن الشكر سبب في الايمان فإن الانسان إذا تذكر نعم الله حملته على الايمان (قوله لا يحب الله الجهر بالسوء) هذا مرتب على ما تقدم من ذكر أحوال المنافقين أى فلا تتوهم أيها العاقل من تقبيح الله لبعض عبيده أنه يجوز لكل أحد التقيبيح لمن علم منه سوءاً أو ظنه فيه ، وسبب نزولها أن رجلاً استضاف قوما فلم يحسنوا ضيافته فلما خرج تكلم فيهم جهراً بسوءه ، وقيل إن سبب نزولها أن رجلاً من أنبي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه مراراً ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يارسول الله شتمنى فلم تقل شيئاً حتى إذا رددت عليه قلت فقال له إن ملكاً كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فتمت فزلت . وقوله بالسوء هو اسم جامع لكل خفس كالبر فانه اسم جامع لكل خير وقوله من القول بيان للجهر بالسوء ومثل القول الفعل فلا مفهروم للجهر ولا للقول وإنما خصا لأنهما سبب النزول ولكونهما الغالب (قوله من أحد) قدره إشارة إلى أن فاعل المصدر محذوف وهو من المواضع التي ينقاس فيها حذف الفاعل وقد جمعها بعضهم بقوله : عند النبابة مصدر وتعجب ومفرغ ينقاس حذف الفاعل (قوله أى يعاقب) دفع بذلك ما يقال إن الحب بالمبغض معنى قائم بالقلب وهو مستحيل على الله تعالى . فأجاب بأن المراد لازمه وهو العتاب لأن من غضب من أحد عاقبه ، ودخل في الجهر بالسوء التعريض (٢٣٩) والسخرية به والغيبة والغيبة

قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم - الآية وقال تعالى - ولا يقتب بعضهم بعضاً إلى غير ذلك ، وفي الحديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة الواحدة يهوى بها في النار سبعين خريفاً» (قوله بأن يخبر عن ظلم ظالمه) أى لمن ينصفه بأن يقول شتمنى أو غصبنى أو أخذ مالى أو ضربنى مثلاً (قوله

(وَأَمَّنْتُمْ) به والاستفهام بمعنى النفي ، أى لا يعذبكم (وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا) لأعمال المؤمنين بالاثابة (عَلِيًّا) بخلقه (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ) من أحد ، أى يعاقب عليه (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) فلا يؤاخذ به الجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا) لما يقال (عَلِيًّا) بما يفعل (إِنْ تُبْدُوا) تظهروا (خَيْرًا) من أعمال البر (أَوْ تُخْفَوْهُ) تعملوه سرراً (أَوْ تَعْمُوا عَنْ سُوءِ ظَلَمِ) فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا. إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ (بأن يؤمنوا به دونهم) (وَيَقُولُونَ نُوْمنُ بِبَعْضِ) من الرسل (وَنَكْفُرُ بِبَعْضِ) منهم (وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ) الكفر والإيمان (سَبِيلًا) طريقاً يذهبون إليه (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة هو عذاب النار ،

و يدعو عليه) أى بدعاء جائز مثل اللهم خلس حقى منه أو جازمه أو اتقم من ظلمنى أو خذلى بشأرى منه ولايجوز الدعاء على الظالم بسوء الخاتمة على المعتمد ولو بلغ فى الظلم مهما بلغ ولايجرب دياره أو هلاكه مثلاً والصبر وعدم الدعاء أجمل وهو مقام عظيم ولذا أمر به صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل وقوله إلا من ظلم أى مثلاً ومثله المستغنى والمستغنى والمهذو والمعرف والمتجاهر ، وقد جمعها بعضهم بقوله :

تظلم واستغنى واستغنى وحذر وعرف بدعة فسق المجاهر

وجمعت أيضاً فى قول بعضهم : لقب ومستغنى وفسق ظاهر متظلم ومعرف وعذر

(قوله لما يقال) أى من الظالم والمظالم وقوله بمايفعل أى من الظالم والمظالم (قوله من أعمال البر) أى كالصلاة والصدقة وفعل المعروف وحسن الظن (قوله أو تعفوا عن سوءه) هذا هو محط الفائدة بدليل قوله فإن الله كان عفواً قديراً وهذا بيان للخلق الكامل فالعفو والمساهة أجل وأعلى من الانتصار (قوله فإن الله الخ) دليل الجواب والجواب محذوف تقديره يعف عنكم (قوله ويريدون أن يفرقوا الخ) عطف سبب على مسبب أى فكفرهم بالفرقة لابعثاد الشريك لله مثلاً (قوله من الرسل) أى كموسى وعيسى (قوله ونكفر ببعض) أى كمحمد (قوله طريقاً يذهبون إليه) أى واسطة بين الإيمان والكفر وهو الإيمان ببعض الأنبياء والكفر ببعض (قوله مصدر مؤكد) أى وعامله محذوف ويقدر مؤخرًا عن الجملة المؤكدة لها تقديره أحقته حقانظير زيد أبو بكر مطوقاً . قال ابن مالك : وإن تؤكد جملة فمضمر عاملها وله ظها يؤخر

ويصح أن يكون حالاً من قوله هم الكافرون أى حال كون كفرهم حقاً أى لاشك فيه (قوله والذين آمنوا) مقابل قوله إن الذين بكفروا (قوله ولم يفرقوا مقابل قوله ويريدون أن يفرقوا) (قوله بين أحد منهم) أى فى الإيمان بأن يؤمنوا بجميعهم (قوله بالنون والباء) أى فهما قراءتان سبعيتان وطى النون فيكون فيه التفات من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله يستلثك) أى سؤال تعنت وعناد فلذا لم يبلغهم الله مرادهم ولو كان سؤالهم لطلب الاسترشاد لأجيبوا (قوله اليهود) أى أخبارهم (قوله أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) أى فقالوا إن كنت نبياً فأتنا بكتاب محرر بخط سماوى فى ألواح كما أنزلت التوراة (قوله تعنتاً) مفعول لأجله أى فالحامل لهم على السؤال التعنت والعناد لا الاسترشاد وإلا لأجيبوا (قوله فإن استكبرت ذلك) قدره إشارة إلى أن قوله فقد سألوا موسى جواب شرط محذوف والمعنى إن استعظمت سؤالهم فقد وقع من أصولهم ما هو أعظم من ذلك (قوله أى آباؤهم) أى وإنما نسب السؤال لهم لأنهم راضون بها فكانها وقعت منهم (قوله فقالوا) تفسير لسألوا على حد توضحاً ففصل وجهه (قوله عياناً) أى معانين له وذلك أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين من بنى إسرائيل فخرج معهم إلى الجبل ليستغفروا (٣٤٠) لقومهم حيث عبدوا العجل فقالوا أرنا الله جهرة (قوله فأخذتهم الصاعقة) (قوله فأخذنا

(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) كلمهم (وَلَمْ يَفِرْقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ) بالنون والياء (أَجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لأوليائه (رَحِيمًا) بأهل طاعته (يَسْأَلُكَ) يا محمد (أَهْلُ الْكِتَابِ) اليهود (أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ) جملة كما أنزل على موسى تعنتاً فإن استكبرت ذلك (فَقَدْ سَأَلُوا) أى آباؤهم (مُوسَى أَكْبَرَ) أعظم (مِنْ ذَلِكَ) فقالوا (أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً) عياناً (فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ) الموت عقاباً لهم (بِظُلْمِهِمْ) حيث تعنتوا فى السؤال (ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلهاً (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات على وحدانية الله (فَفَعَلْنَا عَنْ ذَلِكَ) ولم نستأصلهم (وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا) تسليطاً بيناً ظاهراً عليهم حيث أكرمهم بقتل أنفسهم توبة فأتاعوه (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ) الجبل (بِمِيثَاقِهِمْ) بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه (وَقُلْنَا لَهُمْ) وهو مظل عليهم (أَدْخُلُوا النَّبَابَ) باب القرية (سُجَّدًا) سجدوا انحناء (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا) وفى قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الدال أى لا تعتدوا (فى السنت) باصطياد الحيتان فيه

أى ثم أحيوا بعد ذلك حين قال موسى رب لو شئت أهلكهم من قبل وإياى (قوله ثم اتخذوا العجل) ثم للترتيب الذى كرى الاخبارى (١) لأن عبادة العجل كانت قبل ذلك (قوله المعجزات) أى كالعصا واليد البيضاء والسنين وقلق البحر (قوله ففعلنا عن ذلك) أى قبلنا توبتهم بقتل أنفسهم والمقصود من ذلك استدعاؤهم إلى التوبة كأنه قيل إن هؤلاء مع قبح فعلهم قبل الله توبتهم

(وأخذنا

نتوبو. أتم أيضاً حق يعفو عنكم (قوله سلطاناً) أى قهراً

عظيماً وسلطنة جليلة (قوله فأتاعوه) أى فقتل منهم سبعون ألفاً فى يوم واحد (قوله بميثاقهم) أى حين جاءهم موسى بالتوراة وفيها الأحكام فامتنعوا من قبولها فرفع الله فوقهم الطور فخافوا من وقوعه عليهم فقبلوه وسجدوا على جبينهم وأعينهم تنظر له فصار ذلك فيهم إلى الآن (قوله فيقبلوه) أى الميثاق ولا ينقضوه (قوله وهو مظل عليهم) أى مرفوع عليهم والتقيد بذلك سبق قلم لأن القول لهم حين دخول القرية كان بعد مدة التيه، وتلك القرية قيل هى بيت المقدس وقيل أريحاء والقول قيل على لسان موسى وقيل على لسان يوشع بن نون وهى قرية الجبارين وأما رفع الجبل فكان قبل دخولهم التيه حين جاءتهم التوراة فلم يؤمنوا بها (قوله سجدوا انحناء) أى خضوع وتذلل تخالفوا ودخلوا يزحفون على أستاههم وتقدم بسط ذلك فى البقرة (قوله لا تعدوا) بسكون العين وضم الدال من عدا يعدو بمعنى جار وأصله تعدوا بضم الواو الأولى وهى لام الكلمة استعقلت الضمة عليها حذفت فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقاءهما وورنه تفعلوا (قوله وفى قراءة بفتح العين) أى فأسله تعدوا

(١) قول المهنى ثم للترتيب الذى كرى الخ هكذا فى بعض النسخ وفى نسخة ثم للترتيب لأن سؤال هؤلاء السبعين كان قبل عبادة العجل وهم غير السبعين الذين اختارهم للشفاعة فى قبول توبة من عبد العجل وتقدم ذلك فى سورة البقرة فانظره .

فلبت أثناء دلائم أدلحت في الدال والمعنى أنهم نهوا عن الاعتداء في السبت بصيد السمك لخالف بعضهم واصططاد وامتنع بعضهم من غير نهى للآخرين وامتنع بعضهم مع نهى من اصطاد غل بمن اصطاد المذاب ونجا من نهى وسيأتي بسط ذلك في سورة الأعراف (قوله ميثاقا غليظا) أى أنهم إن خالفوا عذبهم الله بأى نوع من العذاب أراحه (قوله بآيات الله) أى القرآن أو كتابهم (قوله بغير حق) أى حق في زعمهم أى فهم مقرون بأن القتل بغير وجه (قوله بل طبع الله عاينها) أى غشيت وغطيت بغطاء معنوى لاحسى كما قالوا تهكما بمعنى أنهم صم بهم حتى لا يهتدون للحق ولا يهتدوا (قوله إلا قليلا) قيل إنه مستثنى من فاعل يؤمنون ورد بأن من آمن لم يطبع على قلبه والأحسن أنه مستثنى من الهاء في قوله بل طبع الله عليها أى إلا قليلا فلم يطبع على قلوبهم (قوله ثانيا بعيسى) أى وأولا بموسى (قوله وكرر الباء) أى في قوله وبكفرهم (قوله للفصل) أى بأجنبى وهو قوله بل طبع الله (قوله حيث رموها بالزنا) أى منكرين تعلق قدرة الله تعالى بخلق ولد من غير والد ومعتقد ذلك كافر لأنه يلزم عليه القول بقدم العالم لأن كل ولد لابد له من والد وهكذا (قوله رسول الله) (٢٤١)

إن قلت لأنهم لم يعترفوا برسالتهم بل كفروا به وقالوا هو ساحر ابن ساحرة . أجيب بأنهم قالوا ذلك تهكما به نظير قول فرعون لموسى: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ، وقول مشركى العرب في حق محمد : يا أيها الذى تزل عليه الدكر إنك لمجنون . وأجيب أيضا بأنه من كلامه تعالى مدحا له وتزويها له عن مقاتلهم فيكون منصوبا بفعل محذوف أى أمسح رسول الله (قوله في زعمهم) متعلق بقوله قتلنا والناس حذفه

(وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) على ذلك فنقصوه (فَيَا نَقُصِبِهِمْ) مازائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف ، أى لعنهم بسبب نقضهم (مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ) للنبي صلى الله عليه وسلم (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) لاتبى كلامك (بَلْ طَبَعَ) ختم (اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) فلا تسمى وعظا (فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) منهم كمبد الله بن سلام وأصحابه (وَبِكُفْرِهِمْ) ثانيا بعيسى ، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه (وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) حيث رموها بالزنا (وَقَوْلِهِمْ) مفتخرين (إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) في زعمهم ، أى بمجموع ذلك عذبناهم ، قال تعالى تكذبياً لهم في قتله (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ) المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى ، أى ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) أى في عيسى (لَنِي شَكٌّ مِنْهُ) من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول : الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به ، وقال آخرون : بل هو هو (مَا لَهُمْ بِهِ) بقتله (مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعُ الظَّنِّ) استثناء منقطع أى لكن يتبعون فيه الظن الذى تخيلوه (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) حال مؤكدة لنفى القتل (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) في ملكه (حَكِيمًا) في صنعه (وَإِنْ) ما (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أحد (إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ) بعيسى (قَبْلَ مَوْتِهِ) أى الكتابى حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمان ،

لأن تكذيبهم في القتل معلوم من قوله بعد وما قتلوه وفي نسخة في زعمه بالافراد يكون متعلقا بقوله رسول الله وهو أولى (قوله ولكن شبه لهم) روى أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فسخهم الله قرودة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بذلك وكان له صاحب منافق فقالوا له اذهب إلى عيسى وأخرجه لنا فلما دخل دار عيسى ألقى شبهه عليه ورفع عيسى إلى السماء فلما خرج إليهم قتلوه (قوله بعيسى) متعلق بشبه وقوله عليه أى صاحب وقوله شبه أى شبه عيسى (قوله استثناء منقطع) أى لأن أتباع الظن ليس من جنس العلم (قوله مؤكدة لنفى القتل) أى اتفق قتلهم له اتفاقا يقينا لاشك فيه فيلاحظ القيد بعد وجود النفي فهو من باب تيقن العدم لامن عدم التيقن وحصله أنه نفي للقيد الذى هو اليقين والمقيد الذى هو القتل ويصح أن يكون حالا من فاعل قتلوه أى ما فعلوا القتل في حال تيقنهم له بل فعلوه شاكين فيه ، وقيل منصوب بما بعد بل من قوله بل رفعه الله إليه ، ورد بأن ما جدد بل لا يعمل فيها قبلها (قوله بل رفعه الله إليه) أى إلى محل رضاه وانفراد حكمه وهو السماء الثالثة كما في الجامع الصغير أو الثانية كما في بعض المعارج (قوله حين يعاين ملائكة الموت) روى أن اليهودى إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا له يا عدو الله أنك عيسى (٣١ - صاوى - أول)

فبينا فكذبت به فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله ويقال للنصراني أنك عيسى بيا فزمت أنه الله وابن الله فيقول آمنت بأنه عبد الله فأهل الكتاب يؤمنون به ولكن لا ينفقهم إيمانهم لحصوله وقت معاينة العذاب (قوله أو قبل موت عيسى) هذا تفسير آخر وهو صحيح أيضا والمعنى أن عيسى حين ينزل إلى الأرض مامن أحد يكون من اليهود أو النصراني أو من يعبد غير الله إلا آمن بعيسى حتى يصير للملة كلها إسلامية (قوله شهيدا) أي فيشهد على اليهود بالكذب وعلى النصراني بأنهم اعتقدوا فيه أنه ابن الله (قوله فبظلم) الجار والمجرور متعلق بحرمنا والباء سببية (قوله هم اليهود) سموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى تابوا ورجعوا عن عبادة العجل (قوله أحاط لهم) صفة لطيبات أي طيبات كانت حالا لهم فلما حرمت عليهم صاروا يقولون لسنا بأول من حرمت عليه بل كانت حراما على من قبلنا فرد الله عليهم بقوله: كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه الآية (قوله وصددهم) هذا تفصيل لبعض أنواع الظلم وكرر الجار للفصل بين العاطف والمعطوف بقوله حرمننا ولم يكرره في قوله وأخذهم الربا وأكسهم أموال الناس لعدم الفاصل (قوله صدا كثيرا) أشار بذلك إلى أن كثيرا صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله صدم ويصح أن يكون المحذوف مفعولا به والتقدير خلقا كثيرا (قوله وقد نهوا عنه) الجملة الحالية (قوله بالرشا في الحكم) جمع رشوة وهي ما يعطيه الشخص للحاكم ليحكم له والمقصود من ذكر هذه الأمور الانعاط بها وبيان أنها حرام في شرعنا أيضا ففي الحديث «كل لحم نبت من السحت» (٢٤٢) فالتأويل به قالوا وما السحت قال الرشوة في الحكم» فالحاكم لا يجوز له

أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في الحديث (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ) عيسى (عَلَيْهِمْ سَهِيدًا) بما فعلوه لما بعث إليهم (فَيُظْلَمُ) أي فبسبب ظلم (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) هي التي في قوله تعالى: حرمننا كل ذى ظفر الآية (وَبَصَدَّهِمُ) الناس (عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه صدا (كثيرا) وأخذهم الربا وقد هؤا عنه في التوراة (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشا في الحكم (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) مؤلما (لكن الراسخون) الثابتون (في العلم منهم) كعبد الله ابن سلام (والمؤمنون) المهاجرون والأنصار (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) من الكتب (والمقيمين الصلاة) نصب على المدح وقرئ بالرفع (والمؤمنون الزكاة) والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم (بالتون والياء) (أجرا عظيما) هو الجنة ،

أن يأخذ شيئا على حكمه ومثله الضامن وذو الجاه والمقرض في الحديث «ثلاثة لا تكون إلا لله القرض والضمان والجاه» (قوله منهم) أي ومن هذا حذوهم (قوله عذابا أليما) أي وهو الخلود في النار (قوله لكن الراسخون) استندراك على قوله وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما والمعنى من كان

من اليهود وفعل تلك الأفعال المتقدمة وأصر على الكفر

(إنا)

ومات عليه أعتدنا لهم عذابا أليما، وأما من كان من اليهود غير أنه رسخ في العلم وآمن وعمل صالحا فأولئك سنؤتيهم أجرا عظيما والراسخون مبتدأ وفي العلم متعلق به وقوله منهم متعلق بمحذوف حال من الراسخون وقوله أولئك مبتدأ وسنؤتيهم خبره والجملة خبر الراسخون (قوله والمؤمنون) عطف على الراسخون عطف مفصل على مجمل لأن الإيمان وما بعده متنوع ولازم للرسوخ في العلم فنزل التغير الاعتباري منزلة التغير الدائي وهذا على أن المراد المؤمنون منهم وأما على أن المراد المؤمنون من غيرهم أو ما هو أعم فالغاية ظاهرة وقوله يؤمنون الخ حال من المؤمنون والراسخون (قوله بما أنزل إليك) أي وهو القرآن وهذه الصفات للإيمان الكامل فلا يكون الإنسان كامل الإيمان حتى يتصف بجميعها (قوله نصب على المدح) أي فتكون جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وإنما نصبهم تعظيما لشأنهم وما قاله المفسر هو أحسن الأجوبة عن الآية ويصح أنه معطوف على السكاف في إليك ويصح أن المراد بالمقيمين الأنبياء أو الملائكة ويصح أن يكون معطوفا على الهاء في منهم أي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين (قوله وقرئ بالرفع) أي وعليها فلا إشكال وهي شاذة وإن وردت عن كثير (قوله والمؤمنون بالله) أي المصدقون بأن الله يجب لكل كمال ويستحيل عليه كل نقص وقوله واليوم الآخر أي يصدقون بأنه حق وما يقع فيه صدق (قوله هو الجنة) أي الخلود فيها وهو مقابل قوله: وأعتدنا لهم عذابا أليما .

(قوله إنا أوحينا إليك) قيل سبب نزولها أن مسكينا وعدى بن زيد قالوا يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على جبر من شيء من بعد موسى وقيل هو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء جملة واحدة ، فالعنى أنكم تقرّون بنبوة نوح وجميع الأنبياء المذكورين في الآلة ولم ينزل على أحد من هؤلاء كتابا جملة مثل ما أنزل على موسى فعند إزال الكتاب جملة ليس قادحا في نبوتهم فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم (قوله كما أوحينا) يحتمل أن تكون ماصدرية ، والعنى كوحينا وأن تكون اسم موصول والعائد محذوف ، والتقدير كالذي أوحيناه : أى الأحكام التى أوحيناها إلى نوح الخ (قوله إلى نوح) قدمه لأنه أول نبي أرسله الله لينذر الناس من الشرك، وعاش ألف سنة وخمسين عاما وهو صار على أذى قومه لم يشب فيها ولم تنته قواه وهو أول الأنبياء أولى العزم وكان أبا البشر بعد آدم لانحصار الناس في ذريته (قوله إلى إبراهيم) خصه بعد نوح لأن أكثر الأنبياء من ذريته وهو ابن تارخ ، قيل هو آزر ، وقيل هو أخوه فأزرع إبراهيم (قوله وإسماعيل) كان نبيا ورسولا بمكة ثم لما مات نقل إلى الشام (قوله وإسحق) كان رسولا بالشام بعد إسماعيل ومات بها (قوله إبنيه) أى إبراهيم وإسماعيل من هاجر وإسحق من سارة (قوله ويعقوب) هو إسرائيل ثم يوسف ابنه ثم شعيب بن نوب ثم هود بن عبد الله ثم صالح بن أسف ثم موسى وهرون ابنا عمران ثم أيوب ثم الخضر ثم داود بن إيشا ثم سليمان بن داود ثم يونس بن متى ثم إلياس ثم ذوالكفل ، وكل نبي ذكر في القرآن فهو من ولد إبراهيم غير إدريس ونوح وهود ولوط وصالح ، ولم يكن نبي من العرب إلا خمسة هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد صلى الله عليهم وسلم (قوله أولاده) أى أولاد يعقوب منهم يوسف (٢٤٣) نبي ورسول باتفاق وبقايم

فيه الخلاف والصحيح نبوتهم وليسوا رسلا مشرعين ولذلك وقع منهم ما يخالف الشرع ظاهرا للصلح التى ترتبت على تلك المخالفة وسيأتى ذلك في سورة يوسف (قوله ويونس) أى ابن متى وفيه لغات ست بالواو والمهمزة مع تثلث النون والذى

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَ) كَمَا (أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) ابنيه (وَيَعْقُوبَ) ابن إسحاق (وَالْأَسْبَاطَ) أولاده (وَعِيسَى وَآيُوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ) أباه (دَاوُدَ زَبُورًا) بالفتح اسم للكتاب المؤتى وبالضم مصدر بمعنى مزبورا أى مكتوبا (وَ) أرسلنا (رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي: أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ في سورة غافر (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى) بلا واسطة (تَكَلِيمًا . رُسُلًا) بدل من رسلا قبله (مُبَشِّرِينَ) بالثواب من آمن (وَمُنْذِرِينَ) بالعقاب من كفر، أرسلناهم

فرى به في السبع ضم النون أو كسرهما مع الواو ، وقوله وهرون : أى أخى موسى (قوله اسم للكتاب المؤتى) أى وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل هو تنبيه وتقدير وتناء ومواعظ ، وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بنى إسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التى في الجبال فيقيم بين يديه وترفرف الطيور على رؤوس الناس وهم يستمعون لقراءة داود وبتعجبون منها لأن الله أعلمهم صوتا حسنا ، وقد ورد: أن أبا موسى الأشعري كان يقرأ القرآن ليلا بصوت حسن فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد أعجبتنى قراءة تلك الليلة كأنك أعطيت زمرا من زمائر داود ، فقال أبو موسى: لو علمت بك خبرته لك تحبيرا (قوله وبالضم) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ورسلا قد قصصناهم عليك الخ) هذا رد لقول اليهود للصطفى عليه السلام إنك لم تذكر موسى مع ما عدهتم من الأنبياء فهذا دليل على عدم رسالتك فرد ذلك الله بهذه الآية وبما بعدها (قوله روى أنه تعالى الخ) هذه الرواية ضعيفة فلذا تبرأ منها المفسر، والرواية المشهورة أن الأنبياء مائة ألف وفى رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر وأربعة عشر وأخمسة عشر وبعده ذلك فالخى أنهم يبلغوا عدد دم على الصحيح وإنه فى أحاديث مختلفة تقبل الطعن كما أفاده الأشياخ (قوله قاله الشيخ) أى الجلال المحلى ، وقوله في سورة غافر : أى في قوله تعالى - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك - (قوله وكلم الله موسى) أى أزال عنه الحجاب فسمع كلام الله وليس المراد أن الله كان ساكنا ثم تكلم لأن ذلك مستحيل على الله تعالى (قوله تكليما) مصدر مؤكد لقوله كلم وإنما أكد رعا لاحتمال المجاز لأن الله كلم موسى بكلامه الأزل القديم من غير حرف ولا صوت ولا كيف ولا انحصار ولا يبطئ ولا يلهو إلا الله .

(قوله لئلا يكون) هذه الالام كي متعلقة بمنذرين وأضر في الأول وحذف وهذا هو الأولى ويحتمل أنه متعلق بمحذوف تقديره أرسلناهم وعلى ذلك درج الفسر لأن يقال إنه حلّ معنى لاحت إعراب (قوله حجة) أى معذرة يعتذرون بها وسماها الله حجة فضلا منه وكرما فأهل الفترة ناجون ولو بدّلوا وغيروا . قال تعالى - وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا - وقال تعالى - ولو أنا ملكناهم بعذاب من قبله لقللوا ربنا لولا أرسلنا إليك رسولا - الآية ، وماورد من تعذيب بعض أفراد من أهل الفترة فأحاديث آحاد لا تقاوم القطعيات كما أفاده أسياننا المحققون (قوله بعد الرسل) أى وإزال الكتب ، والمعنى لولم يرسل الله رسولا لكان للناس عذر في ترك التوحيد فقطع الله عذرهم بإرسال الرسل والظرف متعلق بالنفي : أى اتفت حجّتهم واعتذارهم بعد إرسال لرسول ، وأما قبل الإرسال فكانوا يعتذرون . فإن قلت كيف يكون للناس حجة قبل الرسل مع قيام الأدلة التي تدلّ على معرفة الله ووحدانيته كما قيل :

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه الواحد

أحيب بأن الله لم يكلفنا بذلك بمجرد العقل بل لابدّ من ضميعة الرسل التي تنبه على الأدلة وشاهده هذه الآية وقوله تعالى - وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا - فلذلك قال أهل السنة : إن معرفة الله لا تثبت إلا بالشرع خلافاً للعتزلة (قوله لولا أرسلت) لولا للتخصيص وهو الطلّاب بحث وإزعاج ولكن المراد بها هنا العرض وهو الطلب بلين ورفق (قوله عزيزاً) أى غالباً قاهراً لغيره منفرداً بالإيجاد والاعدام وقوله (٣٤٤) حكيماً : أى يضع الشيء في محله (قوله ونزل لماسئلاً اليهود) أى حين قال

(لئلا يكون للناس على الله حجة) يقال (بعد) إرسال (الرسل) إليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم (وكان الله عزيزاً) في ملكه (حكيماً) في صنعه . ونزل لماسئلاً اليهود عن نبوته صلى الله عليه وسلم فأنكروه (لكن الله يشهد) يبين نبوتك . (بما أنزل إليك) من القرآن المعجز (أنزله) ملتبساً (بعلمه) أى علمه أو وفيه علمه (والملائكة يشهدون) لك أيضاً (وكنى بالله شهيداً) على ذلك (إن الذين كفروا) بالله (وصدّوا) الناس (عن سبيل الله) دين الإسلام بكتهم نعمت محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (قد ضلّوا ضلالاً بعيداً) عن الحق (إن الذين كفروا) بالله (وظلموا) نبيّه بكتان نمته (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً) من الطرق (إلاّ طريق جهنّم) أى الطريق المؤدى إليها (خالدين) مقدرين الخلود (فيها) إذا دخلوها (أبداً

التي صلى الله عليه وسلم لليهود « أنتم تشهدون بأنّ مذكور في كتبكم ؟ فقالوا لا تشهد بذلك وما نعلم من جبرأوحى إليه بعد موسى » وقيل إن السائل مشركو العرب حيث قالوا للنبي إنا نسأل اليهود عنك وعن صفتك في كتبهم فزعموا أنهم لا يعرفونك فنزل والمعنى إن أنكروك وكفروا بما أنزل إليك فقد كذبوا

وكن

فيما قالوا لأن الله يشهد لك بانبوة والرسالة ويشهد بما أنزل إليك (قوله لكن الله

يشهد) استدراك على ما ذكر في سبب النزول (قوله من القرآن المعجز) أى نكل مخلوق ولم ينزل كتاب معجز يتحدّى به على نبي من الأنبياء غير نبيّنا (قوله أنزله بعلمه) أشار الفسر إلى أن الباء للابسة أو بمعنى في والمعنى على الأول أنزله ملتبساً بعلمه : أى وهو عالم به لأن التأليف يحسن على قدر علم مؤلفه حيث كان هذا القرآن ناشئاً عن علم الله التام المتعاق بكل شيء كان في أعلى طبقات البلاغة فلا يمكن أحداً غيره الاتيان بشيء منه ، والمعنى على أنّه في أنزله والحال أن فيه علمه : أى معلوماته الغيبية بمعنى أنه مشتمل على الغيبات وعلى مصالح الخلق وما يحتاجون إليه حيث اشتمل على ذلك فهو شاهد صدق على أنه من عند الله وإنما خص القرآن بالذكر لأن إنكارهم وتعرضهم كان له ولاّهم أكبر معجزاته (قوله وكنى بالله شهيداً) لنظ الجلالة فاعل كنى والباء زائدة وشهيداً حال ، وقوله على ذلك : أى على صحة نبوتك ، والمعنى أن شهادة الله تفنيك وتسكفك (قوله وصدّوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس من طريق الهدى (قوله ضلالاً بعيداً) أى لأنهم ضلّوا في أنفسهم وأضلّوا غيرهم ومن كان هذا وصفه يبعد عنه الهدى (قوله إن الذين كفروا وظلموا) أى وهم اليهود (قوله لم يكن الله ليغفر لهم) أى مريداً ليغفر لهم حيث ماتوا على الكفر (قوله لإطريق جهنّم) استثناء متصل لأنه مستثنى من عموم الطرق والمراد بجهنّم الدار السعيا الحطمة ، والمعنى أنهم لا يهتدون إلى طريق الرشاد أبداً ، بل دائماً أعمالهم تجرهم إلى طريق جهنّم .

(قوله وكان ذلك على الله يسيرا) رد بذلك عليهم حيث زعموا فقالوا نحن بناء الله وأحبوه ولا يهون عليه أن يعذب أحبائه (قوله أي أهل مكة) جرى على القاعدة وهو أن مخاطب بيائها الناس أهل مكة ولكن المراد العموم (قوله بالحق) متعلق بجاء وقوله من ربكم متعلق بمحذوف حال من الحق : أي جاءكم بالحق حال كونه من ربكم (قوله واقصدوا خيرا) أشار بذلك إلى أن قوله خيرا مفعول لمحذوف ويصح أن يكون خبرا لكان المحذوفة والتقدير آمنوا يكن الإيمان خيرا وهو الأقرب (قوله مما أتم فيه) أي وهو الكفر على حسب زعمكم أن فيه خيرا وإلا فالكفر لا خير فيه (قوله فلا يضركم كفركم) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف ، وقوله فإن الله ما في السموات والأرض دليل الجواب (قوله حكيا في صنعه) أي لا يصنع شيئا إلا محكما متقنا (قوله الانجيل) أي فالمخاطب للنصارى فقط ويحتمل أنه خطاب لليهود والنصارى لأن غلو اليهود بتنقيص عيسى حيث قالوا إنه ابن زانية وغلو النصارى بالمبالغة في تعظيمه حيث جعلوه ابن الله (قوله إلا اتول الحق) أشار بذلك إلى أنه صفة لمصدر محذوف (قوله إنما المسيح عيسى ابن مريم) للمسيح مبتدأ وعيسى بدل أو عطف بيان عليه وابن مريم صفته ورسول الله خبره (قوله وكلية) أي أنه نشأ بكامة كن من غير واسطة أب ولا نطفة ، وقوله (٢٤٥) ألقاها : أي بنفخ جبريل

في جيب درعها فوصل النفخ إلى فرجها فحملت به (قوله وروح منه) ممي بذلك لأنه حصل من الريح الحاصل من نفخ جبريل روى أن الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها في صاب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى فلما أراد الله أن يخلقه أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى (قوله منه) أي نشأت وخاقت فمن ابتدائية لا تبعضية كما زعمت النصارى . حكى أن طيبيا حاذقا نصرانيا

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) هَيْنَا (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أَي أَهْل مَكَّة (قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ) مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا) بِهِ وَاقْصِدُوا (خَيْرًا لَكُمْ) مِمَّا أَتَمَّ فِيهِ (وَإِنْ تَكْفُرُوا) بِهِ (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا فَلَا يَضُرُّهُ كُفْرُكُمْ (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بِخَلْقِهِ (حَكِيمًا) فِي صُنْعِهِ بِهِمْ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) الْإِنْجِيلِ (لَا تَغْلُوا) تَجَاوَزُوا الْحُدُودَ (فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ) الْحَقَّ (مِنْ تَنْزِيهِهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ) (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا) أَوْصَلَهَا اللَّهُ (إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ) أَي ذُو رُوحٍ (مِنْهُ) أَضِيفَ إِلَيْهِ تَعَالَى تَشْرِيفًا لَهُ ، وَلَيْسَ كَمَا زَعَمَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ أَوْ إلهَا مَعَهُ أَوْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ لِأَنَّ ذَا الرُّوحِ مَرْكَبٌ وَالْإِلَهِ مَنْزَهُ عَنِ التَّرْكِيبِ وَعَنْ نِسْبَةِ الْمَرْكَبِ إِلَيْهِ (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا) الْإِلَهَةُ (ثَلَاثَةٌ) اللَّهُ وَعِيسَى وَأُمُّهُ (أَنْتَهُمْ) عَنْ ذَلِكَ وَاتَّوَا (خَيْرًا لَكُمْ) مِنْهُ وَهُوَ التَّوْحِيدُ (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ) تَنْزِيهًا لَهُ (أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خَلْقًا وَمُلْكًا وَعَبِيدًا وَالْمَلَائِكَةَ تَنَافَى الْبَنُوَّةِ (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) شَهِيدًا عَلَى ذَلِكَ (لَنْ يَسْتَنْكِفَ) يَتَكَبَّرَ وَيَأْنَفُ (الْمَسِيحُ) الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ إلهٌ ،

جاء للرشيد فناظر على بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي له - و. خر لاسمك ما في السموات وما في الأرض جميعا منه - فقال إذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءا منه سبحانه فهبت النصارى وأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا وأعطى الواقدي صلة فاخرة (قوله أنه ابن الله الخ) أشار بذلك إلى أنهم فرقوا ثلاثة : فرقة تقول إنه ابن الله ، وفرقة تقول إنهما إلهان الله وعيسى ، وفرقة تقول الآلهة ثلاثة الله وعيسى وأمه (قوله لأن ذا الروح مركب) أشار بذلك إلى قياس من الشكل الأول ، وتقديره أن تقول عيسى ذو روح وكل ذي روح مركب وكل مركب لا يكون إلهًا يفتخ عيسى لا يكون إلهًا (قوله الآلهة ثلاثة) أشار بذلك إلى أن ثلاثة خبر لمحذوف والجملة مقول القول (قوله واتوا خيرا) أي اقصوده ويصح أن يكون خبرا لكان المحذوفة : أي يكن الانتهاء خيرا (قوله منه) أي مما ادعيتهموه ، وقوله وهو التوحيد بيان لاخير (قوله له ما في السموات وما في الأرض) أي فإذا كان يملك جميع ما فيهما ومن جملة ذلك عيسى فكيف يتوهم كون عيسى ابن الله فهذه الجملة لتعليل لقوله سبحانه (قوله لن يستنكف المسيح) - سبب نزولها أن وفد نجران قالوا يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله ، فقال رسول الله ﷺ إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله ، فنزلت .

(قوله عن أن يكون) أشار بذلك إلى أنه حذف الجار من أن ، والمعنى لن يستنكف المسيح عن كونه عبدا لله (قوله وهذا من أحسن الاستطراد) أى قوله ولا الملائكة المقرَّبون لأن الاستطراد ذكر كراشى في غير محله لمناسبة وللناسبة هنا الرد على النصارى في عيسى فناسب أن يرد على الشركين في قولهم الملائكة بنات الله (قوله ومن يستنكف) من اسم شرط ويستنكف فعل الشرط ويستكبر معطوف عليه وقوله : فسيحشرهم إليه جميعا جوابه ، ولكن لما كان فيه إجمال فضله بما بعده وجميعا حال من الهاء في يحشرهم ، والمعنى أنه يحشر المستنكفين وغيرهم (قوله ويزيدهم من فضله) أى فوق مضاعفة أعمالهم (قوله يأبىها الناس) العبرة بمعوم اللفظ وإن كان السياق لأهل مكة (قوله من ربكم) الجار والمجرور متعلق بحذوف صفة لبرهان أو ظرف لقوم متعلق بجاء (قوله عليكم) أى إن خالفتكم ولكم إن أطعتم (قوله وهو القرآن) أى فالعطف مغاير ويصح أن يراد بالبرهان النبوة وما جاء به ويراد بالنور المبين القرآن ويكون عطف خاص على عام والنسبة الاعتناء بشأن القرآن وما مشى عليه المفسر أسهل لعدم الكفاية (قوله فأما الذين آمنوا الخ) أى فمنهم من آمن ومنهم من كفر فأما الذين آمنوا الخ وترك الشق الثانى لأنهم مهملون ولا يعتنى بهم ، وأيضا قد تقدم ذكرهم فتركهم انكالا على ما تقدم وأعاد ذكر المؤمنين ثانيا تعجيلا للسرية والفرح وتعظيما لشأنهم (قوله واعتصموا به) (٢٤٦) أى تمسكوا به (قوله في رحمة منه) أى وهي الجنة من باب تسمية

المحل باسم الحال فيه وقوله وفضل أى إحسان وإكرام وزيادة إنعام وهو رؤية وجهه الله الكريم ودوام رضاه (قوله ويهديهم) عطف سبب على مسبب لأن سبب الجنة هو الهدى في الدنيا (قوله يستفتونك) ختم هذه السورة بهذه الآية لاشتغالها على المبرات كما ابتدأها بذلك للشاكلة بين للبدا والختام وجملة ما ذكر في هذه السورة

عن (أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدا وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم (وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) في الآخرة (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا) عن عبادته (فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما هو عذاب النار (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (وَالْيَا) يدفعه عنهم (وَلَا تَصِيرَ) يمنهم منه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ) حجة (مِنْ رَبِّكُمْ) عليكم وهو النبي صلى الله عليه وسلم (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) بينا وهو القرآن (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ) طريقا (مُسْتَقِيمًا) هودين الإسلام (يَسْتَفْتُونَكَ) في الكلالة (قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) إن أمروا (مرفوع بفعل يفسره هالك) مات (لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ)

أى

من الموارث ثلاثة مواضع : الأول في ميراث الأصول والفروع

وهو قوله : يوصيكم الله في أولادكم إلى آخره الرابع . الثاني ميراث الزوجين والإخوة والأخوات ثلاث وهو قوله : ولكم نصف ما ترك إلى قوله : غير مزار . الثالث ميراث الإخوة والأخوات الأشقاء أولاد وهو هذه الآية ، وأما أولوا لأرحام فسيأتى ذكرهم في آخر الأنفال . وسبب نزول هذه الآية أن جابر بن عبد الله تمرض فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ليعوداه مشيين فلما دخلا عليه وجداء مغمى عليه فتوضأ رسول الله ثم صب عليه من وضوئه فأفاق فقال يا رسول الله كيف أنصنع في مالى فلم يرد عليه حتى نزلت الآية وكان له تسع أخوات وقيل سبع (قوله في الكلالة) تنازعه كل من يستفتونك ويأتيكم فأعمل الثانى وأضر فى الأول وحذف وهكذا كل ما جاء فى القرآن من التنازع كقوله تعالى : آتوني أفرغ عاينه قطرا . هاؤم اقرءوا كتابيه ، وبهذا أخذ البصريون وتقدم أن الكلالة هى أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل وهو أصح الأنوال فيها (قوله إن امرؤ) هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما تفسير الكلالة وما الحكم فيها فالوقف على الكلالة (قوله مرفوع بفعل يفسره هالك) أى فهو من باب الاشتغال وإنما لم يجعل امرؤ مبتدأ وجملة هالك خبره لأن إن الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقدرا (قوله ليس له ولد) الجملة في محل رفع صفة لامرؤ ولا يصح أن تكون حالا منه لأنه نكرة ولم يوجد له مسوغ لأن هالك ليس صفة له وإنما هو مفسر للفعل المحذوف فتأمل .

(قوله أى ولا والد) أخذ هذا من توريث الأخت لأنها تارث مع وجوده (قوله من أبوين) أى هى الشقيقة (قوله وهو) الضمير عائذ على لفظ امرؤ لا على معناه على حد عندى درهم ونصفه ، والمعنى أن ذاك على سبيل العرض ، والتقدير أى إن فرض موته دونها فلها النصف وإن فرض موتها دونه فله المال كله إن لم يكن لها فرع وارث (قوله أو أنثى) أى واحدة أو متعددة وقوله فله ما فضل عن نصيبها أى وهو النصف فى الأولى والثالث فى الثانية (قوله كما تقدم أول السورة) أى فى قوله وإن كان رجل يورث كلالة الآية (قوله وقد مات عن أخوات) جملة مستأنفة مقيدة لما قبلها لأنها طائفة لأن جابرا عاش بعده صلى الله عليه وسلم بل ، قيل إنه آخر الصحابة ، وماتا بالمدينة وقوله عن أخوات قيل تسع وقيل سبع (قوله وإن كانوا إخوة) أى وأخوات ففيه تغليب الذكور على الإناث (قوله شرائع دينكم) قدره إشارة إلى أن مفعول يبين محذوف (قوله لأن لا تضلوا) أشار بذلك إلى أنه مفعول لأجله ولا مقدرة ، والمعنى يبين لكم الشرائع لأجل عدم ضلالكم نظير قوله تعالى : إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، أى لئلا تزولا ، ويصح أن يكون المحذوف مضافا والتقدير كراهة أن تضلوا (قوله والله بكل شيء عليم) كالعادة لما قبله ، وقد ختم هذه السورة ببيان كمال العلم وسعته كما ابتدأها بسعة قدرته وكمال تنزهه وذلك يدل على اختصاصه بالربوبية والألوهية (قوله أى من الفرائض) دفع (٢٤٧) بذلك ما يقال إن آخر آية نزلت على الإطلاق : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فأنها نزلت قبل موت رسول الله بأحد وعشرين يوما ونزل قبلها آية الربا وقبلها : اليوم أكملت لكم دينكم وقبلها آية الكلاله فهى من الأواخر إذا علمت ذلك فقول المفسر أى من الفرائض غير متعين بل يصح أن يكون آخر أنسبيا .

أى ولا والد وهو الكلاله (وَلَهُ أُخْتٌ) من أبوين أو أب (فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ، وَهُوَ) أى الأخ كذلك (يَرِثُهَا) جميع ما تركت (إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ) فَإِنْ كَانَ لَهَا وَلَدٌ ذَكَرَ فَلَا شَيْءَ لَهَا أَوْ أَنْثَى فَلَهَا مَا فَضَلَ عَنْ نَصِيبِهَا وَلَوْ كَانَتِ الْأُخْتُ أَوْ الْأَخُ مِنْ أُمِّ فَقَرَضَهُ السُّدُسُ كَمَا تَقْدِمُ أَوَّلُ السُّورَةِ (فَإِنْ كَانَتَا) أى الأختان (اِثْنَتَيْنِ) أى فصاعداً لأنها نزلت فى جابر وقد مات عن أخوات (فَلَهُمَا الثَّمَانِيَانِ مِمَّا تَرَكَ) الأخ (وَإِنْ كَانُوا) أى الورثة (إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَّكَرِ) منهم (مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ) شرائع دينكم (لأن) لا (تَضِلُّوا، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه الميراث . روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت أى من الفرائض .

(سورة المائدة)

(مدنية مائة وعشرون أو وثنتان أو وثلاث آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) :

الله بالبيان كراهة وقوع الضلال من أنتم ذلك الوعد بذكر هذه السورة فإن فيها أحكاما لم تكن فى غيرها قال البغوى عن ميسرة قال إن الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم تنزل فى غيرها من سور القرآن وهى المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام وما علمتم من الجوارح مكابدين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وتمايم بيان الطهر فى قوله : إذا قمتم إلى الصلاة ، والسارق والسارقة ، ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، وقوله : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت (قوله مدنية) أى نزلت بعد الهجرة وإن كان بعضها نزل بمكة كقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله فأنها نزلت عام الفتح وقوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم ، فأنها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها : النبى فى خطبته وقال يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها ، وإنما خصها بذلك ، وإن كان كل سورة يجب تحليل حلالها وتحريم حرامها اعتناء بشأنها (قوله يا أيها الذين آمنوا) العبرة بعموم اللفظ وإن كان الخطاب لأهل المدينة (قوله أوفوا بالعقود) أى ما عقده الله وعهده عليكم من التكليف والأحكام الدينية ، ومن هنا قالوا : أمور الدين أربعة : الصحة فى العقد والصدق فى القصد والوفاء بالعهد واجتناب الحد .

(قوله اليهود) أشار بذلك إلى أن المراد بالعقد العنوي وهو العهد المشبه بعقد الحبل وقوله المؤكدة أخذ ذلك من قوله العقود لأن معنى العقد هو العهد يؤكد (قوله التي بينكم وبين الله) أى كالأُمُور والتهيئات فالوفاء بالمأمُورات فعلها والوفاء بالتهيئات تركها ودخل في قوله وبين الله العهد الواقع بين العبد وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب على الإنسان الوفاء به بأن يؤمن به ويصدق بما جاء به ويعظمه ويحترمه ولا يخالف ما أمره به أصلاً (قوله وبين الناس) أى كالمعاملات من بيع وشراء ونكاح وطلاق وتمليك وتخيير وعق ودين ووديعة وصاح ، ومن ذلك أيضاً احترام المؤمنين وتعظيمهم وعدم غيبتهم وإيذائهم والنجمة والكذب عليهم ، ومن ذلك أيضاً وفاء الريدن بعهود الشايخ على مصطلح الصوفية (قوله أحلت لكم بهيمة الأنعام) كلام مستأنف مسوق لبيان امتنان الله علينا حيث أحل لنا أشياء لم تكن لليهود وبني الفعل المجزول للعلم بآعله وهو الله وإضافة بهيمة للأنعام على معنى من كثوب خز لأن البهيمة كافي القاموس كل ذات أربع قوائم ولومن حيوان الماء أكل حتى لا يميز (قوله بعد الذبح) مراده ما يشمل النحر ولوقال بعد التذكية لكان أشمل (قوله لا مايتلى عليكم) أى وهو عشرة أشياء أولها الميتة وآخرها وما ذبح على النصب فقوله الآية أى إلى قوله وما ذبح على النصب (قوله فالاستثناء منقطع) أى لأن ما قبله لا فيما أحل وما بعده ما فيها حرّم وقوله والتحریم لما عرض أى فهو كان حلالاً بحسب الأصل فهو استثناء حلال من حلال هكذا يؤخذ من عبارة المفسر فيه أنه يلزم عليه أن كل استثناء منقطع لأن ما بعد إلا دائماً مخالف لما قبلها منقطعاً أو متصلاً (٢٤٨) مع أنهم قالوا إن الاستثناء للتصل أن يكون الستنى من جنس الستنى

منه والنقطع أن يكون من غير جنسه والمخالفة في الحكم لأبد منها على كل فالأحسن أن يقال إن الانقطاع من حيث إن الستنى لفظ وهو قوله مايتلى عليكم والستنى منه ذات وهو بهيمة الأنعام ولا شك أنه من غير جنسه ويمكن

اليهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس (أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِيمَةُ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم أكلًا بعد الذبح (إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً والتحریم لما عرض من الموت ونحوه (غَيْرُ مُحَلَّى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ) أى محرمون ونصب غير على الحال من ضمير لكم (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) من التحليل وغيره لا اعتراض عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ) جمع شعيرة ، أى معالم دينه بالصيد في الإحرام (وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ) بالقتال فيه (وَلَا الْهَدْيَ) ما أهدى إلى الحرم من النعم بالتعرض له (وَلَا الْقُلَائِدَ) جمع قلادة وهى ما كان يقلده من شجر الحرم ليأمن ،

أن يكون متصلاً بتقدير مضاف والتقدير إلا محرم مايتلى (قوله غير محلى الصيد) أى غير محلى للصيد أى بمعنى معتقدين حله وقوله أى محرمون أى أوفى الحرم فيحرم صيد الأنعام الوحشية بل الصيد مطلقاً أنعاماً أو غيرها وهو قبيد لقوله : أحلت لكم بهيمة الأنعام كأن الله قال أحل الله لكم بهيمة الأنعام كلها والوحشية أيضاً من الطيأ والبقر والحر والإصيد الوحشى منها أو من غيرها وأتم محرمون فلا يجوز فعله ولا اعتقاد حله (قوله ونصب غير على الحال من ضمير لكم) أى وقوله وأتم حرم حال من الضمير فى محلى (قوله إن الله يحكم ما يريد) كالعلة لما قبله أى فالأحكام صادرة من الله تعالى على حسب إرادته فلا اعتراض عليه ولا معتب لحكمه وهذا مما يرد على الاعتزلة القائمين بوجوب الصلاح والأصلح (قوله أى معالم دينه) أى العلامات الدالة على دينه من مأمُورات ومنهيات ، والمعنى لا تنهونوا بعالم دينه وقوله بالصيد في الإحرام خصه بقرينة ما قبله وما بعده وإلا فاللفظ عام كقوله أوفوا بالعقود فأولاً أمرنا بالوفاء بها وثانياً نهانا عن التفريط والتهاون بالشعائر وهى كناية عن معالم الدين والاحلال تارة يكون بالفعل أو الاعتقاد (قوله ولا الشهر الحرام) هو وما بعده من عطف الخاص على العام اعتناء بشأن تلك الأمور (قوله بالقتال فيه) سيأتى للمفسر أنه منسوخ بآية براءة وإن حمل على غير القتال كالظلم مثلاً فليس بمنسوخ قال تعالى : فلا تظلموا فيه أنفسكم (قوله ما أهدى إلى الحرم) إن حمل على هدايا الكفار فهو منسوخ بقوله تعالى : فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقوله : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . وسبب ذلك أن رجلاً من ربيعة يقال له الخطم سريخ بن هند أتى المدينة وترك خيله وجيوشه وجاء رسول الله بنفسه وقد كان أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم به فقال الوجه وجه كافر والقفا قفا غادر فلما وصل النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا محمد ما أمرنا به ؟ فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

فقال حسن إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراء دونهم ولعلي أسلم وآتي بهم فلما خرج استأق حمله من غنم أهل المدينة وإلهم فلما كان في العام القابل جاء ومعه تلك الأبل والنعم قد ساقها هدايا وهو مع بني بكر وهم أصحاب حلف لثني عليه الصلاة والسلام فأحب أصحاب رسول الله أن يأخذوها منه فزلت الآية (قوله أي فلا تعرضوا لها) أي للقلائد وهي ماقلده من شجر الحرم وقوله ولا لأصحابها أي الهدايا للقدات وانتهى عن التعرض للقلائد مبالغة عن التعرض للهدايا على حد ولا يبيدين ذنبتهم لأنه إذا نهى عن إبداء الزينة لشمالك بالجسم للوضوح فيه الزينة ويحتمل أن معنى قوله أولاً أصحابها أي الرجال المقلدين لأنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم بخشب من شجر الحرم فلا يتعرض لهم فتحصل أن تلغى لا تعرضوا للهدى وإن لم يكن مقداد ولا للقلادة من اللقد بل ولا للقد من الهدايا أو الرجال (قوله آمين) أي قوما آمين (قوله يمتنون فضلاً) حال من الضمير في آمين (قوله وهذا منسوخ) أي قوله ولا الشجر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام وقوله بآية براءة أي جنبها إذ الناسخ أكثر من آية فالمنسوخ ماعدا قوله لا تحلوا شعار الله فلبست منسوخة إن حملت على معام دينه كما تقدم وأما إن حملت على شعار الكفار وإحرامهم بمعنى لا تبطلوه ولا تهدموا كان أيضاً منسوخاً وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية (قوله أمر إباحة) دفع بذلك ما يقال إن الأمر يقتضي الوجوب على الحرم إذا دخل من إحرامه أن يصطاد (قوله ولا يجزئكم) هذه الآية نزلت عام الفتح حين تمكن النبي صلى الله عليه وسلم (٢٤٩) وأصحابه من مكة وأهلها فنهأهم الله تعالى عن التعرض للكفار

بالقتال والإيذاء والمعنى لا تعاملوهم مثل ما كانوا يعاملونكم به ولذا ورد أن رسول الله لما دخل مكة قال اذهبوا أنتم الطلقاء أنا قاتل لكم كما قال أخى يوسف لاختوته لا تتريب عليكم اليوم وبسبب ذلك صاروا مؤمنين ولذا قال البوصري :

أى فلا تعرضوا لها ولا لأصحابها (ولا) تحلوا (آمين) قاصدين (البيت الحرام) بأن قتالوهم (ييمتنون فضلاً) رزقا (من ربهم) بالتجارة (ورضواناً) منه بقصد بزمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية براءة (وإذا حللتم) من الإحرام (فأصطادوا) أمر إباحة (ولا يجزئكم) يكسبكم (شئان) بفتح النون وسكونها : بنف (قوم) لأجل (أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) عليهم بالقتل وغيره (وتعاونوا على البر) فعل ما أمرتم به (والتقوى) بترك ما نهيتهم عنه (ولا تعاونوا) فيه حذف إحدى التاءين في الأصل (على الإنهم) المعاصي (والمذون) التمدي في حدود الله (وأتقوا الله) خافوا عقابه بأن تطيعوه (إن الله شديد العقاب) لمن خالفه (حرمت عليكم الميتة) أى أكلها (والنم) أى للسفوح كما في الأنعام (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) ،

ولو أن اتقاهم لموى النفس حس لدامت قطيعة وجفاء وقرأ الجمهور بفتح الباء من جرم الثلاث واختلفوا في معناه فقيل معناه لا يكسبكم وقيل معناه لا يحملنكم (قوله بفتح النون وسكونها) أى فهو مصدر شئ كعلم فهو سماعى ومن المادة قول العرب : مشنوء من شئئوك أى مبعوض من يبخض وقوله تعالى إن شئتكم هو الأبر أى باغضك (قوله لأجل أن صدوكم) أشار بذلك إلى أنه مفعول لأجله فهو علة للشئان أى لا يحملنكم بنفكم لقوم لأجل صدم إياكم عن المسجد الحرام (قوله أن تعتدوا) أى بأن تعتدوا أو على أن تعتدوا حتى أسلموا فهم إخوانكم فلا تعرضوا لهم (قوله فعل ما أمرتم به) قال ابن عباس البر متابعة السنة (قوله إن الله شديد العقاب) في الآية وعيد وتهديد عظيم (قوله حرمت عليكم الميتة) هذا شروع في بيان ما أجل أولاً في قوله إلا ما تبلى عليكم وذكر في هذه الجملة العظيمة أحد عشر كلها محرمة منها عشرة مطعومة وواحد غير مطعوم وهو قوله : وأن تستقسموا بالأزلام (قوله للميتة) فيه رد على جاهلية العرب حيث قالوا كما حكى الله عنهم وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة قد كورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ، وعلى الشركين حيث أحلوا أكلها مطلقاً (قوله أى المسفوح) أى السائل (قوله كما في الأنعام) أى في قوله تعالى : إلا أن يكون ميتة أو دعا مسفوحاً الآية وأما غير المسفوح كالسكبد والطحال والدم الباقى في العروق فهو طاهر ويجوز أكله (قوله ولحم الخنزير) أى ولو ذكى : هو نجس كله ماعدا الشعر إن جزء عند مالك فهو طاهر ويجوز استعماله (قوله وما أهل لغير الله به) الإهلال رفع الصوت والأظهر أن اللام بمعنى الباء والباء بمعنى عند والمضى ولمرفع الصوت عند ذكائه بغير الله أى باسم غير الله [٣٢ - صاوى - أول]

كما إذا قال باسم اللات أو العزى قال تعالى ولاتأخذا لها مؤذنا لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق فإن جمع بين اسم الله واسم غيره حلب اسم الله وتوكل لأنه يعلو ولا يعلو عليه والموضوع أن ذلك وقع من كتابي وأما من مسلم فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته وهذا مذهب مالك بن أنس ومراد مالك بأهل الكتاب الذين تؤكل ذبيحتهم إن لم يذكر اسم الله عليه اليهود والنصارى ولو غيروا وبدلوا (قوله بأن ذبح على اسم غيره) المناسب أن يقول بأن صرح عند ذبحها باسم غيره ليندفع التكرار بين ما هنا وبين ما يأتي في قوله وما ذبح على النصب (قوله والمنخقة) كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك (قوله والموقودة) كانوا في الجاهلية يضربون الشاة بنحو العصا حتى تموت ويأكلونها (قوله والنطيحة) فعيلة بمعنى مفعولة (قوله وما أكل السبع) كانوا في الجاهلية إذا جرح السبع شيئا وأكل منه أكلوا ما بقي. والسبع اسم لكل ما يفترس من ذى الناب كالأسد والذئب ونحوهما (قوله أى أدركتم فيه الروح) أى مع بقاء الحياة المستقرة بحيث يتحرك بالاختيار أو يبصر بالاختيار ولو نفذت مقاتله ، وهذا مذهب الشافعي ومذهب مالك لابد من استقرار الحياة مع عدم إنفاذ المقاتل فما أدرك بدكاة وهو مستقر الحياة وكان قبل إنفاذ مقتله أكل وإلا فلا يؤكل ولو ثبتت له حياة مستقرة. والمقاتل هو قطع النخاع ونثر الدماغ وفري الودج وثقب المصران ونثر الحشوة وفي شق الودج قولان والاستثناء راجع للمنخقة والموقودة والتردية والنطيحة وما أكل السبع وهو متصل على كلا المذهبين مع مراعاة الشرط المتقدم عند كل (قوله وما ذبح على النصب) أى ذكر اسم الصنم على ذلك المذبح فإن فعل ذلك مسلم لولى (٢٥٠) وقصد التقرب له كما يتقرب لله فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته وأما إن قصد

أن الذبح لله وثوابه للولى فلا بأس بذلك فإن نذر ذبيحة لولى ميت كالسيد البدوي مثلا فإن قصد انتفاعه بها كالحلى فهو نذر باطل وأما إن قصد أنها تذبح في محله من غير قصد فقراء ذلك المحل فلا يسوقها لذلك المحل بل يذبحها بأى محل شاء قال

بأن ذبح على اسم غيره (وَالْمُنْحَقَّةُ) الميتة خنقا (وَالْمَوْقُودَةُ) المقتولة ضربا (وَالْمُتَرَدِّدَةُ) الساقطة من علو إلى سفلى فانت (وَالنَّطِيحَةُ) المقتولة بنطح أخرى لها (وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ) منه (إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ) أى أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه (وَمَا ذُبِحَ عَلَى) اسم (النَّصَبِ) جمع نصاب وهي الأصنام (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا) تطلبوا القسم والحكم (بِالْأَزْلَامِ) جمع زلم بفتح الزاى وضما مع فتح اللام: قدح بكسر القاف صغير لا يرش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكمونها فإن أمرتهم ائتمروا وإن نهتهم اتهموا (ذَلِكُمْ فَسْقٌ) خروج عن الطاعة . ونزل بعرفة عام حجة الوداع (اليَوْمَ ،

يشن

مالك سوق الهدايا لغبر مكة ضلال وإما إن قصد بسوقها فقراء ذلك المحل لزمه سوقها

(قوله وهي الأصنام) سميت الأصنام نصبا لأنها تنصب وترفع لتعظم وتعبد (قوله تطلبوا القسم) بالكسر ما قسم لكم من خير أو شر وبالفتح أى تميزه لأن القسم بالفتح تمييز الأنصاب والكسر الحظ والنصب (قوله مع فتح اللام) راجع لكل منها (قوله وكانت سبعة) أى وكانت أزلامهم سبعة قدح مستوى مكتوب على واحد منها أمرنى ربى وعلى واحد نهانى ربى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وواحد غفل أى ليس عليه شئ وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمرا من سفر أو غيره جاءوا إلى هبل وهو أعظم صنم بمكة وكان في الكعبة وأعطوا صاحب القداح مائة درهم فإن خرج أمرنى ربى فعلوا ذلك الأمر وإن خرج نهانى ربى لم يفعلوا وإذا كان ذلك لنسب فإن خرج منكم أحقوه بهم وإن خرج من غيركم لم يلحقوه وإن خرج ملصق كلن على حاله وإن اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه العقل فحمله وإن خرج الغفل فعلوا ثانيا حتى يخرج الكتاب فقام الله عن ذلك (قوله عند سادن الكعبة) أى خادمها (قوله عليها أعلام) أى كتابتها (قوله وكانوا يحكمونها) فى نسخة يجيبونها أى يجيبون حكمها (قوله ذلكم فسق) أى الاستقسام المذكور خروج عن طاعة الله. إن قلت إن هذه بعيسهاى القرعة الجائزة فى الاسلام . أجيب بأن تحریم هذه إنما جاء من إحالتها للصنم وتقويض الأمر له ولذا لو فعلت القرعة بحضرة ولّى ميت مثلا وفوض الأمر له لكان الحكم الحرمة كالاستقسام بالأزلام واسم الإشارة مبتدأ وفسق خبر وهو راجع إلى الاستقسام بالأزلام كما هو مروى عن ابن عباس، وقيل راجع إلى جميع ما تقدم وكل صحيح (قوله ونزل بعرفة) أى والنبي قائم بخطب بها قائم فى اليوم للمهد الحضورى وللنبي اليوم الحاضر وهو يوم عرفة وكان يوم جمعة

وعلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها أحداً وثمانين يوماً (قوله يئس) اليأس ضد الرجاء والمعنى انقطع طمع الكفار في إبطال دينكم لما شاهدوا من دخول الناس فيه أفواجا وذلك أن قبل حجة الوداع حج أبو بكر بالناس وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً خلفه ينادي : لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ففى حجة الوداع تفرد النبي وأصحابه بالحج حينئذ نزلت الآية المشرفة (قوله لما رأوا) علة لقوله يئس وقوله بعد طمعهم متعلق بيئس أيضاً (قوله فلا تخشوم) أى لا تخافونم لظاهرها ولا باطنها (قوله واخشون) بحذف الياء وصلاً ووفقاً بخلاف واحشونى فى البقرة فانها بدوت الياء وصلاً ووفقاً اتفاقاً وبخلاف الآتية فى يأبى الرسول لا يحزنك ففيها الحذف والاثبات والمعنى لا تخافوا من الكفار وخافون لأنى مالك الدنيا والآخرة عزاً ودلاً ولا يملك ذلك غيرى فمن شهد ذلك وكل دينه فلا يخاف إلا مولاه ولا يرجو سواه فانه المعطى المانع الضار النافع (قوله اليوم) بدل من اليوم قبله (قوله أحكامه وفرائضه) دفع بذلك ما يقال إنه قد نزل بعدها : واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله فيكون حينئذ الكمال نسبياً . فأجاب بأن المراد إكمال الأحكام والفرائض التى أرسل بها رسول الله وأما آية واتقوا يوماً فهى موعظة ولا حكم فيها . إن قلت إن قوله أكلت لكم دينكم يقتضى نقصانه قبل ذلك . وأجيب بأن القرآن نزل جملة فى بيت العزة فى مماء الدنيا وصار ينزل بعد ذلك مفرداً حين نزول هذه كأن الله تعالى يقول لا تنتظروا بعد ذلك حكماً فأنى قد آمنت لكم ما قدرته لكم وادخرته عندي ولذلك حين نزلت بكى عمر فقال له رسول الله ما يبكيك فقال * إذا تم شئ بدا نقصه * فقال له صدقت فكانت هذه الآية (٢٥١) بى رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم روى عن عمر بن الخطاب أن رجلاً يهودياً قال له يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم لوعلىنا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال له أى آية ؟ قال : اليوم أكلت لكم دينكم الآية فقال عمر قد عرفنا ذلك اليوم

يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ) أن تردوا عنه بعد طمعهم فى ذلك لما رأوا من قوته (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام (وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) بإكماله وقيل بدخول مكة آمناً (وَرَضِيتُ) أى اخترت (لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ، فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ) مجاعة إلى أكل شئ مما حرم عليه فأكله (غَيْرَ مُتَجَانِفٍ) مائل (لِإِثْمٍ) معصية (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) له ما أكل (رَحِيمٌ) به فى إباحته له بخلاف المائل لإثم أى المتلبس به كقاطع الطريق والباغى مثلاً فلا يحل له الأكل (يَسْتَأْذِنُكَ) يا محمد (مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ) من الطعام ،

والسكان الذى أنزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر اه وقد تضمن جواب عمر أنهم جعلوا صبيحتها عيداً (قوله بإكماله) أى الدين والأحسن أن يراد باتمام النعمة ماهو أعم (قوله ورضيت) هذه الجملة مستأنفة لبيان الحال وليست معطوفة على أكلت لأنه يقتضى أنه لم يرض الإسلام ديناً إلا اليوم ولم يرضه قبل ذلك وليس كذلك لأن الإسلام لم يزل مرضياً لله وللنبي وأصحابه منذ أرسله ، ورضى متعد لواحد الإسلام مفعوله وديننا تمييز (قوله فمن اضطر) مفرع على حرمت عليكم الميتة فقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم إلى قوله ديننا معترض بينهما لبيان أن الإسلام حنيفية سمحاء لا صعبة فيه كالأديان المتقدمة ومن اسم شرط واضطر فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فلا إثم عليه وقد صرح به فى آية البقرة (قوله أى أكل شئ) أى بقدر الضرورة وسد الرمق وبذلك قال الشافعى ، وقال مالك يا كل اضطر من الميتة ويشبع ويتزود فان استغنى عنها طرحها وقدم مال الغير على الميتة عند مالك إن لم يخف الضرر وقدم المختاف فيه على المتفق على حرمة (قوله غير متجانف لإثم) أى بأن كان اضطراره ناشئاً عن إثم فلا يجوز له الأكل هكذا حمل الآية مالك ، وقال الشافعى غير متجانف لإثم بأن كان عاصياً بسفره كالآبق وقاطع الطريق فقوله المفسر كقاطع الطريق والباغى أى المسافرين ، وأما الحاضرون فيباح لهم أكل الميتة وأما عند مالك فلا فرق بين العاصى بالسفر والطائع به فانهما كال حاضر فياً كلان منها إذا اضطرأ حيث لم يمكن إصراره على المعصية موقعا له فى الاضطرار (قوله يستأذنك) هذه الآية مرتبة على قوله حرمت عليكم الميتة الخ ، فلما بين المحرمات سألوا عن الحلال وصورة السؤال ماذا أحل الله لنا وروى فى سبب نزولها أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال له النبي

قد أذن لك يارسول الله قال أجل ولكننا لاندخل بيتا فيه كلب فأمر صلى الله عليه وسلم أباه رافع بقتل كل كلب في المدينة ففعل حتى انتهى إلى امرأة عندها كلب يبيع عليها فتركه رحمة لها ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمره بقتله فرجع إلى الكلب فقتله فجاءوا إلى رسول الله فقالوا له ما يحمل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله فنزل - يسألونك ماذا أحل لهم - الآية فعند ذلك أذن رسول الله في اقتناء الكلاب التي يتفجع بها ، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها ، روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمسك كلبا فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط » وفي رواية « قيراطان إلا كلب حرث أو ماشية » ويؤخذ من هذا الحديث أن قتل غير النافع من الكلاب مندوب إن لم يكن عقورا يخشى منه الضرر ولا يندفع إلا بالقتل وإلا وجب قتله عند مالك (قوله للمستلذات) أى الشرعية وهى ما لم يثبت تحريمها بكتاب أو سنة فلا يرد لحم الخنزير مثلا إذا أتقن طبخه (قوله وصيد ما علمتم) قدره إشارة إلى أن ما معطوف على الطيبات لكن على حذف مضاف وصيد بمعنى مصيد ومن الجوارح بيان لما (قوله مكليين حال) أى من التاء فى علمتم (قوله من كلبت) أى مأخوذ من كلبت (قوله أرسلته على الصيد) أى لمعنى مكليين مرسلين بمعنى قاصدين إرساله احترازا عما لو ذهب من غير إرسال وأتى بصيد فلا يؤكل وفسره غيره بالتعليم فيكون حالا مؤكدة لعاملها ومآله الفسر أوجه وإن ردد بأنه لاستند له فى ذلك لأن الفسر حجة ، وعبر (٢٥٢) عن الإرسال بالتكليب إما إشارة إلى أن ذلك غالب فى الكلاب أو أن

(قُلْ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ) (وَ) صيد (مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ) الكواصب من الكلاب والسباع والطيور (مُكَلِّبِينَ) حال من كلبت الكلب بالتشديد أى أرسلته على الصيد (نَعْلَمُونَهُنَّ) حال من ضمير مكليين أى تؤدبونهن (مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ) من آداب الصيد (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) وإن قتلته بأن لم يأكل منه بخلاف غير الملمة فلا يحمل صيدها وعلامتها أن تسترسل إذا أرسلت وتزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها فلا يحمل أكله كما فى حديث الصحيحين ، وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح (وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) عند إرساله (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ) (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)

الكلب يطلق على كل ما يصاد به من سبع وطيور (قوله حال من ضمير مكليين) أى مؤكدة إن فسر مكليين بملكين ومؤسسة إن فسر بمرسلين ويصح أن يكون جملة مستأنفة موضحة لما قبلها (قوله مما علمكم الله) من للتبعية ، وقوله من آداب الصيد بيان لما (قوله فكلوا مما أمسكن

عليكم) نتيجة قوله وما علمتم من الجوارح ، وقوله عليكم أى لكم (قوله بأن لم يأكل منه) أى أى فإن أكل منه فلا يؤكل وهو داخل فى قوله وما أكل السبع ، وهذا الشرط اعتبره الشافى وعند مالك يؤكل ولو أكل منه الجوارح فإن أدرك حيا فلا بد من ذكائه الشرعية ، فقوله بأن لم يأكل تفسير لقوله أمسكن عليكم لأنه إن أكل منه فليس بمسكا لصاحبه بل لنفسه وقد علمت أن هذا التقييد مذهب الشافى وسيأتى إيضاحه فى آخر عبارة الفسر (قوله وعلامتها الخ) ذكر أربع علامات وهى معتبرة فى الكلب والسبع ، وأما فى الطيور كالصقر فلا يعتبر فيه إلا قيدان أن لا يأكل منه وأنه إذا أرسل استرسل . والحاصل أن المدار عند مالك فى الصقر أنه إذا أرسل استرسل وزاد الشافى فيه أن لا يأكل مما أمسك ، وأما فى الكلب والسبع ففيه القيود الأربعة التى ذكرها الفسر ماعدا الأكل عند مالك (قوله كما فى حديث الصحيحين) أى ولكن هذا الحديث لم يأخذ به مالك (قوله وفيه) أى فى الحديث (قوله وذكر اسم الله عليه) أى وهو سنة عند الشافى وعند مالك واجب مع الله كره والقدرة ، وأما النية فلا بد منها لأنها شرط صحة (قوله كصيد المعلم من الجوارح) ألحق مالك بالسهم ما يصيد يندق الرصاص لأن قوته تقوم مقام حد السهم (قوله عليه) اختلف فى مرجع الضمير فقيل عائذ على ما علمتم من الجوارح وإليه يشير الفسر قوله عند إرساله وقيل عائذ على ما أمسكن عليكم أى سموا الله إذا أدركتم ذكائه (قوله واتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه حيث بين لكم الحلال والحرام (قوله سريع الحساب) ورد أنه يحاسب الخلق فى قدر نصف يوم من أيام الدنيا (قوله اليوم) يحتمل أن المراد باليوم المتقدم فى قوله اليوم يمس الدين كفروا وهو يوم عرفة ، ويحتمل أن المراد يوم نزولها ويحتمل

أن المراد به الزمن مطلقا (قوله أى ذبائح اليهود والنصارى) أى إن ذبح ما هو حلّ لهم فى شرعنا ولم يذكر اسم غير الله عليه وتؤكل ذبائحهم ولو غيروا اليهودية بالنصرانية وعكسه عند مالك واشترط الشافعى عدم التغير والتبديل (قوله وطعامكم إيام) أى بمعنى إطعامكم إيام ومعنى حلّ لهم أى لا يحرم عليهم بشرعهم ولا يحرم علينا أن نطعمهم من ذبائحنا (قوله والمحصنات من المؤمنات) أى الحرائر منهن وأما الإماء فتقدم أئهن حلّ بالشروط (قوله الحرائر) أى وأما الإماء فلا يحلّ نكاحهن إلا بالملك وأما حرائنا فلا يحلّ لهم نكاحهن بل ولا إماءنا فتحصل أن طعامنا حلّ لهم وطعامهم حلّ لنا ونساؤنا حلّ لنا ونساؤنا لمن حلال لهم (قوله إذا آتيتموهن أجورهن) بيان للأكل واحترز عن الدخول على إسقاطه فلا يحلّ والظرف متعلق بالخبر المحذوف الذى قدره المفسر بقوله حلّ لكم (قوله محصنين) حال من آتيتموهن أى حال كونكم محصنين ، وقوله غير مسافحين نصت لمحصنين (قوله أخذان) جمع خدن وهو الخليل والصاحب الذى يزنى بالمرأة سرا (قوله بالإيمان) الباء بمعنى عن والكفر بمعنى الردة أى يرتد عن الإيمان (قوله حبط عمله الصالح) أى والسيء إن عاد للإسلام بمعنى بطل كل منهما فلو عاد للإسلام فلا تنقاب عليه فى السيء ولا ثواب له فى الصالح والمرتد لا يقضى الصلاة ولا الصوم ولا الزكاة إذا فاته جميع ذلك فى زمن الردة أو قبل زمنها ما لم يرتد بقصد إسقاط ذلك ولا يقضى إلا ما أسلم فى وقته لعموم آية - قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف - عند مالك وعند الشافعى يقضى جميع ذلك ، وأما الحج فوقته وهو العمر باق فيقضيه (قوله إذا مات عليه) أى الكفر وهو راجع لقوله وهو فى الآخرة من الخاسرين لما قبله فانه يحبط عمله زمن (٢٥٣) الردة مطلقا مات على الكفر

أو الاسلام (قوله يا أيها الذين آمنوا) إنما وجه الخطاب للمؤمنين وإن كان الكفار مخاطبين بفروع الشريعة أيضا على الصحيح لعدم محبتها منهم إلا بالاسلام (قوله إذا قمتم) أى اشتغلتهم بها قولاً أو فعلاً من قيام أو غيره (قوله أى أردتم القيام) دفع بذلك

أى ذبائح اليهود والنصارى (حلّ) حلال (لكم وطعامكم) إيام (حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات) الحرائر (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) حلّ لكم أن تنكحوهن (إذا آتيتموهن أجورهن) مهورهن (محصنين) متزوجين (غير مسافحين) معلنين بالزنا بهن (ولا متخذى أخذان) منهن تسرون بالزنا بهن (ومن يكفر بالإيمان) أى يرتد (فقد حبط عمله) الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) إذا مات عليه (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم) أى أردتم القيام (إلى الصلاة) وأتم محدثون (فأغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) أى معها كما بيته السنة (وأمسحوا برؤوسكم) ،

ما يقال إن مقتضى الآية أن الطهارة لا تجب إلا بعد الشروع فى الصلاة فأجاب بأن المراد أردتم القيام أى قصدتموه وعزمتهم عليه وشرعت الطهارة قبل الصلاة لأن الصلوة ينأى ربه وهو فى حضرته فيحتاج قبل ذلك للنظافة من الحدثين الأصغر والأكبر ومن الخبثين الحسى والغوى كالذنوب ليرتب على ذلك قبول طاعاته (قوله وأتم محدثون) أى حدثا أصغر وأخذ المفسر هذا من قوله فيما يأتى وإن كنتم جنسا وفيه إشارة للجواب عن إشكال البيضاوى حيث قال ظاهر الآية أن كل قائم إلى الصلاة يجب عليه الوضوء وإن لم يكن محدثا ، وقوله وأتم محدثون أى ممنوعون من الصلاة لعدم وجود الطهارة فيشمل من ولد ولم يحصل منه ما يوجب الوضوء إلى أن بلغ فيجب عليه الوضوء لأنه كان ممنوعا من الصلاة قبل ذلك لعدم وجود الطهارة ولذا علق الوضوء بالقيام للصلاة (قوله وجوهكم) أى ليغسل كل منكم وجهه ولو تعدد وحده طولا من منابت شعر الرأس المعتاد لآخر الذقن وعرضا ما بين وتدى الأذنين ويخلل لحيته إن كانت خفيفة وإلا غسل ظاهرها فقط ويتبع أسارير جبهته والوترة ولا يلزمه غسل داخل العينين وأما اللضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين فسنة (قوله أى معها) أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى مع وهذا أسهل ما قبل وقيل إن إلى على بابها من الانتهاء والغاية داخل وقيل خارجة وقيل إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها دخلت وإلا فلا والأصح أن إلى لا يدخل ما بعدها فيها قبلها عكس حتى ، قال سيدى على الأجهورى

وفى دخول الغاية الأصح لا تدخل مع إلى وحتى دخلا وأما فى الآية فاما أن يقال إنها بمعنى مع أو الغاية داخل على خلاف القاعدة لوجود القرينة فصل للمرافق واجب لذاته وليس من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب (قوله كما يفته السنة) أى فينت السنة أن للمرافق فصل مع الأيدي ويجب غليل أصابع الأيدي عند مالك لوجوب ذلك عنده .

(قوله الباء للالصاق) وقيل لتبعض لدخولها على متعّد ، وأما في: وليطوفوا بالبيت فللاصاق لدخولها على غير متعّد وأورد على ذلك آية التيمم فإن قيل إنها للالصاق يقال أى فرق بينهما ولما كان هذا المعنى معترضا عدل عنه المفسر وجعلها للالصاق في كل واحد وأحال بيان ذلك للسنة (قوله أى ألقوا المسح بها) لعل في كلام المفسر تساعها لأن للمسح معنى من المعاني لا يلائق لأن اللصاق لا يكون إلا بين جسمين إلا أن يقال المراد بالمسح آتته وهي اليد (قوله من غير إسالة ماء) بيان لحقيقة المسح من حيث هو لا لما يكفي في الوضوء فإن الفصل يكفي أيضا (قوله وهو) أى المسح (قوله وهو مسح بعض شعرة) وقال أبو حنيفة يجب مسح ربيع الرأس ، وقال مالك وأحمد يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه في التيمم (قوله بالنصب) أى لفظا وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وقوله والجبر أى وهي لباقي السبعة (قوله على الجوار) أى فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة. واعترض هذا المحل بأنه لم يرد الجبر بالمجاورة إلا في التفت ومع ذلك هو ضعيف والأولى أن يقال إنه مجرور لفظا ومعنى معطوف على الردوس والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة لبس الخف، أو يقال إن المراد بالمسح الغسل الخفيف ومما مسعا ردا على من يقتبع الشك ويسرف في الماء وهو بعيد (قوله وهما) أى الكبان (قوله عند مفصل) (٢٥٤) فتح اليم وكسر الصاد وأما بكسر اليم وفتح الصاد فهو اللسان ويجب

على الانسان في غسل رجليه أن يتبع العقب بالفصل لما في الحديث «ويل للأعقاب من النار» وتسق الزيادة على محل الغرض عند الشافعي وفسر بها الغسرة والتججيل الواردين في الحديث وكره مالك ذلك وفسر الغسرة والتججيل بادامة الطهارة (قوله والفصل) هو مبتدأ وخبره يفيد وقصده بذلك تميم الفرائض الستة عند الشافعي وحصل ذلك أن

الباء للالصاق ، أى ألقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعرة وعليه الشافعي (وَأَرْجُلَكُمْ) بالنصب عطفا على أيديكم وبالجبر على الجوار (إِلَى الْكَعْبَيْنِ) أى متهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المفصلة بالرأس المسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعي ، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات (وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) فاعتسلوا (وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى) مرضا يضره الماء (أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أى مسافرين (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) أى أحدث (أَوْ لَأَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) سبق مثله في آية النساء (فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً) بعد طلبه (فَتَيَمَّمُوا) اقصدوا (صَعِيدًا طَيِّبًا) ترابا طاهرا (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) مع المرفقين (مِنْهُ) بضربتين والباء للالصاق وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ) ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم (وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ) ،

الواو وإن كانت لا تقتضي ترتيبا لكن وجدت قرينة تفيد الترتيب

من

وهو الفصل بين الغسولات بالرأس المسوح لكن يقال إن ذلك ظاهر في غير الوجه مع الأيدي وعند مالك ليس الترتيب فرضا وإنما هو سنة إبقاء للواو على ظاهرها ولم يعتبر تلك القرينة (قوله وجوب النية فيه) أى لأنه عبادة وكل عبادة تحتاج لنية فتحصل أن فرائض الوضوء عند الامام الشافعي ستة أربعة القرآنية والنية والترتيب ، وعند مالك سبعة أربعة والنية والموااة بأن لا يفرق بين أجزائه تفريقا متفاحشا والتدليك وهو إمرار باطن الكف على الأعضاء وعند الحنفية الأربعة القرآنية لا غير (قوله وإن كنتم جنبا) أى بمنقب الحشفة أو خروج المني بقلة معتادة في اليقظة أو مطلقا في النوم أو الحيض أو النفاس لأن الخطاب عام للذكور والاناث (قوله أى أحدث) أى فالحجىء من الغائط كناية عن الحدث وعبر عنه بالغائط لأن العادة قضاء الحاجة في الغائط بمعنى المكان المنخفض (قوله سبق مثله) أى فيقال هنا جامعتم أوجستم باليد (قوله مع المرفقين) أى فهو فرض عند الشافعي حملا على آية الوضوء وعند مالك مسح المرفقين سنة وإنما الفرض للكوعين (قوله بضربتين) أى فهما فرض عند الشافعي وعند مالك الأولى فرض والثانية سنة (قوله وبينت السنة الخ) جواب من الشافعية والحنفية عن التعارض الواقع بين آية الوضوء وآية التيمم (قوله من الوضوء والغسل والتيمم) أى فأوجب ما ذكر عند القدرة عليه ووجود الماء أو الصعيد فإن فقدا سقطت عنه الصلاة وقضاؤها على المعتد عند مالك ويصل ويغضى عند الشافعي .

(قوله من الأحداث والذنوب) أى فإذا نظر الإنسان فقد خلس من الحدث والذنوب لأنه ورد أن الذنوب تنساق مع غسل الأعضاء (قوله بالإسلام) الباء للتعدية والجار والمجرور متعلق بنعمة فهو أعظم النعم لأنه به ينال كل خير (قوله إذ قاتم) ظرف لقوله : واتقاكم به (قوله حين بايعتموه) أى عند العقبة سنة الهجرة لما جاءه سبعون من الأنصار ورئيسهم إذ ذاك البراء بن معرور وكان له اليد البيضاء في الميثاق حتى أنه قال والذى بعثك بالحق لنمعنك مما نمع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب كبارا عن كبارهم وبايعوه على أن يقاتلوا معه الأسود والأبيض وكذلك بيعة الرضوان تحت الشجرة حين صده المشركون عن البيت وأشاع إبليس أن عثمان قتل فبايع النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على عدم الرجوع حتى يقتلوا أو يدخاؤ مكة ، هكذا حمل المفسر العهد على عهد النبي أصحابه ، ويحتمل أن المراد العهد الواقع يوم ألت بر بكم فيكون المعنى اذكروا نعمة الله عليكم حيث خلقكم على التوحيد في عالم الأرواح وجعل عالم الأجساد موافقا له فلايمان نعمة عظيمة لموافقته للإجابة الواقعة يوم ألت بر بكم وكل صحيح لكن إن كان المراد عهد الله الأزل فالنسبة له ظاهرة وإن كان المراد عهد النبي لأصحابه فاسناد العهد لله لأنه هو المعاهد حقيقة قال تعالى - إن الدين يبايعوك إنما يبايعون الله - الآية (قوله معنا) أى سماع قبول (قوله مما نحب) أى بأن كان موافقا لما تنهوا نفوسهم وقوله ونكره أى بأن لم يكن موافقا كالجهاد وأداء الزكاة مثلا (قوله بما في القلوب) أى من الاخلاص وغيره فذات الصدور صفة لموصوف (٢٥٥) محذوف تقديره بالأمور الخفية

صاحبات الصدور التي لايطاع عليها إلاالله (قوله بأياها الدين آمنوا الخ) شروع في بيان الحقوق الواجبة على العباد وهي قسمان متعلق بالخالق وهو قوله قوامين لله وبالخلق وهو قوله شهداء بالقسط وقد تقدمت هذه الآية في النساء وكررها اعتناء بشأنها فان مقام القيام بحق الله وحق عباده عظيم وهو حقيقة التوفيق

من الأحداث والذنوب (وَلِيْتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ) بالإسلام ببيان شرائع الدين (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمه (وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام (وَمِيثَاقَهُ) عهده (الَّذِي وَاتَّقَكُمْ بِهِ) عاهدكم عليه (إِذْ قُلْتُمْ) للنبي صلى الله عليه وسلم حين بايعتموه (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) في كل ما تأمر به وتنهى مما نحب ونكره (وَاتَّقُوا اللَّهَ) في ميثاقه أن تنقضوه (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب فبغيره أولى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ) قَائِمِينَ (لِلَّهِ) بحقوقه (شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ) يحملنكم (شَتَاَنُ) بغض (قَوْمٍ) أى الكفار (عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا) فتنالوا منهم لعداوتهم (اْعْدِلُوا) في العدو والولى (هُوَ) أى العدل (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وعدا حسنا (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)

فليس كل من آمن قام بالحقين وقوله قوامين خبر لكونوا وشهداء خبر ثان (قوله بحقوقه) أى الخاصة به كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك (قوله شهداء بالقسط) أى فلا تشهدوا بخلاف الواقع بل بما في نفس الأمر وهو المراد بقوله بالعدل (قوله يحملنكم) هو معنى يجرم منكم ومن ثم عداه بعلى ويجوز أن يفسر بيسببكم وهما متقاربان (قوله شتآن) بفتح النون وسكونها سبعيتان (قوله أى الكفار) أشار به إلى أنها نزلت في قريش لما صدوا النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام ولكن العبرة بعموم اللفظ (قوله على أن لا تعدلوا) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بعلى أى على عدم العدل كنقض العهد وإيذاء من أسلم منهم (قوله فتنالوا منهم) أى مقصودكم من القتل وأخذ المال (قوله في العدو والولى) أى فسوا بين الحب والمبغض في العدل ولا تؤثروا الحب (قوله اعدلوا) نصريح بما علم من النهى عن ترك العدل اعتناء بشأن العدل (قوله أى العدل) أى المأخوذ من قوله اعدلوا فان الضمير لابد أن يرجع لذكر ولوضنا كما هنا (قوله أقرب للتقوى) أى أقرب ما يدل على التقوى لأنها في القلب والعدل أكبر دليل عليها فعند القدرة يظهر الحال فمن ظهر العدل على يديه كان دليلا على تقواه ومن لا فلا ومنه ماورد : الظلم كين في النفس القوة تظهره والعجز يخفيه (قوله واتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبواواهيه (قوله إن الله خبير بما تعملون) فيه وعد ووعيد وبين الوعد بقوله : وعد الله الذين آمنوا ، وبين الوعيد بقوله : والذين كفروا الخ (قوله وعد الله الذين آمنوا) تفصيل لما أجمل في قوله إن الله خبير بما تعملون والذين مفعول أول لوهد وقدر المفسر المفعول الثاني بقوله وهذا حسنا أى موعودا فأطلقوا

للصدر وأراد اسم للفعول وقوله لهم مغفرة وأجر عظيم جملة مستأنفة بيان للعود به الحسن (قوله الجنة) تفسير للأجر العظيم فيكون عطف الأجر العظيم على المغفرة من عطف السبب على السبب (قوله والذين كفروا) مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وأصحاب خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول والجملة مستأنفة لبيان وعيد الكفار ولم يقل في جانب الكفار لهم عذاب الجحيم مثلاً قطعاً لرجائهم لأن صاحب الشيء لا ينفك عنه (قوله يأيها الذين آمنوا) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأصحابه لعسفان في غزوة ذي أمان وهي غزوة ذات الرقاع قاموا إلى الظهور جميعاً فلما صلوا ندم المشركون على عدم المكر بهم في الصلاة فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون بها صلاة العصر وهما أن يقعوا بهم إذا قاموا إليها فرد الله كيدهم بنزول آية صلاة الخوف وقيل ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه أبو بكر وعمر وعليّ يستقرض منهم دية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ بحسبهما مشركين فقالوا يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فأجلسوه في صفة وهو بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رضى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه وأخبره غفرج هو وأصحابه ونقض عهدهم حينئذ وأقام الحرب عليهم ، وقيل هو ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً وتفرق أصحابه في الشجر يستظلون به فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وعلق سيفه بها ونام فجاء أعرابي وأخذ السيف من الشجرة وسله فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فوجده في يده فقال له الأعرابي يا محمد من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال لا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . والأحسن أن (٢٥٦) يراد بقوله إذ هم قوم ما هو أعم فيشمل هذه الوقائع وغيرها كواقعة السلم

(قوله أن يسطوا الخ) يقال بسط إليه يده إذا بطش به و بسط إليه لسانه إذا شتمه والمراد مدوا إليكم أيديهم بالقتل (قوله واتقوا الله) أي دوموا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله وعلى الله) أي لا طي

هو الجنة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ - يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُم قَرِيش (أَنْ يَسْطُوا) يمدوا (إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) لِيَفْتَكُوا بِكُمْ (فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) وعصمكم مما أرادوا بكم (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بما يذكر بعد (وَبَعَثْنَا) فيه التفات عن النبية أقنا (مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالمهد توثقة عليهم ،

(وقال)

غيره فلا يعتمد الايمان على سبب ولا غيره بل يشق بالله ويفرض أمره إليه (قوله) ولقد

أخذ الله ميثاق بني إسرائيل مسوق لبيان تحريض المؤمنين على الوفاء بالعقود فان المقدود من ذكر الامم السابغة ونقضهم عهود انبيائهم تذكير هذه الامة بأن الوفاء بالعهود أمره عظيم وأجره جسيم ونقضه فيه الوبال الكبير ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي : فالويل لمن لم يعرفك بل الويل ثم الويل لمن أقرّ بوحدايتك ولم يرض بأحكامك (قوله بما يذكرك بعد) أي من قوله إنى معكم لئن أقيم الصلاة الخ فعهد الله هو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات والدال على ذلك تجب مطاوعته فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله القائم بحقوق الله وحقوق عباده إذا أخذ العهد بذلك على إنسان وجب عليه اتباعه ونقض عهده إما كفر إذا قصد نقض ما هو عليه من التوحيد وغيره أو ضلال مبين إذا قصد عدم الالتزام بأوامره، وأما من خالف الشرع واتبع هوى نفسه فالواجب نقض عهده لأن من لا عهد له مع الله لا عهد له مع خلقه قال تعالى - فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى - هكذا ينبني (قوله فيه التفات عن النبية) أي وكان مقتضى الظاهر وبعت وإنما التفت اعتناء بشأن البعث (قوله أقنا) أشار بذلك إلى أن المراد بالبعث الجمل والاقامة لا الارسال وإلا لكانوا معصومين من النقض (قوله منهم) إما متعلق ببعثنا أو بمحذوف حال من اثني عشر وقوله نقيباً تمييزاً والنقيب فعيل إما بمعنى فاعل، لأنه يفتش على أحوال القوم أو بمعنى مفعول لأنهم فتنوا عليه واختاروه نقيباً عليهم مشتق من التنقيب وهو التفتيش ومنه فتنقبا في البلاد سمي بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم ويسى في مصالحهم (قوله من كل سبط نقيب) أي فالتنقيب على عدد الأسباط وهم أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر كل أولاد واحد منهم سبط (قوله توثقة عليهم) أي تأكيدا عليهم .

(قوله وقال لهم) أى للثقباء وعهد النقباء بعهد بنى إسرائيل أو الضمير عائداً على بنى إسرائيل عموماً. وسبب ذلك أن بنى إسرائيل لما رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله تعالى بالسير إلى أرمحاء بأرض الشام وكان يسكنها الجبارة الكنعانيون وقال لهم إني كتبتهما لكم داراً وقراراً فأخرجوا من فيها وإني ناصركم وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيباً أميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به ، فأختر النقباء وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل وسار بهم ، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء إليهم يتجسسون أحوالهم فأواخلاقاً أجسامهم عظيمة ولهم قوة وشوكة فهابوهم فرجعوا ، وكان موسى قد نهاهم أن يتحدثوا بما يرون من أحوال الكنعانيين فكنسوا الميثاق وتحدثوا إلا اثنين منهم ، قيل لما توجه النقباء لتجسس أحوال الجبارين لقيهم عوج ابن عنق وعنق أمه إحدى بنات آدم لصاحبه وكان عمره ثلاثة آلاف سنة وطوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثين ذراعاً وكان على رأسه حزمة حطب فأخذ النقباء وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم إلى امرأته فطرحهم بين يديها وقال اطحنيهم بالرحى ، فقالت لا بل تركتهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا فجعلوا يتعرفون أحوالهم ، وكان من أحوالهم أن عنقود العنب عندهم لا يحمله إلا خمسة رجال منهم وإن شجرة الرمان تسع خمسة منهم ، فلما خرج النقباء من أرضهم قال بعضهم لبعض إن أخبرتم بنى إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتبوه إلا عن موسى وهرون ثم انصرفوا (٢٥٧) إلى موسى وكان معهم حبة

من عنبرهم فكروا وعاهدوا وجعل كل واحد منهم نقيباً سبطه من القتال ويخبره بما رأى إلا كالب ويوشع وكان عسكر موسى فرسخاً في فرسخ فجاء عوج ابن عنق حتى نظر إليهم فجاء إلى جبل وأخذ منه صخرة على قدر عسكر موسى ثم حماتها على رأسه ليطبقتها عليهم فبعث الله المهددة فوسط الصخرة المحاذي لرأسه فوقعت في عنقه وطوقته فصرعته وأقبل موسى فقتله فأقبلت

(وَقَالَ) لَهُم (اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ) بِالْعَوْنِ وَالنَصْرَةِ (لَئِنْ) لَمْ تَقِمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) نَصَرْتُمُوهُمْ (وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بِالْإِثْقَاقِ فِي سَبِيلِهِ (لَا كُفْرًا عَنْكُمْ سَيِّئًا نَكْمٌ وَلَا دُخْلًا لَكُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) الْمِيثَاقِ (مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أَخْطَأَ طَرِيقَ الْحَقِّ، وَالسَّوَاءِ فِي الْأَصْلِ الْوَسْطُ فَتَقَضَّوْا الْمِيثَاقَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فِيمَا تَقْضِيهِمْ) عَارِئَةً (مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) أَمَدَنَاهُمْ عَنْ رَحْمَتِنَا (وَجَاءَنَا قُلُوبُهُمْ قَاسِيَةً) لَا تَلِينَ لِقَبُولِ الْإِيمَانِ (يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ) الَّتِي فِي التَّوْرَةِ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِ (عَنْ مَوَاضِعِهِ) الَّتِي وَضَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا أَيْ يَبْدِلُونَهُ (وَنَسُوا) تَرَكَوْا (حَظًّا) نَصِيبًا (يَمَّا ذُكِّرُوا) أُمِرُوا (بِهِ) فِي التَّوْرَةِ مِنْ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ (وَلَا تَزَالُ) خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تَطْلَعُ) تَظْهَرُ (كَلَى خَائِنَةٍ) أَيْ خِيَانَةٍ (مِنْهُمْ) بِتَقْصِصِ الْعَهْدِ وَغَيْرِهِ (إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) مَنِ اسْلَمَ (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وَهَذَا مَنَسُوحٌ بآية السيف ،

جماعته حتى حزوا رأسه ، وهذه القصة ذكرها كثير من المفسرين . قال الحفون : الحق أنه لا عوج ولا عنق وإنما الصحيح من القصة وجود الجبارين وقربتهم وأنهم عظام الأجسام ، وبالجملة فالصحيح هو ما قصه الله علينا فيما يأتي في هذا الربع (قوله لام قسم) أى والله وجوابه هو قوله لا كفرن وحذف جواب الشرط لتأخره عن القسم اكتفاءً بجواب القسم . قال ابن مالك : * وحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت (قوله وآمنتم برسلي) أخره عن الصلاة والزكاة مع أنهما من الفروع لأن بعضهم كان يفعلهما مع كونه يكذب ببعض الرسل ، فأفاد الله تعالى أن عدم الإيمان لا ينفع مع فعل الطاعات (قوله وعززتموهم) من التعزيز يطلق على التعذيب وعلى التعميم والتوقير والنصرة وهو المراد هنا (قوله بالاتفاق في سبيله) أى واجبا أو مندوبا وهو أعم من الزكاة (وله فمقضوا الميثاق) أى بتكذيبهم الرسل وقتلهم الأنبياء وتضييعهم الفرائض (قوله يحرفون الكلم) بيان لقسوة قلوبهم (قوله تركوا) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك من إطلاق المزوم وإرادة اللزوم (قوله خائنة) أشار بذلك إلى أن خائنة بمعنى خيانة فالتاء للتأنيث بدليل القراءة الأخرى خيانة (قوله وهذا) أى الأمر بالعمى والصفح منسوخ إن أريد مع بقائهم على الكفر ، وأما إن أريد إن تابوا فلا نسخ .

(قوله ومن الذين قالوا إنا نصارى) شروع في بيان قبائح النصارى إثر بيان قبائح اليهود والحكمة في قوله قالوا ولم يقل ومن النصارى أن هذه التسمية واقعة منهم لأنفسهم ولم يسمهم الله تعالى بذلك والجار والمجرور متعلق بأخذنا ، والأصل وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وهو الأحسن ، ولندامشى عليه للفسر وقدم الجار والمجرور على قوله ميثاقهم هروبا من عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة وهو غير جائز إلا في مواضع ليس هذا منها ، ونصارى نسبة للنصر لأنهم يزعمون أنهم أنصار الله ومفرده نصران ونصرانة ولكن ياء النسب لاتفارقة ، وقيل نسبة لقرية اسمها نصره فيكون مفردة نصرى ثم أطاق على كل من تعبد بهذا الدين (قوله ميثاقهم) أى عهدهم المؤكد (قوله ففسوا حظا) أى تركوه (قوله من الإيمان) أى بحمد وبجميع الأنبياء ، وقوله وغيره : أى غير الإيمان كبشارة عيسى بحجى محمد بعده رسولا (قوله ونقصوا الميثاق) أى بتكذيب الأنبياء وتحريف ما في الانجيل . وهذا مرتب على قوله ففسوا حظا وكذا قوله فأغريناوه من غرا بالشئ إذ الصق به ، يقال غروت الحلة ألصقته بالفراء وهو كناية عن إرفاع (٢٥٨) العداوة بينهم والتعبير بالأغراء أبغ كان العداوة لاصقة بهم كالفراء اللاصق بالجلد (قوله بينهم) متعلق بأغرينا والضمير عائذ على اليهود والنصارى : أى ألقينا العداوة بين اليهود والنصارى فكل من الفرقتين تلعن الأخرى ، وقيل الضمير عائذ على النصارى فقط باعتبار فرقة لهم ثلاث فرق : الملكانية واليعقوبية والنسطورية فكل فرقة تلعن الأخرى وإنما لم يظهر ذلك بين المسلمين خوفا من الشبهة بهم فكل فرقة تكفر الأخرى : أى في الدنيا وفي الآخرة كما دخلت أمة لعنت أختها (قوله وسوف ينبئهم الله في الآخرة) أى بقوله

(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) متعلق بقوله (أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) كما أخذنا على بنى إسرائيل اليهود (فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا كُتِبَ لَهُمْ) في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقصوا الميثاق (فَأَغْرَيْنَا) أوقعنا (بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) بفرقتهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى (وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ) في الآخرة (بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فيجازيهم عليه (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) اليهود والنصارى (قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد (يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ) تكتمون (مِنَ الْكِتَابِ) التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفته (وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا اقتضاهم (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ) هو نور النبي صلى الله عليه وسلم (وَكِتَابٌ) قرآن (مُبِينٌ) بين ظاهر (يَهْدِي بِهِ) أى بالكتاب (اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ) بأن آمن (سُبُلَ السَّلَامِ) طريق السلامة (وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (بِإِذْنِهِ) بإرادته (وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) دين الإسلام (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) حيث جعلوه إلهًا وهم اليعقوبية فرقة من النصارى (قُلْ قَمِ يَمَلِكُ) أن يدفع (مِنْ) عذاب (اللَّهِ شَيْئًا) إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا (أى لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح إلهًا لقد ر عليه ،

بالجلد (قوله بينهم) متعلق بأغرينا والضمير عائذ على اليهود والنصارى : أى ألقينا العداوة بين اليهود والنصارى فكل من الفرقتين تلعن الأخرى ، وقيل الضمير عائذ على النصارى فقط باعتبار فرقة لهم ثلاث فرق : الملكانية واليعقوبية والنسطورية فكل فرقة تلعن الأخرى وإنما لم يظهر ذلك بين المسلمين خوفا من الشبهة بهم فكل فرقة تكفر الأخرى : أى في الدنيا وفي الآخرة كما دخلت أمة لعنت أختها (قوله وسوف ينبئهم الله في الآخرة) أى بقوله

(ولله

يوم القيامة - وامتازوا اليوم أيها المجرمون - الآية

(قوله يا أهل الكتاب) خطاب للفرقتين جميعا بعد أن ذكر كل فرقة على حدة (قوله كآية الرجم وصفته) أى فقد أخفوها وأطلع الله نبيه على أنها في التوراة فبين ذلك وأظهره وهو معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ كتابهم ولم يجاس بين يدي معلم ، وهذا مثال لما في التوراة ولم يمثل لما في الانجيل ولومثل له لقال وكبشارة عيسى بحمد (قوله ويعفون كثير) أى من قبائحهم كسبه فيما بينهم والكلام في شأنه هو والقرآن فلم يتعرض لهم في ذلك (قوله هو النبي) أى وسعى نور الأنبياء ينور البصائر ويهديها للرشاد ولأنه أصل كل نور حسي ومعنوي (قوله من اتبع رضوانه) أى من سبق في علم أنه يتبع رضوانه (قوله طرق السلامة) أى من العذاب والنجاة من العقاب وسبل السلام منصوب بنزع الخافض وإباحته أن يعتدى إلى المفعول الثاني بالى أو باللام . قال تعالى - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم (قوله وهم اليعقوبية) أى القائلون بالاتحاد (قوله ومن في الأرض جميعا) هذا ترق في الرد عليهم (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي .

(قوله والله ملك السموات والأرض) ترق في الرد عليهم أيضا (قوله شاء) أي تعلق به إرادته وهي الممكنات خرج بذلك ذاته وصفاته والاستحيالات فلا تتعلق القدرة والارادة بشئ من ذلك (قوله أي كأبنائه في القرب) أي فالمعنى على التشبيه وهذا هو الصحيح ، وقيل المعنى أبناء أنبياء الله فالكلام على حذف مضاف . وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف نخوفنا به ونحن أبناء الله وأحبائه وهذه مقالة اليهود ، وأما النصارى فقالوا مثلهم زاعمين أن الله قال في الانجيل إن المسيح قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأبيكم (قوله قل لهم يا محمد) أي إلزاما لهم وتبكيثا إن صح ما زعمتم فلا شئ يعذبكم في الدنيا بالقتل والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أياما بعدد أيام عبادة العجل ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر منكم ماصدر ولما وقع عليكم ما وقع (قوله لا اعتراض عليه) أي لأنه القادر الفعال بالاختيار (قوله على فترة من الرسل) أي في وقت لا تعرفون فيه توحيد افعلكم باتباعه (قوله إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول الخ) هذا هو الصحيح ، وقيل كان بين محمد وعيسى أربعة رسل ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من حمير وهو خالد بن سنان (قوله ومدد ذلك خمسمائة وستون سنة) وقيل خمسمائة وخمسة وستون ، وقيل (٢٥٩) خمسمائة وأربعون ، وقيل

أربعمائة و بضع وثلاثون والصحيح أنها ستمائة ومدة ما بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة لكنها ليست فترة لبعثة كثيرين من الأنبياء بينهما ويتعبدون بشريعة موسى كداود وسليمان وزكريا ويحيى (قوله لثلاثا قولوا) أشار بذلك إلى أن الناصرية دخلت عليها اللام ولا النافية مقترنة بعدها ، والتقدير لعدم قولكم ماجاءنا الخ (قوله زائدة) أي في فاعل جاء (قوله واذكر إذ قال موسى) أشار بذلك إلى

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى) أي كل منهما (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ) أي كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كآبينا في الرحمة والشفقة (وَأَحِبَّائُهُ ، قُلْ) لهم يا محمد (فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ) إن صدقتم في ذلك ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون (بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ) من جملة مَنْ (خَلَقَ) من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم (يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ) الغفرة له (وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ) تعذيبه لا اعتراض عليه (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد (يُبَيِّنُ لَكُمْ) شرائع الدين (عَلَى فِتْرَةٍ) انقطاع (مِنَ الرُّسُلِ) إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ، ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة (لَأَنْ) لا (تَقُولُوا) إذا عذبتم (مَا جَاءَنَا مِنْ) زائدة (بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ) فلا عذر لكم إذا (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ) أي منكم (أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا) أصحاب خدام وحشم (وَآتَيْكُمْ مَالًا يَوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) من المَن والسُلوى وفق البحر وغير ذلك ،

أن إذ ظرف لمحدوف قدره المفسر بقوله اذكر ، والمقصود من ذلك توبيخ اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم وتسايته على عدم إيمانهم به وبيان نقضهم العهد تفصيلا ، والمعنى تسل ولا تحزن من عدم إيمانهم بك ومن تكذيبك فانهم كذبوا من يدعون أنه نبيهم إلى الآن (قوله اذكروا نعمة الله) أي تذكروها واشكروا عليها (قوله إذ جعل فيكم أنبياء) أي بكثرة ولم تكن في غيركم (قوله وجعلكم ملوكا) أي ييسط الدنيا لكم وذلك بعد إغراق فرعون (قوله خدام) جمع خادم وهو صادق بالذكر والأنثى ، وقوله وحشم هم الخدم لكن من الرجال ، ورد أن أول من ملك الخدم بنو إسرائيل وكان يقال من كانت عنده دابة وجارية وزوجة فهو ملك ، وقيل الملك من اتسعت داره وكان فيها النهر يجري ، وقيل جعلكم ملوكا : أي أحرارا بعد استرقاق فرعون لكم (قوله من العالمين) أي مطلقا لأن فاق البحر والمَن والسُلوى لم يكن لأحد غيرهم وللأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا حاجة هنا للتأويل بعالمى زمانهم (قوله من المَن والسُلوى) بيان لما . إن قلت إن هذه المقالة وقعت حين أخذ الميثاق عليهم في قتال الجبارين فلا يظهر قول المفسر من المَن والسُلوى لأنه لم ينزل عليهم إلا في التيه وذلك بعد توجههم من مصر لقتال الجبارين حينئذ كان المناسب للمفسر أن يقول من النبوة والملك وفاق البحر وقد يجاب بأنه لا مانع من ذكر هذه الكلمة في التيه أيضا .

(قوله يا قوم) الجمهور على كسر اليم من غير ياء وقرئ بضم اليم إجراء له مجرى المفرد وبالياء مفتوحة لأنه منادى مضاف لياه
 لتكلم ، قال ابن مالك : واجعل منادى صح إن يصف ليا كعبد عبيد عبد عبدا عبدا
 (قوله الطهارة) إنما سميت مطهرة لسكنى الأنبياء الطهرين فيها فشرفت وطهرت بهم فالظرف طاب بالمظروف . إن قلت إن
 الجبارين كانوا فيها وهم غير مطهرين . أجيب بأن الخبر يغلب الشر والنور يغلب الظلمة (قوله أمركم بدخولها) دفع بذلك
 ما يقال كيف الجمع بين الكتابة التي تفيد تحتم الدخول وبين قوله قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة . فأجاب بأن المراد بالكتب
 الأمر بالدخول . وأجيب أيضا بأن قوله التي كتب الله لكم أي قدرها في اللوح المحفوظ إن لم تقع منكم مخالفة وقد وقعت
 فحرمت عليهم أربعين سنة فهو قضاء معاق (قوله ولا ترتدوا على أدباركم) أي ترجعوا إلى مصر فانهم لما سمعوا بأخبار الجبارين
 قولوا نجعل لنا رئيسا يصرف بنا إلى مصر وصاروا يبكون ويقولون ليتنا متنا بمصر (قوله فتتقلبوا خامسين) أي لأن الفرار
 من الزحف من الكبار (قوله) (٢٦٠) قال رجلان (وصفهما بصفتين الأولى قوله من الذين يخافون والثانية

قوله أنعم الله عليهما وهو
 حسن لأن فيه الوصف بالجملة
 بعد الوصف بالجوار والمجرور
 وهو من قبيل المفرد (قوله
 وهما يوشع) أي ابن نون
 وهو الذي نبى بعده موسى
 وقوله وكالب بكسر اللام
 وفتحها ابن يوقنا (قوله
 بقية النقباء) أي الاثنى
 عشر وقوله فأشوه أي
 خيرا الجبارين وقوله فجنبوا
 أي بنو إسرائيل (قوله
 ادخلوا عليهم الباب) أي
 امنعهم من الخروج لئلا
 يجحدوا في أنفسهم قوة
 للحرب بخلاف ما إذا دخلتم
 عليهم القرية بقتة فانهم
 لا يقدرّون على السكر والفرّ

(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) الطهارة (الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) أمركم بدخولها وهي
 الشام (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ) تهزموها خوف العدو (فَتَقْتَلِبُوا خَمْسِينَ) في سعيكم (قَالُوا
 يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) من بقايا عاد طوالاً ذوى قوة (وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا
 مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) لها (قَالَ) لهم (رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ) مخافة
 أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبارة (أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمَا) بالعصمة فكما ما اطلعنا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأشوه
 فجنبوا (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ) باب القرية ولا تخشعهم فانهم أجساد بلا قلوب (فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
 فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ) فالأذلك تيقنا بنصر الله وإنجاز وعده (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)
 قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا) هم (إِنَّا هَاهُنَا
 قَاعِدُونَ) عن القتال (قَالَ) موسى حينئذ (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ) (أَخِي)
 وَلَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا فَاجْبِرْهُمْ عَلَى الطاعة (فَافْرُقْ) فافصل (بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . قَالَ)
 تَعَالَى لَهُ (فَإِنِّي) أي الأرض المقدسة (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) أن يدخلوها (أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَيَهُونَ
 فِي الْأَرْضِ) ،

(قوله بلا قلوب) أي قوية نابعة (قوله تيقنا بنصر الله) أي فانهما مصدقان بذلك لاخبار موسى
 وهما بذلك (قوله وعلى الله فتوكلوا) أي بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فانها غير مؤثرة (قوله ماداموا فيها) أي مدة
 إقامتهم فيها (قوله أنت وربك) قيل إن الواو للعطف وربك معطوف على الضمير المستتر في اذهب وقد وجد الفاصل بالضمير
 المنفصل . قال ابن مالك : وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل
 أي وليذهب ربك واختاف في الرب فقيل هو المولى جلّ وعلا فاستادهم الذهاب إليه على حقيقته لأنهم كانوا يعتقدون التجسيم
 وقيل المراد بهرون وسموه ربالاً لأنه كان أكبر من موسى بسنة وهو الأحسن ويدل عليه السياق وقيل الواو للحال وربك مبتدأ
 خبر محذوف تقديره يعينك (قوله لا أملك غيرهما) إن قلت إن يوشع وكالب كانا في طاعته أيضا . أجيب بأنه لم يشق بهما (قوله
 فافرق بيننا) أي احكم لنا بما نستحقه ، احكم لهم بما يستحقونه وكان الأمر كذلك فصار التيه رحمة لموسى وهرون وعذابا على
 بني إسرائيل (قوله أربعين سنة) يصح أن يكون ظرفا لقوله يتيهون وعلى هذا فهي محرمة عليهم أبدا لانهم انقضوا ومادخلها
 بلا من لم يبلغ العشرين حين الميثاق وقبل ظرف لقوله محرمة وعلى هذا فالتحريم مقيد بتلك المدة وقبل ظرف لها معا .

(قوله وهي تسعة فراسخ) أى عرضاً وطولها ثلاثون فرسخاً (قوله فلا تأس على القوم الفاسقين) أى وذلك أنه ندم على دعائه عليهم فقيل له لا تأس فانهم أحق بذلك (قوله ومات هرون وموسى في التيه) ومات موسى بعد هرون بسنة ، وقيل إن موسى هو الذى ملك الشام وكان يوشع على مقدمته وعاش فيها زمناً طويلاً ومات ولم يعلم قبر وهما طريقتان قيل إن موسى وهرون توجها إلى البرية فسات هرون فدفنه أخوه موسى ثم رجع إلى قومه فقالوا قتلته لحبنا إياه فتضرع موسى إلى ربه فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى هرون فأتى بأعنه فانطلق بهم إلى قبره فناده ياهرون فخرج من قبره بنفس رأسه قال أنا قتلتك ؟ قال لا ولكننى مت قال فعد إلى مضجعك ، وروى أن موسى خرج ليقضى حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً أحسن منه ولا مثل ما فيه من الحضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ فقالوا لعبد كريم على ربه فقال إن هذا العبد لمن الله بمنزلة ما رأيت كالיום أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله أحب أن يكون لك ؟ قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربه بك قال فنزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس أسهل نفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب ، وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه ، وقيل إنه روى أن ملك الموت جاءه وقال له أجب أمر ربه بك فلطم موسى عين ملك الموت فقأها فقال ملك الموت يارب إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد الله تعالى عينه وقال له ارجع إلى عبدى فقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فأنك تعيش بكل شعرة سنة قال ثم ماذا ؟ قال ثم تموت قال فالآن من قريب ، قال رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر قال رسول الله لو أنى عنده لأر يتكلم قبره إلى جانب الطور عند الكتيب الأحمر ورواية فقء عين ملك الموت متكلم فيها وعلى فرض ورودها ففقء عين الملك (٣٦١) من خصوصيات موسى لأن الملك

لا تحكم عاينه الصورة ولا يقال إن هذا جنانية حرام . لأننا نقول إنه فقأ عين الصورة التشكل فيها لا الصورة الأصلية وقصده بتلك القلة نهيه عن أن يأتي المؤمن في صورة فظيعة كما قرره أشياخنا (قوله وكان رحمة لها) أى

وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس (فلا تأس) تحزن (على القوم الفاسقين) روى أنهم كانوا يسرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤا منه ويسرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين ، قيل وكانوا ستمائة ألف ، ومات هرون وموسى في التيه وكان رحمة لهما وعذاباً لأولئك ، وسأل موسى ربه عند موته أن يذنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأدناه كما في الحديث ، ونبي يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى أحمد في مسنده حديث « إن الشمس ،

وكذا يوشع وكالب وذلك كنار إبراهيم فانها جعلت عليه برداً وسلاماً (قوله وعذاباً لأولئك) أى من حيث السير وقد أنعم الله عليهم في التيه بنعم عظيمة منها أنهم شكوا لموسى حالهم من الجوع والعري فدعا الله تعالى فأنزله عليهم المن والسلوى وأعظمهم من الكسوة ما يكفيهم كل واحد على مقدار هيئته وشكوا له العطش فأتى موسى بحجر من جبل الطور فسكان يضر به بعضاء فيخرج منه اثنتا عشرة عينا وشكوا الحر فأرسل الله عليهم الغمام يظاهم وكان يطلع لهم عمود من نور يضي لهم بالليل ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله ويقسع بقدره (قوله أن يذنيه) أى يقر به من الأرض المباركة أى يدفن بقر بها لكونها مطهرة مباركة ويؤخذ من ذلك أن الإنسان يذنب له أن يتجرى الدفن في الأرض المباركة بقرب نبي أو ولي وإنما لم يسأل الدفن فيها خوفاً من أن يعرف قبره فيفتن به الناس (قوله بعد الأربعين) أى مدة التيه (قوله بمن بقي) أى ربه وأولاده الذين لم يبلغوا العشرين سنة حين أخذ الميثاق (قوله وقاتلهم) روى أن الله نبأ يوشع بعدموت موسى وأخبرهم أن الله قد أمرهم بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه فتوجه بنو إسرائيل إلى أريحاء ومعه بنو الميثاق وأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر وفتحوها في الشهر السابع ودخلوها فقاتلوا الجبارين هزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بنو إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضرونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقل اللهم اردد الشمس على وقال للشمس إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تنف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين ثم تنبع ملكوك أشام فقتل منهم أحداً وثلاثين ملكاً حتى غاب على جميع أرض الشام وصارت الشام كلها لبنى إسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم مات يوشع ودفن بجبل إبراهيم وكان عمره مائة وستة وعشرين سنة وتديره أمر بنو إسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة .

(قوله الذى ارتكبته) أى كالحسد ومخالفة أمر أبيه (قوله وذلك) أى الذى سكر وهو النار (قوله زينت) أى سهاث عليه القتل (قوله فله) قيل لما قصد قتله لم يدر كيف يقتله فتمثل له إبليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم ضخه بحجر آخر وقايل ينظر فتعلم القتل فوضع قايل رأس هايل بين حجرين وهو صابر ، واختلف في موضع قتله فقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجد الأعمام (قوله فحمله على ظهره) أى في جراب قايل أربعين يوما وقيل سنة . روى لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض مجن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كاتشرب الماء فناداه الله يا قايل أين أخوك هايل فقال ما أدري ما كنت عليه رقبيا فقال الله له إن دم أخيك لينادي من الأرض فلم قتلت أخاك ؟ فقال فأين دمه إن كنت قتلته فخرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا . ويروى أنه لما قتل قايل هايل كان آدم بمكة فاشتك الشجر أى ظهر له شوك وتغيرت الأطعمة وحضت الفواكه واغربت الأرض فقال آدم قد حدث في الأرض حادث ، فلما رجع آدم سأل قايل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيفا فقال بل قتلته . ولذلك اسود جلدك فغضب عليه فذهب قايل مطرودا فأخذ أخته وهرب بها إلى عدن فأتاه إبليس وقال له إنما أكلت النار قربان (٢٦٣) هايل لأنه كان يجد النار فانصب

أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار وكان قايل لا يمر به أحد إلا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل الأعمى ومعه ابنه فقال ابن الأعمى لأبيه هذا أبوك قايل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الأعمى لأبيه قتلت أباك قايل فرفع الأعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الأعمى ويل لى قتلت أبى برميى وابنى بلطمي واستمرت ذرية قايل يفسدون في الأرض إلى أن جاء

الذى ارتكبته من قبل (فَتَكُونُ مِنَ أَهْجَابِ النَّارِ) ولا أريد أن أبوء بأهلك إذا قتلتك فأكون منهم ، قال تعالى (وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ) زينت (لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ) فصار (مِنَ الْخَاسِرِينَ) بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الأرض من بنى آدم فحمله على ظهره (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ) ينش التراب بمنقاره ورجليه ويشيره على غراب ميت معه حتى واره (لِیُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي) يستر (سَوَاءً) جيفة (أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعْمَجَزْتُ) عن (أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) على حمله وحفر له واره (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ) الذى فعله قايل (كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ) أى الشأن (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ) قتلها (أَوْ) بغير (فَسَادٍ) أناته (فِي الْأَرْضِ) من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه (فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا) بأن امتنع من قتلها (فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) قال ابن عباس من حيث انتهاك حرمتها وصونها (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ) أى بنى إسرائيل (رُسُلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَكُسْرِفُونَ) مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك . ونزل ،

طوفان نوح فأغرقهم جميعا فلم يبق منهم أحد والله الحمد وأبقى الله ذرية شيث إلى يوم القيامة وما مات آدم حتى رأى من ذريته أربعين ألفا (قوله ويشيره على غراب ميت معه) أى بعد أن وضعه في الحفرة التي نبشها (قوله يا ويلتى) كلمة تحسر والألف بدل من ياء التكلم أى هذا أوانك فاحضري (قوله أعجزت) تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب (قوله فأصبح) أى صار وقوله من النادمين على حمله أى أوعلى عدم اهتدائه للدفن أولا فلا يقال إن الندم توبة فيقتضى أنه تاب فلا يخلد في النار (قوله الذى فعله قايل) أى من الفساد (قوله كتبنا على بنى إسرائيل) إنما خصهم بالذكور وإن كان القصص في كل ملة لأن اليهود مع علمهم بهذه اللبالة العظيمة أقدموا على قتل الأنبياء والأولياء وذلك يدل على قسوة قلوبهم (قوله ومن أحياء) أى تسبب في بقائها إما بنهى قاتلها عن قتلها أو باطعامها وحفظها من الأسباب المهلكة (قوله أى من حيث انتهاك حرمتها) أى النفوس المقتولة ولذا ورد في الحديث « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » فقايل عليه وزر كل من وقع منه القتل من بنى آدم لتسببه في ذلك فانه أول من وقع منه القتل (قوله ونزل) وجه المناسبة بينها وبين قصة ابن آدم ظاهرة لأن قايل قتل وأفسد في الأرض هو وذريته .

(قوله في المرنيين) جمع عربى نسبة لمرينة قبيلة من العرب تنحى نسبة لجهينة وكانوا ثمانية رجال قدموا المدينة وأظهروا الاسلام وكانوا مرضى فاشتكوا له صلى الله عليه وسلم من مرضهم فأمرهم أن يخرجوا إلى إبل الصدقة وكانت خمسة عشر رعى في الجبل مع عتيق للصطفى يقال له يسار النبوى فلما صحوا قتلوا الراعى واستاقوا الإبل وارتدوا عن الاسلام فقتلهم منهم المحاربة والقتل والسرقة والارتداد فبلغ رسول الله خبرهم فأرسل خلفهم نحو عشرين فارسا فأتوا بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وممر أعينهم أى كحلهم بالنار وتركهم بالحرة يعضون الحجارة ويستسقون فلم يسههم أحد . إن قلت إن تسمير الأعين وموتهم بالجوع والعطش مثله ، ورسول الله نهى عنها ؟ أجيب بأجوبة منها أنهم فعلوا بالراعى كذلك ، ومنها أن ذلك خصوصية له صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومنها أن ذلك كان جزاء ثم نسخ (قوله ويشربوا من أبوالها) أخذ مالك من ذلك طهارة فضلة مأكول اللحم (قوله بمحاربة المسلمين) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون وأفاده أن هذا الأمر مستمر إلى يوم القيامة (قوله ويسعون في الأرض) هذا تصوير للمحاربة وقوله فسادا مفعول لأجله أى يسعون لأجل الفساد (قوله بقطع الطريق) أى لأخذ المال أو هتك الحريم أو قتل النفوس (قوله أن يقتلوا) أى من غير صلب (٢٦٤) وقوله أو يصلبوا أى مع القتل في محل مشهور لزجر غيره والتفعيل

في المرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعى النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الإبل (إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) بمحاربة المسلمين (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) بقطع الطريق (أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ) أى أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى (أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) وألترتيب الأحوال فالقتل لمن قتل فقط ، والصلب لمن قتل واخذ المال ، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل . والنفي لمن أخاف فقط ، قاله ابن عباس وعليه الشافعى وأصح قوليه أن الصلب ثلاثا بعد القتل وقيل قبله قليلا . ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره (ذَلِكَ) الجزء المذكور (لَهُمْ خِزْيٌ) ذلٌ (فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هو عذاب النار (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) من المحاربين والقطاع (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم ما أتوه (رَحِيمٌ) بهم ، عبر بذلك دون فلا تحذروا ،

للتكثير لكثرة المحاربين (قوله أو ينفوا من الأرض) أى إلى مسافة القصر فما فوقها (قوله أولترتيب الأحوال) أى التقسيم فيها ، والمعنى أن هذه العقوبات على حسب أحوال المحاربين وبين المفسر ذلك ، قال بعض العلماء : أو في جميع القرآن للتخيير إلا هذه (قوله وعليه آثماني) أى موافقا في الاجتهاد لابن عباس لا مقلدا له وعند مالك أو على بابها

ليفيد

للتخيير لكن بحسب ما يراه الحاكم

فحدود المحارب أربعة لا يجوز الخروج عنها وإنما الامام مخير في فعل أيها شاء بالمحارب مالم يقتل المحارب مسلما مكانا ولم يعف وليه فإنه يتعين قتله فإن عفا الولي رجع التخيير للامام فما أوجب الشافعى استحسنة مالك للامام وجاز غيره مثلا يجب على الامام قتل القاتل ولا يجوز غيره من الصلب والقطع ! من خلاف عند الشافعى واستحسنه مالك للامام ويجوز غيره من الحدود (قوله أن الصلب ثلاثا) أى لأقل إلا أن يخاف التخير ، وقيل يطالب به حتى يتقطع جسده (قوله وقيل قبله قليلا) أى بحيث يحصل الزجر به وهذا مشهور مذهب مالك وأبى حنيفة وعليه فيقتل وهو مصابوب (قوله ويلحق بالنفي ما أشبهه) أى لأن للقصور من النفي البعد عن الخلق وذلك كما يحصل بإبعاده من الأرض التي هو بها يحصل بحبس ولو في الأرض التي هو بها وهذا مذهب الشافعى وواقعه أبو حنيفة ، وقال مالك : النفي إبعاده من الأرض على مسافة القصر ولا يكفي حبسه بأرضه (قوله ذلك لهم خزي) اسم الإشارة مبتدأ ولهم خبر مقدم وخزي مبتدأ مؤخر والجملة خبر البتة وفي الدنيا صفة لخزي وهذا أحسن الأعراب (قوله ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا محمول على من مات كافرا . وأما حدود المسلمين فالمتعمد أنها جوارب (قوله إلا الذين تابوا) استثناء منقطع أى لكن التائب يغفر له .

(لأنه ليفيد أنه لا يسقط الخ) حاصل ذلك أنه إن كان كافرا وتاب سقطت عنه جميع التبعات حدودا أو غيرها . وأما إن كان مسلما سقط عنه حقوق الآدميين، مثلا إن قتل وجاء تابا فالنظر للولى إن شاء عفا وإن شاء اقتص (قوله كذا ظهر لى) أى فهمه من الآية وقوله ولم أر من تعرض له أى من المفسرين وإن كان مذكورا فى كتب الفقه (قوله يقتل ويقطع) هذا سبق قلم والناسب حذف قوله ويقطع . والحاصل عند الشافعى أنه إذا قتل وتاب فإن عفا الولى سقط القتل وإلا فيقتل فقط . وأما إن أخذ المال وتاب فإنه يؤخذ منه المال ولا يقطع خلافا لما ذكره المفسر من أنه إذا قتل وأخذ المال ثم تاب فإنه يجمع له بين القتل والقطع ، وإنما الذى عنه الصلب وما ذكرناه من المعتمد عند الشافعى يوافقه مالك (قوله وهو أصح قولى الشافعى) أى ومقابله أنه يصاب (قوله يأبىها الدين آمنوا اتقوا الله) لما ذكر سبحانه وتعالى أن التوبة من الذنوب نافعة وكانت التوبة من جملة التقوى حث على طلبها هنا (قوله إليه) متعلق بابتغوا (قوله ما يقربكم إليه) أى يوصلكم إليه ، وقوله من طاعته بيان لما سواء كانت تلك الطاعة فرضا أو نفلا لما فى الحديث « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به » الحديث ، فالتقوى هنا ترك المخالفات ، وابتغاء الوسيلة فعل للمأمورات ، ويصح أن المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة وترك المنهيات المحرمة وابتغاء الوسيلة ما يقربه إليه مطلقا ، ومن جملة ذلك محبة أنبياء الله وأوليائه والصدقات وزيارة أحباب الله وكثرة الدعاء وصلة الرحم وكثرة الذكر وغير ذلك ، فالعنى كل ما يقربكم إلى الله فلتزوموه واتركوا ما يبعدكم عنه ، إذا (٢٦٥) علمت ذلك فمن الضلال البين والحسران

الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله كلا بل هى من جملة المحبة فى الله التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا لإيمان لمن لأحبة له » والوسيلة له التى قال الله فيها : وابتغوا إليه الوسيلة

ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لى ولم أر من تعرض له والله أعلم ، فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب وهو أصح قولى الشافعى ولا تقييد توبته بعد القدرة عليه شيئا وهو أصح قوليه أيضا (يَأْبَى الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) خافوا عقابه بأن تطيعوه (وَابْتَغُوا) اطلبوا (إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) ما يقربكم إليه من طاعته (وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ) لإعلاء دينه (لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) تفوزون (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ) ثبت (أَنْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَرِيدُونَ) يتمنون (أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا لَهُمْ بِخَارِجِنَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّعِيمٌ) دائم (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) ،

(قوله وجاهدوا فى سبيله) عطف خاص على عام إشارة إلى أن الجهاد من أعظم الطاعات وهو قتل المشركين ، وأكبر وهو الخروج عن الهوى والنفس والشيطان وكان قتال المشركين جهادا أصغر لأنه يحضر تارة ويغيب أخرى ، وإذا قتلك الكافر كنت شهيدا وإن قتلته صرت سعيدا بخلاف النفس فلا تغيب عنك وإذا قتلتك صرت من الأشقياء ، نسأل الله السلامة (قوله تفوزون) أى تظفرون بسعادة الدارين (قوله إن الذين كفروا) هذا كالادلة لما قبله كأن الله يقول الزموا التقوى ليحصل لكم الفوز لأن من لم تكن عنده التقوى كالكفار لا ينفعه الفداء من العذاب الخ (قوله لو أن لهم) لو شرطية وفعل الشرط محذوف قتره المفسر بقوله ثبت وأن وما دخلت عليه فاعل ثبت ولهم خبر أن مقدم وما فى الأرض اسمها مؤخر وجميعا توكيده أو حال منه ومثله معطوف على اسم أن وقوله ليفتدوا علة له وقوله به أى بما ذكر وهو ما فى الأرض ومثله أوحذفه من الأول لدلالة الثانى عليه على حد * فأنى وقيار بها الغريب * والتقدير لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ليفتدوا به ومثله معه ليفتدوا به وقوله ما تقبل منهم جواب الشرط ولومع مدخولها فى محل رفع خبر أن الأولى ، والمعنى لو ثبت أن للكفار ما فى الأرض جميعا ومثله معه ويريدون الاقتداء بذلك من العذاب ما نفهم ذلك وهو كناية عن عدم قبولهم وعدم نفع عز الدنيا لهم (قوله يتمنون) أى حيث يقولون يا مالك ليقتض علينا ربك (قوله ولهم عذاب مقيم) دفع بذلك ما يتوهم من قوله ولهم عذاب أليم أنه ربما ينقطع (قوله والسارق والسارقة) جمهور القراء على الرفع على الابتداء ولا يصح النصب على الاشتغال لأن ما بعد فاء الجزاء لا يعمل فيها قبلها ولا يمل لا يفسر عاملا وهذه الفاء تشبه فاء الجزاء وصرح بالسارقة لتكون السرقة معهودة منهم أيضا وقدم سبحانه وتعالى السارق على السارقة هنا وقدم الزانية على الزانى فى سورة النور لأن الرجال فى السرقة أقوى من النساء والزنا من النساء أقوى من الرجال [٢٤ - صاوى - أول]

(قوله أَل فِيهِمَا مَوْصُولَةٌ) أَيْ وَصَلَتْهَا الصَّرِيحَةُ أَيْ الَّتِي سَرَقَ وَالَّتِي سَرَقَتْ (قوله مبتدأ) أَيْ وَهُوَ مَرْفُوعٌ بضمّة ظاهرة لأنّ إعرابهما ظهر فيما بعدها (قوله دخلت الفاء في خبره وهو فاقطعوا) أَيْ جُمْلَةٌ فاقطعوا أيديهما خبر المبتدأ ولا يضر كونه جملة ظليمية على المتمد وقيل الخبر محذوف تقديره بما يتلى عليكم حكمهما وما بعد الفاء تفصيل له (قوله ربع دينار) أَيْ أَوْ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمٍ شَرْعِيَّةٍ أَوْ مَقْهُومٍ بِهِمَا وَيَشْتَرِطُ فِي الْقَطْعِ إِخْرَاجُهُ مِنْ حِرْزٍ مِثْلِهِ غَيْرَ مَأْذُونٍ لَهُ فِي دَخُولِهِ وَيُثْبِتُ الْقَطْعَ بَيِّنَةٌ أَوْ بِإِقْرَارِهِ طَائِعًا فَإِنْ أَقْرَمَ رَجَعَ لَزِمَهُ الْمَالُ دُونَ الْقَطْعِ فَإِنْ سَرَقَ وَلَمْ تُثْبِتْ عَلَيْهِ السَّرَقَةُ وَجِبَ عَلَيْهِ السَّرَقَةُ عَلَى نَفْسِهِ وَرَدَّ الْمَالُ وَالتَّوْبَةُ مِنْهُ وَكَذَا كُلُّ مَعْصِيَةٍ فَمَنْ الْجَهْلُ قَوْلُ بَعْضٍ مَنْ يَدْعَى التَّصَوُّفَ لَوْ اطَاعْتُمْ عَلَى لِرَجْمَتُونِي وَبِالْجُمْلَةِ مَنْ سَرَعَ عَلَى نَفْسِهِ سَرَهُ اللَّهُ (قوله نصب على المصدر) أَيْ وَالْعَامِلُ مُحذَوْفٌ تَقْدِيرُهُ جَزَاءُ اللَّهِ جَزَاءً وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لِأَجَلِهِ أَيْ أَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا لِأَجْلِ الْجَزَاءِ وَقَوْلُهُ بِمَا كَسَبَا الْبَاءُ سَبِيَّةٌ أَيْ سَبَبٌ كَسَبَهُمَا وَقَوْلُهُ نَكَالًا عِلَّةٌ لِلْعَامِلِ فِيهِ جَزَاءٌ (قوله غالب على أمره) أَيْ فَلَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ لِأَنَّهُ الْقَاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ (قوله حكيم) أَيْ يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ فَلَمْ يَحْكَمْ بِقَطْعِ يَدِهِ ظَالِمًا لِأَنَّهُ السَّارِقُ لِمَا خَانَ هَانُ وَلِذَا أُرِدَ بَعْضُ الْيَهُودِ عَلَى الْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ الْبَغْدَادِيِّ سَوَالًا (٢٦٦) حَيْثُ قَالَ: يَدُ بَخْمَسٍ مِثْنَيْنِ عَسَجِدُ وَدَيْتُ مَا بَالُهَا قَطَعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ

أَل فِيهِمَا مَوْصُولَةٌ مُبْتَدَأٌ وَلِشَبْهِهِ بِالْشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ وَهُوَ (فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) أَيْ يَمِينُ كُلِّ مِنْهُمَا مِنَ الْكُوعِ وَبَيِّنَتِ السَّنَةُ أَنَّ الَّذِي يَقْطَعُ فِيهِ رُبْعَ دِينَارٍ فِصَاعِدًا وَأَنَّهُ إِذَا عَادَ قَطَعْتَ رِجْلَهُ الْيَسْرَى مِنْ مَفْصَلِ الْقَدَمِ ثُمَّ الْيَدَ الْيَسْرَى ثُمَّ الرَّجْلَ الْيَمِينِي وَبَعْدَ ذَلِكَ يَمُرُّ (بِجَزَاءِ) نَصَبٍ عَلَى الْمَصْدَرِ (بِمَا كَسَبَا نَكَالًا) عَقُوبَةً لَهَا (مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ (حَكِيمٌ) فِي خَلْقِهِ (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ) رَجَعَ عَنِ السَّرَقَةِ (وَأَصْلَحَ) عَمِلَ (فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فِي التَّعْبِيرِ بِهَذَا مَا تَقَدَّمَ فَلَا يَسْقُطُ بِتَوْبَتِهِ حَقُّ الْآدَمِيِّ مِنَ الْقَطْعِ وَرَدَّ الْمَالِ، نَعَمْ بَيِّنَتِ السَّنَةُ أَنَّهُ إِنْ عَنَّا عَنْهُ قَبْلَ الرُّفْعِ إِلَى الْإِمَامِ سَقَطَ الْقَطْعُ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ (أَلَمْ تَعْلَمْ) الْاسْتِفْهَامُ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ (أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تَعْذِيبُهُ (وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) الْغَفْرَةُ لَهُ (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وَمِنْهُ التَّعْذِيبُ وَالْغَفْرَةُ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ) صَنَعَ (الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) يَقْعُونَ فِيهِ بِسُرْعَةٍ أَيْ يَظْهَرُونَهُ إِذَا وَجَدُوا فُرْصَةً (مِنْ) لِلْبَيَانِ (الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ) بِأَسْنَتِهِمْ مُتَعَلِّقٌ بِقَالُوا (وَلَمْ تَوْفُؤْ مِنْ قُلُوبِهِمْ) وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ (وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا) قَوْمٌ،

أَوْ إِقْرَارٌ وَلَمْ يَرْجِعْ بَلْ يَقْطَعُ لِأَنَّهُ حَقَّ اللَّهُ وَقَوْلُهُ قَبْلَ الرُّفْعِ أَيْ وَأَمَّا بَعْدُهُ فَلَا بَدَّ مِنْ قَطْعِهِ اتِّفَاقًا (سَمَاعُونَ) (قوله يعذب من يشاء) أَيْ إِنْ لَمْ يَتَّبِعْ قَالِمَتِ الْمَصْرِ عَلَى الذَّنْبِ تَحْتَ الشَّيْئَةِ خِلَافًا لِلْعِتْلَةِ (قوله ومنه التعذيب والغفرة) أَيْ مِنْ الشَّيْءِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ (قوله يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ) أَلْ لِلْعَهْدِ الْحَاضِرِ: أَيْ الرُّسُولُ الْحَاضِرُ وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُخَاطَبْ بِهَا الرُّسُولُ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ هَذَا وَمَا يَأْتِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ (قوله لا يحزنك) قَرَأَ نَافِعٌ بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي والمقصود نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن الناشئ عن مسارعهم إلى الكفر رفقا به وتسلياً له (قوله إذا وجدوا فرصة) أَيْ زَمَنًا يَحْكُمُونَ فِيهِ مِنَ الظُّفْرِ بِمَطْلُوبِهِمْ، فَالْكَفَرُ حَاصِلٌ مِنْهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ غَيْرِ أَنَّهُمْ إِذَا وَجَدُوا زَمَنًا أَوْ مَكَانًا يَحْكُمُونَ فِيهِ مِنْ إِظْهَارِهِ فَعَالُوا قَالَ تَعَالَى - قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ - (قوله من للبيان) أَيْ لِقَوْلِهِ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ عَلَى حُدٍّ - فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ - (قوله متعلق بقالوا) أَيْ لَا بِآمَنَّا، وَالْمَعْنَى أَنَّ لِمَانِهِمْ لَمْ يَجَاوِزْ أَفْوَاهَهُمْ وَقَوْلُهُ وَلَمْ تَوْفُؤْ مِنْ قُلُوبِهِمْ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ (قوله وهم المنافقون) أَيْ وَيَسْمُونَ الْآنَ زَنَادِقَةً (قوله ومن الذين هادوا) يُحْتَمَلُ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا فَيَكُونُ بَيَانًا لِلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ أَيْضًا وَهُوَ الْأَقْرَبُ وَعَلَيْهِ تَوَهُّ سَمَاعُونَ حَالٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَيَحْتَمَلُ أَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ وَقَوْلُهُ سَمَاعُونَ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مُحذَوْفٌ هُوَ الْمُبْتَدَأُ الْمُؤَخَّرُ فَيَكُونُ

فَأُجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بقوله :
عزّ الأمانة أضلاها
وأرخصها
ذلّ الحيانة فافهم حكمة
الباري
(قوله من بعد ظلمه) أَيْ
مِنْ بَعْدِ تَعْدِيهِ وَأَخَذَهُ
الْمَالُ وَظَلَمَهُ لِلنَّاسِ (قوله
في التعبير بهذا) أَيْ قَوْلُهُ
فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ دُونَ
أَنْ يَقُولَ فَلَا تَحْدُوه (قوله
وعليه الشائمي) أَيْ وَعِنْدَ
مَالِكٍ فَلَا يَنْفَعُ عَفْوُهُ عَنْهُ
مُطْلَقًا قَبْلَ الرُّفْعِ أَوْ بَعْدَهُ
حَيْثُ نَسَتْ السَّرَقَةُ بَيِّنَةً

كلاما مستأنفا وقد مثنى عليه المفسر وعلى كل فقوله لهم في الدنيا خزي الخ راجع للفريقين (قوله سماعون للكذب) أي من أخبارهم ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وقع بينه وبين قريظة صاحب فصاروا يترددون عليه وبينه وبين يهود خيبر حرب فاتفق أنه زنى منهم محصنان شريف بشريفة فأتوهم الأخبار بأنهما يجلدان مائة سوط ويسودان بالغم وركبان على حمار مقلوبين ثم إنهم بعثوا قريظة للنبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن ذلك وقالوا لهم إن قال لكم مثل ذلك فهو صادق وقوله لنا عند ربنا وإلا فهو كذاب فأتوه فأخبرهم بأنهما يرجعان في التوراة كذلك ، فقالوا إن أخبارنا أخبرونا بأنهما يجلدان ، فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصعه له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أبيض أعور يقال له ابن صوريا ؟ قالوا نعم هو أعلم يهودى على وجه الأرض بما في التوراة ، قال فأرسلوا إليه فأحضره ففعلوا ، فاتألم فقال له النبي عليه الصلاة والسلام أنت ابن صوريا ؟ قال نعم ، قال وأنت أعلم اليهود ؟ قال كذلك يزعمون ، قال النبي لهم آرضون به حكما ؟ قالوا نعم ، قال النبي له (٢٦٧) أنشدك الله الذي لإله إلهو

الذي وق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون هل تجدون في كتابكم الرحيم على من أحسن ؟ قال نعم والذي دصكرتني به لولا خشيت أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت فوثب عليه سفة اليهود فقال أنا خفت إن كذبت ينزل علينا العذاب ثم سأل النبي عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فأجابه عنها فأسلم وأمر النبي بالزانيين فرجا عند باب المسجد ، هكذا ذكر شيخنا الشيخ الجل هناعن أبي السعود ولم زها فيه ولكن تقدم لنا أن

(سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ) الذي افترته أخبارهم سماع قبول (سَمَاعُونَ) منك (لِقَوْمٍ) لأجل قوم (آخَرِينَ) من اليهود (لَمْ يَأْتُواكَ) وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان فسكرها رجمها فبعثوا قريظة ليسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن حكمهما (يُحَرِّقُونَ الْكِتَابَ) الذي في التوراة كآية الرجم (مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) التي وضعه الله عليها أي يبدلونه (يَقُولُونَ) لمن أرسلوهم (إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا) الحكم المحرف أي الجلد أي أفتاكم به محمد (فَتُخَذَوُا) فاقبلوه (وَإِنْ لَمْ تَوْتَوْهُ) بل أفتاكم بخلافه (فَاخْذَرُوا) أن تقبلوه (وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ) إضلاله (فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا) في دفعها (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ) من الكفر ولو أرادهم لكان (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) ذل بالفضيحة والجزية (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ثم (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ) كَالْوَنِ لِلشُّعْتِ بضم الحاء وسكونها أي الحرام كالرشا (فَإِنْ جَاءَكُمْ) لتحكم بينهم (فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ) هذا التخيير منسوخ بقوله : وأن احكم بينهم الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعا إلينا وهو أصح قولي الشافعي فلو ترافعا إلينا مع مسلم وجب إجماعا (وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ) بينهم (فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) بالعدل (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين في الحكم أي يثيبهم (وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ) بالرجم ،

ابن صوريا أتى بالنوراة وقرا ما قبل آية الرجم وما بعدها ووضع يده عليها ولم يقرأها ، فنهبه عليها عبد الله بن سلام فانتزع هو وأصحابه فلعلهما روايتان في إسلامه وعدمه (قوله أي يبدلونه) أي بأن يضعوا مكانه غيره (قوله يقولون) أي يهود خيبر وقوله لمن أرسلوهم أي وهم قريظة (قوله الحكم المحرف) أي في الواقع وليس المراد أنهم يقولون لهم ذلك بل التحريف واقع من الأخبار سرا (قوله فلن تملك له من الله شيئا) فيه رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخفى أفعال نفسه (قوله ذل بالفضيحة) أي للنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين وقوله والجزية أي لليهود (قوله سماعون للكذب) خبر لمخبر قدره المفسر بقوله هم وكرره تأكيد (قوله بضم الحاء وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان وصح سحتا لأنه يسحت البركة أي يحققها ويذهبها (قوله كالرشا) أي والربا (قوله أو أعرض عنهم) أي بأن تردم لأهل دينهم (قوله منسوخ الخ) وليس في هذه السورة منسوخ إلا هذا وقوله ولا آمين البيت الحرام (قوله وهو أصح قولي الشافعي) أي ومقابله التخيير باق وليس بمنسوخ وهو مشهور مذهب مالك (قوله مع مسلم) أي بأن كانت الدعوى بين مسلم وكافر (قوله وجب إجماعا) أي بإجماع الأئمة (قوله فلن يضررك شيئا) أي لأن الله عاصمك وحافظك من الناس (قوله وعندهم) خبر مقدم والتوراة مبتدأ مؤخر والجملة حال من الواو في يحكمونك

(قوله استفهام تعجيب) أى إيقاع الخطاب في العجب (قوله بل ما هو أهون عليهم) أى وهو الجلد (قوله وما أولئك بالمؤمنين) أى لا مكنابهم لاعتراضهم عنه وتخريفه ولا بك لعدم الانقياد لك في أحكامك (قوله إنا أنزلنا التوراة) كلام مستأنف مسوق لبيان فضل التوراة وأنها كتاب عظيم كله هدى ونور (قوله فيها هدى) أى لمن أراد الله هدايته وأما من أراد الله شقاوته فلا تنفعه التوراة ولا غيرها : قال البوصيرى :

(قوله ونور) في الكلام استعارة مصرحة حيث شبهت الأحكام بالنور بجامع الاهتداء في كل واستعير اسم الشبه به للشبه وحيث أريد بالنور الأحكام ، فالمراد بالهدى التوحيد فالعطف مغاير (قوله يحكم بها النبيون) كلام مستأنف لبيان المنتفع بالتوراة وهم الأنبياء والعلماء والمراد بالأنبياء ما يشمل المرسلين فحكم المرسلين ظاهر وحكم الأنبياء بالقضاء بها لاطى أنها سرع لهم (قوله الذين أسلموا) أى كل إسلامهم وهو وصف كاشف لأن كل نبي منقاد لله وحكمة الوصف بذلك التعريض باليهود حيث افتخروا بأصولهم ولم يسلموا بل حرفوا التوراة وبدلوها (قوله للذين هادوا) اللام للاختصاص أى أحكام التوراة مختصة بالذين هادوا أعم من أن تكون أحكاما لهم أو عليهم (قوله والربانيون) معطوف على النبيون (قوله العلماء منهم) وقيل الزهاد وقيل الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره وهذا لا ينافي كلام المفسر بل يقال سموا ربانيين لكونهم منسوبين للرب لزهدهم ماسواه أولئك لكونهم يربون الحق (قوله) (٢٦٨) والأخبار جمع خبر بالفتح والكسر وأما المداد فبالكسر لا غير من التحير

وهو التحسين يقال خبره إذا حسنه مما بذلك لأنهم يزنون الكلام ويحسنونه وهو عطف على النبيون أيضا وقد وسط بين المعطوفات الذين هم الحكماء بالحكم لهم وذكر الأخبار بعد الربانيين من ذكر العام بعد الخاص لأن الخبر العام كان ربانيا أولا (قوله أى بسبب الذى) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما اسم موصول بمعنى

استفهام تعجيب أى لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم (ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ) يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) التحكيم (وَمَا أَوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى) من الضلالة (وَنُورٌ) بيان للأحكام (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ) من بنى إسرائيل (الَّذِينَ أُسْلِمُوا) اتقادوا لله (لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ) العلماء منهم (وَالْأَخْبَارُ) الفقهاء (بِمَا) أى بسبب الذى (اسْتَحْفَظُوا) استودعوه أى استحفظهم الله إياه (مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) أن يبدلوه (وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) أنه حق (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ) أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعمت محمد صلى الله عليه وسلم والرجم وغيرها (وَأَخْشَوْنَ) في كتابه (وَلَا تَشْتَرُوا) تستبدلوا (بِأَيَّاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا) من الدنيا تأخذونه على كتابها (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) به (وَكُتِبْنَا) فرضنا (عليهم فيها) أى التوراة (أَنَّ النَّفْسَ) تقتل (بِالنَّفْسِ) إذا قتلها (وَالْعَيْنَ) تقفأ (بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ) يجذع (بِالْأَنْفِ)

الذى والمائد محذوف أى بسبب الذى استحفظوه وفاعل الحفظ هو الله والأذن

أى بسبب الشرع الذى أمرهم الله بحفظه وقوله من كتاب الله بيان لما فلا نبياء والعلماء أمناء الله على خلقه يحكمون بين الناس بأحكام الله التى علمها الله لهم ومن لم يحكم بذلك فقد خان الله في أمانته وكذب على ربه فحينئذ يستحق الوعيد (قوله فلا تخشوا الناس) تفرع على قوله والربانيون والأخبار والخطاب لعلماء اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله وغيرها) أى كقوله تعالى - إن النفس بالنفس - فغيروها وقالوا ما لم يكن القاتل شريفا وإلا فلا يقتل بالوضيع (قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) نزلت في قريظة وبنى النضير فكان الواحد من بنى النضير إذا قتل واحدا من قريظة أدى إليهم نصف الدية وإذا قتل الواحد من قريظة واحدا من بنى النضير أدى إليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذى أنزله في التوراة وكل آية وردت في الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين (قوله وكتبنا عليهم فيها) هذا شرع من قبلنا وهو شرع لنا ولم يرد ما ينسخه في هذه الآية دليل للمذهب مالت حيث قال شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ (قوله أن النفس) أن حرف توكيد ونصب والنفس اسمها وقوله بالنفس الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر أن قدره المفسر بقوله تقتل وهو حل معنى لاجل إعراب لأن الخبر يقتدر كونا عاما لاختصاصه بالمناصب تقديره تؤخذ ليصلح للجميع والجملة من أن واسمها وخبرها في محل نصب على الفعلية بكتبنا . واعلم أنه قرئ بنصب الجميع وهو ظاهر لأنه معطوف على اسم أن وقرئ برفع الأربعة مبتدأ وخبر مع أوف على جملة أن واسمها وخبرها ويؤول كتبنا

بقلنا فالحمل كلها في محل نصب مقول القول وهو الأحسن وقرئ: بنصب الجميع ماعدا الجروح فبالرفع مبتدأ وخبر معطوف على أن واسمها وخبرها (قوله والأذن بالأذن) بضم الدال وسكونها قراءة ثان سبعيتان (قوله بالوجهين) أى الرفع والنصب عند نصب الجميع وأما عند رفع ما قبله فبالرفع لا غير (قوله وما لا يمكن) ما اسم موصول مبتدأ وقوله فيه الحكومة خبر (قوله فيه الحكومة) أى بأن يقدر رقيقا سالما من العيوب ثم ينظر لما نقصه فيؤخذ بنسبته من الدية وظاهر المسر أن كل ما لا يمكن فيه القصاص فيه الحكومة ولله مذهبه وإلا فذهب مالك الحكومة في كل ما لم يرد فيه شيء مقرر في الخطأ وإلا ففيه مقرر في الخطأ كرض الأثنين وكسر الصلب ففيه الدية كاملة وفي نحو الجائفة والآمة ثلثها على ما هو مبين في المذهب (قوله بأن مكن) أى القاتل من نفسه للقصاص ويحتمل أن المعنى فمن تصدق به أى القصاص بأن عفا الولي عن القاتل فهو كفارة لما عليه من الذنوب . والحاصل أن القاتل تعلق به ثلاثة حقوق : حق لله وحق للولي وحق للمقتول فإن سلم القاتل نفسه طوعا قائبا سقط حق الله وحق للولي ويرضى الله للمقتول من عنده وأما إن أخذ القاتل كرها وقتل من غير توبة فقد سقط حق الولي وبقي حق الله وحق للمقتول هكذا ذكره ابن القيم وهو مبني على أن الحدود زواجر وأما على ما مشى عليه مالك من أن الحدود جوارب فحق قتل ولوم غير توبه فقد سقطت الحقوق كلها لأن السيف يجب ما قبله (قوله فأولئك هم الظالمون) أى مخالفة شرع الله مع عدم استحلاله لذلك وعبر فيها تقدم بالكافرون لتبديلهم وتغييرهم ما أنزل الله واستحلهم (٣٦٩) لذلك (قوله وقفينا) شروع في ذكر

ما يتعلق بفضل عيسى وكتابه بعد ذكر فضل موسى وكتابه وقفينا من التقفية وهي الاتيان في القفا ومعناه العقب وقد ضمن قفينا معنى جئنا فلا يقال يلزم عليه أن التضعيف كالمهمز فقطناه أن تعدى لمفعولين بأن يقال مثلا وقفينا هم عيسى (قوله أتبعنا) أى جئنا بعيسى تابعا لأنارهم (قوله

وَالْأُذُنَ) تَطْعَمُ (بِالْأُذُنِ وَالسِّنِّ) تَقْلَعُ (بِالسِّنِّ) وَفِي قِرَاءَةِ بِالرَّفْعِ فِي الْأَرَبَةِ (وَالْجُرُوحَ) بِالْوَجْهِينِ (قِصَاصٌ) أَيْ يَقْتَصُ فِيهَا إِذَا امْكَنَ كَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَالذِّكْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَمَا لَا يُمْكِنُ فِيهِ الْحُكْمُ ، وَهَذَا الْحُكْمُ وَإِنْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ مُقَرَّرٌ فِي شَرْعِنَا (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ) أَيْ بِالْقِصَاصِ بِأَنْ مَكَنَ مِنْ نَفْسِهِ (فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ) لِمَا أَتَاهُ (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ) فِي الْقِصَاصِ وَغَيْرِهِ (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . وَقَفَيْنَا) أَتَبَعْنَا (عَلَى آثَارِهِمْ) أَيْ التَّبِيعِينَ (بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قَبْلَهُ (مِنَ التَّوْرَةِ وَآتِينَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى) مِنَ الضَّلَالَةِ (وَتُورُ) بَيَانٌ لِلْأَحْكَامِ (وَمُصَدِّقًا) حَالِ (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ) لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ (وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ . وَ) قُلْنَا (لِيَحْكَمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ) مِنَ الْأَحْكَامِ وَفِي قِرَاءَةِ بِنَصْبٍ يَحْكُمُ وَكُسْرٍ لَامُهُ عَطْفًا عَلَى مَعْمُولِ آتِينَاهُ (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ ،

أى التبيين) أى التتقدم ذكرهم في قوله يحكم بها النبيون فالأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة ويحكمون بها بين الناس فلما جاء عيسى نسخ العمل بالتوراة وصار الحكم للإنجيل (قوله مصدقا) حال من عيسى وقوله من التوراة بيان لما (قوله وآتيناه الانجيل) معطوف على قفينا (قوله فيه) خبر مقدم وهدى مبتدأ ومؤخر ونور معطوف عليه والجملة حال من الانجيل والراد بالهدى التوحيد والنور الأحكام فالعطف مغاير (قوله ومصدقا لما بين يديه) أى معترفا بأشياء من عند الله وإن نسخت أحكامها لأن الله سبحانه وتعالى كلف أمة كل عصر بأحكام تناسبها فالنسخ في الأحكام الفرعية لا الأصول كالتوحيد فلا نسخ فيه بل ما كان عليه آدم من التوحيد هو ما عليه باقى الأنبياء (قوله وهدى) أى ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى مبالغة على حد زيد عدل ، وعبر أولا بقوله فيه هدى وثانيا بقوله وهدى مبالغة (قوله وموعظة) أى أحكاما يتعظون بها والحكمة في زيادة الموعظة في الانجيل دون التوراة لأن التوراة كان فيها الأحكام الشرعية فقط وإنما الواعظ كانت في الألواح وقد نسكت وأما الانجيل فهو مشتمل على الأحكام والواعظ (قوله للمتقين) خصهم لأنهم المنتفعون بذلك (قوله وقلنا) قدره المفسر إشارة إلى أن الواو حرف عطف وللعطف محذوف وقوله ليحكم اللام لام الأمر والفعل مجزوم بها والجملة مقول القول والمحذوف معطوف على آتيناه والمعنى آتيناه عيسى ابن مريم الانجيل وأمرناه ومن تبعه بالحكم به (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله بنصب يحكم) أى ، بأن مضرة بعد لام كي (قوله عطفًا على معمول آتيناه) فيه شيء لأنه إن أراد معموله الذى هو الانجيل فهو غير ظاهر وإن أراد معموله الذى هو قوله هدى وموعظة ، والمعنى آتيناه الانجيل لأجل الهدى والموعظة ولحكم أهل الانجيل فهو صلب التركيب والأحسن

أن قوله ليحكم متعلق بمحذوف الواو للاستئناف والمعنى وآتيناه ذلك ليحكم (قوله فأولئك هم الفاسقون) عبر بالفسق هنا لأنه خروج عن أمره تعالى وطاعته لأنه تقدم أمر وهو قوله وليحكم وفي الحقيقة الفسق يرجع للظلم لأنه مخالفة الأمر فتعيره بالظلم أولا وبالفسق ثانياً تفنن (قوله وأنزلنا إليك) معطوف على أنزلنا التوراة (قوله متعلق بأنزلنا) للناس أن يقول متعلق بمحذوف حال من الكتاب وقوله معدداً حال من الكتاب أيضاً (قوله من الكتاب) بيان لما وأل في الكتاب للجنس فيشمل جميع الكتب السماوية (قوله مهيمننا) المهيمن معناه الحاضر الرقيب فالقرآن شاهد على سائر الكتب وعلى من آمن من أصحابها ومن كفر (قوله والكتاب بمعنى الكتب) أي فآل للجنس (قوله ولا تتبع أهواءهم) الخطاب للنبي والمراد غيره والمعنى لا يعمل الحاكم بين الناس لأهوائهم بأن يحكم بها ويترك ما أنزل الله (قوله من الحق) بيان لما (قوله أيها الأمم) أي من لدن آدم إلى محمد فكل أمة لها شرع يختص بها والاختلاف إنما هو في الفروع لا الأصول فكل ما ورد دالا على اختلاف الشرائع كهذه الآية فباعتبار الفروع وما ورد دالا على الاتحاد كقوله - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا - وقوله - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - فمحمول على الأصول (قوله شرعة) أي أحكاما شرعها وبينها للتعبد بها والشرعية في كلام العرب مورد الماء الذي يقصد للشرب منه استعمال الطريقة الإلهية قال بعضهم الشريعة والنهاج عبارة عن معنى واحد والتكرار (٢٧٠) للتأكيد (قوله أمة واحدة) أي جماعة متفقة على دين واحد من

غير نسخ (قوله ولكن لبيابكم) هذا هو حكمة تفرق الشرائع في الفروع (قوله لينظر المطيع) أي ليطهر أمر المطيع من العاصي (قوله فاستبقوا الخيرات) أي بادروا إلى وجوه البر والطاعات (قوله جميعا) حال من الكاف في مرجعكم ولا يقال هو حال من المضاف إليه وهو لا يجوز لأنه يقال للمضاف مقتضى للعمل في المضاف إليه قال ابن مالك :

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ (الْكِتَابَ) الْقُرْآنَ (بِالْحَقِّ) مُتَعَلِّقًا بِأَنْزَلْنَا (مُعَدَّادًا لِمَا يَتَّبِعُ يَدِينَهُ) قَبْلَهُ (مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِمِّنًا) شَاهِدًا (عَلَيْهِ) وَالْكِتَابَ بِمَعْنَى الْكِتَابِ (فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ) بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا تَرَاوَعُوا إِلَيْكَ (بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) إِلَيْكَ (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) عَادِلًا (عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمْعِنَا مِنْكُمْ) أَيُّهَا الْأُمَمُ (شُرْعَةً) شَرِيعَةً (وَمِنْهَا جَا) طَرِيقًا وَاضِحًا فِي الدِّينِ يَمْشُونَ عَلَيْهِ (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ (وَلَكِنْ) فَرَقَكُمْ فَرَقًا (لِيَبْلُوَكُمْ) لِيَخْتَبِرَكُمْ (فِيمَا آتَاكُمْ) مِنَ الشَّرَائِعِ الْمُخْتَلَفَةِ لِيَنْظُرَ الْمُطِيعُ مِنْكُمْ وَالْعَاصِي (فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) سَارِعُوا إِلَيْهَا (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا) بِالْبَعْثِ (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَيَجْزِي كُلًّا مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ (وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَخْذَرَهُمْ) (لَأَنْ) لَا (يَفْتَنُوكَ) يَضْلُوكَ (عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا) عَنْ الْحُكْمِ النَّزْلِ وَأَرَادُوا غَيْرَهُ (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ) بِالْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا ،

ولا تجز حالاً من المضاف له إلا إذا اقتضى المضاف عمله (قوله فينبئكم) أي يخبركم بالذي كنتم تختلفون فيه فيترتب على ذلك الثواب للمطيع والعقاب للعاصي (قوله وأن أحكم بينهم) الواو حرف عطف وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الكتاب التقدير وأنزلنا إليك الكتاب والحكم والفعل وإن كان أمراً لفظاً إلا أنه في معنى المضارع ليفيد استمرار الحكم وأيس هذا مكرراً مع قوله فأحكم بينهم بما أنزل الله لأن ما تقدم في شأن رجم المحسنين وما هنا في شأن الدماء والديات لأن سبب نزولها أن بني النضير كانوا إذا قتلوا من قريظة قتيلاً أعطوهم سبعين وسقاً من تمر وإذا قتل قريظة قتيلاً من بني النضير أعطوهم مائة وأربعين وسقاً فقال لهم رسول الله أنا أحكم أن دم القرطبي كدم النضيرى ليس لأحدكم فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك تريد صغارنا (قوله واحذرهم أن يفتنوك) سبب نزولها أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعنا فتنه عن دينه فأنوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم نخالفونا وأن بيننا وبين قوما خصومة فنتحاكم إليك فاقض لنا عليهم تؤمن بك ونصدقك فآبى رسول الله فنزلت الآية وقوله أن يفتنوك مفعول لأجله على تقدير لام العلة ولا النافية وهو مامتنى عليه المفسر ويحتمل أنه بدل اشتغال من الماء في احذرهم والمعنى احذرهم فتنهم والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لعصمته من الفتنه .

(قوله بيمض ذنوبهم) أي لا يجمعها نفاقهم في الدنيا بالقتل والسبي والجلد إنعماؤهم بيمض ذنوبهم وأما في الآخرة فيجاز بهم على الجميع كما قال المفسر لأن العذاب المنتضى وإن طال لا يكفي جزاء الذنوب الكافر جميعها كما أن نعيم الدنيا وإن كثر ليس جزاء لأعمال المؤمنين الصالحة وإن عذب في الدنيا بمرض أو غيره فهو جزاء لأعمال المؤمنين السبئية والنعيم في الدنيا للكافر قد يكون جزاء لما عمل من العادات كالصدقات مثلاً (قوله ومنها التولي) أي الاعراض عن حكمه صلى الله عليه وسلم (قوله وإن كثروا من الناس لفاسقون) أي خارجون عن دائرة الحق ، وتقدم أن بعث النار من كل ألف واحد ناج والباقي خارج عن حديد الله ، والمعنى تسل يا محمد فإن الغالب في الناس الفسق فلا خصوصية لليهود بذلك (قوله أهلكم الجاهلية) الهمة داخلة على محذوف والقاء عاطفة على ذلك المحذوف ، والتقدير أيتولون عنك فينبون حكم الجاهلية فيكم مفعول لينبون (قوله بالباء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله استفهام إنكارى) أي فهو بمعنى النفي ، والمعنى لا ينبون حكم الجاهلية منك على سبيل الظفر به لصمتك (قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي والآية كالدليل لما قبلها (قوله عند قوم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى عند (قوله به) قدره إشارة إلى أن مفعول يوقنون محذوف والضمير عائذ على حكم الله (قوله يا أيها الذين آمنوا) لا تتخذوا الخ) انتهى لاسكل من أظهر الإيمان وإن كان في الباطن خائياً من (٢٧١) الإيمان ، وسبب نزولها أن

عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين اختصا فقال عبادة إن لي أولياء من اليهود كثيرا عددهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية اليهود ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي بن سلول لا أبرأ من ولاية اليهود فإني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية

(بِيَمِضِ ذُنُوبِهِمْ) الَّتِي أَتَوْهَا وَمِنْهَا التَّوَلَّى وَبِجَازِهِمْ عَلَى جَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ (وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَتُحْكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْفُونَ) بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمِيلِ إِذَا تَوَلَّوْا ، اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِي (وَمَنْ) أَيْ لَا أَحَدَ (أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ) عِنْدَ قَوْمٍ (يُوقِنُونَ) بِهِ خُصُوصًا بِالذِّكْرِ لَأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَدَبَّرُونَهُ (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) تَوَلَّوْنَهُمْ وَتَوَادَّدْتَهُمْ (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) لَا تَعَادُهُمْ فِي الْكُفْرِ (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) مِنْ جَمَلَتِهِمْ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) بِمَوَالِيَتِهِمُ الْكَفَّارَ (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضَعْفُ اعْتِقَادِ كَيْدِ اللَّهِ بِنَبِيِّهِ الْمُنَافِقِ (يُسَارِعُونَ فِيهِمْ) فِي مَوَالِيَتِهِمْ (يَقُولُونَ) مُعْتَذِرِينَ عَنْهَا (نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) يَدُورُ بِهَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا مِنْ جَدْبٍ أَوْ غَلَبَةٍ وَلَا يَتِمُّ أَمْرُ مُحَمَّدٍ فَلَا يَمِيرُونَا قَالَ تَعَالَى (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ) بِالنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ بِإِظْهَارِ دِينِهِ (أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ) يَهْتِكُ سِرَّ الْمُنَافِقِينَ وَافْتِضَاحَهُمْ ،

اليهود على عبادة بن الصامت هو لك دونه ، فقال إذا أقبل فترأت . وأخذ ينصب مفعولين اليهود والنصارى مفعول أول وأولياء مفعول ثان (قوله بعضهم أولياء بعض) جملة مستأنفة ، والمعنى بعض كل فريق أولياء البعض الآخر من ذلك الفريق لأن بين اليهود والنصارى العداوة الكبرى (قوله فانه منهم) أي لأنه لا يوالى أحد أحدا إلا هو عنه راض فإذا رضى عنه وعن دينه صار من أهل ملته ، وأما معاملتهم مع كراهتهم فلا ضرر في ذلك (قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) علة لكون من يواليهم منهم (قوله كمبذ الله بن أبي) أي وأصحابه (قوله معتذرين عنها) أي الولاية (قوله دائرة) أي أمر مكروه فالدوائر هي حوادث الدهر وشروعه ، والدولة هي النهز والنصر فالقوم لا ينتظر إلا الدولة لا الدائرة (قوله أو غلبة) أي للكفار على المسلمين (قوله فلا يميرونا) أي يعطونا البيرة وهي الطعام (قوله قال تعالى) أي رد القول للمنافقين نخشى أن تصيبنا دائرة وبشارة للمؤمنين لا اعتقادهم أن الله ناصرهم ، ففي الحديث «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء» (قوله أو أمر من عنده) أو مائة خلو تجوز الجمع وقد حصل الأمران معاً ، فقد روى أن رسول الله أمر وهو على النبر بإخراجهم من المسجد واحداً واحداً ورات سورة براءة بفضيحتهم وذهم ظاهراً وباطناً ، ولذا سمي الفاضحة . وعسى وإن كانت للترجي إلا أنها في كلام الله للتحقيق لأن كلامه موافق لملئه وهو لا يتخلف .

(قوله فيصبحوا) عطف على يأتي وقام السببية مغنية عن الرابط (قوله نادمين) أى على تخلف مرادهم وحسرتهم من أجل نصر محمد وأصحابه وخذلان الكفار وليس المراد نادمين على ماتقتم منهم من الذنوب تأبين من ذلك وإلا فيكون حينئذ ندما محمودا لغلبة رحمة الله على غضبه (قوله بالرفع استثناء) أى نحويا أو بيانيا واقعا فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يقول المؤمنون حينئذ بناء على جواز اقتران البياني بالواو ، وأما على قراءة عدم الواو فيكون بيانيا لا غير (قوله عطفًا على يأتي) أى مسلط عليه عسى ، والمعنى نفسى الله أن يأتي بالفتح ويقول الذين آمنوا تعجبا من كذب المنافقين هكذا ذكر المفسر ، والمناسب أن يقول عطفًا على فيصبحوا لأنه نتيجة ما قبله لأن تعجب المؤمنين ناشئ عن الفتح لهم والفضيحة للمنافقين (قوله أهؤلاء) الهمزة للاستفهام التعجبي والماء للتنبيه وأولاء اسم إشارة مبتدأ والذين خبره وأقسموا صلته ، وقوله إنهم لمعكم جملة تفسيرية لمعنى أقسموا لأن يمينهم إنا معكم (قوله غاية اجتهادهم) أشار بذلك إلى أن جهد صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لأقسموا ، والتقدير إقسامًا جهد أيانهم : أى أغلظها (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله حبطت أعمالهم من كلامه تعالى إخبار عن المنافقين لامن كلام المؤمنين لأنهم لا علم لهم بذلك (قوله الصالحة) أى بحسب الظاهر (قوله يا أيها الذين آمنوا) هذا تحذير عام لكل مؤمن من موالات الكفار وبيان عاقبة من والاهم ومال إلى دينهم (قوله من يرتد) من اسم شرط جازم ويرتد فعل الشرط وجوابه قوله فسوف يأتي الله الخ والجملة خبر للمبتدأ (قوله بالفك والادغام) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد ارتد جماعة بعد موت النبي) أى وهم ثمان فرق سبعة (٢٧٢) فى خلافة أبى بكر وفرقة فى زمن عمر وارتد ثلاث فرق أيضا فى زمن رسول

الله بنو مدلج ورئيسهم ذوالحار لقب به لأنه كان له حمار يأتمر بأمره وينتهى بهيه وهو الأسود العنسى بفتح العين وسكون النون وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ

(فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) من الشك وموالات الكفار (نَادِمِينَ . وَيَقُولُ) بالرفع استثناء بواو ودونها وبالنصب عطفًا على يأتي (الَّذِينَ آمَنُوا) لبعضهم إذا هتك سترهم تعجبا (أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) غاية اجتهادهم فيها (إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ) فى الدين ، قال تعالى (حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) الصالحة (فَأَصْبَحُوا) صاروا (خَاسِرِينَ) الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ) بالفك والادغام : يرجع (مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) إلى الكفر إخبار بما علم الله تعالى وقوعه ، وقد ارتد جماعة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم (فَسَوْفَ يَأْتِ اللَّهُ) بدلهم ،

ابن جبل وسادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فينته وقتله ، فأخبر رسول الله

(بقوم) بقتله ليلة قتله فسرّ المسلمون بذلك وقبض رسول الله من الغد ، وأتى خبر قتله فى آخر ربيع الأول ، و بنو حنيفة وهم قوم مسيلة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله من مسيلة رسول الله : أما بعد فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك ، فكتب إليه رسول الله : من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب : أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وهلك فى خلافة أبى بكر على يد وحشى غلام مطعم بن عدى قاتل حمزة فكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام . و بنو أسد وهم قوم طلحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه . والسبع اللاتى فى خلافة أبى بكر الصديق هم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزارى و غطفان قوم قره بن سلمة القشبرى و بنو سليم و بنو بربوع قوم مالك بن بريدة البربوعى و بعض نعيم و كندة قوم الأشعث بن قيس الكندى و بنو بكر بن وائل فكفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق حين خرج لقتالهم حيث منعوا الزكاة فكره ذلك الصحابة وقالوا هم أهل القبلة فكيف نقاتلهم فتدأ أبو بكر بسيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره ، فقال ابن مسعود كرهنا ذلك فى الابتداء وحمدناه فى الانتهاء وقال بعض الصحابة ماؤله بعد النبيين أفضل من أبى بكر لقد قام مقام نبى من الأنبياء فى قتال أهل الردة ، والفرقة التى ارتدت فى زمن عمر بن الخطاب هم غسان فكفى الله أمرهم على يد عمر رضى الله عنه (قوله بدلهم) أى بدل المرتدين فالضمير عائد على من باعتبار معناها وأشار به الى الرابط بين المبتدأ وخبره وهذا لاحتياج له الى على القول بأن الجزء وحده هو الخبر ، وأما على القول بأن الخبر هو مجموع فعل الشرط والجزاء أو الفعل وحده فلا حاجة لتقديره لأنه موجود فى قوله .

(قوله يحبه ويحبونه) معنى محبة الله لهم إقامتهم له في خدمته مع الرضا والأمانة ومعنى محبتهم لله موالاته طاعته وتقديم خدمته على كل شيء. ولما كانت محبتهم لله ناشئة عن محبة الله لهم قدم محبة الله لهم. قال العارف رضى الله عنه على لسان الحضرة العلية :
أيها المعرض عنا إن إعراضك منا لو أردناك جعلنا كل ما فيك يردنا

(قوله وأشار إلى أبي موسى الأشعري) أى فالقوم هم الأشعريون ، وقيل هم أبو بكر وأصحابه الذين باشروا قتال المرتدين والأقرب أن الآية عامة لأصحاب رسول الله ومن كان على قدمهم إلى يوم القيامة بقرينة النسب (قوله أدلة) جمع دليل ، وقوله عاطفين اشار به إلى أن أدلة مضمن معنى عاطفين لتعديته بغلي ، والمعنى متواضعين لأنهم مغاظين على الكفار ، ومن هذا المعنى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - (قوله يجاهدون في سبيل الله) أى لإعلاء دينه (قوله ولا يخافون لومة لائم) تعريض بالمنافقين فانهم كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود لئلا يحصل منهم اللوم لهم (قوله ذلك المذكور) أى من الأوصاف الستة (قوله ونزل لما قال ابن سلام الخ) أى لما أسلم هجره قومه قريظة بنو النضير (قوله إنما وليكم) الخطاب لعبد الله ابن سلام وأتباعه الذين هداهم الله إلى الإسلام فلما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن سلام رضى الله ربا وبرسوله نبيا وبالؤمنين أولياء والعبرة بعموم اللفظ لخصوص السبب فكل من انتسب لله فهو وليه . قال تعالى - لله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور (قوله ورسوله) أى لأنه الوسيلة العظمى في كل نعمة ، وقوله (٢٧٣) والذين آمنوا : أى لكونهم

الاخوان فمن تخطى عنه رسول الله أو المؤمنون فهو هلك لأن موادة الثلاثة شرط في صحة الإيمان (قوله الدين يقيمون الصلاة) بدل من "صلاة أدائها بشرطها وأركانها وآدابها (قوله ويؤتون الزكاة) أى الحقوق التي عليهم في أموالهم (قوله وهم

(بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) قال صلى الله عليه وسلم : هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري رواه الحاكم في صحيحه (أدلة) عاطفين (على المؤمنين أعزّة) أشداء (على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار (ذلك) المذكور من الأوصاف (فضل الله يؤتية من يشاء والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو أهله . ونزل لما قال ابن سلام يارسول الله إن قومنا هجرونا (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) خاشعون أو يصلون صلاة النعاع (ومن يقول الله ورسوله والذين آمنوا) فيعينهم وينصرهم (فإن حزب الله هم الغالبون) لنصره إياهم أو وقع موقع فانهم بياناً لأنهم من حربه أى أتباعه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً مهزواً به (ولعباً من) للبيان (الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار) ،

را كعون) الجملة الحالية من يقيمون ويؤتون ، وقوله خاشعون : أى فإطاق الركوع وأراد لازمه وهو الخشوع (قوله أو يصلون صلاة التطوع) أى فالمراد بالركوع صلاة النوافل وخصها بالذكر لأن نفل الصلاة أفضل من نفل غيرها وعليه الحالية وهم راكعون معطوفة على ما قبلها فتحصل أنه وصفهم بأوصاف ثلاثة : إقامة صلاة الفرائض ، وإيتاء الزكاة ، وصلاة النوافل ، وقيل قوله وهم راكعون حال من فاعل يؤتون الزكاة ، والمراد بها ما يشمل صدقة التطوع والركوع على حقيقته ، والمراد كمال رغبتهم في الاحسان ومساعدتهم إليه ، روى أنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو في الصلاة ففرغ خاتمه وأعطاه (قوله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) من اسم شرط ويتول فعله والله مفعول يتول ، والمعنى يختار الله ولياً يعبد ، ويلتجئ إليه ويختار رسوله ولياً بأن يؤمن به ويتوسل به ويعظمه ويوقره ويختار الذين آمنوا أولياء بأن يعينهم ويتصرهم ويوقرهم إذا حضروا ويحفظهم إذا غابوا ، وقوله فإن حزب الله الخ يحتمل أنها جواب الشرط ، وإنما أوقع الظاهر موقع المضمرة لسكينة التفسير ويؤخذ ذلك من عبارة التفسير ، ويحتمل أنها دليل الجواب ، والجواب محذوف تقديره يكن من حزب الله (قوله هم الغالبون) أى القاهرون لأعدائهم (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) لانهية وتتخذوا مجزوم بلا الناهية والذين مفعول أول لاتتخذوا الأولى واتخذوا الثانية صلة الذين ومفعولها الأول قوله دينكم ومفعولها الثاني هزواً ولعباً ، وقوله أولياء مفعول ثان لاتتخذوا الأولى (قوله من للبيان) أى فهو بيان للذين اتخذوا دينكم ، فالمنى لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً وهم الذين

(قوله المشركين) إنما اقتصر عليهم وإن كان الجميع كفارا لتحصل المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه (قوله بالجر) أي عطف على مجرور من وقوله والنصب أي عطف على الذين الواقع مفعولاه فعلی الأول الاستهزاء واقع من الفريقين وعلى الثاني واقع من أهل الكتاب فقط وثبوت الاستهزاء لغيرهم مأخوذ من آية أخرى (قوله إن كنتم مؤمنين) أي فتركوا موالاتهم فيؤخذ من الآية أن من والاهم فيس بمؤمن فهو وعيد عظيم لمن اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين (قوله وإذا ناديتهم) يحتمل أنه معطوف على الذين المجرور بمن وعليه فالمستهزئون ثلاث فرق، ويحتمل أنه معطوف على الذين الواقع مفعولا ، فيكون من جملة أوصاف الفريق الأول (قوله بالأذان) ورد أن المناقطين والكفار كانوا إذا سمعوا الأذان ضحكوا وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى قبلك من الأمم فإن كنت تدعى النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك ولو كان فيك خير لكان أولى الناس به الأنبياء فمن أين لك صياح العير فما أقبح هذا الصوت وهذا الأمر فنزلت آية ومن أحسن قولاً وهذه الآية (قوله لا يعقلون) أي لا يعون ولا يتأملون جلال الله وهيبته ولو عقلوه ما سمعهم الاستهزاء ولذا ورد أن رسول الله كان إذا نودي بالصلاة تغيرت حالته قال بعض الصحابة كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه وكان على إذا سمع النداء يتقعق لونه ، وهذا الوعيد يجبر بذيله على من يتعاطى الضحك وأسبابه في الصلاة ولذلك جعله أبو حنيفة من مبطلات الوضوء والصلاة وجعله غيره من مبطلات الصلاة فقط وإنما لم يكفروا فاعله لأنه لم يكن مستهزئاً بأمر الله حقيقة وإلا كان كافراً إجماعاً وداخلاً في عموم الكفار (قوله ونزل لما قال اليهود) أي سبب نزولها قول طائفة من اليهود كآبي يسار (٢٧٤) ورافع بن أبي رافع وآزر بن أزر وقصدهم بهذا السؤال اختباره

صلى الله عليه وسلم هل هو مؤمن بعيسى فيخالفوه أولاً فيتبعوه لكرهاتهم له (قوله بمن تؤمن من الرسل) أي بأي رسول تؤمن (قوله فقال بالله) متعلق بمحذوف تقديره أو من بالله وقسوله الآية أي إلى قوله مسلمون وتلك الآية هي آية البقرة

المشركين بالجر والنصب (أُولَئِكَ وَأَتَقُوا اللَّهَ) بترك موالاتهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) صادقين في إيمانكم (وَ) الذين (إِذَا نَادَيْتُمْ) دعوتهم (إِلَى الصَّلَاةِ) بالأذان (اتَّخَذُوهَا) أي الصلاة (هَزُوءًا وَلَعِبًا) بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا (ذَلِكَ) الاتخاذ (بِأَنَّهُمْ) أي بسبب أنهم (قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) . ونزل لما قال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ممن تؤمن من الرسل ؟ فقال بالله وما أنزل إلينا الآية فلما ذكر عيسى قالوا لانعلم ديننا شراً من دينكم (قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ) تنكرون (مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ) إلى الأنبياء (وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ) عطف على أن آمنا ، المعنى ماتنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله ،

المعبر

التي أولها قولوا آمنا الآية (قوله هل تنقمون) جمهور

القراء على كسر القاف من نعم بفتحها وهو الفصحى وقرئ شذوذاً بفتح القاف وماضيه نعم بكسرها وهو في الأصل النقص ثم أطلق على الكراهية والانكار ولذا عدى بمن دون على (قوله منا) أي من أوصافنا وأخلاقنا (قوله إلا أن آمنا) استثناء مفرغ وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لتنقموا والاستفهام انكارى بمعنى النقي والمعنى لانكرونا ولانكرهون من أوصافنا إلا إيماننا بالله الخ (قوله وما أنزل من قبل) أي من سائر الكتب السماوية (قوله وأن أكثركم) قرأ الجمهور بفتح الهمزة وقرئ شذوذاً بكسرها على الاستثناء (قوله عطف على أن آمنا) أي فهو في محل نصب على حذف مضاف تقديره واعتقادنا أن أكثركم فاسقون ، وإنما قدرنا المضاف لصحة العطف فإن المعطوف على الصفة صفة وكون أكثرهم فاسقين وصف لهم لئلا نقدر المضاف لذلك ويصح أنه منصوب على المعية والمعنى إلا إيماننا مع كون أكثركم فاسقين مع تقدير المضاف أي مع اعتقادنا أن أكثركم فاسقون ، ويحتمل أن أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل الرفع مبتدأ والخبر محذوف تقديره وفسق أكثركم ثابت عندنا ويحتمل أنه في محل جر معطوف على لفظ الجلالة مسلط عليه آمنا التقدير وما تنكرونا منا إلا إيماننا بالله وإيماننا بأن أكثرهم فاسقون (قوله المعنى ماتنكرون الخ) إنما أتى بذلك جواباً عن سؤال مقدر تقديره إن قوله وأن أكثركم فاسقون وصف لهم وأما الإيمان فهو وصف لنا فيشكل عطف ما ليس وصفاً لنا على ما هو وصف لنا فلذلك حول المفسر العبارة (قوله ومخالفتكم) من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره مخالفتنا إياكم .

(قوله المبرعنه بالفسق) أى فإطلاق اللازم وهو الفسق وأراد المزموم وهو عدم قبول الإيمان ثم أطلق وأريد لازمه وهو مخالفتنا لهم في انصافنا بقبول الإيمان وهم بدمه وقوله في عدم قبوله أى الإيمان (قوله وليس هذا مما ينكر) تتميم للكلام إشارة إلى أن الاستفهام انكارى (قوله قل هل أنبئكم بشر) هذا الكلام من باب المقابلة لأنه في مقابلة قول اليهود لا نعلم ديننا شراً من دينكم (قوله الذى تنقمونه) أى وهو ديننا (قوله مثوبة) تمييز لشر (قوله بمعنى جزاء) أى بالعقاب وكان على المفسر أن يزيده قسمية الجزاء بالعقاب ثواباً تهكم بهم على حد: فبشرهم بعذاب أليم (قوله هو من لعنه الله) أشار بذلك إلى أن قوله من لعنه خبر لمحدوف قدره المفسر بقوله هو وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره ومن الأشر (قوله وغضب عليه) أى انتقم منه على سبيل الأبد (قوله بالمسخ) أى جعل شبابهم قردة ومشايخهم خنازير (قوله الشيطان) تقدم أنه أحد تفاسير في الطاغوت وقيل هو كل ما أوقع في الضلال عابده هو التابع له في الضلال (قوله وفيما قبله) أى وهو لعنه وغضب عليه وكذلك راعى لفظها في وعيد الطاغوت (قوله وفي قراءة) أى سبعة لحزة وقوله اسم جمع لعبد أى لاجمع له بل جمعه أعب: قال ابن مالك :

* افعل اسماً صحيحاً عيناً أفعل * (قوله ونصبه بالعطف على القردة) أى (٢٧٥) فتكون الصلوات ثلاثاً وهى لعنه

رغضب عليه وجعل والرابعة على القراءة الأولى عبد (قوله تمييز) أى تمييز نسبة ونسب الشر للكان وحقه لأهله كناية عن نهايتهم في ذلك (قوله وذكر شر) أى المجرور في قوله وبشر والمرفوع في قوله أولئك شر وقوله في مقابلة قولهم الخ جواب عن سؤال مقدر تقديره كيف ذلك مع أن المؤمنين لا شر عندهم. فأجاب بما ذكر. وأجيب أيضاً بأن شر المؤمنين باعتبار تعبههم في الدنيا فعذاب الآخرة للكفار أشر من ضيق

المبرعنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أخبركم (بِشَرِّ مِنْ) أهل (ذَلِكَ) الذين تنقمونه (مَثُوبَةً) ثواباً بمعنى جزاء (عِنْدَ اللَّهِ) هو (مَنْ أَعْنَهُ اللَّهُ) أبعد عن رحمته (وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ) بالمسخ (وَمَنْ) (عَبَدَ الطَّاغُوتَ) الشيطان بطاعته . وراعى في منهم معنى مَنْ وفيما قبله لفظها وهم اليهود . وفى قراءة بضم باء عبد وإضافته إلى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة (أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا) تمييز لأن ما واهم النار (وَأَضَلُّ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ) طريق الحق وأصل السواء الوسط ، وذكر شر وأضل في مقابلة قولهم لا نعلم ديناً شراً من دينكم (وَإِذَا جَاؤُكُمْ) أى مناقفوا اليهود (قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا) إليكم متلبسين (بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا) من عندهم متلبسين (بِهِ) ولم يؤمنوا (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ) من النفاق (وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ) أى اليهود (يُسَارِعُونَ) يقعون سريعاً (فِي الْإِنْفِمِ) الكذب (وَالْمُدْوَانِ) الظلم (وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ) الحرام كالرشا (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) عملهم هذا (لَوْلَا) هلا (يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ) منهم (عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنْفِمِ) الكذب (وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ترك نهيمهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ) لما ضيق عليهم .

الدنيا على المؤمنين. وأجيب أيضاً بأن المفضل عليه جماعة من الكفار فيكون المعنى هؤلاء المتصفون بتلك الأوصاف شر من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال (قوله وإذا جاءوكم) الخطاب للنبي فجمعه لتعظيم أوله ومن عنده من المؤمنين فالجمع ظاهر (قوله وقد دخلوا) الجملة حالية من فاعل قالوا وكذا قوله وهم قد خرجوا (قوله متلبسين) قدره إشارة إلى أن قوله بالكفر متعاقب بمحدوف حال من فاعل دخلوا وكذا قوله به حال من فاعل خرجوا (قوله وترى كثيراً) رأى بهرية تنصب مفعولاً واحداً وهو قوله كثيراً وقوله يسارعون حال من قوله كثيراً (قوله كالرشا) بضم الراء وكسرها من الرشوة بضم وكسر فالمضموم للمضموم والمكسور للمكسور وأدخلت الكاف الربا (قوله عملهم هذا) قدره إشارة للخصوص بالذم (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض والتوبيخ لهم حيث لم ينههم عما ارتكبوه من المخالفات (قوله لبئس ما كانوا يصنعون) عبر في جانب العوام ببيعهم وفى جانب العلماء يصنعون لأن الصنع أبغ من العمل إذ هو عمل مع إتيان فذهم بأبلغ وجه وكل آية وردت في الكفار فاتها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين . قال ابن عباس هذه أشد آية في القرآن يعنى في حق العلماء ، وقال الضحاك مافى القرآن أخوف آية عندي منها (قوله وقالت اليهود) أى بعضهم وهو فنحاص بن عاز وراء وإنما نسب القول لهم عموماً لرضاهم به ولم ينهوه عنه

(قوله شكذبيهم) الباء سببية (قوله بعد أن كانوا أكثر الناس مالا) أى وأخصب أرضا (قوله مقبوضة) أى ممسوكة عن بسط العطاء لنا (قوله كنوا به عن البخل) أى لأنه يلزم من قبض اليد عن الإعطاء للمستحقين البخل (قوله تعالى) أى تنزه سبحانه عن ما وصفوه به من البخل لأن البخل هو منع المستحق من حقه وليس لأحد حق على الله على بل هو الكريم الحقيق الذى عمّ عطاؤه الطائع والعاصى لا لفرض ولا لعوض (قوله دعاء) إما بالرفع خبر لمحذوف والتقدير هو دعاء أى طلب من نفسه بنفسه غلول أيديهم ، ويصح النصب على أنه مفعول لأجله أى قال تعالى لأجل الدعاء عليهم (قوله ولعنوا) معطوف على غلت فهو في حيز الدعاء فبسبب هذه المقالة صاروا أشقياء آيسين من رحمة الله فلم يوتقوا فعمل خير بعد ذلك أبدا وطرردوا عن رحمة الله في الدنيا والآخرة (قوله بل يدها) إضراب إبطالى وبداء مبتدأ وبمبسوطتان خبره وجملة بنفق إما خبر ثان أو استئناف يأتى وكيف اسم شرط ويشاء فعل الشرط ومفعوله محذوف تقديره الانفق له وجواب الشرط محذوف دلّ عليه قوله ينفق (قوله مبالغة في الوصف بالجود) أى الإعطاء الكثير الذى عمّ الطائع والعاصى . واعلم أن معاملة الله للمؤمنين بالفضل إعطاء أو منعا لأنه مامنهم عطاء الدنيا إلا لكونه آذخر لهم ما هو أعظم منه في الآخرة . وأما معاملته للكفار فبالفضل عند الإعطاء وبالعدل عند المنع فلا يوصف بالبخل على كل حال تنزه الله عنه لأن البخل هو منع المستحق من حقه (٢٧٦) وتعالى الله عن أن يكون لأحد حق عليه (قوله ونفى اليد الخ)

أى فذكر اليدين :
مشاكلة والتنثنية كناية
عن كثرة العطاء لكن
على مراده هو لاعلى
مراد عبيده لأنه ليس
لأحد حق عليه يطلبه
منه ثم في إطلاق اليد
على الله طريقة سان :
طريقة الدلف أن اليد
صفة من صفاته أزلية
كلسم والبصر ينشأ
عنها الحسب لا الشر

بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا أكثر الناس مالا (يَدُ اللَّهِ مَقْبُوضَةٌ) عن إدراك الرزق علينا ، كنوا به عن البخل . تعالى الله عن ذلك . قال تعالى (غَلَّتْ) أمسكت (أَيْدِيهِمْ) عن فعل الخيرات دعاء عليهم (وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ بَدَأُ مَبْسُوطَتَانِ) مبالغة في الوصف بالجود ونفى اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطى يديه (يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) من القرآن (طُغْيَانًا وَكُفْرًا) لكفرهم به (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فكل فرقة منهم تخالف الأخرى (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ) أى لحرب النبي صلى الله عليه وسلم (أَطْفَأَهَا اللَّهُ) أى كلما أرادوه ردم (وَيَسْمَعُونَ فِي الْأَرْضِ مَسَدًا) أى مفسدين بالمعاصى (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم ،

بمعنى أخص من القدرة لأن القدرة ينشأ عنها

(ولو)

جميع الممكنات إيجادا وإعدا ما خيرا أو شرا ولا يعلمها إلا هو ، ويشهد لما قلنا قوله تعالى - قال مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي - أى اصطفيته ولم يقل بقدرتي ، وطريقة الخف أن اليد نطاق بمعنى الجارحة وهى مستحيلة على الله وتطلق على القدرة والنعمة وذلك ويصح إرادة كل منها في حق الله . إن قلت على تفسيرها بالقدرة أو النعمة فلم ثبت أنها بعد إرادها أو لا ؟ . أجيب بأن التنثنية لإفادة كثرة الكرم والعطاء كقَالَ المفسر . إن قلت على تفسيرها بالنعمة فقطضاء جمعها لأن لهم كثيرة قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - . أجيب بأن التنثنية بحسب الجنس لأن النعم جنسان مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة الإعطاء ونعمة المنع وتحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة وما قلناه عقائد لمؤمنين وعقيدة اليهود أنها الجارحة لأنهم مجسمة (قوله من توسيع وتضييق) أى على متنضى المصاحبة والحكمة الإلهية نفي الحديث . إن من عبادى من لا يصاح له إلا الفقر فلو أغنيته لفسد حاله وإن من عبادى من لا يصلح له إلا الغنى فلو أفقرته لفسد حاله (قوله فكل فرقة منهم) أى اليهود كالجبرية والقدرية والمشيبهة والمرجئة والنصارى كذلك فرق كالمساكنية والنسطورية واليعقوبية والماردانية . إن قلت إن المسلمين فرق أيضا . أجيب بأن افتراق المسلمين في العروق لا الأصول وكلامهم على خير مسلمين بعضهم . وأما من خرج عن ذلك فهو ضال . ضل (قوله كلما أوقدوا نارا للحرب) أى بتعطى أسبابه ومباده (قوله ردم) نى قهرهم وجعلهم أذلة خاشعين (قوله أى مفسدين) أشار بذلك إلى أنه حال من فاعل يسمعون ويصح أن يكون مصدرا مؤكدا لسمعون

من معناه (قوله ولولأهل الكتاب) بين الحلف في الآخرة فهو تردد لهم أنه يهتدي ومن هنا لا يجوز لمن كان معين حي لأنه يحمل أنه يهتدي (قوله من الكتب) أي ككتاب شعيب وكتاب داود وكتاب أرميا في هذه الكتب أيضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بأقامة الكتب الإيمان به صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن لأنهم مأمورون بالإيمان به لأنهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم ولعل هذا هو الأقرب (قوله بأن يوسع عليهم الرزق) أي بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض ، ويؤخذ من هذه الآية أن طاعة الله سبب في بسط الرزق ومعاصيه سبب في قبضه قال تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . وقال تعالى : من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حية طيبة . وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا رأيت قساوة في قلبك وحرمانا في رزقك ووهنا في بدنك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعينك » (قوله مقتصدة) أي معتدلة ليست مفرطة ولا مفرطة وقوله تعمل به أي بالقرآن أو بما ذكر من التوراة وما بعدها (قوله ومنهم من آمن) الأوضح أن يحذف قوله ومنهم من آمن ويقتصر على قوله كعبد الله الخ كما قال غيره من المفسرين وفي نسخة وهم من آمن وهي الصواب (قوله وكثير) مبتدأ وجملة ساء ما يعملون خبره وساء كلمة ذم * وما يميز وقيل فاعل * وجملة يعملون إما صلة إن جاءت مأموصولة أو صلة إن جاءت نكرة والعائد محذوف تقديره المفسر (قوله يأيها الرسول بلغ) . سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث ضاق ذرعا لعلمه أن قوما يكذبونه ولا بد فزلت الآية تسليية له ، وفي ندائه بياأيها الرسول شهادة له بالرسالة وأن في الرسول للمهد الحضورى (٢٧٧) أي الرسول الحاضر وقت نزولها وهو محمد صلى الله عليه وسلم

(قوله جميع) قدره
شارة إلى أن ما اسم
موصول بمعنى الذى
ولا يصح تقديرها نكرة
لأنه يصدق بتبليغ البعض
مع أنه غير مكلف . واعلم
أن ما أوحى إلى رسول الله
ينقسم إلى ثلاثة أقسام :
ما أمر بتبليغه وهو القرآن

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وَأَتَوْا) الكفر (لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ) سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ) من الكتب (مِنْ رَبِّهِمْ لَا كُلُّوا مِنْ فَوَاقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة (مِنْهُمْ أُمَّةٌ) جماعة (مُتَّقِدَةً) تعمل به وهم من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ) (مَا) شيئا (يَعْمَلُونَ) (بِأَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ) جميع (مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ولا تكتم شيئا خوفا أن تنال بمكروه (وَأَنْ لَمْ تَقْعَلْ) أى لم تباع جميع ما أنزل إليك (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) بالافراد والجمع لأن كتان بعضها ككتبان كله (وَاللَّهُ يَخْتِمْكَ مِنَ النَّاسِ)

والأحكام المتعلقة بالخلق عموما فقد بلغه ولم يزد عليه حرف ولم يكتم منه حرفا ولو جاز عليه الكتم لكتم آيات العتاب الصادرة له من الله كآية : عبس وتولى ، وآية : ما كان لنبي أن يكون له أصرى ، وسورة تبت يدا أبى لهب ، وانظر قل من قل يأيها الكافرون وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، وقد شهد له بتمام التبليغ حيث أنزل قبيل وفاته : اليوم أكملت لكم دينكم ، وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه : قبض فقد بلغت ، وما أمر بكتمه فقد كتبه ولم يباغ منه حرفا وهو جميع الأسرار التي لا تليق بالامة ، وما خبر في تبليغه وكتمه فقد كتبه البعض وبلغ البعض وهو الأسرار التي تليق بالامة ولذا ورد عن أبى هريرة أنه قال « أعطاني حبيبي جبرائيل من العلم لو بثت لكم أحدها لقطع منى هذا الخلقوم » (قوله خوفا أن تنال بمكروه) أى يمنعك عن مطلوبك كالقتل والأسر ومنع الحق عنك فالك معصوم من ذلك ، وأما مثل السب فتحملة ولا يكن مانعا لك من التبليغ وهذا إخبار من الله بأن رسوله لم يكتم شيئا فهو معصوم من الكتمان لاستحالة عليه (قوله بالافراد والجمع) أى فهما قراءتان سبعيتان ، وعلى كل فهو مقول لبلفت فعلى الافراد منصوب بالفتحة الظاهرة وعلى الجمع منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم والمعنى واحد على كل لأن المفرد المضاف يفيد العموم (قوله لأن كتان بعضها الخ) أشار بذلك إلى دفع سؤال ورد على الآية وحاصله أن ظاهر قوله وإن لم تفعل فما بلغت رسالته اتحاد اشترط والجواب لأنه ينحل المعنى إن لم تباع فما بلغت . وحاصل الجواب أن المعنى وإن تركت شيئا مما أمرت بتبليغه ولو حرفا فقد تركت الكل وصار ما بلغت غير معتد به لأن كتان بعضه ككتان كله (قوله والله يخلصك) أى يحفظك وهو من تمام الأمر بالتبليغ .

(قوله أن يقتلوك) دفع ما قيل إنه قد أودى أشد الإيذاء قولا وفعلافأجاب بأن المراد العصمة من القتل ومافي معناه من كل ما يعطل عليه التبليغ وهكذا كل نبي أمر بالقتال وماورد من قتل بعض الأنبياء فلم يكونوا مأمورين بالقتال (قوله وكان صلى الله عليه وسلم بحرس الخ) عن عائشة رضى الله عنها قلت «سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقدمه المدينة ليلة فقال ليبت رجلا صالحا من صحابي يحرسنى الليلة قال فيينا نحن كذلك صمنا خشخشة سلاح قال من هذا؟ قال سعد بن أبى وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء بك؟ فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعاه رسول الله ثم نام» وفي رواية: أن لئى جاء سعد وحذيفة بن اليمان قالاجئنا نحرسك فنام عليه الصلاة والسلام حتى سمعت غطيطة وزلات هذه الآية فأخرج رأسه من قبة آدم وقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمى الله، ورد أنه كان يحفظه سبعون ألف ملك لا ينارقونه في نوم ولايقظة (قوله إن الله لا يهدي القوم الكافرين) أى لبلوغ مطلوبهم فيك لعصمتك منهم، ولذلك في بعض الفروقات حين احتاطت به الأعداء صاريقول: أنا أنبي لا أكذب، أنا ابن عبدالمطاب، ويرميهم بالتقارب في وجوههم، وكان يمر بين صفى القتال على بقة لا تصلح لكثرة ولافر (قوله قل يا أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (قوله معتد به) أى عند الله وهو الهدى والجر وهذا جواب عن سؤال كيف يقول لستم على شئ مع أنهم على شئ وهو الدين الباطل (قوله حق تقيموا التوراة والانجيل) أى تأتمرون بأمرها وتنتهون بنهيها (٢٧٨) لأن فيهما بيان أن دينه هو الدين القيم وأن وجوده ناسخ لمع

الضرائع (قوله كثيرا منهم) أى كعلمائهم ورؤسائهم. وأما القليل منهم كعبد الله بن سلام والنجاشي وأضرابهما فقد زادهم القرآن اعتداء ونورا (قوله ما أنزل إليك) نسب الانزال أولا إليهم لأنهم مأمورون باتباعه ونسب الانزال ثانيا إليه لأنه منزل إليه حقيقة فيصح نسبة الانزال إليهم باعتبار

أن يقتلوك وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال انصرفوا فقد عصمى الله، رواه الحاكم (إن الله لا يهدي القوم الكافرين. قل يا أهل الكتاب لستم على شئ) من الدين معتد به (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم) بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بى (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك) من القرآن (طغيانا وكفرا) لكفرهم به (فلا تأمنن) تحزن (على القوم الكافرين) إن لم يؤمنوا بك، أى لاتهم بهم (إن الذين آمنوا والذين هادوا) هم اليهود مبتدأ (والصابئون) فرقة منهم (والنصارى) ويبدل من المبتدأ (من آمن) منهم (بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة خير مبتدأ ودال على خبر إن (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) على الإيمان بالله ورسله (وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول منهم

أنهم مأمورون بالعمل به، وإليه باعتبار أنه يبلغه (قوله طغيانا وكفرا) قيل الطغيان والكفر مترادفان، وقيل الطغيان أعم لأنه مجاوزة الحد (قوله إن الذين آمنوا) إن حرف توكيد ونصب والذين اسمها وآمنوا صلتها وخبرها محذوف دل عليه قوله فلا خوف عليهم الخ وقوله والذين هادوا الواو للاستئناف أو عطف جمل ولذين مبتدأ والصابئون والنصارى معطوفان عليه وقوله من آمن بدل من الذين هادوا وما عطف عليه بدل من كل وقوله لا خوف عليهم خبر المبتدأ وهذا أحد أوجه تسعة وهو أحسنها ولذا درج عليه المفسر (قوله آمنوا) أى حقيقة بقلوبهم وأستهم خرج المنافقون (قوله فرقة منهم) أى اليهود وقيل من النصارى وقيل طنفة يعبدون السكواكب السبعة وقيل يعبدون اللائكة (قوله وعمل صالحا) أى فان مات ولم يكن عمل صالحا غير الإيمان فهو تحت المشيئة (قوله منهم) قدره إشارة إلى أن العائد محذوف (قوله لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) أى فى التوراة، والمنصود من ذلك إقامة الحجة على من كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى وتقدم أن الميثاق هو العهد المؤكد باليمين (قوله وأرسلنا) معطوف بى أخذ (قوله رسلا) أى كشمعيا وأرميا ويوشع (قوله كلما جاءهم رسول) كلما شرطية وجاءهم فعل الشرط وقوله بما لا نهوى متعلق بجاء وما اسم موصول وقوله لا نهوى صلتها والعائد محذوف تقديره لا نهوا وجواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله كذبوه والأوضح له أن يقول عادوه وعصوه وقوله فريقا كذبوا الخ كلام مستأنف بيان لوجه العصيان والمعاداة

(قوله منهم) قدره إشارة إلى أن الجملة الشرطية صفة لرسلا والمائد محذوف ولوجعلت استثنائية لما احتيج لتقديره (قوله من الحق) بيان لما (قوله كذبوا) أى من غير قتل كداود وسليمان ويوشع وعيسى ومحمد (قوله كزكريا ويحيى) أى وشعياء (قوله دون قتلوا) أى لمراعاة كذبوا (قوله حكاية للحال الماضية) أى كأنها حصلت الآن (قوله لفاصلة) أى المحافظة على رءوس الآى وتناسبها مع بعضها ولعل فيه حذف الواو ويكون علة ثانية (قوله وحسبوا) سبب هذا الحسبان أنهم كانوا يعتقدون أنهم يقرّبون لكونهم من ذرية الأنبياء فلا يضرهم تكذيب الأنبياء وقتلهم بإيام بل سلفهم يدفعون عنهم عذاب الآخرة (قوله بالرفع فإن مخففة) أى واسمها محذوف تقديره أنه وقوله لا تكون خبرها قال ابن مالك :

وإن تخفف أن فاصمها استكن والخبر اجعل جملة من بعد أن وقوله والنصب أى فهما قراءتان سبعيتان . واعلم أن أن إن وقت بعد ما يفيد اليقين كانت مخففة من الثقيلة لا غير نحو علم أن سيكون ، وإن وقت بعد ما يفيد الظن كانت ناصبة لا غير نحو وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، وإن وقت بعد ما يحتملها كان فيها الأمران كهذه الآية فالرفع على تأويل حسب بمعنى علم والنصب على تأويلها بالظن . إن قلت مقتضى هذه القاعدة أن كل ما يفيد الأمرين يجوز فيه الرفع والنصب مع أنه لم يسمع في أحسب الناس أن يتركوا الرفع ، ولا النصب في : أفلا يرون أن لا يرجع . أوجب بأن القراءة سنة متبعة لأنه ليس كل ما جاز نحو جاز قراءة وجملة أن لا تكون فتنة في محل نصب (٢٧٩) ست مسد مفعولى حسب على كلا

القراءتين عند جمهور البصريين وقيل مسد مفعولها الأول ومفعولها الثانى محذوف تقديره حاصلة (قوله فتنة) بالرفع فاعل تكون لأنها بمعنى توجد فهي تامة (قوله فعموا وصموا) معطوف على حسبوا وهذا إشارة إلى ما وقع منهم في المرة الأولى من الفساد والقتل في زمن شعيا وأرميا حتى قتلوا

منهم (بَمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ) من الحق كذبوه (فَرِيقًا) منهم (كَذَّبُوا وَفَرِيقًا) منهم (يَتَكَلَّمُونَ) كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة (وَحَسِبُوا) ظنوا (أ) ن (لَا تَكُونُ) بالرفع فإن مخففة ، والنصب فهي ناصبة أى تقع (فِتْنَةٌ) عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم (فَعَمُوا) عن الحق فلم يبصروه (وَصَمُوا) عن استماعه (ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) لما تابوا (ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا) ثانيًا (كَثِيرٌ مِنْهُمْ) بدل من الضمير (وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ) فيجازيهم به (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) سبق مثله (وَقَالَ) لهم (الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) فابى عبد ولست بإله (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ) في العبادة غيره (فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) منعه أن يدخلها (وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ) زائدة (أَنْصَارٍ) يمنونهم من عذاب الله (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ) آلهة (ثَلَاثَةٍ) أى أحدها ، والآخران : عيسى وأمه .

شعيا وحسبوا أرميا فسلط الله عليهم بختنصر ففرق جمعهم وأسرهم وخرب بيت المقدس وصاروا في غاية الدل والهوان فلما تابوا توجه ملك من ملوك فارس فعمر بيت المقدس وقتل بختنصر وردمهم إلى وطنهم فكثروا وكانوا أحسن ما كانوا عليه فكثروا ثلاثين سنة ثم عموا وصموا ثانيًا وقتلوا زكريا ويحيى وإلى هذه القصة الإشارة بقوله تعالى في سورة الاسراء - لتفسدن في الأرض مرتين - الآيات وهذا هو الصحيح فالمراد ببني إسرائيل من كان في زمن شعيا وأرميا لامن كان في زمن موسى وهرون (قوله بدل من الضمير) أى في قوله عموا وصموا والضمير هو الفاعل وهذا هروب من تخريج الآية على لغة أكلوني البراغيث فانها ضعيفة ودفع بقوله كثير منهم ما يتوهم أنهم عموا وصموا جميعهم وعطف قوله ثم عموا وصموا بهم المفيدة للتأخر لأن بين التوبة والعصيان ثلاثين سنة (قوله لقد كفر الذين قالوا) وهم اليعقوبية من النصارى وهو شروع في ذكر قبائح النصارى بعد ذكر قبائح اليهود (قوله إن الله هو المسيح) معنى ذلك عندهم أن الله حل في ذات عيسى واتحد بها (قوله وقال المسيح) الجملة حالية من الواو وهو رد لما ادعوه من ألوهيته أى فلا عذر لهم في تلك الدعوى فإن عيسى تبرأ منها وبين لهم طريق الهدى (قوله إنه من يشرك بالله) كالعلة لقوله اعبدوا الله (قوله منعه أن يدخلها) أى فالمراد بالتحريم مطلق النع (قوله وما للظالمين) أى المشركين (قوله أنصار) أى أعوان يحفظونهم من غضب الله (قوله والآخران عيسى الخ) هذا وجه في التثليث عندهم وهناك وجه آخر عندهم وهو أن الإله مركب من ثلاثة الأب والابن وروح القدس

فأرادهم بالأب ذات الله وبابن صفة الكلام وروح القدس الحياة فاختلطت صفة الكلام بمحمد عيسى كاختلاط الماء بالخبث وزعموا أن الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد . واعلم أن النصارى في اعتقاد التثليث طى أربع فرق : واحدة تقول كل من ذات الله تعالى وذات عيسى وذات مريم إله ، وأخرى تقول الإله مجموع صفات ثلاث الوجود والعلم والحياة وعيسى ابنه ، وأخرى تقول الإله مجموع ذات وصفتين ذات الله ويسمونها الأب وصفة كلامه ويسمونها الابن وصفة الحياة ويسمونها روح القدس والكل إله واحد ، وأخرى تقول الإله مجموع ذاتين وصفة الله وذات عيسى والحياة الحالية في جسد عيسى (قوله وهم فرقة من النصارى) أى وهم النسطورية والرقوسية (قوله وما من إله إلا إله واحد) الواو إما الحالية أو استثنائية وما نافية ومن زائدة لاستغراق التثني وإله مبتدأ والخبر محذوف تقديره كائن في الوجود وإلا ملغاة وإله بدل من الضمير في الخبر نظير لا إله إلا الله والمقصود من ذلك التشنيع والرد عليهم في دعواهم التثليث لأن حقيقة الإله هو المستغنى عما سواه المفتقر إليه كل ماعداه وليس شئ من ذلك وصفا لعيسى ولا لآمنه ولا لأحد أبدا سواه سبحانه وتعالى (قوله ليسن الذين كفروا) جواب لقسم محذوف وجواب الشرط محذوف لدلالة هذا عليه والتقدير والله إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسك الذين كفروا الخ نظير قوله تعالى - وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن (٢٨٠) من الحاسرين - (قوله أى ثبتوا على الكفر) أشار بذلك إلى أن

من في منهم للتبعيض لأن كثيرا منهم تابوا (قوله توبيخ) نبي وانكار وهذا استدعاء لهم إلى التوبة (قوله والله غفور رحيم) الجملة الحالية كالتعليل لما قبلها (قوله ما المسيح ابن مريم الخ) هذا استئناف مسوق لبيان إقامة الحجة عليهم وبطلان دعاويهم الباطلة وما نافية والمسيح مبتدأ وإلا أداة حصر ورسول خبره وهو من حصر

وهم فرقة من النصارى (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ) من التثليث ويوحّدوا (لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى ثبتوا على الكفر (مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ) مما قالوه ، استغفاهم توبيخ (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لمن تاب (رَحِيمٌ) به (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ) مضت (مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) فهو يحمض مثلهم وليس بإله كما زعموا وإلا لما مضى (وَأَمُّهُ صِدِّيقَةٌ) مبالغة في الصدق (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) كغيرهما من الحيوانات ومن كان كذلك لا يكون إلهًا لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط (انظُرْ) متعجبا (كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ) على وحدانيتنا (ثُمَّ انظُرْ) أى كيف (يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم (الْعَلِيمُ) بأحوالكم والاستغفاهم للانكار (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) اليهود والنصارى (لَا تَغْلُوا) تجاوزوا الحد (فِي دِينِكُمْ) غلوا (غَيْرَ الْحَقِّ) بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه (وَلَا تَتَّبِعُوا)

أهواء

الفتنة فى الخبر أى ان عيسى محصور فى وصف الرسالة وليس بإله فالمقصود من ذلك نفي

الأوهية عنه (قوله قد خلت) أى ذهبت وفنت (قوله صديقة) أى ملازمة للصدق وهذا ان الوصفان لعيسى وأمه مختصان بهما شرفهما الله بهما ثم وصفهما بعد ذلك بوصف البشرية الذى لا يميزهم عن الحيوانات غير العاقلة فضلا عن العاقلة (قوله كيف نبين) كيف معمول لنبيين لا لانظر لأن اسم الاستغفاهم لا يعمل فيه ما قبله لأن له الصدارة (قوله ثم انظر) هذا ترقى فى التعجب ولذا أتى بتم المفيدة للتراخى (قوله مع قيام البرهان) أى الدليل الواضح على باهر قدرتنا وكمال صفاتنا (قوله قل أتعبدون) هذا تبكيث لهم وإلزامهم الحجة (قوله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) أى وهو عيسى والمعنى لا يملك بذاته شيئا أصلا لا ضرا ولا نفعا ، وأما اجراء النفع أو الضرر على يديه فبخلق الله لذلك ولو شاء لم يخلقه (قوله والله هو السميع العليم) أى فهو أحق بالعبادة (قوله للانكار) أى مع التوبيخ (قوله قل يا أهل الكتاب) شروع فى ذكر قبائحهم جميعا بعد أن ذكر كل فريق منهم على حدة (قوله غلوا) قدره المفسر إشارة إلى أن غير الحق صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله تعالى ويصح أن يكون غير الحق حالا من فاعل تغلوا (قوله غير الحق) أى وأما الغلو فى الحق كالتشديد على النفس بأن يصوم النهار ويقوم الليل مثلا فليس بجرام ولا ضلال (قوله بأن تضعوا عيسى) أى تنقصوه عن مرتبته كقول اليهود انه ابن زنا ، وقوله أو ترفعوه فوق حقه كقول النصارى : انه ابن الله أو هو الله فشكل من الفريقين قد غلا فى دينه غير الحق .

(قوله أهواء قوم) الأهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس إليه وما ذكر في القرآن إلا على وجه الدم لأنه لا يقال فلان يهوى الخير وإنما يقال يحبه ويريده (قوله من قبل) أى من قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب لمن كان في زمنه (قوله بغلوم) الباء سببية : أى بسبب غلوم في عيسى حيث رفضوه جدا ووضعه جدا (قوله وهم أسلافهم) جمع سلف وهو المتقدم عليهم في الزمن وهم اليهود والنصارى (قوله وأضلوا كثيرا) أى بهذا الاعتقاد الفاسد (قوله عن سواء السبيل) السواء في الأصل الوسط والسبيل الطريق ، والمراد الدين الحق فثبته لنفسك بالدين الحق بالحق في وسط الطريق بجمع أن كلا سالم من العطب (قوله عن طريق الحق) أى وهو دين الاسلام . إن قلت إنه قد تقدم ضلالهم في قوله قد ضلوا من قبل . أجب بأنه يحمل الضلال الأول على الكفر بموسى وعيسى ، والضلال الثانى على الكفر بمحمد (قوله لعن الذين كفروا) أى اليهود والنصارى فلعن اليهود على لسان داود ولعن النصارى على لسان عيسى (قوله على لسان داود) اختلف في المراد باللسان فقيل هو الجارحة فداود وعيسى صرحا بلعنهم وقيل هو الكتاب ، والمعنى أنزل الله لعنتهم في كتاب داود وعيسى وهو الأقرب ، وكلام المفسر يفيد الأول (قوله ففسخوا قرده) أى وخنزير وقوله وهم أصحاب أيلة أى الذين اعتدوا في السبت واصطادوا السمك فيه وستأتى قصتهم في سورة الأعراف (قوله ففسخوا خنازير) أى وقرده فقد حذف (٢٨١) من كل نظير ما أثبتته في الآخر وهذا على المشهور من أن

أَهْوَاءُ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ (بغلوم وهم أسلافهم) (وَأَضَلُّوا كَثِيرًا) من الناس (وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) عن طريق الحق والسواء في الأصل الوسط (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ) بأن دعا عليهم ففسخوا قرده وهم أصحاب أيلة (وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) بأن دعا عليهم ففسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة (ذَلِكَ) اللعن (بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) كانوا لا يتناهون) أى لا ينهى بعضهم بعضا (عَنْ) معاودة (مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فعلهم هذا (تَرَى) يا محمد (كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة بفضاك (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ) من العمل لمآدم الموجب لهم (أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ) محمد (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ) أى الكفار (أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) خارجون عن الإيمان (لَتَجِدَنَّ) يا محمد (أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهاهم ،

عصيانهم وكونهم معتدين (قوله عن معاودة منكر) إنما قدر المفسر هذا المضاف لدفع ما أورد بأن المنكر الذى فعل لامعنى للنهى عنه لأن رفع الرفع محال فأجاب بأن المعنى انتهى عن المعاودة (قوله فعلهم) هذا هو المخصوص بالذم (قوله ترى) أى تبصر وقوله كثيرا منهم أى أهل الكتاب (قوله يتولون الذين كفروا) أى يوالونهم ويصادقونهم (قوله بفضاك) مفعول لأجله أى من أجل بفضك (قوله لبئس ما قدمت) اللام موطنة للقسم وبئس كلمة ذم ومافاعل وقدمت صلتها والعائد محذوف أى قدمته وأنفسهم فاعل قدمت وقوله أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم لكن على حذف مضاف تقديره موجب أن سخط الله والمعنى أن ما قدمت لهم أنفسهم من الضلال تسبب عن سخط الله وتسبب عن سخط الله الخلود في النار (قوله من العمل) بيان لما (قوله وفي العذاب هم خالدون) هذه الجملة معطوفة على جملة أن سخط الله عليهم فهى من جملة المخصوص بالذم فالمعنى موجب سخط الله والخلود في النار (قوله وما أنزل إليه) أى وهو القرآن (قوله ما اتخذوهم أولياء) أى أنصارا يوالونهم وقد فعلوا ذلك فكانوا يأخذون الهدايا لكفار مكة ويصادقونهم ويتوددون إليهم خوفا من زوال عزهم ورياستهم (قوله لتجدن أشد الناس عداوة) كلام مستأنف سيق للتقبيح على اليهود والتشنيع عليهم واللام موطنة لقسم محذوف وأشد مفعول أول لتجدن وعداوة منصوب على التمييز وللذين آمنوا متعلق بعداوة أو محذوف صفة لعداوة واليهود مفعول ثان هكذا أعربوا والأقرب أن أشد مفعول ثان مقدم واليهود مفعول أول مؤخر (قوله والذين أشركوا) معطوف على اليهود وقوله لتضاعف كفرهم على

أقوله أشد وقوله وجهلهم أى واضعف جهلهم (قوله وانهما كهم في اتباع الهوى) عطف على تضاعف عطف على معاول والهوى بالقصر ما نهوا النفس وتميل إليه (قوله وتجدن أقر بهم) يقال في إعرابه ما قيل في الذى قبله من أن أقرب مفعول ثان والذين قالوا مفعول أول ومودة تمييز وللذين مودة للمودة أو متعلق به (قوله الذين قالوا إنا نصارى) أى أنصار دين الله . إن قلت مقتضى الآية مدح النصارى وذم اليهود مع أن كفر النصارى أشد لأنهم ينادعون في الربوبية واليهود أخف منهم لأنهم ينادعون في النبوة . أوجب بأن مدح النصارى من جهة قرب مودتهم للمسلمين وذم اليهود من حيث إنهم أشد عداوة للمسلمين وذلك لا يقتضى شدة الكفر ولا عدمها وأيضا الحرص في اليهود دون النصارى وأيضا مذهب اليهود أن إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم في الدين قرينة ومذهب النصارى أنه حرام (قوله ذلك) اسم الإشارة مبتدأ وبأن منهم خبر وقسيسين اسم أن ومنهم متعلق بمحذوف خبر أن ورهبانا معطوف على قسيسين وقوله وأنهم لا يستكبرون معطوف على قسيسين (قوله أى قرب مودتهم) أشار بذلك إلى مرجع اسم الإشارة (قوله بسبب) أشار بذلك إلى أن الباء سببية (قوله قسيسين) جمع قسيس من تقسس الشيء إذا تتبعه يقال قس الأثر . قصه فهو أهمل معرب ويقال قس وقس بفتح القاف وكسرها وهو عالم النصارى (قوله ورهبانا) جمع راهب وهو الزاهد التارك للدنيا وشهواتها (قوله نزلت في وفد النجاشي) أى واسمه أصحمة وقيل أصحمة وقيل صحمة . وحاصل ذلك أنه سنة خمس من البعثة اشتد أذى الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن أسلم ولم يكن أمرا بجهاد فأمر الصحابة الذين لا عزوة لهم بالخروج إلى أرض الحبشة وهي الهجرة الأولى وقال إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فأخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج إليها أحد عشر رجلا وأربع نسوة سرا منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة بنصف (٢٨٢) دينار إلى أرض الحبشة وذلك في رجب ثم تتابع المسلمون فكانوا اثنين وعشرين رجلا سوى النساء والصبيان فلما كانت وقعة بدر وقتل فيها صناديد الكفار قال كفار قريش إن نأركم بأرض الحبشة فأهـدوا إلى النجاشي وابعثوا إليه رجلين من

وانهما كهم في اتباع الهوى (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ) أى قرب مودتهم للمؤمنين (بَأَنَّ) بسبب أن (مِنْهُمْ قَسِيسِينَ) علماء (وَرُهَبَانًا) عُبَادًا (وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة ، نزلت في وفد النجاشي القادمين عليهم من الحبشة قرأ صلى الله عليه وسلم عليهم سورة يس فبكوا وأسلوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ، قال تعالى :

ذو رأيكم لعله يعطيكم من عنده لتقتلوهم بمن قتل منكم بيد قريش عمرو بن العاصي (وإذا وعبد الله بن ربيعة فقال له أيها الملك إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها وزعم أنه نبي وإنه قد بعث إليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحيينا أن نأتيك ونخبرك خبرهم وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم فقال حتى نسألهم فأمرهم فأحضروا فصا آتوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال أئذنوا لهم فرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى أنا صدقناك إنهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم أن تحيوني قالوا إنا حينذاك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء ويقول في مريم إنها العذراء البتول قال فأخذ النجاشي عودا من الأرض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود ففكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرأوا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبانيون وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فأتحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فأنزل الله تعالى فيهم ذلك بأن منهم قسيسين الخ الآيتين فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم بأرضي آمنون ، وفي بعض الروايات أن عمرا أسلم على يد النجاشي ، وبذلك يلغز فيقال صحابي أسلم على يد تابعي لأن النجاشي لم يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو اجتمع به بعد مقدمه من الحبشة وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار إلى أن هاجر رسول الله إلى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه وذلك سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشي جارية يقال لها أبرهة إلى أم حبيبة يخبرها أن رسول الله قد خطبها فسر بذلك وأعطت الجارية أوصاحا كانت لها وأذنت

لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها لرسول الله على صداق مبلغه أر بعائة دينار وكان الخاطب لرسول الله النجاشي فأرسل إليها بجميع الصداق على يد جاريته أبرهة فلما جاءتها بالدينارين وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقالت إن الملك أمرني أن لا آخذ منك شيئا وقالت أنا صاحبة ذهب الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد وآمنت به وحاجتي إليك متى أن تقرئته مني السلام قالت نعم وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر قالت أم حبيبة فخرجنا إلى المدينة ورسول الله بخير فخرج من قدم مي وأتت بالمدينة حتى قدم رسول الله فدخلت عليه فكان يسأني عن النجاشي فقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك فرد رسول الله عليها السلام وأنزل الله عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة يعني أباسفيان وذلك بتزوج رسول الله أم حبيبة ولما بلغ أباسفيان تزوج رسول الله أم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجمع أنفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه إلى رسول الله ابنه أزهي في ستين من أصحابه وكتب إليه يا رسول الله إني أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفرا وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت إليك ابني أزهي وإن شئت أن آتيك بنفسى ففعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في أثر جعفر حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافي جعفر وأصحابه رسول الله وهو بخير ووافي جعفر في سبعين رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله سورة يس إلى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الآية فيهم ولذلك قال (٢٨٣) فتادة نزلت في ناس من أهل

الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء بها عيسى عليه السلام فلما بعث صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فأثنى الله عليهم (قوله وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) صنع المفسر يقتضي أنه مستأنف حيث قال قال تعالى - ولذلك جعله بعضهم أول الربع ويصح أن يكون عطفا

(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ) مِنَ الْقُرْآنِ (تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ رَمًا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا) صدقنا بنبيك وكتابك (فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) المقرين بتصديقهما (وَ) قالوا في جواب من عيّرهم بالاسلام من اليهود (مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ) القرآن أى لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه (وَنَطْمَعُ) عطف على تؤمن (أَنْ يَدْخُلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ) المؤمنين الجنة، قال تعالى (فَأَنَّا بِهِمْ) الله بما قالوا جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ). ونزل لما هم قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش،

على لا يستكبرون (قوله تفيض) أى تمتلئ بالدمع حتى يسيل (قوله من الدمع) من ابتدائية وقوله مما عرفوا من تعاليمه ومن الحق بيانية (قوله يقولون) استئناف مبنى على سؤال كأنه قيل لماذا يقولون (قوله وما لنا لا نؤمن بالله) جملة مستأنفة جوابا للسؤال الوارد عليهم (قوله وما جاءنا من الحق) معطوف على لفظ الجلالة أى لا مانع لنا من الإيمان بالله وبما جاءنا من الحق ويراد بالحق القرآن (قوله عطف على تؤمن) أى مسطرة عليه لاعلى سبيل الاستفهام الانكارى والمعنى أى شئ ثبت لنا في كوننا لا نؤمن بالله ولا بالقرآن ولا نطمع في أن يدخلنا ربنا الخ مع وجود مقتضى ما ذكر (قوله بما قالوا) أى بسبب قولهم ورتب الثواب على القول لأنه قد سبق بما يدل على إخلاصهم فيه (قوله والذين كفروا) لما ذكر الله تعالى الوعد لمؤمنى النصارى ذكر الوعيد لمن بقى منهم على الكفر جمعا بين الترغيب والترهيب (قوله ونزل لما هم قوم) أى وهم عشرة اجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وسبب اجتماعهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظ الناس يوما حتى أبكاهم فرقت أنشدتهم وعزموا على التهرب وهم أبو بكر وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبوذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وعثمان بن مظعون فمشاوروا وانفقوا على أنهم يلبسون المسوح ويحبون مذاكيرهم ويصوبون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفراش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب وأن يسبحوا في الأرض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق ما بلغني عن زوجك وأصايبك فكرهت أن تكذب وكرهت أن تفشي سر زوجها فقالت يا رسول الله إن كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ألم أخبر أنكم انفقتم على كذا . كذا فقالوا بلى يا رسول الله وما أردنا إلا الخير فقال رسول الله إني لم أؤمر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا وإني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمتي ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمرُوا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقيم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشد الله عليهم فقلك بقاياهم في الديارات والصوامع فنزلت تلك الآية (قوله يا أيها الذين آمنوا) هذا هو فاعل نزل (قوله لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أي لاتجعلوها حراما على أنفسكم فمن حرم حلالا فلا يحرم عليه إلا الزوجة لأن الله جعل بيده تحريمها وتحليلها دون ما سواها واعتقاد التحريم من غير إنشاء منه كفر (قوله تتجاوزوا أمر الله) أي ونهيه فلا تفعلوا ما نهى الله عنه ولا تفرطوا فيما أمر به (قوله إن الله لا يحب المعتدين) أي المتجاوزين الحد ومن جملة ذلك قطع اللذاكبر والشهوة والاسراف في المطاعم والمشارب قال تعالى :كلوا واشربوا ولا تسرفوا (قوله حال) أي من حلالا لأنه في الأصل نعت نسكرة قدم عليها وطيبا صفته (قوله واتقوا الله) أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه فتقوى الله لاتتوقف على الرهبانية كما كان (٢٨٤) في الأئم السابقة (قوله لا يؤاخذكم الله باللغو) هذا مرتب على قوله

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا) تتجاوزوا أمر الله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) وَلَوْ أَنَّكُمْ رَزَقْتُمْ اللَّهَ حَلَالًا طَيِّبًا (مفعول والجارو المجرور قبله حال متعلق به) (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ السَّكَنِ (فِي أَيْمَانِكُمْ) هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان لا والله وبلى والله (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ) بالتخفيف والتشديد وفي قراءة عاقدتم (الْإِيمَانِ) عليه بأن حلفتم عن قصد (فَكَفَّارَتُهُ) أي اليمين إذا حنثتم فيه (إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ) لكل مسكين مذكّر (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ) منه (أَهْلِيكُمْ) أي أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه (أَوْ كِسْوَتُهُمْ)

لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم لان بعض الصحابة حلف على الترهيب لظن أنه قرينة فلما نزلت الآية شكوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمين فنزلت هذه الآية (قوله هو ما يسبق إليه اللسان لا بقصد الحلف) أي بل بقصد التبرير

أولا قصد له وهذا مذهب الشافعي وأما عند مالك وأبي حنيفة فاللغو أن يحلف على ظنه فيتبين خلافه وهذا في غير الطلاق وأما هو فلا ينفع فيه اللغو ، واللغو عند مالك وأبي حنيفة إن تعاقبت بمستقبل فقط لا إن تعلقت بحال أو ماض . والحاصل أنه إن قصد باليمين التبرير فهو لغو عند الشافعي لا عند مالك وأبي حنيفة وأما إن سبق لسانه باليمين من غير قصد أصلا فهو لغو اتفاقا والحلف على ظن شيء فبين خلافه لغو اتفاقا أيضا (قوله وفي قراءة عاقدتم) والثلاث سبعيات فالتخفيف ظاهر والتشديد للبالغة ومما مصدرية أي بتعقيدكم الإيمان (قوله فكفارته) مبتدأ وإطعام خبره وهو مضاف لمفعوله الأول والمفعول الثاني قوله من أوسط والفاعل محذوف قياسا يعود على الحالف تقديره إطعامه عشرة مساكين (قوله أي اليمين) إن قلت إن اليمين مؤنثة فلم عاد الضمير عليها مذكرا . أجيب بأنها تذكر بمعنى الحلف (قوله إذا حنثتم فيه) أي وهو الحلف بالله أو بصفة من صفاته القديمة ، وأما الحلف بغير ذلك فلا حنث فيه ثم هو إن كان مما يعظم شرعا كالسكبة والنبي فقليل مكروه وقيل حرام وإلا فهو ممنوع لما في الحديث «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» (قوله عشرة مساكين) المراد ما يشمل الفقراء والفقير هو من لا يملك قوت عامه ، والمساكين من التصقت يده بالتراب عند مالك (قوله لكل مسكين مائة) أي وهو رطل وثلاث بالبغدادى وبالمصرى رطل وأوقيتان وربع أوقية (قوله ما تطعمون أهليكم) قدر المفسر المفعول الثاني بقوله منه وأدّضح أن يقدره متصلا به وأهليكم مفعوله الأول (قوله أغلبه) هذا تفسير لا وسط فان كان القمح غالب اقتياتهم مثلا أخرج منه ولو كان هو يقتات ذرة مثلا وهل المراد بالغالب وقت الإخراج وهو مذهب مالك أوفي السنة وهو مذهب الشافعي وقوله لا أعلاه ولا أدناه أي لاتفهم أن المراد بالأوسط ما قبل الأهل كالقمح والأذن كالدخن بل المراد به

الغالب في الاقيبات كان هو في نفسه أظى أو أذنى أو أوسط ويكنى بدل الامداد عند مالك لكل واحد رطلان من خبز أو إطعام العشرة غداء وعشاء أو غداءين أو عشاءين (قوله بما يسمى كسوة) أى وإن لم يكن من غالب كسوة الناس لأن قيد الأوسطية مخصوص بالاطعام واشترط مالك كون الكسوة تستر البدن للرجل ثوب وللرأة درع وخمار (قوله وعمامة وإزار) الواو بمعنى أو ويكنى للتدليل عند الشافعى (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك (قوله كفى كفارة القتل والظهار) أى كما ثبت عند الفقهاء في كفارة القتل بالتصريح بمؤنة والظهار بحمل المطلق على القيد وهذا مذهب مالك والشافعى وعند أبى حنيفة لا يحمل المطلق على القيد إلا إذا اتحد السبب وأما هنا فقد اختلف السبب فلا حمل فيكنى في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة (قوله فمن لم يجد) أى بأن لم يكن عنده ما يباع على الغلس بأن لم يكن عنده أزيد من قوت يومه وهو مذهب مالك والشافعى في القديم وقال في الجديد ينتقل للصيام إن لم يكن عنده ما يكفيه العمر الغالب (قوله فصيام ثلاثة أيام) أى فالكفارة غير فيها ابتداء في الثلاثة مرتب انتهاء في الصيام وأفضاها في التأخير عند مالك الاطعام ثم الكسوة ثم العتق وعند الشافعى العتق ثم الكسوة ثم الاطعام (قوله كفارته) أشار بذلك إلى أن صيام مبتدأ خبره محذوف والأوضح أن يقدر المحذوف هو المبتدأ (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك خلافا لأبى حنيفة في اشتراطه التتابع (قوله ما لم يكن على فعل بر) أى فالخنث أفضل (قوله كفى) (٢٨٥) سورة البقرة) أى في قوله تعالى ولا تجعلوا

الله عرضة لآيما نسكن من تبرا وتتعوا وتصاروا بين الناس فمن حلف على شئ وكان فعله خيرا من تركه فلا فضل حنثه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك (قوله ما ذكر) أى وهو حكم اليمين (قوله على ذلك) أى البيان فانه من أعظم النعم (قوله يا أيها الذين آمنوا) سبب نزولها دعاء عمر رضى الله عنه بقوله اللهم بين لنا في الحمر بينا شافيا وذلك أنه لما

بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار ولا يكنى دفع ما ذكر إلى مسكين واحد وعليه الشافعى (أو تحزير) عتق (رَقَبَةٍ) أى مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملا للمطلق على القيد (فمن لم يجد) واحدا مما ذكر (فصيام ثلاثة أيام) كفارته وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه الشافعى (ذلك) المذكور (كفارة آيما نسكن إذا حلفتم) وحنثتم (وأحفظوا آيما نسكن) أن تنكثوها ما لم تكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس كما في سورة البقرة (كذلك) أى مثل ما بين لكم ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) على ذلك (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر) المسكر الذى يخامر العقل (والميسر) القمار (والأنصاب) الأصنام (والأزلام) قدام الاستقسام (رجس) خبيث مستقذر (من عمل الشيطان) الذى يزينه (فاجتنبوه) أى الرجس المعبى به عن هذه الأشياء أن تفعلوه (لعلكم تفلاحون) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر إذا أتيتوهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن (ويصدكم) بالاشتغال بهما (عن ذكر الله وعن الصلاة)

نزل قوله تعالى : يستلونك عن الحمر والميسر الآية أحضر رسول الله عمر وقرأها عليه فقال اللهم بين لنا في الحمر بينا شافيا ثم نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تقر بوا الصلاة وأتمسكارى فأحضره رسول الله وقرأها عليه فقال اللهم بين لنا في الحمر بينا شافيا فنزلت هذه الآية فأحضره وقرأها عليه فقال اتھينا يارب وذكرت عقب ما قبلها لأنه لما نهى فيما قبلها عن تحريم الطيبات مما أحل الله وكانت الحمر والميسر مما يستطاب عندهم ربما يتوهم أنهما داخلان في جملة الطيبات فأفاد أنهما ليسا كذلك (قوله الذى يخامر العقل) أى يستره ويغطيه ولو كان متخذاً من غير العنب (قوله القمار) من القامرة وهى المغالبة لأن كلا يريد المغالبة لصاحبه والمراد بالقمار اللعب بالملاهي كالطاب والطولة والمنقلة فيحرم اللعب بذلك إذا كان بمال إجماعا وبغيره ففيها الخلاف بين العلماء لكراهة والحرمه ما لم يضيع بسببها الفرائض والإغرام إجماعا وسعى ميسر لأن فيه أخذ المال بيسر (قوله والأنصاب) جمع نصب سميت بذلك لأنهم أنصب وترفع للعبادة (قوله قدام الاستقسام) تقدم أنهما سبعة (قوله رجس) خبر عن كل واحد مما تقدم من الحمر وما بعده وميث قرن الحمر والميسر بالأنصاب والأزلام فهو دليل على أنهما من الكبار وقوله خبيث مستقذر تفسير للرجس وأما الرجز فهو العذاب وأما الركن فهو العذرة والشئ الثقل (قوله الذى يزينه) أى يأمر به ويحسنه وليس المراد من عمل يده (قوله لعاسكم فلاحون) الترجى في كلام الله تعالى للتحقيق (قوله في الحمر والميسر) إنما أعادها ثانيا لئلا يظن أنهما اللذان كانا في المسلمين بخلاف الأنصاب والأزلام

وذكرها أولا لمزيد التنفير عنهما وأكد التحريم بأمور إنما وجمعهما مع الأنصاب والأزلام وكونهما رجسا من عمل الشيطان وكون اجتنابهما موجبا للفلاح وكونهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقعان في العداوة والبغضاء والاستفهام التهديدى (قوله خصها بالذكر) أى الصلاة مع دخولها فى الذكر (قوله أى اتها) أشار بذلك إلى أن الاستفهام بمعنى الأمر وهو استفهام تهديدى وهو أبلغ من الأمر صريحا كأنه قيل قد بينت لكم ما فى هذه الأمور من القباح فهل أتم منتهون عنها أم أتم مقيمون عليها فلستم الوعيد (قوله وأطيعوا الله) معطوف على معنى الاستفهام أى اتها وأطيعوا (قوله واحذروا المعاصى) أى فاتها تخرج إلى الكفر (قوله إنما على رسولنا البلاغ المبين) أى وقد فعله فلم ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى حتى بلغ ما أمر قبله فى الحديث « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يضل عنها إلا هالك » (قوله وجزاءكم علينا) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله ليس على الذين آمنوا) سبب نزولها أنه لما نزل تحريم الحجر واليسر قال أبو بكر وبعض الصحابة يارسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فزلت (قوله أكلوا من الخمر واليسر) أى تناولوا ذلك شربا للخمر واتفاعا بمال القمار عاشوا أو ماتوا (قوله إذا ماتوا) ظرف لقوله - ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح - . والحاصل أنه كرر سبحانه وتعالى قوله اتها ثلاثا فقليل الأول محمول على مبدء العمر والثانى على وسطه والثالث على آخره ، (٢٨٦) وقيل الأول اتها المحرمات خوف الوقوع فى الكفر والثانى الشبهات

خوف الوقوع فى المحرمات والثالث بعض المباحات خوف الوقوع فى الشبهات وقيل الأول تقوى العبد بينه وبين ربه والثانى تقوى العبد بينه وبين نفسه والثالث تقوى العبد بينه وبين الناس لأن العبد لا يكل إلا إذا كان طائعا فيها بينه وبين ربه مجاهد فيما بينه وبين نفسه محافظا على حقوق

خصها بالذكر تعظيما لها (فَلَوْلَ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ) عن إتيانها ، أى اتها (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُحْذَرُوا) المعاصى (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن الطاعة (فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الإِ بلاغ المبين وجزاءكم علينا (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) أكلوا من الخمر واليسر قبل التحريم (إِذَا مَا اتَّقَوْا) المحرمات (وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا) ثبتوا على التقوى والإيمان (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَخْشَوْا) العمل (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُخْشِينَ) بمعنى أنه ينبههم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ) ليختبرنكم (اللَّهُ بَشَى) يرسله لكم (مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ) أى الصغار منه (أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) الكبار منه ، وكان ذلك بالحديدية وهم محرمون فكانت الوحوش والطيور تنشام فى رحالمهم (لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ) علم ظهور (مَنْ يَخْفَاهُ بِالْغَيْبِ) حال أى غائبا لم يره فيجتنب الصيد (فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ) النهى عنه فاصطاده (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

(بأيها)

العباد (قوله ثبتوا على التقوى) هذا إشارة

للعنى الأول وهو أن المراد بالأول التقوى فى أول العمر الخ (قوله بأيها الذين آمنوا) زلت علم الحديدية حين أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ألفا وأربعمائة بالعمرة من ذى الحليفة وأرسل عثمان لأهل مكة يخبرهم بأن رسول الله قاصد زيارة بيت الله فجلسوا ينتظرون عثمان فكانت وحوش البر والطيور تأتى إليهم من كل فج فزلت الآية (قوله ليختبرنكم) أى يعاملنكم معاملة المختبر (قوله من الصيد) أى المصيد وهو وحوش البر والطيور وهذا الابتلاء نظير ابتلاء قوم موسى بتحريم صيد السمك يوم السبت ولكن الله حفظ الأمة الحمديدية من الوقوع فيما يخالف أمر ربهم فتم له السعد والعز فى الدنيا والآخرة ، وأما أمة موسى فتعدوا واصطادوا ففسخوا قرده وخنازير (قوله أيدىكم ورماحكم) هو على التوزيع فالأيدى راجع للصغار والرماح راجع للكبار (قوله بالحديدية) أى سنة ست وقوله وهم محرمون : أى بالعمرة وأشيع قتل عثمان فبايع النبي أصحابه تحت الشجرة على أنهم يدخلون مكة حربا ثم حصل صلح بين الكفار وبين رسول الله فأمرهم رسول الله بالتحلل من العمرة بالحلاق وذبح الهدايا (قوله علم ظهور) أى للخلق أى ليظهرهم المطيع من المعاصى (قوله حال) أى من فاعل يخاف أى حال كون العبد غائبا عن الله أى محجوبا عنه لم يره (قوله بعد ذلك النهى) أى المستفاد من قوله ليبلونكم مع علمه الذى هو قوله ليعلم الله .

(قوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) ها كان قتل الصيد في حال الاحرام مشددا في التهي عنه كرر في هذه السورة أربع مرات : أولا في قوله غير على الصيد وأنتم حرم ، ثانيا ليلاونكم الله بشئ ممن الصيد الآية ثالثا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، رابعا وحرم عليكم صيد البر الآية (قوله لا تقتلوا الصيد) أتى به وإن علم من قوله فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ليرتب عليه قوله ومن قتله منكم متعمدا الآية (قوله وأنتم حرم) الجملة حالية من فاعل تقتلوا وحرم جمع حرام يقع على الحرم وإن كان في الحل وعلى من في الحرم وإن كان حلالا فهما سيان في التهي عن قتل الصيد (قوله ومن قتله) من امم شرط جازم وقتل فعل الشرط وقوله جزاء مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله فعلية وقوله مثل خبر محذوف تقديره هو مثل والجملة جواب الشرط ، والمعنى أن ما قتله الحرم أو من في الحرم أوله مدخل في قتله فعليه جزاؤه وهو ميتة لا يجوز أكله ويقدم المضطر ميتة غيره عليه (قوله متعمدا) سيأتي للمفسر أنه لا مفهوم له بل الخطأ والنسيان كذلك إلا أن الحرمة مختصة بالمتعمد (قوله من النعم) أي الانسية وهي الابل والبقر والغنم والجار والمجور حال من مثل أوصفه له (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله باضافة جزاء) إن قلت على هذه (٢٨٧) القراءة يقتضي أن الجزاء

لمثل المقتول لا للمقتول نفسه مع أنه ليس كذلك . أجيب بأجوبة منها أن الاضافة بيانية ومنها أن مثل زائدة ومنها أن جزاء مصدر مضاف لمفعوله أي أن يجازى القاتل مثل المقتول حال كون المثل من النعم (قوله رجلان) قدره اشارة إلى أن ذوا صفة لموصوف محذوف (قوله ذوا عدل) أي عدل شهادة (قوله يميزان بها) أي تلك الفطنة أي العقل

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) محرمون بمح أو عمرة (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ) بالتثنية ورفع ما سده أي فعلية جزاء هو (مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) أي شبهه في الخلقة ، وفي قراءة باضافة جزاء (بِحَكْمِهِ) أي بالمثل رجلان (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به ، وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النعامة بيدنة ، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة ، وابن عمر وابن عوف في الظبي بساة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرها في الحمام لأنه يشبهها في الحب (هَذِيئًا) حال من جزاء (بِاللَّغِ الْكَفَّيَّةِ) أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتا لما قبله وإن أضيف لأن إضافته لفظية لاتقيد تعريفاً فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالصفر والجراد فعليه قيمته (أَوْ) عليه (كَفَّارَةٌ) غير الجزاء وإن وجده هي (طَعَامٌ مَسَاكِينَ) من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفي قراءة باضافة كفارة لما بعده وهي للبيان (أَوْ) عليه (عَدْلٌ) مثل (ذَلِكَ) الطعام (صِيَامًا) يصومه عن كل مد يوما وإن وجده وجب ذلك عليه (لِيَذُوقَ وَبَالَ) :

الذي (قوله وقد حكم ابن عباس) أي وحكم الصحابة المذكور بين أصول المائلة وأما جزئيات الوقائع فلا بد لكل واحدة من حكم إلى يوم القيامة لاختلاف الصيد بالكبر والصغر ولا بد من كون الجزاء المحكوم به يجزى ضحية عند مالك (قوله في النعامة) أي ومثلها الزرافة والفيل وقوله في الظبي أي ومثله الضب (قوله لأنه يشبهها في الحب) أي شرب الماء بلا مص وهذا التعليل للامام الشافعي ، وقال مالك بوجوب الشاة في خصوص حمام مكة وعيامة تعبدان فإن لم يكن شاة فصيام عشرة أيام من غير تقويم ولا حكم وحمام غيرها وسائر الطيور ليس فيه إلا قيمته طعاما أو عدله صياما (قوله حال من جزاء) ويصح أن يكون تمييزا وأن يكون مفعولا مطلقا والتقدير يهديه هديا (قوله فعلية قيمته) أي طعاما لكل مسكين مد أو يصوم عن كل مد يوما فهو غير بين أمرين فيما لا مثله وبين ثلاثة فيما له مثل (قوله وإن وجده) أي الجزاء وهو مبالغة في الكفارة أي الكفارة عليه هذا إذا لم يجد الجزاء بل وإن وجده (قوله لكل مسكين) أي من مساكين الحل الذي هو به وأما الصيام فلا يختص بزمان ولا مكان (قوله وجب ذلك) أي الجزاء بأقسامه الثلاثة وقوله ليدوق متعلق بقوله وجب وكان المناسب أن يأتي بالواو ليفيد أنه كلام مستأنف وليس جوابا لقوله فإن وجده لفساد ذلك (قوله وبال أمره) أي جزاء ذنبه الصادر منه ويؤخذ من ذلك أن قتل الصيد متعمدا للحرم أو من في الحرم كبيرة ولو أخرج الجزاء فيحتاج لتوبة .

(قوله قتل جراه أمره) أى لأن إخراج المال ثقيل على النفس والصوم فيه إتهالك للبسدين فهو ثقيل أيضا (قوله عفا الله عما سلف) أى لا يؤاخذ به فلا يرد أن ما قبل التحريم لا ذنب في قتله (قوله فينتقم الله منه) أى يعاقبه (قوله فيما ذكر) أى في لزوم الجزاء وإن كان لا إثم فيه (قوله الخطأ) أى والغلط والنسيان (قوله كالسك) أى وغيره من دواب البحر وإن كان على صورة آدمى أو خنزير (قوله كالسرطان) أى والصفدع والتمساح (قوله وهو ما يعيش فيه) الأولى ما لا يعيش إلا فيه (قوله من الوحش) استثنى الشارع الفأرة والحية والعقرب والسكب العقور والحدأة والعاذ من السباع (قوله فلا صاده حلال) أى لنفسه أو لحلال وأما ذبحه لحرم من غير دلالة من المحرم عليه فبيته عند مالك وعند الشافى ليس بيته (قوله كما بينته السنة) أى كما روى عن أبى قتادة الأنصارى قال كنت جالسا مع رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمامنا والقوم محرمون وأنا غير محرم وذلك عام الحديبية فأبصروا حمرا وحشيا وأنا مشغول أخصف النمل فلم يؤذونى وأحبوا لو أبصرت فالتفت فأبصرت فمتمت إلى الفرس فأسرجه ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوها لى فقالوا لا والله لا نعينك عليه ففضبت ونزلت فأخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار ففترته ثم جثت به وقد مات فوقعوا فيه يا كلون ثم إنهم شكوا فى أكلهم إياه وهم حرم فرحنا وخبات العضد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال هل منكم شئ منه ؟ فقلت نعم فنأولته العضد فأكل منها وهو محرم زاد فى رواية

(٢٨٨)

أن النبي قال لهم إنما هي طعمة أطعمكموها الله (قوله الذى إليه تحشرون) أى إلى غيره فلا أحد غير الله يلتجأ إليه حتى يتوهم الفرار من عبيد الله (قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) يحتمل أن جعل بمعنى صبر فيكون قوله الكعبة مفعول أول وقيام مفعول ثان ، ويحتمل أنها بمعنى

قتل جراه (أمره) الذى فعله (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد قبل تحريمه (ومن عاذ) إليه (فينتقم الله منه والله عزيز) غالب على أمره (ذو انتقام) ممن عصاه وألحق بقتله متعمدا فيما ذكر الخطأ (أحل لكم) أيها الناس حلالا كنتم أو محرمين (صيد البحر) أن تأكلوه وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسك بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان (وطعامه) ما يقذفه ميتا (متاعا) تنميا (لكم) تأكلونه (وللسيارة) للمسافرين منكم يزودونه (وحرم عليكم صيد البر) وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه (ما دمت حراما) فلو صاده حلال فلم يحرم أكله كما بينته السنة (واتقوا الله الذى إليه تحشرون . جعل الله الكعبة البيت الحرام) المحرم (قياما للناس) يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودينام بأمن داخله وعدم التعرض له وجب ثمرات كل شئ إليه وفي قراءة قيا بلا ألف مصدر قام غير محل (والشهر الحرام) بمعنى الأشهر الحرم : ذوالقعدة وذوالحجة والحرم ورجب .

قيام

خاف فيكون قياما حالا والبيت الحرام عطف بيان على الكعبة . إن قلت إن عطف البيان

إنما يكون مينا أوموضعا وهنا ليس كذلك إذ من المعلوم أن الكعبة هي البيت الحرام . أوجب بأنه للاحتراز عن بيت ختم الذى سموه الكعبة اليمنية فهو هنا للتوضيح لدفع الالتباس بغيره . وأوجب أيضا بأنه جىء به ليجرد اللدح إذ الكعبة عند العرب لا تنصرف إلا للبيت الحرام على حد الحمد لله رب العالمين إذ من المعلوم أن الله هو رب العالمين . إن قلت إن البيت جامد وللدح لا يكون الاشتق . أوجب بأنه وصف بمشتق وهو الحرام . والكعبة لغة بيت مربع فسميت الكعبة لذلك (قوله قياما) أصله قواما وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء (قوله بالحج إليه) أى فهو أحد أركان الدين فلا يكمل إلا به لأن من أتى بأركان الدين ماعده مع القدرة عليه فلم يكمل دينه وقد حرم نفسه من الرحمت المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل من السماء كل يوم وليلة مائة وعشرون رحمة ستون للطافين وأربعون للصائين وعشرون للناظرين » (قوله بأمن داخله) أى الحرم لا خصوص الكعبة (قوله وعدم التعرض له) أى للداخل عاقلا أو غيره (قوله وجب ثمرات كل شئ إليه) أى ثقلها له وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام حين قال وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، وقال تعالى في مقام الامتنان يجي إليه ثمرات كل شئ (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله قيا) أى على وزن عنب (قوله مصدر قام) أى أيضا لذ قياما مصدره أيضا (قوله غير محل) أى الآن بقلب واو ياء فلا ينافى أن أصله محل وهو قياما قالبا الثابتة في قياما هي للوجود في قيا غير أن ألفه حذفت فيلاحظ أن قيا فرع عن قياما فلم يحصل فيه تغير الحذف إلا ألف (قوله والشهر الحرام) معطوف

على الكعبة وأل فيه الجنس فيشمل الأشهر الأربعة ولهذا أشار للتفسير بقوله **بني الأشهر الخ** (قوله قيلما) فغيره إشارة إلى أنه محذوف من الثاني لدلالة الأول عليه (قوله بأنهم القتال فيها) أي فكانت العرب ينسب بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا إلا في الأشهر الحرم (قوله والهدى) أي فهو من مصالح الدين لجبره نقص الحج والهدى لحصول البركة فيها بقي من ماله بسبب إتقائه الهدى في سبيل الله وهكذا كل صدقة بها مصالح الدين بتكفير الذنوب ومصالح الدنيا بنحو المال ووقاية صاحبها مصارع السوء (قوله والقتلاند) أي التي كانوا يقتلون بها أنفسهم إذا خرجوا من مكة لمصالحهم فكانوا يأخذون من شجر الحرم شيئا ويضعونه في عنقهم إذا خرجوا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم (قوله ذلك لتعلموا) اسم الإشارة مبتدأ وتعلموا خبره وأن واسمها وخبرها في محل نصب سكت مسند مفعولي تعلموا ، وقوله وأن الله بكل شيء عليم معطوف على أن الأولى من عطف العام على الخاص (قوله فإن جملة ذلك) أي للتقدم ذكره وهو الكعبة والشهر الحرام والهدى والقتلاند (قوله جلب للمصالح) علة لما قبله وقوله دليل الخ خبر إن (قوله وما هو كائن) أي لأن أو في المستقبل (قوله شديد العقاب لأعدائه) أي الذين بطروا نعمته وسام أعداء لمخالفتهم أمره فكل من خالفه فهو كالعِدْوَة والمعنى يعامله معاملة العدو (قوله لأوليائه) أي أحبابه الذين يشكرون نعمه وإنما قدم شديد العقاب لأنه تقدم ذكر النعم فحذر من الاعتقار (٢٨٩) بها والطيئان فيها لأن الفقر مع الشكر خير من الغنى مع البطر (قوله ما على الرسول إلا البلاغ) هو بالرفع فاعل لفعل محذوف أو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله بالمعنى ليس على الرسول إلا تبليغ أمر دينكم لأجزائكم (قوله البلاغ) أشار بذلك إلى أنه استعمل مصدر المجرى موضع الزيد في الآية من البلاغة لأن زيادة البنية تدل على زيادة المعنى ففيه الإشارة إلى أنه بلغ البلاغ الكامل (قوله

قياماً لهم بأنهم القتال فيها (وَالْهُدَى وَالْقِلَآنِدَ) قياماً لهم بأمن صاحبها من التعرض له (ذَلِكَ) الجمل المذكور (لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فإن جملة ذلك جلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على عله بما هو في الوجود وما هو كائن (اعلموا أن الله شديد العقاب) لأعدائه (وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بهم (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) الإبلاغ لكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون من العمل (وَمَا تَكْتُمُونَ) تخفون منه فيجازيكم به (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ) الحرام (وَالطَّيِّبُ) الحلال (وَلَوْ أَعْجَبَكَ) أي سرك (كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ) في تركه (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَمَّا كُنْتُمْ قُلُوبُكُمْ تَقْلُبُونَ) تفوزون . ونزل لما أكثروا سؤاله صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ) تظهر (لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ) لما فيها من المشقة ،

فيجازيكم .) أي إن خيرا خيرا وإن شرا فشر (قوله ولو أعجبك كثرة الخبيث) معطوف على محذوف تقديره هذا إذا لم يعجبك بل ولو أعجبك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يستويان لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وللمقصود من ذلك أمره صلى الله عليه وسلم أن يخاطب بذلك أمته فليس الخطاب له لأنه قد زهد الحلال فضلا عن كونه يعجبه كثرة الحرام (قوله فاتقوا الله في تركه) أي ولا تعرضوا لأخذ الحرام فإنه يورث غضب الله ولا لأخذ الشبهات أيضا فإنها تورث قسوة القلب (قوله تفوزون) أي تظهرون برضا الله فإن العز كل العز للتيق (قوله ونزل لما أكثروا سؤاله) أي عن أمور لو أجابهم عنها لشق عليهم وعن أمور لو أجابهم بها لساءتهم . فالأول كسؤالهم عن الحج هل هو واجب في العمرة مرة أو كل عام مرة . والثاني كسؤال رجل عن أبيه بعد موته أين هو فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه في النار (قوله عن أشياء) أصله شيئا على وزن فاعل كحمراء استنقلت العرب النطق في كلمة يكثر استعمالها بألف بين همزتين خصوصا قبل الهمزة الأولى ياء قلبوها قلبا سكتانيا فقتموا الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة قبل الشين فصار وزنه لفاء وهو ممنوع من الصرف لأن الهمزة التانيث المدودة (قوله لما فيها من المشقة) علة لقوله تسؤلكم والمشقة إما لحصول التكليف بها أو لحصول الاساءة والفضيحة بها ففي الحديث « إن الله أحل لكم أشياء وحرّم أشياء وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » .

(قوله وإن تسألوا عنها) إن حرف شرط وتسألوا فعل الشرط وعلها متعلق بفسالوا والضمير عائذ على الأشياء التلقية وقوله حين ينزل القرآن ظرف متعلق بفسالوا وقوله تبدلكم جواب الشرط (قوله المعنى إذا سألتكم الخ) حاصل ما أفاده للفسر أن هنا جملتين شرطيتين ونهيا فالأصل تأخير النهي عن الجملتين وتأخير الجملة الأولى عن الثانية وإنما قدم النهي ونتيجته وهي الإساءة اعتناء بزرع عباده وهذا التقديم والتأخير باعتبار المعنى وإلا فالاول لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا (قوله إذا سألتكم عن أشياء) هو معنى الجملة الثانية وقوله متى أبدأها ساءتكم هو معنى الجملة الأولى وقوله فلا تسألوا عنها هو معنى النهي وما ذكره المفسر أحد احتمالات في الآية وهو أحسنها (قوله عفا الله عنها) أى لم يؤاخذكم بذلك (قوله عن مسئلتكم) أى عن جوابها والمعنى لم يجبكم بالتشديد مع استحقاقكم إياه بالسؤال عما لا يعينكم فضلا منه ولطفًا بكم (قوله فلا تعودوا) أى لمثل هذه الأسئلة (قوله والله غفور حلیم) فى معنى العلة لقوله عفا الله عنها أى عفا عنها لأنه غفور يستر الذنوب ويمحوها حلیم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه (قوله قد سألتها) هذا امتنان من الله تعالى على هذه الأمة حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم رحمة منه وزجرا لهم عن وقوع مثل ذلك منهم (قوله أى الأشياء) أى نوع الأشياء وهو ما فيه الإساءة كسؤال قوم صالح أن يأتى لهم من الجبل بناقة وكسؤال قوم عيسى المائدة وكسؤال قوم موسى رؤية الله جبهة فأجاب سؤالهم بالتشديد عليهم فى التكليف غفلوا غل بهم ماحل من العذاب وإنما (٢٩٠) قال هنا قد سألتها ولم يقل عنها إشارة إلى أن السؤال كما يتعدى بالحرف

(وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ) أى فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (تَبْدَلَكُمْ) المعنى إذا سألتكم عن أشياء فى زمنه ينزل القرآن بأبدائها ومتى أبدأها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد عفا الله عنها عن مسئلتكم فلا تعودوا (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ . قَدْ سَأَلَهَا) أى الأشياء (قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) أنبياءهم فأجيبوا ببيان أحكامها (ثُمَّ أَصْبَحُوا) صاروا (بِهَا كَافِرِينَ) بتركهم العمل بها (مَا جَعَلَ) شرع (اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) كما كان أهل الجاهلية يفعلونه . روى البخارى عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس . والسائبة كانوا يسيبونها لأنهمم فلا يحمل عليها شيء . والوصيلة الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الإبل بأثني ثم تنثى بعد بأثني وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بأخرى ليس بينهما ذكر . والحام غل الإبل ،

يتعدى بنفسه (قوله ببيان أحكامها) أى أحكام الأشياء التى سألوها مع التشديد عليهم (قوله بتركهم العمل) أشار بذلك إلى أن الكفر إنما هو بترك العمل لأنفس تلك الأشياء فالكلام على حذف مضاف (قوله ما جعل الله) ردة وإبطال لما كان عليه الجاهلية (قوله شرع)

يضرب

إن قلت إنه لم يرد فى اللغة جعل بمعنى شرع فالمناسب أن يفسرها

بصير ويكون المفعول الثانى محذوفاً والتقدير مشروعة (قوله من بحيرة) من زائدة فى المفعول ووجد شرطها وهو كون مدخولها نكرة فى سياق نفي (قوله درها) أى لبنها وقوله للطواغيت أى خدمتها وهذا أحد أقوال فى تفسير البحيرة وما بعدها وهو أمحها وقيل البحيرة هى الناقة التى تنتج خمسة أبطن فى آخرها ذكر فتشق أذننها وتترك فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد عن مرعى ولا ماء ، إذا لقيا الضعيف لم يركبها وقيل هى الأنثى الخامسة فى النتاج وقيل هى بنت السائبة ، وسبب هذا الاختلاف اختلاف السائبة كانوا الخ) وقيل هى الناقة تنتج عشر إناث فلا تركب ولا يشرب لبنها إلا ضعيف أو ولد ، وقيل هى الناقة تترك ليحج عليها حجة (قوله والوصيلة الناقة البكر الخ) وقيل هى الشاة التى تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين ، فإذا ولدت فى آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فجرت مجرى السائبة ، وقيل هى الشاة تنتج سبعة أبطن فإذا كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت فبأكلها الرجال والنساء ، وإن كان ذكرا ذبحوه وأكلوه جميعا ، وإن كان ذكرا وأنثى قالوا وصلت خاها فيتركونها معه فلا ينتفع بها إلا الرجال دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وقيل هى الشاة تنتج عشر إناث متواليات فى حمسة أبطن ثم ما ولدت بعد ذلك فلذلك ذكر دور الإناث وقيل غير ذلك (قوله والحام غل الإبل) وقيل هو الفحل ينتج له سبع إناث متواليات فيحمى ظهره وقيل هو الفحل الذى ينتج من بين أولاده ذكورا وإناثا عشر إناثا وقيل غير ذلك ،

ولقد علمت أن اختلاف تلك الأقوال لاختلاف اصطلاح الجاهلية فيها ولم يجعل الله سبحانه وتعالى شيئاً منها في دين الاسلام على جميع الأقوال (قوله الضراب الممدود) أى وهو عشر مرات ينشأ عن كل مرة حمل (قوله ولكن الذين كفروا) أى علماءهم وقوله وأكثروا لا يعقلون أى عوامهم فهم كالأنعام بل هم أضل (قوله وإذا قيل لهم) الضمير عائد على قوله وأكثروا الذين هم عوامهم ، والقائل يحتمل أنه النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه (قوله تعالوا) فعل أمر بمعنى أقبلوا وأصله تعالون تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار تعالون التقى ساكنان حذفت الألف لالتقاءهما وحذفت النون لأن فعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه وهو يجزم بحذف النون وهو بفتح اللام لكل مخاطب ولو أنى قال تعالى - فتعالين - (قوله إلى ما أنزل الله) أى إلى الذى أنزل الله وهو القرآن ، وقوله وإلى الرسول معطوف على ما أى وتعالوا إلى الرسول أى ليعين لكم أحكام الله (قوله أى إلى حكمه) أشار بذلك إلى أن قوله وإلى الرسول على حذف مضاف ، وقوله من تحليل ما حرمتم بيان لحكمه وهو البجيرة والسائبة والوصيلة والحام ومثل ذلك في الحرمة ما يفعله بعض سفهاء العوام من كونهم يرسلون عجلاً أو شاة على اسم ولّى من الأولياء تأكل من أموال الناس ولا يتعرض لها أحد فإذا نصحبهم لإنسان وقال لهم إن ذلك حرام أصادوا به الظن وقالوا إنه لا يجب الأولياء فإذا اعتقدوا أن ذلك قرينة وطاعة فقد كفروا وإلا فهو من جملة المحرمات ويحسبون أنهم على شيء إلا إنهم هم الكاذبون (قوله قالوا حسبنا ما وجدنا) حسبنا مبتدأ وما وجدناه خبره (قوله أحسبهم ذلك ولو كان الخ) الوافى أولو الحال وهمزة الانكار الواقعة قبلها داخلة على (٢٩١) محذوف قدره المفسر والمعنى أكافهم دين آبائهم ولو كانوا الخ

يضرب الضراب الممدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شيء وسماه الحامى (وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) في ذلك ونسبته إليه (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ) أى إلى حكمه من تحليل ما حرمتم (قَالُوا حَسْبُنَا) كافينا (مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا) من الدين والشريعة ، قال تعالى (أ) حسبهم ذلك (وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) إلى الحق والاستفهام للانكار (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) أى احفظوها وقوموا بصلاحها (لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) قيل المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب ،

حال إساءته (قوله لا يعلمون شيئاً) عبر هنا بـ يعلمون وفي البقرة يبيعلون وقال هنا ما وجدنا وهناك ما أفينا تفننا (قوله للانكار) أى والتوبيخ (قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) قيل إنه مرتبط بما قبله فيكون قوله لا يضركم من ضل يعنى من أهل الكتاب ، والمعنى أن الله كفنا بقتال الكفار حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية فإذا أدوها كفنا أنفسنا عنهم ولا يضرنا كفرهم وقيل مستأنفة نزلت في العصاة فالمعنى عليك بحفظ نفسك ولا تعرض لغيرك فلا يضررك ضلال من ضل . إن قلت إن هذا يوهم أن المدار على هدى الانسان في نفسه ولا يلزمه الأمر بالمعروف ولا النهى عن المنكر ، وهو خلاف النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث النبوية . أجيب بحمل ذلك على من عجز عن ذلك وإلى هذين القولين أشار المفسر فيما يأتى بقوله قيل المراد الخ وفي الحقيقة المراد ما هو أعم ، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به وترك ما نهاه عنه فلا يضره مخالفة من خالف (قوله عليكم أنفسكم) بنصب أنفسكم على الاغراء لأن عليكم اسم فعل بمعنى الزموا والفاعل مستتر وجوبا تقديره أتم ، والمعنى الزموا حفظ أنفسكم وهدايتها ووقايتها من النار والكاف في عليكم ونظيره من أسماء الأفعال كإليك ولديك قيل في محل جر على بحسب الأصل وقيل في محل نصب ولا وجه له وقيل في محل رفع تأكيد للضمير المستتر ، وذهب ابن بابشاذ إلى أنها حرف خطاب وقرئ شذوذا برفع أنفسكم وخرجت على أحد وجهين : الأول كونها مبتدأ وعليكم خبر مقدم والمعنى على الاغراء عنى كل حال فإن الاغراء جاء بالجملة الابتدائية ، ومنه قراءة بعضهم ناقة الله وسقياها بالرفع . الثانى أنه تأكيد للضمير المستتر في عليكم وإن كان خلاف القياس لأن القياس لا يؤكده بالنفس الضمير للتصل إلا بعد الضمير المنفصل لقول ابن مالك :

وإن تؤكد الضمير للتصسل بالنفس والعين فبعد انفصل (قوله وقيل للراد غيرهم) أى غير أهل الكتف من العصاة وليس فيهدليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ قد ورد أن الصديق قال يوماً على المنبر : يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأصروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر ولا تغفروا بقول الله عز وجل - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - فيقول أحدكم على نفسه والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليستعلمن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم » وعنه صلى الله عليه وسلم قال « ما من قوم عمل فيهم منكر وسن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق الله أن يعذبهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم » وقال الصديق أيضاً إن هذه الآية تعدونها رخصة والله ما أنزل آية أشد منها (قوله سألت عنها) أى عن هذه الآية وقوله فقال أى في بيان معناها (قوله شحا مطاعاً) الشح نهاية البخل وقوله مطاعاً أى يطيعه صاحبه (قوله وهوى) بالقصر مأميل إليه النفس من القبايح (قوله متبعا) أى يتبعه صاحبه (قوله ودنيا مؤثرة) بهزوة ودونها أى يقدمها صاحبها على الآخرة (قوله وإعجاب كل ذي رأى برأيه) أى فلا يعجبه رأى غيره ولا يقبل نصيحته زاد الخازن في تلك الرواية بعد قوله فمليك نفسك « ودع العوام فإن من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فيها قبض على اجر للعامل فيها مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم » اهـ (قوله إلى الله مرجعكم جميعاً) فيه وعد لمن أطاع ووعيد لمن اغتر وعصى (قوله يا أيها الذين آمنوا) لما بين سبحانه ما يتعلق بمصالح الدين شرع يبين ما يتعلق بمصالح الدنيا إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له أن يضبط مصالح دينه ودنياه لأنه (٢٩٢) مكلف بحفظهما (قوله شهادة) مبتدأ وبينكم مضاف إليه وإذا ظرف

لشهادة وحضر فعل ماض وأحدكم مفعول مقدم والموت فاعل مؤخر وحين بدل من الظرف قبله وقوله اثنان خبره . إن قلت إن الدات لا تجز بها عن المعنى ولا عكسه . أجيب بأن الكلام على

وقيل المراد غيرهم لحديث أبي ثعلبة الخشني « سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اثبتوا بالمعروف وتناهاوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فمليك نفسك » رواه الحاكم وغيره (إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت) أى أسبابه (حين الوصية أثنان ذوا عدل منكم) خبر بمعنى الأمر أى ليشهد وإضافة شهادة لبين على الاتساع وحين بدل من إذا وأظرف لحضر (أو آخران من غيركم) أى غير ملتكم

(إن)

حذف مضاف إما في الأول تقديره ذوا شهادة أحدكم اثنان أو في الثاني تقديره

شهادة اثنين وقوله ذوا عدل صفة لاثنين ، والعدل هو الذكر البالغ العاقل غير مرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة وغير مصرّ على صغيرة غيرها (قوله خبر بمعنى الأمر) أى فهي جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى (قوله أى ليشهد) بضم الباء من أشهد الرابعي وتلك الشهادة يحتمل أن تكون حقيقية واشتراط العدالة ظاهر ويحتمل أن المراد بالشهادة الوصية والمعنى إذا حضر أحدكم الموت فليوص اثنين وعلى هذا فاشتراط العدالة من حيث الوصية أى كونه عدلاً في الوصية بأن يحسن التصرف فيما ولى عليه وأما كونهما اثنين فشرط كمال ولكون سبب النزول كذلك كما سيأتى (قوله على الاتساع) أى التسمع والتجاوز وكان حقها أن تضاف إلى الأموال وإنما أضيفت إلى البين لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين (قوله بدل من إذا) أى فكل منهما ظرف لشهادة وقوله أو ظرف لحضر أى فقولاه إذا ظرف لشهادة أى فعلى هذا تغاير متعلق الظرفين (قوله أو آخران) معطوف على اثنان أى فإن لم يجد العدلين لكون رفقته في السفر كفاراً كما هو سبب النزول فليشهدا أو يوص آخرين . وحاصله لأجل اتساع المعنى أن بزيلا السهمى مولى عمرو بن العاص وقيل بديل بالعدل وعدى بن بداه وتبعا الدارى سافروا من المدينة إلى الشام بتجارة فحضر بزيلا السهمى الوفاة وكان مسلماً وعدى وتبعم نصرانيان فكتب متاعه في وثيقة ومن جملة ما كتب في الوثيقة جام من الفضة قدره ثلثمائة مثقال مخوص بالذهب وأمرهما أن يسلمتا متاعه لورثته ثم قضى عليه ففتشا متاعه فوجدوا ذلك الجام فأخذاه وباعاه بألف درهم فلما حضرا سلما متاعه لورثته فوجدوا فيه صحيفة مكتوباً فيها جميع المتاع ومن جملة جمل من فضة ففتشوا عليه فلم يجدوه فجاءوها فقالوا لهما صاحبنا قد تمرض وأفق طى نفسه قال لا قالوا فهل باع من متاعه شيئاً قال لا قالوا فأبى الجام قال لا لهم لنا به ظرف رفع أقرب بزيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه بالواقعة فأحضره دلياً وتبعا فسلما عنه

فقال لاعلم لنا به فنزلت الآية فأحضرها بعد صلاة العصر عند النبر وحلفهما ثم بعد ذلك ظهر الجاه قيل بمكة مع رجل وقيل بيدهما فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت الآيتان الأخيرتان فأحضر رسول الله عمرو بن العاصي والمطلب بن أبي وداعة وحلفهما خلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا فأعطي الجاه لهما (قوله إن أتم) شرط في المعطوف وقوله أتم فاعل بفعل محذوف يغسره قوله ضربتم جملة ضربتم لاجل لها من الاعراب لأنها مفسرة للمحذوف وقوله فأصابكم معطوف على ضربتم (قوله صفة آخران) أى جملة الشرط وجوابه معترضة بين الصفة والوصف (قوله أى صلاة العصر) أى قال للعهد لأن وقت العصر معظم في جميع الليل وإنما كان معظما لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار (قوله إن ارتبتم) شرط في تحليفهما (قوله ويقولان لانشترى الخ) بيان (٢٩٣) لكيفية يمينهما (قوله بأن نحلف به

أو نشهد الخ) أشار بذلك إلى قولين قيل قالوا لاعلم لنا به وقيل قالوا أوصى به للغير وأعطيناه له وسياق الآية في يمينهما يشهد للثاني (قوله كاذبا) المناسب كاذبا (قوله ولانكنتم) معطوف على لانشترى (قوله بأن وجد عندهما) أى وقيل عند رجل مكى باعاه له بألف درهم كما سيأتى (قوله وادعيا أنهما ابتاعاه الخ) إشارة لوجهين في دعواهما وسيأتى الثالث في قوله ودفعه إلى شخص زعما أن البيت أوصى له به (قوله من الذين استحق عليهم) أى لهم ونائب الفاعل قدره المفسر بقوله الوصية أى الايصاء (قوله

(إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ) سافرتُمْ (فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا) توقوهُنِمَا صفة آخران (مِنْ بَدَلِ الصَّلَاةِ) أى صلاة العصر (فَيَقْسِمَانِ) يحلفان (بِاللَّهِ إِنْ أُرْتَبْتُمْ) شككم فيها ويقولان (لَا نَشْتَرِي بِهِ) بالله (شَيْئًا) عوضا نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كاذبا لأجله (وَلَوْ كَانَتْ) القسم له أو للشهود له (ذَا قُرْبَى) قرابة منا (وَلَا نَكْنُكُمْ شَهَادَةَ اللَّهِ) التي أمرنا بها (إِنَّا إِذَا) إن كتمناها (لَكِنَ الْآيَمِينَ) فَإِنْ غُيِّرَ) اطلع بعد حلفهما (عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا) أى فلا ما يوجب من خيانة أو كذب في الشهادة بأن وجد عندهما مثلا ما اتهمتا به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أوصى لهما به (فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا) في توجه اليمين عليهما (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ) الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران (الْأَوَّلَيَانِ) بالميت أى الأقربان إليه وفي قراءة الأولين جمع أول صفة أو بدل من الذين (فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ) على خيانة الشاهدين ويقولان (لَشَهَادَتُنَا) يميننا (أَحَقُّ) أصدق (مِنْ شَهَادَتِهِمَا) يمينهما (وَمَا أَعْتَدَيْنَا) تجاوزنا الحق في اليمين (إِنَّا إِذَا كُنَّا الظَّالِمِينَ) المعنى يشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصى إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن قدم لسفر ونحوه فإن ارتاب الورثة فيها فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره فإن اطلع على أمارة تكذيبهما فادعيا دافعا له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق مادعوه والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتخليط وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها وهي مارواه البخاري أن رجلا من بني سهم خرج مع تميم الداري

الأوليان) تشية أولى بمعنى أقرب كما قال المفسر (قوله جمع أول) بمعنى أسبق وهى بمعنى القراءة الأولى من حيث إنهم أقارب للميت (قوله فيقسمان) عطف على يقومان (قوله يميننا) أى فالمراد بالشهادة اليمين (قوله وما اعتدينا) هذا من جملة اليمين (قوله للمعنى) أى معنى الآيتين (قوله أو يوصى) إشارة إلى التفسير الثاني (قوله إن قدّم) أى أهل دينه (قوله بأخذ شيء) أى وقد ادعيا أنهما اشتريا من الميت أو أنه أوصى لهما به (قوله دافعا له) أى لما ادعى عليهما به من الخيانة (قوله منسوخ في الشاهدين) أى عند من يشترط في الشهود الاسلام ولو عند فقد المسلمين ، وأما عند من لم يشترط ذلك عند فقد فلا نسخ (قوله للتخليط) أى لأن اليمين تفاظ بالزمان ككونها بعد العصر والمكان ككونها في المسجد في الحقوق المهمة من الأموال وغيرها (قوله وتخصيص الحلف في الآية باثنين) أى مع أنه يصح من واحد أو أكثر ممن يظن به العلم من المستحقين (قوله أن رجلا) تقدم أن اسمه بزيل وقيل بديل بالزاي أو الدال (قوله مع تميم) أى وقد أسلم بعد ذلك وصار من مشاهير الصحابة وكان يحدث بالواقعة .

(قوله وعدى بن بداء) ولم يثبت إسلامه وبداء بفتح الواحدة والدال المشددة بعدها ألف ثم همزة (قوله جاما) الجام في الأصل الكأس ولكن المراد به هنا إناء كبير من فضة وزنه ثلثائة مثقال (قوله غوصا بالذهب) أى منقوشا به (قوله فأحلفهما) أى بعد المصر عند النبر (قوله فقال) أى الرجل وقوله ابتعناه أى بألف درهم (قوله فقام رجلان) سيأتى في الرواية الأخرى اسم أحدهما وهو عمرو بن العاص والثانى هو المطاب بن أبى وداعة (قوله من رد اليمين على الورثة) أى توجهها عليهم بعد أن حلف تميم وعدى وظهر كذبهما (قوله أن باتوا) للمقام للثنية وكذا قوله أو يخافوا أيضا وإنما جمع لأن المراد ما يميم الشاهدين المذكورين وغيرهما وإنما ردت اليمين على الوارث مع أن حقها أن تكون من الوصيين لا غير لأنه مدعى عليهما إما لظهور خيانتهم فبطل تصديقهما باليمين أو لتغير الدعوى أى انقلابها لأنه صار المدعى عليه مدعىا حيث ادعى للملك (قوله فلا يكذبوا) أى فلا يأتوا باليمين كاذبة ، والمعنى أنه إنما شرع الله رد اليمين على الورثة في مثل هذه الواقعة ليحفظ الشاهد أو الوصى من اليمين الكاذبة أو يبنى على حصول التضيعة (قوله إلى سبيل ٢٩٤) الخير متعلق بيهدى وفى بعض النسخ إلى سبيل الشر فيكون متعلقا بالخارجين .

وعدى بن بداء أى وهما نصرانيان فأت السهمى بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة غوصا بالذهب فرضا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فأحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقال ابتعناه من تميم وعدى فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمى خلفا وفى رواية الترمذى فقام عمرو بن العاصى ورجل آخر منهم خلفا وكانا أقرب إليه وفى رواية فرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذوا الجام ودفعوا إلى أهله ما بقى (ذَلِكَ) الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة (أَذْنَى) أقرب إلى (أَنْ يَأْتُوا) أى الشهود أو الأوصياء (بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا) الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة (أَوْ) أقرب إلى أن (يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ) على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا (وَأَتَقُوا اللَّهَ) بترك الخيانة والكذب (وَأَسْمَعُوا) ما تؤمرون به سماع قبول (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير . اذكر (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) هو يوم القيامة (فَيَقُولُ) لهم توبيعا لقومهم (مَاذَا) أى الذى (أُجِبْتُمْ) به حين دعوتهم إلى التوحيد (قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا) بذلك (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ما غاب عن العباد وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أمهم لما يسكنون ،

[تنبيه] ما كتبناه فى تفسير تلك الآيات الثلاث هو جهد القل وإلا فلم يزل العلماء يستشكلونها إعرابا وتفسيرا وأحكاما وقالوا إنها من أصعب آى القرآن وأشكله (قوله اذكر) قدره المفسر إشارة إلى أن يوم ظرف متعلق بحذوف (قوله يوم يجمع الله الرسل) أى الثلثائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر ، والحق أنه لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى (قوله فيقول) مقتضى

اذكر

الآية أنه يجمعهم فى سؤال واحد ولكن يرى كل واحد منهم أنه المسئول لا غيره

وترى كل أمة أن رسولها هو المسئول ولا مانع من ذلك فإن الله يحول بين المرء وقلبه (قوله توبيعا لقومهم) دفع بذلك ما يقال كيف يسأل الله الرسل مع أنه العالم بالحقيقة ؟ فأجاب بأن حكمة السؤال توبيخ الأمم على ما وقع منهم من الكفر والعصيان وليس المقصود أن الله يعلم شيئاً لم يكن عالماً به من قبل ، نزه الله عن ذاك ، بوضح هذا الجواب قوله تعالى : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، إلى أن قال : يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الأرض ولا يكتفون الله حديثا (قوله أى الذى) أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر وأجبت صلتها والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به قال ابن مالك : ومثل ماذا بعد ما استفهام أو من إذا لم تلغ فى الكلام (قوله بذلك) أى بما أجبتا به (قوله إنك أنت علام الغيوب) حلة لما قبله أى فعلنا فى جانب علمك كلالشى لأنك تعلم ما غاب عنا وما ظهر ، وأما علمنا فهو قاصر على بعض ما سهر (قوله وذهب عنهم علمه الخ) جواب عما يقال كيف يقولون لاعلم لنا مع أنهم عالمون بذلك فيلزم عليه الاخبار بخلاف الواقع . فأجاب بأن فى ذلك الوقت يتجلى الله بالجلال على كل أحد حتى ينسى الرسل العصمة والمغفرة وتذهل كل مرضعة عما أرضعت . وأما قوله تعالى

- لا يهزئهم الفزع الأكبر - أى انتهاء وأما فى ابتداء الوقت فليشدة الهول يكونون جنباً على الركب يقولون : رب سلم سلم ثم يحصل لهم ذهول ونسيان لما أجيبوا به فإذا آمنوا وسكن روعهم شهدوا على أنفسهم فلا منافاة . وأجيب أيضاً بأن معنى قوله لم أعلم لنا تفويض الحكم والعلم لله تعالى كأنهم يقولون أنت الحكم العدل وهم عبيدك فلا علاقة لنا بهم . وأجيب أيضاً بأن المراد نفي العلم الحقيقى إذ هو لا يكون إلا لله تعالى لأنه المطلع على السرائر والظواهر ، وأما نحن فأنما نعلم منهم مظاهر وما ذكره المفسر من أن الأنبياء يحصل لهم الفزع ابتداء حتى يذهلوا عن جواب أنهم لم ثم يسكنون إحدى الطريقتين والطريقة الثانية وعليها المحققون أن الرسل ومن كان على قدمهم آمنون ابتداء وانتهاء وإما الفزع والهول للكفار والفساق . وأما قول الرسل حينئذ : نفسى نفسى لا أملك غيرها فلا يقتضى حصول الفزع وإما معنى ذلك أنه يقول ليست الشفاعة العظمى لى وإما هى لغبرى فلا أملك إلا نفسى ولم يجعل الله لى الشفاعة العامة وذهب الأئم للرسول وردهم إياهم إنما هو إظهار لفضله صلى الله عليه وسلم وذلك هو المقام المحمود فالأحسن الجواب الثانى أو الثالث (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف متعلق بمحذوف وليس متعلقاً بما قبله لأن هذه القصة مستقلة (قوله يا عيسى ابن مريم) يحرف نداء وعيسى منادى مبنى على ضم مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر فى محل نصب وابن نعت له باعتباره المثل (قوله اذكر نعمتى) المقصود من ذلك توبيخ الكفرة حيث فرطوا فى حقه وأفرطوا وليس المراد تكليفه بالشكر فى ذلك (٣٩٥) اليوم لانقطاع التكليف بالموت

(قوله قوتيك بروح القدس) أى فكان يسير معه حيث سار يعينيه على الحوادث التى تقع ويلهمه العلوم والمعارف (قوله فى المهد) تقدم أن المهد فراش الصبي ولكن المراد منه الطفولية فتكلم بقوله فى عبد الله إلى آخر ما فى سورة مريم (قوله وكهلاً) إنما ذكر ذلك إشارة إلى أن كلامه على نسق واحد فى ذكاء

اذكر (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ) بشكرها (إِذْ أَتَيْتُكَ) قوتيك (بِرُوحِ الْقُدُسِ) جبريل (تُكَلِّمُ النَّاسَ) حال من الكاف فى أيدتك (فِي الْمَهْدِ) أى طفلاً (وَكَهْلًا) يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق فى آل عمران (وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ كَصُورَةٍ) (الطَّيْرِ) والكاف اسم بمعنى مثل مفعول (يَاذُنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَاذُنِي) بإرادتى (وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ يَاذُنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى) من قبورهم أحياء (يَاذُنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ) حين هموا بقتلك (إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ) ما (هَذَا) الذى جئت به (إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) وفى قراءة ساحر أى عيسى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ) أمرتهم على لسانه (أَنْ) أى بَأَن (آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) عيسى (قَالُوا آمَنَّا) بهما (وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ) .

العقل وغزارة العلم (قوله كما سبق فى آل عمران) الذى سبق له فيها أنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو سن الكهولة لأن من الثلاثين للأربعين هوسن الكهولة فقول الله تعالى وكهلاً صادق بكلامه قبل الرفع وبعده فلا يصح قوله هنا لأنه رفع قبل الكهولة ولكن الذى تقدم لنا أنه بعث على رأس الأربعين كغيره ومكث ثمانين بعد البعثة ورفع وهو ابن مائة وعشرين سنة فإذا نزل عاش أربعين فيكون مدته مائة وستين سنة فيكون معنى قوله فى المهد وكهلاً صغيراً وكبيراً فعلى هذا ليس فى الآية دليل على نزوله وإنما نزوله مأخوذ من غير هذا المثل (قوله الكتاب) أى الكتابة وقوله والحكمة أى العلم النافع وقوله والتوراة أى كتاب موسى والإنجيل كتابه هو وهو ناسخ لبعض ما فى التوراة وهو مكاف بالعمل بما فى التوراة ما هذا مانسخ الإنجيل منها فيكون العمل بما فى الإنجيل (قوله كهية الطير) تقدم أنه الحفاس (قوله الأكه) هو من خلق من غير بصير (قوله وإذ تخرج الموتى) تقدم أنه أحياء سام بن نوح ورجلين وامرأة قيل وجارية فيكون جميع من أحياء خمسة (قوله حين هموا) أى اليهود بقتلك فرفعتك إلى السماء وألقيت شبهك على صاحبهم فقتلوه (قوله الذى جئت به) أى ويحتمل أن اسم الإشارة عائد على عيسى مبانة على حد زيد عدل (قوله أمرتهم على لسانه) دفع بذلك ما يقال إن الإحياء لا يكون إلا للرسول والخواريون ليسوا رسلاً . فأجاب بأن المراد بالوحي الأمر على لسان عيسى . وأجاب غيره بأن المراد بالوحي الإلهام على حد : وأوحينا إلى أم موسى (قوله أن آمنوا) أن تصغرية بمعنى أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه :

(قوله إذ قال) ظرف لمحذوف قدره للفسر بقوله اذكر وهو كلام نسألك لارتباطه بما قبله لأن المقصود بما تقدم تعداد التمس على عيسى، والمقصود بما هنا إعلام هذه الأمة بما وقع لأمة عيسى من التفتت في السؤال وما ترتب عليه وإن كان فيها نعمة لعيسى أيضا لكنها غير مقصودة بالذكر (قوله الحواريون) هم أول من آمن بعيسى (قوله أى يفعل) أى فافعل اللازم وهو الاستطاعة وأراد اللزوم وهو الفعل ودفع بذلك ما يقال إن الحواريين مؤمنون فكيف يشكون في قدرة الله تعالى، وشذ من قال بكفرهم كالزحشرى (قوله وفي قراءة) وهى سبعة أيضا (قوله ونصب ما بعده) أى على التعظيم (قوله أى تقدر أن تسأله) أى فالكلام على حذف مضاف في هذه القراءة الثانية والتقدير هل نستطيع سؤال ربك وإعماقوا ذلك خوفا من أن تكون هذه المسئلة كسؤال موسى الرؤية فلم تحصل وكسؤال قومه الرؤية أيضا فآخذتهم الصاعقة وهذه القراءة للكسائى وكانت عائشة رضى الله عنها تقرأ بها وتقول جل الحواريون عن كونهم يشكون في قدرة الله تعالى (قوله مأثدة) هى ما يسط على الأرض من المناديل ونحوها وأما الحوان فهى ما يوضع على الأرض وله قوائم وأما السفرة فهى ما كانت من جلد مستدير، فالحوان فعل الملوك والمناديل فعل العجم والسفر فعل العرب والمقصود هنا الطعام الذى يؤكل كان على خوان أو غيره. والمأثدة إما من الميد وهو التحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام وعليه فهى اسم فاعل على أصلها أو من مائه بمعنى أعطاه فهى فاعلة بمعنى مفعولة أى معطاة (قوله اتقوا الله) أى تأذبوا في السؤال ولا تخشعوا (٢٩٦) أمورا خارجة عن العادة فان الأدب في السؤال أن يسأل أمرا معتادا

اذكر (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع) أى يفعل (ربك) وفي قراءة بالقوقانية ونصب ما بعده أى تقدر أن تسأله (أن ينزل علينا مائدة من السماء قال) لهم عيسى (اتقوا الله) في اقتراح الآيات (إن كنتم مؤمنين) قالوا نريد (سؤلها من أجل) (أن نأكل منها وتطمنئن) نسكن (قلوبنا) زيادة اليقين (ونعلم) نزداد علما (أن) مخففة أى أنك (قد صدقتنا) في أدعاء النبوة (ونكون عليها من الشاهدين) قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا (أى يوم نزولها عيدا) نظمه ونشرفه (لأولنا) بدل من لنا بإعادة الجار (وآخرنا) ممن يأتى بعدنا (وآية منك) على قدرتك ونبوتى (وارزقنا) إياها (وأنت خير الرازقين) قال الله (مستجيبا له) (إنى منزلها) بالتخفيف والتشديد (عليكم فمن يكفر بعد) أى بعد نزولها (منكم) فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين

ومن هنا حرم العلماء الدعاء بما تحمله العادة (قوله في اقتراح الآيات) أى اختراعها (قوله إن كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف دل عليه قوله اتقوا الله (قوله أن نأكل منها) قيل اقتيانا وقيل تبركا وهو المتبادر (قوله زيادة اليقين) أى لأن الاتقال من علم اليقين إلى عين اليقين أقوى في الايمان (قوله أى أنك قد

فزلت

صدقنا) قدر المفسر اسم أن غير ضمير شأن وهو شاذ فالمناسب أن يقول

أى أنه لأن أن إذا خفت كان اسما ضمير شأن (قوله عليها) متعلق بالشاهدين والمعنى ونكون من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها ليزداد من آمن جهادتنا يقينا وطمانينة (قوله قال عيسى) أى حين أبدوا هذه الأمور فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأ رأسه وغض بصره وقال اللهم ربنا الخ وهذه الآداب لا تخص عيسى بل ينبنى لكل داع فعلا لأن إظهار الدل والفاقة في الدعاء من أسباب الاجابة (قوله أى يوم نزولها) أى وقد نزلت يوم الأحد فاتخذها النصارى عيدا (قوله عيدا) هو مشتق من العود وهو الرجوع لأنه يعود وجمعه أعياد وتصغيره عبيد وكان قياسه أعوادا وعودا وإعما فعلا ذلك فرقا بينه وبين عود الحشب (قوله بدل من لنا) أى بدل كل من كل (قوله وارزقنا) أى انفعنا بها وهو مغاير لما قبله لأنه لا يلزم من الانزال اتفاعهم بها (قوله وأنت خير الرازقين) تميم لما قبله على وجه الاستدلال كأنه قال وارزقنا لأنك خير الرازقين واسم التفضيل على بابيه من حيث إن أسباب الرزق كثيرة والله خير من يأتى بالرزق لأنه الخالق له والموجد له وأما غيره فهو رازق باعتبار أنه سبب في الرزق وجار على يديه (قوله قال الله) أى على لسان ملك أو إلهام له (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد) مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله بعد نزولها) إشارة إلى تقدير المضاف إليه (قوله لا أعذبه) الضمير عائد على العذاب والمعنى لا يكون ذلك العذاب لأحد من العالمين من حيث شدته وقبحه والجملة صفة لعذابا (قوله من العالمين)

أى عالمي زمانهم أو مطلقا والشدة في الدنيا والآخرة لما قيل : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة للنافثون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون (قوله فنزلت للملائكة) روى أنها نزلت سفرة حمراء مدودة وعليها منديل بين غمامتين خضامتين من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين كلوا مما سألتهم فقالوا ياروح الله كن أنت أول من يأكل منها فقال معاذ الله أن آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدخلها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام وللقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الهناه ولنيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة وفي رواية سبعة آلاف وثلثمائة فلما آثموا الأكل طارت المائدة وهم ينظرون حتى توارت عنهم ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلى إلا عوفى ولا فقير إلا استغنى وندم من لم يأكل منها فكثرت نزل أربعين صباحا متواليه وقيل يوما بعد يوم (قوله عليها سبعة أرغفة الخ) هذه أشهر الروايات وفي رواية خمسة أرغفة على واحد زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث منن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد وصمكة مشوية بلافلوس ولاشوك تسيل دما وعند رأمها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أصناف البقول ما خلا السكرات فقال شععون رأس الحوار بين ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله بالقدر العالية وفي رواية نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شئ (قوله خبزاً ولحماً) جمع بأن اللحم لحم مملك (قوله فخانوا وادخروا الخ) أى فسبب مسخهم حياتهم وادخارهم أى مع كفرهم وفي رواية أن سبب مسخهم أنه بعد تمام الأربعين (٢٩٧) يوما من نزولها أوحى الله إلى عيسى أن

اجعل مائدتي هذه للفقراء
دون الأغنياء فتمارى
الأغنياء في ذلك وعادوا
الفقراء (قوله فسخوا)
أى فسخ الله منهم ثلثمائة
وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم
مع نساءهم ثم أصبحوا
خنازير فلما أبصرت
الخنازير عيسى بكى
وجعل يدعوهم بأسمائهم
فيشربون برعوسهم ولا

فنزلت للملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات فأكلوا منها حتى شبعوا قاله
ابن عباس . وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً فأمرؤا أن لا يخونوا ولا يدخروا
لغد فخانوا وادخروا فسخوا قردة وخنازير (و) اذكر (إذ قال) أى يقول (الله) لعيسى في
القيامة توبيخاً لقومه (يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأئمتي إلهين من دون
الله قال) عيسى وقد أردد (سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره
(مَا يَكُونُ) ما ينبغي (لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) خبر ليس ولى للتبيين (إِنْ كُنْتُ
قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَهُ

يتدبرون على الكلام فعاثوا ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل أربعة ثم هلكوا (قوله وإذ قال الله) معطوف على قوله إذ قال الحوار بون عطف
قصة على قصة وفي الحقيقة هو من أفراد سؤال الرسل فهو داخل تحت قوله يوم يجمع الله الرسل الخ وإما خصه بالذكر تقييها وتنفيها
عليهم لبشاعة عقيدتهم في نبيهم (قوله في القيامة) مشى الغفسر والجمهور على أن ذلك القول إنما يقع يوم القيامة وعليه فاذ معنى
إذا وقال بمعنى يقول وإنما عبر بالماضي لاستواء الأزمان في علمه حالها وماضيها ومستقبلها لأنه أحاط بكل شئ علما فلذا أتى بالماضي
الذى يدل على تحقق الحصول وقيل إن السؤال وقع في الدنيا بعد رفعه إلى السماء وعليه فاذ وقال على باهما (قوله توبيخاً لقومه)
جواب عما يقال إن الله تعالى عالم بكل شئ فلم كان هذا السؤال. فأجاب بأن التصود منه توبيخ من كفر وهذا يؤيد ما قاله الجمهور
ويضعف الاحتمال الثاني (قوله من دون الله) متعلق بمحذوف صفة لإلهين أى إلهين كائنين من غير الله فالله ثالثهما وليس المعنى أن
عيسى وأمه إلهان فقط والله ليس بآله فانهم لم يقولوا ذلك (قوله وقد أردد) أى أخذته الرعدة حتى خرج من كل شعرة عين دم كافي
رواية (قوله من الشريك وغيره) أى كالصاحبة والولد (قوله ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) ما نافية ويكون فعل مضارع ولى
جاء ويجزور خبرها مقدم وإن أقول في محل رفع اسمها مؤخر وما اسم موصول وليس فعل ماض ناقص واسمها مستتر هو عائد
الموصول تقديره هو وبحق خبرها ، ولى للتبيين على حدس قيا لك ورعا ، والمعنى لا ينبغي ولا يجوز على لأنك عصمتني أن أقول
ما ليس حقا منسوباً لي وهذا أحسن الأعراب (قوله إن كنت قلته فقد علمته) إن قلت إن مدخول إن لابد من كونه مستقبلا
والقول والعلم متعلقهما ماض . أجبب بأن الكلام على التقدير ، والمعنى إن ثبت

أتى قلته فقد تبين وظهر أن علمك منطوق به لأنه يستحيل وقوع شيء لم يتعلق علم الله به فحيث لم يتعلق علمه بما قال فلم يحصل ذلك منه لأنه لا يقع شيء في ملكه إلا وهو عالم به (قوله تعلم ما في نفسي) ليست علم هنا عرفانية لأن المعرفة تستدعي سبق الجهل فهي هنا على بابها ومعناها الثاني محذوف تقديره منطوقاً وثابتاً والنفس بمعنى الذات والمعنى تعلم حقيقة ذاتي وما انطوت عليه (قوله ولا أعلم ما في نفسك) أي لأعلم حقيقة ذاتك ولا ما احتوت عليه من الصفات لأن من جهل ما قام بالذات فقد جهل الذات فلا يعلم الله إلا الله . واعلم أنهم اختلفوا في إطلاق النفس على الله تعالى فقليل لا يجوز إطلاقها عليه إلا في مقام المشاكلة والحق أنه يجوز إطلاق النفس على الله من غير مشاكلة إذ ورد إطلاقها في غير المشاكلة قال تعالى - كتب ربكم على هسه الرحمة ، ويحذركم الله نفسه - (قوله أي ما تخفيه من معلوماتك) أي كذاتك وصفاتك فإن معلومات الله منها ما هو ظاهر لنا كالحوادث ومنها ما هو خفي عنا ولا يحيط بجميع ذلك إلا الله تعالى (قوله إنك أنت علام الغيوب) دليل للدليل لأن قوله إن كنت قلته فقد علمته دعوى من عيسى ثم استدلل عليها بقوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ودليل هذا أنه علام الغيوب وأكدهذه الجملة بأن والضمير المنفصل وصيغة المبالغة والجمع مع أل الاستغراقية (قوله إلا ما أمرتني به) هذا استثناء مفرغ وما اسم موصول في محل نصب هي وصلت بالقول (قوله وهو أن اعبدوا الله) أشار بذلك إلى أن قوله أن اعبدوا الله في محل رفع خبر لمحذوف تقديره وهو أن اعبدوا (قوله) (٢٩٨) وكنت عليهم شهيدا (الجملة حالية (قوله أمنهم مما يقولون) أي فلم تقع

هذه المقالة منهم وهو بينهم وإنما ابتدعوها بعد رفعه (قوله ما دمت فيهم) مامصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إلى زمان وصلتها دام ويجوز فيها التمام والنقصان فإن كانت تامة كان معناها الإقامة وفيهم متعلق بها وإن كانت ناقصة يكون قوله فيهم خبرها فعلى الأول يصير المعنى وكنت عليهم

تَعْلَمُ مَا) أَخِيهِ (فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) أَي مَا تَخْفِيهِ مِنْ مَعْلُومَاتِكَ (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) وَهُوَ (أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) رَقِيبًا أَمْنَهُمْ مِمَّا يَقُولُونَ (مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَا تُوفِّيْتَنِي) فَبَضْتَنِي بِالرَّفْعِ إِلَى السَّمَاءِ (كَنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) الْخَفِيزُ لِأَعْمَالِهِمْ (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) مِنْ قَوْلِي لَهُمْ وَقَوْلِهِمْ بِعَدَى وَغَيْرِ ذَلِكَ (شَهِيدٌ) مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ) أَي مِنْ أَقَامَ عَلَى الْكُفْرِ مِنْهُمْ (فَأَنَّهُمْ عِبَادُكَ) وَأَنْتَ مَا لَكُمْ تَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ شِئْتَ لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْكَ (وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ) أَي لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ (فَأِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ (الْحَكِيمُ) فِي صُنْعِهِ (قَالَ اللَّهُ هَذَا) أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ (يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ) فِي الدُّنْيَا كَعِيسَى (صِدْقُهُمْ) لِأَنَّهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بِطَاعَتِهِ ،

(ورضوا)

شهيذا مدة إقامتي فيهم وعلى الثاني وكنت عليهم شهيدا مدة دواي مستقرا فيهم

(قوله فلما توفيتني) يستعمل التوفي في أخذ الشيء وأفايا أي كاملا والموت نوع منه قال تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وليس المراد الموت بل المراد الرفع كما قال المفسر (قوله قبضتني بالرفع إلى السماء) حاصل ما في المقام أن هذه العقيدة وقعت منهم بعد رفعه إلى السماء وتستمر إلى نزوله ولم تقع منهم قبل رفعه وأما بعد نزوله فلم يبق نصراني أبدا بل إما الاسلام أو الياف نعمين أن يكون معنى توفيتني رفعتني إلى السماء ولو على القول بأن هذا السؤال واقع يوم القيامة بل ذلك مما يؤيده تأمل (قوله أي لمن آمن منهم) دفع بذلك ما يقال إن المغفرة لا تكون للمشركين . فأجاب بأن المعنى وإن تغفر لمن آمن منهم ولذا قال عيسى فيما تقدم إنه من شرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار (قوله يوم ينفع) قرأ الجمهور برفعه من غير تنوين وقرأ نافع بنصبه من غير تنوين ونقل عن الأعمش النصب مع التنوين وعن الحسن الرفع مع التنوين فتوجيه القراءة الأولى أن هذا مبتدأ ويوم خبره وجملة ينفع الصادقين صدقهم في محل جر باضافة يوم إليها وكذا القراءة الثانية غير أن الظرف مبنى لاصاقته إلى الجملة الفعلية وهو مذهب الكوفيين ومذهب البصريين أنه منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف خبره تقديره يقع يوم ينفع وأما قراءة التنوين فالرفع على الخبرية والنصب على الظرفية كما قال البصريون والجملة في محل رفع على الأول أو نصب على الثاني صفة لما قبلها (قوله الصادقين في الدنيا) أي فالصدق في الدنيا نافع في الآخرة وأما الصدق في الآخرة فلا يفيد شيئا لتقدم الكذب في الدنيا كاسياني (قوله بطاعته) أي باقامته لهم في الطاعة أو بسبب تلبسهم بامتثال أمورهاته واجتنب

منهياته فالطاعة سبب لرضا الله ودليل عليه (قوله ورضوا عنه) أى بأن (٢٩٩) شكروا على نعمائه وصبروا على

بلوائه فرضا الله على عبده توفيقه لخدمته فى الدنيا وإدخاله جنته فى الآخرة ورضا العبد عن ربه فى الدنيا صبره على أحكام ربه وفى الآخرة قناعته بما أعطاه له من النعم الدائم (قوله بشوابه) أى برؤية نوابه لهم فى الجنة حيث أعطاهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله ذلك الفوز العظيم) اسم الإشارة يعود على الجنات وما بعدها (قوله لما يؤمنون الخ) أى كما فى قوله تعالى : فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده (قوله لله ملك السموات والأرض) تنبيه على فساد زعم الكفار أن لله شريكا فالمعنى أن الله مالك للسموات والأرض وما فيهن فأتى الشريك له ولا يليق أن يكون شئ من ملكه شريكا له (قوله تغلبا لغير العاقل) أى وإشارة إلى أن ما سواه فى رتبة العبودية سواء إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا فلا فرق بين عاقل وغيره فى كونه مملوكا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا

تم الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى

وأوله :

سورة الأنعام

(قوله وخص العتل ذاته الخ) دمع بذلك ما يقال إن من جملة الأشياء ذاته فيقتضى أنه قادر على ذاته فأجاب بذلك لأن القدرة إنما تتعلق بالممكنات لا بالواجبات ولا بالمستحيلات فالمراد بالشئ الموجود الممكن .

فهرس الجزء الأول

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين

صفحة	صفحة
١٢٩ تفسير سورة آل عمران	٢ خطبة صاحب الحاشية وفيها مقدمة
١٣٨ فضل الآيتين : قل اللهم مالك الملك إلى	تحتوى على مبادئ علم التفسير وغير ذلك
بغير حساب .	٣ خطبة الجلال السيوطى
١٥٥ لليثاق الذى أخذ الله على النبيين بإيمانهم	٥ تفسير سورة البقرة
بمحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم .	فائدة : فيما قاله ابن العربى فى فضل سورة
١٦٨ المتقون وأوصافهم وجزاؤهم	البقرة ومأقاله العلماء فى صيغ الاستعاذة
١٨٥ فضل قوله تعالى - إن فى خلق السموات	وبيان معنى الم .
والأرض - إلى آخر السورة .	٦ بيان المتقين وجزائهم
١٨٧ تفسير سورة النساء	٧ » الكافرين وجزائهم
١٩٣ الوارث	٨ » المنافقين ومعاملتهم للمؤمنين وضرب
١٩٨ ما يحرم نكاحهن من النساء	الله الأمثال لهم .
٢١١ الأمانات وأقسامها	١٣ الأدلة الواضحة على استحقاق الله تعالى
٢٢٢ الكلام على قتل النفس	للعباد وحده دون غيره .
٢٤١ رفع السيد عيسى عليه السلام إلى السماء	٢٠ الكلام على الملائكة وعلى آدم وأمر الله
٢٤٧ تفسير سورة المائدة	الملائكة بالسجود له والكلام على إبليس .
٢٤٨ ما أحل وما حرم من الطعومات	٣٤ قصة البقرة التى أمر موسى قومه بذبحها
٢٦٢ قصة هابيل وقايل ابني آدم عليه السلام	٥٣ الكلمات التى ابتلى بها الله إبراهيم وبنائه
٢٦٤ جزاء قطاع الطرق والسارق والساوقة	الكعبة هو وإسماعيل .
٢٧٩ الرد على النصارى القائلين بأن الله هو	٧٧ الكلام على فرضية صوم رمضان وبعض
المسيح ابن مريم	أحكامه .
٢٩٥ المعجزات التى اتى الله بها على عيسى	٩٤ الكلام على الحجر والميسر
عليه السلام والكلام على المائدة .	١١١ فضل آية الكرسي
	١٢٧ فضل الآيتين من آخر سورة البقرة

